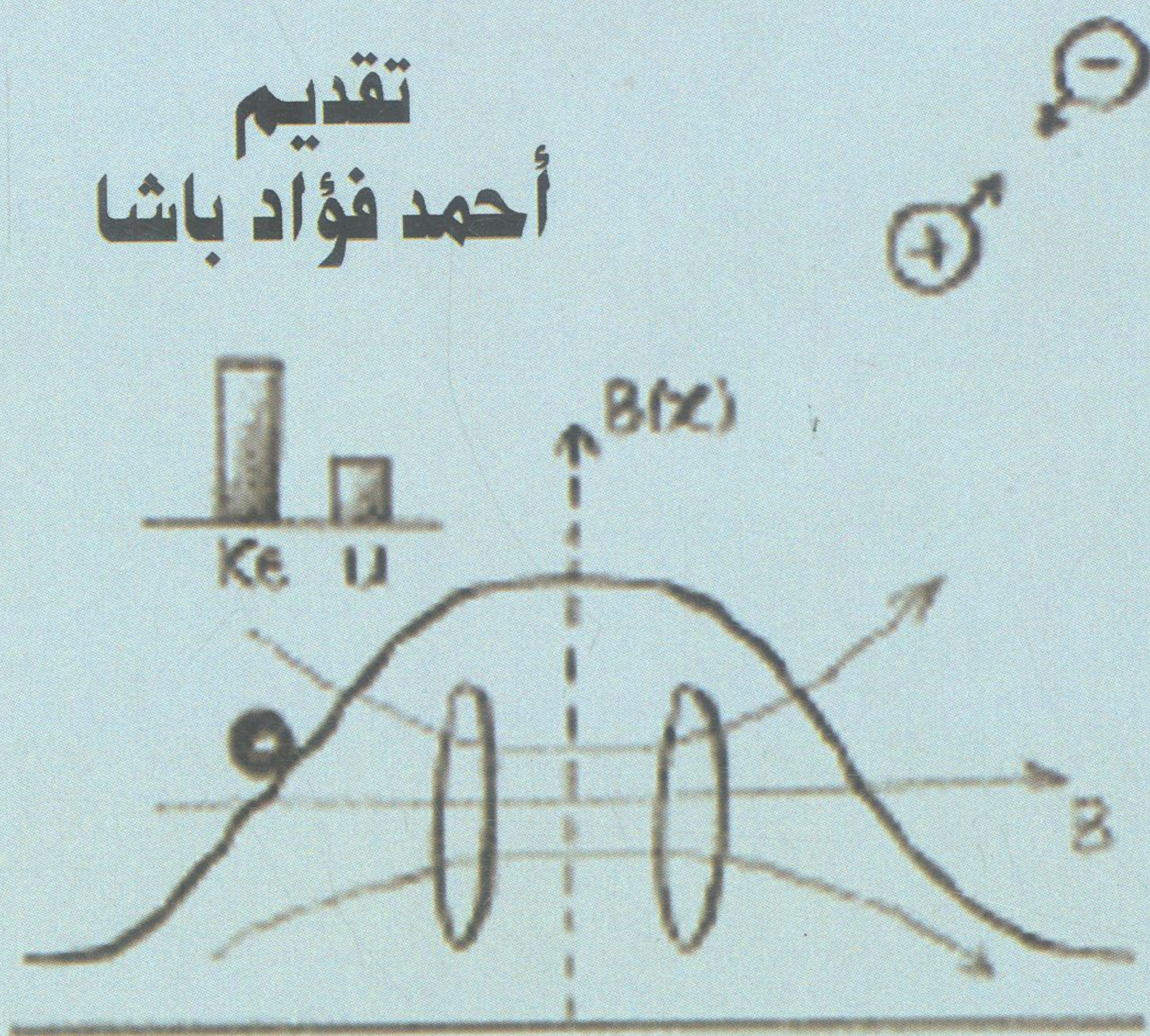


قصة الفيزياء

ميراث الترجمة

ترجمة
محمد جمال الدين الفندى

تقديم
أحمد فؤاد باشا



قصة الفيزياء

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1645

- قصة الفيزياء

- جورج جاموف

- محمد جمال الدين الفندى

- أحمد فؤاد باشا

- 2010

هذه ترجمة كتاب:

Biography of Physics

by: George Gamow

" صدر هذا الكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية "

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com

Tel: 27354524- 27354526

Fax: 27354554

قصة الفيزياء

تأليف : جورج جاموف
ترجمة : محمد جمال الدين الفندى
تقديم : أحمد فؤاد باشا



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

جاموف، جورج، ١٩٠٤
قصة الفيزياء: تأليف: جورج جاموف؛ ترجمة: محمد
جمال الدين الفندى، تقديم: أحمد فؤاد باشا
القاهرة - المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠
٤٦٠ ص ، ٢٤ سم
١ - الفيزياء
٢ - الضوء
(أ) الفندى ، محمد جمال الدين (مترجم ومقدم)
(ب) العنوان
٥٣٠

رقم الإيداع ١٦٨٣٣ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: 1- 261- 704- 977- 978- I.S.B.N
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات
أصحابها فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

تقديم

لكل علم من العلوم سيرة ذاتية، أو قصة، تحكى ظروف نشأته ومراحل تطوره عبر التاريخ، وعادة ما تُنسب هذه المراحل المتعاقبة إلى الحضارات البشرية التى صنعتها، فهناك العلم القديم الذى أنتجته الحضارات القديمة الرائدة للمصريين والبابليين والصينيين والهنود والفرس والإغريق وغيرهم، وهناك العلم الوسيط الذى أنتجته الحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى، وبحلول القرن الخامس عشر الميلادى، تقريبا، كانت علوم الحضارة العربية الإسلامية قد انتقلت إلى أوروبا وشهدت العلوم الطبيعية تطورا ملحوظا فى عصر النهضة الأوربية الحديثة التى مهّدت بدورها لحضارة العصور العلمية والتقنية.

وبالنسبة لعلم الفيزياء فقد عرف الإنسان جوانب علمية كثيرة منه قبل أن يأخذ هذه التسمية، وذلك منذ كان يعيش بالفطرة محاولاً الاستفادة من موارد الطبيعة وتسخيرها لأغراضه ومصالحه. فقد اهتدى إلى إيقاد النار لطهو الطعام ولإنارة الكهوف التى سكنها، وتعامل مع الحجارة الكبيرة فجرّها ونقلها من مكان إلى مكان ليتخذ منها أدوات طعامه وشرابه، أو ليستخدمها فى القطع والشقّ والنقب وصناعة الأسلحة البدائية.

وعندما دخل الإنسان حقبة التاريخ، شرع فى الأخذ بأسباب الحضارة، وأصبحت لديه بعض المعارف والتصورات عن الظواهر الطبيعية المرتبطة بحياته وحاجياته، واكتسب خبرة علمية فى صناعة الآلات التى تيسر له الاستفادة من تلك الظواهر، وتبادل هذه الخبرة ونقلها من أمة إلى أمة، ومن حضارة إلى حضارة، من خلال الرحلات والأسفار لأغراض التجارة أو الغزو. وعندما كان المصريون القدماء يستخدمون الرافعة فى أشكالها المختلفة، كالمجذاف والشادوف والميزان، أو

يمزجون النحاس بالقصدير للحصول على النحاس الأصفر، أو عندما كان البابليون يصقلون المعادن ويطلون الأواني النحاسية بالقصدير لمنع الصدأ، إنما كانوا يقومون بأعمال من علم الفيزياء شهدت مولد العلم والفلسفة من حيث الصياغة النظرية القائمة على منهج عقلى بحث؛ لأن المادة العلمية التجريبية كانت قد تكونت من قبل فى حضارات الشرق.

وكان فلاسفة الإغريق يتساءلون عن حقيقة العالم الأساسية كما يبدو للإنسان، وهو تساؤل عن الأصل والمبدأ للكون وظواهره، أو سؤال عقلى عن وجود الموجود وطبيعته، أى "الفيزيس" (أو الفيزياء). ومن هنا بدأ استخدام كلمة فيزياء لتدل على ذلك النوع من المعرفة الذى يُعنى بدراسة القوانين الأساسية التى تحكم حركة العالم الواقعى، والفيزيائى هو الذى يحاول الحصول على إجابات منظمة عن أسئلتنا حول هذا العالم بكل ما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وذلك باستخدام المنهج العلمى السليم، فالعلاقة جد وثيقة بين تطور تاريخ الفيزياء من جهة وبين تطور المنهج العلمى من جهة أخرى. وكان منهج البحث فى بادئ الأمر - خاصة عند الإغريق - منهجا فلسفيا يعتمد على تأملات العقل الخالص، ولهذا نجد أن اجتهاداتهم لتفسير الظواهر الفيزيائية مثل الضوء والصوت والحرارة وخواص المادة كانت مجرد آراء ذاتية تختلف من فيلسوف لآخر.

فهناك - مثلا - من اعتقد أن الإبصار يتم بخروج الضوء من العين وسقوطه على الجسم المرئى، وهناك من اعتقد بوجود اتصال بين الجسم والعين وهناك من قال بفكرة الشعاع الضوئى، لكن كل هذه الآراء لم تخرج عن كونها تأملات فلسفية ذاتية لا يمكن الوثوق فى صحتها. ولو ظل الوضع على هذا الحال لتوقفت حركة التقدم العلمى، لكن علماء الحضارة العربية الإسلامية فطنوا إلى أهمية المنهج التجريبى الاستقرائى فى دفع حركة العلم واكتشاف القوانين العلمية وتحصيل المعارف الجديدة، وخير مثال على ذلك نجده عند الحسن بن الهيثم المؤسس الحقيقى لعلم البصريات الهندسية Geometrical optics، ولعل كتابه الشهير "المناظر" يشهد على هذه الحقيقة باعتراف مؤرخى العلم والحضارة.

وفى عصر النهضة الأوروبية الحديثة أصبح المنهج التجريبي الذى اصطنعه علماء الحضارة العربية الإسلامية هو المنهج السائد للبحث فى سلوك الظواهر الطبيعية والربط بين أسبابها ونتائجها، فيما يعرف بقانون السببية الذى قامت عليه فلسفة العلم آنذاك استنادا إلى ما يسمى بالاحتمالية العلمية، بمعنى أن لكل نتيجة سببا، وأن الربط بين السبب ونتيجته أمر حتمى. وتعددت على أثر ذلك موضوعات علم الفيزياء بحيث أصبح كل منها بمثابة علم مستقل؛ فهناك علم الميكانيكا الذى يعنى بدراسة حركة الأجسام أو تغيير مواضعها، وعلم البصريات الذى يبحث فى طبيعة الضوء وخصائصه وتقنياته، وعلم الصوتيات الذى يهتم بدراسة الصوت والظواهر الصوتية وتطبيقاتها، وعلم الكهربية الذى يضع الأساس لدراسة الشحنات الكهربائية وخصائصها فى سكونها وحركتها خلال المواد المختلفة، وما يرتبط بذلك من دوائر كهربية بسيطة أو معقدة، وعلم المغناطيسية الذى تقوم عليه تقنيات بالغة الأهمية، وهناك أيضا فيزياء المواد التى تبحث فى تركيب المادة وخصائصها الضوئية والحرارية والكهربية والمغناطيسية، والفيزياء الذرية والنووية التى تركز على المكونات الدقيقة للذرة ونواتها.

لكن بحلول القرن العشرين ظهرت حقائق زعزعت اليقين العلمى والاحتمالية العلمية؛ فسرعة الضوء فى الفراغ ثابتة وتقدر بثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية، ولا يعرف أحد لذلك سببا، وبعض المواد النشطة إشعاعيا تشع جسيمات ألفا وبيتا وجاما بطريقة تلقائية دون أن نعلم لها سببا غير أن ذراتها غير مستقرة. وهكذا لم يعد هناك مجال للاحتمالية بالصورة الصارمة المطلقة التى كانت عليها، وبدأ الحديث عن الاحتمالية والنسبية واللايقين وغير ذلك من المصطلحات التى تميزت بها فيزياء القرن العشرين، وأصبحت بداية هذا القرن، باكتشاف قانون بلانك للإشعاع فى عام ١٩٠٠م، تمثل الحد الفاصل بين الفيزياء القديمة (الكلاسيكية) والفيزياء الحديثة.

وكان أهم ما يميز هذه المرحلة من تاريخ علم الفيزياء هو أن علوم الميكانيكا والكهربية والبصريات وغيرها كانت تتعامل مع الظواهر الطبيعية باعتبارها سبلاً متصلاً، وكان الفصل واضحاً بين الأجسام المادية من جهة، والموجات من جهة أخرى، فلكل خواصه المستقلة التي لا تتداخل مع الخواص الأخرى. لكن بحلول عام ١٩٠٠م، وبعد أن ظن العلماء أن كل القوانين الفيزيائية الأساسية قد تم اكتشافها، على ما يبدو، ظهر ما لم يكن في الحسبان، واضطر العلماء إلى اقتحام عوالم جديدة على مستوى الذرة ونواتها، والأجرام السماوية وحشودها، وانبثقت فيزياء جديدة تتعامل مع عالم المتناهيات في الصغر، وعالم المتناهيات في الكبر، وواجه العلماء نتائج علمية جديدة بحاجة إلى تفسير جديد غير المؤلف عندهم سابقاً. واستحدث العالم الشهير آينشتين نظرية النسبية الخاصة والعامة، واكتشف بلانك وهيزنبرج ودي برولي وشروودنجر وغيرهم نظرية الكم Quantum theory وأسفر كل هذا عن نتائج ونظريات فيزيائية مثيرة وغريبة، بالإضافة إلى تطبيقات عديدة ومتنوعة، امتدت في الوقت الحاضر لتشمل بصورة مباشرة، أو غير مباشرة. فروع العلم والمعرفة المختلفة، ويندر أن يتم اكتشاف ما في أي علم من العلوم بدون أن يكون للفيزياء دور أساسي فيه بشكل أو بآخر. وخير دليل على ذلك ظهور بعض العلوم البينية شبه المستقلة مثل : الفيزياء الرياضية، والفيزياء الفلكية، والفيزياء الجوية، والفيزياء الحيوية، والفيزياء الجيولوجية، والفيزياء الطبية، والفيزياء البيئية، وغيرها.

من ناحية أخرى، إذا عدنا إلى تعريف الفيزياء بأنها العلم الذي يعنى بدراسة القوانين الأساسية التي تحكم حركة العالم الواقعي بكل ما فيه من ظواهر وكائنات، فإن هذا التعريف هو الذي يُفسّر لنا اهتمام ذوى التخصصات الأخرى بالأسس الفيزيائية، ليس فقط بالنسبة للمتخصصين في بقية فروع العلوم الطبيعية، ولكن حتى بالنسبة لدارسي التاريخ والفلسفة وغيرهما من العلوم الاجتماعية والإنسانية، عندما يتعرضون مثلاً لعلاقة التطور بالنشاطات الإنسانية، أو لشرح مفاهيم المادة

والطاقة والفراغ والزمن والكم والكيف وغيرها، ومن ثم تبرز أهمية الجانب التاريخي والفلسفي في تعريف الفيزياء بالنسبة لفروع المعرفة المختلفة، بما فيها العلوم التقنية، وسوف يواصل الفيزيائيون دراسة قوانين الكون الأساسية، ويجتهدون في الإفادة من تطبيقاتها، تماماً مثلما كان أساتذتهم منذ القدم، والفارق الوحيد هو أن الكون قد ازداد أمامهم عمقا واتساعا عما كان عليه، بمعنى أن أسرارهِ ومجاهله لم تعد لها صفة البساطة التي كان يتخيّلها القدماء. لقد أصبحت الفيزياء أم العلوم في عصرنا وفي كل عصر آتٍ إن شاء الله تعالى.

من هنا تأتي أهمية الكتاب الذي بين أيدينا لعالم الفيزياء جورج جاموف (١٩٠٤-١٩٦٨) الذي اشتهر في مجال تبسيط النظريات الفيزيائية لغير المتخصصين وعرف بنظريته التي وضعها في عام ١٩٢٨ م عن انحلال الذرات ذات النشاط الإشعاعي، كما تنسب إليه نظرية "الانفجار الكبير" The Big Bang لتفسير نشأة الكون التي وضعها في عام ١٩٤٨ م. ولا بد من الإشادة بالجهد الكبير الذي بذله المرحوم الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندي في ترجمته للكتاب، بحيث جاءت الترجمة على درجة عالية من الدقة والأمانة، كما لم يفتّه أن يستدرك على المؤلف في مواضع عدة، خاصة عندما فُقد إغفاله لدور علماء الحضارة العربية الإسلامية في مجال العلوم الفيزيائية.

هذا ، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أ.د. أحمد فؤاد باشا

المشتركون في هذا الكتاب

المؤلف : جورج جاموف

ولد جورج جاموف في أوديسا بروسيا عام ١٩٠٤ وتخرج في جامعة لنتجراد التي حصل منها أيضاً على الدكتوراه في فلسفة العلوم عام ١٩٢٨ . عين في عام ١٩٣١ أستاذاً للبحوث بالأكاديمية الروسية للعلوم ، وفي خريف عام ١٩٣٤ عين أستاذاً للفيزياء النظرية بجامعة واشنطن بأمريكا ، ثم منح الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٠ ، وفي عام ١٩٥٦ عين أستاذاً للفيزياء بجامعة كولورادو ، ومنحته اليونسكو جائزة كالنجا لتبسيط العلوم ، لأنه من أنجح من اشتغلوا بتأليف الكتب العلمية المبسطة .

من أكثر مؤلفاته انتشاراً « الشمس » (١٩٤٠) وقد ترجم إلى اللغة العربية ، و « قصة الأرض » (١٩٤١) و « الطاقة الذرية في خدمة العالم والإنسانية » (١٩٤٦) ثم كتابه الرائع « واحد ، اثنين ، ثلاثة . . . لا نهاية » (١٩٤٧) وكتابه « نشوء الكون » ، اللذان ترجمتا إلى اللغة العربية ونشرتهما هذه المؤسسة .

المترجم وصاحب المقدمة : الدكتور محمد جمال الدين الفندى

أستاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم بجامعة القاهرة حصل على درجة البكالوريوس في الطبيعة مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة . ثم حصل على دبلوم معهد الأرصاد الجوية من لندن سنة ١٩٣٨ ، وعلى الدكتوراه في فلسفة العلوم سنة ١٩٤٦ . نال جائزة الدولة في العلوم عامي ١٩٤٧ ، ١٩٥٠ . له أكثر من واحد وعشرين بحثاً ومؤلفاً بالإنجليزية ، كما أن له مؤلفات عدة بالعربية في موضوع العلوم

المبسطة ، منها : « طبيعيات الجو وظواهره » و « قصة الكون » و « التنبؤ بفيضان النيل » . ترجم كتاب « سكان السماوات » و كتاب « رواد الصواريخ » وكتاب « كل شيء عن الأقمار الصناعية وسفن الفضاء » وكتاب « كيف ترقب السماء » ، وهي من الكتب التي نشرتها هذه المؤسسة .

محتويات الكتاب

صفحة

٩	مقدمة بقلم الدكتور جمال الدين الفندى
٣٥	تقديم المؤلف للنسخة العربية
٣٧	تمهيد المؤلف
٣٩	الباب الأول : فجر الفيزياء
٦٨	الباب الثاني : العصور المظلمة وعصر النهضة
١٠١	الباب الثالث : قال الله : « ليكن نيوتن »
١١٦	الباب الرابع : الحرارة كصورة من صور الطاقة
١١٩	الباب الخامس : عصر الكهرباء
٢٢٩	الباب السادس : ثورة النسبية
٢٩١	الباب السابع : قانون الكم
٣٦٥	الباب الثامن : نواة الذرة والجسيمات الأولية
٤٢٨	قائمة المصطلحات
٤٣٤	كشاف تحليلي

مقدمة

بقلم : الدكتور جمال الدين الفندى

نبذة تاريخية :

ولد المؤلف فى أوديسا بروسيا عام ١٩٠٤ وسرعان ما ظهر استعداداه للدراسة الفيزياء والفلك . وخلال الفترة الممتدة من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٢٦ التحق بجامعة ليننجراد ، ثم حصل منها على الدكتوراه فى فلسفة العلوم عام ١٩٢٨ .

وخلال العام الدراسى ١٩٢٨ - ١٩٢٩ سئحت له فرصة للعمل مع (نيل بور) عالم الفيزياء الدنماركى المشهور بجامعة كوبنهاجن ، ومن ثم حصل على منحة من مؤسسة روكفلر للعمل مع لورد رذرفورد بجامعة كمبردج . وفى عام ١٩٣١ عين أستاذاً للبحوث بالأكاديمية الروسية للعلوم . ولقد دعى بعد ذلك لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى جامعات باريس ولندن ومتشجان وغيرها . . . وفى خريف عام ١٩٣٤ وصلته دعوة للعمل فى جامعة واشنطن بأمرىكا حيث عين أستاذاً للفيزياء النظرية بها ، ثم منح الجنسية الأمريكفة عام ١٩٤٠ بعد أن اشترك فى أعمال الحرب العلمية ضد النازى ، خصوصاً فى معامل جامعة چون هوبكنز .

ويعتبر جورج جاموف هذا من الشخصيات العلمية الفذة والمرحة الجذابة التى ظهرت فى هذا العصر . وهو يجيد التكلم بست لغات هى : الروسية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والألمانية ، والدنماركية ، والانجليزية . ويعتبر الرجل من مشاهير رجال الفيزياء النووية المعاصرين ، ومن أنجح من اشتغلوا بتأليف الكتب العلمية المبسطة . ومن أكثر كتبه انتشاراً : « الشمس » (١٩٤٠) ، وقد ترجم إلى اللغة العربية ، و « قصة الأرض » (١٩٤١) ، و « الطاقة الذرية فى خدمة العالم والإنسانية » (١٩٤٦) ، وهو كتاب نشره من أجل السلام العالمى . ثم كتابه الرائع الذى أسماه : « واحد ، اثنين ، ثلاثة . . . لانهاية » نشر عام ١٩٤٧ .

وتركز أهم دراساته العلمية فى مجالات الفيزياء النظرية ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالتفاعلات النووية وأثرها فى تكوين النجوم . ومن أروع بحوثه « أصل

العناصر الكيموية » وقد ضمنها مذكرة نشرها عام ١٩٤٨ .
أما وقد استعرضنا مجمل ما للمؤلف من مآثر علمية ، فقد بقى أن نعود إلى الحديث عن الفيزياء نفسها ، وعن قصتها التي هي موضوع هذا الكتاب .

دراسة الفيزياء :

يصادف الطالب أول دراسته في مرحلة التعليم الإعدادى علم الفيزياء ، فيتهياً لتكوين فكرة عامة عن خواص المادة وصفاتها الطبيعية ، مثل تقسيمها إلى غازات وأجسام سائلة وأخرى صلبة ، ويفهم معنى الكثافة ، وقاعدة الأجسام الطافية والمغمورة ، ثم ينتقل إلى مرحلة التعليم الثانوى حيث يعرض عليه الموضوع مفصلاً بعض التفصيل ، ومقسماً إلى فروعته التقليدية القديمة : الضوء والصوت والحرارة والكهرية والمغناطيسية . ويتعرض الطالب في دراسته لبعض التطبيقات مما عم وشمل أغلب نواحي حياتنا : مثل المحرك الكهربى والمولد الكهربى وأنابيب اللافتات ، وصور الطاقة المختلفة الحرارية والميكانيكية والكهرية ، واستخدامها في التسخين والتبريد والطهى والعلاج واللهو والتسلية بالراديو والتليفزيون والمسرة و . . .

وقد تحيد دراسة الفيزياء عن مجراها الطبيعى وتطبيقاتها العادية لسبب من الأسباب ، أو رغبة في التوسع في مجالاتها النظرية توطئة لمواجهة الامتحانات ! وعندها يهمس الطلبة : ما لهذا العلم قد تعقد ؟ . . . ويقول بعضهم : « يا له من علم ثقيل ! » . وتزداد الطينة بلة عند ما تتحول بعض أسئلة مادة الفيزياء إلى مجرد تمارين رياضية فيكثر الرسوب في هذه المادة ، ويهرب الطلبة من دراستها ، ويهرعون إلى الدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية يلتمسون فيها الرحمة ويضمنون فيها النجاح .

هذا من ناحية التدريس ، أما عن الطالب نفسه — كما ورد في بعض التقارير ، ومنها ما قدم للمجلس الأعلى للعلوم بمعرفة الدكتورين محمود الشربيني وزكى مرسى — فالمعروف أن الطالب يكاد لا يحس إلا بالماديات الملموسة أو المحسوسة ، ولا محل في مخيلته للمعنويات . . . حتى إنه ليسر ويضطرب إذا ما ألنى مصباحاً يضاء بعمود كهربى بسيط ، ولكن خياله لا يتعدى هذا السرور وذاك الطرب . ورغم أنه يلاحظ أن انبثاق الضوء يصاحبه ظهور فقاعات تنطلق من لوح النحاس في العمود واختفاء

أجزاء من لوح الخارصين فيه، تجده رغم ذلك لا يبدى اهتماماً لو حاولت استطلاع رأيه فيما يرى، ولو أنك حاولت أن تتحدث إليه فيما يشاهد، كأن تشرح له الطاقة الكيموية التي تحدث في العمود وعن تحولها إلى طاقة كهربية تبدو في المصباح على هيئة ضوء وحرارة، لما حرك ساكناً حيال هذا التسلسل البديع الأخاذ. وعلى أية حال فلعل عذره في ذلك أنه لم ينشأ منطقته على البحث عن الأسباب والعلل، ولم يتنوق حلالة التسلسل في التفكير... وقد لا يسلم بوجوب محاولة تفسير ما يرى، فكل ما يبصر هو الواقع أو هو هكذا دون علة أو سبب. مثل هذه العقلية تتطلب بطبيعة الحال عناية خاصة ومجهوداً عظيماً يبذل من أجل دراسة الفيزياء. ولقد كان الاهتمام بدراسة هذه المادة بالذات من أهم أسباب التقدم العلمي في الدول الكبرى التي تتسابق في ميادين العلم سباقاً لا هوادة فيه على النحو الذي نراه اليوم.

ولقد أصبح من المؤلف في كثير من البلاد المتقدمة علمياً أن نرى المدرس يبدأ درس الفيزياء بذكر آلة معروفة يراها التلميذ ويألفها في يومه، إن لم تكن في متناول اليد ساعة الدرس، أو يبدأ بذكر حقيقة علمية سهلة، ثم يجعل هذه الآلة أو تلك الحقيقة موضوع المناقشة، فإذا بالتلميذ يجد طريقة عمل الآلة وكيفية شرح الحقيقة مشكلة تتطلب حلاً، ولا بد أن توحى هذه المشكلة بعمل تجربة فتجرى في الحال، يعملها التلاميذ أنفسهم لو استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، أو لا يعملها التلاميذ، لو قامت أمامهم استحالة مادية حالت دون إجرائها، وهكذا يخرج القانون من بين الحقائق الثابتة المعروفة لهم نتيجة للمناقشة التي يوجهها المدرس توجيهاً سليماً. وبهذه الطريقة تلتهم نفوس التلاميذ ويتحفزون لحل كل مشكلة تعرض عليهم. ويمضي الوقت وإذا بالتلاميذ قد مرزوا على التمييز بين ما إذا كانت التغيرات المشاهدة هي تغيرات حقيقية أم هي مجرد أخطاء عملية مثلاً، بل كثيراً ما ينجحون في استنباط القانون بأنفسهم، حتى لو أخرجوه لفظاً مختلفاً عن المؤلف أو المتداول من القوانين، ومهما يكن من شيء فإننا إنما نهتم بالجواهر دون العرض. أما في بعض الحالات فرغم اتساع الموضوع بما لا يسمح باستيعاب أسسه في سنوات معدودات، فقد نجد اهتماماً خاصاً بدراسة أبعد النظريات عن الفهم وشرح أعقد الأجهزة عن الإدراك، حتى في السنين الأولى، كل ذلك دون هضم الأسس الأولى وفهم المبادئ الأساسية.

ويلخص الهدف من دراسة الفيزياء في المدارس فيما يلي :

١ - القدرة على أن يفهم التلاميذ الظواهر الطبيعية التي حولهم ، وتسخير الطاقات لمصلحة الإنسان واستخدامها لمنفعته ، نتيجة لفهم خصائصها وما يطرأ عليها من تغيرات بسبب العوامل المختلفة التي تؤثر فيها . كذلك أن يفهم الطالب كيف أن إخضاع كل شيء للرصد يزيد من قدرة الإنسان على تفهم ما أودع الكون من أسرار .

٢ - تشجيع التلاميذ على الملاحظة العلمية التلقائية كلما سنحت الفرصة لذلك . ويتم إنجاز ذلك بربط الحقائق العلمية بتطبيقاتها على أوسع نطاق ممكن ، وخصوصاً تلك التطبيقات التي في متناول اليد والتي يصادفها الطلبة في حياتهم العادية .

٣ - العناية بتعويد التلاميذ الدقة في العمل والتفكير معاً ، فعدم الدقة في حساب التيار الكهربائي قد يؤدي إلى احتراق المصابيح ، وعدم الدقة في تقرير سرعة القاطرات قد يؤدي إلى حدوث كارثة ، وعدم الدقة في قياس ضغط البخار فيها قد يؤدي إلى انفجارها .

٤ - إظهار مدى مساهمة علم الفيزياء في تقدم ركب الحضارة وفي الوفاء بحاجة الإنسان الأساسية ، وذلك عن طريق الإشارة إلى ما له من تطبيقات شتى .

٥ - العناية بتوضيح الجهود التي أدت إلى تقدم علم الفيزياء وتطوره ، فيشار مثلاً إلى تاريخ العلماء الذين أسهموا في هذا التقدم ، وهو موضوع هذا الكتاب . وتصبح قيمة هذا العمل بالذات عظيمة في الدراسة الجامعية التي يتعرض فيها الطالب للدراسة النظريات المختلفة .

من سجل تاريخ العلوم :

ولقد ذهب المؤلف في كتابه هذا خطأ إلى أن من أهم أسباب تخلف العرب في مجال علم الفيزياء انتشار الخرافات وأحاجي شهرزاد ، وأساطير ألف ليلة وليلة . . . فاقترنت أغلب أعمالهم وتطبيقاتهم في مجال الفلك والكيمياء على متابعة تلك الأحلام الوهمية والآمال البراقة ، والتمنيات الخيالية التي تناولت موضوع التكهن بمستقبل أي فرد

على أساس أشكال تجمعات النجوم يوم ميلاده (التنجيم) ، وكذلك البحث عن الوسائل التي تحول بها المعادن المألوفة والعادية إلى ذهب ثمين (الكيمياء الخرافية أو الكيمياء) . ويخرج من كل هذا إلى أنه لم يكن لهم إنتاج يذكر في مجال الفيزياء إلا بطبيعة الحال إذا اعتبرنا الكيمياء بمثابة البشير الذي سبق ظهور الطرق الحديثة المستخدمة في تحويل أى مركب كيميوى إلى مركب آخر ، أو تحويل أى عنصر إلى آخر ، كما يحدث الآن في عصر الذرة .

والحق أن الأمة العربية هي التي رفعت لواء العلم طوال القرون المظلمة والعصور الوسطى ، وكانت في مركز قيادى ، فهلت من العلم الإغريقى ، وزادت عليه وأضافت إليه ، ومن المستحيل أن نتصور أمة تنقل علوم أمة أخرى إلا أن تكون قد بلغت من التقدم الحضارى والعلمى ما يؤهلها لهضم العلم الذى تنقله . ولا يعرف التاريخ أمة اهتمت بالعلم كالأمة العربية في عصورها الزاهية ، حتى لقد كان العلم والحركة الثقافية جزءاً من حياتها بل من كيانها .

وكانت العواصم العربية : القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، وقرطبة ، كلها مراكز إشعاع للعلم والعرفان ، واحتل العلماء درجة مرموقة لدى الخلفاء والأمراء والحكام الذين لم تلهيهم فتوحاتهم وانتصاراتهم عن طلب العلم ، فجدوا في ذلك أبما جد ، ولم ييخلوا بالصرف عليه . وكانت هواية الأثرياء والأمراء جمع المخطوطات من شتى الأنحاء والتفاخر بما لديهم منها . ومن المعروف أن الرشيد والمأمون نقلوا إلى بغداد كل ما عثرا عليه من مخطوطات ، كما أغدقا العطاء للعلماء ، فازدهر العلم وعلا شأنه .

وكان المأمون يسلك جميع السبل ويرسم الحيل لتحقيق بغيته ، فقد عمد إلى توثيق علاقاته بملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الثمينة ، وسأهم أن يمدوه بما لديهم من كتب فلاسفة الإغريق ، فبعثوا إليه بما كان لديهم من كتب أفلاطون وأرسطو وسقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم . وعندما عثر على كتاب بطليموس في الفلك أمر بترجمته وأسماه «المجسطى» . ومن مآثر المأمون في هذا الميدان أنه أنشأ في بغداد سنة ٢١٥ هـ (٨٢٠ م) بيت الحكمة ، وقوامه مكتبة جمع فيها آلاف المخطوطات ، بعضها مترجم عن الحضارات القديمة التي ورثها المسلمون ، وبعضها الآخر من تأليف العرب في شتى العلوم والفنون ، وقد أم الباحثون هذه المكتبة

ووفدوا إليها من مختلف الأقطار . وتلك خطوة انتقل فيها العلم من الرواية إلى التأليف ، ومن الجدل والكلام إلى البحث والاستقصاء .

وثمة ناحية أخرى ساعدت على رفع قدر العلم عند العرب ، تلك هي ساحة الإسلام وحته على طلب العلم ، مما حمل العرب على تأليف الموسوعات الشاملة في مختلف فروع العلم والمعرفة . فكتب ابن سينا نحو ٢٧٦ كتاباً ، في الطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضة والطبيعة والنبات والحيوان والتشريح إلخ . . . وصنف ابن الهيثم نحو ٢٠٠ كتاب ، منها كتابه « البصريات » الذي أخرج به أستاذاً مصطفى نظيف . وألف البيروني نحو ١٨٠ كتاباً ، تمتاز بالمستوى العلمي الرفيع ، وألف الجاحظ نحو ٣٥٠ كتاباً . وغيرها كثير ، مما تفخر به المكتبة العربية ، ولقد أظهر المترجم في بعض تعليقاته تحت الهامش كيف حث القرآن الكريم على العلم والتفكير في أرجاء الكون القريبة والبعيدة .

ولقد أجمع كثير من علماء الغرب المنصفين مثل « سارتون » على أن ابن الهيثم عالم في الفيزياء النظرية والتجريبية والتطبيقية كذلك ، بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان في العصر الحديث . وابن الهيثم هو أول عالم نادى بالمبدأ القائل بأن الأساس في العلوم وخصوصاً الفيزيائية هو التجربة والاعتبار (أى تكون الأرقام لها اعتبارها من حيث الخطأ والصواب . . إلخ) وقد نقل عنه هذه النظرية فرنسيس بيكون وهو الذى أدخل هذا المبدأ في العالم الغربى . ويقول (بلتون) : (إن العرب كانوا يعرفون ثقل الهواء ، ولهم وسائل متقنة وموازين دقيقة لاستخراج الوزن النوعى لأكثر السوائل والجوامد التى تذوب فى الماء . ولهم فى ذلك جداول على النحو المستعمل الآن) . ولقد ظلت كتب هؤلاء العلماء المسلمين تدرس فى جامعات أوروبا حتى عصر النهضة فى القرن السابع عشر ، وكانت تلك الكتب تترجم وتطبع لتكون المراجع التى يعتمد عليها ، ومن أبرز علمائنا المعاصرين الذين أظهروا هذه الحقائق فى مؤلفاتهم قدرى طوقان وعبد الحليم منتصر .

والحق يقال : ما أحوجنا إلى مؤلف يجمع شتات هذه المعلومات عن العلماء العرب الذين كتبوا فى العلوم الطبيعية من فيزياء وجبر وهندسة وكيمياء وحيوان

وطب وصيدلة وزراعة ونبات ، ليقدم هذا الإنتاج العلمى الرائع * إلى العالم مفاخرين به الأمم وحافزين به الشباب إلى محاولة استعادة أمجادهم .

وكان فى قرطبة - حوالى سنة ٩٧٠ ميلادية - ٢٧ مدرسة مجانية مفتوحة الأبواب لتعليم أبناء الشعب . وكانت تلك المدارس فى غاية الإبداع ، قصدها أهل أوربا فى القرون الوسطى وتعلموا فيها العلم ثم حملوه منها إلى بلادهم .

وكما يقول السيد محمد مفيد الشوباشى فى كتابه «العرب والحضارة الأوروية» : ** « إذا صح أن حضارة الغرب نبتت من بذور الحضارة العربية القديمة فكيف نحلل غفلة الكثرة الغالبة من مؤرخى الغرب ومفكريه عن هذه الواقعة ، أو إنكارهم لها ، وتمسكهم بأن أوربا مدينة بحضارتها من رأسها إلى قدمها ، للتراث الإغريقى دون غيره ؟ . . . من العنت أن نتهم أفراد هذه الكثرة بالتعصب أو الجهل . . . وما تعليل موقف أولئك العلماء من الحضارة العربية - التى لا يكاد الإنسان ينفص عنها غبار التاريخ حتى تتجلى روعتها ويبدو فضلها على الحضارة الغربية واضحاً لا ينكر - إلا إجحاف عن إظهار علوم العرب فى الوقت الذى تبدو فيه شواهد حضارة الإغريق واضحة جليلة فى مختلف ميادين الأدب والفن الأوروية . ولم تقف مهمة العرب فى وضع أسس الحضارة الغربية عند حد ما غرسوا فى نفوس علماء الغرب من حب حرية الفكر وتقديسها وما لقنوه من دقة البحث فحسب ، ولكنهم أمدوهم بعلم هو أساس الجانب المادى من الحضارة الغربية بحق ، ألا وهو علم الرياضه الذى فتح لأوروبا طريق التقدم العلمى فسيحاً ممتداً إلى غير حد .

لقد ابتدع جابر بن حيان علم الجبر الذى سمي باسمه . وابتدع الخوارزمى ، وهو عربى الثقافة والعقلية رغم أصله الفارسى - ابتدع اللوغاريتم الذى سمي كذلك باسمه ؛ إذ كان الأوروبيون يعرفون اللوغاريتم باسم « الجورتمى » أى الخوارزمى . ويؤكد مؤرخو الغرب أن فلسفة ديكارت كانت نقطة انتقال الفكر الأوروبى من عهد محاكاة الإغريق إلى عهد الأصالة والانطلاق ، ولكن أحداً من أولئك المؤرخين لم يذكر لنا فضل العرب على ديكارت ، أو مدى إفادته من علومهم التى فتقت ذهنه ومكتبته من إقامة صرح فلسفته ، ولسنا نشك فى أن كوبرنيق وغاليليو قد أفادا

* مما يدعو إلى الغبطة والسرور اهتمام وزارة الإرشاد القومى بهذا الأمر وتبنيه . (المترجم)

كذلك من بحوث العرب في علم الفلك وفي الفيزياء التجريبية . ولا ينكر أحد أن هذين العالمين اللذين غيرا معتقدات العالم عن الكون قد استعانوا بكثير من آلات الرصد التي استخدمت فيها العدسات ، ثم بالجبر ، على حل ما اعترض دراستهما من تعقيدات رياضية . . كذلك توصل « نيوتن » بها وباللوغاريتم إلى كشف قوانينه التي يعرض هذا الكتاب جانباً كبيراً منها .

مجمل القول أن آثار النتائج الباهرة التي أسفرت عنها كشف العرب العلمية المعتمدة على الناحيتين ، النظرية الرياضية والعملية التجريبية ، وكذلك ما جبلوا عليه من حرية الرأي ، جعلت الأوروبيين يؤمنون بالعلم ثم بالعقل البشري الذي ابتكر العلم وابتدعه . ويستطيع المرء أن يستخلص مما تقدم أن فضل العرب على الأوروبيين لم يقتصر على نقل ثقافة الإغريق أو إعطائهم مفاتيح العلوم فحسب ، ولكن تعدى ذلك إلى تخليص عقولهم من رواسب الخرافات القديمة ، وحملهم على طلب العلم ، والإيمان بقدرتهم على التحكم في المادة وطاقاتها .

عصر النهضة :

رغم أن الكتاب يبدأ بعرض رائع لأعمال الإغريق في الفيزياء ، ويسرد لنا ما خلفوه للبشرية في هذا الميدان الهام ، وعلى رأسهم جميعاً أرشميدس وأعماله في الروافع والبكرات والأجسام الطافية والمغمورة ، فإن التقدم الحقيقي في علم الفيزياء تم في عصر النهضة في أوروبا ، عندما أطلق للعقل البشري العنان من جديد وحرر من تحكم رجال الدين . وفي فجر ذلك العصر صاغ كبلر قوانينه الفلكية الخاصة بحركة الكواكب من حول الشمس ، وألهمت تلك القوانين نيوتن ليصوغ بدوره قوانينه المعروفة في علم حركة الأجسام ، « ميكانيكا » . ويعرف لنا نيوتن معنى الزمان ، والمكان ، والعجلة ، والقوة ، والشغل ، والقدرة ، والطاقة . كما تضمنت أعماله في الضوء مسائل الانعكاس والانكسار والألوان وتحليل ضوء الشمس وقوس قزح والتلسكوب العاكس والعدسات المركبة ، وفائدتها في معالجة عيوب تلوين الصورة ، وحلقات نيوتن .

ويصف الكتاب الصراع بين نيوتن صاحب نظرية الجسيمات الضوئية وهيجنز صاحب النظرية الموجبة ، ويشرح لنا كيف استخدمت الخصائص الطبيعية

للضوء في التدليل على صحة كل نظرية مثل : الانعكاس ، الانكسار ، التداخل ، والانكسار الثنائي أو المزدوج الذي يحدث في بعض البلورات مثل بلورات أيسلاند سبار . وينتهي الصراع برجحان كفة النظرية الموجبة ، وافترض أن الضوء موجات مستعرضة في وسط غير مادي هو الأثير ، ثم يبدأ البحث عن خصائص هذا الأثير وصفاته المميزة ، وهنا تبدأ مشكلة جديدة لم يصل العلم فيها إلى حل مقنع .

وفي ميدان علوم النسبية تجيء أول خطوة حقيقية على يد غاليليو عند ما وصف تجربة ذهنية فحواها أنه إذا حبس شخص نفسه داخل حجرة أسفل سطح سفينة تتحرك بسرعة منتظمة فإنه يستحيل عليه أن يحكم عن طريق أية ظاهرة أو حادثة تحدث عنده في الغرفة ما إذا كانت السفينة تتحرك أو لا تتحرك . وتعتبر هذه التجربة بمثابة الخطوة الأولى ، أو اللبنة الأساسية التي بنى عليها أينشتين فيما بعد نظرية النسبية .

وعند ما عولجت الديناميكا الحرارية رياضياً أدخلت فكرة « درجة التعادل » وهي خارج قسمة كمية الحرارة التي يكتسبها أو يفقدها الجسم على درجة حرارة هذا الجسم بالتقدير المطلق . وإذاً فيمكن صياغة القانون الثاني للديناميكا الحرارية بقولنا درجة تعادل أى جهاز معزول ، إما أن تميل إلى الزيادة وإما أن تبقى ثابتة على ما هي عليه . وهذا القانون يسمى كذلك قانون ترايد درجة التعادل ، وكان من السهل تطبيق الطرق الإحصائية على الغازات ، إذ أن فيها (بخلاف السوائل والأجسام الصلبة) تناسب الجزيئات حرة في الحيز الذي يشغله الغاز ، فتتصادم فيما بينها ، أو تصدم جدران الوعاء الذي يضمها أو يحتوى عليها . وتتمخض هذه العملية عن تولد قوة منتظمة هي ما يعبر عنه بضغط الغاز (ض) ، وتم تفسير قانون التناسب العكسي بين ضغط الغاز وحجمه أو قانون بويل في ضوء هذه الحقيقة . وكذلك أمكن استنتاج أن الضغط يتناسب طردياً مع مربع سرعة الجزيئات ، وبما أنه يتناسب طردياً مع درجة الحرارة فمن السهل أن نرى أن درجة الحرارة المطلقة ما هي إلا مقياس للطاقة الناجمة عن الحركة الحرارية للجزيئات .

ومن بين الآراء الهامة في النظرية الإحصائية للغازات فكرة (متوسط المسار الحر أو الطليق) وهو كمية صغيرة ، ويفسر لنا قصر متوسط المسار الحر هذا

حقيقة أن الجزيئات — رغم تحركها السريع — تستغرق زمناً طويلاً لكي تنتقل مثلاً من أحد جوانب الغرفة إلى الجانب الذى يقابله . وعند ما نستعرض أماننا ما يحدث للجزيء فى جميع العمليات التى تتضمن انتقال الحرارة ومن ثم ازدياد درجة التعادل ، نجد أن المسألة لا تعدو كونها أمراً طبيعياً . وما الزيادة فى درجة التعادل إلا زيادة الاحتمال فى نماذج حركة الجزيئات . وبينما تجب إضافة درجات التعادل فى أجهزة الديناميكا الحرارية المركبة ، تخضع الاحتمالات لحاصل الضرب ، مما يحتم وجود علاقة لوغاريتمية بين المقدارين ، أى أن درجة التعادل يجب أن تتغير مع لوغاريم الاحتمال ، أى أن $S = k \log \Omega$ ، حيث k هو معامل بولتزمان .

ولقد أمدتنا دراسات بيران فى موضوع الحركة البراونية المعروفة ببرهان قاطع على صحة نظرية الحركة الحرارية ، كما سمحت لعلماء الفيزياء بمشاهدة القوازين الإحصائية للحركة ، وذلك بطريقة مباشرة ، بعد أن كانت قبل ذلك مجرد آراء نظرية ، وظهرت النظرية الرياضية السليمة التى تفسر حركة براون على يد ألبرت أينشتاين عام ١٩٠٥ .

وفى ضوء التركيب الجزيئى والحركة الحرارية أمكن تفسير الحقيقة المشاهدة بأن سرعة الصوت فى الهواء لا تتوقف على الكثافة ، وإنما تتناسب طردياً مع الجذر التربيعى لدرجة الحرارة المطلقة .

وفى ضوء التركيب الجزيئى والحركة الحرارية أمكن كذلك تفسير تولد موجات الصوت المختلفة عندما يتحرك الدافع على تولدها بسرعة أكبر أو أصغر من سرعة الجزيئات .

وتنتشر الذرات أو الجسيمات الأولية للغازات حرة طليقة فى الفضاء ، ومن آن لآخر يتصادم بعضها مع بعض ، وفى كل تصادم يتم تحدث لها (استثارة) — (عند ما تكون درجة الحرارة عالية علواً كافياً) ، فتنتطلق وهى تتذبذب ، وتشع موجات الأثير المميزة لها . وعلى ذلك فإن طيف أى غاز أو بخار يتكون من خط أو أكثر مميز له . ويمكن تعرف نوع الغاز أو البخار بهذه الخطوط . أما فى حالة الأجسام الصلبة أو السائلة فإن الذرات تكون مكدسة بعضها فوق بعض لدرجة أنها تفقد خصائص نغماتها أو ذبذباتها النقية . وهكذا نجد أن ما تتميز به المواد المختلفة

من الإشعاع الضوئي إنما يمثل الأساس الذي تقوم عليه إحدى وسائل التحليل اللطيف الهامة ، التي تتيح لنا فرصة التعرف على التركيب الكيموي لأي مادة ، وذلك من مجرد ملاحظة الضوء الذي تشعه أبخرتها حتى لو كانت ضاربة في أعماق الفضاء حيث النجوم والشموس .

وفي مجال علم الكهرباء يوضح الكتاب كيف استطاع أن يميز بعض المشتغلين بالفيزياء بين نوعين مختلفين من الشحنات أطلقوا على نوع منهما اسم (الكهرية الزجاجية) أو الموجبة ، كما أطلقوا على النوع الثاني اسم (الكهرية الراتنجية) . ولاحظوا أن الشحنات المتماثلة تتنافر ، كما أن الشحنات المتضادة تتجاذب ، وما إن جاء بنيامين فرانكلين في منتصف القرن الثامن عشر حتى أعلن أن السيل الكهربى هو جوهر واحد لا تتعدد أنواعه بالموجب والسالب ، واعتبر الشحنات الموجبة على أنها المزيد من الكهرية (الزجاجية) ، والشحنات السالبة هي (النقص) في هذا النوع كذلك .

ومهما يكن من شيء فإننا لا نزال نجهل حقيقة الكهرباء ، وإن التسمية التي أسبغناها على نوعي الشحنة ما هي إلا مجرد تعبير لظاهرة من الظواهر التي لا تعرف حقيقتها ، ولكننا نشاهد آثارها ومظاهرها على المادة . وهناك بعض الآراء التي تنادى بوجوب تغيير اسم الكهرية الموجبة والسالبة بحيث يطابق الاتجاه التقليدى للتيار من + إلى - من شتى الوجوه الاتجاه الذى تتحرك فيه الكهارب أو الجسيمات الأولية المشحونة التي يولد سريانها التيار الكهربى .

وعند ما صاغ كولوم قانونه الذى لا يزال يحمل اسمه ، والذى يقول بأن قوى التجاذب أو التنافر الكهربى بين شحنتين إنما تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الشحنتين ، وعكسياً مع مربع المسافة بينهما ، استطعنا أن نعرف وحدة الشحنة الكهرية الاستاتيكية (الكتروستاتيك) ، ووحدة الشحنة العملية أو (الكولوم) . وكذلك أمكن تعريف وحدة شدة القطب المغناطيسى والجهد الكهربى .

وعند ما جاء فارادى أجرى العديد من التجارب على العلاقة التي تربط بين المغناطيسية والكهرية من جهة ، ثم المغناطيسية والضوء من جهة أخرى ، وكشف لنا قوانين التحليل الكهربى ، ثم توصل إلى اكتشاف التيارات التأثيرية أو المنتجة بالتجربة . ويعد هذا الكشف بالذات فاتحة عصر جديد في عهد الكهرباء ، إذ أدى إلى

صناعة المولدات والمحركات والكهربية .

وأثبت فارادى كذلك بالتجربة وجود علاقة بين المغناطيسية والضوء . وتفسر ظاهرة فارادى هذه بأن القوة التى تؤثر فى كهربي ذرى يتحرك فى مجال مغناطيسى إنما تتوقف على اتجاه الحركة . فى حالة الدوران ضد عقرب الساعة يمكن أن تعمل القوة على زيادة نصف القطر ونقص التردد . أما فى حالة الدوران مع عقرب الساعة فإنها تعمل على تقليل القطر وزيادة التردد ، وعند ما تؤثر فى الضوء نجد أن هذين النوعين من حركة الكهارب يعملان على دوران مستوى الاستقطاب وراح العلماء يفسرون ظاهرة فارادى هذه .

وما إن اقتنع فارادى بأن كل الظواهر التى نشاهدها فى عالم الطبيعة إنما يتصل بعضها ببعض بطريقة أو بأخرى ، حتى راح يحاول الحصول عن طريق التجربة على العلاقة القائمة بين القوى الكهرومغناطيسية وقوى الجاذبية التى تحدث عنها نيوتن ، إلا أن التجارب العديدة التى أجراها من أجل إمالة اللثام عن سر هذه العلاقة باءت كلها بالفشل ولم تسفر عن نتيجة إيجابية .

وبعد مضي قرن حاول ألبرت أينشتاين خلال عشرات السنين الوصول إلى ما يسمى « نظرية المجال الموحد » ، وهى التى تجمع معاً كل الظواهر الكهرومغناطيسية والجاذبية فى إطار واحد ، إلا أن أينشتاين مات دون إتمام هذه المهمة ، تماماً كما فعل فارادى سواء بسواء .

ولقد تصور فارادى فيما تصور الفضاء الكائن بين الأجسام بأنه مليء « بشيء » يستطيع الجذب والطرء . وتحدث عن شيء أشبه ما يكون بأنابيب المطاط التى تمتد بين الشحنات وأقطاب المغناطيس . ويقول فارادى إن الأنابيب الكهربية والمغناطيسية مسئولة عن جميع الظواهر الكهرومغناطيسية .

وهكذا كانت آراء فارادى نقطة تحول فى دراسة الفيزياء . فتلك القوى الغامضة التى تؤثر عبر مسافات شاسعة بين الأجسام قد أبدلت « بشيء » يضطرب على اللوام ويفيض ليملاً شتى أرجاء الفضاء الذى بينها أو من حولها ، وهو شيء يمكن أن يقدر بقيمة معينة عند أى نقطة بالذات . ولقد أدخل بذلك إلى علم الفيزياء فكرة « مجال القوى » أو مجرد المجال ، سواء كانت التأثيرات كهربية

أو مغناطيسية أو جاذبية . ويمكن الآن اعتبار القوى المؤثرة المتبادلة بين الأجسام المادية التي يفصل بينها الفضاء الكوني على أنها نتيجة لتأثيرات الربع القريب بين المجالات المحيطة بها .

ويقع عبء مهمة صياغة آراء فارادى فى القلب الرياضى المعبر عن الكم على عاتق كلارك مكسويل العالم الرياضى الجليل ، فإن أعظم أعمال مكسويل على الإطلاق صياغة أفكار فارادى الخاصة بطبيعة المجال الكهرمغناطيسى فى قالب رياضى ، وتعبيره الرياضى : « إن التغير فى المجالات المغناطيسية ينجم عنه بالتأثير تولد قوى كهربية دافعة وتيارات تسرى فى الأجسام الموصلة ، على حين ينجم عن المجالات الكهربية المتغيرة وعن التيارات السارية مجالات مغناطيسية » وتربط معادلاته التى تحمل اسمه فى هذا الصدد بين معدل التغير فى المجال المغناطيسى وتوزيع المجال الكهربى فى الفضاء ، والعكس بالعكس .

ولقد برهن مكسويل على أنه بالرغم من أن المجالات الكهربية والمغناطيسية تكون عادة (راسية) على الأجسام المشحونة بالكهرباء أو الممغطة ، فإنه فى مقدورها كذلك أن توجد وتنتشر فى الفضاء على هيئة موجات كهرمغناطيسية حرة طليقة . وعلى ذلك فإن المجال الكهرمغناطيسى المصاحب لتيار يمر فى سلك مثلاً ، إنما ينتشر عبر الفضاء المحيط به على هيئة موجات تنقل الطاقة إلى مسافات سحيقة . ولما كانت خطوط القوى الكهربية تقع فى المستوى الذى يمر بالسلك ، وربما تتعامد عليه خطوط القوى المغناطيسية ، فإن المقدارين الموجهين اللذين يمثلان المجالين الكهربى والمغناطيسى فى الموجة المنتشرة يكون كل منهما متعامداً على الآخر وكذلك متعامداً على اتجاه انتشار الموجة .

وفى عام ١٨٨٨ برهن عالم الفيزياء الألمانى هيرخ هرتز عملياً على وجود مثل هذه الموجات ، ولم يكن قد مضى زمن طويل على تكهن مكسويل بها ، مما أدى إلى ابتكار فنون الاتصال اللاسلكى الذى يمثل فى هذا العصر فرعاً رئيسياً من فروع حضارتنا الصناعية .

وبحساب سرعة انتشار هذه الموجات الكهرمغناطيسية من معادلات مكسويل وجد أن هذه المعادلات تستخدم وحدات كهربية استاتيكية للتعبير عن المجالات

الكهرية ، ووحدات كهرية ومغناطيسية للتعبير عن المجالات المغناطيسية ، ولهذا يظهر معامل قدره 3×10^{10} ، هو في الواقع النسبة بين الوحدة الكهرمغناطيسية والوحدة الكهرستاتيكية ، ودلت هذه النسبة على أن سرعة انتشار الموجات الكهرمغناطيسية هي 3×10^{10} سم / ثانية ، وهي عينا سرعة انتشار الضوء في الفضاء كما قيست بطرق عديدة قبل مولد مكسويل .

وهكذا اعتبر مكسويل الضوء موجات كهرمغناطيسية ذات أطوال قصيرة وظهرت بذلك (النظرية الكهرمغناطيسية للضوء) وفُسرَت بها ظواهر عديدة مثل الانتشار والامتصاص والإشعاع إلخ . .

والحق أن كثيراً ما كان التوافق في القيمة العددية من المقادير الطبيعية التي يلوح أنه لا رابط بينها سبباً في الوصول إلى كشف جديدة هامة : ومن هذا النوعان الثابتان اللذان يتصل أحدهما بإشعاع موجات الضوء والحرارة من الأجسام الساخنة ، على حين يتصل الثاني بانبعاث الكهارب من الأسطح المضاءة بالأشعة فوق البنفسجية ، فقد تمخضا عن أهمية عظمى لها قيمتها في نشوء نظرية الكم .

النسبية :

هنا يجدر بنا أن نقف قليلا نستعرض أفكارنا التقليدية الخاصة بالزمان والمكان ، فمنذ القدم والناس يعتبرونهما شيئين مستقلين ومنفصلين تماماً بعضهما عن بعض . وفي هذا المعنى يقول نيوتن (واضع أسس علم الميكانيكا التقليدية) :

المكان المطلق : في طبيعته الخالصة ومن غير الرجوع إلى شيء خارجي يظل أبد الدهر متشابهاً وساكناً .

الزمان المطلق : (في حد ذاته) من طبيعته أن يسرى بانتظام على الدوام دون الرجوع إلى شيء خارجي .

وبينما يتطلب تعريف نيوتن للمكان ضرورة وجود جهاز خارجي مطلق يتخذ مرجعاً للحركة بالنسبة إليه ، يتضمن تعريفه الخاص بالزمان وجود جهاز مطلق للتوقيت ، هو « التوقيت العالمى الكونى » ، إلا أن هذه الفكرة الخاطئة قضت عليها النسبية قضاء مبرماً .

فمن روائع النسبية ما أحدثت من تغييرات جوهرية في أسس علم الميكانيكا التقليدية القديمة وظهور علم « ميكانيكا النسبية » الذى يتضمن :

١ - الربط ما بين الزمان والمكان بما يسمح بتبادلتهما ولو جزئياً على الأقل ، بحيث إن أى حادثتين يفصل بينهما فاصل مكانى بحت فى جهاز معين يمكن أن يودى بهما هذا الانفصال المكانى إلى وجود فرق زمنى بينهما عند ما يرصدان من جهاز آخر يتحرك بالنسبة للجهاز الأول .

٢ - ظاهرة « التمدد الزمنى » ، أو الإبطاء فى الساعات عند ما ترصد من جهاز متحرك . ولقد شوهدت ظاهرة إبطاء جميع العمليات الطبيعية التى تصاحب الأجهزة السريعة الحركة بطريقة مباشرة فى حالة اضمحلال الميسونات التى تكون جانباً هاما من الأشعة الكونية . وكما يتمدد الزمن يتقلص أو ينكمش المكان .

٣ - ومن طرائف نتائج النسبية إدخال البعد الرابع على أبعاد المكان الثلاثة ومن ثم الحصول على المكان الزمانى ، فعندما استعملت صيغ رياضية خاصة تحقق وجود اتحادين ، الزمان والمكان . ونستطيع الآن اعتبار الحوادث كافة كأنها تتم فى عالم من المكان الزمانى الرباعى الأبعاد .

ولقد خلصتنا النسبية كذلك من فكرة عالم الأثير التقليدى القديم المناقض للحقيقة الوجود الذى نعيش فيه ، واستعاضت عنه بفكرة المجال الكهرمغناطيسى العام أو الممدود الذى يسبغ على ذلك العالم الغامض شيئاً من الحقيقة .

ولو لم يكن فى الوجود أثير عالمى يملأ أرجاءه ، لما كانت هناك حركة مطلقة بحال من الأحوال (كحركة الضوء مثلاً) . ولهذا يقول أينشتين : إننا نستطيع الكلام فقط عن حركة أى جسم مادى بالنسبة إلى جسم آخر ، أو أى مجموعة من المحاور يمكن الرجوع إليها بالنسبة إلى محاور أخرى . ويحق للراصدين اللذين ينتمى أحدهما إلى مجموعة من هذه المحاور ، وينتمى الآخر إلى المجموعة الأخرى ، أن يقول أى منهما دون تمييز : « إني فى حالة السكون ، أما ذلك الشخص الآخر فهو يتحرك » . ومعنى هذا كله أنه إذا لم يكن هناك أثير عالمى يمدنا بجهاز كونى كأصل يمكن أن يرجع إليه فى حالة الحركة عبر الفضاء ، لانعدمت الوسيلة التى نميز بها مثل تلك الحركة ، وتكون أى عبارة متعلقة بها هى فى الواقع بمثابة الهراء الفيزيائى .

ولهذا السبب أخفقت التجارب التي قصد بها إيجاد السرعة المطلقة للأرض بالنسبة للأثير العالمى باستخدام سرعة الضوء ، فيما يعرف باسم تجربة « ميلكسون ومورلى » وتقول النسبية بأن الشحنات الكهربائية أو المغناطيسيات يلزم أن تحاط بنوع من المادة الخفيفة التي لها ثقل صغير جداً ، وهذا النوع من المادة مهما يبلغ من الخفة يكون كثيفاً نسبياً بجوار تلك الشحنات أو المغناطيسيات ، ثم تقل كثافته إلى أن تبلغ العدم على البعد الذي تختفى فيه القوى الكهربائية أو المغناطيسية . وكذلك صورت النسبية أشعة الضوء على هيئة مجار متذبذبة دافقة من تلك « المادة » ، تنبثق من الأجسام المضيئة (تماماً كما تنبثق مجارى المياه من خراطيم الحديقة) مندفعة عبر فضاء فارغ تماماً .

وهكذا يرى القارىء أنه بينما افترض العلماء أولاً أن الأثير العالمى إنما يوزع توزيعاً منتظماً ومتجانساً في الفضاء الكونى ، وصوروا لنا المجالات الكهربائية والمغناطيسية كمجرد تشويه طارئ على هذا التوزيع ، عادوا فاعتبروا وجود « المادة الأثرية » الجديدة مقصوراً على المناطق التي توجد فيها القوى الكهربائية والمغناطيسية ، وهي لا تعتبر حاملة لتلك القوى بقدر ما تعتبر بمثابة القوى نفسها متجسدة . ولا سبيل إلى إظهار الصفات الطبيعية لتلك المادة باستخدام تعبيراتنا القديمة التي على غرار المرونة واللزوجة والتوتر السطحي . . . ونحوها مما لا يستخدم إلا في وصف الأجسام المادية المبنية من الذرات والجزيئات . ولكن باستخدام معادلات مكسويل التي تصف لنا جميع دقائق التأثيرات الكهرمغناطيسية وتحرر العقل البشرى من نير التركيب المادى للضوء .

ومن روائع النسبية معادلتها الكتلة بالطاقة . فالطاقة التي تصحب حزمة من الإشعاع المنطلق على هيئة ضوء مثلاً يمكن أن تساوى :

ك . ٢١

حيث ك هي كتلة هذا الإشعاع ، واهى سرعة الضوء .

ويدعى بعض الناس ، خصوصاً ممن دأبوا على تبسيط العلوم ، أنه كان من نتائج النسبية وقانون أينشتاين هذا المشهور والمعروف باسم (قانون معادلة الكتلة بالطاقة) أن خطا البشر سريعاً نحو صناعة القنابل الذرية . ونحن تبعاً لما جاءت به

النسبية نستطيع أن نقرر أن الطاقة الكلية التي تنطلق من قنبلة ذرية من ذوات العشرين ألف طن (من الديناميت) تزن نحو جرام واحد فقط ، وأن هذه الكتلة الصغيرة تنتج من الطاقة قدرأ يكفي لإحداث الدمار الذي يحدثه عشرون ألف طن من الديناميت ! ، ولكن لم تكن هذه المعادلة هي الخطوة الأصيلة في صناعة القنابل الذرية ، ولم يكن الدور الذي لعبه أينشتين في هذا الصدد هو العلاقة :

$$E = mc^2$$

الى أخرجها للناس ، وإنما كانت هنالك توجيهات أخرى ومحاولات وآمال إبان الحرب العالمية الثانية تمخضت عن استغلال الطاقة الذرية .

وعند ما درست خصائص الفضاء الكوني فسر أينشتين شتى التأثيرات الناجمة عن الجاذبية بأنحاء الفضاء ، وبذلك وضع أسس النظرية النسبية العامة . ومن أهم نتائج نظرية أينشتين للجاذبية :

- ١ — زحزحة الضوء عن مساره في خط مستقيم في مجال الجاذبية .
- ٢ — دراسة كافة حركات الأجسام المادية في عالم الأبعاد الأربعة ، وهو عالم ينحن حينما توجد مجالات الجاذبية . ويلزم أن تكون الخطوط التي تمثل تاريخ حركة أى جسم مادي في عالم الأبعاد الأربعة أى « الخطوط العالمية » للجسم . . نقول يلزم أن تكون هذه الخطوط « مسحية » أى إنها أقصر الخطوط ، ويمكن حسابها على أساس نظرية النسبية الخاصة بمجال الجاذبية .
- وتم النصر المبين لنظرية النسبية عند ما أمكن في ضوءها تفسير الخلاف الحادث بين قياس الحلل أو الاضطراب الذي تحدثه الكواكب على مسار عطارد ، وحساب هذا الاضطراب على أنه قلقله بحسب قوانين نيوتن في الجاذبية .

وهكذا نرى أن نتائج أعمال أينشتين التي أمضى فيها حياته تمخضت عن تحويل جانب كبير من الفيزياء إلى هندسة . فالزمن صار رقيقاً رابعاً لأحداثيات المكان الثلاثة ولا يفارقها ، وفُسرَت قوى الجاذبية على أنها نتيجة لانحناء عالم الأبعاد الأربعة هذا ، ولكن بقيت القوى الكهربائية والمغناطيسية خارج إطار هذه الفكرة الهندسية . وحاول أينشتين دون جدوى حتى موته عام ١٩٥٥ أن يصل إلى حل ما يطلق عليه اسم « نظرية المجال الموحد » أو النظرية التي توحد مجالى الجاذبية والكهرمغناطيسية

على أساس هندسى واحد .

وتؤدى ميكانيكا النسبية إلى الاحتمال الرياضى بوجود عالمين مختلفين ؛ أحدهما « طبعى » والثانى عالم غريب « بليد » فيه كتلة الأجسام سالبة . ونحن نستطيع أن نعتبر هذا العالم الأخير مجرد خيال أو تصور تمخض عنه حل معادلات أينشتين ، إلا أن المسألة تعقدت عندما ظهرت نظرية الكم التى سيأتى ذكرها فيما بعد ، ونجح موريس ديراك فى توحيد النظريتين النسبية والكم والجمع بينهما .

الفيزياء الحديثة ومبادئها المختلفة :

فى أواخر القرن التاسع عشر بدأت الدراسات العملية المتعلقة بتركيب المادة من لبناتها الأولية (الذرات) فى الظهور ، وذلك إثر اكتشاف أشعة المهبط على يد السير وليم كروكس ودراسة مكوناتها (الكهارب) على يد السير ج . ج . طومسون الذى بعد أن أثبت وجود الكهارب عين كتلة الكهرب الواحد بما يساوى $9,1 \times 10^{-31}$ جراماً ، وكذلك مقدار شحنته السالبة بما يعادل $1,6 \times 10^{-19}$ وحدة كهربية استاتيكية . وفى تلك الحقبة تمت كشوف عديدة هامة لعب عامل المصادفة أهم الأدوار فى كثير منها ، مثل اكتشاف كروكس للأشعة السينية .

والصورة التى أعطاها ج . ج . للذرة ^{طومسون} هى على هيئة كرة بداخلها مادة ثقيلة مشحونة بالكهربية الموجبة مع عدد من الكهارب الصغيرة المنتشرة خلالها على غرار انتشار بذر البطيخة الأسود فى لحمها الأحمر . وأعطتنا هذه الصورة « نموذجاً ساكناً » للذرة ، وهو الذى معه تكون الكهارب فى حالة من السكون فى أوضاعها المترنة .

وعند ما حسب ج . ج . الأوزان الذرية للعناصر أثبت وجود ذرات للعنصر الواحد مختلفة الكتلة ، وأطلق عليها اسم « النظائر » ، ومعناها أنها تحتل نفس المكان فى جدول مندليف . وتبعاً لقانون أينشتين الخاص بمعادلة الكتلة بالطاقة يلزم أن يكون وزن المجموعة المكونة من جسيمات متعددة أقل من وزن الجسيمات الأصلية بمقدار يعادل ما بينها من طاقات الترابط مقسومة على c^2 . ومعنى ذلك أن الفرق بين كتلة ذرة مركبة ومجموع كتل مركباتها يدلنا على قيمة الطاقة التى تم تضمينها فى عمليات التكوين .

وعند ما أراد رذرفورد أن يسبر غور الذرة من الداخل ليدرس مدى صحة نموذج طومسون الذى لم يعجبه رأى أن يصوب جزءاً من جسيمات الفا على صفائح رقيقة جداً من المعدن ، فعندما يقع جانب منها تحت تأثير الأجزاء المشحونة فى الذرة يصبح لا مفر من زحزحتها بعض الشيء عن مساراتها الأصلية ، وتتضمن محصلة تشتت الحزمة بهذه الطريقة المعلومات الوافية الخاصة بتوزيع الشحنات الكهربائية داخل الذرة ، وعندما أجرى تجاربه وجد أن الشحنة الموجبة وكتلة الذرة تقتصران على حيز صغير جداً هو مركزها ، أسماه رذرفورد « النواة » . وهكذا ظهرت صورة جديدة للذرة مكونة من النواة ذات الكتلة المشحونة بشحنة كبيرة والكهارب التى تسبح من حولها تماماً كما تسبح مجموعة الكواكب السيارة من حول الشمس ، غير أن الكهارب تمسكها قوى التجاذب الكهربائية ، أما الكواكب فالذى يمسكها قوى الجاذبية العالمية لنيوتن . ونموذج الذرة هذا هو النموذج الذى نستخدمه اليوم .

وعند ما عملت محاولة لاستخدام قوانين الفيزياء التقليدية الأساسية التى طبقت بنجاح فى مسائل الحرارة والغازات ، وعلى رأسها قانون تساوى توزيع الطاقة على الأمواج الكهرمغناطيسية ، أدى ذلك التطبيق إلى نتائج خاطئة ووهمية تماماً . ولم يستطع أحد إنقاذ الموقف حتى أعلن ماكس بلانك فى آخر أعوام القرن التاسع عشر أن جميع أنواع الإشعاع الكهرمغناطيسية لا تعتبر بمثابة الموجات المتتابعة بصفة مستمرة ، وإنما هى حزم متفردة من الطاقة ، لكل حزمة منها قدر معلوم من تلك الطاقة يتوقف على ذبذبة الحزمة لها ، وإن الطاقة $E = h \nu$ حيث h هو ثابت الكم ، وكان ذلك هو بدء مولد نظرية الكم لبلانك الذى صاغ لنا معادلته لتوزيع الطاقة فى الإشعاع الحرارى ، التى تركز أغلب الطاقة وتقصرها على الموجة المتوسطة ، وتكاد تجعل نصيب الموجات القصيرة لا شيئ .

وفى أوائل القرن العشرين بدأ أينشتين استخدام فكرة الكم الضوئى فى تفسير الظاهرة (الكهرضوئية) أو ظهور الشحنات الموجبة على أسطح المعادن التى يتساقط عليها الضوء ، وعلى الأنخص الأشعة فوق البنفسجية نتيجة انطلاق الكهارب من تلك الأسطح المضاءة . ولما طبقت نظرياته الحقيقة من واقع المشاهدة كان ذلك بمثابة السند القوي المتين الذى حقق فكرة بلانك الأصلية المتعلقة بكم الطاقة الإشعاعية .

ومن بين القرائن الهامة التي أبدت نظرية الكم ما ورد ضمن أعمال « آرثر كمن » بما يعرف علمياً باسم (ظاهرة كمن) التي تقول إنه في عملية التشتت التي تحدث للأشعة السينية تكون لوحات الكم الخاصة بها والتي تنحرف بزوايا كبيرة، كمية أصغر من الطاقة، ومن ثم طول موجة أكبر . ولقد أبدت التجارب التي أجراها كمن تأييداً تاماً لهذا القول .

وسريعاً ما اتضح أن النموذج الأصلي لذرة بور يحوى مسارات كم دائرية متحدة المركز يجب تعميمها بإقامة بعض القطاعات الناقصة بعد إسباغ صفة الكم عليها . وهكذا ازداد الوضع تعقيداً رغم أنه طابق إلى حد بعيد الحقيقة المشاهدة . وهكذا لم تعد الذرة شبيهة تماماً بمجموعة الكواكب الشمسية .

وعند ما تحمل النواة شحنة أكبر ، في العناصر الثقيلة ، يتزايد عدد الكهارب ، كما أنه نظراً لكبر قوى التجاذب التي تؤثر بها النواة تنقلص أقطار كافة المسارات ، بمقادير تتزايد على التدرج كلما اقتربنا من العناصر التي تعظم أرقامها الذرية . وعندما تساءل العلماء : كيف تستطيع الأعداد الكبيرة من الكهارب التي في العناصر الثقيلة أن تتلاءم مع مسارات الكم التي تنكمش بهذا الشكل ؟ لم تجب الفيزياء التقليدية القديمة عن هذا السؤال إلا بطريقة تافهة . وهنا ظهر مبدأ ولفجانج ياولي الذي يقول بأنه لا يمكن لأى مدار من مدارات الكم أن يتضمن أكثر من كهرين اثنين فقط . ويتطلب المبدأ في حالة ملء هذين المحلين وجوب تضمين الكهارب التالية ضمن المسارات الأخرى . وعند ما تمتلئ كل المسارات التي في قشرة ما ، يبدأ ملء مسارات القشرة التي تليها (تنتمي إلى مستوى أعلى من الطاقة) . وبعد أن كانت الكهارب تعتبر بمثابة النقاط المشحونة بالكهربية السالبة ، أدخل في الاعتبار أنها على هيئة مغناطيسيات دقيقة لها عزوم مغناطيسية . وبذلك توجد قوتان : القوى الكهربائية التي تؤثر في مداراتها ، ثم القوى المغناطيسية الناجمة عن لفها أو دورانها حول نفسها .

ولقد أمكن البرهنة على أن الكهرين اللذين ينطلقان في نفس المدار يجب أن يلفا في اتجاهين متضادين . ونظراً لأن الكهارب التي تلف في اتجاهات متضادة تعطى مجالات مغناطيسية ضعيفة ، فإنها تحدث تغيرات طفيفة على مسارات بعضها

بعضاً ، ونحن نقول الآن إن أى كهربين سمح لهما من الأصل بالانطلاق فى نفس المسار (حسب مبدأ باولى) يأخذان فعلاً مسارين مختلفين ولو بقدر يكاد لا يذكر . وعلى ذلك فمن المعقول أن ننظر إلى المسارات المسموح بها كأزواج متقاربة انفصلت تحت تأثيرات مغناطيسية ضعيفة ، وعلى هذا النحو تم تعديل مبدأ باولى ، أقصد الاستبعاد سابق الذكر .

وفى عام ١٩٢٤ تقدم لويس دى برولى برأى خطير للغاية ضمنه رسالة الدكتوراه التى تقدم بها للجامعة بباريس فى الفيزياء النظرية ، فحواه أن حركة الجسيمات المادية يصحبها ويقودها نوع خاص من الموجات الطائفة التى تنتشر فى الفضاء مع تلك الجسيمات : وعلى ذلك يمكن اعتبار مدارات الكم المختارة فى نموذج بور للذرة على أنها تلك المدارات التى تحقق وجوب تضمين طولها عدداً صحيحاً من تلك الموجات الطائفة : موجة واحدة فى مسار الكم الأول ، وموجتان فى المسار الثانى . . . إلخ وهكذا اكتسبت ميكانيكا الكم للجسيمات خواص تشابه أمواج الصوت والضوء .

وفى غضون عام ١٩٢٦ تمت صياغة آراء دى برولى على أساس رياضى قويم بمعرفة اروين شرودنجر فيما يعرف باسم (معادلة شرودنجر) التى تستخدم فى حركة الجسيمات تحت أى مجال من مجالات القوى . وبدلاً من مسارات الكم الدائرية أو التى على هيئة قطاعات ناقصة أصبح داخل الذرة يوصف بما يعرف باسم دوال فائى التى تمثل الأنواع المختلفة من أمواج برولى الممكن وجودها فى الفضاء المحيط بنواة الذرة .

وفى نفس تلك الفترة ظهر بحث آخر حول نظرية الكم أخرجه فيرنر هايزنبرج أساسه أن الكميات الميكانيكية التى على غرار الوضع والسرعة والقوة إلخ . . . لا تمثل بالأرقام العادية ولكن بوساطة تراكيب رياضية معنوية يعرف الواحد منها باسم المصفوف أو (المتركس) . وسرعان ما تبين أن مصفوفات هايزنبرج هذه إنما تمثل حلول معادلات شرودنجر . ويمكن للمرء عندما يحاول حل المسائل المختلفة المتعلقة بنظرية الكم أن يستعمل الميكانيكا الموجية ، أو الميكانيكا المصفوفات ، على التبادل .

وكان طبعياً أن يتساءل العلماء عن المعنى الطبيعى لموجات دى برولى التى

تقود الجسيمات المادية في تحركاتها: هل هي حقيقية كموجات الضوء مثلاً ؟ ، أو هي مجرد فكرة رياضية لتصف لنا ظواهر عالم الذرة ؟. وبعد سنوات من صياغة الميكانيكا الموجية أجاب عن هذا السؤال و . هيزنبرج الذى عمد إلى معالجة المشكلة من أساسها فوجد أن الراصد لأية ظاهرة ومعداته كلاهما جزء يتكامل مع الظاهرة ذاتها ، وبرهن هيزنبرج على أن حاصل ضرب عدم التثبيت في الوضع والسرعة لا يمكن أن يقل في القدر عن ثابت بلانك مقسوماً على كتلة الجسيم ، أى إن :

$$\Delta \cdot \Delta \leq \frac{h}{2\pi}$$

وعمل بور على تحويل مبدأ هيزنبرج هذا إلى نوع جديد من فلسفة الفيزياء ، ونجم عن ذلك تغيير جوهري في أفكارنا الخاصة بعالم المادة ، وهى الأفكار والآراء التى نكتسبها من تجاربنا العادية منذ الطفولة ، إلا أنها سمحت بفهم وهضم أغلب معضلات الفيزياء الذرية والغازها . أما ألبرت أينشتاين فقد تنكر لهذا المبدأ ولم تسمح فلسفته التى انصبت على تحديد الأشياء بالسمو بعدم التثبيت إلى مرتبة المبادئ العلمية . . . وراح يبحث عن المتناقضات فى عدم التثبيت الخاص بفيزياء الكم ، إلا أن جهوده فى هذا الباب أدت إلى تقوية مركز المبدأ بدلا من إضعافه ، إلا أنه حتى آخر يوم فى حياته رفض قبول المبدأ ، وظل يأمل أن تعود الفيزياء من جديد إلى وجهة نظر إمكان التحديد فى يوم من الأيام .

وبعد ظهور نظرية الكم بسنوات معدودات تصدعت رؤوس علماء الفيزياء النظرية فى محاولة توحيد نظرية النسبية ونظرية الكم هذه والجمع بينهما . واعتبرت معادلة شرودنجر الموجية الكهربي كنقطة ، ولم تسفر شتى المحاولات التى عملت من أجل استخدام تلك المعادلة فى حالة الكهربي الذى يلف مكتسباً خواص المغناطيس الصغير عن أية نتيجة .

وفى عام ١٩٣٠ نشر موريس ديراك معادلته المشهورة التى تحمل اسمه (معادلة نسبية الموجية أو توحيد النسبية والكم) ، وهى رغم صعوبتها وعظم تعقيدها تسمح لنا بصيد عصفورين بحجر واحد : فهى من ناحية تتمشى مع جميع مستلزمات النسبية واشتراطاتها ، وهى من ناحية أخرى توصل إلى أن يبدو الكهربي

كأنما هو نحلة صغيرة ممغطسة تلف وتدور .

وقد أدى توحيد النظريتين (النسبية والكم) على يد ديراك إلى ظهور العالم الغريب ، الذى فيه الطاقات سالبة والكهارب بليدة وكتلها سالبة من جديد بشكل جدى . وتصور ديراك فيما تصور أن فقد الكهرب البليد معناه ظهور البروتون على هيئة فقاعات أو ثقوب ، لأن فقد الكهربية السالبة معناه كسب لكهربية موجبة ، إلا أنه عجز عن تفسير كتلة البروتون التى تصل إلى أضعاف أضعاف كتلة الكهرب . والذى زاد الطين بلة حسابات باولى التى أدت إلى البرهنة على أنه إذا كان البروتون بحق يمثل فقاعته فى محيط ديراك الذى يعج إلى درجة الإشباع بكهارب « بليدة » ، فإن ذرة الأيدروجين لن تبقى إلا خلال فترة تكاد لا تصل إلى عشر معشار الثانية .

وفى عام ١٩٣١ اكتشف كارل أندرسون فى أمريكا (خلال تجاربه على الأشعة الكونية باستخدام حجرة التكاثر لوسان) وجود الكهرب الموجب الشحنة (البزترون) ، والمعروف أنه يمكن إنتاج الزوج المكون من كهرب موجب وآخر سالب عن طريق تصادم كم الضوء ذى الطاقة العالية بنوى الذرات . وعند ما تنطلق الكهارب الموجبة خلال المادة العادية تنعدم من الوجود بتصادمها مع الكهارب العادية ، فى حين تنطلق الطاقة المعادلة لكتلتيهما على هيئة فوتونات لها طاقات عالية . وهكذا اعتبرت البروتونات بمثابة الثقوب فى فضاء خلا خلواً تاماً من المادة .

وسريعاً ما اتجهت أنظار العلماء إلى البحث عن البروتونات السالبة التى يمكن أن يكون وضعها بالنسبة إلى البروتونات العادية الموجبة الشحنة شبيهاً بوضع الكهرب الموجب (البزترون) بالنسبة إلى الكهرب العادى (الإلكترون) ، واستخدمت فى سبيل ذلك (المعجلات) أو الأجهزة التى تعمل على إكساب الجسيمات الأولى عجالات تصاعدية عظمى تحت تأثير مجالات كهرومغناطيسية ، لتقذف بها النوا وخصوصاً أن إنتاجها (أو تحطيمها) إنما يتطلب طاقة تعادل أضعاف أضعاف الطاقة اللازمة لإنتاج الكهرب بسبب كتلة البروتون الكبيرة بالنسبة إلى كتلة الكهرب .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٥ أعلن نفر من علماء أمريكا الذين يشتغلون بهذه المسألة أنهم شاهدوا البروتون السالب ينطلق من الهدف عندما أطلقوا عليه قذائف طاقتها

٦ ١/٢ بلايين إلكترون فولت .

وفي خريف عام ١٩٥٦ اكتشف النيوترون المضاد* . وهكذا توافر الدليل على وجود جسيمات أولية مضادة للكهرب ، والبروتون ، ثم النيوترون ، مما يجعل احتمال تكوين المادة المضادة من هذه الجسيمات أمراً متوقعاً . ومن المعلوم أن الذرة التي تمثل أصغر لبنات المادة تتكون من النواة ويكاد يتركز فيها الوزن . ويدور من حول النواة في محيط أو عدة محيطات خارجية ، كهرب أو عدد من الكهارب تعتبر كتلتها صغيرة بالنسبة إلى كتلة النواة . وبصفة عامة تتكون نواة الذرة من عدد من البروتونات وآخر من النيوترونات . وأبسط الذرات تركيباً على الإطلاق ذرة الأيدروجين ؛ إذ تتكون نواتها من مجرد بروتون واحد ، ويدور في محيطها الخارجي إلكترون واحد . أما ذرة الهيليوم فقوامها اثنان من البروتونات وزوج من النيوترونات في النواة ، كما يدور في محيطها الخارجي زوج من الكهارب . ويمكن على أبسط الفروض اعتبار النيوترون المتعادل كهربياً كأنه بروتون موجب التكهرب اتحد به كهرب سالب .

ولما اكتشف النشاط الإشعاعي لبعض المواد على يد بكريل ثم مدام كوري ، أدى ذلك بعد نحو نصف قرن إلى أن عرف أتوهان ظاهرة انشطار اليورانيوم . وفي بداية ذلك القرن توصل رذرفورد ومساعدته سودى إلى أن أساس النشاط الإشعاعي هو التحول التلقائي لعنصر كيموى إلى عنصر آخر . وقد أمكن تقسيم المواد المشعة إلى « عائلات » أربع بحسب أوزانها الذرية التي تمثلها القيم : $4n$ ، $4n+1$ ، $4n+2$ ، $4n+3$ ، إلا أن العائلة $4n+1$ لا تتوافر في الطبيعة ، ولكن يمكن إنتاجها صناعياً . وقد جعل اليورانيوم القابل للانقسام أو الأكتينيوم من الممكن تطوير صناعة القنابل الذرية والمفاعلات النووية وهو ينتمى إلى النوع ($4n+3$) .

واتضح أن النوى عبارة عن تركيبات ميكانيكية معقدة ؛ إذ تتكون من عدة جسيمات منها البروتونات . وعند ما افترض وجود كهارب داخل النواة الذرية أدى

* ولا نقول النيوترون السالب لأنه لا شحنة له ، والسبيل الوحيد الذى يميز به النويين هو أنهما عند ما يتقابلان يفتى أحدهما الآخر .
(المترجم)

هذا الافتراض إلى مصاعب جمّة من وجهة نظير نظرية الكم . ثم ظهرت فكرة وجود النيوترونات وأمكن إثبات ذلك عملياً داخل معمل كافندش . واستعمل فرى لفظ نيوترينو تصغيراً لمعنى النيوترون .

وبدأ رذرفورد تجاربه في تفجير نوى الذرات وتمهيد الطريق لإنتاج القنابل الذرية رغم أنه لم يتنبأ بهذا التطور . وتم بناء أول محطّم للذرة وهو الفانديجراف الذى يعمل على أساس الكهربائية الساكنة ، ثم بنى السيكلترون وهو يتكون أساساً من غرفة دائرية من المعدن مقسمة إلى نصفين وموضوعة بين قطبي مغناطيس كهربى قوى جداً ، يكسب الجسيمات الأولية طاقات حركة عظمى بما يعطيها من عجلات . ويصف لنا الكتاب في تسلسل جميل أخذ ، في الفصل الأخير ، جميع الخطوات التى تمت إلى حين تفجير القنابل الذرية .

ملاحظات هامة :

ولقد كنت أرجو أن أضمن ترجمتى لهذا الكتاب النفيس من الوجهتين العلمية والتاريخية نفس الألفاظ التى استخدمها علماءنا العرب في القدم عند ما ألفوا الكتب وصنفوها أو نقلوها عن الإغريق ، إلا أن الكتاب تم ، وإذا بمعظم الألفاظ والمصطلحات العلمية التى أوردتها فيه مستحدثة (أى وليدة هذا العصر) مما درجنا على استعماله في جامعاتنا العربية . وكان طبيعياً أن أتخير بعض الألفاظ التى تعودنا استعمالها في لغة التدريس . وسيجد القارئ أن بعض هذه الكلمات تشتق من اللفظ الأوروبي أو المتداول عالمياً . ومهما يكن من شئ فإنه عند ما يسير ركب ترجمة العلوم بطريقة تطمئن لها النفوس وتنقل المراجع الأصيلة إلى العربية يكون ذلك وحده كفيلاً لتثبيت قواعد اللغة العربية ومصطلحاتها في ميدان العلم . هذا وقد استخدمت كذلك بعض الحروف في التعبيرات الجبرية والهندسية ونحوها . وكان لزاماً إدخال بعض الحروف اليونانية مثل : α ، β ، γ ، δ ، ϵ وهى كلها تدل على معان ثابتة في كتب العلم ومراجعه الأجنبية بشتى أنواعها . والحق أن الفيزياء أصبحت من العلوم التطبيقية التى تعالج كثيراً من مشاكلنا الحديثة مثل : التنبؤ الجوى ، والطبيعة الجوية ، والطاقات الإشعاعية المختلفة ، والذرية . . . إلخ .

وسيجد القارئ بين الفينة والفينة متعة وحلاوة وسط ما قد يبدو من جفاف المعلومات العلمية ، وذلك خلال الأمثلة الرائعة لحياة العلماء المرموقين ، وما كان لهم من طباع وصفات يعتبر بعضها في مرتبة الخروج عن المألوف ، من أمثال نيوتن وكافندش وأمبير وفارادى . ولن أتعرض لهذه الناحية من حياة العلماء الخاصة في مقدمتى حتى أترك القارئ متشوقاً إلى قراءتها ، متطلعاً إلى الوقوف عليها في متن الكتاب .

ونصيحتى للقارئ هي نفسها تلك النصيحة التى يسديها لقراءهم بعض كتاب العلوم في مقدمات كتبهم وهي : عليك أن تعاود تلاوة ما يفوتك تتبعه من آن لآخر كلما سرت قلماً في مطالعتك ، فإنه بذلك تفتح لك المعانى ويسهل التتبع على التدريج ، وهكذا تستطيع دائماً أن تترك إلى حين أى جزء يستعصى عليك فهمه .

تقديم المؤلف للنسخة العربية

سرتى كثرأ وأبهج فؤادى أن أسمع بترجمة كتابى إلى العربية . ولقد وضحت فى ابتداء الباب الثانى الدور الهام الذى لعبه العلماء العرب عند ما حملوا راية العلم خفاقة خلال العديء من السنين ، منذ سقوط الثقافة الإغريقية حتى بدء عصر النهضة . وإنى لعظيم الأمل فى أن تتابع الجمهورية العربية المتحدة الفتية نفس الخطوات فى هذا المجال وتنهج نهج الإمبراطورية العربية القديمة .

جورج جاموف

مايو ١٩٦٢

تمهيد

هناك نوعان من كتب الفيزياء : نوع يتخذ كمرجع علمي الغرض منه وقف القارئ على ما تتضمنه الفيزياء من حقائق ونظريات . وعادة يغفل مصنف مثل هذا النوع من الكتب النواحي التاريخية للتقدم العلمي ، ويكتفى فيها من قصص حياة كبار العلماء ومشاهيرهم في الماضي والحاضر بذكر تاريخ الميلاد والوفاة (أو -) ، وذلك بين قوسين بعد اسم كل منهم . أما النوع الثاني فالأساس فيه معالجة الناحية التاريخية ، وتكاد تقتصر مادة هذا النوع على قصة تطور العلم وتحليل شخصيات العلماء المرموقين ، مع الاكتفاء بسرد قائمة كشوفهم العلمية اعتماداً على الفرض القائل بأن القارئ الذي يعتمد إلى مطالعة تاريخ أى فرع من فروع العلم غالباً ما يكون قد درج عليه وألم به من قبل .

غير أنى في كتابى هذا أسلك مسلكاً وسطاً : فتجدنى مثلاً أعالج موضوع محاكمة غاليليو على قدم المساواة مع قوانين (الميكانيكا) الأساسية التى كشفها الرجل وأماط اللثام عنها ، وأعرض ما جمعت بنفسى من معلومات عن نيلزيرد على قدم المساواة مع التفاصيل العلمية (لنموذج) بور الذرى . ولقد ركزت النقاش فى كل باب من الأبواب الثمانية التى أوردتها فى كتابى هذا حول شخصية واحدة عظيمة ، أو حول شخصيتين على الأكثر ، مع ذكر بعض علماء الفيزياء المعاصرين فى كل حالة ، وبيان إضافاتهم العلمية التى كان لها أثر ملحوظ فى تشييد صرح العلم . وهذا هو السبب الذى حدا بى إلى حذف كثير من الأسماء التى يضىء ذكرها فى كتب تاريخ الفيزياء ، وكذلك إلى حذف كثير من رؤوس الموضوعات التى تتضمنها حتماً مراجع الفيزياء المعتادة .

ومهما يكن من شىء فإن غرضى من هذا الكتاب هو أن يستشعر القارئ أى نوع من فروع العلم تكون الفيزياء ، وأى نوع من الرجال يكون علماؤها ، بحيث أوفر له من الفائدة والاهتمام ما يحمله على متابعة دراساته فى كتب أخرى تعالج هذا الموضوع بطريقة أكثر تنميقاً وأبداع تنسيقاً .

ويحلو للمرء دائماً عند ما يقرأ تاريخ حياة عظماء الرجال في الماضي أو الحاضر أن يرى صورهم ، ولكن نظراً لما أنا مقيد به من عدد الأوراق المصقولة^(١) قررت أن أستغل هذه الأوراق كلها في عرض صور الظواهر الطبيعية مثل : طيف الضوء ، وحيود الكهرباء أو الإلكترون ، ونخط سير نوى الذرات في غرفة محاكاة السحب^(٢) ، وبذلك كان لزاماً على أن أستبدل رسمًا باليد بصور علماء الفيزياء ، إلا أنني من ناحية أخرى لست فناناً وتحتم على أن أستعين ببعض الحيل ، فكنت أبدأ مثلاً إلى إسقاط ظل تلك الصور المأخوذة على ألواح الزجاج وإظهارها على ورق الرسم^(٣) ليسهل على تحديد معالمها ، وكانت الرسوم تحمل من الشبه للصور الأصلية ما برر عرضها .

وإني لآمل أن يجد القارئ الشاب (وربما بعض القراء الآخرين كذلك) في هذا الكتاب دافعاً يحفزه إلى دراسة الفيزياء ، وهذا هو هدفى الأول وغرضى الأساسى .

جورج جامرف

جامعة كلورادو

(١) هى التى تطبع عليها الصور الفوتوغرافية . (المترجم)

(٢) هى جهاز ولسون أو مكثف ولسون المعروف . (المترجم)

(٣) باستخدام مصدر ضوئى أو الفانوس السحرى مثلاً . (المترجم)

الفصل الأول فجر الفيزياء

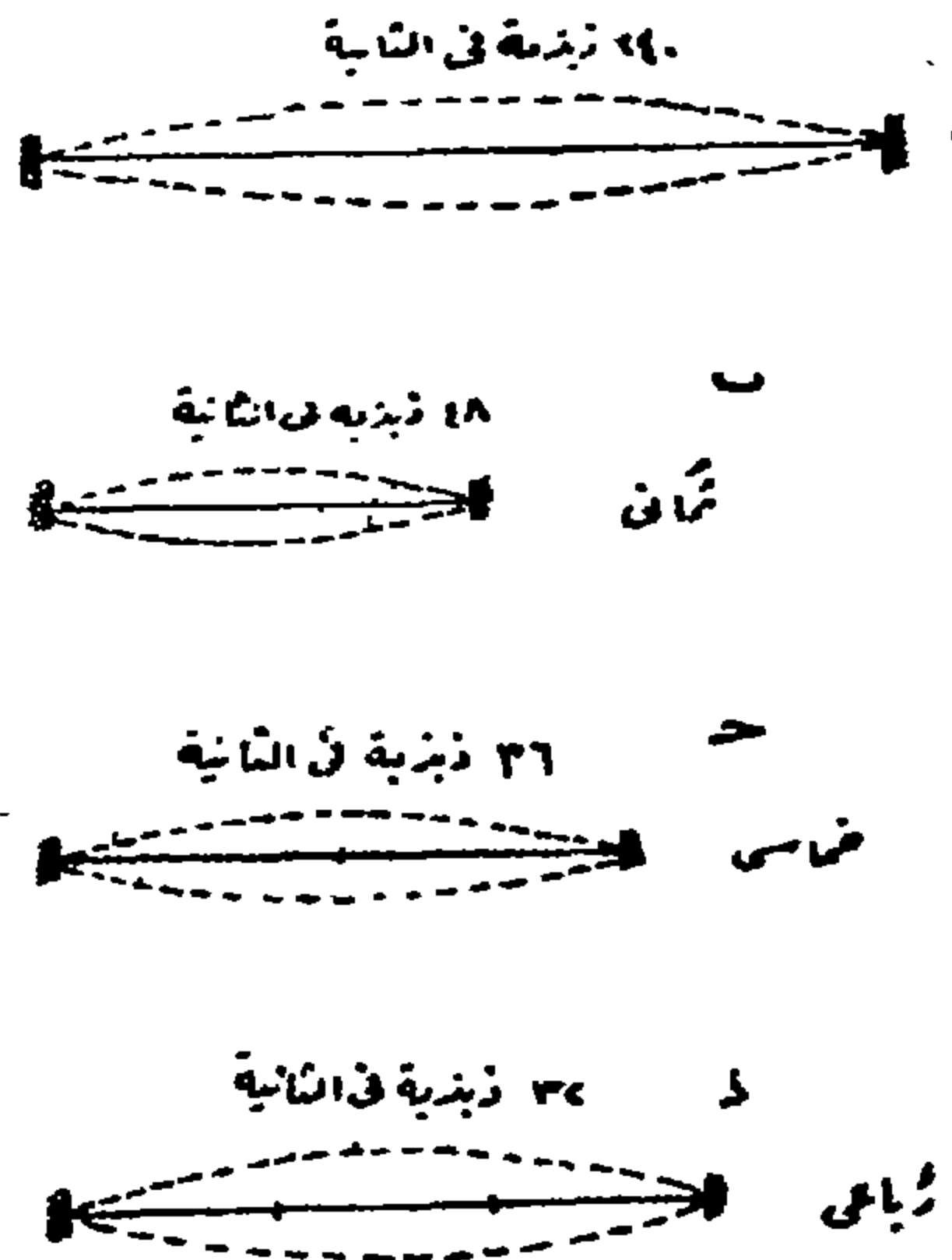
يصعب علينا أن نتبع أصل علم الفيزياء ، تماماً كما يصعب علينا أن نتبع أصل كثير من الأنهر العظمى ، فقد يكون منشأ بعضها عدداً قليلاً من ينابيع الماء التي تنبثق من تحت أوراق النباتات الاستوائية الخضراء ، أو التي تخرج في صورة فقط من تحت الصخور التي تكسوها الطحالب في الإقليم الشمالى القاحل ، وقد يكون المنشأ بعض الجداول ومجارى المياه الصغيرة التي تنحدر على سفح الجبل في مرجح وسرور ثم تتشأن لتتحد وتكون نهراً صغيراً . وتتحد النهرات بدورها لتكون مجارى مائية تبلغ من السعة ما يجعلها جديرة بحمل اسم نهر . ويتسع مجرى النهر شيئاً فشيئاً ويشند أزره كلما صب فيه رافد من روافده ، حتى يتمخض في النهاية عن نهر عظيم — ليكن هو الميسيسيبي أو الفولجا أو النيل أو الأمازون — يتدفق مأؤه إلى المحيط .

وتناثرت الينابيع التي نشأ عنها النهر العظيم لعلم الفيزياء على شتى أرجاء الأرض التي سكنها عقلاء البشر وحكماؤهم ، أغنى الرجل المفكر . ويلوح على أية حال أن عدداً وفيراً من هؤلاء الحكماء وجد في الطرف الجنوبى لشبه جزيرة البلقان حيث كان يقطن قوم يطلق عليهم اليوم اسم « قدماء الإغريق » ؛ ومهما يكن من شيء فإن هذا ما يبدو لنا نحن الذين ورثنا ثقافات « المفكرين الأولين » . ومن الطريف أن نلاحظ أنه بينما أسهمت الأمم القديمة كالبابليين وقدماء المصريين بنصيب وافر في تقدم علوم الرياضة والفلك ، لم تشارك تلك الأمم بشيء بتاتاً في النهوض بعلم الفيزياء . ونحن نستطيع أن نعلل هذا النقص الظاهر بالنسبة إلى ثقافة الإغريق بأن آلهة البابليين والمصريين مثلاً كانت تعيش غالباً بين النجوم ، على حين كانت آلهة قدماء الإغريق تعيش على ارتفاعات لا تربي على ١٠ آلاف قدم ، فوق قمة جبل أوليمس ، مما جعلها أقرب للمشاركة في المسائل الأرضية . وتذهب إحدى الأساطير إلى أن لفظ « مغناطيسية » إنما اشتق أصلاً من اسم أحد رعاة

الإغريق (مجناطس) الذى أدهشه أن يلاحظ انجذاب طرف عصاه الحديدى نحو حجر (من خامات الحديد) ، ملقى على جانب الطريق . وكذلك ربما يرجع الأصل فى لفظة الكتريسىتى « electricity » أو « كهرباء » إلى الكلمة الإغريقية « إلكترون » أو كهربان . ولعل السبب كذلك هو أنه عندما حاول أحد رعاتهم تلميع قطعة من الكهربان بمسحها بوبر رأس من قطيعه لاحظ أن القطعة اكتسبت خاصية عجيبة مكنتها من جذب قطع الخشب الصغيرة المتناثرة .

قانون الأوتار لفيثاغورث

رغم أنه ليس من اليسير إسناد المكتشفات القديمة إلى ذويها على أسس سليمة ، فإن ما توصل إليه الفيلسوف الإغريق فيثاغورث ، الذى عاش فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، له من وسائل الإسناد ما بنى على أسس ومستندات قوية . ونظراً لما كان مقتنعاً به من أن العالم يتحكم فيه العدد ، شرع يدرس العلاقة التى



شكل (١ - ١)

قانون الأوتار لفيثاغورث

تربط بين أطوال أوتار الآلات الموسيقية التى تحدث فى مجموعتها نغمات متناسقة من الصوت ، وعمد إلى استخدام طريقة الوتر المنفرد ، الذى يمكن تغيير طوله ،

وكذلك قوة الشد فيه الناجمة عن تعليق أوزان مختلفة . وعند ما ثبتت قوة الشد وغير طول الوتر وجد أنه يمكن الحصول على أى زوج من نغمتين متوافقتين عند ما تكون النسبة بين طوليهما هي نسبة عددية بسيطة . فمثلاً أعطت نسبة الأطوال ٢ : ١ ما كان يطلق عليه اسم الثماني ، وأعطت النسبة ٣ : ٢ الخماسي ، كما أعطت النسبة ٤ : ٣ الرباعي . وربما يكون هذا الاكتشاف هو أول تمثيل رياضي عبر عن قانون من قوانين الفيزياء ، ويمكن اعتباره ولاشك بمثابة أول خطوة في تطور مانسميه اليوم « الفيزياء » النظرية . ونحن على حد تعبيراتنا الفيزيائية الحديثة يمكن أن نصوغ ما توصل إليه فيثاغورث بقولنا إن تردد أى وتر (أو عدد الذبذبات التي يعملها الوتر في الثانية عند ما يكون تحت تأثير شد ثابت) يتناسب تناسباً عكسياً مع طول الوتر . فمثلاً إذا كان طول الوتر الثاني (شكل ١ - أ ب) نصف طول الوتر الأول (شكل ١ - ١١) يكون تردده ضعف تردد هذا الأخير مرتين . أما إذا كانت نسبة الطول هي ٣ : ٢ أو ٤ : ٣ تكون نسبة التردد ٢ : ٣ أو ٣ : ٤ كما في شكل (١ - ١ ج ، د) . ولما كان الجزء الخاص من مخ الإنسان الذي تصله أعصاب الصوت بالأذن قد بنى بطريقة تجعله يحس بالمرح والطرب عند ما يستقبل نسباً ترددية بسيطة مثل ٣ : ٤ ، على حين هو لا يفرح و « لا يطرب » عند ما تصله نسب ترددية معقدة مثل ١٣٧ : ١٧١ ، (على علماء وظائف الأعضاء الذين سيشتغلون مستقبلاً بالمخ أن يفسروا لنا هذه الحقيقة !) ، فإن أطوال الأوتار التي تعطى توافقاً تاماً يجب أن تحمل فيما بينها نسباً عددية بسيطة .

وحاول فيثاغورث أن يخطو خطوة أخرى ، فذهب إلى أنه نظراً لأن حركة الكواكب « هي من الضروري توافقية » فإنه من اللازم كذلك أن تحمل أبعادها عن الأرض نفس نسب الأوتار (وهي تحت شد متساو) التي تعطى النغمات السبع الأساسية التي تحدثها القيثارة (الآلة الموسيقية الشعبية لدى قدماء الإغريق) . وربما يعتبر هذا الاقتراح أول مثل لما يطلق عليه في أغلب الأحيان اليوم باسم « النظرية الفيزيائية للدراسة الأمراض » .

ديموقريطس عالم الذرة

وثمة نظرية فيزيائية هامة أخرى ، يمكن أن نطلق عليها تبعاً لمصطلحاتنا الحديثة اسم « النظرية التي ليس لها أساس من التجربة » ، إلا أنها تمخضت عن « حلم تحقق » ، تقدم بها فيلسوف إغريقي آخر قديم ، هو ديموقريطس الذي عاش وفكر وعلم حوالي سنة ٤٠٠ قبل الميلاد . وهو أول من أخرج للناس فكرة أن كل الأجسام المادية تتركب من مجموعات من الجزيئات التي لا حصر لها والتي تبلغ من الصغر الحد الذي يحول دون رؤيتها بعين الإنسان ، وأطلق ديموقريطس على كل من هذه الجزيئات اسم « آتوم atom » أو الذرة ومعناها بالإغريقي غير القابل للانقسام ، لأنه اعتقد أنها إنما تمثل المرحلة الأخيرة النهائية لانقسام أجسام المواد إلى أجزاء أصغر فأصغر .

وكان الرجل يعتقد في وجود أربعة أنواع مختلفة من الذرات هي : ذرات الحجر وتمتاز بجفافها وثقلها ، وذرات الماء وتتميز بثقلها ورطوبتها ، وذرات الهواء وهي باردة وخفيفة ، ثم ذرات النار المضيفة والساخنة . ويمكن أن تتكون جميع المواد المعروفة من مزيج أو خليط متباين النسب من هذه الذرات الأربع : فتربة الأرض مثلاً هي خليط من ذرات الماء والحجر ، وعند ما ينمو النبات من الأرض تحت تأثير أشعة الشمس يتكون خليط ذراته من ذرات الحجر والماء التي بالتربة ، ثم ذرات النار التي تحملها أشعة الشمس . وهذا هو السر في أن قطع الخشب الجافة التي فقدت ذراتها المائية يمكن أن تحترق فتتصاعد منها ذرات النار (اللهب) لتخلف وراءها ذرات الحجر (الرماد) . وعند ما توضع أنواع خاصة من الحجر (خامات المعادن) في اللهب تتحد ذرات الحجر بذرات النار مكونة المواد التي نطلق عليها اسم المعادن . وتحتوي المعادن الرخيصة مثل الحديد على كميات صغيرة من ذرات النار ولذلك لا يغرى منظرها الناس . أما الذهب فإنه يحتوي على أكبر كمية من ذرات النار مما يجعله نفيساً وقيماً . وعلى هذا الأساس إذا أمكن أن يضم أحد من الناس عدداً إضافياً من ذرات النار إلى الحديد الخالص يمكنه أن

يحيله إلى الذهب الثمين ! !

والطالب الذى يدلى بهذه المعلومات كلها فى الامتحان الإعدادى للكيمياء يحصل دون شك على المرتبة الأخيرة، ولكن رغم أن هذه الأمثلة بالذات لا تمثل فيزياء التغيرات الكيميائية ، وكانت أمثلة خاطئة دون شك ، فإن الفكرة الأساسية القائلة بإمكان الحصول على عدد غير محدود من المواد المختلفة الصفات عن طريق تركيب العناصر الكيميائية الأساسية المحدودة العدد ، كانت دون شك فكرة صائبة ، وهى تمثل فى عصرنا هذا أساس الكيمياء . وعلى أية حال كان لازماً أن يمر زمن قدره اثنان وعشرون قرناً بعد عهد ديموقريطس حتى يجيء دالتن ليضع الأمور فى نصابها .

فلسفة أرسطو

ومن عمالقة دنيا قدماء الإغريق رجل كان يدعى « أرسطو » ، ذاع صيته لسببين : أولاً ، لأنه كان عبقرية بحق ، وثانياً ، لأنه كان وصياً على الإسكندر الأكبر المقدونى ثم مستشاراً له . ولد عام ٣٨٤ قبل الميلاد فى بلدة ستاجيرا التابعة للإغريق فى بحر إيجه ، وكان والده طبيباً لأسرة المقدونى الملكية ، وعند ما بلغ السابعة عشرة نرح إلى أثينا والتحق بمدرسة أفلاطون الفلسفية ، وظل تلميذاً غيوراً لأفلاطون حتى مات هذا الأخير عام ٣٤٧ قبل الميلاد . وجاءت بعد ذلك فترة طالت خلالها أسفار أرسطو ثم عاد ليستقر فى أثينا وينشئ بها مدرسة فلسفية عرف تلاميذها باسم « الرواقين » كانت تنعقد فى اللوقيون . ومعظم ما بقى من أعمال أرسطو حتى عهدنا هذا هى « الخطابة » التى ربما مثلت مراجع المحاضرات والدروس التى كان يلقيها فى اللوقيون فى مختلف فروع العلم . فهناك مقالات المنطق وعلم النفس التى ابتدعها ، ومقالات العلوم السياسية ، ومسائل عديدة تتصل بعلم الحياة ، وعلى الأخص ما يتعلق بتقسيم النباتات والحيوانات . وبينما نجد أن أرسطو قد أسهم فى هذا الميدان بنجاح وفير أثر فى العقل البشرى خلال فترة امتدت زهاء ألفى سنة بعد موته ، فربما يكون أكبر ما أسهم به فى مجال علم الفيزياء هو ابتداء اسم العلم نفسه الذى اشتقه من كلمة إغريقية تعنى « الطبيعة » . وحرى بنا أن نفسر

نقص فلسفة أرسطو في ميدان دراسة الظواهر الطبيعية بأنه لم تتوافر لدى الرجل العظيم العقلية الرياضية التي توافرت لدى كثير من فلاسفة الإغريق الأقدمين ، والغالب أنه نجم عن آرائه في حركة الأجسام الأرضية والأجرام السماوية من الضرر ما فاق وبز ما ربما نجم عنها من فائدة عادت بالنفع على ركب المدنية . وعند ما ولد التفكير العلمى من جديد في عصر النهضة ، كان على أمثال غاليليو أن يناضلوا ويجاهدوا بصبر وشدة من أجل التخلص من نير عبودية فلسفة أرسطو التي كانت تعتبر في ذلك الوقت لدى غالبية الناس بمثابة « آخر ما جاء به العلم » ، بحيث لم يكن هناك أى داع بتاتا للمزيد من البحث في طبيعة الأشياء .

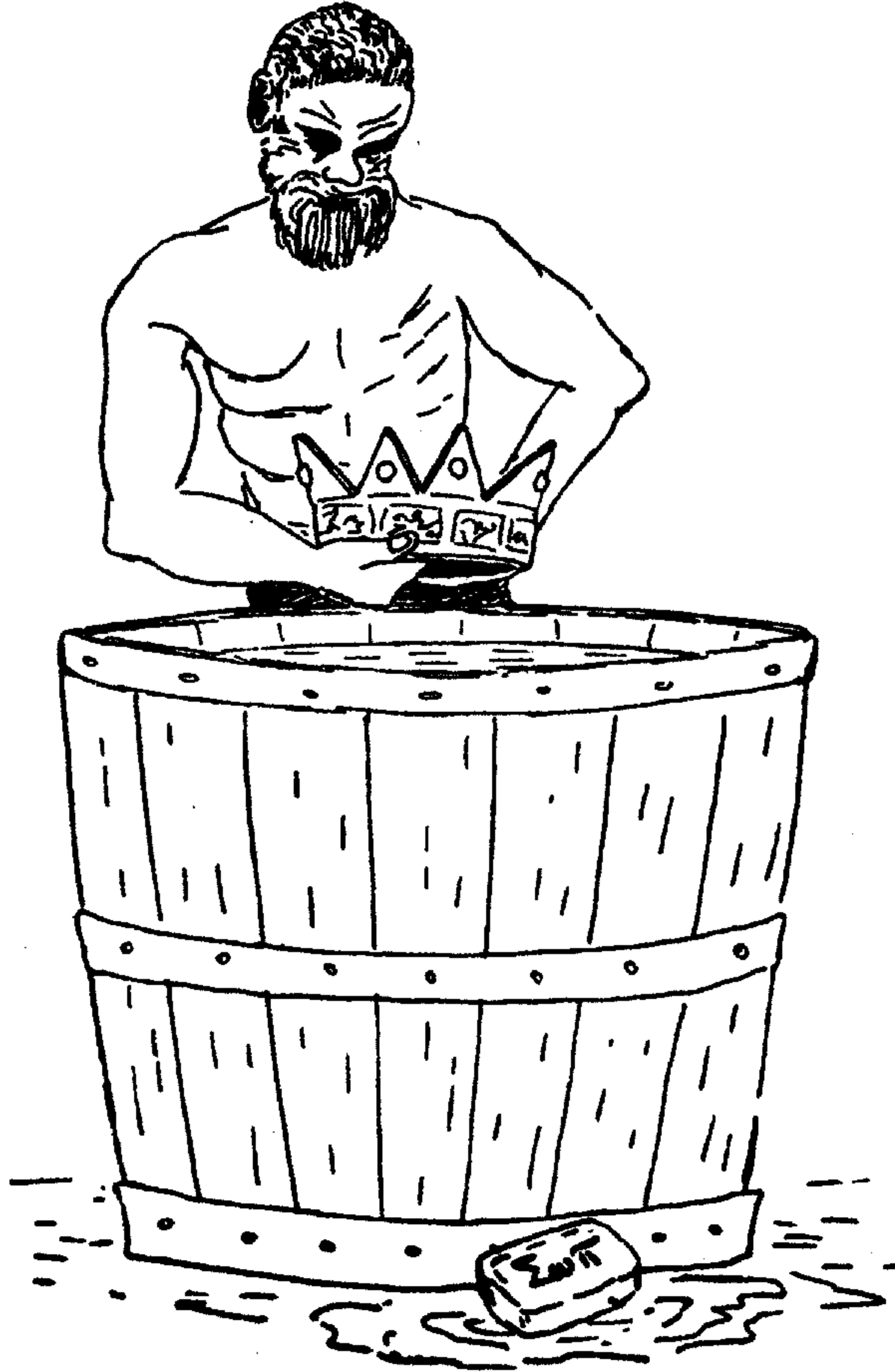
قانون الرافعة لأرشميدس

وثمة إغريق آخر عظيم من العهد القديم ، ظهر بعد مضي نحو قرن بعد أرسطو ، هو أرشميدس (شكل ١ - ٢) ، أبو علوم الميكانيكا ، وقد عاش في سراقوسة حاضرة إحدى مستعمرات الإغريق في صقلية . ولما كان أبوه فلكياً فقد استهوته الرياضة منذ نعومة أظافره وتعلمها حتى حذقها ، ونجح في عمل إضافات وابتكارات قيمة في فروعها المختلفة . وكانت أهم ابتكاراته في ميدان الرياضة البحث اكتشاف العلاقة التي تربط سطح وحجم الكرة بمحيط دائرتها . والحق أنه تبعاً لوصية أوصى بها ميز قبره بعلامة هي عبارة عن كرة أدرجت داخل الأسطوانة . وفي كتابه المسمى « بساميتس Psammites » ابتدع طريقة كتابة الأعداد الكبيرة جداً بأن نسب إلى كل عدد في الصف^(١) مرتبة معينة بحسب وضعه^(٢) ، واستخدم هذه الطريقة في كتابة عدد حبات الرمل التي تحتويها كرة بحجم الأرض . وفي كتابه المشهور « حول تعادل المستويات » - الذي صنفه من جزئين - ابتدع أرشميدس قوانين الرافعة ، وناقش مسألة تعيين مركز ثقل أى جسم معلوم .

(١) أى الصف المكون من أرقام العدد المختلفة ، وتكون المرتبة هنا بمثابة الخانة التي نستعملها الآن . (المترجم) .

(٢) تتضمن الطريقة العشرية التي نستخدمها الآن في توزيع الأرقام على خانات الآحاد والعشرات والمئات ، والألوف . . . (المؤلف) .

إلا أن كتاباته هذه تبدو للقارئ الحديث كأنما صيغت في قالب ثقيل فيه إسهاب وتطويل ، بحيث يحكى من وجهات نظر عديدة منهاج إقليدس وطريقته في كتابة كتبه الهندسية .



شكل (١ - ٢)

أرشميدس والتاج

والحق أنه في عهد أرشميدس كانت الرياضة الإغريقية مقصورة على الهندسة ، أما الجبر فقد ابتدعه العرب بعد ذلك بمدة طويلة ، وعلى هذا الأساس فقد تمت براهين عديدة في ميدان الميكانيكا وفروع الفيزياء الأخرى عن طريق دراسة الأشكال الهندسية بدلا من كتابة معادلاتها الجبرية (كما نفعل الآن) . وكما في « هندسة إقليدس » ، التي طالما كدت فيها وكدح القارئ (أو القارئة) أيام مدرسته (أو مدرستها) ، يصوغ أرشميدس قوانين (الاستاتيكا) (أى دراسة حالات

التعادل) الأساسية ، بأن يحدد لنا « المسلمات ^(١) » ثم يستنتج منها عدداً من « النظريات » . وفيما يلي مطلع الجزء الأول ^(٢) .

١ — الأوزان المتساوية التي على أبعاد متساوية تكون متزنة ، والأوزان المتساوية التي على أبعاد غير متساوية لا تكون متزنة ، ولكنها تميل نحو الوزن الذي يوجد على مسافة أكبر .

٢ — إذا أضيف شيء إلى وزن في مجموعة متزنة موضوعة على أبعاد معينة ، فإن هذه المجموعة تصبح غير متزنة ، وتميل تجاه الوزن الذي حدثت إليه الإضافة .

٣ — وكذلك ، إذا حذف شيء من أي وزن في المجموعة فإنها تصبح غير متزنة ، إلا أنها تميل تجاه الوزن الذي لم يحذف منه شيء .

٤ — إذا انطبق سطحان متساويان ومتشابهان عند مقارنتهما فإن مركزي ثقلهما ينطبقان كذلك .

٥ — يتشابه وضع مركز الثقل في أي شكلين متشابهين وغير متساويين . وإني أعني بالنقط المتشابهة الوضع بالنسبة للأشكال المتشابهة ، تلك النقط التي إذا رسمت منها خطوط مستقيمة لتمر بالزوايا المتساوية ، فإن هذه الخطوط المستقيمة تعمل زوايا متساوية مع الأضلاع المتناظرة .

٦ — إذا اتزن وزنان على بعدين معينين ، فإن أي وزنين آخرين مساويين لهما يتزانان على نفس البعدين (أليس هذا واضحاً وجلياً !)

٧ — في أي شكل مقعر ^(٣) الحدود ينحني مركز ثقله في نفس الاتجاه داخل الشكل .

ويعقب هذه المسلمات خمس عشرة نظرية مشتقة منها عن طريق التطبيق

(١) هي نظائر البديهيات ، إلا أن البديهية قضية بينة بذاتها لا تبرهن ، أما المسلمة فقضية يسلم بها الخصم وتحتاج إلى برهان قد يصعب . (المترجم) .

(٢) سمح بالاستشهاد والنقل في هذا الباب عن أرشميدس ، بلوتارخ وفتروفيس ، وهيرون وبطليموس باذن ناشرى كتاب A source Book in Greek Science ، موريس ر . كوا . ي . داربكن ، Cambridge, Mass مطبعة جامعة هارفارد — مقدمة طبع ١٩٤٨ لرئيس وأعضاء كلية هارفارد ، (المؤلف) .

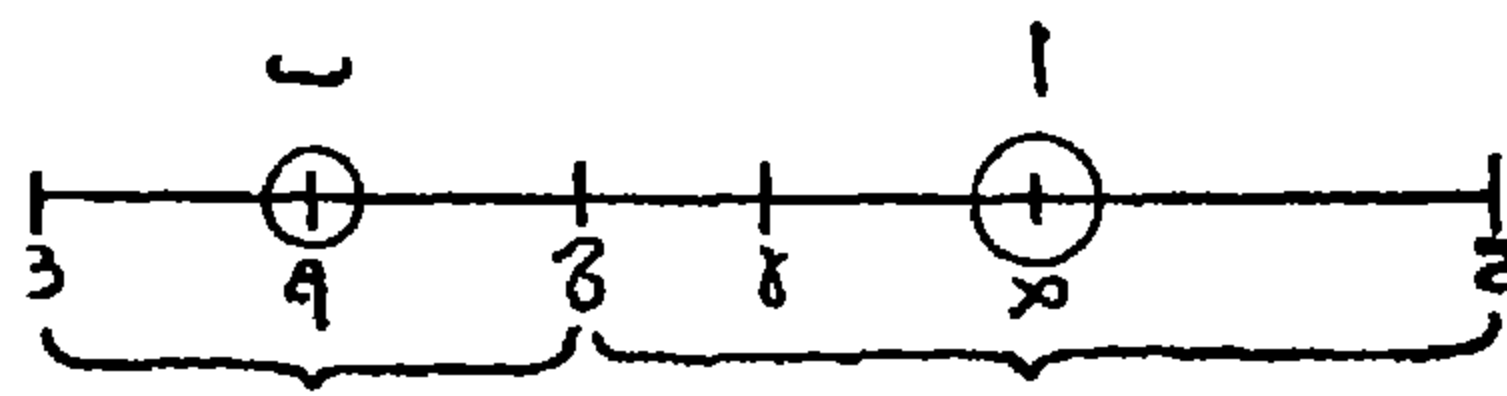
(٣) أي ينحني طرفه إلى الداخل (المترجم) .

المباشر للمنطق ، وفيما يلي النظريات الخمس الأولى ، مع حذف براهينها ، وذكر تفاصيل برهان النظرية السادسة نظراً لأنها تتضمن القانون الأساسي للرافعة .

النظريات :

- ١ - الأوزان التي تتزن على مسافات متساوية تكون متساوية .
- ٢ - عند ما توضع الأوزان غير المتساوية على أبعاد متساوية لا تتزن ولكنها تميل تجاه الأوزان الأكبر
- ٣ - عند ما توضع الأوزان غير المتساوية على أبعاد غير متساوية (يمكن أن تتزن) أو هي قد تتزن فعلاً ، إذا كان الوزن الأكبر قد وضع على بعد أصغر ..
- ٤ - إذا لم يكن لوزنين متساويين نفس مركز الثقل ، فإن مركز ثقل الوزنين معاً هو النقطة الواقعة على منتصف الخط الواصل بين مركزي ثقلهما
- ٥ - إذا وقعت مراكز ثقل ثلاثة أوزان متساوية على خط مستقيم ، وكانت على أبعاد متساوية ، ينطبق مركز ثقل المجموعة على مركز ثقل الوزن الأوسط . ولنعمد الآن إلى بيان برهان النظرية السادسة مع مراعاة تخفيفها شيئاً ما لمصلحة القارئ :

- ٦ - يتزن الوزنان إذا كانا على مسافتين متناسبتين تناسباً عكسياً مع وزنيهما . لنفرض أن النسبة بين الوزنين ١ ، ب هي نسبة يمثلها كسر ^(١) يتكون من عددتين منطقتين ، وأن النقطتين تمثلان مركزي ثقلهما (شكل ١ - ٣) .



شكل (١ - ٣)

برهان أرشميدس لقانون الرافعة

ارسم خطاً مستقيماً $(\beta \alpha)$ لينقسم في النقطة (γ) بحيث تكون :

$$١ : ب = (\gamma \beta) : (\alpha \gamma)$$

(١) ومعنى ذلك أنها نسبة منطقة بحسب الكسر أى بكسر مثل $\frac{٥}{٣}$ أو $\frac{١١٧}{٣٢}$ أو ٠.٠٠٠ (المؤلف) .

وعليها أن نثبت أن γ هي مركز ثقل الوزنين معاً .

وبما أن α ، β منطقتان فذلك يكون المستقيمان $\overline{\alpha\gamma}$ ، $\overline{\beta\gamma}$.

لنفرض أن $\overline{\gamma\epsilon}$ هو مقياس مشترك لكل من $\overline{\alpha\gamma}$ ، $\overline{\beta\gamma}$. نخذ كلا من $\overline{\beta\delta}$ و $\overline{\alpha\epsilon}$ يساوي $\overline{\alpha\gamma}$ ، ثم نخذ $\overline{\alpha\gamma}$ يساوي $\overline{\beta\gamma}$ ، وإذا فإن $\overline{\beta\delta} = \overline{\alpha\epsilon}$. نظراً لأن $\overline{\alpha\gamma} = \overline{\beta\delta}$. وعلى ذلك فإن $\overline{\gamma\delta}$ تنصفه النقطة α ، لأن $\overline{\gamma\delta}$ تنصفه النقطة β .

ومعنى ذلك أن كلا من $\overline{\gamma\delta}$ و $\overline{\alpha\epsilon}$ يلزم أن يتضمن $\overline{\gamma\epsilon}$ مرات عددها زوجي .

وعند ما نأخذ الوزن π بحيث يكون متضمناً في α بنفس عدد المرات التي

يكون بها $\overline{\gamma\epsilon}$ متضمناً في $\overline{\gamma\delta}$ نجد أن :

$$\overline{\gamma\epsilon} : \overline{\gamma\delta} = \pi : 1$$

$$\overline{\beta\delta} : \overline{\alpha\gamma} = 1 : \beta$$

$$\overline{\gamma\delta} : \overline{\alpha\epsilon} =$$

ويستج أن :

$$\overline{\gamma\epsilon} : \overline{\alpha\delta} = \pi : \beta$$

أى أن π يوجد في β بنفس عدد المرات التي يوجد بها $\overline{\gamma\epsilon}$ في δ .

وإذا فإن π هو مقياس مشترك بين α ، β

والآن قسم $\overline{\gamma\delta}$ و $\overline{\alpha\epsilon}$ إلى أجزاء يساوي كل جزء منها $\overline{\gamma\epsilon}$ ، وكذلك قسم كلا من α ، β إلى أجزاء يساوي كل جزء منها π ، فيكون عدد أجزاء α مساوياً عدد أجزاء $\overline{\gamma\delta}$ ، كما يكون عدد أجزاء β مساوياً عدد أجزاء $\overline{\alpha\epsilon}$. ثم ضع جزءاً واحداً من α في منتصف كل من الجزئين $\overline{\gamma\epsilon}$ ، $\overline{\gamma\delta}$ ، وجزءاً واحداً من أجزاء β في منتصف كل من الجزئين $\overline{\gamma\epsilon}$ ، $\overline{\alpha\delta}$ — على النحو الممثل في شكل (١-٣ ب) .

وبناء على ذلك يكون مركز ثقل مجموعة الأجزاء التي ينقسم إليها α عند ما توضع على أبعاد متساوية على $\overline{\gamma\delta}$ هو عند α ، التي هي في منتصف $\overline{\gamma\delta}$ ، كما يكون مركز ثقل الأجزاء التي ينقسم إليها β عند ما توضع على أبعاد متساوية على طول $\overline{\alpha\delta}$ هو عند β التي هي في منتصف $\overline{\alpha\delta}$. ولكن المجموعة من الأجزاء π التي انقسم

* لاحظ أن الرمز : هو علامة النسبة ، كما أن الشرطة العليا تدل على الخط المستقيم . (المترجم) .

إليها الوزنان ١ ، ب معاً هي مجموعة متساوية الأوزان وزوجية العدد ، كما أنها موزعة على أبعاد متساوية على طول $\overline{\delta}$. وبما أن $\overline{\delta} = \overline{a}$ ، $\overline{\beta} = \overline{a}$ ، $\overline{\beta} = \overline{a}$ ، حيث $\overline{\delta} = \overline{a}$ ، $\overline{\delta}$ هي النقطة المنصفة للمستقيم $\overline{\delta}$ ينتج أن δ هي مركز ثقل المجموعة الموزعة على طول $\overline{\delta}$. وإذا فإن ١ التي تعمل من a ، ب التي تعمل عند β تترنان حول النقطة δ .

ويلى هذه النظرية في الترتيب النظرية السابقة التي تبرهن على نفس المنطوق عند ما يكون الوزنان ١ ، ب غير منطقيين (أى أصمين) بحسب النسبة*

وكان لاكتشاف المبدأ الذي تعمل به الرافعة وما تبعه من تطبيقات مختلفة آثار ظاهرة في العالم القديم ، كما يتبين لنا من الوصف الذي ساقه بلوتارخ في كتابه « حياة ماركيلوس » - وهو قائد روماني استولى على سراقوسة (أو سيراكيوز) خلال الحرب البونية الثانية^(١) ، وكان مسئولاً إلى حد ما عن مقتل أرشميدس الذي نجم عن مساهمته في أعمال الدفاع عن المدينة بناء آلات حرب قاهرة . ويقول بلوتارخ في سياق حديثه :

« وكتب أرشميدس إلى هيرون (ملك سراقوسة) ، وكان يمت إليه بالقرابة كما كان صديقاً له ، ينبئه بأنه يستطيع إزاحة أى وزن عن موضعه باستخدام أى قدر من القوة يعطى له . وقد شجعت تجاربه وبراهينه المبنية على أسس متينة ، كما سمعنا فيما بعد ، على المجاهرة بأنه إذا كان هنالك عالم آخر واستطاع الذهاب إليه فإنه يستطيع تحريكه ، ودهش هيرون أيما دهشة ورجاه أن يطبق نظريته ويريه كيف يستطيع تحريك أحد الأوزان العظمى باستخدام قوة صغيرة . وعمد أرشميدس إلى سفينة تجارية من ثلاثة طوابق تابعة للأسطول الملكي كانت قد سحبت تجاه الشاطئ بعد مجهود شاق بذله العديد من الرجال ، وبعد أن ساق إليها نفرّاً من الركاب وملأها بأصناف البضاعة ، وأتم شحنها كالمعتاد ، جلس عن كشب منها ، وفي غير ما جلبة أو ضوضاء شرع يحرك بيديه عدداً من البكرات ، استطاع

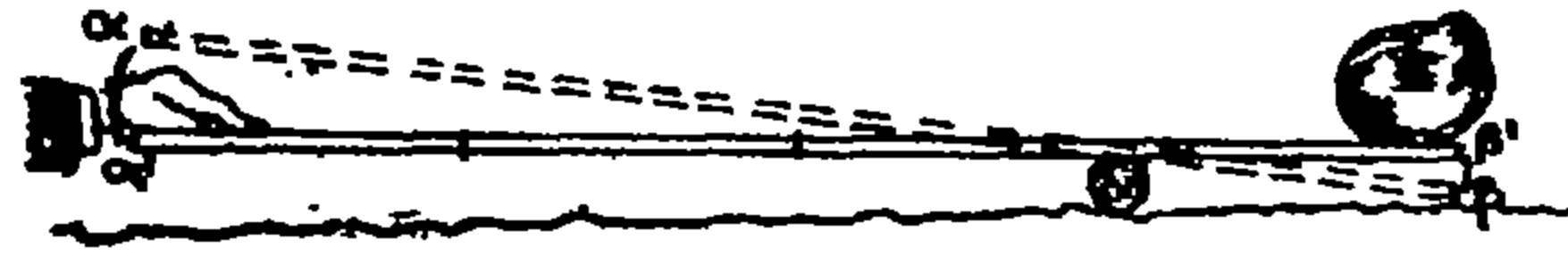
* هي النسبة بين الوزنين التي تعتبر غير منطقة مثل $\sqrt{2}$ (المؤلف) - أى إن العددين غير منطقيين بحسب الكسر المكون منهما - . (المترجم) .
(١) أو حرب قرطاجة (المترجم) .

بوساطتها أن يسحب السفينة نحوه بسهولة تامة — دون أن يبذل مجهوداً يذكر — وكأنما هي تنزلق على سطح الماء وتنساب فوقه انسياباً .

والحق أن مبدأ الرافعة إنما يلعب دوراً هاماً جداً في شتى نواحي الحياة المختلفة من عتلة الفلاح التي يستخدمها ليعبد بها صخرة كبيرة سائبة إلى آلات اليوم المعقدة التي ابتكرتها الهندسة الحديثة . ويهيئ لنا قانون الرافعة الذي صاغه أرشميدس فرصة إدخال فكرة (ميكانيكية) تختص بالآلات على جانب عظيم من الأهمية تتعلق بالشغل الذي تبذله أى قوة في أثناء عملها . فإذا فرضنا مثلاً أن علينا أن نرفع حجراً ثقيلاً — كما في شكل (١ - ٤) باستخدام عتلة النسبة بين ذراعيها هي :

$$\overline{a} : \overline{\beta} = 3 : 1$$

فإننا نستطيع إنجاز هذه المهمة بالضغط على العتلة بقوة تعادل ثلث قوى الجذب التي تؤثر في الحجر .

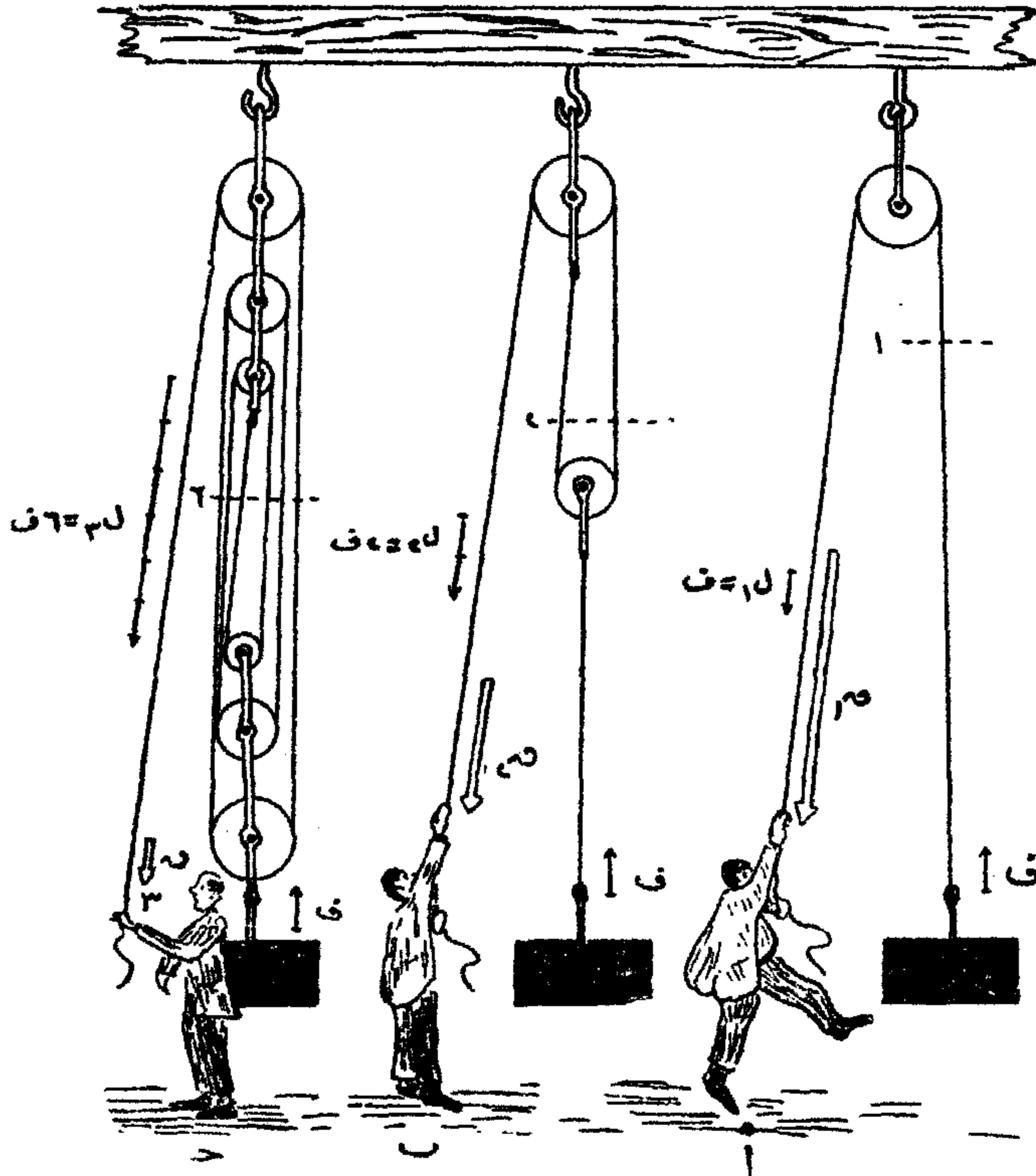


شكل (١ - ٤)

إذا كان طول الذراع الأيسر للرافعة يساوى ثلاثة أمثال طول ذراعها الأيمن فإن حركة الطرف الأيسر (\overline{a}) تبلغ ثلاثة أضعاف حركة الطرف الأيمن ($\overline{\beta}$)

ويتضح من الصورة أنه عند ما يرتفع الحجر مسافة بوصة واحدة مثلاً فوق سطح الأرض ($\overline{\beta}$) ، تنخفض يد الرافعة مسافة ثلاث بوصات (\overline{a}) ، ولذلك نستنتج أن حاصل ضرب القوة التي نضغط بها على اليد في مقدار الإزاحة إلى أسفل يساوى وزن الحجر مضروباً في إزاحته إلى أعلى . ويعرف حاصل ضرب القوة في إزاحة نقطة عملها باسم الشغل الذي تبذله هذه القوة . وعلى ذلك فإنه تبعاً لقانون الرافعة الذي وضعه أرشميدس يكون « مقدار الشغل الذي تبذله اليد في خفض ذراع العتلة الطويل يساوى مقدار الشغل الذي يبذله ذراعها القصير في رفع الحجر » . ويمكن تعميم هذه العبارة بحيث تشمل أو تتضمن أى نوع من أنواع الشغل الآلى (أو الميكانيكى) المبذول ، فأنت تجد مثلاً أن مقدار الشغل الذي

تبذله أجهزة حمل الأثاث في رفع بيانو كبير خلال ثلاثة طوابق يساوى مجموع الشغل الذى يبذل في رفع ثلاثة من مثل هذا البيانو خلال طابق واحد فقط^(١).
 وثمة مجال آخر مماثل يمكن أن يستخدم فيه مبدأ تساوى الشغل المبذول في طرفى الرافعة ، ويتعلق هذا المجال باستعمال « البكرات » التى استعان بها أرشميدس في تحريك السفينة العظيمة الثقيل التى أثار بها دهشة الملك هيرون . فنحن إذا ما عمدنا عند رفع وزن كبير إلى حملة بحبل يجرى حول عجلة مثبتة في قائمة من الخشب على النحو الموضح في شكل (١ - ٥) ، ثم ارتفع الوزن خلال المسافة (ف) التى تساوى طول الحبل (ل) الذى سحبناه ، فإن القوة المستخدمة في شد الحبل (ق) تكون مساوية للوزن تماماً .



شكل (١ - ٥) مبدأ عمل البكرات

(١) ربما لا تصادف هذه العبارة هوى في نفوس محترفي نقل الأثاث ، ويجادلون بأن نقل ثلاثة من أجهزة البيانو هي مسألة تتطلب مجهوداً أكبر خلال ضبط عمليات التخيش أى التحبش ونحوها ، إلا أننا في الحقيقة نتحدث هنا فقط عن الشغل المرتبط فعلاً بعمليات رفع الأجسام الثقيلة . (المؤلف) .

أما إذا استخدمنا عجلتين على النحو الممثل في شكل (١ - ٥ ب) ، فإنه يجب علينا أن نسحب ضعف طول الحبل الذى سحبناه في الحالة الأولى ، وبذلك يلزمنا استخدام قوة تعادل نصف قيمة الوزن فقط .

وعندما يوزع عدد من البكرات على النحو الممثل في شكل (١ - ٥ ج) نجد أن القوة اللازمة لحمل الثقل إنما تعادل سدس قيمة الوزن فقط ، وأن الوزن يرتفع خلال مسافة تساوى سدس الطول المسحوب من الحبل .

قانون الأجسام الطافية لأرشميدس

ربما يكون أروع ما نعرف من كشف أرشميدس قانونه الذى ينصب على نقص أوزان الأجسام المغمورة في السوائل . ويصف لنا قتروفيس^(١) المناسبة التى كانت سبباً في الوصول إلى هذا الكشف بقوله :

وفي حالة أرشميدس ، برغم أنه توصل إلى كشف عديدة رائعة في مجالات مختلفة ، إلا أن من بينها جميعاً يبدو الكشف الذى سأسوقه وأخصه به وليد العبقرية الفذة غير المحدودة . فبعد أن استتب الملك لهيرون في سراقوسة رأى - نتيجة لظفره وتكليل أعماله بالنجاح - أن يهب أحد المعابد تاجاً من الذهب كان قد نذره للآلهة الخالدة ، وتعاقداً لإنجاز صناعته على أجر معلوم ، كما سلم الصانع الذى تعاقد معه وزناً معيناً من الذهب لكى يصنع منه التاج . وفي الوقت المحدد سلم الصانع للملك تحفة فنية رائعة لاشية فيها من صنع يديه ، وكان واضحاً للعيان أن وزن التاج يساوى تماماً وزن الذهب الذى سلمه الملك للصانع ، إلا أنه حدث بعد مضي زمن قليل أن اتهم الصانع باستبدال كمية من الذهب بوزن مكافئ لها من فضة صهرها وأدخلها في صناعة التاج ، وفكر هيرون دون جدوى في تلك الإهانة التى وجهت إليه بالغش والتضليل عليه ، ولما أعجزته الحيل ولم يفتن إلى قرينة يثبت بها جريمة السارق طلب إلى أرشميدس أن يدرس المسألة . وصادف أن ذهب الرجل إلى الحمام وقد شغلت باله هذه المسألة ، وعند ما دلف إلى الحوض

(١) قتروفيس . « حول الهندسة المعمارية » . (المؤلف) .

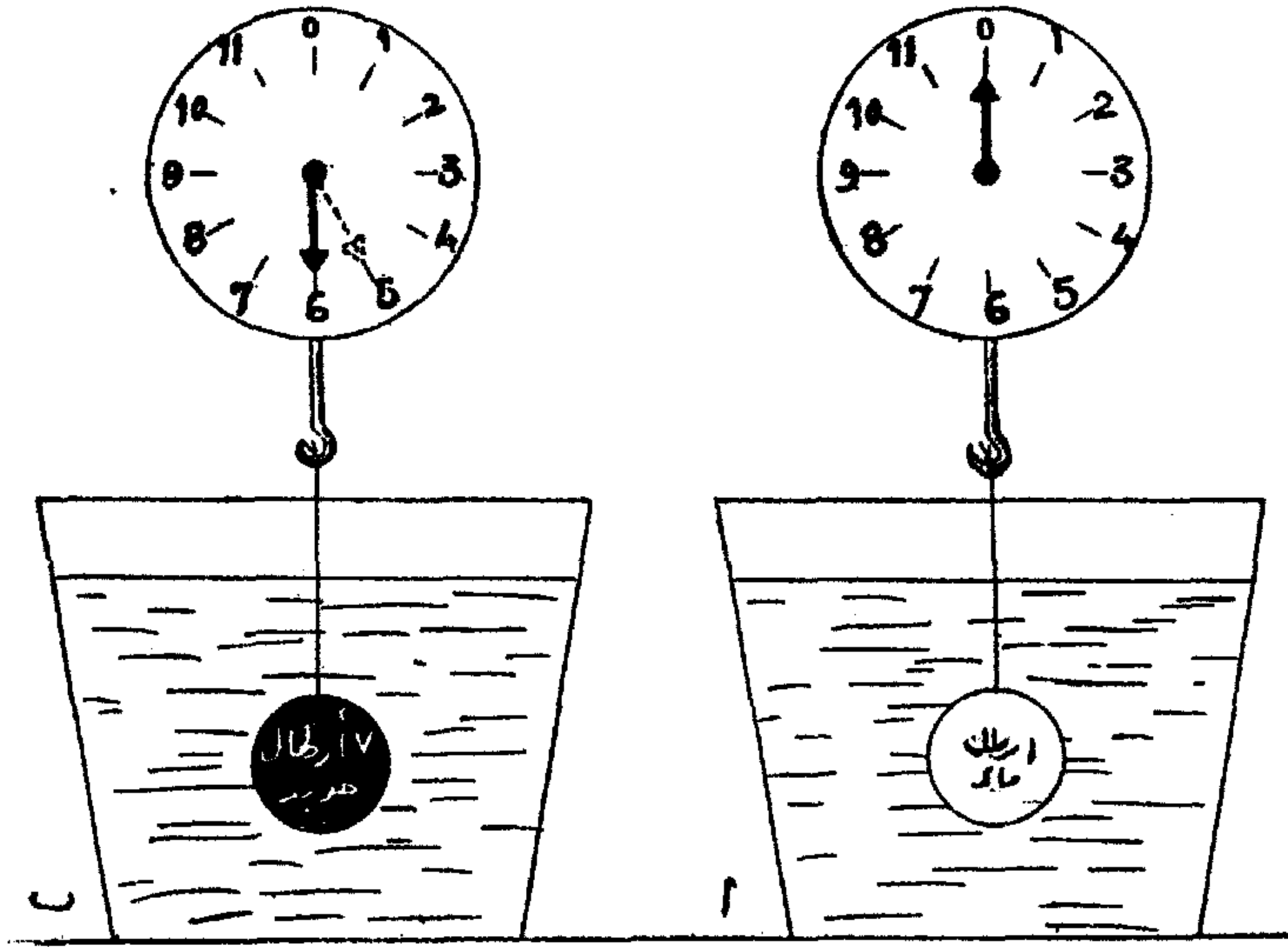
لاحظ أنه كلما غمر فيه جزءاً أكبر من جسده فاض الماء وتدفق من جوانب الحوض ، ولما كان في تتبعه لتلك الظاهرة إلهام وإيحاء إلى الطريقة التي يحل بها المسألة التي شغلت باله فقد قفز من الحوض دون أن يتأخر لحظة واحدة وراح يجري عارياً مرحاً إلى بيته ، وهو يصيح بصوت مرتفع ويعلن أنه وجد ضالته المنشودة ، ومكرراً بالإغريقية قوله : « لقد وجدتها ، لقد وجدتها » .

وإذا اعتبرنا هذا الحادث بمثابة الخطوة الأولى في الوصول إلى اكتشافه ، فالذي يقال إنه أسرع إلى صنع كتلتين تساوى كل منهما وزن التاج ، إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة ، ثم عمد إلى إناء كبير ملاءه بالماء إلى قمته ، وغمر كتلة الفضة فيه . وبطبيعة الحال تدفق مقدار من الماء حجمه يساوى تماماً حجم كتلة الفضة المغمورة ، وبعد ذلك أخرج كتلة الفضة وملاً الإناء من جديد ، مستخدماً علامة عند الحافة ليصل إليها سطح الماء عند الملء في الحالتين . وهكذا حصل على وزن الفضة الذي يعادل حجمه حجم مقدار معين من الماء .

وبعد أن فرغ من إجراء تجربته على هذا النحو أعاد إجرائها على كتلة الذهب ، فلما غمرها في الإناء المملوء إلى العلامة بالماء ثم أخرجها وعين حجم الماء المتدفق ، وجد أن هذا الحجم يقل عن مثيله في الحالة الأولى بكمية تعادل القدر الذي ينقصه حجم كتلة الذهب بالنسبة إلى حجم كتلة مساوية لها من الفضة . وأخيراً ملاً الإناء إلى العلامة مرة ثالثة وغمر فيه التاج ذاته فوجد أن حجم كمية الماء المزاح زادت على حجم الماء المزاح عندما غمر كتلة الذهب المساوية لها في الوزن . وفي ظل تلك الحقيقة التي شاهدها — وهي أن حجم الماء المزاح في حالة التاج يربى ويزيد على حجم الماء المزاح في حالة كتلة الذهب — لاحظ أن التاج قد صنع من خليط من الفضة والذهب ، وهكذا أوضح تماماً سرقة المتعاقد .

ويعتبر البرهان الذي أعطاه أرشميدس لقانونه في كتابه « حول الأجسام الطافية » من البراهين العقيمة إلى حد ما ، ورغم هذا فهو صائب تماماً .

ونحن سوف نسوقه هنا بلغة أكثر حداثة لدراسة ما يحدث عند ما تغمر كرة معدنية صلبة في إناء به ماء (شكل ٦ — ١) — لنفرض أننا بدلاً من أن نبدأ بكرة من الحديد نغمر مثلاً كرة من (البلاستيك) الرقيق ، ونملؤها بالماء بحيث يكون قطرها



شكل (١ - ٦)

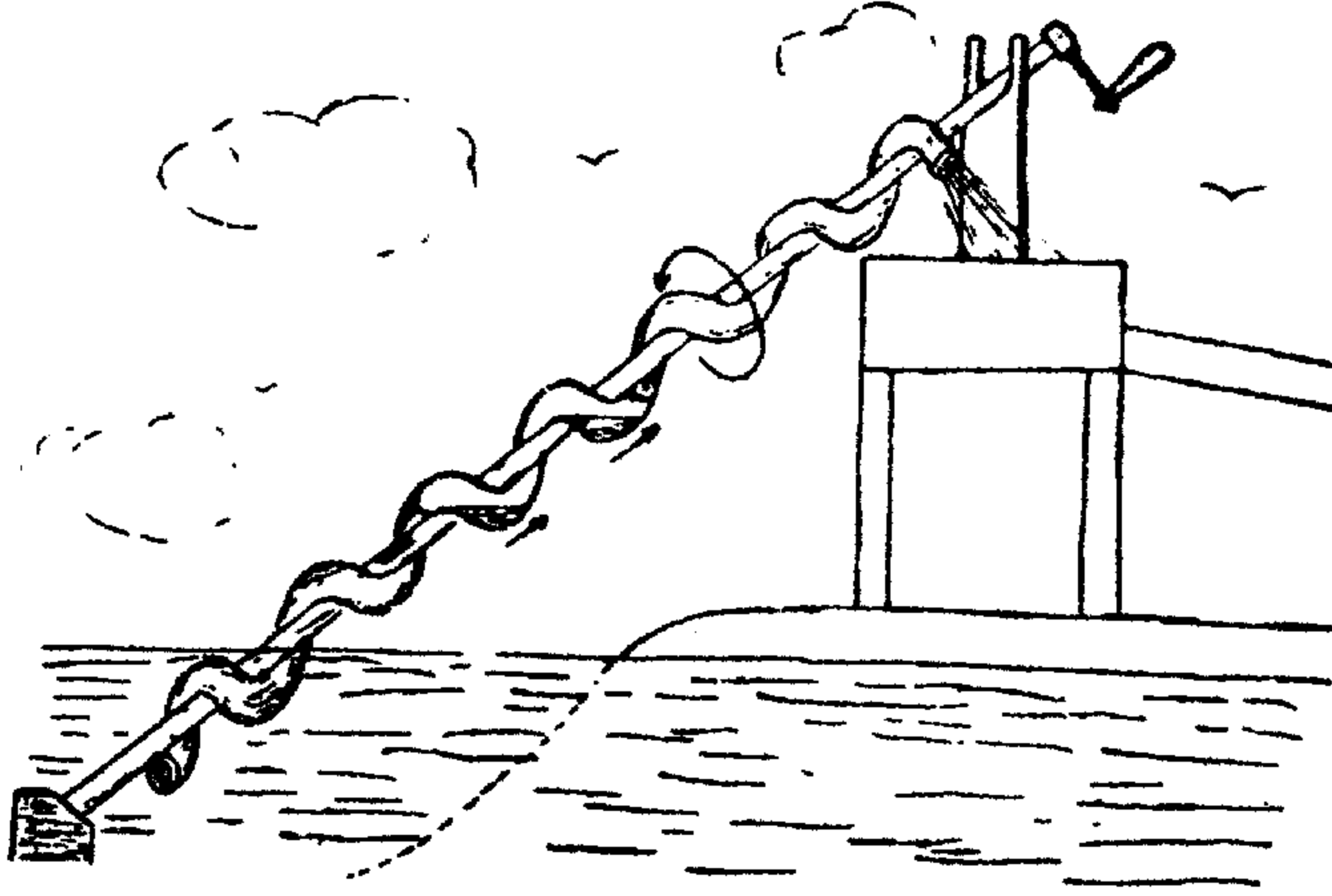
برهنة قانون أرشميدس للأجسام الطافية

مساوياً تماماً لقطر كرة الحديد - شكل (١ - ٦) - ، فبما أن وزن قشرة (البلاستيك) يمكن تجاهله ، يتمخض هذا الوضع عن مجرد اعتبار الماء الذي بالكرة جزءاً لا يتجزأ من الماء الذي بالإناء ، وعلى ذلك تكون قراءة المقياس^(١) هي الصفر . والآن لنبدل الماء الذي بالقشرة بالحديد - شكل (١ - ٦ ب) الذي يعادل ثقله سبعة أضعاف ثقل الحجم الذي يساويه من الماء . فبما أن رطلاً واحداً من الماء يكون محمولاً بباقي الماء الذي بالإناء وليعطى قراءة تساوى الصفر ، فإن إبدال الماء بالحديد سوف يضيف فقط $7 - 1 = 6$ أرطال إضافية ، وهذا هو عين ما يقرأه المقياس في هذه الحالة . وعلى ذلك نستنتج أن كرة الحديد التي تزن (في الهواء) سبعة أرطال إنما تفقد من وزنها رطلاً واحداً عند ما تغمر في الماء ، وهو وزن الماء الذي تزيحه . وهذا هو قانون أرشميدس الذي يقول : أى جسم مغمور في سائل يقل وزنه بمقدار وزن السائل الذي يزيحه الجسم .

(١) الذي يعين الوزن - (المترجم) .

أرشميدس المستشار الحربى

وفوق أن أرشميدس كان رياضياً عظيماً ومؤسساً لعلم الميكانيكا ، فقد عمل كذلك — على حد تعبيرنا الحديث — « مستشاراً » للصناعة والقوات المسلحة . وخير ما عرف من اختراعاته الهندسية الجهاز المعروف باسم « لولب أرشميدس » المبين فى شكل (١ - ٧) ، وهو يستعمل فى رفع المياه . ويلوح أن هذه الطريقة كانت تستخدم على نطاق واسع فى أعمال الري ، وكذلك فى نزع المياه الجوفية من المناجم .



(شكل ١ - ٧)

لولب أرشميدس الذى يرفع المياه بمجرد إدارته . ولكى تفهم طريقة عمله تصور ما يحدث للأجزاء السفلى من الأنبوبة عند ما تلف ، فإنك تجد اتجاه تحركها إلى أعلى ، أى أن الأنبوبة ذاتها لا تصعد ، ولكن الذى يصعد هو أوضاع نهاياتها السفلى التى تحمل المياه . ويا حبذا لو صنعت لولبا من سلك معدنى مثلاً وشاهدت ما يحدث عند ما تديره حول محوره .

والظاهر أن اشتراك أرشميدس فى شؤون الحرب بدأ منذ قام بعرض الرافعة أمام الملك هيرون ، كما يتضح من الوصف الروائى لبلوتارخ فى « حياة ماركيلوس » إذ يقول :

وعندما أذهلت هيرون هذه التجربة ، وأكبر قوة فنه ، أقنع أرشميدس ليجهز له آلات للهجوم والدفاع تستخدم فى حالات الحصار الحربى ، إلا أن الرجل لم يستعملها بنفسه ، لأنه أمضى أغلب حياته فى التخلص من أوزار الحرب

والتمتع بأفراح وأعياد السلام . ولكن في هذا الوقت يعطى جهازه لأهل سراقوسة مركزاً فريداً ، ويقف بجانب الجهاز صانعه .

ذلك أنه عند ما هاجمهم الرومانيون من البحر والبر أخذ أهل سراقوسة ولم يحركوا ساكناً من الرعب ، فقد خيل لهم أنه ليس ثمة ما يستطيع مقاومة مثل هذا الهجوم الغاشم بمثل تلك القوات الساحقة ، إلا أن أرشميدس هرع إلى آلاته يستخدمها فأمطر القوات المهاجمة من الأرض بمختلف أنواع القذائف ، وبكتل هائلة من الحجارة التي كانت تنقض بسرعة خارقة وسط جلبة وضوضاء تفوقان حدود الوصف والخيال . ولم يكن ثمة ما يقاوم أوزانها ، فحطمت جحافل الذين اعترضوا سبيلها ، وأوقعت بين صفوف المهاجمين الاضطراب . وفي نفس الوقت كانت أعمدة الخشب الضخمة تقذف على السفن فجأة من الأسوار فلا تكاد يغرق بعضها حتى تنقض عليها أوزان ضخمة كانت تهوى من ارتفاع عظيم ، وأمسكت سفن أخرى من مقدمتها بمخالب من حديد أو مقابض تحكى مقابض آلات الرفع (الونش) ، وصعدت في الهواء ، ثم نكست في اليم لتغوص فيه وتتساق بمؤخراتها إلى أعماقه ، أو هي تركت تلف وتدور ، بمحركات في المدينة لكي ترتطم برصيف البحر العميق الذي يبرز تحت أسوارها ، فيحل بمن فيها من محاربين الويل والدمار عند ما تتحطم السفن تحت الأسوار .

وكثيراً ما كانت تنتشل السفينة من سطح البحر وترفع إلى منتصف المسافة في الهواء لترنح هنا وهناك وهي معلقة في منظر مخيف مرعب حتى يتساقط من فيها متناثرين في كل مكان . ثم تهوى السفينة فارغة على الأسوار أو تنزلق من المخلب الذي بمسكنها . أما الآلة التي كان يعدها مارسيلوس على متن السفن ، والتي كان يقال لها « سامبوكا » لشبهه في الشكل بين مقدمتها وآلة موسيقية كانت تسمى بهذا الاسم ، فقد صوب نحوها حجر يزن عشرة « تلت » عند ما اقتربت من السور وتبعه حجر ثان وثالث ، وقع بعضها عليها محدثاً دويّاً هائلاً وموجاً عالياً ومحطماً أساس الآلة حتى أصبحت أثراً بعد عين ، مما حدا بماركيلوس إلى إصدار الأمر إلى سفنه بالتجمع والعودة على جناح السرعة . وإلى قواته البرية بالتراجع .

* وتسمى كذلك طلنط وتلانن ، وهي وحدة وزن قديمة تعادل نحو ٥٧ رطلا . (المترجم) .

واجتمع مجلس الحرب ، وقرر محاولة إعادة الهجوم من جديد تحت الأسوار ، والليل لا يزال يرخى سدوله ، فلعل حبال آلات أرشميدس التي حملت تلك القذائف الثقيلة ، وأكسبتها طاقات دافعة عظيمة لا تجد سييلا للعمل عن كسب عند ما ترسل فوق رؤوسهم عن قرب ، إلا أن أرشميدس كان ، كما تبين ، قد أعد العدة من قبل واستعد لمثل هذه الطوارئ بآلات معدة للعمل على أى مدى وبقذائف قصيرة المدى ، وذلك خلال فتحات في السور عديدة ومتجاورة ، وكان من اليسير سحب تلك الآلات قصيرة المدى ، وهى المسماة باسم « العقارب » ، لاستخدامها فى قذف كل ما يتوافر محلياً من أجسام ، دون أن يلحظها العدو .

وعلى ذلك ، لما اكتمل جمع الرومانيين تحت الأسوار ، ونخيل إليهم أنهم لم يرههم أحد ، دهمتهم مرة أخرى عاصفة هوجاء من القذائف ، هوت خلالها الحجارة الضخمة فوق رؤوسهم من اتجاه رأسى تقريباً ، كما أمطروهم السور وابلا من السهام التي كانت تنقض من كل مكان فيه ، مما حملهم على التراجع مدحورين ، ومرة أخرى لم تكد جموعهم تبتعد قليلا حتى تساقطت من فوقها القذائف فحطمت عدداً وفيراً من سفنهم دفعة واحدة . وهكذا لم يستطيعوا بحال من الأحوال الأخذ بالثأر من عدوهم . وكيف لا يكون الأمر كذلك ، وقد بنى أرشميدس أغلب آلاته غير بعيد خلف السور ، مما حمل الرومانيين على الاعتقاد بأنهم إنما كانوا يحاربون الآلهة التي دأبت على إمطارهم بعدد لا يحصى من القذائف التي تجلبها من مصدر خفى .

وعلى أية حال فقد نجح ماركيلوس فى الهرب ، وراح يمزح مع صناعه ومهندسيه بقوله : « فلنكف عن قتال هذا العملاق الهندسى الذى يجعل من سفننا أكواباً يغرف بها ماء البحر ، ويضرب سمبوكتنا ويقضى عليها ليلحق بنا العار . » والذى تفوق مقدرته جبايرة الأساطير والأحاجى من ذوى المائة الذراع ، إذ يمحطنا بوابل من القذائف دفعة واحدة . » والحق يقال : لم يكن باقى أهل سراقوسة إلا مجرد جسد يخضع لتصميمات وتعليمات أرشميدس الذى انفراد بتصريف جميع الأمور كيفما شاء ، خصوصاً بعد أن أصبحت كل الأسلحة الأخرى تافهة لا قيمة لها .

وفى النهاية بلغ ذعر الزومانيين درجة جعلتهم يرتعدون خوفاً كلما أبصروا

قطعة من جبل أو عصا من خشب بارزة من على السور، ويصيحون: «ها هي ذى، إن أرشميدس يجرب علينا بعض آلاته» ثم يواون الأدبار لا يلوون على شيء!! وعندما وجدهم ماركيلوس على هذه الحال كف عن القتال وأقلع عن الهجوم تماماً معتمداً على الحصار طويل الأمد.

وبعد مضي عامين من الحصار، عندما احتلت الفرق الرومانية سراقوسه سنة ٢١٢ قبل الميلاد، قصدت فصيلة من الجنود الرومانيين بيت أرشميدس، فألفت الرجل في الفناء الخلفي للبيت، منكباً على رسم بعض الأشكال الهندسية المعقدة فوق الرمل. ولم يكد أحد الجنود يحطم جانباً منها بقدميه حتى نهره أرشميدس قائلاً بلغته اللاتينية الركيكة: نولي تانجير سيركولس ميوس Noli tangere circulos meos أى: «لا تمس رسومي!»، فلم يكن من الجندي إلا أن أغمد حربته في جسم الفيلسوف الهرم.

وعند ما كان شيشرون أميناً لبيت المال في صقلية عام ١٣٧ قبل الميلاد، عثر على قبر أرشميدس بجوار بوابة الأجر يجتتين وقد تراكم عليه الحسك والشوك، وتكدست فوقه توابيت الموتى، وهنا يقول شيشرون: «فهل كانت أشهر مدن اليونان هذه وأعرقها علماً ستظل تجهل قبر أعظم أبنائها عبقرية ما لم يكن قد كشفه وأماط اللثام عن مكانه رجل من آرينم؟».

مدرسة الإسكندرية

عندما انهارت قوى أثينا السياسية والاقتصادية انتقل مركز الثقافة الإغريقية إلى الإسكندرية التي كان قد أنشأها الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد على الساحل المصري للبحر المتوسط، لتكون بمثابة مفتاح التجارة بين أوروبا والشرق. وخلال تلك الفترة كانت الإسكندرية قد تطورت إلى مدينة رائعة بها «٤,٠٠٠ قصر، ٤,٠٠٠ حمام، ١٢,٠٠٠ بستانى، ٤٠,٠٠٠ يهودى من دافعى الجزية، ٤٠٠ مسرح، إلى جانب أماكن أخرى عديدة للهو والتسلية». وكان مما تباهى به المدينة كذلك جامعتها التي آلت إليها القيادة العلمية، إلى جانب

مكتبة ضخمة شاء حظها العاثر أن تدمرها النيران فيما بعد إبان حريق الإسكندرية الكبير الذى كان نتيجة لأمر يوليوس قيصر بحرق الأسطول المصرى الرابض فى ميناء الإسكندرية . وهنا كتب إقليدس كتابه المعروف « مبادئ الهندسة » ، كما تتلمذ أرشميدس كطالب صغير من سراقوسة .

وفى مجال علم الفلك ظهر فى الإسكندرية هيبارخوس^(١) ، الذى عاش خلال منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . وقد توصل هيبارخوس فى ذلك الوقت إلى رصد النجوم بدقة بلغت أكبر درجة توافرت فى عصره ، كما جمع قائمة لمجموعة من النجوم بلغ عددها ١٠٨٠ نجماً .

ولا يزال الفلكيون فى عصرنا هذا يستخدمون تلك القائمة كمصدر يرجعون إليه عند البحث والتنقيب فيما جمع الأقدمون من بيانات خاصة بمواقع النجوم . واكتشف هيبارخوس كذلك ظاهرة « هزة الاعتدالين » ، وهما نقطتان على الكرة السماوية تعبر عندهما الشمس خط الاستواء السماوى خلال حركتها السنوية بين النجوم . ويرجع أساس هذه الظاهرة (أو الهزة) إلى أنه لما كان محور دوران الأرض يميل إلى مستوى فلكها ، فإن هذا المحور يرسم مخروطاً فى الفضاء حول الخط العمودى على المسار ، ويبلغ زمن دورته الكاماة^(٢) ٢٦ ألف سنة . والحق أنه لم يعرف سبب هذه الحركة إلا بعد عهد هيبارخوس بنحو ألف سنة ، على يد السير إسحق نيوتن .

أما فى حقل علوم الفيزياء فقد مثل هيرون (أو هيرو) مدرسة الإسكندرية ، إلا أنه كان مخترعاً هندسياً أكثر منه فيزيائياً . ويحتوى كتابه « الميكانيكا » ، على عبارات وموضوعات عديدة وصحيحة ، إلى جانب العديد من الأخطاء الرياضية الفاحشة .

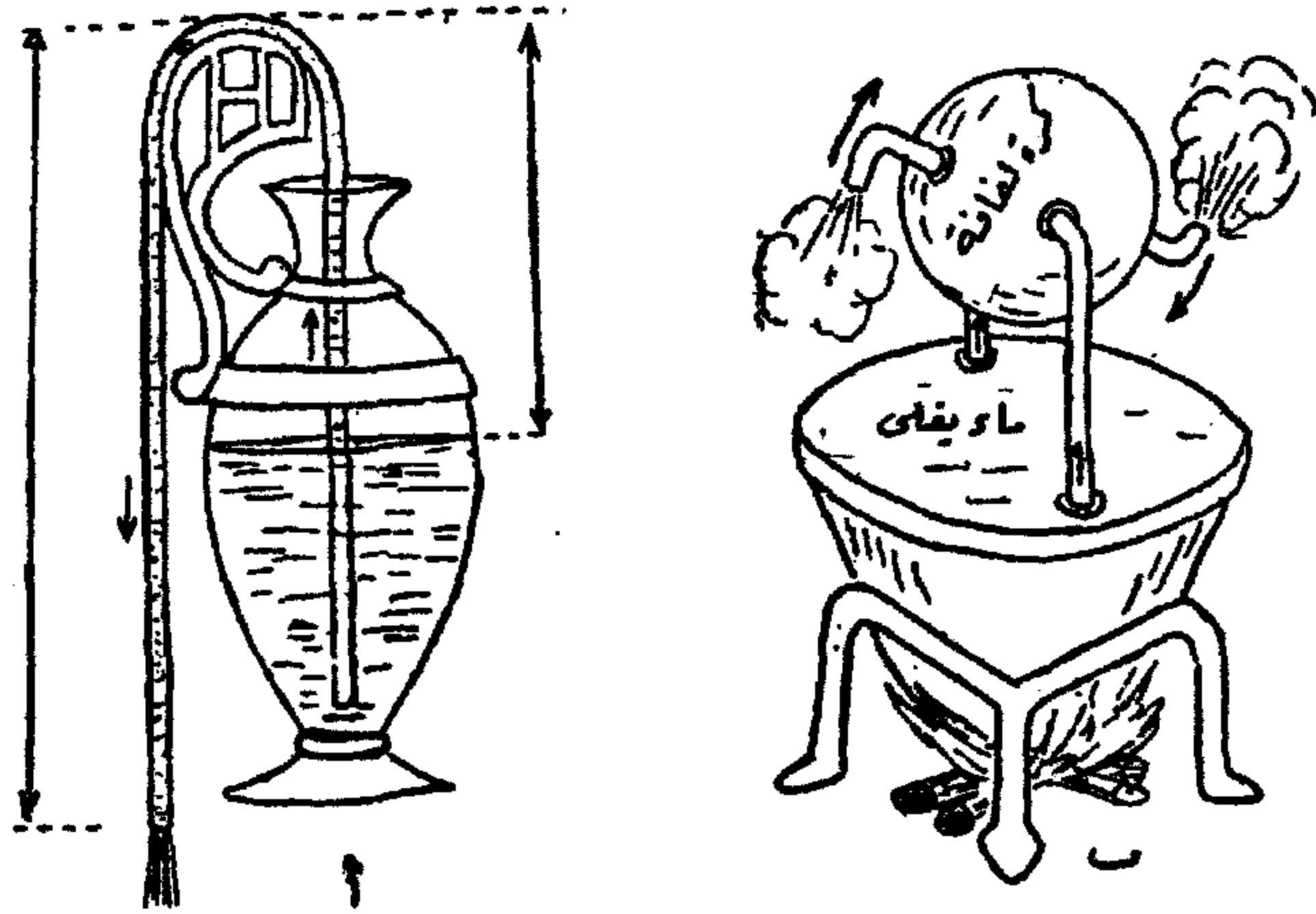
وعلى الرغم من العيوب الرياضية التى عالج بها هيرون المسائل الأساسية ، فإن كتابه فى علم الميكانيكا يتضمن أوصاف عدد وفير من الآلات المفيدة ، مثل

(١) حدد كثيراً من الأبعاد المستخدمة فى علم الفلك اليوم بدقة تامة . ومن أمثلة ذلك أطوال السنين المدارية والكوكبية ، وأطوال الشهور المختلفة ، وميل محور الأرض ، ومسار القمر . ويعتبر هيبارخوس أول من أقام علم الفلك على أسس هندسية سليمة . (المترجم) .

(٢) أى الزمن الذى يتم فيه رسم المخروط الكامل (المترجم) .

البكرات المركبة ، وأنواع مختلفة من التروس ، وتركيبات متباينة من العجلات المستننة . . . إلخ . وفي كتابه الذى عالج فيه الخواص الميكانيكية « للمواد السيالة »^(١) نجده يصف المبدأ الذى يعمل به المشنّن (السيفون) — شكل (١ — ١٨) — ، وكذلك آلة بخارية نفّاثة — شكل (١ — ٨ ب) ، وهى لشبه بينها وبين « الرشاش » العادى ، يمكن أن تعتبر على أية حال بمثابة البشير الأول للمحركات النفّاثة الحديثة .

وكتب هيرون كذلك مؤلفاً أسماه « كاتوپتركس Catoptrics » أو الانعكاس ، ضمنه نظرية المرايا وطرق استعمالها الرئيسية . وتقرأ فى هذا الكتاب قوله : « من الواضح أن الانعكاس علم جدير بالدراسة ، وهو فى نفس الوقت ينتج النظارات التى تثير عجب المبصر بها وفضوله . فبوساطة هذا العلم ، تصنع المرايا التى تظهر الجانب الأيمن كجانب أيسر ، وكذلك الجانب الأيسر كذلك ، على حين نجد للمرايا العادية بطبيعتها خاصية مضادة إذ تبدى الجوانب معكوسة .



شكل (١ — ٨)

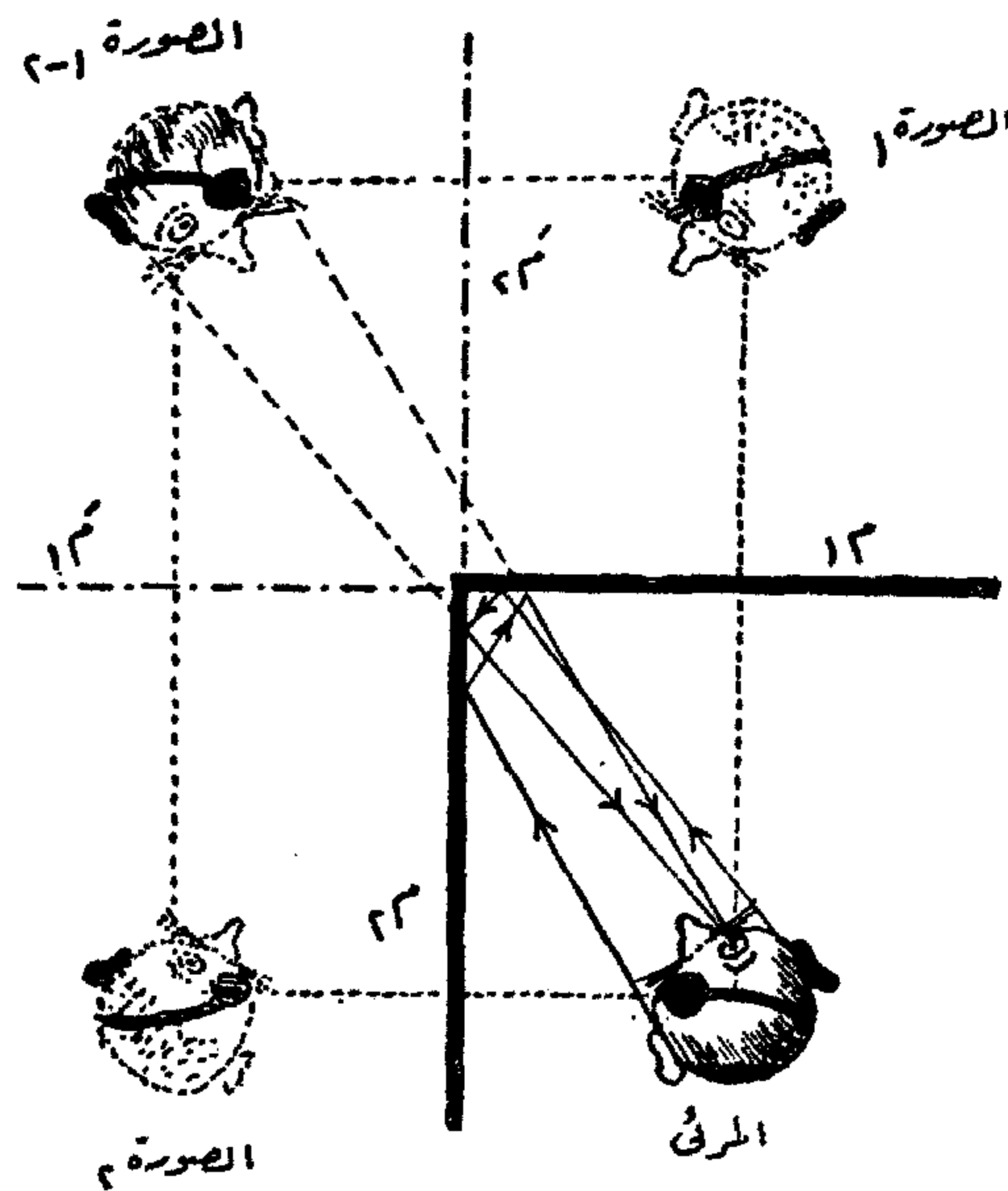
يمثل الشكل جهازين اخترعهما هيرون : (١) = السيفون الذى يسمح بتدفق الماء من وعاء تلقائياً خلال أنبوبة ملتوية . ويرجع سبب تحرك الماء خلال الأنبوبة إلى أن وزن الموجود منه فى طرفها الأيسر الطويل أكبر من وزن الماء الموجود فى طرفها الأيمن ، الذى يمتد أساساً من سطح الماء فى الوعاء إلى قمة الأنبوبة . (ب) = آلة هيرون البخارية النفّاثة ، وفيها تلف الكرة بسبب انبثاق البخار المقبل من الخرطوم .

(١) كالهواء والغازات والسوائل (المترجم) .

ويتم ذلك بوضع مرآتين لا إطار لهما ، بحيث تنطبق حافتاهما وتتعامد المرآتان على النحو الممثل في شكل (١ - ٩) .

ومن الممكن باستخدام المرايا أن نرى ظهورنا (على نحو ما يريك الحلاق طريقة قصه لشعر الرقبة من الخلف) ، وكذلك أن نبصر أنفسنا في وضع مقلوب ، واقفين على رؤوسنا ، ولنا ثلاث أعين وأنفان ، وقد يتشوه منظرنا فنبدو وكأننا في حالة حزن عميق (كما هو الحال في مرايا سرادقات حدائق الملاهي) .

ثم من منا لا يوافق أنه من المفيد حقاً أن يصبح في مقدورنا أن نرقب أو نرصده ، عندما تتاح الفرصة ، ونحن في بيوتنا ، عدد المارة في الشارع وما يمارسون من أعمال ؟ وتدل العبارة الآتية دلالة واضحة على وجهة نظره يرون فيما يتعلق بطبيعة الضوء : والغالب أن أكثر من كتبوا عن انكسار الضوء كانوا يشكون في سبب انعكاس الأشعة الخارجة من أعيننا وارتدادها بوساطة المرايا ، وكذلك في تعليل حدوث



شكل (١ - ٩)

عند ما ننظر إلى مرآة مركبة ، مكونة من مرآتين مستويتين م ١ ، م ٢ موضوعتين بحيث تنطبق حافتاهما وتكونان متعامدتين ، يرى الناظر صورته مزدوجة الانعكاس : فهو أولاً يرى صورته في المرآة م ١ ، ثم يراها معكوسة في الامتداد التقديرى م ١ للمرآة م ٢ ، ثم في الامتداد التقديرى م ١ للمرآة م ٢ . وينجم عن هذا الانعكاس المزدوج أن يظل الجانب الأيمن على حاله جهة اليمين والجانب الأيسر على حاله جهة اليسار . وتمثل الخطوط المتصلة المسارات الفعلية لأشعة الضوء .

الانعكاسات بزوايا متساوية . والآن يمكن التدليل على النظرية القائلة بأن بصرنا إنما يتجه في خطوط مستقيمة تنبثق عن عضو الإبصار ، وذلك على النحو الآتي :

كل متحرك بسرعة منتظمة يسير في خط مستقيم . ويمكن اعتبار الأسهم التي نبصرها تنطلق من أقواسها كمثال لهذه النظرية . فتحت تأثير قوة الدفع يحاول الجسم المتحرك السير على أقصر مسافة ممكنة ، ولا يتاح له الوقت الكافي لحركة أبطأ ، أى للانطلاق في مسار أكثر طولاً ؛ إذ لا تسمح قوة الدفع بمثل هذا التخلف . وهكذا نجد أنه تحت تأثير عامل السرعة يأخذ الجسم في أثناء سيره أقصر مسار ، إلا أن الخط المستقيم هو أقصر الخطوط الموصلة بين نقطتين . ونحن نستطيع أن نستنتج أن الأشعة المنبعثة من أعيننا إنما تنطلق بسرعة لا نهائية من المثال الآتي :

عندما نفتتح أعيننا بعد أن كانت مغلقة ، وننظر إلى السماء ، نجد أن أشعة الإبصار لا تعوزها فترة زمنية لتدرك السماء . فليس من شك أننا نرى النجوم بمجرد تسليط نظرنا عليها ، رغم أن المسافة بينها وبيننا هي كما نعلم ما لا نهاية مثلاً . وحتى إذا ما زادت مسافاتها عن ذلك فإن النتيجة واحدة ، مما يدل دلالة واضحة على أن الأشعة إنما تنبعث بسرعة غير محدودة تحول دون خضوعها للتقطع أو الانحناء أو الانكسار ، فتنتطلق على طول أقصر مسار ، وهو الخط المستقيم .

وتكشف لنا هذه الفقرة حقيقة مسلية ، وهي أن اعتقاد هيرون ، وكذلك جميع معاصريه على ما يبدو ، أن الإبصار هو نتيجة انبعاث بعض الأشعة من العين وارتدادها أو انعكاسها بالجسم المرئي ، إنما هي فكرة تقوم على نفس المبدأ الذي يعمل به رادار اليوم .

ومن بين عظماء الإسكندرية الفلكي كلوديوس بطليموس (لا دخل له بأعضاء أسرة البطالمة المالكة التي حكمت مصر أعواماً عديدة قبل عصر المسيحية) ، الذي عاش واشتغل خلال النصف الأول من القرن الثاني بعد الميلاد . وتمثل أرصاد بطليموس الخاصة بالنجوم والكواكب ، التي أتم جمعها في كتابه المعروف باسم « المجسطى Almagest »^(١) جانباً عظيماً من الإضافات على أرصاد هيبارخوس الذي سبقه بقرنين ونصف قرن . ويتضمن كتابه « علم الضوء » أو « البصريات » أهم

(١) موسوعة فلكية تشمل كذلك كل ما جاء في الفلك عند الإغريق (المترجم) .

إضافاته وابتكاراته في مجال الفيزياء، وقد توصل إليه الأوروبيون عن طريق الترجمة اللاتينية للنسخة العربية البكر التي فقدت والتي كانت منقولة عن الأصل الإغريقي .
ويناقش بطليموس في كتابه هذا ، إلى جانب مسائل أخرى ، الموضوع الهام لانكسار الضوء عندما ينفذ من وسط إلى آخر ، فيقول :

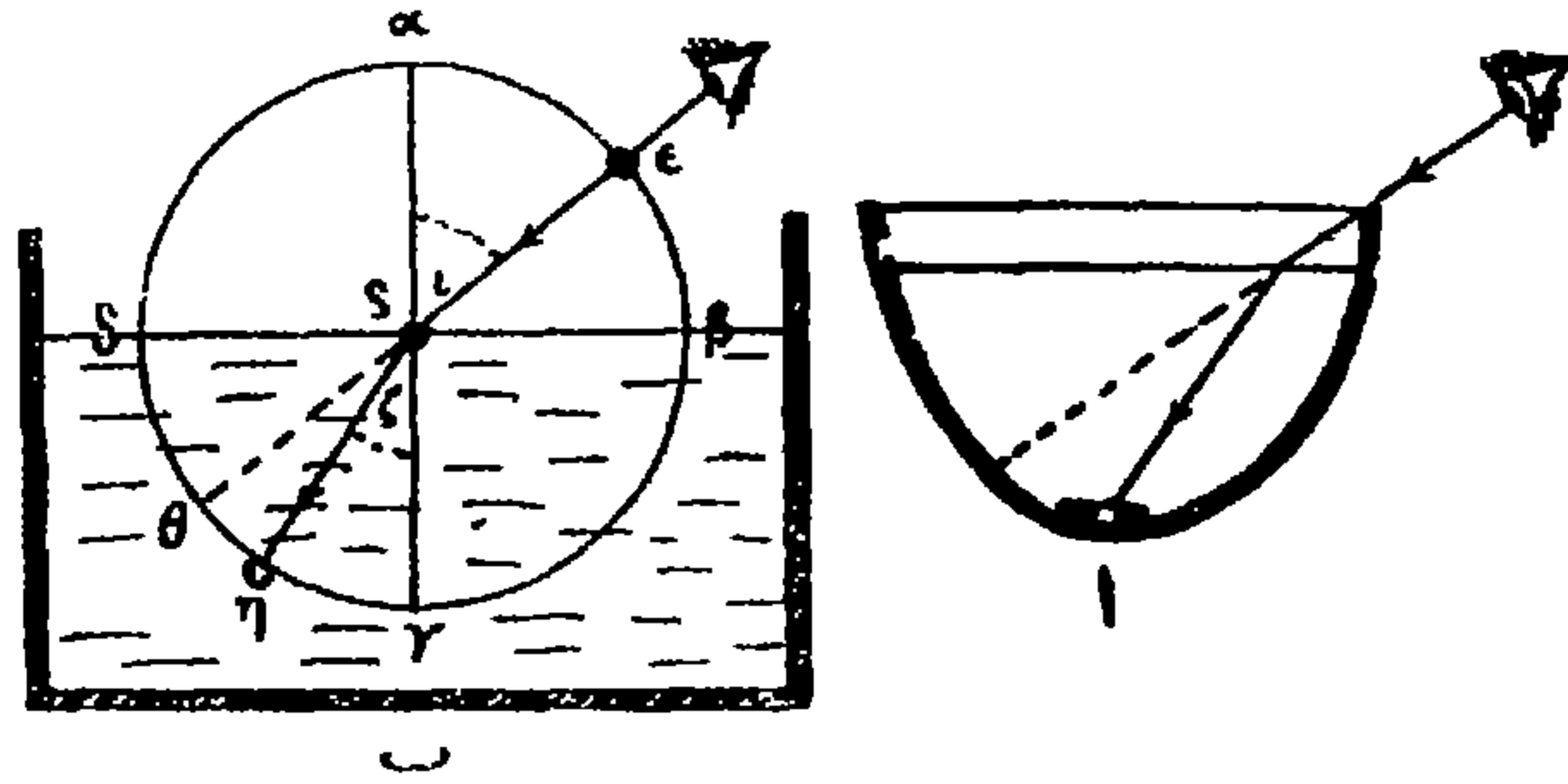
ويمكن تغيير أشعة الإبصار بطريقتين : بوساطة الانعكاس ، أى الارتداد من الأجسام المسماة بالمرايا ، وهى التى لا تسمح للأشعة بالنفاذ ، ثم بوساطة الانحناء (أى الانكسار) فى حالة الأوساط التى تسمح بمرور الأشعة ، وتوجد بينهما صفة مشتركة (الأجسام الشفافة) ، وذلك لأن فى إمكان أشعة الإبصار اختراقها أو النفاذ خلالها .

وهو يعمد إلى تمثيل ظاهرة الانكسار بالتجربة البسيطة الآتية ، التى يضع فيها قطعة من النقود فى قاع وعاء مملوء بالماء ، يقال له : « جهاز التعميد » أو « التنصير »^(١) شكل (١ - ١٠) .

لفرض أن وضع العين هو بحيث يكاد يمس شعاع الإبصار المنبعث منها حافة جهاز التعميد ويصل إلى نقطة أعلى من قطعة النقود . فإذا ما تركنا القطعة فى مكانها ثم صببنا بعض الماء بلطف فى الجهاز حتى ينحن الشعاع الذى يكاد يمر فوق الحافة ويسير متجهاً إلى أسفل ثم يسقط على قطعة النقود ، تكون النتيجة أن الجسم الذى لم يكن مرئياً من قبل يصبح منظوراً على طول الخط المستقيم الممتد من العين إلى النقطة التى تعلو الوضع الحقيقى للجسم . والآن لن يفترض الناظر أن شعاع الإبصار قد انثنى أو انحنى تجاه الجسم المرئى ، ولكن الجسم ذاته طفا وارتفع تجاه الشعاع ، وعلى ذلك فمن الطبيعى أن يظهر الجسم على العمود المقام منه إلى سطح الماء .

ويصف بطليموس فيما بعد فى كتابه تفاصيل تجربة صممها من أجل دراسة انكسار الضوء دراسة وافية ، فيقول : ويمكن تحديد قيمة الانكسار الذى يحدث فى الماء والذى يمكن مشاهدته بطريقة تحكى تلك التى نجربها بوساطة قرص النحاس عند اختبار قوانين المرايا . ارسم دائرة $\alpha \beta \gamma \delta$ على القرص — شكل (١ - ١٠ ب) —

(١) من الجائز أنه يستخدم فى الكنائس من أجل « تعميد » الأطفال (المؤلف) .



شكل (١ - ١٠)

تجارب بطليموس على انكسار الضوء . (١) تظهر العملة التي في قاع إناء مملوء بالماء كأنما أزيحت إلى وضع أعلى من وضعها الحقيقي . (ب) جهاز دراسة انكسار الضوء . حدد بطليموس العلاقة بين الزاوية $\delta S \delta$ التي في الماء والزاوية $\epsilon S \alpha$ التي في الهواء ، وسجل في جداول طريقة اعتماد إحدهما على الأخرى .

مركزها δ ، ثم ارسم القطرين المتعامدين $\delta S \alpha$ ، $\beta S \delta$ ، وقسم كل ربع دائرة إلى ٩٠ قسماً متساوياً ، وضع في المركز علامة صغيرة جداً ملونة . وبعد ذلك ثبت القرص رأسياً في حوض صغير وصب في الحوض بعض الماء النقي بكمية كافية لا تحول دون مشاهدة القرص . وليكن سطح القرص الذي يقف عمودياً على سطح الماء ، منصفاً بهذا السطح الأخير ، بحيث تنغمس نصف الدائرة فقط انغماساً كلياً تحت سطح الماء . افرض أن القطر $\delta \epsilon$ هو القطر المتعامد على سطح الماء .

والآن خذ قوساً مثل $\epsilon \alpha$ ، مقيساً من النقطة α في أحد ربعي القرص الموجودين فوق سطح الماء ، وضع على ϵ علامة صغيرة ملونة . انظر بعين واحدة حتى تظهر علامتان اللتان عند ϵ و δ على خط مستقيم ينبثق من هذه العين . وفي نفس هذا الوقت حرك قضيباً صغيراً غير سميك على طول القوس $\delta \epsilon$ الموجود تحت سطح الماء في الربع المقابل حتى يظهر طرف القضيب على نقطة القوس الموجودة على امتداد الخط الواصل بين ϵ ، δ . والآن عندما تقيس القوس المحصور بين النقطة δ والنقطة δ التي يظهر عندها القضيب منطبقاً على الخط السابق ذكره ، نجد أن هذا القوس $\delta \epsilon$ أصغر دائماً من القوس $\epsilon \alpha$.

وعندما تضع العين على امتداد العمود $\delta \alpha$ لا ينحني شعاع الإبصار ، ولكنه يسقط على δ ، التي تقابل α وعلى نفس الخط المستقيم $\delta \alpha$. أما في كافة الأوضاع

الأخرى على أية حال عندما نزيد طول القوس α ، نجد أن طول القوس α يزداد كذلك . غير أن القدر الذى ينحن به الشعاع يكبر بكميات متزايدة .

فعندما يكون α : 10° يصبح 8° أى ينحن بقدر 2°

20°	$15\frac{1}{2}^\circ$	$4\frac{1}{2}^\circ$
30°	$22\frac{1}{2}^\circ$	$7\frac{1}{2}^\circ$
40°	29°	11°
50°	35°	15°
60°	$40\frac{1}{2}^\circ$	$19\frac{1}{2}^\circ$
70°	$45\frac{1}{2}^\circ$	$24\frac{1}{2}^\circ$
80°	50°	30°

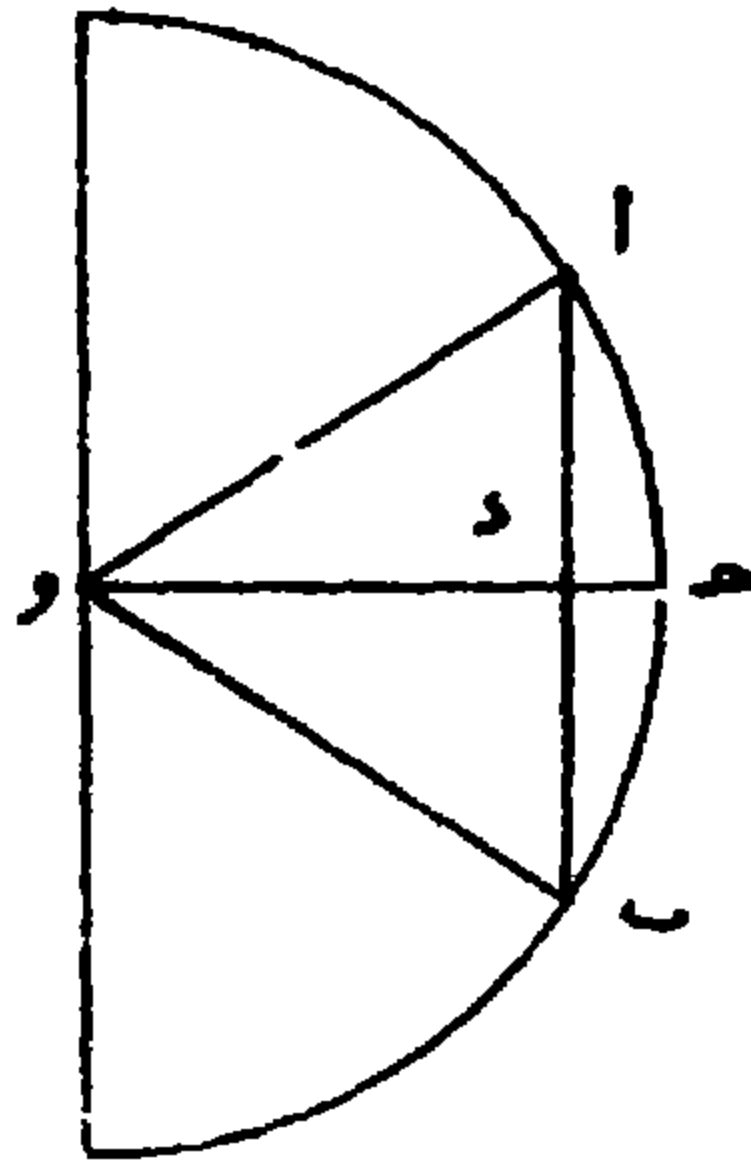
وهذه هى الوسيلة التى اكتشفنا بها مقدار الانكسار فى حالة الماء .

ودرس بطليموس كذلك بطريقة مماثلة انكسار أشعة الضوء على السطح الفاصل بين الزجاج والماء ، فوجد أنه فى تلك الحالة ينحن الشعاع بقدر أكبر . ولكنه على أية حال لم يحاول (أو على الأقل لم يوفق إذا كان قد حاول فعلا) التعبير عن نتائج مشاهداته بوساطة معادلة رياضية . ولم تم الصياغة الرياضية لقانون انكسار الضوء إلا فى القرن السابع عشر ، وإنه لمن التهمك حقاً أن ندعى أنه كان من السهل عليه الوصول إليها ، فقد تضمنت الصياغة الرياضية لذلك القانون العلاقة بين القوس والوتر التى ناقشها بلوتارخوس قبل ذلك بقرن ونصف ، وتوصل إليها من تلقاء نفسه بعد جهد فى كتابه « المجسطى » عند تحليل أرساده الفلكية .

وتضمنت المسألة تعيين طول الوتر AD الذى يقابل القوس AC فى الدائرة التى يساوى نصف قطرها الوحدة — شكل (١ — ١١) — وقد لجأ بطليموس إلى استخدام طرق حسابية رائعة ليحصل على جدول يبين هذه النسب ، ونحن نعطي جانباً منه فيما يلى :

القوس	الوتر	القوس	الوتر	القوس	الوتر
$^{\circ}116$	١,٠١٤٥٥٧	$^{\circ}117\frac{1}{2}$	١,٠٢٣٥٢٢	$^{\circ}119$	١,٠٣٢٣٤٤
$^{\circ}116\frac{1}{2}$	١,٠٢٠٢٣٣	$^{\circ}118$	١,٠٢٥١٣٧	$^{\circ}119\frac{1}{2}$	١,٠٣٣٩٣٧
$^{\circ}117$	١,٠٢١٩٠١	$^{\circ}118\frac{1}{2}$	١,٠٣٠٧٤١	$^{\circ}120$	١,٠٣٥٥٢٣

ويمثل هذا الجدول ما نطلق عليه اليوم اسم جداول حساب المثلثات لجيوب الزوايا، وينحصر الفارق الوحيد بينهما في أن جدولاً منهما يستخدم نصف القوس (الزاوية α و β) ونصف الوتر d . وعندما يكون نصف القطر مساوياً وحدة الأطوال يعرف الطول a باسم جيب α و β ، على حين تسمى المسافة a بجيب تمام α و β .



شكل (١-١١)

العلاقة بين « جداول الأوتار » لبلوتارخ وجداول حساب المثلثات الحديثة : دون بلوتارخ أطوال الوتر a d b التي تقابل أقواساً α β مختلفة الطول. أما في حساب المثلثات الحديث فإن الذي يرصد هو الطول a d (نصف الوتر) مع طول القوس α β . ويطلق على الطول a d اسم جيب أو جتا الزاوية α و β ، بينما يعرف الطول a d باسم جيب تمام أو جتا تلك الزاوية.

وللحوال حساب المثلثات فائدة عظيمة في حل كثير من المسائل الهندسية التي تتضمن قياس الزوايا والأطوال معاً.

ولو أن بطليموس عمد إلى مقارنة نتائج تجاربه على انكسار الضوء مع جدول الجيوب لتوصل إلى أن : « النسبة » بين جيب زاوية السقوط وجيب زاوية الانكسار هي نسبة ثابتة لأي وسطين متجاورين ، إلا أنه لم يفعل ذلك ، ولم يتم كشف قانون الانكسار الذي صغناه إلا بعد مضي أربعة عشر قرناً ، على يد الفلكي والعالم الرياضي الهولندي وليبرورد سنل . وكما سنرى فيما بعد يعتبر قانون سنل هذا

من الأهمية بمكان لفهم طبيعة الضوء .

وتعتبر أعمال بطلميوس بمثابة آخر إضافات واكتشافات قيمة تمخضت عنها الثقافة الإغريقية القديمة ، وكان لها أثرها في ركب العلم . وبدأ البحث العلمي في الإسكندرية يتدهور سريعاً عقب موته . ونحن قد يحق لنا أن نذكر اسم هيباشيا كآخر اسم له علاقة بمدرسة الإسكندرية . وكانت هيباشيا ابنة العالم الرياضي ثيون^(١) ، واشتغلت بتدريس العلوم والفلسفة ، وعاصرت حكم الإمبراطور الروماني « جوليانوس المارق على الدين » الذي حاول حماية تعاليم الإغريق وآلهتهم ضد قوى الكنيسة المسيحية المتزايدة . وظهر رد الفعل عقب موته عام ٤١٥ ميلادية في ثورة عظمى ضد الإغريق وثقافتهم على يد الأسقف كيرولس السكندري ، عندما مزق الرعاع المسيحيون هيباشيا إرباً ، كما خربوا بقايا مكاتب المدينة وقضوا عليها .

(١) عاش ثيون السكندري حوالي سنة ٤٠٠ ميلادية .

الباب الثاني

العصور المظلمة وعصر النهضة

بزوال الثقافة الإغريقية توقف ركب العلم عن التقدم في أغلب ميادين بوجه عام ، وفي ميدان الفيزياء بوجه خاص ، ولم يكن هذا التوقف مجرد وهم أو خيال ، فقد كانت حضارة الرومانيين الذين سيطروا على العالم خلال تلك الحقبة من تاريخ الإنسان « حضارة الرجل المادى » ، ولم تكن « المعنويات » تعنيهم إلا قليلا . ورغم أنهم شجعوا العلوم واهتموا بها ، إلا أن أغلب اهتمامهم هذا انصب على المجالات العملية ذات الطابع التطبيقي . وآل الموقف من سبىء إلى أسوأ عقب سقوط الإمبراطورية الرومانية ؛ إذ لم تكن الولايات الإقطاعية التى نمت على أنقاضها أرضاً خصبة لازدهار العلوم على الإطلاق ، ويكاد ينحصر ما اتسمت به تلك الولايات من صفات مشتركة خلال تلك الفترة من الزمان التى استمرت أكثر من ألف سنة ، فى انتشار المسيحية والأديرة ومحارب النسك والرهبة ، مما ركز الاهتمام حول المسائل الدينية ، فخضع ما تبقى من أفكار علمية ظلت قائمة بعد سقوط الثقافة الإغريقية القديمة لسلطان الدين وتحكمه . واعتبر تصوير بطلميوس للعالم الذى اتخذ فيه الأرض مركزاً ثابتاً للكون ، وتسبح الشمس والكواكب وسائر النجوم من حولها ، مذهبا مسلما به لا يقبل الجدل ؛ ذلك لأنه وافق هوى الجهات المركزية فى الفاتيكان الذى اختاره الله خليفة له على الأرض .

واقصر النقاش « العلمى » إلى حد كبير على مسائل تناولت البحث فى موضوعات لا طائل تحتها على غرار : كم من الملائكة يمكنهم الرقص على رأس إبرة ؟ وهكذا أخذت السفسة البدائية فى الازدهار والانتشار فى أرجاء أوروبا كافة ، وسهرت محاكم التفتيش المقدسة على القضاء على أى انحراف يظهر أو حيود يطرأ على طريق العقيدة الدينية العام .

ومن حسن حظنا وسعد طالعنا أن وجدت علوم الإغريق لها ملجأ ومنقذاً فى

الإمبراطورية العربية التي كانت قد ولدت ثم بسطت سلطانها خلال القرن السابع عشر حتى شمل سائر بقاع جنوب البحر المتوسط ، كما امتد هذا السلطان إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق .

وقد أنشأ الخليفة هارون الرشيد صاحب قصة « ألف ليلة وليلة » عام ٨٠٠ ميلادية مدرسة علمية في بغداد ، وأصبحت مدينة قرطبة بإسبانيا مركزاً ثقافياً للإمبراطورية العربية على أرض أوروبا . وعمد الأدباء العرب إلى دراسة وترجمة المخطوطات الإغريقية التي كتب لها البقاء من حطام المكتبات اليونانية القديمة . وهكذا رفع العرب راية العلم عالية خفاقة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تختنق تحت نير وقبضة سفسطة مدرسة العصور الوسطى . ونحن عندما نستعرض تاريخ العلوم نجد مما يشهد لفضل العرب في عصرهم تلك المصطلحات العربية العديدة التي نستخدمها اليوم مثل : الجبر Algebra ، والكحول Alcohol ، والقلوى Alkali ، والمملغم Amalgam^(١) ، والمناخ Almanac^(٢) ، وقلب العقرب Antares^(٣) .

وقد نجح العرب في التقدم بعلم الرياضيات بخطى واسعة ، فاستحدثوا علم الجبر ، الذي لم يعرفه الإغريق من قبل ، كما أدخلوا الأرقام العربية التي سهلت إجراء العمليات الحسابية بالنسبة للطريقة الرومانية . ولكن ربما كان من نتائج انتشار أحاجي شهرزاد ورواج أساطيرها أن اقتضرت أغلب أعمالهم في مجالي الفلك والكيمياء على متابعة تلك الآمال الوهمية والتمنيات الخيالية التي تناولت موضوع التكهن بمستقبل أى فرد على أساس أشكال النجوم يوم ميلاده (التنجيم) ، وكذلك البحث عن الوسائل التي تحول بها المعادن المألوفة إلى ذهب ثمين (الكيمياء الخرافية أو الكمي) . وبلوح أنه لم يكن لهم إنتاج يذكر في مجال الفيزياء ، إلا بطبيعة الحال إذا اعتبرنا الكيمياء بمثابة البشر الذي سبق ظهور الطرق الحديثة المستخدمة في تحويل أى مركب كيميائي إلى مركب آخر^(٤) .

(١) مثل الحارصين المملغم ، أى المكسو بطبقة من الزئبق بعد ذلك به (المترجم) .

(٢) من أناخ ودلالاتها هنا الدليل أو التقويم (المترجم) .

(٣) هو من البروج أو تجمعات النجوم الثابتة في كبد السماء (المترجم) .

(٤) يخالف رأى المؤلف هنا الحقيقة والواقع كما ذكرها المترجم في تعليقه (المترجم) .

« ولكن بعد أن يقضى المحتل وطره يتحتم على المحتل الرحيل » والمقصود بالمحتل هو المغاربة أو العرب في الأندلس - وفي القرن الثاني عشر سريعاً ما اضمحلت الإمبراطورية العربية بغزو جنكيزخان لها ، وتحت ضغط الصليبيين المسيحيين المستمر في الأرض المقدسة .

وخلال تلك الفترة من الزمان كانت الولايات الأوروبية قد أخذت تنهض رويداً رويداً من وعثاء العصور الوسطى المظلمة وتنفض عنها غبارها ، وبدأت قيمة التعليم والمعرفة ترتفع من جديد . وحدث في عام ٨٧٤ ميلادية أن أصدر شارلمان حاكم الإمبراطورية الفرنسية أمراً بأن تكون لجميع الأديرة في شتى أرجاء مملكته مدارس ملحقة بها . وفي عام ١١٠٠ ميلادية أنشئت جامعة باريس . وتبع ذلك سريعاً إنشاء جامعات بولونيا ، وأكسفورد ، وكمبردج ، وسرّعان ما أصبحت هذه الجامعات مراكز مدرسية (سكولائية) نشطة . وكانت مراحل الدراسة العادية تتكون من « الثلاثية » وقوامها فنون الآداب ، وتضمنت برامجها دراسة الأجرومية اللاتينية ، والبلاغة والمنطق ، ثم « الرباعية » وهي المرحلة التي اشتملت على دراسة الرياضيات والهندسة والموسيقى والفلك . ومهما يكن من شيء فقد ظل التعليم خاضعاً لإشراف الكنيسة ويقظتها التامة ، وكان لزاماً على جامعات الأقطار المسيحية كلها الحصول على موافقة البابا لكي تحتفظ ببقائها وكيانها . ولقد قامت أغلب الدراسات على كتابات أرسطو التي وصلت إلى أوروبا عن طريق الترجمات العربية . وكما سبق أن قلنا نجد أرسطو رغم أنه بز سبق غيره في مجالات عديدة ، لم يوفق ولم يكن له على وجه التأكيد مجهود قيم في مجال علوم الفيزياء ، ولهذا لم يخلف أثراً كبيراً يذكر في بناء صرح الفيزياء وإرساء قواعده في أوروبا عندما بدأت تصحو وتفيق من سباتها العميق الذي دام زهاء ألف سنة .

ومن العوامل الهامة التي ساعدت على انتشار العلم اختراع آلة الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر في حانوت رجل يدعى فست في ميتر بألمانيا . ومن بين أهم الكتب التي أظهرتها تلك المطابع الأولى دون شك كتاب دي رفلوشنييس أوربيتم كأولزيتيم « De Revolutionib Orbitum Coelestium » . (مطبوعة نورمبرج عام ١٥٤٣ ميلادية) ، تأليف نقولا كبرنيق ، الذي أظهر فيه صورة جديدة

لتكوين العالم ، تحتل فيها الشمس المركز . (ولكي يتلافى عقاب الكنيسة كان لابد من وضع مقدمة للكتاب ، كتبها في الغالب - من غير علم كبرنيق - ناشر كتبه آندرياز أوزياندر) ، وجاء في المقدمة أن جميع الأفكار الواردة في الكتاب هي مجرد فروض ، وأنها تمثل إلى حد كبير تمريناً رياضياً ولا تصف الحقيقة في شيء .

محراب كبلر وقوانينه

ربما تمثل الفقرات الآتية الحليط الذي كان سائداً بين الثقافة الدينية والعلم الحقيقي في ذلك العصر ، وهي مقتبسة من « مستيريم كوزموجرافيكوم » *Mysterium Cosmographicum* (١٥٩٦) الذي ألفه جوهان كبلر مكتشف القوانين الأساسية لحركة الكواكب . ونظراً لما كان يتمتع به من معاونة بعض نبلاء ألمانيا ومؤازرتهم له في بحوثه ، بدأ الكتاب بالكلمات الآتية :

« إلى النبيل صاحب الفضل والمقام الرفيع ، ذى العفة والورع ، مولاي سيجسموند فريدريخ ، بارون هربرستين إلى أنبل اللوردات لأشهر ولايات ستيريا ، مجلس الخمسة الأفاضل المحترمين ، سادتي الكرام العطوفين :

تحيات واحترامات متواضعة !

وقد وعدت منذ سبعة أشهر ، أن أنجز عملاً يعتبر في نظر العلماء شيئاً رائعاً مؤثراً ومحرّكاً لعواطفهم ، كما يفوق إلى حد بعيد جميع التقاويم السنوية ، وهأنذا أقدم لمقامكم الكريم ، يا سادتي النبلاء ، عملاً رغم صغر حجمه لكونه ثمرة مجهودي الخاص المتواضع ، فإنه إنما يعالج موضوعاً عجبياً . وأنتم إذا رغبتُم في الرقي إلى مرتبة النضج - وقد سبق أن عاجله فيثاغورث منذ نحو ٢٠٠٠ سنة مضت ، إذا شتم الابتكار والحلق - فهذه أول مرة أتقدم فيها بموضوعي هذا للناس كافة . فإذا شتم المجال الذي يتناوله الموضوع - وليس ثمة ماهو أكبر ولا ماهو أكثر اتساعاً من الكون إذا كانت رغبتكم الاحترام والتقدير - فليس هناك ما هو أثمن ، ولا ما هو أجمل من هيكلتنا الفاخر لله . أما إذا كنتم تريدون الكشف عن الغوامض والوقوف على الحبايا - فليس في الطبيعة أكثر من ذلك ، ولم يسبق أن كان أكثر منه غموضاً ..

ولا توجد غير علة واحدة تحول دون إقناع كل فرد بما أهدف إليه ، وهي أن فائدته لن يدركها إلا المفكرون . إننى إنما أتحدث عن كتاب « الطبيعة »^(١) ، الذى نال قدراً عظيماً من اهتمام الكتاب المقدس^(٢) . فهذا هو ذا الرسول بولس يعظ الوثنيين ليروا الله منعكساً فى أنفسهم ، تماماً كما تنعكس الشمس على صفحة الماء ، أو كما يحدث فى المرآة . فلماذا إذاً ينشر المسيحيون قليلاً بهذا الانعكاس ما دام هذا هو سبيلنا القويم وطريقنا السوى لتعظيم الله وتبجيله والإيمان به ؟ ولكن إيماننا هذا يصبح أبعد عمقاً وأقوى صلابة كلما زادت معرفتنا بالوجود واتساع آفاقه . والحق يقال : كم من ترانيم للصلاة لم يتغن بها داود ، خادمه الأمين ، ولم يرتلها للخالق الذى ليس هو سوى الله وحده ! . . .

لقد كان خلال ذلك ينصرف بعقله إلى السماء يتبصرها فى إجلال وتبجيل ،

(١) أو سجل الوجود المادى كما نراه ونرصده (المترجم) .
(٢) يفتح القرآن الكريم باباً للبحث والتنقيب عن آيات الخالق المنبثة فى كل ركن من أركان الوجود الفسيح ، ويعتبر هذا العمل من أسس الإيمان القوى السليم ، فيقول مثلاً على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

- أ - « إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين » (الجاثية ٣) .
 - ب - « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » . (الأنعام ٩٧) .
 - ج - « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ . » (الأعراف ١٨٥)
 - د - « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً . » (فاطر ٤١) .
 - هـ - « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » - (الرعد ٢) .
 - و - « ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للنظرين » (الحجر ١٦) .
 - ز - « والله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » (النحل ٤٩) .
 - ح - « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » - (آل عمران ١٩٠) .
 - ط - « تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً » - (الفرقان ٦١) .
 - ي - « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » - (فصلت ١١) .
 - ك - « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » - (الذاريات ٤٧) .
 - ل - « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » - (آل عمران ١٩١) .
 - م - « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » - (الواقعة ٧٥ و ٧٦) .
- وتتضمن هذه الآيات كلها من المعانى ما يعجز القلم عن وصفه وما يدل على اهتمام القرآن الكريم بهذا المجال الواسع ألا وهو سجل الطبيعة الذى تتجلى فيه آيات الخالق واضحة بيّنة . (المترجم) .

وهو يتلو: في السموات يتجلى مجد الله وبهاؤه . سأصبح بفكرى في سمائك التى هى من صنع أياديك ، القمر والنجوم التى أقمتها ونظمتها . الله هو ربنا ، وما أعظم قوته وإرادته : إنه يحصى النجوم عدداً ، ويعرفها بأسمائها . ومن مكان آخر ، حيث يوحى للروح القدس ، ويسود الحبور وينتشر البهاء والسرور ، ينادى المنادى : فلتسبح بحمد الله ولتثن عليه الشمس والقمر و » ونلقى بعد هذا قوله :

« لقد ناقش أرسطو (فى كتابه عن السموات) بإسهاب فكرة أن العالم كله تحيط به كرة ، وبنى دعائم برهانه على أساس الأهمية الخاصة للأسطح الكروية . ولنفس هذا السبب تحتفظ الكرة الخارجية للنجوم الثابت بشكلها حتى الآن ، رغم أننا لا نستطيع أن نسبغ عليها أية حركة ، وتقع الشمس فى مركز هذه الكرة تماماً كما كانت من قبل . وتبين الحركات الدائرية للنجوم حقيقة أن باقى الأفلاك هى أيضاً مستديرة ، وعلى ذلك فإننا لا نحتاج إلى إقامة الدليل من جديد على استخدام المنحنى فى تزيين هذا الوجود . ومهما يكن من شىء فإننا بينما نجد الكون يتضمن ثلاثة أنواع من الكم هى : الشكل ، والعدد ، ومحتويات الأجسام ، نجد الانحناء يقتصر على الشكل فقط . وهنا لا قيمة لمحتويات الأجسام ، لأن أى بناء إنما يشيد على مثل له متحد معه فى المركز ، (فمثلاً كرة على كرة أو دائرة فى دائرة) ، وهى إما أن تماس فى كل أجزائها ، وإما ألا تلتقى على الإطلاق . والشكل الدائرى الذى يمثل كمية فريدة مطلقة لا يتحكم فيه سوى العدد ثلاثة » .

وبينما كان كبلر يدوّن هذه النظرات اليانعة ، المزدهرة ، انكب على حل مسألة أكثر تعقيداً : هى القانون الذى يمثل حركة الكواكب تمثيلاً حقيقياً . ولقد افترض كبرنيق فى نظامه - كما جاء فى Revolutionibus لاريفوليوشنيس - أن أفلاك الكواكب دائرية ، وذلك تمثيلاً مع التقاليد القديمة التى نادت بها الفلسفة الإغريقية من اعتبار الدائرة هى المنحنى الكامل والكرة هى الجسم الكامل . ولكن هذا الغرض لم يلائم على الوجه الأكمل القياسات التفصيلية لحركة الكواكب التى أجراها الفلكى الهولندى تيخوبراهى فى مرصده الخاص المسمى يورانيبورج الذى أقامه على جزيرة صغيرة غير بعيد عن كوبنهاجن . ولقد عمد كبار إلى البحث عن الشكل الحقيقى لأفلاك الكواكب ، ودفعه إلى هذا العمل تلمذته لتيخو ومعاونته له

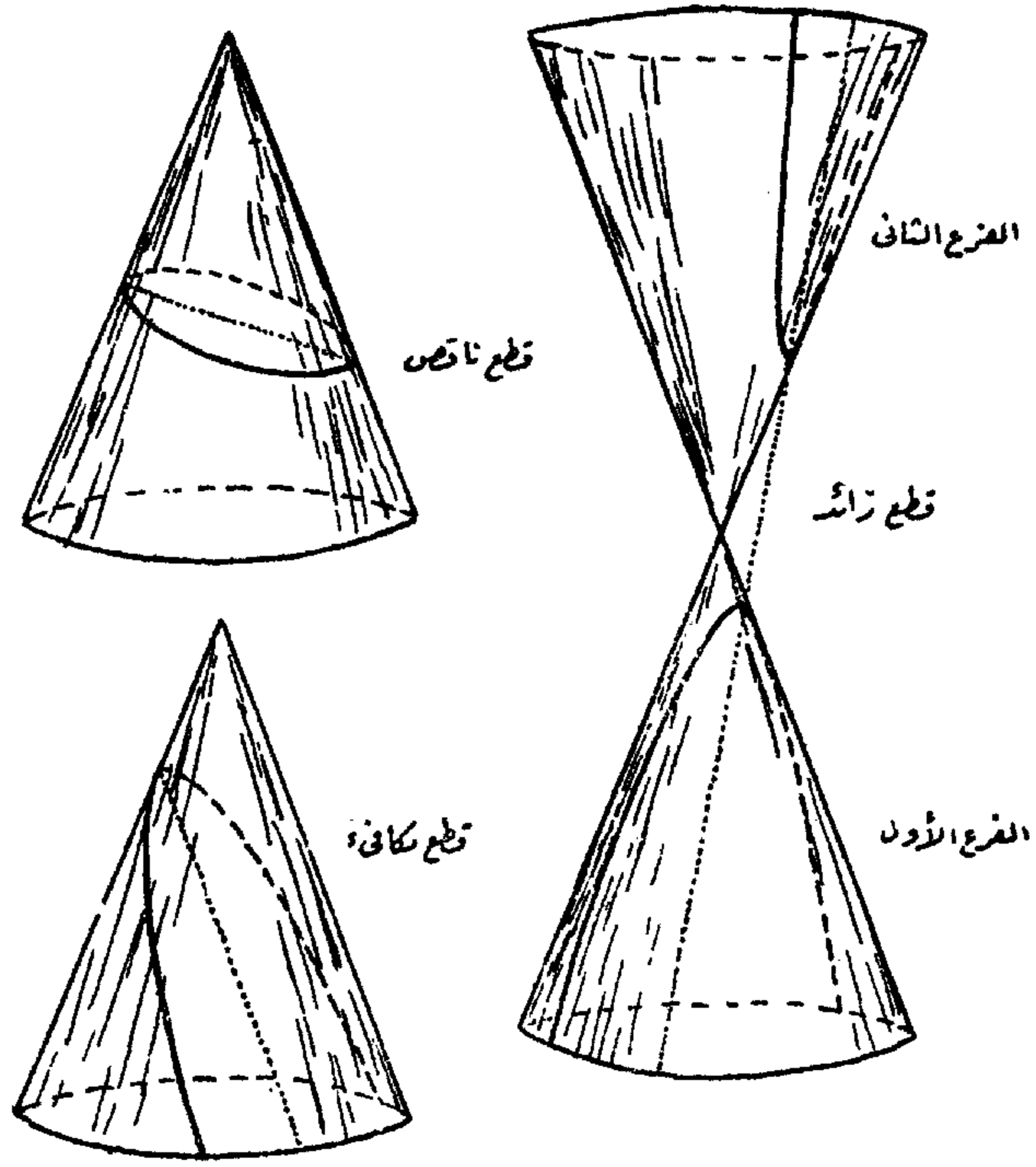
في البحث ، مع ما توافر له من قراءته لأعمال إقليدس وغيرها من مؤلفات الإغريق القديمة . وقد توصل إلى أول اكتشاف هام له بعد العمل سنين عدة ؛ إذ وجد أنه بينما لا تسبح الكواكب حول الشمس في أفلاك دائرية تماماً ، إذا بها ترسم مسارات تنتمي إلى فصيلة أخرى من المنحنيات لا تقل أهمية عن قيمة الدائرة في هندسة إقليدس القديمة . وتعرف هذه الفصيلة من المنحنيات باسم (القطاعات المخروطية) ، وهي الناجمة عن تقاطع المخروطات مع السطوح المستوية المختلفة الميل — شكل (٢ - ١) . وعندما يكون السطح المستوي متعامداً على محور المخروط نحصل بطبيعة الحال على مقطع دائري (دائرة) ، أما إذا كان السطح المستوي مائلاً على المحور فإننا نحصل على منحنٍ مستطيل مقفل يقال له القطع الناقص^(١) . وعندما يصبح السطح المستوي موازياً لحافة المخروط تمتد إحدى نهايات القطع الناقص إلى ما لا نهاية ، ونحصل على منحنٍ مفتوح هو القطع المكافئ . وإذا ما ازداد ميل السطح بعد ذلك عظم « انقراج » القطع المكافئ الأصلي ، بحيث يتحول إلى ما نطلق عليه اسم قطع زائد . على أننا يجب علينا أن نلاحظ أنه في حالة القطع الزائد هذا يوجد فرعان منفصلان بتكون الفرع الثاني منهما عند تقاطع المستوي مع الجزء الآخر للمخروط المقلوب !

ومن ناحية أخرى يمكن تعريف القطع الناقص كمجموعة من النقاط يتم اختيارها بحيث يكون لمجموع كل بعد منها عن نقطتين ثابتتين يقال لهما « البؤرتان » قيمة ثابتة . . وعلى ذلك يمكننا رسم القطع الناقص بتثبيت طرفي خيط طويل بدبوسين^(٢) على قطعة من الورق المقوى وشده بقلم رصاص لرسم القلم المسار المطلوب . وكذلك يعرف القطع المكافئ بأنه مجموعة النقاط التي يتم اختيارها بحيث يكون الفرق بين بعد كل منها عن البؤرتين ثابتاً — شكل (٢ - ١٢) — ، وهذه الحقيقة تحول دون توافر أي وسيلة عملية سهلة لرسم مثل هذا المنحنى .

وعندما حلل كبلر أرصاد تيخور براهي ، الخاصة بأوضاع الكواكب بين النجوم ، استنتج أن وضع الأمور في نصابها إنما يستلزم افتراض أن « الكواكب

(١) الأهلج (المترجم) .

(٢) يمثلان بؤرتي القطع الناقص ، ويكون طول الخيط أكبر من البعد بينهما (المترجم) .

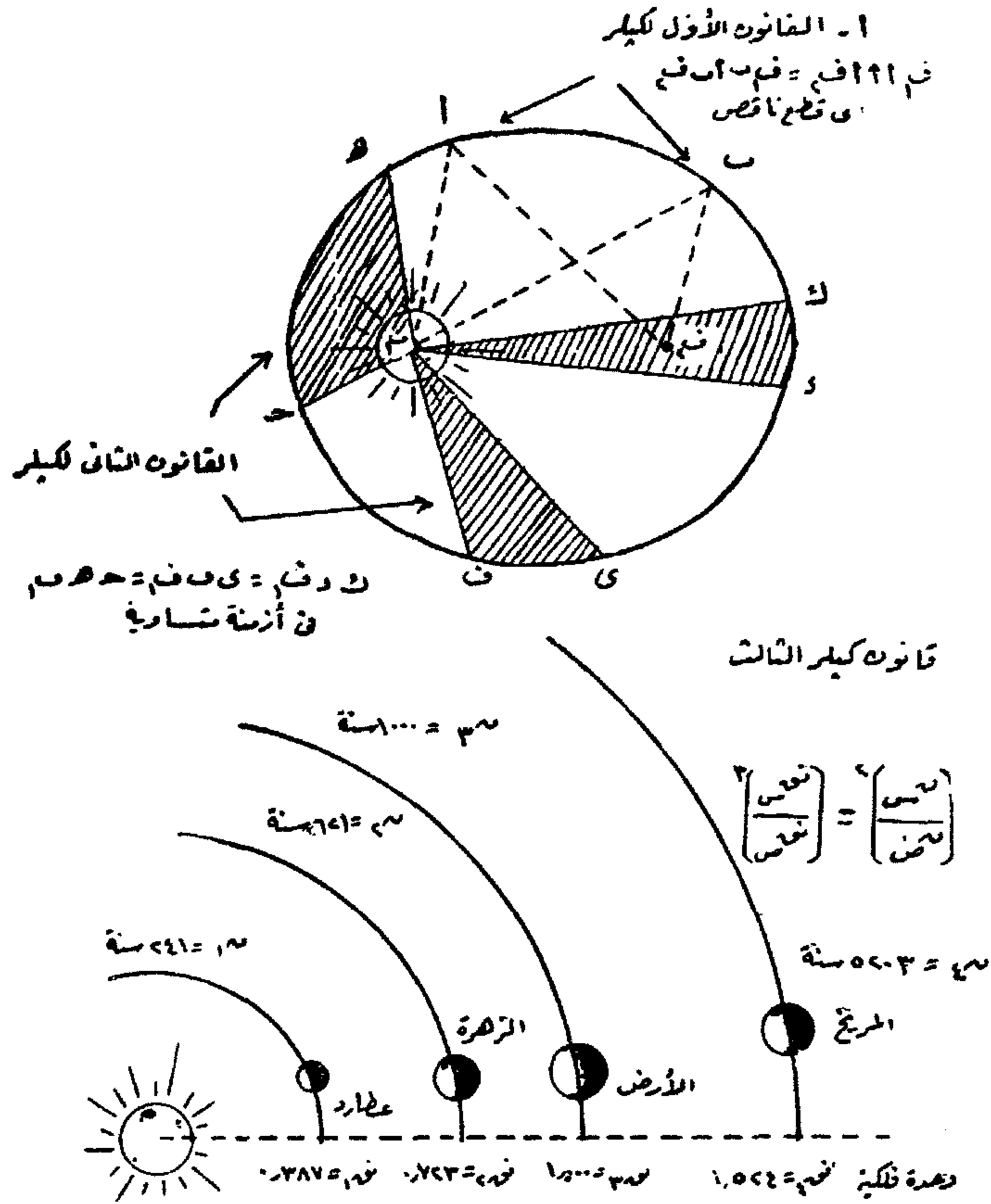


شكل (٢ - ١)

مقاطع مخروطية يحصل عليها عند ما يقطع المخروط بمستوى يميل بزوايا مختلفة .

كافة تسير في قطاعات ناقصة تحتل الشمس إحدى بؤراتها . ووجد كذلك أن الكواكب في أثناء سبوحها حول الشمس تزداد سرعتها عندما تقترب من الشمس في (حضيض) المسار كما تقل سرعتها بالابتعاد عنها (في الأوج) . ويمكن التعبير عن العلاقة التي تربط بين قيم السرعة التي يسبح بها أي كوكب وبعده عن الشمس خلال مروره بأجزاء مساره المختلفة بقولنا « يمسح الخط الوهمي الواصل بين الشمس والكوكب مساحات متساوية من فلك الكوكب في أزمنة متساوية » شكل (٢ - ١٢) . وقد أعلن كبلر هذين القانونين الأساسيين من قوانين حركة الكواكب عام ١٦٠٩ ، وهما يعرفان باسم قانوني كبلر الأول والثاني .

وبعد أن توصل كبلر إلى القوانين التي تربط حركة كل كوكب بدءاً بالبحث والتنقيب عن العلاقة القائمة بين الكواكب والتي تربطها بعضها ببعض ، فأمضى تسع سنين من أجل الوصول إليها ، وحاول خلالها جميع الإمكانيات وتلمس جميع



شكل (٢ - ٢)

القوانين الثلاثة التي وضعها كبلر لحركة الكواكب

السبل ، مثل تعيين العلاقة بين أفلاك الكواكب أو مساراتها ومتعددات السطوح المنتظمة المعروفة في الهندسة الفراغية ولكن دون جلدوى . وأخيراً بعد جهد كبير توصل كبلر إلى اكتشاف هام جداً يعرف في عصرنا هذا باسم قانون كبلر الثالث ، ومنطوق هذا القانون : « إن النسبة بين مربعات أزمنة دوران الكواكب المختلفة حول الشمس تساوى النسبة بين مكعبات متوسطات أبعادها عن الشمس . ففي شكل (٢ - ٢ ب) تمثل أبعاد مسارات هذه المجموعة المعروفة باسم « الكواكب الداخلية » وهي ، عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمريخ — بدلالة نصف قطر مسار الأرض (وهو المعروف باسم الوحدة الفلكية) ، كما تمثل أزمنة دورانها بدلالة السنة على الأرض .

وعندما نأخذ مربعات أزمنة الدوران نحصل على التتابع على القيم الآتية :

٠,٥٨ ٠,٣٧٨ ١,٠٠٠ ٣,٥٤٠

على حين تعطى مكعبات المسافات على التتابع القيم :

٠,٥٨ ٠,٣٧٨ ١,٠٠٠ ٣,٥٤٠

ويدل تطابق القيم المتناظرة في المجموعتين على التتابع على صحة قانون كبلر الثالث ، وهكذا عرف العلماء منذ القرن السابع عشر كيفية سبح الكواكب حول الشمس ، إلا أنه كان لا مناص من أن يمر نصف قرن آخر قبل أن يعرفوا سبب ذلك السبح وعلة تلك الكيفية .

سلسلة ستيفنسن

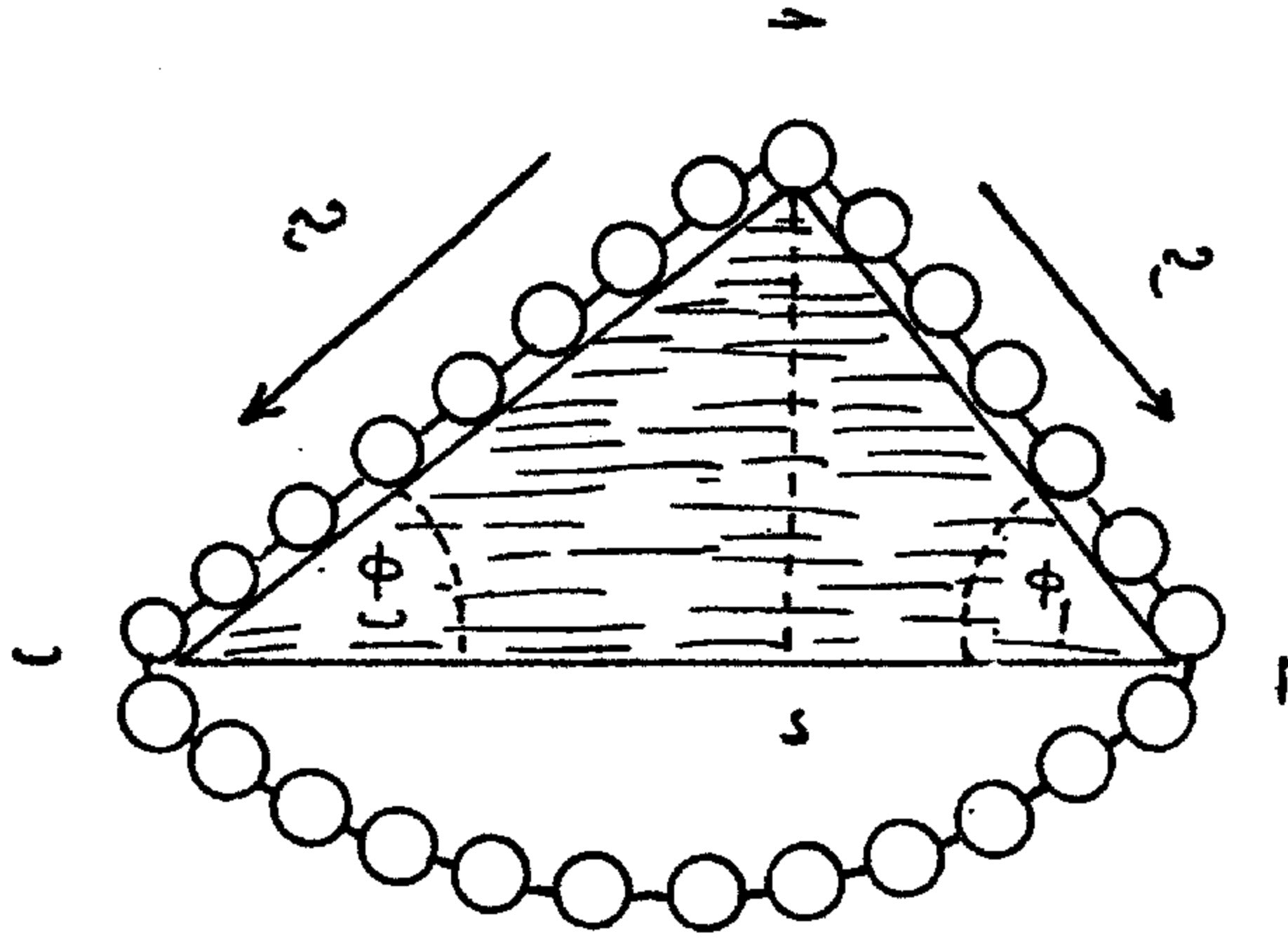
وبينما تركزت أعمال كبلر على أجرام السماء ، وجه مهندس معاصر ، هو سيمون ستيفنسن الفلمنكى ، اهتمامه إلى الأرض ، وراح يضيف إلى أعمال أرشميدس تطبيقاتها في مجال التوازن في الميكانيكا المعروف عادة باسم « الستاتيكا »^(١) . وكانت أهم إضافاته في هذا الحقل حل مسألة التوازن على مستوى مائل ، وهو موضوع لم يتعرض له أرشميدس في الغالب ، ولكن كما رأينا من قبل عالجه هيرون بطريقة خاطئة . ويظهر على غلاف كتاب « الستاتيكا » لستيفنسن رسم ممثل في شكل (٢-٣) يدل على تقدم رائع في فهم مسائل الاتزان . فإذا ما وضعت سلسلة مكونة من عدد كبير من الكرات المعدنية (كحبات السبحة كما قد نسميها اليوم) على حامل منشوري الشكل جوانبه ملساء تماماً (عديمة الاحتكاك) ، فما الذى يحدث عندئذ ؟ نظراً لوجود مجموعة من الكرات على جانب المنشور الأيسر (الأطول) عددها أكبر من مجموعة الكرات الموجودة على جانبه الأيمن (الأقصر) ، ينحيل للمرء منا أنه يحدث فرق في الوزن ، ويتبع ذلك أن تبدأ السلسلة في التحرك من اليمين إلى اليسار . ونظراً لأن السلسلة متصلة الأجزاء فلن تقف هذه الحركة ، وتظل السلسلة تدور أو تلف حول المنشور على الدوام . ولو صح ذلك لاستطعنا أن نضيف إلى هذه الآلة بعض التروس والعجلات المسننة لتدير أى آلة أبد الدهر دون أن نبذل شيئاً من

(١) دراسة شروط توازن القوى المؤثرة على جسم ساكن (المترجم) .

التكاليف . ومعنى هذا أننا نحصل من لا شيء على شغل مبدول ، وبذلك يستفيد البشر بدرجة أعظم مما ينتظر من برامج الطاقة الذرية واستخداماتها في السلم !
ولما كان ستيفنسن رجلاً عملياً فطناً لا يركن إلى الأوهام فقد أسقط من حسابه هذا الاحتمال ، وقرر أن السلسلة يجب أن تظل في حالة اتزان . ولكن هذا يعنى أن الشد الواقع على كرة موجودة في مستوى مائل يقل كلما قلت الزاوية المحصورة بين هذا السطح والمستوى الأفقى ، الذى هو فى الواقع يطابق تماماً الحقيقة القائلة بأنه لا تؤثر أية قوة على الكرة الموجودة في المستوى الأفقى . ولما كان عدد الكرات الموجودة في المستويين الأيمن والأيسر يبدو متناسباً مع طولى هذين المستويين ، فإننا نستطيع (عندما نرمز بالحرفين ق_١ ، ق_٢ للدلالة على القوى المؤثرة في جانبي كرة واحدة) أن نستنتج أن :

$$ق_١ \times \overline{ا ج} = ق_٢ \times \overline{ب ج}$$

$$\therefore \frac{ق_١}{ق_٢} = \frac{\overline{ب ج}}{\overline{ا ج}}$$



شكل (٢ - ٣)

سلسلة ستيفنسن التي لا حدود لها ، وهي توضح قانون التعادل والاتزان على المستوى المائل

وبإدخال جيبى الزاويتين φ_١ ، φ_٢ اللتين تحدان انحدار كل من المستويين المائلين نحصل على :

$$\frac{\overline{\overline{ج د}}}{\overline{ج ا}} = \text{جا } \phi ١$$

$$\frac{\overline{\overline{ج د}}}{\overline{ج ب}} = \text{جا } \phi ب$$

وبذلك يمكن كتابة العلاقة السابقة في الصورة :

$$\frac{\text{جا } \phi ١}{\text{جا } \phi ب} = \frac{\text{ق } ١}{\text{ق } ٢}$$

ومعنى ذلك أن قوى الجذب التى تؤثر فى جسم ما فى اتجاه انحدار المستوى المائل الذى يوضع فوقه الجسم إنما تتناسب طردياً مع جيب زاوية انحدار أو ميل هذا المستوى .

الخطار « البندول »

وبينما خطا ستيفنسن خطوات واسعة فى ميدان دراساته الستاتيكية ، نال أحد أبناء أشراف فلورنتين المعوزين ، ويدعى فنستريو غاليليو ، شرف القيام بأولى محاولات فى مجال الديناميكا ، أو دراسة حركة الأجسام المادية ، ورغم أن السنيور فنستريو كان شخصياً مولعاً بالرياضة فقد وجه ابنه غاليليو ليحترف مهنة الطب ، تلك المهنة ذات الدخل الوفير ، وعلى ذلك عندما بلغ غاليليو سن السابعة عشرة ، عام ١٥٨١ ، بدأ دراسته الطبية فى جامعة باريس ، ولكن يلوح أن الشاب لم يجد له فى تشريح جثث الموتى أية متعة ولا أى عمل مثير ، وكان عقله الذى لا يعرف طعم الراحة يبحث عن أنواع أخرى من المسائل .

وحدث ذات مرة ، عندما كان يحضر قداساً فى كاتدرائية باريس ، أن شرد بذهنه فى مراقبة (شمعدان) راح يتحرك عندما أشعل أحد الحاضرين الشمع الذى فيه . ولاحظ كيف كانت ذبذباته المتتابعة تتناقص شيئاً فشيئاً قبل وصوله إلى حالة السكون . وتساءل غاليليو : « هل يتناقص كذلك زمن الذبذبة الواحدة ؟ » - ولما لم يكن لديه ساعة وقف - إذ لم تكن قد اخترعت بعد - قرر غاليليو قياس

زمن الذبذبة الواحدة بعد نبضه ، وغالباً أدهشه أن يتبين أنه رغم أن مدى الذبذبات كان يتناقص تدريجياً فقد ظلت أزمنتها ثابتة . وعندما آب إلى بيته وأعاد إجراء التجربة على حجر شده إلى طرف خيط حصل على نفس النتيجة ، كما تبين له كذلك أن لكل طول خاص للخيط زمن ذبذبة معيناً يظل ثابتاً بصرف النظر عن وزن الحجر الذى يستخدمه فى إجراء التجربة ، أى سواء صغر الحجر أو كبر ، وبذلك ظهر فى حيز الوجود الاختراع المألوف لدينا الآن الذى نطلق عليه اسم البندول . ونظراً لأنه ظل يدرس الطب عمد إلى إجراء تجربة يستغل فيها اكتشافه ، فاقترح استخدام طول قياسى للخطار « البندول » يقيس به نبض المرضى ، ومن ثم شاع استعمال (مقياس النبض) فى الطب خلال ذلك الوقت ، وهو يعتبر بمثابة البشير لمرضة هذا العصر وهى فى ثوبها الأبيض عندما تحمل يد المريض وتنظر فى ساعة رسغها الأنيقة . وكان هذا آخر ما أخرج غاليليو من كشوف فى علم الطب ؛ إذ أن دراسة هذه المسألة وغيرها من أجهزة الميكانيكا غيرت تماماً من اتجاه اهتمامه وتفكيره ، فبعد أن حصل على موافقة أبيه ، غير خططه العلمية الدراسية (الأكاديمية) ، وشرع يدرس الرياضيات والعلوم .

وأضى سنين عدة مركزاً اهتمامه فى مجال ما نطلق عليه اليوم اسم الديناميكا — أى دراسة قوانين الحركة — لماذا يظل (زمن الذبذبة) مستقلاً عن (سعتها) أو مداها ؟ ولماذا يترنح الحجر الخفيف والحجر الثقيل عند شدهما على التوالى إلى طرف خيط واحد بنفس المعدل ولا يختلف زمن الذبذبة ؟ ولم يتوصل غاليليو إلى حل المسألة الأولى ؛ إذ أن ذلك إنما يتطلب استخدام حساب التفاضل والتكامل الذى استحدثه نيوتن بعد ذلك بنحو قرن . وكذلك أخفق فى حل المسألة الثانية التى كان لا مناص لحلها من انتظار أعمال أينشتين الخاصة بنظرية النسبية العامة ، إلا أنه دون شك ، رغم عدم نجاحه فى حل المسألتين ، قد أنجز إضافات قيمة فى مجال إثارتها أو صياغتهما ! ! فحركة الخطار « البندول » إلا حالة خاصة من التساقط الناجم عن قوى الجاذبية . فنحن عندما نترك حجراً غير مشدود إلى شىء حرّاً طليقاً نجده يسقط مباشرة إلى الأرض . أما إذا شد الحجر إلى خيط مربوط فى السقف فإنه يجبر على السقوط على طول قوس دائرية . وإذا ما أخذ حجر خفيف وآخر ثقيل نفس الوقت فى الوصول إلى أقل ارتفاع (ربع زمن ذبذبة الخطار) ،

فإننا نجد أن الحجرين إنما يستغرقان نفس الفترة في السقوط إلى الأرض عندما يسقطان من نفس الارتفاع . ولم تكن تلك النتائج تتفق مع فكرة فلسفة أرسطو التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، إذ تبعاً لها تسقط الأجسام الثقيلة أسرع من الأجسام الخفيفة . وعمد غاليليو من أجل إثبات ما توصل إليه إلى إسقاط كرتين من برج بيزا المائل ، إحداهما من الخشب والأخرى من الحديد ، على حين راح الذين لم يصدقوه يشاهدون التجربة ، ويرقبون الكرتين وهما ترتطمان بالأرض في نفس اللحظة . ويلوح على أية حال أن الأبحاث التاريخية لا تؤيد على الإطلاق إجراء تلك التجربة ، وإنما تصورها في قالب أسطورة متعددة الألوان ، وحتى ليس من بين تلك الأبحاث ما يثبت أن غاليليو اكتشف قانون البندول عندما كان يصلي في كاتدرائية باريس ، ولكن ليس من شك أنه كان يسقط أجساماً مختلفة الأوزان ، وربما كان يفعل ذلك من سقف بيته ، كما أنه كان يهز الحجارة بعد شدّها إلى الحيط ويتركها تترنح ، وربما كان يفعل ذلك في حديقته الخلفية .

قانون التساقط

عندما تترك حجراً حراً طليقاً تجده يتحرك إلى أسفل بسرعة متزايدة ، ولقد حاول غاليليو أن يستنبط القانون الرياضي الذي يتحكم في تلك الحركة ذات السرعة المتزايدة ، إلا أن التساقط الحر للأجسام يبلغ من السرعة ما يحول دون دراسته بالتفصيل من غير استعمال الأجهزة الحديثة التي على غرار التصوير مثلاً . ولذلك قرر غاليليو أن يمدد قوى الجاذبية^(١) بأن يجعل الكرة تتدحرج من أعلى مستوى مائل — شكل (٢ - ٤) ، فكلما ازداد ميل المستوى تدحرجت الكرة بسرعة أكبر . وفي النهاية ، عندما يصبح المستوى رأسياً تماماً تسقط الكرة حرة طليقة بمحاذاة المستوى . وكان قياس الزمن الذي تستغرقه الكرة في قطع المسافات المختلفة هو العقبة الأساسية في إجراء هذه التجربة ، ولكن غاليليو تغلب على هذه العقبة باستخدام ساعة مائية كان يقدر فيها الزمن بقياس الماء المتدفق من فتحة ضيقة أسفل مستودع كبير . وقد ابتداءً من حالة السكون وعمد إلى عمل علامات توضح

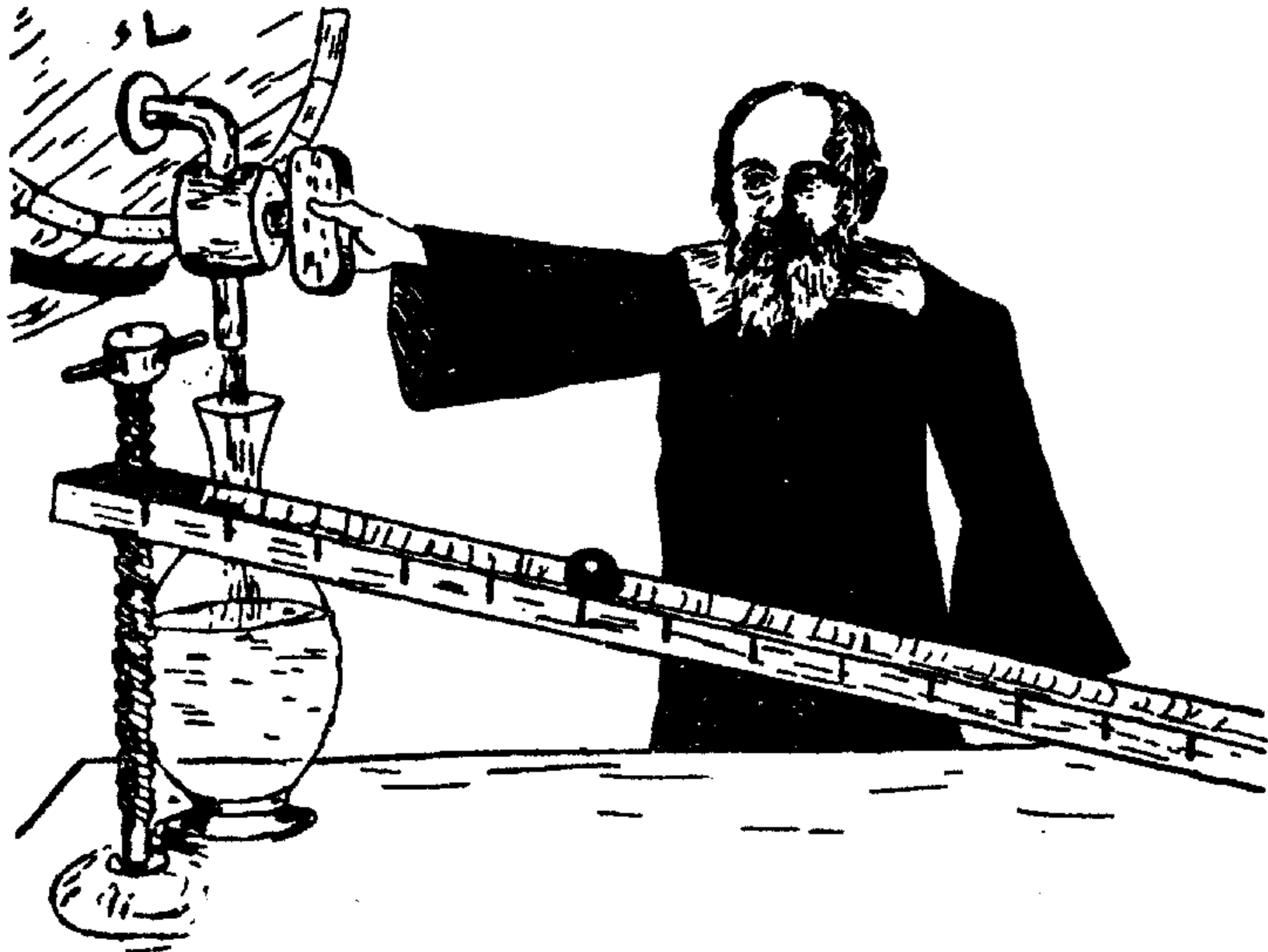
(١) قبضة الأرض . (المترجم) .

الأوضاع المتباينة للكرة خلال فترات متساوية من الزمن ، وعند ذلك وجد أن المسافات التي تقطعها الكرة خلال تلك الأزمنة المتساوية تحمل فيما بينها النسب $١ : ٣ : ٥ : ٧ : \dots$ إلخ . وعندما زاد ميل المستوى وجد أن المسافات المقطوعة زادت كذلك مع احتفاظها فيما بينها دائماً بنفس النسب . وفي ضوء هذه النتيجة قرر غاليليو ضرورة صحة هذا القانون في الحالة النهائية التي يصبح فيها المستوى رأسياً فتساقط الكرة حرة طليقة . ومهما يكن من شيء فإنه يمكن التعبير عن هذه النتيجة بطريقة أخرى رياضية ، وذلك بأن نقول : تتناسب المسافة الكلية التي تقطعها الكرة خلال فترة معينة من الزمن مع مربع الزمن . أو كما كان يعبر عنها في عصر غاليليو : « هو تناسب مزدوج » مع الزمن . وفي الحقيقة لو أننا اتخذنا المسافة كالتى تقطعها الكرة خلال الفترة الأولى من الزمن كوحدة للطول لوجدنا أن المسافة الكلية التي تقطعها الكرة في نهاية الفترات المتتالية هي بحسب قانون التربيع .

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

أو ١ ، ٤ ، ٩ ، ١٦

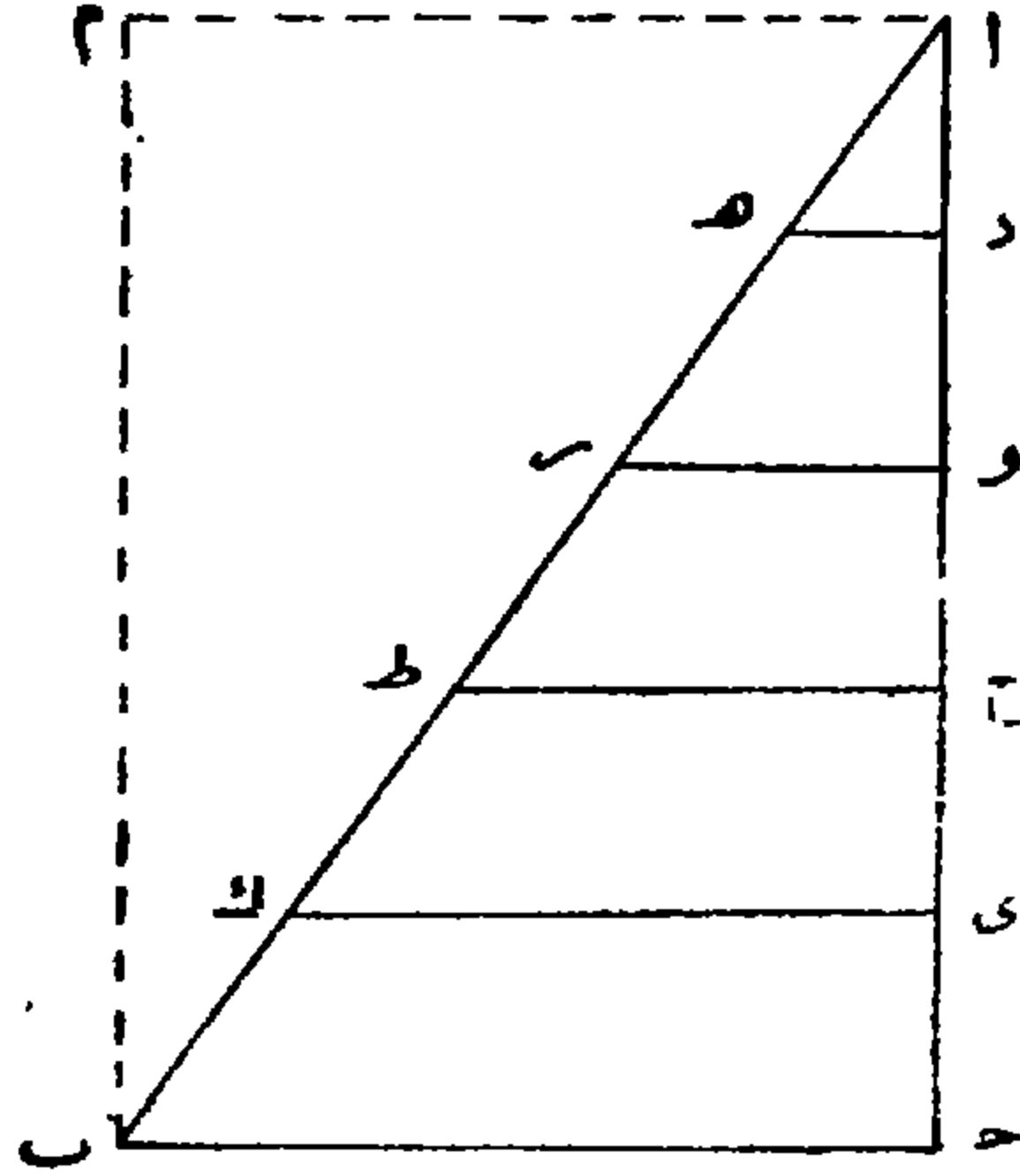
وعلى ذلك تكون المسافة المقطوعة خلال الفترات الزمنية المتتالية هي :



شكل (٢ - ٤)

غاليليو وهو يدرس الحركة ذات السرعة المتزايدة لكرة تتدحرج إلى أسفل مستوى مائل

١ ، ٤ - ١ = ٩ ، ٣ - ٤ = ١٦ ، ٥ - ٩ = ٧ ^(١) وهلم جرأ .
ومن رصد الكيفية التي ترتبط بها المسافة المقطوعة مع الزمن استنتج غاليليو أنه
يلزم أن تزداد سرعة تلك الحركة زيادة تتناسب تناسباً بسيطاً مع الزمن . وسوف
نسوق هنا برهان هذا الاستنتاج كما صاغه غاليليو نفسه ^(٢) :



شكل (٢ - ٥)

برهان غاليليو على أنه في حالة الحركة ذات العجلة (المنتظمة) ، عند ما تبتدئ من السكون ، تعادل
المسافة التي يقطعها الجسم نصف المسافة التي يقطعها لو أنه عبر المسافة كلها بنفس السرعة

في الحركة بعجلة ، عندما تتزايد السرعة بصورة مستمرة ، لا نستطيع تقسيم
درجات السرعة (أو قيم السرعة بحسب تعبيرنا الحديث) التي تتزايد على اللوام
لتصل إلى أي عدد محدود ، لأن تغيرها في كل لحظة يجعلها غير محدودة دائماً إلى
الأبد . وعلى ذلك يكون من الأسهل لنا أن نضرب لأنفسنا مثلاً على مثلث مثل
ا ب ج - شكل (٢ - ٥) نأخذ على الضلع ا ب أي عدد يروق لنا من الأجزاء
المتساوية ، مثل ا د ، د و ، و ح ، ح ي ، ي ج ، ونرسم من النقاط د ، و ،
ح . ت مستقيمت توازي القاعدة ب ج ثم نتصور أن الأجزاء التي أخذناها على

(١) عند ما نعبر عن ذلك جبرياً نقول : إذا كانت المسافة الكلية المقطوعة في نهاية الزمن ن هي
ن^٢ ، تكون المسافة المقطوعة خلال الفترة الأخيرة هي :

$$ن^2 - (ن - ١)^2 = ٢ - ن$$

(المؤلف) .

(٢) بإذن من كتاب غاليليو غاليلي : (حوار حول النظم الكبرى للعالم) مطبعة جامعة شيكاغو

عام ١٩٥٣ . من ص ٢٤٤ إلى ص ٢٤٥ . (المؤلف) .

ا ج هي أزمنة متساوية ، وأن المستقيمت المتوازية المرسومة من النقط د ، و ، ح ، ي تمثل لنا درجات السرعة المتزايدة بعجلة تجعلها تكبر بمقادير متساوية في أزمنة متساوية . لتكن النقطة ا هي التي تمثل حالة السكون ، فعندما يغادرها الجسم تكون درجة سرعته بعد الزمن ا د هي د ه . ولنفترض أن السرعة في الفترة الثانية ازدادت من د ه إلى و ز ، وهكذا هلم جرا في الفترات التي تليها بحسب زيادة المستقيمت ح ط ، ي ك إلخ. ونظراً لأن العجلة تعمل باستمرار من لحظة إلى أخرى ، ولا ينقطع عملها باستمرار الزمن ، ونظراً لأننا اتخذنا النقطة ا لتمثل أدنى قدر من السرعة ، أو حالة السكون ، واتخذنا المستقيم ا د لتمثل اللحظة الأولى من الزمن الذي يليها ، فمن الواضح أنه قبل أن يحصل الجسم على درجة السرعة د ه خلال الفترة ا د ، يتحتم أن يسبق ذلك مروره بعدد لا نهائي من الدرجات الأصغر فالأصغر ، التي اكتسبها خلال الفترات اللانهائية العدد الموجودة في الزمن د ا ، تلك التي تقابل النقط غير المحدودة العدد التي يتكون منها الخط د ا .

وعلى ذلك لكي تمثل العدد اللانهائي من درجات السرعة التي تتمخض عنها الدرجة د ه ، نحتاج إلى تصور مستقيمت تتناقص أطوالها على التدرج ترسل من نقط د ا اللانهائية العدد بحيث توازي د ه . ويمثل لنا هذا العدد اللانهائي من الخطوط سطح المثلث ا ه د . ومعنى هذا أننا قد نتصور أنه خلال أية مسافة يمر بها الجسم ، عندما تبدأ الحركة من حالة السكون تحت عجلة منتظمة ، يكون قد مر بعدد لا نهائي من درجات السرعة المتزايدة ، التي يمثلها عدد لا نهائي من المستقيمت تبدأ من النقطة ا وترسم موازية للمستقيم ه د ، وباستمرار الحركة يمكن أن تمثل السرعة بالمستقيمت ز و ، ط ح ، ك ي ، . . . وهكذا كما نشاء .

والآن لنكمل متوازي الأضلاع ا م ب ج ، ثم نمده إلى الضلع ب م كل المستقيمت المتوازية المرسومة في المثلث إلى جانب ذلك العدد اللانهائي من نفس المستقيمت المتوازية المرسومة من جميع النقط التي يتكون منها الضلع ا ج . فكما يمثل المستقيم ب ج ، الذي هو أكبر هذه المتوازيات في المثلث ، أعظم درجة للسرعة اكتسبها الجسم المتحرك بعجلة متزايدة ، ويمثل جميع سطح المثلث كتلة ومجموع السرعة كلها ، التي يمر بها الجسم بهذا الحيز بالذات خلال الزمن ا ج ، فإن متوازي

الأضلاع هو الآن مجموعة وكتلة عدد مماثل من درجات السرعة التي تساوى كل منها أكبر قدر ب ج . وتعادل هذه الكتلة من درجات السرعة ضعف كتلة السرعة المتزايدة في المثلث ، وحتى يعادل متوازي الأضلاع المذكور ضعف المثلث ، مما يدل على أن الجسم المتساقط ، عندما يجمع فعلا درجات السرعة المتزايدة الممثلة بالمثلث ا ب ج ، بحيث يقطع في ذلك الوقت تلك المسافة ، يصبح من المعقول جداً ، ومن المحتمل عندما نستخدم السرعات المنتظمة التي يمثلها متوازي الأضلاع ، أن يكون في مقدوره أن يقطع بحركة منتظمة ماثلة في نفس الوقت مسافة تبلغ ضعف تلك التي يقطعها الجسم عندما يتحرك بعجلة .

ورغم أن مثل هذه اللغة فيها كثير من التطويل الذي لا مبرر له ، فإننا يجب أن نتذكر أن هذا الكلام كتب عام ١٦٣٢ ، كما ترجم إلى الإنجليزية (بوساطة توماس سالسبوري) عام ١٦٦١ ! وبصرف النظر عن أن هذه العبارة هي أول صياغة لقانون التساقط الحر ، فإن الفقرة السابقة من المقولات Discorso إنما تتضمن أيضاً أولى خطوات نشوء ما نطلق عليه اسم « حساب التفاضل » ، الذي يحصل فيه على النتائج عن طريق تجميع عدد لا نهائي في الكبر لكميات متناهية في الصغر . وتبعاً لطريقتنا الرياضية الحديثة نستطيع كتابة قانون غاليليو للحركة بعجلة منتظمة على النحو الآتي :

$$\text{السرعة} = \text{العجلة} \times \text{الزمن}$$

$$\text{والمسافة} = \frac{1}{2} \text{العجلة} \times \text{مربع الزمن}$$

وفي حالة التساقط الحر يرمز عادة للعجلة بالحرف ج (للدلالة على الجاذبية)

وهي تساوى ٩٨١ سنتيمتراً في الثانية في الثانية ($\frac{\text{سم}}{\text{ثانية}} = \frac{\text{سم}}{\text{ثانية}^2}$) . وهي

تعني أنه في كل ثانية ، بعد أن يشرع الجسم في السقوط ، تتزايد سرعته بمقدار ٩٨١ سنتيمتراً في الثانية . وباستخدام الوحدات الإنجليزية — الأمريكية تعادل العجلة ج ٣٢,٢ قدماً في الثانية في الثانية . وعلى سبيل المثال نقول إنه عندما تسقط قنبلة من طائرة تتحرك بعد مضي عشر ثوان بسرعة قدرها :

$$\frac{\text{سم}}{\text{ثانية}} 9810 = 10 \times 981$$

$$\frac{\text{مترا}}{\text{ثانية}} 98,1 =$$

$$\frac{\text{قدم}}{\text{ثانية}} 322 = 10 \times 32,2 \text{ أو}$$

كما أنها تكون قد قطعت مسافة قدرها :

$$\begin{aligned} \frac{1}{2} \times 981 \times 10^2 &= 49050 \text{ سم} \\ &= 49,05 \text{ كيلومترا} \\ \text{أو } \frac{1}{2} \times 32,2 \times 10^2 &= 1610 \text{ أقدام} \end{aligned}$$

ومن بين إضافات غاليليو الهامة في مجال الديناميكا فكرة الحركة المركبة التي يمكن التعبير عنها بالمثال البسيط الآتي :

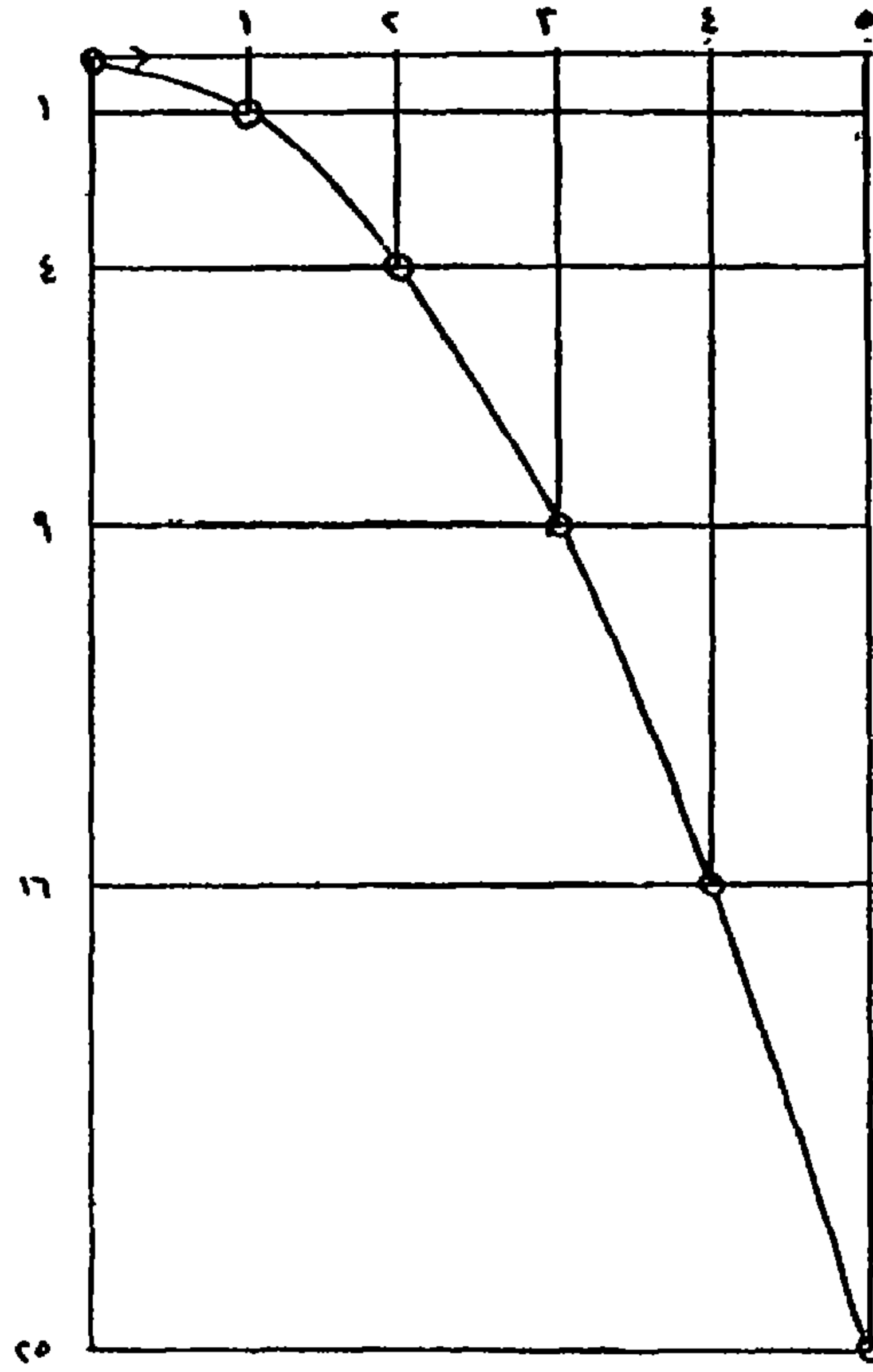
لنفرض أننا نمسك حجراً على ارتفاع خمس أقدام من سطح الأرض ثم تركناه يسقط ، فتبعاً للقاعدة السابقة يصطدم الحجر بالأرض بعد مضي ٠,٩٦ ثانية ، وذلك بطبيعة الحال لأن :

$$\frac{1}{2} \times 32,2 \times (0,96)^2 = 5 \text{ أقدام.}$$

ولكن ماذا يحدث لو أننا عند إسقاط الحجر أعطيناه سرعة أفقية تساوى مثلاً ، (١٠) أقدام في الثانية ؟ إننا جميعاً نعرف من خبرتنا الشخصية أنه في مثل هذه الحالة يرسم الحجر مساراً منحنياً ليسقط على الأرض على بعد منا . ولكي نرسم هذا المسار يجب أن ندخل في الاعتبار أن للحجر حركتين : (١) حركة أفقية ، يتحرك فيها بالسرعة المنتظمة التي أكسبناه إياها لحظة الإطلاق ، (٢) حركة رأسية نتيجة التساقط الحر يتحرك فيها بسرعة تتزايد بمضي الوقت .

ويمثل شكل (٢ - ٦) نتيجة لإضافة الحركتين ، حيث أخذنا على المحور (١) الأفقي مسافات متساوية تقابل المسافات التي يقطعها الحجر (أو الكرة) ، خلال الثانية الأولى ، فالثانية الثانية ، فالثالثة . . . وهكذا . كما رسمنا على المحور الرأسى

(١) يعرف مثل هذا الشكل بالتمثيل أو الرسم البياني ، حيث يرسم محوران متعامدان أحدهما أفقي يقال له في العادة محور السينات ، والثاني رأسى هو محور الصادات . ويقسم كل محور بحيث يمكن أخذ قيم أى كمية متغيرة عليه ، ومن ثم تحديد نقطة على الشكل تقابل قراءتين أو قيمتين مختلفتين لمتغيرين مأخوذين على المحورين . (المترجم) .



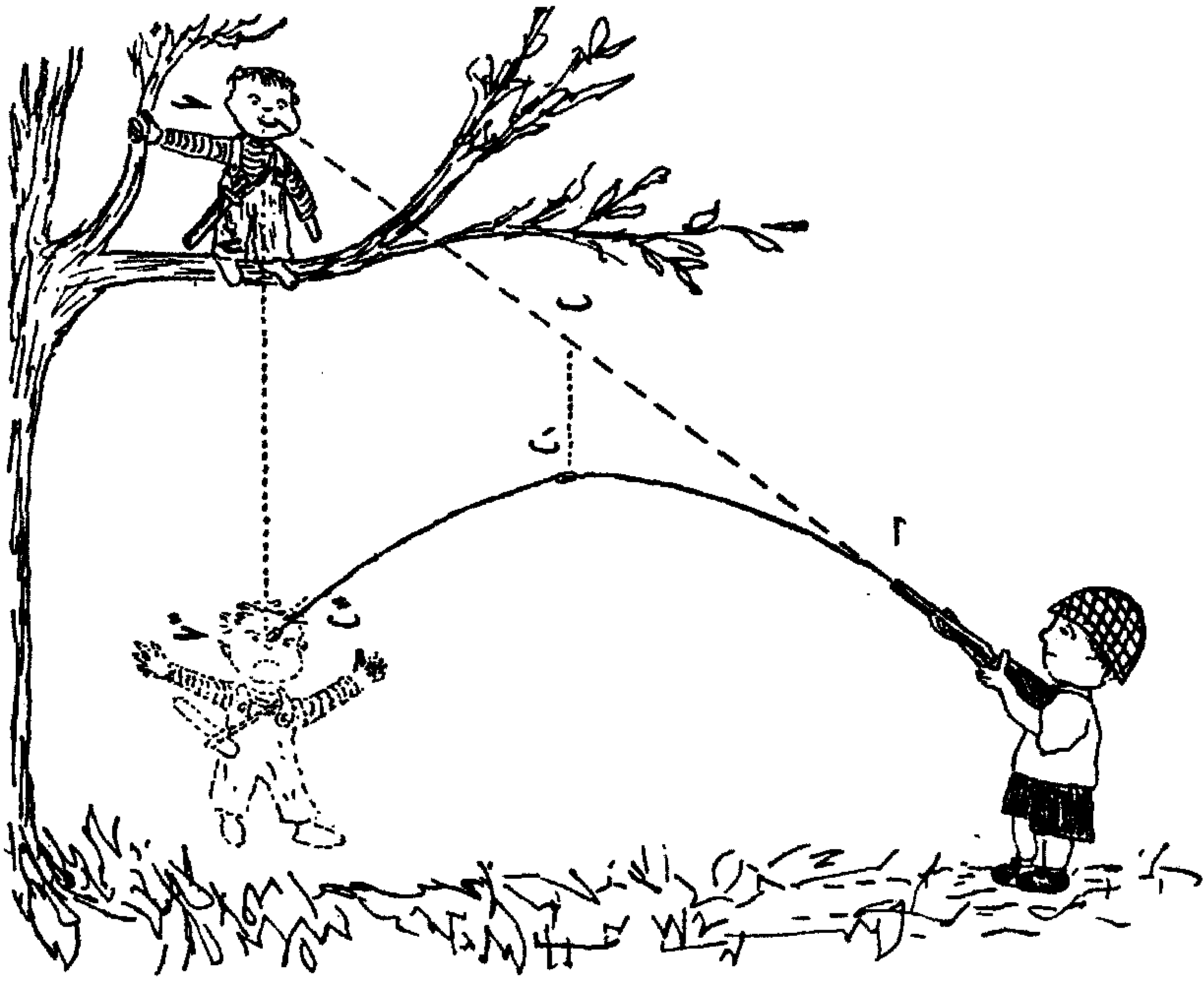
شكل (٢ - ٦)

إضافة (أو تركيب) حركة منتظمة في اتجاه أفقي إلى حركة ذات عجلة في الاتجاه الرأسى .
يعرف المنحنى الناتج عن هذه الإضافة باسم القطع المكافئ .

مسافات تتزايد متناسبة مع مربعات الأعداد الصحيحة الكاملة تبعاً لقانون التساقط الحر . وتبين الدوائر الصغيرة الأوضاع الفعلية للكرة في أثناء سقوطها . وتقع هذه الدوائر على منحنى هو القطع المكافئ . وإذا ما عمدنا إلى رمى الكرة بسرعة تبلغ قيمتها ضعف السرعة الأولى ، وجدناها تقطع مسافة أفقية تعادل ضعف المسافة التي تقطعها في الحالة الأولى ، بينما تظل حركتها الرأسية كما هي ، وعلى ذلك تسقط على بعد من أقدامنا يعادل ضعف البعد الأول ، ولكن الزمن الذى تستغرقه في الحالتين يظل واحداً ولا يتغير . (لاحظ أننا في جميع هذه الحالات نهمل احتكاك الهواء ، وهو عامل يؤدي إلى تحويل بسيط في مسار الكرة المقذوفة) .

ومن التطبيقات الطريفة لنفس هذا المبدأ أو هذه القاعدة مسألة الغلامين اللذين يلعبان دور الخدمة العسكرية أو الحرب في الغابة - شكل (٢ - ٧) - .

ليكن غلام منهما واقفاً على غصن شجرة من الأشجار ، ليطلق الثاني عليه رصاص بندقيته (الخرطوش) . ثم لنفرض أن هذا الأخير عندما صوب بندقيته تماماً ومباشرة على الغلام الواقف على الغصن ، وفي نفس اللحظة التي ضغط فيها زناد البندقية ، انزلت قدم الغلام عن الغصن وراح يهوى إلى الأرض . فهل تظن أن هذا السقوط إلى الأرض أنقذه وحال دون إصابته ؟ الجواب عن هذا السؤال هو بالنفي ! وهذا هو السر في أنه عندما تنعدم الجاذبية تنطلق القذيفة على طول الخط المستقيم ا ب ج



شكل (٢ - ٧)

لما كانت جميع الأجسام تتساقط بنفس العجلة ، نجد أنه إذا أطلق غلام ، يمثل لعبة حرب الغابة ، قذيفة من بندقيته (الخرطوش) مباشرة على (العدو) الرابض فوق غصن الشجرة ، فإن القذيفة تصيب أنف العدو إذا ما تعدد هذا السقوط لحظة الإطلاق .

الممتد إلى النقطة الأصلية التي كان يقف عليها الغلام . وعلى أية حال فإنه تحت تأثير الجاذبية (قبضة الأرض) تبدأ القذيفة في التساقط لحظة تركها فوهة البندقية ، ونحصل بذلك على حركة مزدوجة : حركة منتظمة على امتداد الخط ا ب ج ، إلى جانب حركة أخرى ذات عجلة في الاتجاه الرأسى . ولكن لما كانت كل الأجسام

المادية تتساقط بنفس العجلة فإن الحركتين الرأسيتين للقذيفة والصبي تتطابقان بحيث إنه عندما تصل القذيفة إلى النقطة ب التي تقع في منتصف المسافة إلى الهدف الأصلي، تكون قد تساقطت خلال المسافة الرأسية ب ب، التي تساوى تماماً المسافة ج ج التي يقطعها الصبي في سقوطه خلال تلك الفترة . وبدلاً من أن تصل القذيفة إلى النقطة ج في نهاية المدة بفرض انعدام الجاذبية ، نجد أنها في تلك اللحظة قد تساقطت خلال المسافة ج ب التي تساوى المسافة ج ج التي قطعها الصبي في سقوطه . وعلى ذلك تصيب القذيفة أنفه دون شك .

وبدلاً من قذف الحجر أو إطلاق قذيفة نارية يستطيع المرء أن يكتفى بإسقاط جسم من مركبة متحركة . لنفرض مثلاً أننا أسقطنا حجراً من قمة صاري سفينة تدفعها الآلات بسرعة فائقة (أو سفينة تدفعها المحاديف في عهد غاليليو) ، فإن الحجر يأخذ نفس السرعة الأفقية التي تناسب بها السفينة ، ولذلك يستمر يتحرك بهذه السرعة الأفقية بعد إسقاطه ، ويظل ملازماً قاعدة الصاري . ولكن نظراً لأن حركة الحجر الرأسية هي حركة تساقط حر تحت تأثير عجلة الجاذبية ، فإن الحجر يسقط تماماً عند قاعدة الصاري . ويحدث نفس الشيء بطبيعة الحال عندما نسقط جسمًا داخل عربة قطار متحرك ، أو داخل (قمرة) طائرة تحلق في الجو ، مهما بلغت سرعة هذه المركبات .

وفي عصرنا هذا تبدو لنا هذه المسائل كلها بسيطة وواضحة ، ولكن لم يكن الأمر كذلك في عهد غاليليو . ففي تلك الآونة ساد الاعتقاد — تبعاً لتعاليم أرسطو التي كانت تسيطر آنئذ على الفكر العلمي — بأن أي جسم لا يتحرك إلا إذا وقع تحت دفع قوة معينة ، وأنه يركن إلى السكون بمجرد انقطاع عمل القوة المحركة . وتبعاً لوجهة النظر هذه يهوى الحجر رأسياً إلى أسفل مباشرة بمجرد إسقاطه من قمة الصاري في نفس الوقت الذي تناسب فيه السفينة إلى الأمام (أي من غير أن يتأثر الحجر بحركتها) ، ويكون من المنتظر أن يرتطم الحجر بسطحها قريباً من مؤخرتها . ومن خصائص مدارس العصور الوسطى أو سكولائيتهما أن انفرد بمناقشة المسائل التي من هذا النوع المحترفون خلال مدة طويلة ، فلم يهتم أحد مثلاً بتسليق صاري السفينة وهي تتحرك ليسقط من قمته حجراً !!

وتصور لنا الفقرات الآتية من كتاب غاليليو (نقاش حول النظم الكبرى للعالم) الذى نشر عام ١٦٣٢ فى فلورنسة، الموقف تصويراً واضحاً . وقد اقتنى غاليليو أثر كتاب قدماء الإغريق فى إخراج كتابه على صورة حديث بين ثلاثة أشخاص من فنيس مدينة العجائب : سالفياتس الذى يأخذ دور المؤلف نفسه ، وساجرديدس وهو من العامة الأذكاء ، وسمبليسيوس الذى لا يتوافر له الفهم الكافى لمدرسة أرسطو التى يمثلها .

وهاك الحديث الذى دار بينهم حول حجر سقط من أعلى صارى سفينة تنساب فوق اليم ، ثم من أعلى برج شيد على أرض متحركة (كما يقول كبرنيق) .

سالف : يقول أرسطو إن من بين القرائن المقنعة على ثبوت الأرض أن نرى القذائف التى تطلق أو ترمى رأسياً تقفل راجعة عمودياً ، فى نفس الخط الذى سارت عليه لتعود إلى نفس المكان الذى أطلقت أو قذفت منه ، وتسرى صحة هذه القاعدة مهما بلغ ارتفاع القذيفة . وعلى ذلك فمن الأوفق أن نرجع هنا إلى البيئة المأخوذة عن قذيفة عندما تطلق رأسياً تماماً من مدفع (أو بندقية) ، وكذلك إلى غيرها من القرائن التى ساقها كل من أرسطو وبطلميوس خاصة بالأجسام الثقيلة التى عندما تسقط من أى ارتفاع يشاهد أنها تهبط خلال خطوط مستقيمة عمودية على سطح الأرض . وإذا كان على أن أبدأ بتوحيد هذه العقد فإنى أطالب سمبليسيوس بذلك ، أما فى حالة إنكار أحدهما ما ذهب إليه بطلميوس وأرسطو من أن الأجسام عندما تسقط حرة طليقة من عل تنزل على خط مستقيم متعامد^(١) ، أى يتجه مباشرة إلى المركز ، فأى وسيلة يمكن أن يستخدمها للتدليل على ذلك ؟

سمب : وسيلتنا إلى ذلك هى الحواس التى نتبين بها أن ذلك البرج أو غيره من المرتفعات يقف معتدلاً رأسياً ومتعامداً ، ونرى أن ذلك الحجر ينزل على الحائط دون أن ينحرف قدر سمك الشعرة إلى هذا الجانب أو ذاك ، ويصل إلى الأرض تماماً تحت المكان الذى أسقط منه .

سالف : ولكن إذا حدث أن كانت الكرة الأرضية تلف وتدور ، ومن ثم تحمل

(١) على سطح الأرض (المترجم) .

معها البرج كذلك ، وأن الحجر كشط بجانب البرج فعلا وهو ينزلق عليه ، فماذا يجب أن تكون حركته إذن ؟

سمب : في هذه الحال ربما يكون من الأوفق أن نتحدث عن حركته ، إذ تكون له حركة يهبط بها من القمة إلى القاعدة ، كما تلزمه حركة أخرى يتابع بها مسار البرج المذكور .

سالف : وإذا يلزم أن تتركب إزاحته من حركتين ، ومن ثم ينتج أن الحجر لا يرسم ذلك الخط البسيط العمودي ، ولكن بخطاً مستعرضاً وربما لا يكون مستقيماً . سمب : لا أستطيع أن أقول شيئاً عن عدم استقامته ، ولكني أعرف جيداً أنه من اللازم أن يكون المسار مستعرضاً .

سالف : أنت ترى معي إذن أن مجرد رصد الحجر الساقط ومشاهدته ينزلق على طول البرج ليس معناه حتماً الجزم بأنه يرسم خطاً مستقيماً وعمودياً ما لم تفترض أولاً أن الأرض ثابتة لا تتحرك .

سمب : هذا حقيقي ، لأنه لو كانت الأرض تتحرك لأصبح مسار الحجر مستعرضاً وليس متعامداً .

سالف : ويتمخض دفاع أرسطو إذاً عن استحالة ، أو على الأقل عن اعتباره أمراً مستحيلاً أن يكتسب الحجر خليطاً من الحركة المستقيمة والحركة الدائرية ، لأنه إذا لم يعتبر من المستحيلات إمكان تحرك الحجر في الحال تجاه المركز ومن حوله ، كان عليه أن يدرك بداهة أن الحجر الساقط يجوز في أثناء هبوطه أن ينحدر البرج ، سواء تحرك هذا أم لم يتحرك . وعلى ذلك فقد كان لا مناص من ألا يرى شيئاً يمكن أن يستنتج من هذا الحدش خاصاً بحركة الأرض أو سكونها . ولكن هذا لا يعنى أرسطو بحال ، فقد كان عليه أن يعبر عن هذه الفكرة لو أنها توافرت لديه ، لأهميتها وضرورتها كجزء من دفاعه ، وأيضاً لأنه لا يمكن التسليم بأن مثل تلك الظاهرة يعد أمراً مستحيلاً ، أو لأن أرسطو اعتبرها كذلك بالعقل . ولا داعي لتأكيد الأمر الأول ، لأنني في سياق حديثي سوف أبين أنه ليس محتملاً فحسب بل هو ضروري كذلك . كما أنه لا لزوم لإثبات الثاني ، لأن أرسطو نفسه يفترض أن النار تسرى بحسب الطبيعة في خط مستقيم ، كما تسرى من حولها مع الدورة

اليومية التي تسبغها السموات على عنصر النار كله وأغلب أجزاء الهواء العلوى . فلو أنه اعتبر من الممكن خلط الحركة المستقيمة إلى أعلى مع الحركة الدائرية التي تسبغ على النار والهواء من تجويف كرة القمر لكان عليه أمر إمكان خلط حركة الحجر المستقيمة إلى أسفل مع حركته الدائرية التي نفترضها شيئاً طبيعياً لكل الكرة الأرضية ، التي يكون الحجر جزءاً منها .

ونجد بعد ذلك في « كتاب الحوار » أن سالفياتس يقترح إجراء تجربة مثيرة ليدلّل بها على وجهة نظره التي أوضحها في نقاشه السابق .

سالف : وإذا لم أكن مخطئاً ، فإن إثارتك الشك حول هذا الأمر أكثر من غيره إنما يتوقف على ما أمدت به الطيور بما يكفل لها استخدام قواها حسبما أرادت ضد الحركة الابتدائية للأجسام الأرضية : فمثلاً نحن نراها تطير إلى أعلى وهو أمر يلزم أن يكون مستحيلاً تماماً على الأجسام الثقيلة ، على حين أنها عندما تموت لا تستطيع إلا السقوط إلى أسفل ، وعلى ذلك يمكننا أن نتبين أن القواعد التي تنطبق على جميع القذائف المذكورة سابقاً لا يمكن انطباقها على الطيور . ولما كان هذا الأمر مما لا شك فيه فإننا نرى الطيور الحية تتصرف بطريقة تختلف عن الأجسام عندما تهوى إلى الأرض . فإذا ما أسقطنا من قمة برج من الأبراج طائراً ميتاً وآخر حياً ، فإن الطائر الميت يفعل نفس الشيء الذي يفعله الحجر ، أي إنه سوف يتبع أولاً الحركة اليومية العامة ، وبعد ذلك حركة الهبوط تماماً مثل الحجر . أما إذا كان الطائر حياً عند إسقاطه فما الذي يمنعه (مع بقاء الحركة اليومية فيه إلى النهاية) من الحركة بمساعدة جناحيه ليقتصد أى نقطة يرغبها في الأفق ؟ ولما كانت هذه الحركة الجديدة مقصورة على الطيور ونحن لا نشاركها فيها ، فإنه لا مناص لنا من رصدها ومشاهدتها . ومجمل القول أنه لا يختلف طيران الطير عن إطلاق القذائف أو الدفع بها إلى أى مكان في العالم في شيء سوى أن القذائف تتحرك بمؤثرات خارجية ، بينما تحلق الطيور تبعاً لمبدأ داخلي . ولكي نعطي برهاناً أخيراً على عدم إيجابية كل التجارب التي أجريت من قبل ، أرى أن الوقت قد حان والمكان يصلح لعرض وسيلة نبين بها كيف تعمل محاولة صادقة لها جميعاً .

اقفل عليك مع صديق لك باب أكبر غرفة تحت سطح سفينة كبيرة ومعكما

عدد من البعوض والذباب وغيرها من الكائنات الصغيرة ذات الأجنحة ، بعد أن تكون قد أحضرت معك إناء كبيراً به ماء بداخله بعض الأسماك ، وعلقت زجاجة في السقف يقطر منها الماء نقطة نقطة متساقطاً داخل فوهة ضيقة لزجاجة أخرى موضوعة تحتها . بعد ذلك لاحظ ، والسفينة ساكنة لا تتحرك ، كيف تطير تلك الحيوانات الصغيرة المجنحة بسرعة متجانسة تجاه كافة أرجاء الغرفة ، وكيف تعوم الأسماك دون تمييز بين جوانب الإناء ، وكيف تتساقط جميع النقاط التي تقطر من الزجاجة العليا داخل الزجاجة السفلى . وإذا ما أردت أى شيء من صديقك فإنه لا يحتاج لكى يدفعه إليك إلى قوة أكبر في اتجاه أو آخر ما دامت المسافات متساوية ، وعندما تعمد إلى القفز بكل قواك تجد أن المسافة التي تقطعها تظل ثابتة إلى أى جهة ترغبها . وبعد ملاحظة كل هذه الدقائق ، ورغم أنه لا ينكر أحد أن الأمور تجري على هذا النحو ما دامت السفينة ساكنة ، اجعل السفينة تتحرك بأى سرعة تعجبك بشرط أن تظل الحركة منتظمة من غيرذبذبة هنا أو هناك ، تجد أنه يستحيل عليك تمييز أى تغير يطرأ على الظواهر السابق ذكرها ، كما أنه لا يمكنك أن تحكم عن طريق أية ظاهرة منها ما إذا كانت السفينة تتحرك أو لا تتحرك بتاتاً ، وعلّة ذلك أن حركة السفينة يعتادها كل ما فيها ويعتادها الهواء كذلك ، أعنى لو أن الغرفة أغلقت على هذه الأشياء . أما إذا كانت فوق سطح السفينة في الهواء الطلق ولم تجبر على ملازمة السفينة ، فإنه ينجم عن ذلك ملاحظة بعض الفروق تطرأ على الدخان وعلى جانب من تلك الظواهر . وليس من شك أن الدخان يتخلف على قدر الهواء نفسه . والذباب كذلك والبعوض يعوقه الهواء ولن يتمكن من متابعة حركة السفينة إذا ما فصل عنها بأى مسافة ، إلا أنه يظل قريباً منها ، لأن السفينة بحكم أنها تركيب غير قابل للتجزئة ، تحمل معها جانباً من أقرب هواء لها ، وبذلك تتبع هذه الأشياء السفينة دون أى مشقة أو صعوبة . ولنفس هذا السبب نرى أحياناً في مراكز ركوب الخيل أن ذباب الخيل المصنّى يتبعها ، فيحط تارة على جزء من جسمها ثم يطير إلى جزء آخر تارة أخرى . أما في حالة النقاط المتساقطة فإن الفرق يكون طفيفاً جداً يكاد لا يدرك ، وكذلك الحال مع قفزات الأجسام الوثيدة المترنة .

ساجر : رغم أنه لم يخطر ببالى أن أجرى مثل هذه المشاهدات عندما كنت

في البحر ، إلا أنني واثق من أنها صادقة على النحو الذي وصفته . وتأكيذاً لذلك أتذكر أنني عندما كنت في (قمرتي) تساءلت مائة مرة عما إذا كانت السفينة تتحرك أو واقفة في مكانها ، وكنت أحياناً أتصورها تتحرك في اتجاه معين في الوقت الذي كانت تنساب فيه في الاتجاه المضاد . وعلى ذلك فإنني راض تماماً ومقتنع بعدم صلاحية جميع تلك التجارب التي أثبتت العكس .

والآن يبقى الاعتراض القائم على ما تثبته لنا الخبرة وتدل عليه ، وهو أن حركة الدوران السريعة لها فعل الطرد والتشتيت للمواد الملتصقة بآلة الدوران . وقد بنى الكثيرون ، ومنهم بطلميوس ، على هذه الحقيقة فكرة أنه إذا كان من الضروري أن تدور الأرض وتلف بمثل تلك السرعة العظيمة ، وجب أن يندفع كل ما على سطحها من حجارة وكائنات إلى السماء ، ولن تكون هناك مادة بناء تبلغ من القوة ما يتيح لنا فرصة تثبيت المباني في أساسها ، فتلقى نفس المصير .

وفي عصرنا هذا تعرف العبارة القائلة بأنه يستحيل التحقق من أن السفينة راسية أو تنساب عبر البحر عن طريق إجراء أي تجربة ميكانيكية في داخل (قمرة) مقفلة باسم « مبدأ النسبية لغاليليو » ، ولقد مرت قرون ثلاثة تطور خلالها علم الفيزياء حتى ظهر ألبرت أنشتين فعمم هذا المبدأ عندما نرصد الظواهر الضوئية والكهرومغناطيسية في مكان مقفل يسير بسرعة منتظمة . ولقد وقفت إضافات غاليليو في ميدان علم الميكانيكا عند هذا الحد .

غاليليو الفلكي

وبالإضافة إلى أن غاليليو كان من أوائل الفيزيائيين التجريبيين والنظرين ، فقد قام بكشف هائلة عديدة في علم الفلك ، وبصر الإنسانية بآفاق الكون الواسعة التي لا حدود لها من حولنا . وأول ما أثارت السماء انتباهه كان عام ١٦٠٤ ، عندما ظهر فجأة وعلى حين غرة نجم لامع (نطلق عليه اليوم اسم النواة novae) * في إحدى الليالي بين مجموعة النجوم الثابت التي يعرفها راصدو النجوم منذ آلاف

* معناها النجوم الحديثة ، إلا أن (المترجم) يطلق عليها في مؤلفاته اسم النجوم البراقة ؛ وذلك نظراً لأن اللعان وشدة البريق من أهم صفات هذه النجوم (المترجم) .

السنين . وبرهن غاليليو ، وكان في ذلك الحين قد بلغ من العمر أربعين عاما ، على أن النجم الحديد كان نجماً بالفعل ولم يكن نوعاً من أنواع الشهب في جو الأرض ، كما تنبأ بأنه سوف يقل لمعانه ويخبو تدريجياً . ولقد سبب ظهور نجم جديد في كبد السماء — تلك التي لا سبيل إلى تغييرها على الإطلاق تبعاً لفلسفة أرسطو وتعاليم الكنيسة * — سبب وخلق لغاليليو كثيراً من الأعداء من بين زملائه العلميين ومن بين مراكز الألكبروس العليا . ولم تمض غير سنوات معدودات على تلك الخطوة التي خطاها من أجل دراسة السماء حتى قام غاليليو بثورة فلكية عظيمة ، عندما أتم بناء أول منظار فلكي وصفه بالكلمات الآتية :

« منذ نحو عشر سنوات مضت بلغت مسامعنا إشاعة فحواها أن جهازاً بصرياً أتقن صنعه بمعرفة رجل هولندي ، وأمكن به مشاهدة الأشياء المرئية مقربة بحيث تصير كأنما هي بين أيدينا مهما كان بعدها عنا . وتسربت أخبار هذا الجهاز وشاعت بين الناس قصته الرائعة وآمن بها بعض ، وصدقها وأنكرها بعض آخر . ولقد وضحت لي الحقيقة منذ بضعة أيام فقط ؛ وذلك بعد أن وصلني خطاب من باريس من النبيل الفرنسي يعقوب بادوفير ، مما دفعني في النهاية إلى توجيه كل جهودي وطاقتي للبحث عن النظرية والكشف عن الطريقة التي يمكن أن تقودني إلى اختراع جهاز مماثل . ولقد نجحت في ذلك فيما بعد ولما يمض على دراستي لنظرية الانكسار زمن طويل ، وبدأت أول الأمر بإعداد أنبوبة من الرصاص ، ثبتت في طرفيها عدستان من الزجاج ، لكل منهما وجه مستو ، ولإحدهما سطح كروي مقعر ، وللأخرى سطح محدب على الجانب الآخر . . . »

ولما فرغ من بناء جهازه وجهه إلى السماء ، فرأى بدائع الكون وشاهد روائعه

* سبق القرآن ركب العلم بعشرات القرون إذ يقول في هذا المجال :

- (١) « والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون » (الذاريات ٤٧) .
 - (٢) « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب » (الطارق ١ - ٣) .
 - (٣) « ويخسر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى » (لقمان ٢٩) .
 - (٤) « والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء » (المائدة ١٧) .
 - (٥) « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » (يونس ١٠١) .
 - (٦) « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها » (يوسف ١٠٥)
- ولعل معاني هذه الآيات واضحة جلية في مثل هذا المقام (المترجم) .

أمام ناظريه ، ولقد رصد القمر فألنى أن سطح القمر ليس بالسطح الأملس تماماً ، وهو لا يخلو من التجاعيد كما لا يعتبر صادق الاستدارة ، كما يصوره مع غيره من أجرام السماء فريق كبير من الفلاسفة . ولكن على العكس من ذلك تنتشر على سطحه الوعر التجاعيد ، وتكثر الأخاديد ، وتسود التتواءات تماماً كما هو الحال على سطح الأرض نفسها ، الذى تكتنفه فى كل مكان الجبال وتسود الوديان العميقة .

ونظر إلى الكواكب فوجد أن :

الكواكب تظهر على هيئة أقراص كاملة الاستدارة ، وكأنما رسمت بزواج من الفرجار ، وهى تبدو فى مجموعها كعدة أقمار صغيرة ، عظيمة الاستضاءة ، وكروية الشكل . ولكن النجوم الثابتة لا تظهر حافة النجم منها للعين المجردة (لا بد أن تكون هذه أول مرة استخدم فيها هذا التعبير) فى قالب القرص المستدير ، وإنما يرى النجم فى الغالب كشعلة من الضوء تشع منها حزم مضيئة تنطلق من جميع الجوانب على هيئة الشرر المتقد . وتظهر هذه النجوم خلال المنظار المكبر (التلسكوب) بنفس الشكل الذى نراه عندما نرصدها بمجرد النظر إليها .

ونظر إلى المشتري فى السابع من يناير عام ١٦١٠ ، وقال :

هناك ثلاثة نجوم صغار ، وهى برغم صغرهما شديدة اللمعان وتقع بجوار الكوكب . ورغم أننى اعتقدت أنها تنتمى إلى مجموعة النجوم الثابتة ، فإنها جعلتنى أتعجب إلى حد ما ، لأنها بدت كأنها مرتبة على خط مستقيم يوازي الدائرة الكسوفية ، وكان لمعانها يزيد على لمعان باقى النجوم ولكنها تساويها فى القدر أو الحجم . . . وعلى الجانب الشرقى ظهر نجمان ، على حين لم يكن فى الغرب سوى نجم واحد . . . ولكن عندما ساقى القضاء والقدر فى الثامن من يناير وحملتنى على النظر مرة أخرى إلى نفس الركن من السماء وجدت الوضع قد تبدل تماماً ، فقد ظهرت لى ثلاثة نجوم صغار كلها إلى الغرب من المشتري ، وكانت أكثر قرباً فيما بينها عن ذى قبل (بالنسبة لما كانت عليه فى الليلة الماضية) .

وعلى ذلك قرر غاليليو أن :

فى السماء ثلاثة نجوم تسبح حول المشترى ، كما يسبح عطارد والزهرة حول الشمس .

ورصد عطارد والزهرة واكتشف أنهما يأخذان أحياناً شكل الهلال ، تماماً كما يفعل القمر ، ومن ثم استنتج أن :

كلا من عطارد والزهرة يسبح حول الشمس كما تسبح باقى الكواكب السيارة ، وهى حقيقة آمنت بها المدرسة البيثاجورية من أمثال كبرنيق وكبلر ، إلا أنها لم تثبت بالدليل الحسى ، كما هو الحال اليوم مع عطارد والزهرة .
ونظر إلى الطريق اللبنى * فألفاه :

..... لا يعدو كونه كتلة غير محدودة العدد من النجوم موزعة فى مجموعات ولقد كانت اكتشافات غاليليو التى حصل عليها باستخدام المنظار المكبر بمثابة البرهان القاطع الذى لاسبيل إلى دحضه أو إنكاره ، والذى يدل على صحة رأى كبرنيق وتصويره للعالم . فراح يتحدث عنه ويهلل له ، إلا أن ذلك تحدى القدر الذى كانت تسمح به محاكم التفتيش ، وألقى القبض عليه ، ومكث مدة طويلة فى معزل عن الناس رهن المحاكمة ، ولكن يلوح أن هذا لم يغير من طبيعته وروحه المكافحة . ففى ١٥ من يناير عام ١٦٣٣ ، قبل محاكمته النهائية بشهور قلائل ، كتب غاليليو إلى صديقه إيلا ديوداتى يقول :

« ولو أننى سألتهم : من صنع الشمس ، والقمر ، والأرض ، والنجوم ، ونظم حركاتها ؟ سيقولون إنها من عمل الله . ولكن عندما أضمن سؤالى الاستفهام عن صانع الكتاب المقدس ، يقولون لى إنه من عمل الروح القدس دون شك ، أى من صنع الله كذلك . وهنا عندما أسأل عما إذا كان الروح القدس يستعمل من الألفاظ ما يناقض به الحقيقة تماماً ، من أجل إقناع أفهام الجموع ** غير المثقفة ، فإنى على يقين من أنهم سوف يقولون لى ، بعد اقتباسات عديدة من جميع الكتاب المقدسين الأطهار ، بأن هذه هى ولا ريب طريقة أو عادة الكتاب المقدس ، الذى يحتوى على مئات الفقرات التى عندما تؤخذ حرفياً لا تتمخض إلا عن هرطقة وكفر ؛ إذ أن فيها يبدو الله ككائن ملىء بالحق والكراهية والإثم مع الغفران .

* يقال له كذلك طريق التبانة لشبه بينه وبين منظر اللبن أو التبن المتناثر على طول طريق ناقله .

(المترجم) .

** يعنى سواد الناس (المترجم) .

وعند ذلك إذا ما سألت عما إذا كان الله ، لكي يفهمه سواد الناس ، عمد مرة من المرات إلى تغيير سنته ، أو عما إذا كانت الطبيعة ، تلك التي لا تتغير ولا تدركها رغبات البشر ، لا تحتفظ دائماً بنفس أنواع الحركة وأشكالها وأقسام الكون .. فإني واثق من أنهم سوف يقولون لي : إن القمر كان وسيظل مستديراً أبداً الدهر رغم أنه اعتبر مسطحاً خلال فترة طويلة . ومجمل كل هذا في عبارة واحدة هو : لن يوافق أحد على أن الطبيعة تغيرت ولو مرة واحدة من أجل أن تجعل سنتها وأعمالها سائغة لذينة الطعم لدى البشر ، وإذا كان هذا هو الشأن فإني أتساءل : إذن لماذا يتحتم علينا ، من أجل فهم أركان العالم المختلفة ، أن نبدأ بدراسة كلمات الله وتمحيصها ، دون البحث في خلقه والتفكير فيه . فهل معنى ذلك أن (العمل) : هو أقل قيمة وتقديراً من (الكلمات) * ؟ فإذا كان هناك من يحكمون بكفر ومروق القائل بدوران الأرض وخروجه على الدين ، ثم دلت القرائن والتجارب بعد ذلك على صحة هذا القول ، فما هي المتاعب التي سوف لا تواجهها الكنيسة ؟ أما على العكس من ذلك إذا نحن كلما وجدنا خلافاً بين (كلمات الإنجيل) و (أعمال الله) ، اعتبرنا الكتاب المقدس في المرتبة الثانية ، فإنه لن يلم به أذى أو يحيق به ضرر ، إذ طالما غير الكتاب وبديل ليلائم سواد البشر ، ولكم من مرة نسب إلى الله صفات خاطئة . وعلى ذلك فمن واجبي أن أعرف لماذا نحن نصر على أن الإنجيل ، عندما يتحدث عن الشمس أو عن الأرض ، يكون من واجبنا أن نعتبر ما فيه معصوماً من الخطأ .

* ليس عجيباً أن تطابق هذه المعاني كلها نفس ما نادى به القرآن من مبدأ التفكير في الكون وسنته ودراسته ، فالتفكير السليم يصل بصاحبه دائماً إلى النتائج الطبيعية الصحيحة . انظر إلى قوله تعالى مثلاً :

- (١) « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » (العنكبوت ٢٠)
 - (٢) « ويتفكرون في خلق السموات والأرض » (آل عمران ١٩١)
 - (٣) « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (الأعراف ١٨٥)
 - (٤) « وفي الأرض آيات للموقنين » (الذاريات ٢٠)
 - (٥) « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » (الروم ٢٢)
 - (٦) « إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » (فاطر ٢٨)
 - (٧) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها » (ق ٦)
 - (٨) « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » (آل عمران ١٩٠)
- إلى غير ذلك من عديد الآيات التي تتناول أركان الكون المختلفة (المترجم)

وفي ٢٢ من يونيو عام ١٦٣٣ ، وكان قد بلغ التاسعة والستين ، حضر أمام قاضي المكتب المقدس للكنيسة ، فرقع على ركبتيه وراح « يعترف » قائلاً :

« أنا ، غاليليو غاليلي ، ابن المرحوم فنستريو غاليلي من فلورنسة ، عمرى سبعون سنة ، * حضرت بنفسى للمحاكمة ، وهأنذا أركع أمامكم أيها السادة الكاردينالات الأفذاذ المبجلين ، ممثلى الكنائس العالمية ضد الخروج عليها وعلى تعاليمها . إننى أقسم وقد وضعتم أمام نظرى الإنجيل المقدس الذى أئسسه بيدي - على أننى كنت دائماً أومن ، وسوف أظل أومن بعون الله فى المستقبل ، بكل آية تؤمن بها أو تعلمها أو تبشر بها كنيسة رومة الكاثوليكية الرسولية . ولكن نظراً لما أتمتع به من شرف المثول بين يدى المكتب المقدس ، لأطرح جانباً وأنبذن بصفة قاطعة فكرتى الخاطئة التى تؤيد كون أن الشمس هى المركز * * وأنها لا تتحرك ، فقد حرمت أن أعتقد ، أو أدافع أو أعلم هذا المبدأ الخاطئ المذكور بأية وسيلة كانت . . . وإننى لأرغب فى أن أزيل من عقول سموكم ، وكذلك من عقل كل مسيحى كاثولىكى ، هذا الشك المريب الذى وجهت تهمته إلى ، ولذلك فإننى أعلن أننى أنكر ، بل ألعن وأمقت ، تلك الأخطاء المذكورة ، وهذه الهرطقة المزرية ، بقلب يغمره الإيمان والصدق الذى لا رياء فيه ولا مواربة أو تضليل ، وكذلك أنكر بصفة عامة كل خطأ آخر أو مذهب لا يتفق مع الكنيسة المقدسة المذكورة . وإننى لأقسم بأننى لن أقول مرة أخرى فى المستقبل ، أو أنقل أى شئ شفاهاً أو كتابة ، تنجم عنه ريبة فى أمرى كهذه . وسوف إذا ما سمعت أى رأى لا يتفق مع الدين ، أو عرفت أى شخص أشك فى عقيدته ، سوف أخبر به المكتب المقدس أو محكمة التفتيش حينما كان مكانى . وإننى لأقسم أكثر من ذلك ، كما أعد بأننى سوف أراعى تماماً حدود توبتى هذه التى يطالبنى بها هذا المكتب المقدس . وإذا صادف أن انتهكت حرمتها ، ولم أبر بجانب من وعودى آنفة الذكر ، وقسمى وإيمانى ، ولم أنبذ ما حرم الله ، فإننى أعرض نفسى لشتى أنواع الآلام وألوان العذاب والعقاب التى أقرتها الكتب الدينية وتحدثت عنها ، وكذلك غيرها من القوانين العامة والخاصة ضد المذنبين المارقين . وإننى لأسأل الله

* هذا هو النص الأصل لمحاكمة غاليليو ، إلا أن عمره آنئذ كان فعلاً ٦٩ سنة و ٤ شهور و ١٧ أيام .
(المؤلف)

** أى بالنسبة لعالمنا أو مجموعتنا الشمسية (المترجم) .

العون والمساعدة بفضل كتابه المقدس الذي ألمسه بيديّ . وأنا غاليليو غاليلي آنف الذكر ، أقسم جهداً أيماني ، وأعد بأن ألزم نفسي بما قلت . وأمام الشهود الحاضرين أوقع بيدي بالذات على هذا المخطوط الذي أمامكم الخاص بهذا العهد الذي قرأته كلمة كلمة .

وهناك قصة تروى عن غاليليو عقب « محاكمته » مباشرة ، فقد قيل إنه عقب بقوله : « أبورسى موثى Eppur si muove » ، أى (ومع ذلك فهي تتحرك) ! إلا أن هذه الرواية ليست صحيحة تماماً ، والغالب أن أساسها قصة قديمة تنسب هذه الكلمات إلى غاليليو عندما كان يراقب اهتزاز ذنب كلب صديق دخل خطأ إلى المكتب المقدس .

ولما حكم عليه بالإلحاد لازم غاليليو مسكنه في ارستري بجوار فلورنسة تحت ما قد نطلق عليه اليوم اسم « بيت تحديد الإقامة » .
وفي الثامن من يناير عام ١٦٤٢ مات غاليليو وقد فقد بصره تماماً وأضتته الحياة .

الباب الثالث

قال الله : « ليكن نيوتن * » .

في نفس السنة التي مات فيها غاليليو في عزله بفلورنسة ، رزق فلاح من لنكولنشير يقال له « نيوتن » بطفل ، سابق لحيه ، أسماه « إسحق » . ولم يظهر « إسحق » هذا خلال السنين الأولى من حياته المدرسية أية دلالة تشير إلى سبقه وتفوقه في مضمار العلوم ، بل على العكس من ذلك كان يبدو في صباه معتل الصحة ، خجولا ، لا أثر للنبوغ فيه . وأول ما بدأ ينفض عنه هذه السمات كان إثر نزاع نشب بينه وبين زميل له في المدرسة تميز بالعنف والخيلاء على غيره من الصبية ، لما كان يزهي به من تفوق علمي وانتماء إلى صفوف الطلبة الممتازين في الفرقة . وما إن ضربه هذا الطالب الفحل (الذي نسي التاريخ اسمه) في بطنه ، حتى تحداه نيوتن للقتال ، وكانت له الغلبة لما جبل عليه (أي نيوتن) من « الروح العالية والعزم » . ولما انتصر هكذا بقوة جسده عليه آلى على نفسه أن يواصل النصر في معركة الذكاء ، وراح يواصل العمل بجهد ونشاط حتى أصبح أول فرقته . وفاز « نيوتن » كذلك في معركة أخرى ، خاضها ضد أمه عندما رغبت أن يشتغل في مستقبله بالزراعة ، إلا أنه في الثامنة عشرة التحق بكلية (ترينيتي) وكرس حياته للدراسة الرياضية ، فحصل على درجة البكالوريوس عام ١٦٦٥ بمرتبة عادية دون تمييز خاص .

تقدم مدة الوباء

وفي منتصف صيف عام ١٦٦٥ هبط لندن وباء الطاعون المشهور ، فسبب وفاة شخص واحد من بين كل عشرة أشخاص من أهل لندن خلال بضعة أشهر

* من بيت شعر قاله الكساندر بوب (١٦٦٨ - ١٧٤٤) :
« يحجب الطبيعة ونظمها عنا ليل حالك الظلام فلما قال الله : (ليكن نيوتن) صارت ضياء للأنام »
(المؤلف)

من انتشاره . وفي الحريف أغلقت جامعة كمبردج أبوابها لقربها من مركز الوباء ، وعاد الطلبة إلى منازلهم . وهكذا آب نيوتن إلى بيت والديه في لنكولنشير ، حيث مكث ثمانية عشر شهراً حتى فتحت أبواب الجامعة من جديد .

وكانت تلك الأشهر الثمانية عشر التي قضاها في عزله الريفية أكثر الفترات إنتاجاً في حياته . ويمكن القول بأنه خلال تلك الفترة فكر في أغلب الآراء التي يدين له بها العالم اليوم .

وفيما يلي كلماته بالذات :

« وفي أوائل عام ١٦٦٥ وجدت ال قاعدة لتحويل أى ا س في ذات الحدين إلى متوالية * . وفي نفس السنة ، في أول مايو ، توصلت إلى طريقة المحاسبات وفي نوفمبر عرفت الطريقة المباشرة للفيض (هي مبادئ ما نسميه اليوم حساب التفاضل) . وفي نفس ذلك العام شرعت أفكر في الجاذبية وأتصورها ممتدة إلى مدار القمر و وقارنت بين القوة اللازمة لبقاء القمر في فلكه مع قوة الجذب على سطح الأرض » .

وكرس باقي حياته العلمية لتطوير تلك الآراء التي فكر فيها في لنكولنشير .

فلما بلغ السادسة والعشرين عين أستاذاً بجامعة كمبردج ، ولما بلغ الثلاثين تم اختياره عضواً بالمجمع الملكي ، وهو أعظم شرف علمي في إنجلترا . ويقول الذين كتبوا قصة حياته إنه كان مثالا ناطقاً للأستاذ « الشارد العقل » ، ومن أوصافهم : « لم يكن ليأخذ بأى نوع من أنواع الراحة أو التسلية أو اللهو ، لا بالركوب في الهواء ، أو المشي أو لعب الكرة ، ولا بأى نوع آخر من أنواع التمارين الرياضية مهما كان نوعها ، بل كان دائم التفكير طول الوقت الذي لا يمضيه في الدراسة » . وكثيراً ما كان يواصل العمل حتى ساعات الصبح القليلة ، وينسى وجبات طعامه . وعندما يظهر مرة بين الفينة والفينة في صالة الأكل بالكلية « يكون حذاؤه خارجاً إلى كعبه ، وجواربه متدلّية غير مشدودة ، وهو يحمل قميصه ، وقد تبعثر شعر رأسه » . ونظراً لأنه كان مشغولاً دائماً بأفكاره ، مسترسلاً فيها ، فقد كان عصيباً جداً ، غير موفق في مسائل الحياة اليومية . ويقال إنه عمداً مرة إلى عمل ثقب في باب

* هي نظرية ذات الحدين لنيوتن التي تدرس اليوم ضمن برامج الدراسات العليا في الجبر (المؤلف)

بيته لتدخل وتخرج منه قطته . فلما أنجبت مجموعة من الهرات الصغيرة ، أضاف إلى الثقب الصغير طائفة من الثقوب الصغيرة بعدد الهرات .

وكإنسان ، لم يكن نيوتن مرحاً تماماً أو سعيداً ، فكثيراً ما شغلت باله مشاغبات زملائه ومشاحنتهم له ، وقد يكون ذلك انعكاساً للنضال القديم الذى دار بينه وبين زميله فى المدرسة . وكان يشغل باله كذلك الشجار المرير الذى احتدم بينه وبين أحد المشتغلين بالفيزياء فى كمبردج هو روبرت هوك (الذى وضع أساس نظرية المرونة) ، بخصوص نظريته فى الألوان ، والأسبقية فى الوصول إلى الجاذبية العالمية . وأثار أيضاً مسألة أسبقية أخرى مع أحد الرياضيين الألمان المسمى جتفريد ليبنتز بخصوص اختراع حساب التفاضل والتكامل ، وأسبقية غيرها مع كرستيان هيجنز الهولندى بخصوص نظرية الضوء . ولقد وصفه عالم الفلك جون فلامستيد ، الذى لم يكن ليتحدث مع نيوتن ، بقوله إنه « مكار ، مخادع ، طموح ، شديد الحسد من الثناء على الغير ، ولا يتحمل المعارضة . . . إلا أنه طيب القلب ، رغم أن من طبيعته الريبة والشك » .

واشتغل نيوتن خلال السنين التى قضها فى كمبردج وكذاً فى الوصول إلى آرائه الفذة التى فكر فيها بين الثالثة والعشرين والخامسة والعشرين من عمره ، إلا أنه احتفظ بسرية أغلب ما توصل إليه . ويفسر لنا هذا حقيقة أن النص الكامل نشر فى أثناء حياته بعد ذلك بكثير : أعماله فى الميكانيكا والجاذبية فى عمر الرابعة والأربعين ، وأعماله فى الضوء فى عمر الخامسة والستين .

برنسبيا * نيوتن

كتب نيوتن فى المقدمة (المؤرخة فى ٨ من مايو ١٦٨٦ ، لكتابه « الأسس الرياضية للفلسفة الطبيعية * » يقول :

« منذ اعتبر الأقدمون علم الميكانيكا من ألزم العلوم لدراسة الأشياء الطبيعية ، ومنذ شرع المشتغلون بالعلم فى هذا العصر ، عن طريق نبد الصيغ والتقاليد القديمة ، والصفات الغامضة المبهمة ، فى تعريض أو شرح ظواهر الطبيعة بالقوانين الرياضية ، حاولت فى هذه المقالة أن أستخدم الرياضة إلى أبعد مدى فى ميدان

* Principia معناها أسس (المترجم) .

** كانت الفلسفة الطبيعية فى ذلك الوقت تعنى دراسة قوانين الكون . (المؤلف) .

الفلسفة الطبيعية . ولقد سبق أن استخدم الأقدمون علم الميكانيكا في مجالين ، كشيء منطقي تتضمن صحته التجارب ، ثم كشيء عملي أو تطبيقي . وتتضمن الميكانيكا التطبيقية كل الحرف اليدوية (الهندسية) ، التي اشتق منها اسم الميكانيكا . ولكن نظراً لأن الصناع لا يعملون الأشياء بدقة تامة ، فقد تباينت الميكانيكا واختلفت عن الهندسة لدرجة أن ما يكون دقيقاً تماماً (في تصميمه وبنائه) يسمى هندسياً ، وما يقل عنه دقة يقال له ميكانيكا . وعلى أية حال فإن مصدر الأخطاء هنا ليس هو الفن ، ولكن هو الصناع . فمن لا يتوخى الإتقان يسمى (ميكانيكياً) غير دقيق ، وإذا استطاع أحد أن ينجز عمله بدقة تامة يعتبر أعظم (الميكانيكيين) إتقاناً وأكثرهم نجاحاً

وإن اهتمنى لينصب على الفلسفة الطبيعية وليس على الصناعة أو الفن ، كما أننى أكتب عن قوى الطبيعة ، وليس عن القوى اليدوية ، وأساس دراستى تلك الأشياء التى تتصل بالخاصية والدفع إلى أعلى (الذى ينجم عنه التعويم) ، وقوى المرونة ، ومقاومة المواد السيالة وما على شاكلتها من القوى سواء أكانت قوى جذب أم طرد ، مما يحملنى على اعتبار هذا العمل بمثابة الأسس الرياضية (للفلسفة) الطبيعية ، لأنه يلوح أن جميع العبء الواقع على كاهل الفلسفة إنما يتركز فى ذلك — من ظواهر الحركة ندرس قوى الطبيعة ، ومن هذه القوى نحدد الظواهر الأخرى — .

ولكم كنت أتمنى أن نشق أو نستنتج ظواهر الطبيعة . . . من مبادئ الميكانيكا ذلك لأننى بكل تأكيد ، ولأسباب متعددة ، أتوقع أنها جميعها تعتمد على قوى معينة من شأنها أن تؤثر فى الجزئيات التى تبنى منها الأجسام ، ولعلنا لا نعرفها بعد ، تجعلها إما أن تتجاذب وتتجمع بعضها مع بعض ، أو أن تتنافر مبتعدة عن بعضها بعضاً . ولما كانت هذه القوى غير معروفة ، فقد ذهبت بحوث الفلاسفة فى مجال الطبيعة سدى وظلت دون جدوى حتى يومنا هذا ، وكلى أمل فى أن الأسس التى أسوقها هنا سوف تلقى بعض الضوء على ذلك ، أو تلهمنا الطريق إلى وسيلة أقرب إلى الحقيقة فى الفلسفة الطبيعية .

ولقد وضع نيوتن بهذه الكلمات برامج (التفسير الآلى) لشتى ظواهر الطبيعة ،

وهي وجهة نظر غلبت على دراسة الفيزياء حتى ابتداء القرن العشرين ، ولم يعدل عنها إلا تحت ضغط النظرية النسبية ونظرية الكم . وما إن حدد هدفه على هذا النحو حتى راح يعالج الظواهر الميكانيكية بالطرق الرياضية ويصوغها في عبارات بلغت من الوضوح والدقة درجة سمحت باستعمالها في أى كتاب من كتب الميكانيكا المدرسية (الكلاسيكية) الحديثة دون أن يدخل عليها أى تغيير أو تحوير . وفيما يلي مثلاً الفقرات الأولى من كتابه « أسس نيوتن » مع بعض التعليقات البسيطة (بين قوسين) ، وذلك لكي نتبين المعانى الحديثة لما كان يستخدم في القرن السابع عشر من مصطلحات فنية .

تعريف

تعريف رقم (١) : كمية المادة (الكتلة) هي ما تقاس به ، نتيجة كثافتها وجرمها (حجمها) معاً .

وعلى ذلك إذا ضوعفت كثافة الهواء الذى يشغل حيزاً (حجماً) معيناً مرتين ، كما ضوعف الحيز (الحجم) مرتين ، فإن كمية هذا الهواء تتضاعف أربع مرات ، وعندما يصير الحيز (الحجم) ثلاثة أمثال قيمته الأصلية تصبح كمية الهواء ستة أمثال قيمتها . ويفهم نفس الشئ عن الثلج والغبار الدقيق أو المساحيق التى تتكاثف نتيجة لحالة التضغط أو السيولة ، وكذلك جميع الأجسام التى يختلف تكاثرها تبعاً لعوامل متباينة مهما كانت هذه العوامل . . . (نقول فى لغتنا الحديثة إن كتلة أى جسم هي حاصل ضرب كثافته فى حجمه) .

تعريف رقم (٢) : كمية الحركة هي ما تقاس به ، نتيجة السرعة وكمية المادة معاً . (التعبير الحديث لهذا التعريف هو أن كمية الحركة ، التى نطلق عليها عادة اسم « قوة الدفع الميكانيكى » ، أو حتى مجرد « قوة الدفع » ، لأى جسم هي حاصل ضرب سرعته فى كتلته) .

فحركة المجموعة هي مجموعة حركة الأجزاء ، ولذلك عندما تضاعف مقدار جسم ما (أى تضاعف كتلته) مع تساوى السرعة فى الحالتين تتضاعف الحركة (أى قوة الدفع الميكانيكى) ، أما إذا تضاعفت السرعة كذلك فإن كمية الحركة تصبح أربعة أمثال قيمتها الأصلية .

تعريف رقم (٣) : إن الحمول أو قوة المادة على الاحتفاظ بحالتها ، هي القوة التي يستطيع بها أى جسم ، على قدر ما أودع فيه منها ، المثابرة على حالته الراهنة ، سواء أكانت هذه الحالة هي السكون أم التقدم بحركة منتظمة في خط (مستقيم) معتدل .

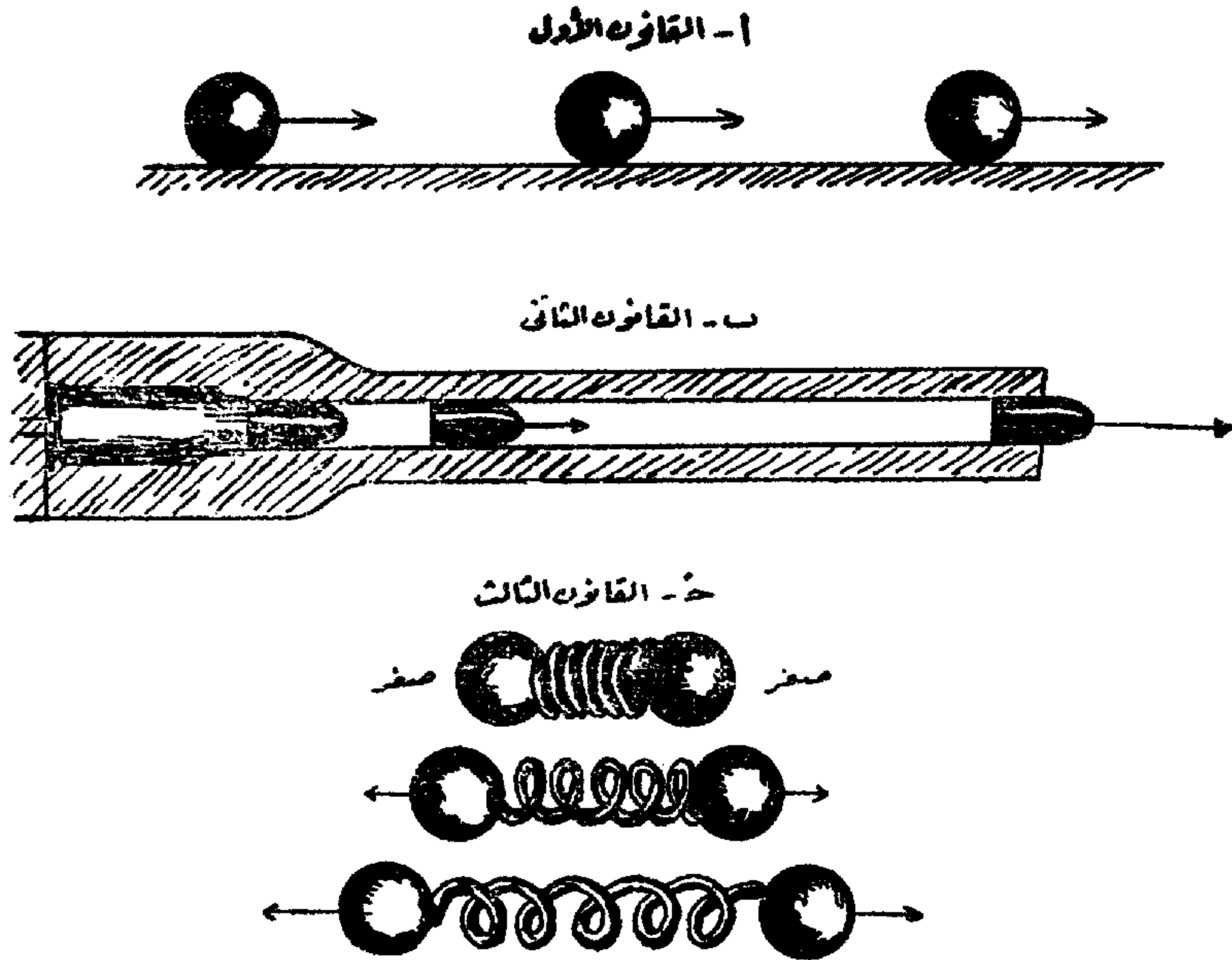
وتتناسب هذه القوة دائماً مع (كتلة) الجسم الذي يتضمنها ، وهي لا تختلف في شيء عندما تكون الكتلة في حالة خمود إلا في طريقة تصورنا لها . فبسبب ما جبلت عليه المادة من طبيعة الحمول لا يسهل تغير الحالة التي عليها الجسم ، سواء أكانت هذه الحالة هي السكون أم الحركة . وبذلك يكون الحمول بالمعنى المشهور هو « القصور » أو قوة عدم النشاط

تعريف رقم (٤) : القوة المؤثرة هي فعل يقع على الجسم ليغير من حالته ، سواء أكانت هذه الحالة هي السكون أم الحركة المنتظمة في خط معتدل (مستقيم) . وتقتصر هذه القوة على مجرد الفعل فحسب ؛ إذ ينهى تضمن الجسم لها بمجرد انتهاء ذلك الفعل ، فأى جسم إنما يحتفظ بكل حالة (يعنى حركة) جديدة يكتسبها وذلك نتيجة قصوره الذاتي فقط . ولكن القوى المؤثرة تختلف في مصدرها عن ذلك ، فمنها ما ينشأ عن صلعة ، ومنها ما ينجم عن ضغط ، كما أن منها القوة الطاردة المركزية . وبعد أن فرغ نيوتن من تعريف فكرة الكتلة ، والدفع ، والقصور الذاتي ، والقوة ، انتقل إلى صياغة القانون الأساسى للحركة .

القانون الأول : كل جسم في حالة السكون يبقى ساكناً ، وكل جسم في حالة الحركة بسرعة منتظمة وفي خط معتدل (مستقيم) يبقى كذلك ، ما لم يرغم على تغيير حالته هذه بفعل قوى تؤثر عليه — شكل (٣ - ١١) — .

وتستمر القذائف في حركتها ما دامت لا تعوقها مقاومة الهواء ، ولا تسوقها إلى أسفل قوى الجاذبية . والنحلة عندما تستمر أجزاؤها ، بسبب تماسكها ، تنساب على جانب من جوانب الحركة في خط مستقيم لا تبطل دورانها إلا تحت تأثير عامل الإبطاء بالهواء . أما أجسام الكواكب والمذنبات التي هي أكبر حجماً والتي تصادفها مقاومة أصغر في الفضاء الحر الطليق ، فإنها تحتفظ بحركات سبوحها ودورانها خلال أزمنة أطول بكثير .

القانون الثانى : يتناسب التغير فى الحركة أى فى (الدفع الميكانيكى) مع القوة المحركة المؤثرة ، ويتم فى اتجاه الخط المستقيم الذى تؤثر فيه تلك القوة - شكل (٣ - ٢ ب) - .



شكل (٣ - ١)

قوانين نيوتن الثلاثة : (١) تسير الكرة الموضوعة على مستوى أفق والذى لا تؤثر فيها أية قوة فى اتجاه تحركها ، على خط مستقيم بسرعة منتظمة . (ب) عند ما تدفع القذيفة داخل ماسورة البندقية بفعل غازات مسحوق البارود فإن سرعتها تزايد باستمرار . (ج) زنبك مضغوط بين كرتين يؤثر عليهما بقوة دفع متساويتين . وإذا ما افترضنا فى الشكل أن كتلتيهما متساويتان فإنهما تتحركان فى اتجاهين متضادين بسرعتين متساويتين .

فإذا ما نجمت حركة عن قوة ما ، فإن ضعف هذه القوة مرتين ينجم عنه ضعف تلك الحركة ، كما أن ضعف القوة ثلاث مرات يعطى ضعف الحركة ثلاث مرات كذلك ، سواء وقع تأثير القوة كلها فجأة أو على التدريج أو حتى على التتابع . وإذا ما كان الجسم يتحرك من قبل ، فإن تلك الحركة الناجمة عن القوة (نظراً لأنها تأخذ دائماً نفس اتجاه القوة التى تولدها) ، تضاف أو تطرح من الحركة الأولى ، وذلك على الترتيب إذا كانتا فى اتجاه واحد أو فى اتجاهين متضادين . وتحدث بالإضافة بميل عندما ينحرف اتجاه إحداها بالنسبة إلى اتجاه الأخرى بحيث تنتج

حركة جديدة تركيب من تحديد الحركتين .

ويمكننا أن نصوغ قانون نيوتن الثاني بطريقة أخرى تختلف بعض الشيء عن الطريقة الأولى . فبما أن كمية الحركة هي حاصل ضرب كتلة الجسم المتحرك في سرعته ، فإن معدل التغير في الحركة هو حاصل ضرب الكتلة في معدل التغير في السرعة ، أي العجلة . وعلى ذلك نستنتج أنه تتناسب عجلة أي جسم تؤثر فيه قوة معينة تناسباً طردياً مع تلك القوة ، وعكسياً مع كتلة الجسم ، وعلى أساس هذا القانون نستطيع أن نقترح وحدة للقوة ، ونعرفها بأنها القوة التي عندما تؤثر في جسم كتلته « جرام » واحد تكسبه عجلة قدرها سنتيمتر واحد في الثانية لكل ثانية . وتسمى وحدة القوة هذه باسم (داين dyne) ، وقيمتها صغيرة ؛ إذ تبلغ نحو قدر القوة التي تسحب بها النملة حملها . وتستخدم في الهندسة عادة وحدة تعادل 10^{-5} داين يقال لها نيوتن .

وعندما تعمل قوة معلومة على إزاحة جسم ما خلال مسافة معلومة ، فإن حاصل ضرب هذه القوة في المسافة يعرف باسم (الشغل) المبذول . وعندما نعبر عن القوة بالداين ونقيس المسافة بالسنتيمتر ، يصير الشغل مقيساً برحلة يقال لها (الإرج ergs) . وتستخدم للأغراض الهندسية وحدة أخرى من وحدات الشغل أكبر من هذه الوحدة بكثير هي (الجول joule) . ويساوي الجول الواحد 10^7 إرج . ونحن نستطيع كذلك أن نقترح وحدة للقوة عن طريق ما تدلنا عليه من الشغل المبذول في وحدة الزمن ، وتقاس هذه الوحدة عادة بالإرج في الثانية ، وليس لها اسم معين . وتستخدم في الهندسة وحدة يقال لها (الوات) ، وهي تعادل (جول واحد) في الثانية أو 10^7 إرج في الثانية ، وكذلك تستخدم وحدة أخرى هي (قوة الحصان) وهي ٧٥١ وات ، أو ٠,٧٥١ كيلووات .

القانون الثالث : لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه ، أو بعبارة أخرى ، يتساوى دائماً ويتضاد في الاتجاه الفعلان المتبادلان بين جسمين عندما يؤثر أحدهما في الآخر — شكل (٣ - ١ ج) — .

فعندما يسحب جسم جسمًا آخر أو يضغط عليه نجده يعاني (من هذا الجسم الأخير) قدرًا مماثلًا من الشد أو الضغط . فمثلاً عندما تضغط بإصبعك على قطعة من حجر تجد أن إصبعك تعاني كذلك ضغطاً من هذا الحجر ، وعندما يسحب حصان ما حجراً مربوطاً في حبل فإنه (إذا صح تعبيرى) يقع تحت تأثير

شد مماثل تجاه الحجر ، وذلك لأن الحبل المشدود يترأخى تارة ويستقيم أخرى بحيث يجعل الشد تجاه الحصان هو عينه الشد تجاه الحجر ، وبذلك يحول دون تزايد أحدهما دون الآخر .

وقد يتساءل المرء قائلاً : لماذا إذاً يجر الحصان الحجر ولا يجر الحجر الحصان ؟ والإجابة على هذا السؤال هي بطبيعة الحال أن هذا الفرق إنما يجيء عن طريق الاحتكاك مع سطح الأرض ، لأن (حدوات) الفرس تشبث بالأرض بقوة تفوق قوة تشبث الحجر الذى يجره ، وإلا بقى الحجر فى مكانه ولم يبرحه ، بينما تنزلق سنانبك (حرافر) الفرس . وعندما نعلم إلى وضع متدحرجات تحت الحجر يقل الاحتكاك مع سطح الأرض ، وبذلك تسهل مهمة الفرس إلى حد كبير . وعندما ينعدم الاحتكاك ، وهى حقيقة تتوافر إلى حد كبير على السطح الجليدى لبركة تجمد مائها مثلاً ، نجد أن حركة أى جسمين يجذب أحدهما الآخر أو يدفعه ، لا تتساوى كذلك ما لم تكن كتلتاهما متساويتين تماماً ، وذلك نظراً لأنه عند ثبوت القوة تتناسب العجلة* عكسياً مع الكتلة . فإذا ما وقف رجل نحيف أمام آخر بدين وجهاً لوجه على سطح البركة الجليدى ، ثم دفع كل منهما الآخر ، فإننا نجد الرجل النحيف ينزلق إلى الخلف بسرعة أكبر بكثير من سرعة ارتداد الرجل البدين . وكذلك تكون سرعة تراجع (البندقية) أصغر بكثير من السرعة التى تنطلق بها القذيفة (أقل بكثير فى الوزن من البندقية) .

ونستخدم مبدأ التراجع فى بناء شتى أنواع الصواريخ . وعندما تنبثق الغازات الناتجة عن احتراق جميع الوقود مندفعة من (البزبوز) إلى الخلف بسرعة فائقة ينجم عن ذلك أن يندفع جسم الصاروخ إلى الأمام . وتترقب السرعة النهائية التى يحصل عليها الصاروخ عندما ينفد وقوده على النسبة الوزنية بين الصاروخ والوقود . ولكى نحصل على سرعة كبيرة يلزم أن تكون هذه النسبة أصغر ما يمكن . وفى الصواريخ الحديثة نجد أن النسبة بين وزن الصاروخ الفارغ ووزن الوقود تكاد تعادل النسبة بين كتلة قشرة بيضة فارغة وكتلة البيضة بما فيها .

ولا يتسع المجال هنا لاستعراض موضوع الصاروخ الحديث من الوجهة الهندسية ،

* العجلة هى التى تسيطر على طبيعة الحركة (المترجم) .

ولهذا نقتصر على ذكر حادثة جرت في منطقة اختبار الصواريخ الكبرى في كيب كانا فيرال بفلوريدا . فقد رغب أحد المدرسين في أن يبدأ الدرس الأول لطلبة الصف الأول بمدرسة محلية ابتدائية بالوقوف على ما يعرفه الصبية والبنات عن (الراءات الثلاث) Three R's * . وتطوع جزنى الصغير قائلاً : « إنى أستطيع أن أعدها لك » . ورد المدرس : « هلم عد » ، وراح الصبي يقول : « عشرة ، تسعة ، ثمانية ، سبعة ، ستة ، خمسة ، أربعة ، ثلاثة ، اثنين ، واحد ، بنديقات * » . ولعله من الأوفى لكى نعاود الحديث عن نيوتن ، دون أن نترك فجأة مسألة أسفار الفضاء ، بل جدير بنا أن نشير إلى أنه كان أول من طرأت له فكرة الأقمار التابعة للأرض . فنحن نقرأ في الجزء الثالث من « البرنسبيا » قوله :

« ويصبح من اليسير علينا أن ندرك أن الكواكب تظل محتفظة بأفلاكها تحت تأثير القوة الطاردة المركزية عندما ندرس حركات القذائف ، فالحجر عندما يقذف يرغم تحت تأثير ضغط وزنه على الخروج من نطاق الحركة في مسار مستقيم ، ذلك المسار الذى كان يحتفظ به لو أنه ظل تحت تأثير الدفعة الأولى وحدها . ويرسم الحجر خطاً منحنياً في الهواء ليعود إلى الأرض خلال هذا الطريق الملتوى . وكلما زادت سرعة قذفه كبرت المسافة التى يقطعها قبل أن يسقط على الأرض . وعلى ذلك يمكننا أن نفترض أن السرعة تتزايد تدريجياً بحيث يقطع الحجر قوساً طولها ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ ميل قبل أن يصل إلى سطح الأرض ، حتى يصل فى النهاية إلى الحد الذى يزيد فيه على أبعاد الأرض ، وعندها يمرق إلى الفضاء دون أن يمس سطحها . لنفرض أن ا ف ب - شكل (٣ - ٢) يمثل سطح الأرض ، وأن م هى المركز ، كما أن ق د ، ق هـ ، ق ف هى على الترتيب المنحنيات التى يرسمها الجسم عندما يطلق فى اتجاه أفق من على قمة جبل مرتفع ق (فى مكان ما فوق مرتفعات سكتلندة دون شك) بسرعة تتزايد على التدرج . وكما أن الحركات * * * السماوية قلما تعوقها المقاومة الضئيلة أو المعدومة للفضاء الخارجى الذى توجد فيه

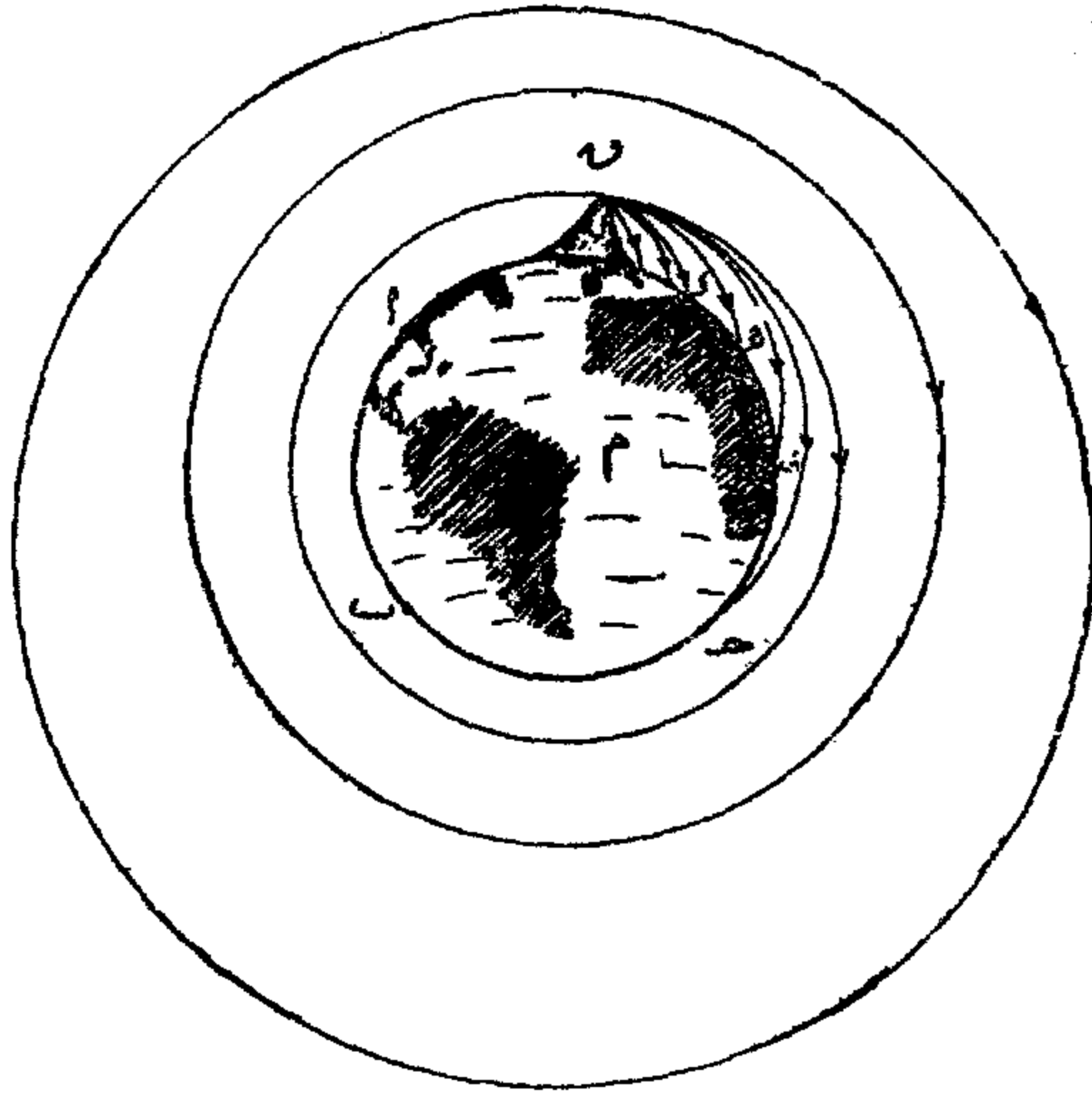
• هذا التعبير معناه القراءة والكتابة والحساب (المترجم) .

• لاحظ أنه فى حالة إطلاق الصواريخ تعين لحظة الإطلاق بالعد إلى الخلف على المذياع ، فدرج

الأطفال على ذلك (المترجم)

• • • • • يعنى حركات أجرام السماء مثل الكواكب والشموس والتوابع (المترجم) .

أجرام السماء . لنفترض جدلاً : إما أنه لا يرجد هراء حول الأرض ، أو أن للهواء العادى الذى من حول الأرض قوة مقاومة صغيرة جداً أو معدومة ، ولهذا السبب نجد أنه عندما يقذف جسم بسرعة القذائف العادية فإنه يرسم قرساً صغيرة مثل ق د ، وعندما تزداد سرعة القذف تتسع القوس إلى ق هـ ثم إلى ق ف ، ثم إلى ق ج . . . وهكذا تنفرج القوس كلما زادت السرعة حتى يرى طولها على محيط الأرض ، وتعود لتمر بنقطة القذف على الجبل من جديد . . .



شكل (٣ - ٢)

مسار القمر الصناعى من حول الأرض كحالة نهائية لمسارات القذائف التى تتساقط إلى سطح الأرض على أبعاد متزايدة من الجبل الذى تطلق منه (اقتباس عن الشكل الأصلى فى « برنسبيا » نيوتن) .

ولكننا عندما نتصور أن الأجسام تقذف فى اتجاهات توازى الاتجاه الأفقى من على ارتفاعات أكبر ، مثل ٥ ، ١٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ أو أكثر من الأميال ، أو من علو يعادل عدة أضعاف قطر الأرض ، فإن هذه الأجسام سرف ترسم مسارات ، منها ما قد يكون متحد المركز مع الأرض ، ومنها ما قد يصبح لا مركزياً بدرجات متفاوتة ، فينطلق إلى السماء ليسبح فى مدارات تحكى مدارات الكواكب السيارة سواء بسواء ، كل ذلك تبعاً لاختلافات السرعة الأصلية التى يقذف بها الجسم ، وكذلك تبعاً لتغير قيمة قوى الجاذبية بتغير الارتفاع الذى يطلق منه الجسم .

وتتضمن هذه الفقرة فكرة أنه لا توجد سوى قوة واحدة هي جاذبية الأرض (أو قبضتها) تتحكم في كل من تساقط الحجر وحركة الأجرام السماوية ، وهي تلك الفكرة التي ادعاها نيوتن أول ما ادعى عندما راقب تفاحة تسقط من شجرتها . وسواء كانت « نظرية التفاحة » هذه حقيقة أو خيالاً فقد أدت إلى كتابة القصيدة الآتية الطريفة :

وبينا كان السير إسحق يسير غارقاً في أفكاره
إذ اعترض سبيله فلاح يقيم بجواره
وكان الرجل قد أضنته قوانين الجاذبية
فاستطاع الجار أن يغريه ليقفا معاً
للتحدث برهة في النسيم العليل
بينما راحت أزهار التفاح ذات اللون الحميل
في بستان صديق نيوتن على مدى النظر
تساقط على الطريق من أطراف الشجر
وقال الجار لنيوتن : هل لي أن أسألك الانتظار
فإن لي كلمة معك هذا النهار
لقد وصل مسامع الناس في البلدة خبر خطير
فحواه أنك أحرزت نجاحاً منقطع النظير
من مراقبة التفاح المتساقط على الأديم
فبالله حدثني أكثر ياسيدي—حدثني حديث العليم
وقال نيوتن : نعم بالطبع والتأكيد
ألا ترى معي أن نفس تلك القوة على التحديد
التي تتناسب مع مربع راء
أو المسافة عبر هذا الفضاء
هي التي تبقى على القمر الحميل في العلا
وتسقط التفاح إن عاجلاً أو آجلاً ؟ ،

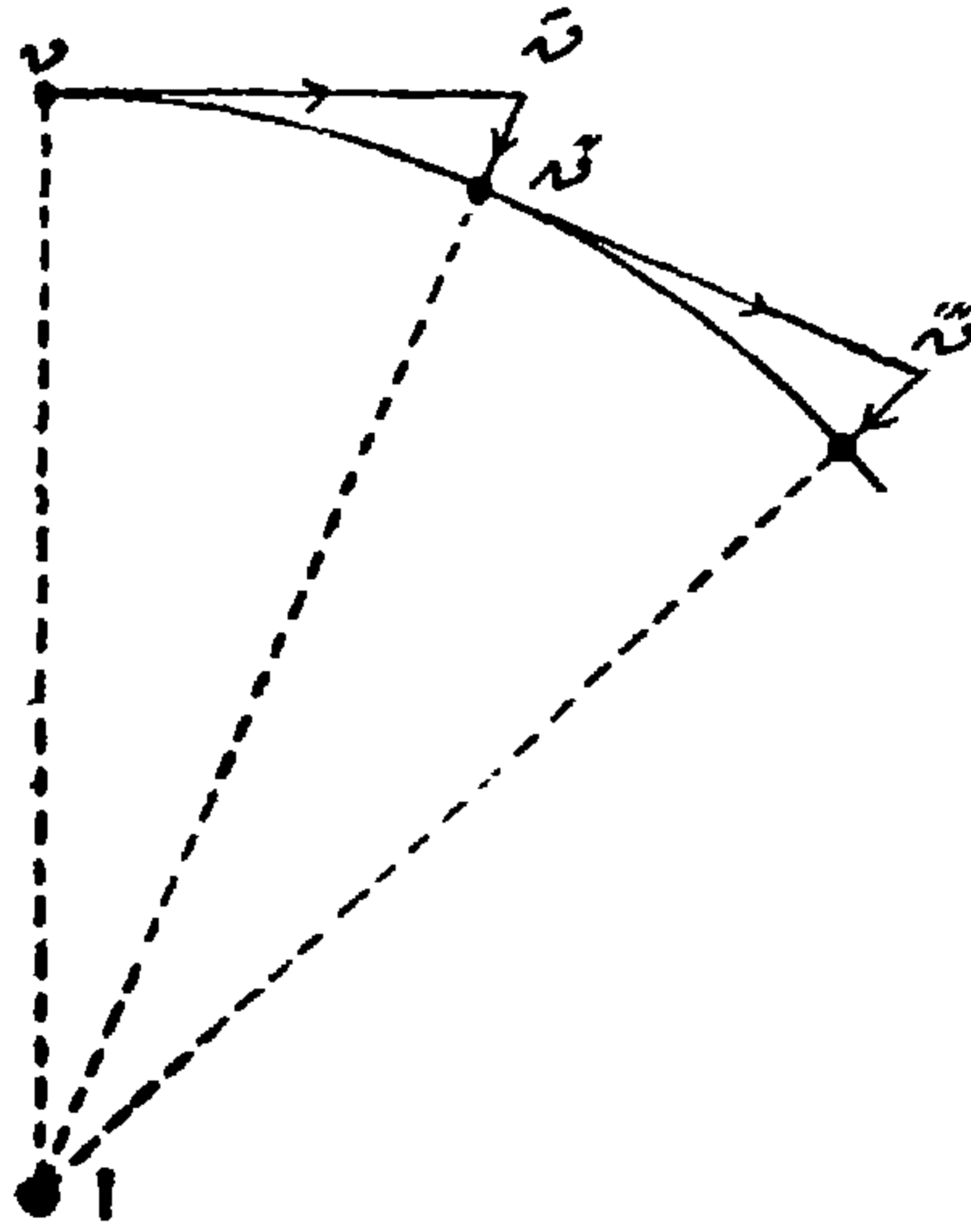
وقال الجار : دع عنك هذا سيدى ولا تحد
فليس هذا ما أروم وما أريد
إنما الذى يشير اهتامى
من شجر التفاح المزهى أمامى
وجميع تفاحه واحدة واحدة
وذلك الذى طاب فى الشمس الهائلة
على طول هذه الطريق الطويلة
هو كم تدفع ثمناً للحمولة

وضعه فى قالب الشعر بالإنجليزية ب . ب . ج . ، عن شعر روسى غير
منشور - لمؤلف غير معروف .

ولكى يثبت العلاقة بين قوى الجاذبية والمسافة أو البعد من مركز الأرض ، قرر
نيوتن أن يقارن بين تساقط الحجارة (أو التفاح) على سطح الأرض وحركة القمر ،
الذى يمكن أن يعتبر فى حالة تساقط مستمر* لا نهاية له كما هو واضح من الشرح
السابق . وبهذه الطريقة استطاع نيوتن أن يقارن بين القوة (الفلكية) التى تؤثر على
القمر ، والقوة (الأرضية) التى تؤثر على الأجسام التى نستخدمها كل يوم فى حياتنا
العادية .

ويمثل شكل (٣ - ٣) الطريقة التى استخدمها مع شىء من التحوير ، حيث
يظهر القمر ق وهو يدور من حول الأرض ا فى مدار دائرى تقريباً . وإذا اعتبرنا ق
بمثابة أى نقطة على المسار وجدنا أنه فى الوضع ق تكون للقمر سرعة خاصة فى اتجاه
عمودى على نصف قطر الدائرة (الفلك) ، فإذا لم تكن هنالك قوى تؤثر على القمر
فإنه بطبيعة الحال ينطلق مندفعاً فى خط مستقيم بحيث يصبح بعد مضى وحدة الزمن
فى الوضع الجديد . ق . ولكن بما أنه فى الواقع يصل إلى ق بدلاً من ق فإنه يجب
اعتبار المسافة ق ق بمثابة ما يقطعه القمر فى وحدة الزمن خلال تساقطه الحر تجاه
الأرض . وتبعاً لنظرية فيثاغورث نجد أن :

* لاحظ أنه رغم التساقط المستمر للقمر نحو الأرض ، أو رغم أنه يهوى إليها فى كل لحظة تحت
قبضة جاذبيتها ، إلا أنه يطرد فى نفس الوقت بعيداً عنها بقوة معادلة هى القوة الطاردة المركزية (المترجم) .



شكل (٣ - ٢)

عندما اعتبر نيوتن حركة القمر الدائرية من حول الأرض بمثابة التساقط - راجع شكل (٣ - ٢) ، استطاع أن يحسب العجلة التي تنشأ عن قوة الجذب المؤثرة على القمر . ويوضح الشكل المرسوم أعلاه كيف يعمل هذا الحساب .

$$ق ق = \sqrt{ق ق^2 + (ق ق)^2} - اق ،$$

(وذلك نظراً لأن $اق = ق ق$) . ويمكن البرهنة جبرياً على أنها تساوى على وجه

التقريب :

$$\frac{ق ق^2}{اق} \text{ أو } \frac{1}{2} \left(\frac{ق ق}{اق} \right) \times اق$$

(نظراً لأن $ق ق$ أصغر بكثير من $اق$) ، ولكن السرعة الزاوية للقمر خلال

سيره من حول الأرض هي $\frac{ق ق}{اق}$ على وجه التقريب ، أى أن هذه القيمة هي التغير

في مقدار الزاوية التي يصنعها القمر في مداره خلال ثانية واحدة من الزمن . ولما كان

القمر يرسم دائرة كاملة في الشهر ، فإن السرعة الزاوية هذه تساوى 2π مقسومة

على طول الشهر بالثواني ، أى تساوى $2\pi / 29.5$

ولكننا عندما ناقشنا حركة التسارع بعجلة رأينا أن المسافة المقطوعة في الثانية

الأولى تساوى نصف الكمية التى نطلق عليها اسم « العجلة » ، وعلى ذلك نستنتج أن العجلة الناجمة عن القوة التى تمسك القمر وتحتفظ به فى مداره الدائرى هى :

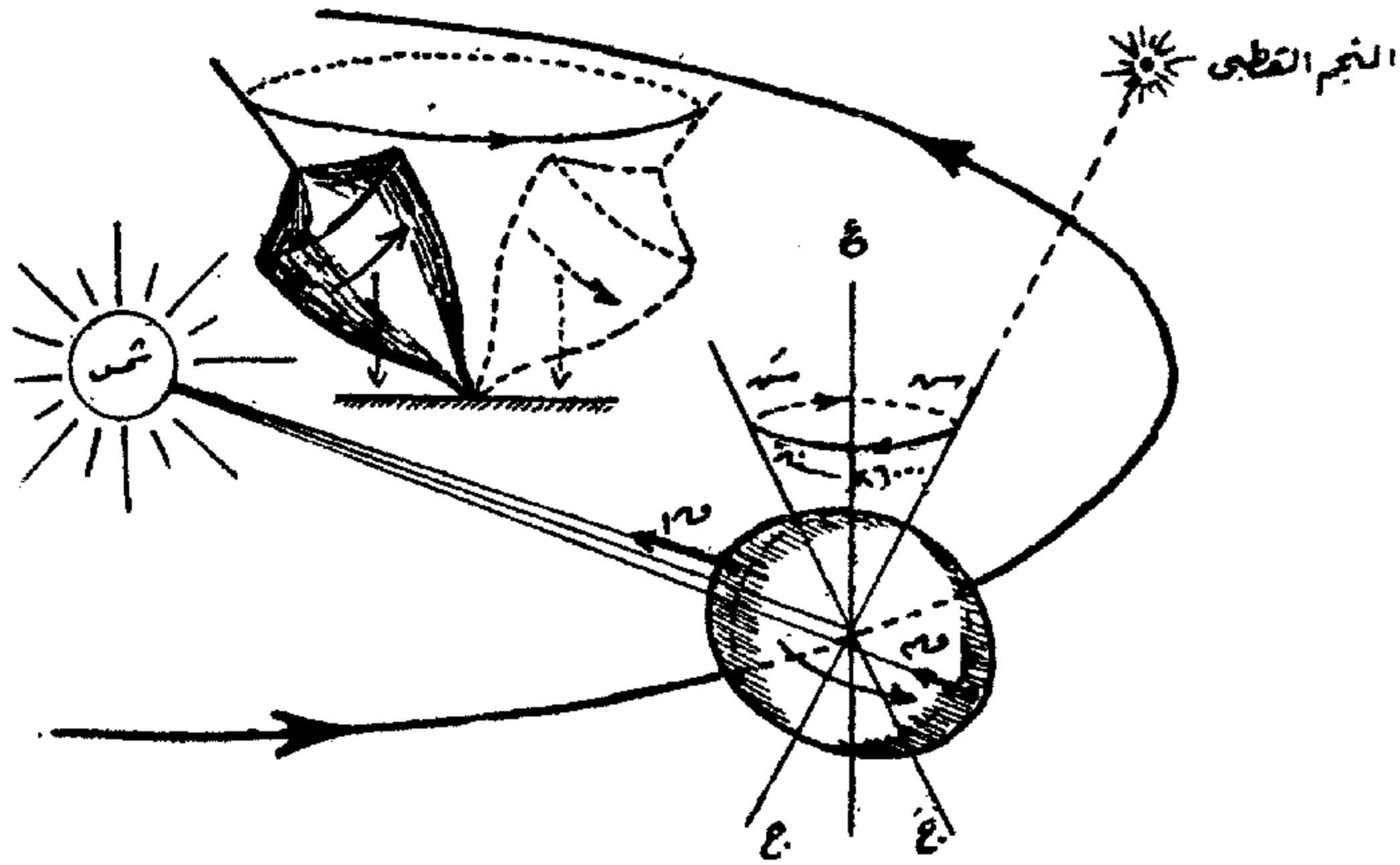
$$\frac{(ق \cdot ق)^2}{ا \cdot ق} \times ا \cdot ق ،$$

وعندما استخدم نيوتن القيمة السابقة للسرعة الزاوية واعتبر بعد القمر عن الأرض يساوى ٣٨٤٤٠٠ كيلومتر أو ٣,٨٤٤ × ١٠^{١٠} سنتيمتراً ، وجد أن قيمة عجلة الجاذبية الأرضية على مسافة تساوى بعد القمر هى ٠,٢٧ سم / ثانية / ثانية ، وهى قيمة صغيرة جداً بالنسبة لما تساويه الجاذبية الأرضية عند سطح الأرض (= ٩٨١ سم / ثانية / ثانية) . وعلى أية حال فهناك علاقة بسيطة تربط بين هاتين القيمتين من ناحية وبعد القمر ، ثم بعد التفاحة المتساقطة عن مركز الأرض من ناحية أخرى . فالنسبة بين ٩٨١ ثم ٠,٢٧ هى ٣٦٤٠ ، وهى تساوى تماماً مربع العدد الذى يمثل النسبة بين نصف قطر مدار القمر حول الأرض ونصف قطر الأرض ذاتها . وبهذه الطريقة توصل نيوتن إلى النتيجة القائلة بأن قوة جذب الأرض أو قبضتها تتناقص متناسبة تناسباً عكسياً مع مربع البعد عن المركز .

وعندما عمم هذه النتيجة على جميع الأجسام التى فى الكون صاغ قانون الجاذبية العالمية الذى يقول : « تتجاذب كل الأجسام المادية بقوة تتناسب تناسباً طردياً مع كتلتها ، وعكسياً مع مربع المسافة بينها » . وعندما استخدم هذا القانون فى حالة حركة الكواكب من حول الشمس استطاع أن يستنتج بالرياضة قوانين كبلر الثلاثة التى أوردناها فى الباب السابق .

ولقد نجم عن تطوير أعمال نيوتن على يد كبار علماء الرياضة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مولد فرع عظيم من فروع الفلك هو « الميكانيكا السماوية » التى تتيح فرصة حساب حركة الكواكب داخل المجموعة الشمسية تحت تأثير الجاذبية المشتركة ، وذلك بدقة متناهية . وأكبر انتصار لنا أحرزناه فى مجال (الميكانيكا السماوية) تم عام ١٨٤٦ ، عندما اكتشف كوكب جديد هو « نبتون » . وكان وجود هذا الكوكب ومداره قد تكهن بهما من قبل الفلكى الفرنسى

ي . ج . ج . لفربي ، وكذلك الفلكي البريطاني ج . . أدامز ، على أساس الاضطرابات التي يحدثها الكوكب المجهول في ذلك الوقت على حركة أورانوس .
وحدث كشف مماثل عام ١٩٣٠ * عندما رصد كوكب وراء أو بعد نبتون ، سُمي فيما بعد باسم بلوتو ، وكان ذلك نتيجة للحسابات النظرية السابقة .



شكل (٣ - ٤)

تفسير نيوتن لترنح محور دوران الأرض : نظراً لأن قوى الجاذبية تتناقص بازدياد المسافة ، فإن القوة ق ١ التي تؤثر على الانبعاج الاستوائي للأرض عند ما يواجه الشمس تكون أكبر من القوة ق ٢ التي تؤثر على الانبعاج الذي في الاتجاه المضاد . وينتج عن التأثير المشترك للقوتين أن تؤثر « قوة تعامدية » على محور دوران الأرض ، من شأنها أن تعمل على جعل هذا المحور عمودياً على مستوى مدار الأرض . وتماثل هذه الحالة عموماً ما يحدث « للنحلة » عند ما تلف حول محور مائل ، وتعمل جاذبية الأرض ، ممثلة في وزن النحلة ، على جعل محور دورانها أفقياً . وكما أن النحلة لا تقع على جانبها ما دامت مستمرة في اللف والدوران ، وتبقى منتصبية بينما يرسم محورها سطحاً مخروطياً حول الاتجاه الرأسى ، فكذلك محور الأرض لا يصير عمودياً على مستوى فلكها ، وإنما يرسم سطحاً مخروطياً حول ذلك الاتجاه سواء بسواء .

وعندما استخدم نيوتن قانونه الذي صاغه خاصاً بالجاذبية على حركة الكرة الأرضية ، استطاع أن يعطى أول تفسير لظاهرة « ترنح الاعتدالين » التي عرفها البشر منذ عهد بلوتارخ . فقد برهن على أنه لما كان محور دوران الأرض يميل على مستوى فلكها (الدائرة الكسوفية) ، فإنه يلزم أن تسبب قوى جاذبية الشمس التي تؤثر في الانبعاجات الاستوائية للكرة الأرضية حركة الدوران البطيئة التي يعملها

* أسهم مرصد حلوان في الكشف عن هذا الكوكب في ذلك الحين (المترجم) .

محور الأرض حول الخط العمودى على (الدائرة الكسوفية) ، والتي تبلغ فترتها نحو ٢٦٠٠٠ سنة - شكل (٣ - ٤) - ولقد قوبل هذا التفسير بمعارضة قوية من معاصريه من الفلكيين ، إذ على أساس قياسات خاطئة كان الرأى السائد فى ذلك الوقت أن شكل الأرض ليس كالشمام ، تبعاً لازدياد عرضها عند خط الاستواء ، ولكن كالبطيخة التى يزيد فيها البعد بين القطبين على القطر الاستوائى .

ولقد عمد العالم الرياضى الفرنسى ب . ل . م . دى مويرتويس ، من أجل أن يضع حداً لهذا الجدل ، إلى عمل رحلة إلى لابلاند ليقس طول الدرجة الواحدة على خط الزوال فى خطوط العرض الشمالية ، فتعرض لكثير من المغامرات ، وخاصة مع جماعة من الذئاب . واما برهنت قياساته على صحة وجهات نظر نيوتن ، كتب إليه فولتير يقول مداعباً :

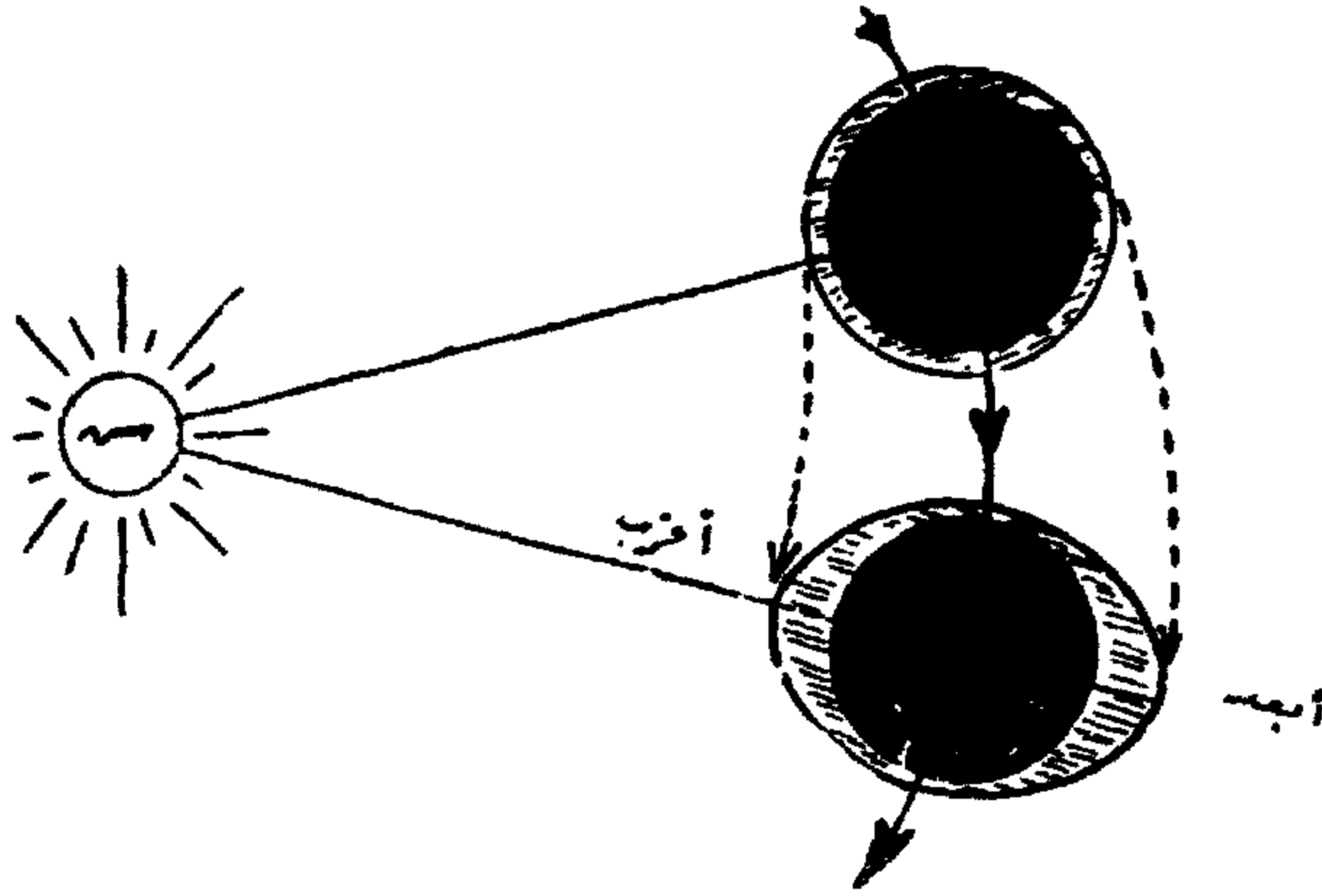
لقد أيدت فى الأرض الزاخرة بأمواج البحار

ما عرفه نيوتن دون مغادرة الديار !

ولقد فسر نيوتن على نفس المنوال ظاهرة المد والجزر فى المحيطات ، فعزاها إلى عدم التساوى فى قيم قوى الجاذبية التى تؤثر بها الشمس على نصف الكرة الأرضية الذى يواجهها ونصف الكرة الذى فى الناحية الأخرى ، على النحو الممثل فى شكل (٣ - ٥) .

وتعج السمائة والست والعشرون صحيفة من « برنسبيا » نيوتن بمعلومات عن شتى فروع ديناميكا الجوامد والموائع ، إلا أننا سنكتفى هنا بعرض مسألة أخرى زيادة على ما ذكرنا نظراً لسهولة ولطافتها ، وهى تتصل بحركة القذائف عندما ترمى أو تطلق بسرعة ابتدائية معلومة خلال وسط له مقاومة مثل الهواء أو الماء . فما هو المدى الذى تتحرك خلاله قبل أن تصل إلى حالة السكون ؟

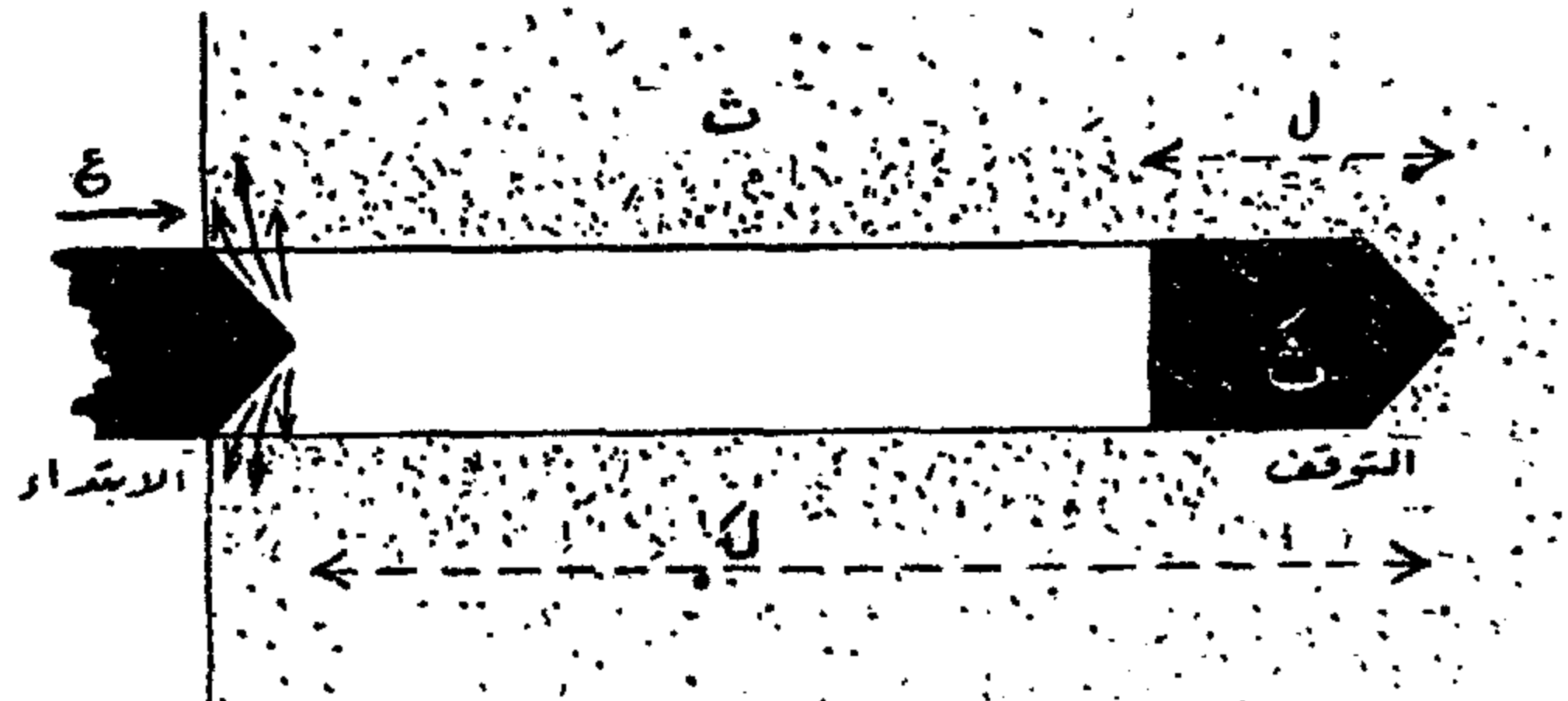
ويوضح شكل (٣ - ٦) ويبين بالرسم حالة قذيفة عندما تتحرك - إثر إطلاقها من غدارة - خلال الهواء أو الماء حسبما اتفق . فالذى يحدث هو أن تعمل القذيفة على إزاحة الوسط على جوانبها خلال تحركها فيه . وعندما تكون السرعة كبيرة تصبح قوى الاحتكاك عديمة القيمة نسبياً ، ويقتصر النقص الأساسى الذى



شكل (٣ - ٥)

تفسير نيوتن لظاهرة المد والجزر : بما أن قوى الجاذبية تتناقص بازدياد البعد عن الشمس ، فإن القوة التي تؤثر في ماء المحيط الموجود في الجانب الذي تكون فيه الدنيا نهاراً تربي قليلا على القوة التي تؤثر في جسم الأرض الصلب . وكذلك تقل قوى الجاذبية التي تؤثر في ماء المحيط الموجود في الجانب المظلم أو هي تنقص قليلا عن تلك التي تؤثر في الجسم الصلب . وينجم عن هذه الفروق أن يميل سطح الماء في الجزء المنير إلى الارتفاع والعلو بدرجة أكبر فوق قاع المحيط ، وفي الجانب الذي يخيم فيه الليل يمكننا أن نقول إن القاع كأنما هو يجذب من تحت المحيط . وتسبب هاتان الظاهرتان تولداً فبعاجين من الماء ، يظهران مع دوران الأرض حول محورها كوجتين من أمواج المد ، تنتشران حول الأرض في زمن قدره ٢٤ ساعة .

بطراً لطاقة القذيفة على ما يستنفد في سبيل إكساب الوسط الذي تزيحه على جوانبها سرعة عظيمة .



شكل (٣ - ٦)

نظرية نيوتن الخاصة باختراق القذائف للوسط الذي تنساب فيه

وليس من الصعب أن نستنتج أن تلك السرعة التي تكتسبها أجزاء الوسط المتاخمة

تقارب سرعة القذيفة المتحركة . وعلى ذلك فإنها تقف عندما تصبح كتلة الوسط الذى دفعته للحركة على وجه التقريب مساوية كتلتها بالذات .

وهكذا نستنتج أن النسبة بين طول النفق الذى تحفره القذيفة فى الوسط وطول القذيفة ذاتها تساوى النسبة بين كثافة مادة القذيفة وكثافة مادة الوسط ، أى أن

$$\frac{\bar{L}}{L} = \frac{\bar{\rho}}{\rho} \text{ تقريباً}$$

وهى علاقة تعد صحيحة على وجه التقريب المتناهى بطبيعة الحال . ولكن رغم ذلك نستطيع أن نخرج منها بعدة نتائج هامة : فمثلاً عندما نطلق قذيفة من الحديد الصلب (تعادل كثافتها كثافة الماء بما يزيد على عشر مرات) خلال الهواء (تقل كثافته نحو ألف مرة عن كثافة الماء) يكون من المنتظر أن تسكن القذيفة بعد أن تقطع مسافة تعادل نحو ١٠٠٠٠ مرة قدر طولها (وذلك إن لم تسقط إلى الأرض قبل ذلك) . وعلى هذا يكون من المتوقع أن تقطع قذائف المدفعية الكبيرة التى تستخدمها البحرية ، والتى يبلغ طول القذيفة منها خمس أقدام أو أكثر ، نحواً من خمسين ألف قدم ، أى أكثر من عشرة أميال . ونجد من ناحية أخرى أن الرصاصة التى يبلغ طولها نصف بوصة عندما تنطلق من مسدس صغير قلما يصل مدى مرماها إلى ٤٠٠ قدم . وعندما نطلق رصاصة داخل وسط من الماء ، الذى تقل كثافته عن كثافة المعدن بنحو عشر مرات فقط ، نجد أن القذيفة تفقد معظم طاقتها عندما تقطع نحو عشرة أمثال طولها فقط ، مما يفسر لنا كيف يلجأ الغواصون إلى استخدام سهام طويلة من المعدن من أجل اقتناص الفريسة تحت الماء . ومن الممتع حقاً أن نلاحظ أن طول المسافة التى يقطعها السهم لا يتوقف على السرعة الأصلية للقذيفة (بفرض أنها تبلغ من الكبر القدر الكافى) . وهذه هى الحقيقة التى حيرت الإحصائيين الحرييين فى الولايات المتحدة ، وقد كانوا يسقطون دانات المفرقات من أعلى ارتفاعات مختلفة ، على فرض أنها ستغوص خلال مسافات عميقة قبل انفجارها ، إلا أنه لم يظهر أى تغيير على طول الحفرة التى كانت تنفذ خلالها تبعاً لتغير البعد الذى تسقط منه (ومن ثم تصطدم بالأرض وقد حصلت على قيم مختلفة

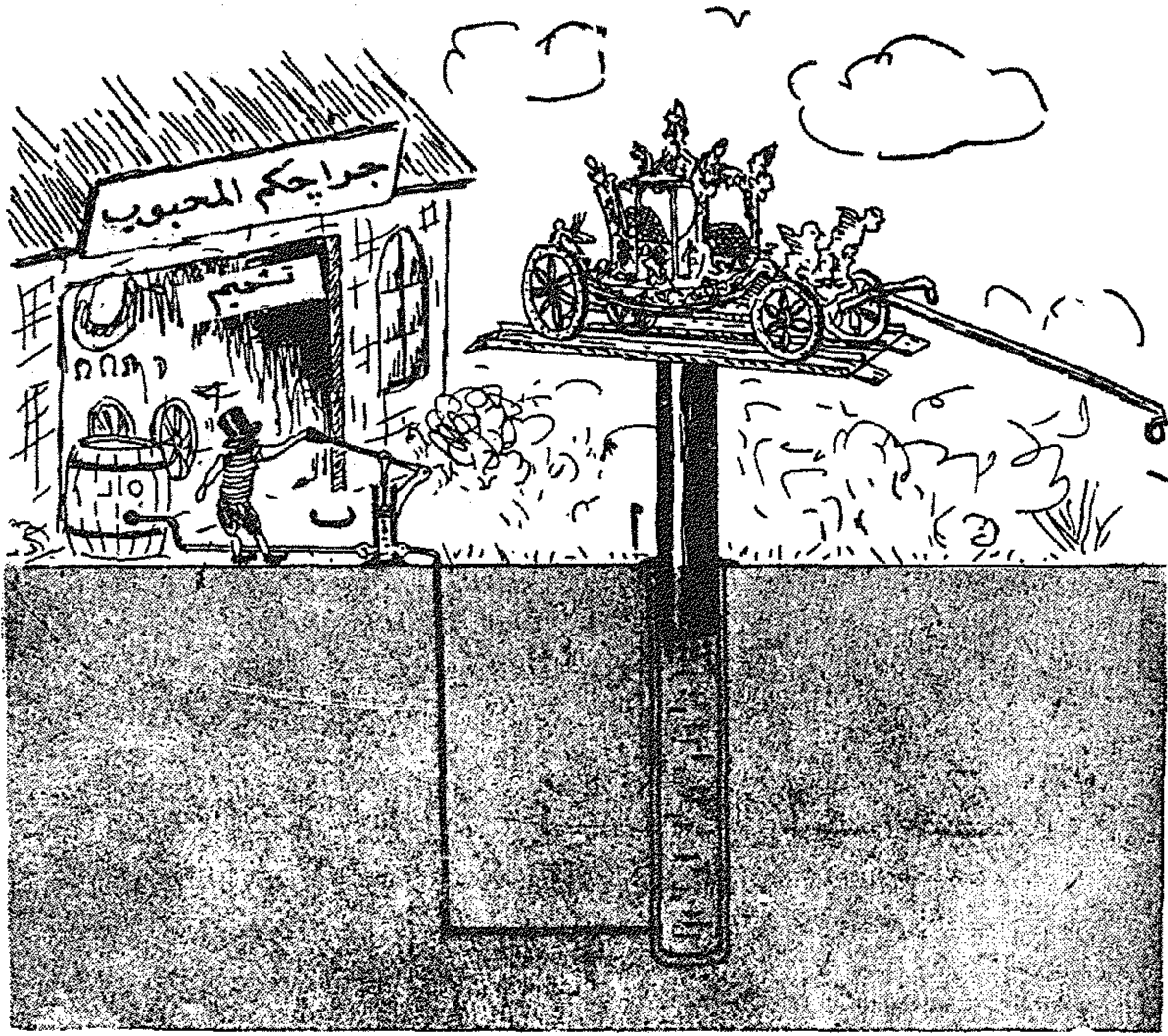
من السرعة) . وظل أولئك الخبراء (يحكون رؤوسهم) حتى لفت شخص نظرهم ونبههم إلى نظرية تعالج هذا الموضوع في « برنسبيا » نيوتن .

ستاتيكا وديناميكا الأجسام السائلة *

تولى إتمام دراسات السير إسحق نيوتن على تعادل الأجسام السائلة (أو المائعة) وتعميمها العالم الرياضي الفرنسي بليز باسكال الذي كان قد بلغ التاسعة عشرة عندما ولد نيوتن ، وكذلك عالم الفيزياء السويسري دانيال بيرنولي ، الذي كان قد بلغ السابعة والعشرين عندما مات نيوتن . ويقول قانون باسكال ، الذي هو وقانون أرشميدس يكونان أساس علم توازن السوائل أو (الهيدروستاتيكا) ، إن السائل (سواء أكان سائلاً أم غازاً) عندما يحتبس داخل وعاء ما يضغط على وحدة المساحات في جميع جوانب الوعاء بقوى متساوية . ولقد اتسع مجال تطبيق قاعدة باسكال هذه في بناء آلات مائية مختلفة . وفي الحقيقة إذا كانت لدينا أسطوانتان ١ ، ب — شكل (٣ — ٧) — مختلفتا القطر ، ومتصلتان بأنبوبة رفيعة ، كما أن فيهما مكبسين متحركين ، تكون القوة الكلية التي تؤثر في المكبس الذي بالأسطوانة الأكثر اتساعاً أكبر من تلك التي تؤثر في مكبس الأسطوانة الضيقة ، وذلك بحسب نسبة مساحتهما . وعلى هذا الأساس نجد أن أي قوة ضعيفة نسبياً تولدها اليد على المكبس الذي بالأسطوانة الضيقة ينجم عنها قوة أكبر بكثير تعمل على مكبس الأسطوانة الواسعة ، بحيث يمكنها رفع عربة ثقيلة . ومهما يكن من شيء فإنه تبعاً لذلك تكون إزاحة مكبس الأسطوانة الواسعة أصغر بكثير من إزاحة مكبس الأسطوانة الضيقة .

ويختص قانون برونولي (أو قاعدة برونولي كما تسمى غالباً) بحركة الأجسام السائلة في الأنابيب المختلفة الأقطار ، وهي تبدو لأول وهلة غير متفقة ولا متمشية مع الفهم والإدراك . ونحن عندما نتخيل (ماسورة) واسعة أفقية تضيق خلال جزء منها وتتسع بعد ذلك — شكل (٣ — ١٨) — ويفيض منها الماء ، فإنه يمكننا قياس ضغط الماء فيها عبر مقاطع مختلفة ، وذلك بوساطة ارتفاع أعمدة المياه في الأنابيب الرأسية

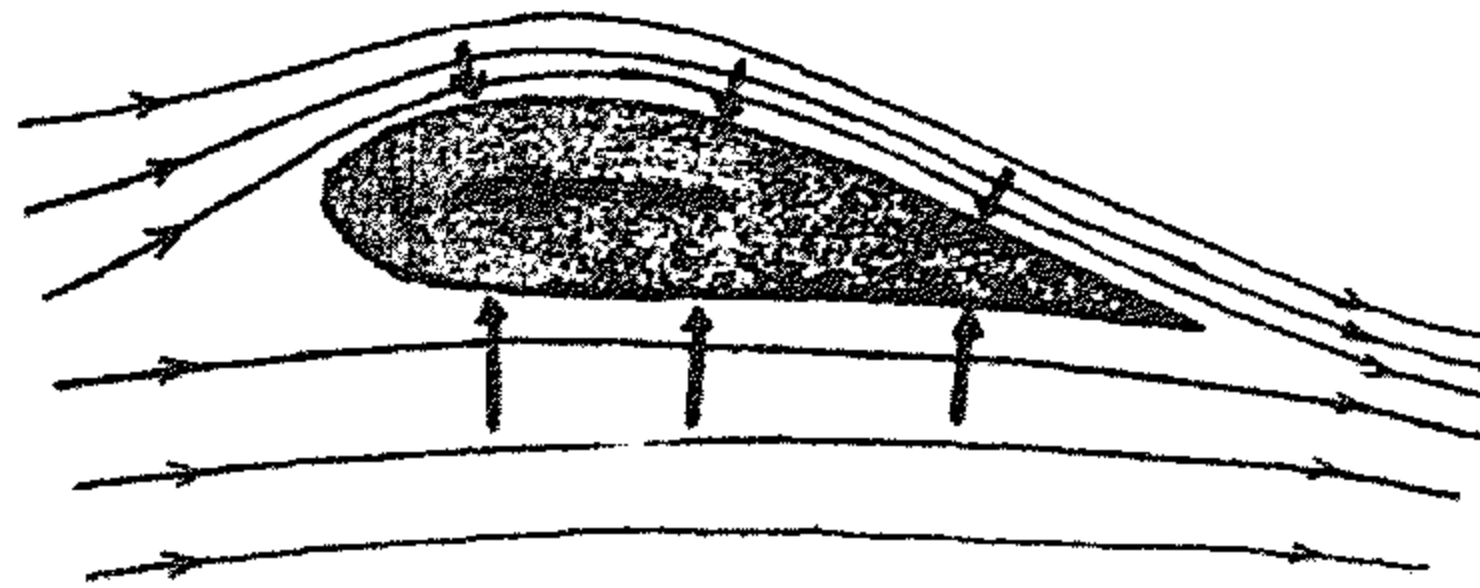
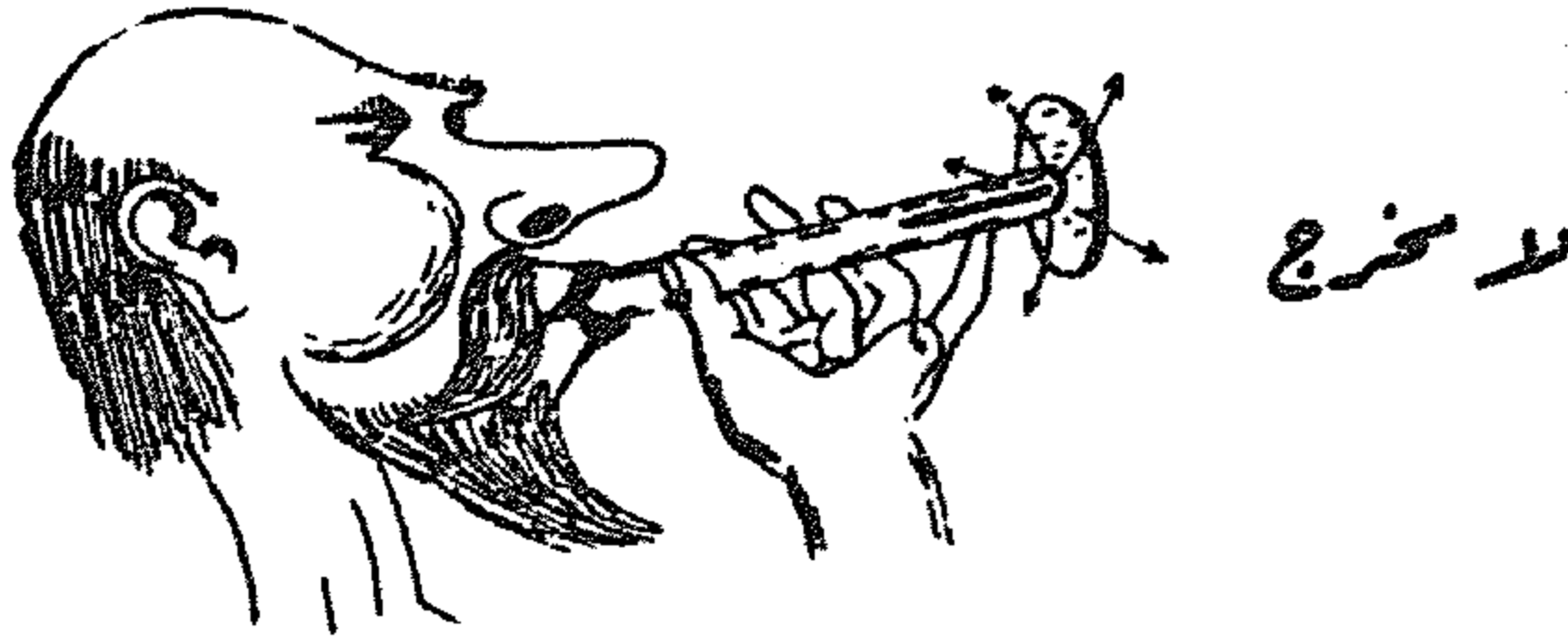
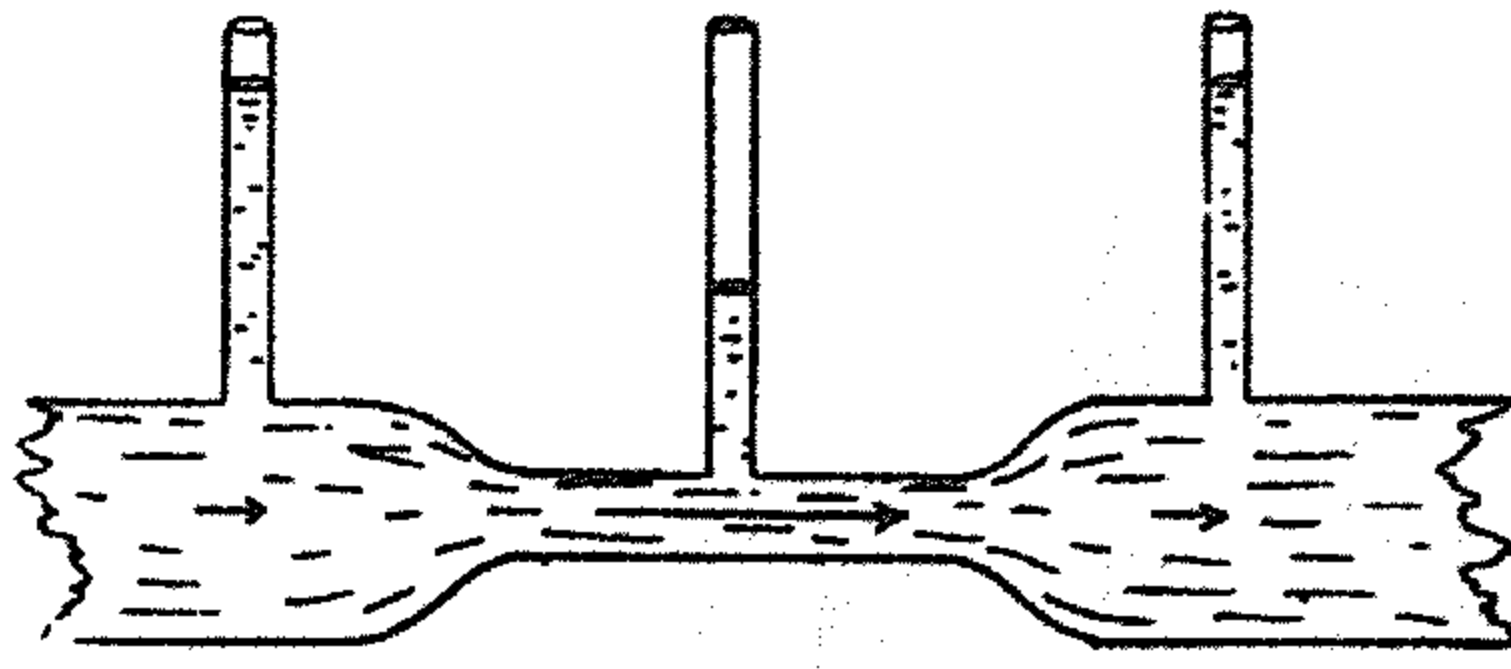
* تسمى أحياناً الموائع ، إلا أن هذه التسمية غير سليمة (المترجم) .



شكل (٣ - ٧)

تبعاً لقاعدة باسكال تستطيع قوة تولدها اليد رفع عربة ثقيلة

المتصلة بأجزاء هذه الماسورة الرئيسية الأفقية. ويلوح لأول نظرة أن الضغط يكون مرتفعاً في المقطع الضيق للأنبوبة ، نظراً لأن الماء يجبر على (التضغط) خلاله . وعلى أية حال فإن التجربة المباشرة تدل على أن الوضع عكس ذلك تماماً ، وأن قيمة ضغط الماء عبر المقطع الضيق تكون أقل من قيمته في المقطع الأعرض . ويمكن تفسير ذلك عندما نأخذ في الاعتبار تغير سرعة تدفق المياه عبر مقاطع مختلفة للأنبوبة . ففي المقطع العريض يتحرك الماء ببطء نسبياً ، على حين هو يسرع عند دخوله المقطع الضيق . ولكن لكي تسرع المياه في حركتها يلزم أن يتوافر لها قدر معين من (القوة) التي تعمل في ذلك الاتجاه . ونحن لا نستطيع أن نفكر في أى مصدر للقوة هنا سوى مصدر (فروق الضغط) بين الأنبوبتين الواسعة والضيقة . ولما كانت سرعة الماء تزداد عقب دخوله الأنبوبة الضيقة ، ومن الطبيعي أن تعمل القوة في



شكل (٣ - ٨)

قاعدة بيرنولي : (١) عرض بسيط . (ب) أنبوبة خادعة . (ج) كيف يعمل جناح الطائرة

اتجاه التيار ، فمن اللازم أن يكون الضغط في الأنبوبة الواسعة أكبر من الضغط في الأنبوبة الضيقة .

وفي وسع الفرد منا أن يظهر هذه الحقيقة من غير الحاجة إلى (سباك) ، وذلك بالحصول على أنبوبة صغيرة من الزجاج (ربما يمكن الاستعاضة عنها بمبسم السيجارة) وقرص من الورق المقوى ، ودبوس - شكل (٣ - ٨ ب) - . ثبت الدبوس في مركز القرص ثم أدخله في الأنبوبة على النحو الموضح في الشكل ، بحيث يعمل وزن القرص على استقرار القرص على حافة أو طرف الأنبوبة . فعندما ينفخ المرء في الطرف الثاني للأنبوبة يكون من المنتظر أن يطير القرص بسهولة ، وما عليك إلا أن تحاول هذه التجربة لتلمس بنفسك عدم صحة ذلك بتاتاً ، وأنه كلما عمد المرء إلى النفخ بشدة ازداد تشبث القرص بطرف الأنبوبة . وتفسر هذه الظاهرة على أساس

مبدأ بيرنولي : فإن الهواء الذى ينفخ فى الأنبوبة يكون مجبراً على التسرب أو الخروج خلال الطوق الدائرى الضيق الذى يفصل بين حافة الأنبوبة وقرص الورق المقوى الذى يضغط عليها ، وهذا الطوق أضيق بكثير من مجرى الأنبوبة ذاتها ، وعلى ذلك يكون ضغط الهواء فيه أقل بكثير من الضغط الجوى ، مما يحمل الهواء الخارجى على دفع القرص ليظل ملازماً لطرف الأنبوبة .

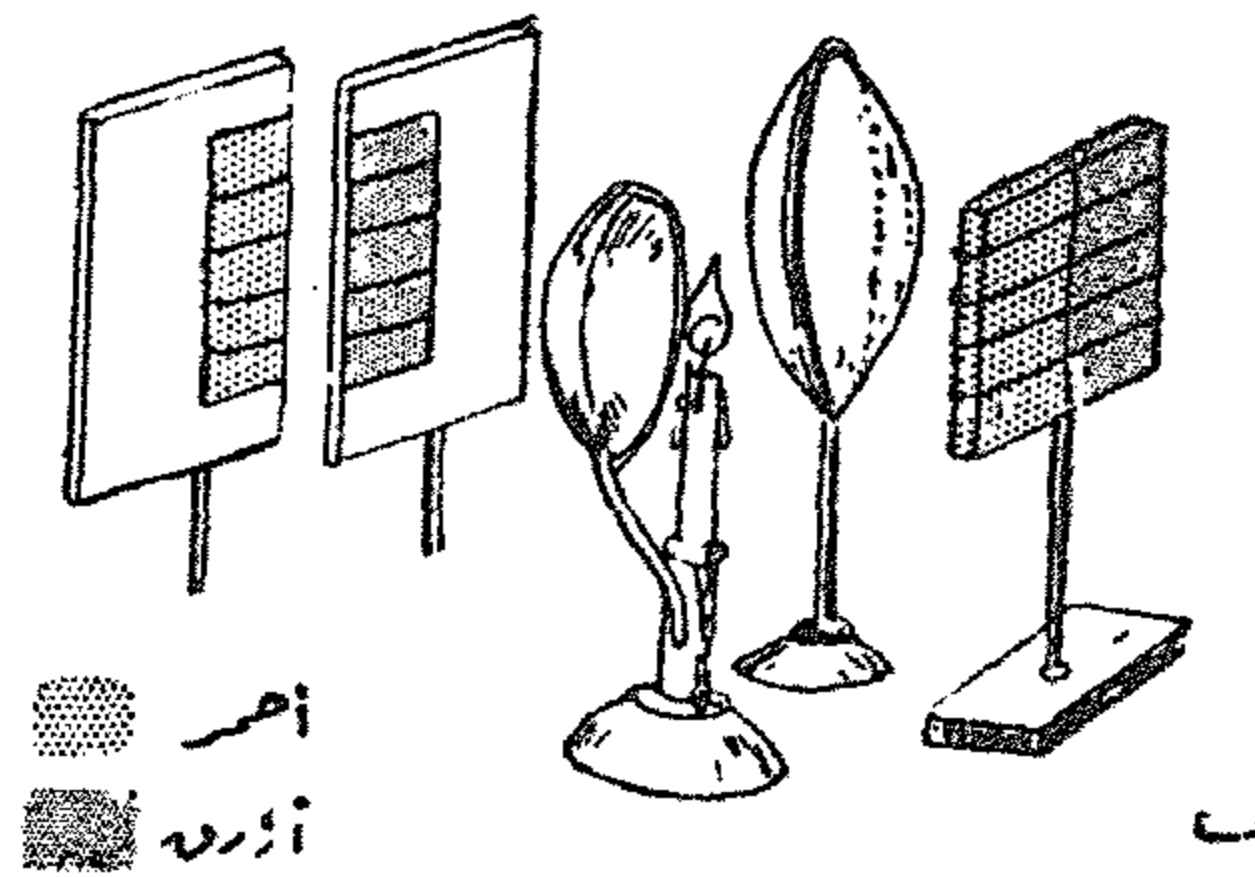
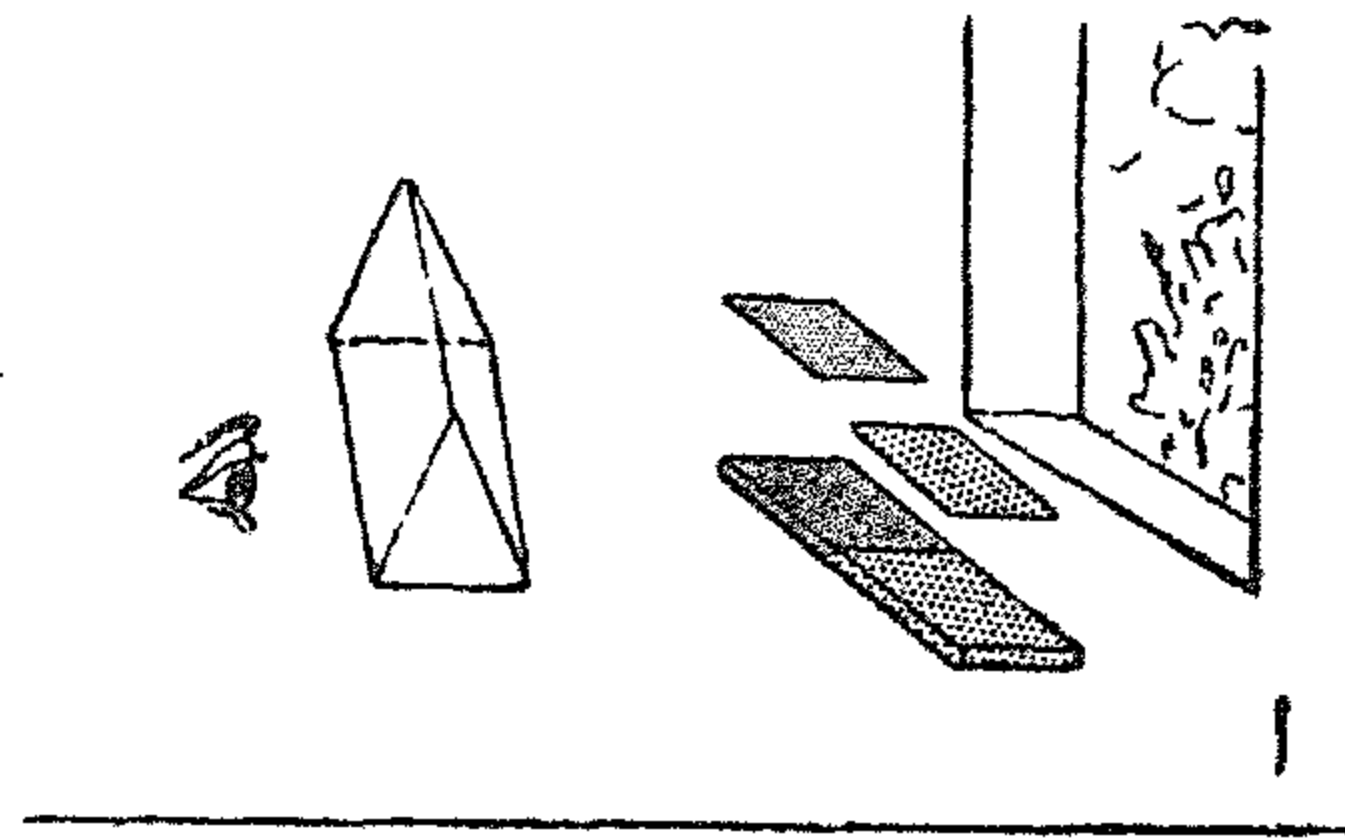
ويفسر لنا مبدأ بيرنولي كذلك القوى التى تحمل أجنحة الطائرة عندما تحلق فى الفضاء . فكما هو موضح فى شكل (٣ - ٨ ج) يصمم الشكل الجانبي للجناح بحيث تصبح المسافة من طرفه الأمامى إلى نهاية مؤخرته عندما ينساب الهواء فوق قمة الجناح أطول من المسافة التى بين نفس النقطتين عندما ينساب الهواء تحت الجناح . وينجم عن ذلك بطبيعة الحال أن تصير الكتل الهوائية المتحركة أعلى الجناح ذات سرعة كبرى ، وبذلك تبعاً لقاعدة بيرنولي يكون ضغطها أقل من الكتل الهوائية التى تنساب أسفل الجناح . ويعمل فرق الضغط هذا على حمل الطائرة إلى أعلى .

البصريات*

يجدر بنا عند هذه المرحلة أن نكف عن مناقشة أعمال نيوتن فى علم « الميكانيكا » لكى نفسح المجال لعرض « بصرياته » . وتقتصر أهم أعمال نيوتن فى هذا المجال على دراسة الألوان ، والبرهان الأساسى على أن الضوء الأبيض هو فى الواقع خليط من الأشعة المتباينة الألوان ابتداء من الأحمر إلى البنفسجى . وفى الواقع سبقت دراسات نيوتن فى علم البصريات أعماله الرئيسية فى الميكانيكا التى أوردها فى « البرنسبيا » . فعندما بلغ الثالثة والعشرين اشترى منشوراً زجاجياً « ليحاول به دراسة ظاهرة الألوان » . ومن الجائز أن جميع اكتشافاته الرئيسية فى هذا المجال يرجع تاريخها إلى تلك الفترة من حياته . وعلى أية حال ، فقد حدث فى فبراير عام ١٦٩٢ أن ترك النور موقداً فى غرفته وقصد الكنيسة ، وصادف أن راحت النار تلتهم أوراقه ، وكان من بينها أوراق أعمال وفيرة عن البصريات ، تضمنت تجارب وبحوث عشرين

* قد يطلق عليها أيضاً اسم الضوء تجاوزاً على النحو المؤلف (المترجم) .

عاماً . وهكذا لم تظهر الطبعة الأولى من كتاب البصريات لنيوتن إلا في عام ١٧٠٤ . ونحن ليس أمامنا إلا الحيرة بين إرجاع هذا التأخير إلى ذاك الحريق ، أو إلى تباطؤ نيوتن في نشر أفكاره على الملأ في وجه خصمه العنيد روبرت هوك ، الذي مات قبل أن يرسل نيوتن كتاب « بصريات » ، (وهو متضمن مقالات عن انعكاسات ، وانكسارات ، وانعطافات ، وألوان الضوء) ، للطبع . وفي مطلع ذلك الكتاب يبادر نيوتن إلى وصف تجربة بسيطة تثبت أن للضوء المكون من عدة ألوان عدة (انكسارات) متباينة .



شكل (٣ - ٩)

تجارب نيوتن على انكسار الضوء

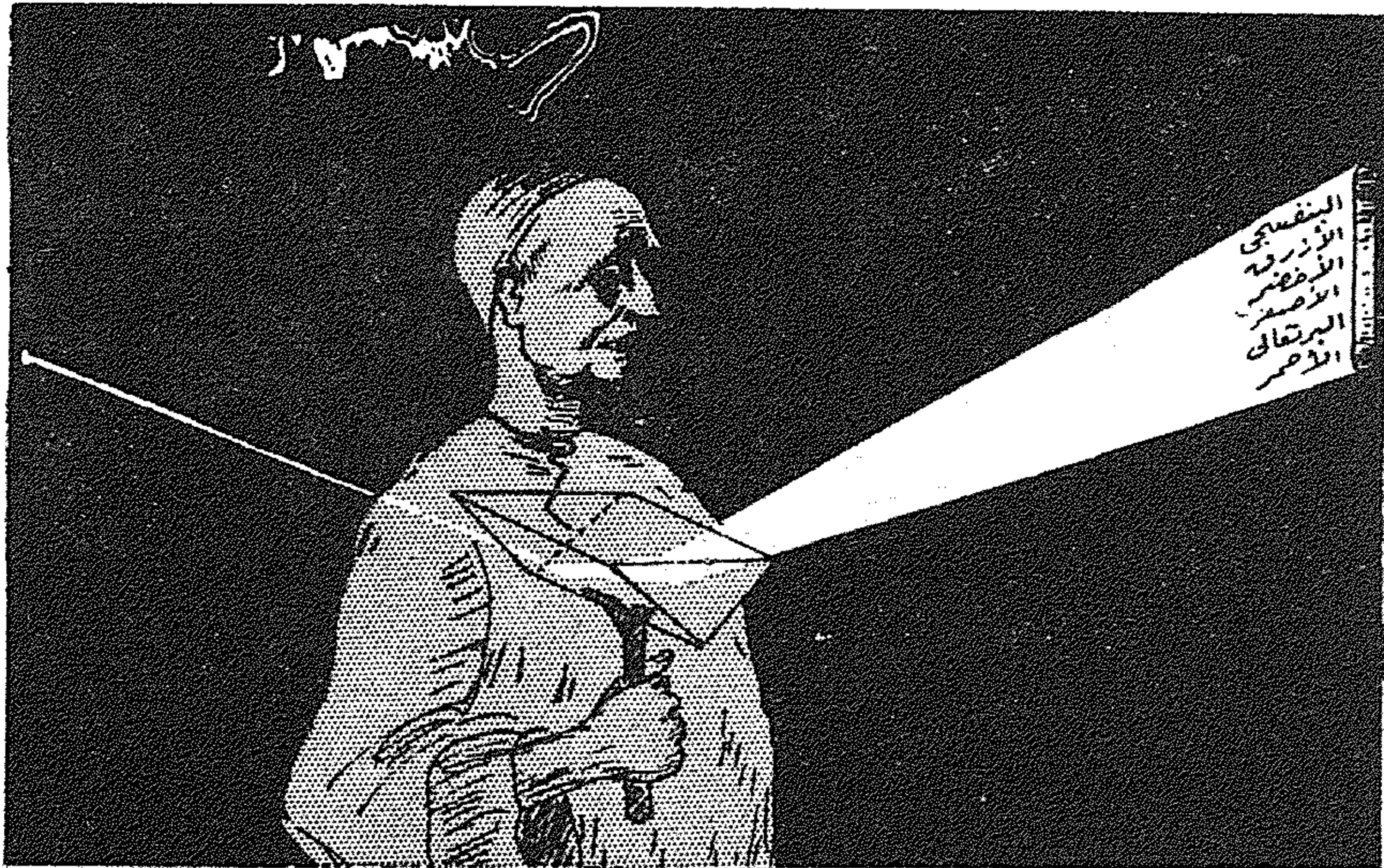
ولكى يدل على ذلك أخذ قطعة طويلة من الورق المقوى ، ودهن نصفها باللون الأحمر اللامع ، والنصف الآخر باللون الأزرق ، ثم وضعها بجانب النافذة وراح ينظر إليها من خلال منشور زجاجي - شكل (٣ - ١٩) - وعلى حد تعبير نيوتن نفسه : « وجدت أنه عندما تدار زاوية الانكسار للمنشور إلى أعلى بحيث يمكن رؤية الورقة مرتفعة فوق وضعها الأصلي بالانكسار ، فإن نصفها الأزرق يرتفع بقدر أكثر من نصفها الأحمر تحت تأثير هذا العامل . ولكن عندما تدار

زاوية الانكسار للمنشور إلى أسفل ، بحيث تبدو الورقة منخفضة عن وضعها الأصلي بالانكسار ، فإن نصفها الأزرق يزاح إلى أسفل خلال مسافة أكبر من تلك التي يزاح خلالها النصف الأحمر . وعلى أساس هذه التجربة قرر أن الضوء الأزرق إنما ينكسر بدرجة أكبر من الضوء الأحمر ، واستنتج أنه عندما تستخدم عدسة من أجل تجميع كل من الضوئين الأحمر والأزرق فإنه لا مناص من تجميعها لهما على بعدين مختلفين منها . وعمد من أجل إثبات هذا الاستنتاج إلى استخدام قطعة من الورق دهن نصفها باللون الأزرق والنصف الآخر باللون الأحمر ، وأضاءها بشمعة « لأن التجربة كانت تجرى في أثناء الليل » وحاول أن يحصل لها على صورة واضحة على قطعة أخرى من الورق باستخدام عدسة — شكل (٣ — ٩ ب) — . واستعان نيوتن بعدة خيوط سوداء شدها على قطعة الورق من أجل التأكد من دقة أو حدة الصور الناتجة . وبطبيعة الحال لم يستطع ، حسب تصوره ، أن يحصل على صورتين واضحتين لجانبي الورقة الملونة في آن واحد ، ولهذا نجده يقول : « ولقد حاولت قدر المستطاع أن أعين الوضعين اللذين فيهما تظهر صورة كل من نصفي الورقة الملونة — الأحمر والأزرق — أكثر وضوحاً ، فوجدت أنه عندما يظهر نصف الورقة الأحمر على أتم وضوح وجلاء ، يكون النصف الأزرق مضطرباً ، بحيث تصعب رؤية الخطوط السوداء التي عليه . وعلى العكس من ذلك ، عندما يظهر النصف الأزرق على أتم وضوح وجلاء يصبح النصف الأحمر مضطرباً وتصعب رؤية الخطوط السوداء التي عليه » .

وكما كان متوقعاً كانت صورة الجزء الأزرق من الورقة تتكون بوضوح على مسافة أقل من تلك التي تتكون عليها صورة واضحة للجزء الأحمر .

وكانت التجربة الثانية هي دراسة ما يحدث عندما يمر ضوء الشمس الأبيض خلال المنشور . وقد عمد نيوتن إلى عمل ثقب صغير في النافذة حصل بوساطته على حزمة ضيقة من ضوء الشمس ، فاعترض سبيلها بمنشور قبل أن تسقط على ستارة بيضاء أو حاجز خلفه على قرب منه . فبدلاً من أن يشاهد صورة مستديرة (كالتى يحصل عليها من آلة التصوير ذات ثقب الدبوس) للشمس على الحاجز كما هي الحالة من غير المنشور ، رأى صورة مستطيلة ذات لون خفيف من الزرقة في قمته

ولون خفيف من الحمرة في القاعدة . ولقد ألهمته هذه النتيجة وقادته إلى فكرة أن ضوء الشمس الأبيض يمكن أن يتكون من أشعة مختلفة الألوان : من الأشعة الزرقاء الأكثر قابلية للانكسار ، إلى أقلها قابلية للانكسار ، وهي الأشعة الحمراء . وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن تتكون الصورة المستطيلة التي على الحاجز من عدة صور متداخلة للشمس لها ألوان مختلفة ، فلا يبقى غير أحد طرفيها النهائيين أزرق خالصاً ، كما يبقى الطرف الآخر أحمر نقيّاً . ولكن لكي يتخلص من تداخل صور الشمس على الحاجز أدخل نيوتن على حزمة الضوء عدسة تعمل على تجميع صورة الثقب الصغير الذي بالنافذة على الحاجز - شكل (٣ - ١٠) - وعند ذلك قنع برؤية حزمة رأسية ذات ألوان ناصعة : الأحمر ، البرتقالي ، الأصفر ، الأخضر ، الأزرق ، والبنفسجي ، مع جميع الظلال المتخللة أو المتوسطة بين كل زوج منها . وكان هذا هو أول جهاز من أجهزة المطياف أو « سبكتروسكوب » ، وأول برهان على الحقيقة القائلة إن الضوء الأبيض يتكون من أشعة ذات ألوان مختلفة وتباين قابليتها للانكسار .



شكل (٣ - ١٠)

السير إسحق نيوتن يبين تحليل الضوء الأبيض إلى ألوان الطيف العديدة

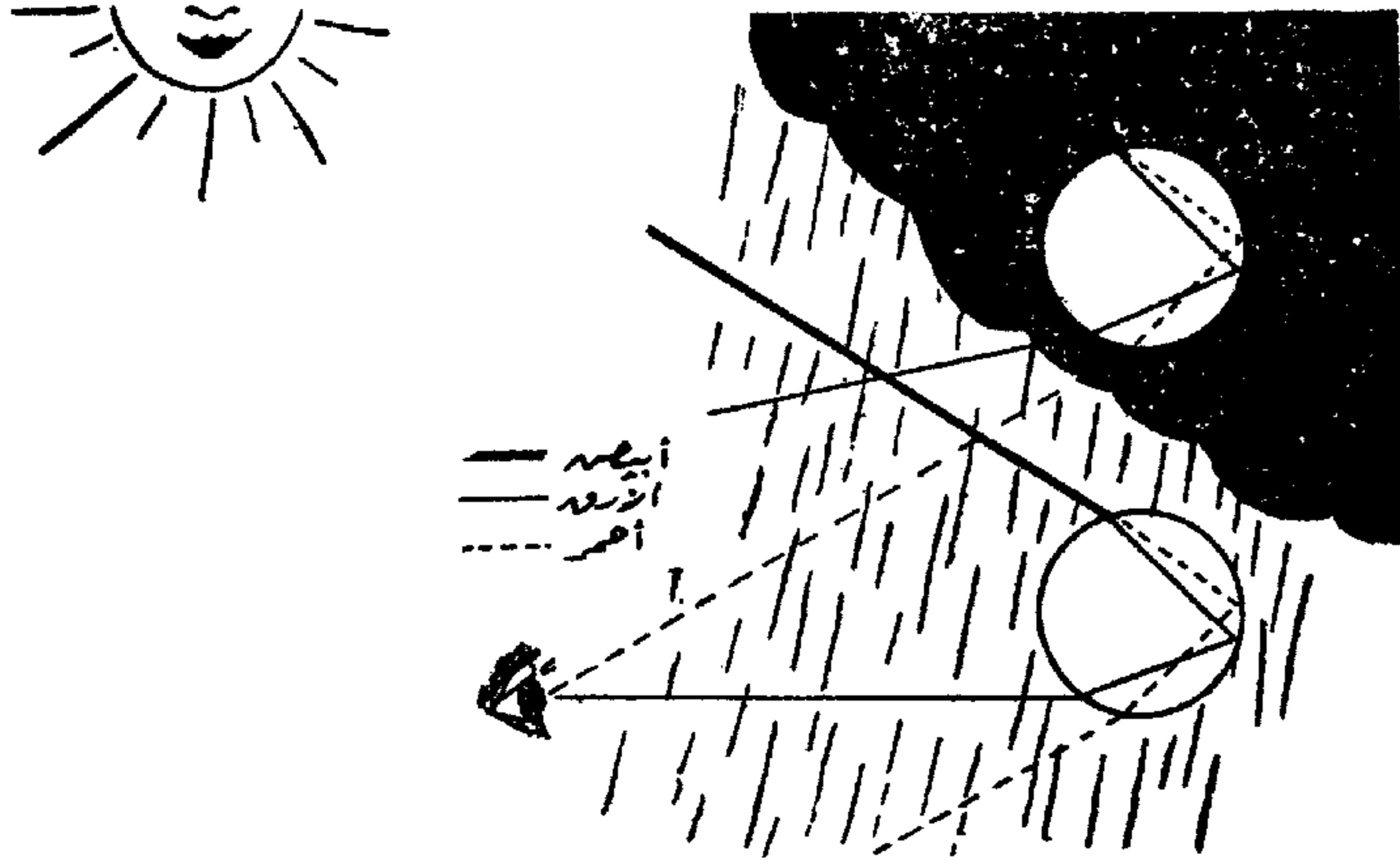
وتبدو تجارب نيوتن التي استخدم فيها المنشور في صورة بدائية للقارئ الحديث ، لأنه في مقدور كل طفل اليوم إجراء هذه التجارب بكل تأكيد ، إلا أن الأمر لم يكن كذلك في عهد نيوتن ، ذلك العهد الذي كان يسود فيه الاعتقاد بأن موضوع تلوين الضوء الأبيض إثر مروره خلال نوافذ الكاتدرائيات الزجاجية ذات البقع الملونة الحميلة الخلابة إنما يحكى تلوين الملابس البيضاء بعد غمسها في محاليل الصبغات المختلفة . ونحن نعرف اليوم أن شبكية العين البشرية تحتوى على ثلاثة أنواع من الخلايا العصبية الحساسة الألوان ، وهى التي تستجيب للضوء الأحمر ، والضوء الأخضر ، ثم الضوء الأزرق . وعندما توجد كل ألوان الضوء بنسب تساوى عين نسبها الموجودة في ضوء الشمس الذي نشأ فيه ودرج عليه عضو النظر خلال مئات ملايين السنين التي تطورت فيها الأحياء ، نشعر بأن الضوء « طبيعى » ، ونطلق عليه اسم « الضوء الأبيض » . ولكن عندما لا يوجد سوى جانب من الطيف فقط ، تتاح لنا فرصة الشعور بالألوان المختلفة * .

ومن بين الاستعمالات الهامة لاكتشاف نيوتن أن للأشعة ذات الألوان المختلفة ميلاً متبايناً للانكسار ، نظريته الخاصة بقوس قزح ، أو ذلك العرض الرائع الخلاب للألوان في السماء عندما يسطع ضوء الشمس في ركن منها بينما تنتشر السحب الثقالة المطيرة في الركن المقابل . وتبعاً لتفسير نيوتن يكون الذي نراه في هذه الحالة هو في الواقع أشعة الشمس المنعكسة بقطرات المطر الصغيرة التي تسبح داخل السحب أو التي تنهمر منها . ويبين شكل (٣ - ١١) المأخوذ عن الرسم الأصلي لنيوتن الذي أورده في كتابه (البصريات) مجرى الحوادث ؛ إذ نسقط أشعة الضوء الأبيض المنبعثة من الشمس (التي تمثلها الخطوط السوداء * في الشكل) على نقط الماء ثم تنكسر في أثناء اختراقها لها . ويعقب ذلك انعكاس داخلي ثم انكسار أخير في طريق

* أى ألوان جزء الطيف المرئى الموجود (المترجم) .

* * * علة تمثيل أشعة الضوء الأبيض بوساطة خطوط سوداء هى أن الخطوط البيضاء لا تظهر بطبيعة الحال على الورق الأبيض ، كما أننا سوف نرى فيما بعد في هذا الكتاب أن الضوء الأبيض كثيراً ما يسميه المشتغلون بالفيزياء باسم « إشعاع الجسم الأسود » نظراً لانبعائه على أكل وجه من الأجسام السوداء (مثل الكربون) عند ما ترتفع درجة حرارتها بحيث تبدو بيضاء من السخونة (المؤلف) .

خروجها منها . وينجم عن هذا كله أن تنفصل الأشعة ذات الألوان المختلفة بعضها عن بعض إثر خروجها من نقط الماء وتنتشر كالمروحة ، فيبصرها الراصد من الأرض



شكل (٣-١١)

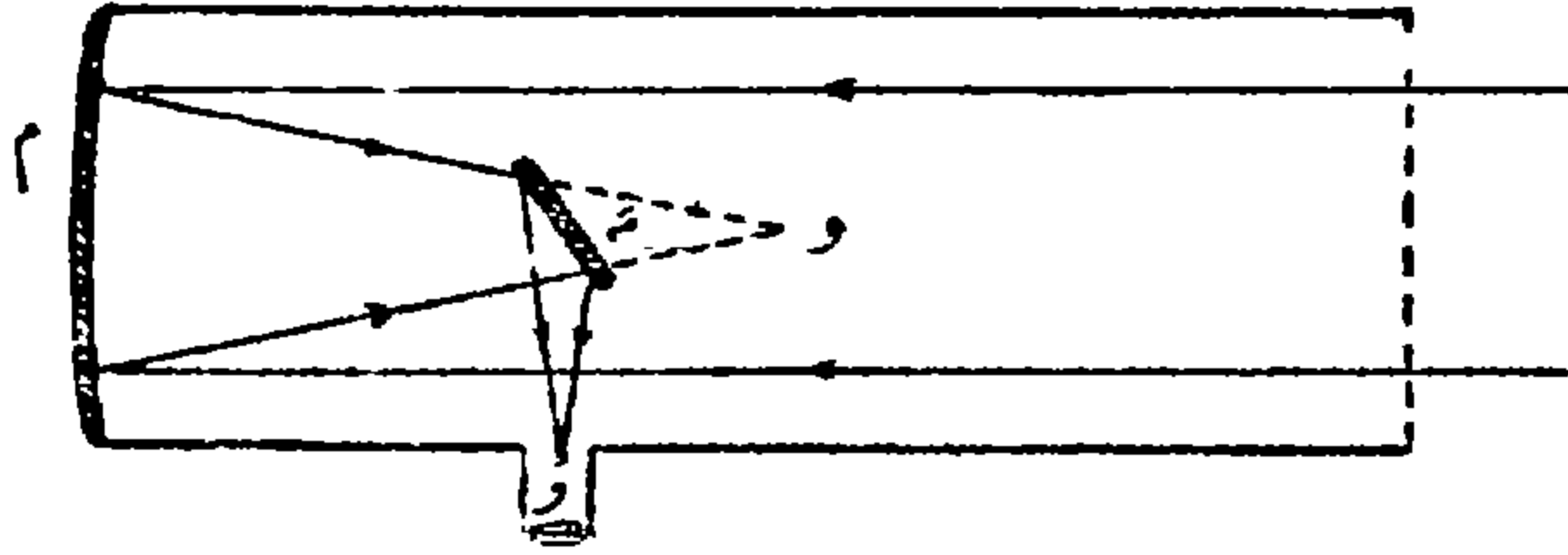
تفسير نيوتن لألوان قوس قزح

عندما يعطى ظهره للشمس على هيئة ألوان متباينة تنبعث من اتجاهات مختلفة في السماء . وتفسر ظاهرة وجود عدد من أقواس قزح متحدة المركز بالفرض القائل بأنه بدلا من انعكاس الأشعة المنبعثة من الشمس مرة واحدة داخل نقط المطر ، نجد أنها تنعكس داخلها عدة مرات . وجدير بنا أن نذكر هنا كذلك تلك الظواهر التي نطلق عليها اسم « الهالات » الضوئية ، وهي الأقواس عديمة الألوان التي تشاهد أحيانا حول قرص الشمس ، وخاصة حول القمر . وعلى العكس من قوس قزح نجد أن الهالات الضوئية إنما تحدث بسبب ارتداد الأشعة (وليس انكسارها) من بلورات الثلج الرفيعة التي تكون السحب العالية المعروفة في علم الرصد الجوى (المتيورولوجيا) باسم السحاق أو القزحية (السيرس) * .

وما إن فرغ نيوتن من التدليل على أن للضوء المكون من ألوان مختلفة قابلية متباينة للانكسار حتى استنتج (خطأ) أن للعدسات عيباً جوهرياً لا سبيل إلى ملاقاته في تكوين الصور الدقيقة للأجسام ، وذلك نظراً لعدم إمكان أى عدسة من تجميع الأشعة ذات الألوان المختلفة على بعد واحد منها . وقادته هذه الفكرة إلى

* هي في الواقع السحاق الطبقي ، وكذلك الطبقي المتوسط الارتفاع (المترجم) .

تقرير أن المناظير المكبرة (التلسكوبات) التي تستخدم فيها العدسات الزجاجية ، مثل المنظار الذي بناه غاليليو ، لا يمكن إدخال أى تحسين عليها ، ويجب إبدالها بالمناظير التي تعمل بانعكاس الضوء الذي هو ظاهرة لا دخل لها بالألوان .



شكل (١٢-٣)

تلسكوب نيوتن العاكس

وعلى هذا الأساس شيد في عام ١٦٧٢ منظاراً عاكساً (أو العاكس) المبين في شكل (٣ - ١٢) . وهو يتكون من مرآة على هيئة قطع مكافئ م تكون صوراً للأجرام السماوية في النقطة و داخل أنبوبة المنظار . ولكن قبل أن تتجمع الأشعة في البؤرة عند و تعترض سبيلها مرآة صغيرة م على محور المنظار ، لتردها أو تعكسها بدورها إلى و - التي تقع خارج الأنبوبة لكي يمكن مشاهدة الصورة . ولقد نجم خطأ نيوتن في هذه الحالة عن اعتقاده بأن المواد الشفافة المختلفة تعمل على انكسار الألوان المختلفة بطريقة متماثلة . ولم يعرف الناس خطأ هذا الفرض إلا بعد موت نيوتن ، حيث تبين إمكان تجميع الضوء الأحمر والضوء الأزرق في نقطة واحدة باستخدام العدسات المركبة المصنوعة من عينات مختلفة من الزجاج (مثل زجاج كراون وزجاج فلنت إلخ . .) وعلى أية حال فإن المناظير المكبرة العاكسة التي تستخدم فيها مرايا كبيرة ، كل مرآة منها على هيئة قطع مكافئ ، لها عدة مزايا رئيسية أخرى ، والحق يقال : إن أكبر منظارين فلكيين في عصرنا هذا (وهما منظار المائة بوصة في ماونت ولسون * ، ومنظار المائتي بوصة في جبل بالومار) هما من النوع العاكس .

وثمة اكتشاف آخر لنيوتن خاص بتعدد الألوان . وهو ما يعرف باسم « حلقات

* وكذلك منظار الأربع والسبعين بوصة في جبل القطمية بطريق السويس الذي بنته جامعة القاهرة (المترجم) .

نيوتن ، ، تلك الحلقات الضوئية التي تظهر من حول نقطة التماس بين أى عدسة محدبة و سطح مستو توضع عليه العدسة . ونجده يصف هذا العمل بالكلمات الآتية :

« لاحظ الآخرون أن المواد الشفافة مثل الزجاج والماء والهواء وما على شاكلتها ، عندما تكون رقيقة جداً ، كما يحدث عندما نصوغها على هيئة فقاقيع أو ألواح رقيقة ، تعرض ألواناً مختلفة تبعاً لمدى رقتها ، رغم أنها تظهر نقية خالية من الألوان عندما تكون سميكة نوعاً . (وفي ابتداء هذا الكتاب) أمسكت عن معالجة هذه الألوان ، لأنها بدت صعبة الدراسة ، وغير أساسية في استنباط خواص الضوء الذي تصدر عنه . ولكن نظراً لأنها قد تفضي إلى اكتشافات أخرى جديدة تعين على استكمال نظرية الضوء ، وعلى الأخص فيما يتصل بتكوين أجزاء الأجسام الطبيعية التي تتوقف عليها ألوانها أو شفافيتها ، كان لزاماً على أن أدرسها .

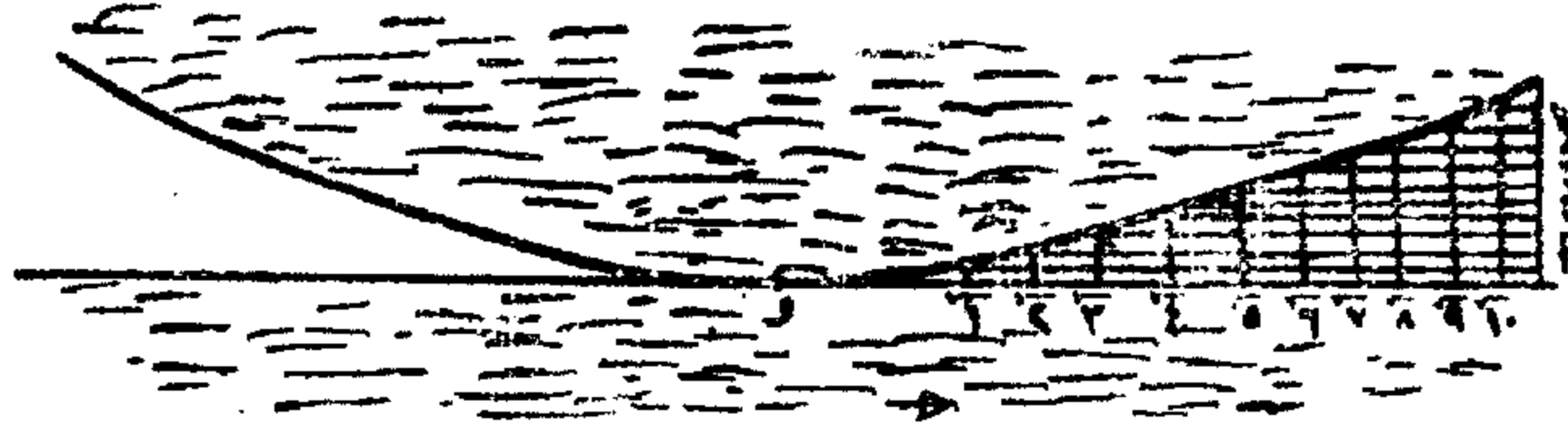
فقد استعملت عدستين (شيتين) * ، إحداهما محدبة - مستوية ، بعدها البؤرى نحو ٥٠ قدماً ، والأخرى محدبة الوجهين . وفوق هذه العدسة الثانية وضعت العدسة الأولى بحيث كان سطحها المستوى إلى أسفل ، وعمدت إلى ضغطهما معاً ببطء لكي تنبثق الألوان على التوالي وسط الدوائر ، ثم رحت أرفع العدسة العليا على مهل لأجعلها (أى الألوان) تختنى مرة أخرى على الترتيب حينما وجدت . ويظهر اللون الذى ينبثق أخيراً وسط الألوان الأخرى أول ما يظهر على هيئة دائرة من لون يكاد يكون متجانساً من المحيط إلى المركز ، وعندما تضغط العدسة أكثر من ذلك تتسع رقعة وتزداد المساحة التي يغطيها حتى ينبثق لون جديد في مركزه ، ومن ثم يصبح حلقة تغلف اللون الجديد . وعندما نعد إلى الضغط على العدسة أكثر من ذلك يزداد قطر الحلقة ويتناقص في نفس الوقت عرضها (أو سمكها) حتى يظهر لون جديد آخر في مركز اللون السابق له .

وهكذا يظهر لون ثالث ، فابع ، فخامس ، على التوالي . ويؤول أمرها جميعاً إلى حلقات من حول اللون الذى يظهر في آخر السلسلة من الداخل حتى تنهى العملية ببقعة سوداء في المركز . وعلى العكس من ذلك ، عندما نرفع العدسة

* الشيتية : هى العدة التى تقابل الجسم المرئى (المترجم) .

العليا رويداً رويداً عن العدسة التي تحتها ، تتناقص أقطار الحلقات ، ويزداد سمكها في نفس الوقت ، حتى تدرك الألوان المركز على التوالي ، وعند ذلك ، نظراً لأنها تكون ذات سمك عظيم ، أستطيع أن أشاهد بسهولة وأميز أنواعها عن ذى قبل . وبهذه الطريقة رصدت تتابعها ومقاديرها ووجدتها على النحو الآتى :

البقعة المركزية الرائقة التي تنجم عن التصاق العدستين يليها اللون الأزرق ، فالأبيض فالأصفر ثم الأحمر . ومقدار اللون الأزرق صغير لدرجة أنني لم أتمكن من مشاهدته في الدوائر المتكونة بالمنشورات ، كما أنني لم أستطع أن أميز تماماً أى لون بنفسجى فيها ، إلا أن اللونين الأصفر والأحمر كانا ظاهرين تماماً ، وكان اتساعهما يقارب اتساع اللون الأبيض ، أو ما يعادل أربعة أو خمسة أضعاف اتساع اللون الأزرق . وتكونت الدائرة التي تلتها بحسب ترتيب الألوان ، والتي غلفت هذه المجموعة مباشرة ، من البنفسجى ، الأزرق ، الأخضر ، الأصفر ، فالأحمر . وكانت هذه الألوان كلها واضحة جلية ، فيما عدا الأخضر الذى كان ضئيل المقدار جداً ، وبدا خافتاً وأقل تركيزاً بالنسبة لغيره من الألوان . وكان البنفسجى أقل الألوان الأربعة الأخرى امتداداً ، كما كان الأزرق أقل من الأصفر أو الأحمر . أما الدائرة (أو الطريقة) الثالثة في المتوالية فقد كانت تتكون من القرمزى فالأزرق ، فالأخضر ، فالأصفر ، ثم الأحمر . وكان اللون القرمزى أكثر احمراراً من اللون البنفسجى الذى ظهر في الدائرة السابقة ، كما بدا اللون الأخضر بارزاً ، نظراً لوضوحه وتميزه كباقي الألوان ، فيما عدا الأصفر . ولكن اللون الأحمر أخذ يذبل قليلاً ويميل إلى القرمزى . وجاءت بعد ذلك الدائرة الرابعة وقوامها الأخضر ، والأحمر . وقد كان اللون الأخضر حياً تام الوضوح ، كما كان يميل على أحد جانبيه إلى الأزرق ويميل على الجانب الآخر إلى الأصفر . ولكن هذه الدائرة الرابعة خلت من البنفسجى والأزرق والأصفر ، كما كان اللون الأحمر فيها غير مكتمل : تماماً وغير نقي . وظهرت الألوان التي تتابعت بعد ذلك في صور باهتة غير تامة ولا مركزة ، حتى إنه بعد ثلاث لفات أو أربع انتهى بها الأمر إلى اللون الأبيض الناصع .



شكل (٣-١٣)
تكوين حلقات نيوتن

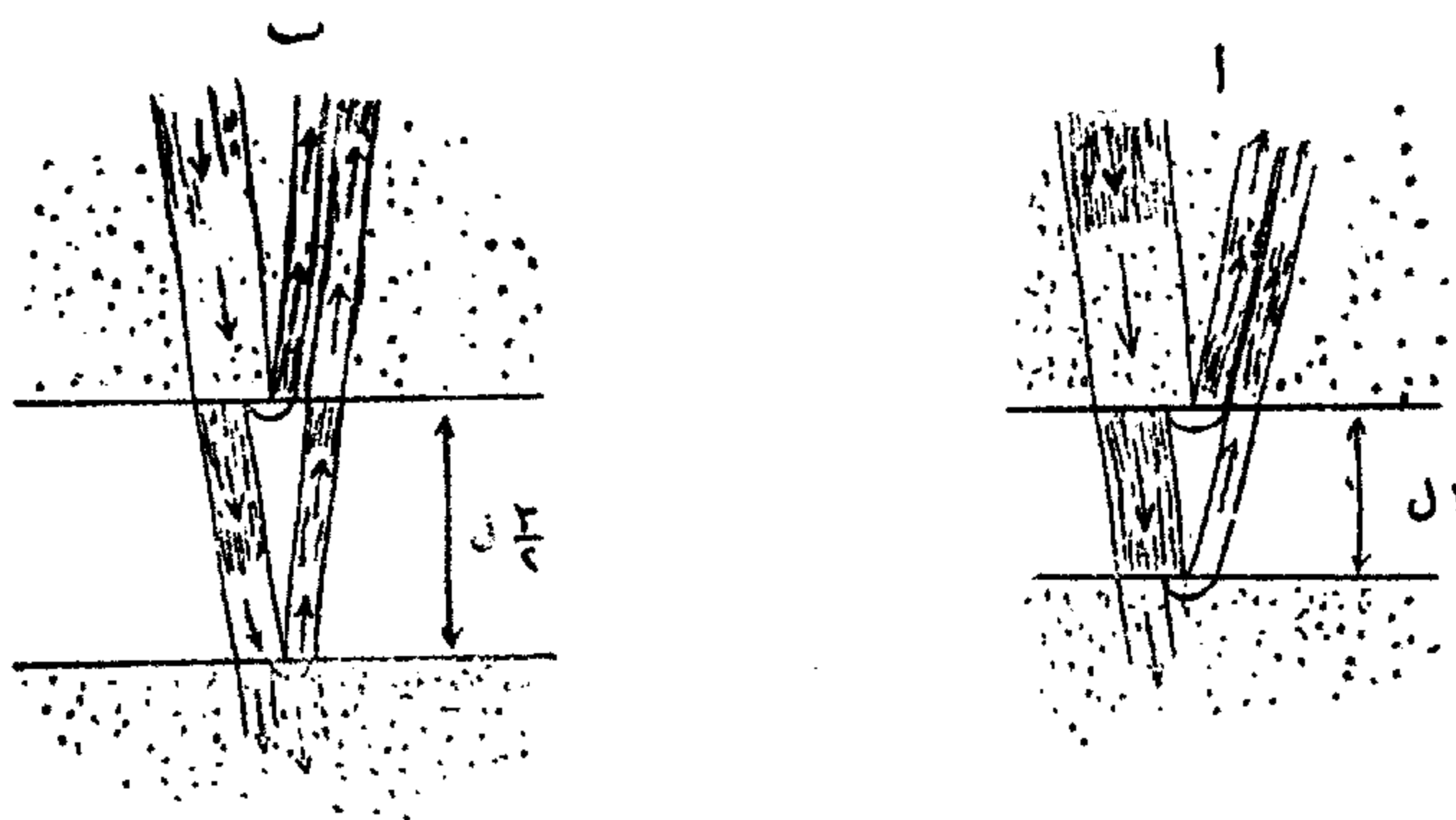
تظهر اللوحة رقم (١) العليا صورة فوتوغرافية لحلقات نيوتن ،
ثم الحصول عليها باستخدام ضوء وحيد اللون ، له طول موجة واحدة) .
وبقياس أنصاف أقطار الحلقات الست الأولى (في أكثر أركانها لمعاناً وظهوراً)
أوجد نيوتن أن مربعاتها إنما تكون متوالية حسابية من الأعداد الفردية : ١ ، ٣ ، ٥ ،
٧ ، ٩ ، ١١ . ومن ناحية أخرى وجد أن مربعات أنصاف أقطار الحلقات المظلمة
تكون متوالية من الأعداد الزوجية : ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ويوضح شكل
(٣ - ١٣) الوضع ؛ إذ يمثل مقطعاً مستعرضاً للسطح المحدب والسطح المستوي
للعدستين حول نقطة تماسهما . ولقد رسمت المسافات مقيسة على الجذور التربيعية
للأعداد الصحيحة :

$$\sqrt{1} = 1, \sqrt{4} = 2, \sqrt{9} = 3, \sqrt{16} = 4, \sqrt{25} = 5, \sqrt{36} = 6, \sqrt{49} = 7, \sqrt{64} = 8, \sqrt{81} = 9, \sqrt{100} = 10, \sqrt{121} = 11, \sqrt{144} = 12$$

وهكذا . . على المحور الأفقي ، وهذه هي المسافات التي شاهد عندها نيوتن
نهايات عظمى وأخرى دنيا من الضوء على التوالي . ولعلنا نلاحظ في هذا الشكل
(وهو أمر يمكن إثباته رياضياً كذلك) أن المسافات الرأسية التي تفصل بين سطحي
العدستين تزداد تبعاً لمتوالية حسابية بسيطة هي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ وهكذا . . .
فعندما عين نيوتن قدار العدسة المحدبة استطاع أن يحسب بسهولة سمك طبقة الهواء
في الأماكن التي تظهر فيها الحلقات المضيئة والمظلمة . وقد كتب يقول :
($\frac{1}{89000}$) جزء من البوصة هو سمك الهواء في أشد الأجزاء إعتاماً من الحلقة الأولى
المظلمة الناجمة عن استخدام أشعة متعامدة . ونصف هذا السمك مضروباً في
المتوالية : ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١١ . . . إلخ ، يعطينا سمك الهواء في أشد الأجزاء
إضاءة في كل حلقة من الحلقات المضيئة ، وهو : $\frac{1}{178000}$ ، $\frac{3}{178000}$ ،
 $\frac{5}{178000}$ ، $\frac{7}{178000}$. . . وهكذا . والأوساط الحسابية لهذه القيمة وهي :
 $\frac{2}{178000}$ ، $\frac{4}{178000}$ ، $\frac{6}{178000}$. . . وهكذا ، تمثل على التوالي السمك في

أشد الأجزاء إعتاماً في الحلقات المظلمة المتوالية .

وعلى عكس ما قرره نيوتن (وما أوردناه سابقاً) من أن ألوان قوس قزح المتكون في الطبقات الرقيقة « غير لازمة لصياغة خواص الضوء » ، نجد أن حلقات نيوتن إنما تمثل أوتيهي برهاناً من أحسن البراهين التي تؤيد الطبيعة الموجية للضوء ، وهي حقيقة لم يشأ نيوتن أن يقرها حتى مماته ؛ فالحلقات هي نتيجة ما نطلق عليه اسم « التداخل » بين حزمتين من الضوء يعكسهما سطحاً الزجاج اللذان تفصل بينهما مسافة متغيرة . فعندما تقبل حزمة ضيقة من الضوء وتسقط من أعلى على الحد الفاصل بين زجاج العدسة العليا وطبقة الهواء التي بين العدستين ، فإن جانباً منها يرتد ، على حين ينفذ الباقي خلال طبقة الهواء . ويحدث ارتداد أو انعكاس جزئي مرة أخرى عندما تدخل الحزمة زجاج العدسة السفلى ، وهكذا تنطلق الحزمتان المرتدتان إلى أعلى معاً إلى عين الراصد . ويوضح شكل (٣ - ١٤) ما يحدث في مثل هذه الحالة ويمثلها بيانياً - أى بالرسم - . ولتسهيل عملية الرسم تمثل الأمواج بوساطة امتدادات سوداء (الأوج أو القمة) ، وأخرى بيضاء (الحضيض أو القاع) . وكذلك لم ترسم حزم الضوء عمودية تماماً على السطح الداخلي تجنباً لتداخل الخطوط . وعلى أية حال فإن هذا هو عين ما يحدث بالفعل ، نظراً لأن مصدر الضوء ورأس الراصد لا يمكن أن يكونا على خط واحد . ويرينا شكل (٣ - ١٤) ما يحدث عندما يساوى سمك طبقة



شكل (٣ - ١٤)

تفسير يونج لحلقات نيوتن

الهواء نصف طول موجة الضوء الساقط (يمثل طول الموجة الكاملة في الشكل امتداد

أبيض وآخر أسود معاً) . وفي هذه الحالة تلحق الموجةُ المرتدةُ من سطح العدسة السفلى وتترك الموجة المرتدة من العدسة العليا بحيث ينطبق أوج الموجة الأولى مع حضيض الموجة الثانية والعكس بالعكس . فإذا ما توافرت لهذه الموجات نفس الشدة فإنها بطبيعة الحال تلغى بعضها بعضاً ، وإلا فإن شدة الموجات تقل كثيراً . ويمثل شكل (٣ - ١٤ ب) الحالة عندما يساوى سمك طبقة الهواء ثلاثة أرباع طول موجة الضوء الساقط . وهنا تنطلق الموجتان المرتدتان بحيث ينطبق الأوج على الأوج ، والحضيض على الحضيض ، وبذلك تزداد الشدة . وكلما ازداد سمك طبقة الهواء بعد ذلك حصلنا على التوالي على حالات من الضعف والتقوية كلما تغير السمك بمقدار (ربع) طول الموجة ل . وفي التجربة التي أجراها نيوتن يزداد السمك باستمرار كلما اتجهنا إلى الخارج بعيداً عن نقطة التماس ، وبذلك نشاهد حلقات مظلمة وأخرى مضيئة على التوالي . ولما كان الضوء المكون من ألوان عديدة مختلفة ينتمي إلى أطوال أمواج متباينة ، فإنه بطبيعة الحال تختلف إلى حد ما أنصاف أقطار حلقات الألوان المتباينة ، وبذلك نشاهد حلقات قوس قزح على هيئة قرص نيوتن . ونحن عندما نستخدم الأرقام السابقة التي أعطاها نيوتن لكثافة الهواء ، نجد أن طول موجة الضوء الذي يحدث الحلقات التي لها أنصاف الأقطار المذكورة يلزم أن يكون $\frac{178000}{\text{بوصة}}$ ، أو $0,58 \times 10^{-4}$ سم . وكما نعرف اليوم هذا هو طول موجة الضوء الأصفر ، وهو أكثر أجزاء الطيف المرئي لمعاناً .

ولكن نيوتن كان يعارض النظرية الموجية للضوء بعنف وشدة ، ويرجع ذلك غالباً إلى أنه لم يدرك كيف يمكن أن تفسر هذه النظرية انتشار أشعة الضوء في خطوط مستقيمة . وقد أصر على أن أحزمة الضوء يجب أن تكون مجرى من الجسيمات المندفعة بسرعة خارقة عبر الفضاء . وعلى هذا الأساس ، لما أراد تفسير ظهور حلقات التداخل ، عمد إلى اختراع نظرية معقدة عن « نوبات الانعكاس الهين والانتقال » ، وتبعاً لتلك النظرية . . . عندما يمر أى شعاع ضوئي عبر سطح انكسار فإنه يمر خلال تكوين انتقال خاص أو حالة ، تعود في أثناء تقدم الشعاع في فترات متساوية تمكنه عند كل عودة من أن ينتقل بسهولة خلال سطح الانكسار الثاني ، ومن أن يرتد أو ينعكس بسهولة فيما بين اللحظات التي تعود فيها .

ويقابل « طول النوبة » عند نيوتن بطبيعة الحال ما نطلق عليه اليوم طول الموجة ، ولقد استنتج أن « طول النوبة » هذا أكبر للضوء الأحمر وأقصر للأزرق ، إلا أنه يقول : إننى لا أتطلب هنا معرفة أي نوع هذا من الفعل أو الطبع ، سواء تضمن حركة دائرية أو ترددية تعترى الشعاع ، أو الوسط .

وكان خصم نيوتن فى مناقشة موضوع طبيعة الضوء ، وهو الرجل الذى ربحت نظريته ، وراجت فيما بعد ، هو عالم الفيزياء الهولندى ، كرستيان هيجنز ، الذى سبىء بثلاثة عشر عاماً . ونخير تلخيص للأسباب التى حملت هيجنز وحثته على تفضيل اعتبار الضوء موجات تنتشر خلال وسط عال يملأ أرجاء الفضاء كافة بدلا من اعتباره إياه حزمة من الجسيمات المتحركة بسرعة كبيرة ، هو ما ورد فى إحدى فقرات كتابه « تريتي دو لوميير » *Traité de la lumière* الذى نشر عام ١٦٩٠ . فقد جاء فى هذه الفقرة :

حول انتشار أشعة الضوء فى خطوط مستقيمة : تعتمد طرق التدليل فى علم البصريات ، على غرار جميع العلوم التى تستخدم فيها الهندسة فى شئون المادة ، على الحقائق التى تنجم عن الخبرة . مثال ذلك الحقيقة القائلة بأن أشعة الضوء تنتشر فى خطوط مستقيمة ، وأن زاوية الانعكاس تساوى زاوية السقوط ، كما أن الانكسار يخضع لقاعدة الجيب ، المعروفة تماماً فى عصرنا هذا ، والتى لا نتردد فى اعتبارها حقيقة فى مستوى الحقائق السابقة .

ولقد اكتفى أغلب أولئك الذين كتبوا عن النواحي المختلفة من البصريات باعتبار هذه الحقائق قضية مسلمة . وعمد بعض المحققين الباحثين عن مصادرها وأسبابها إلى اعتبارها من مظاهر الطبيعة الخلابة الملازمة لها . وعلى أية حال فبرغم أن الآراء التى أخرجت للناس فى هذا المجال تدل على العبقرية ، إلا أنها لا تغنى المفكرين من ذوى الأصالة فى رأى عن مواصلة البحث من أجل الحصول على طبيعة للضوء أكثر إقناعاً ، وإنى لأرغب فى أن أعرض هنا آرائى فى هذا الموضوع ، حتى أشارك قدر جهدى فى حل هذا الفرع من العلم ، الذى يعتبر من أصعب الفروع لأسباب عديدة . وإنى لأقدم خالص امتنانى وأرجع الفضل إلى أولئك الرواد الأول الذين كانوا أول من بدأ بتبديد وإزالة ذلك الظلام العجيب الذى ينجم حول هذه الأشياء ،

وكذلك أولئك الذين أعطونا الأمل في إمكان تفسيرها تفسيراً يقبله العقل . إلا أنني من ناحية أخرى لم يدهشني بتاتاً أن أجد في أكثر الأحياء أنهم كانوا يعتبرون بعض الآراء في مرتبة أبعد الحقائق رسوخاً وأعظمها استقراراً ، في حين أنها لم تكن تعدو كونها رثة وركيكة إلى أقصى حد ، ذلك لأنني أعلم علم اليقين أنه لم يتوصل أحد بعد إلى إعطائنا تفسيراً مقنعاً ، حتى فيما يتعلق بظواهر الضوء الأولى وأعظمها أهمية ، مثل : لماذا هو ينتشر في خطوط مستقيمة على التحديد ؟ وكيف أن أشعة الضوء المقبلة من عدد لا نهائي من الاتجاهات المتباينة تمضي دون أن يعترض بعضها سبيل بعض ؟

ولذلك فسوف أحاول في هذا الكتاب ، على أساس المبادئ الفلسفية المعاصرة ، أن أعطي أسباباً قوية وأكثر احتمالاً لهذه الخواص ، مبتدئاً أولاً بانتشار الضوء في خطوط مستقيمة ، ثم ثانياً بانعكاس الضوء عندما يسقط على الأجسام الأخرى . وبعد ذلك سوف أعمد إلى تفسير تلك الخواص الخاصة بالأشعة التي عندما تخترق أنواعاً مختلفة من المواد الشفافة تعاني ما يسمى الانكسار ، ومن ثم سوف أعالج كذلك ظاهرة الانكسار في الهواء الناجم عن اختلافات كثافة الغلاف الجوي .

وسيتناول بحثي أيضاً الانكسار الشاذ للضوء في بلورة خاصة من أيسلاند . وأخيراً سوف أعالج موضوع الأنواع المختلفة للأجسام الشفافة والأجسام العاكسة ، تلك الأجسام التي عندما نستخدمها نجد أن الأشعة إما أن تتجمع في نقطة واحدة وإما أن تتفرق بطرق مختلفة . وسوف نرى بعد كل هذا كيف تقودنا نظريتنا الجديدة بكل سهولة إلى أن نكتشف — ليس فقط مجرد تلك القطاعات الناقصة والزائدة، وغيرها من المنحنيات التي افترضها ديكارت بعبريته الفذة لهذه الظاهرة — وإنما كذلك تلك الأشكال التي تكون سطحاً من سطوح أي عدسة عندما نعرف أن سطحها الثاني كروي أو مستو ، أو أي شكل آخر . . .

ولما كنا على يقين ، تبعاً لهذه الفلسفة ، من أن حاسة الإبصار تتم بفعل حركة معينة لمادة تؤثر في الأعصاب الموجودة خلف أعيننا ، فإن هذا هو سبب من الأسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن الضوء إنما يتكون من حركة المادة المنتشرة بيننا وبين الجسم المضيء . وإذا ما عمدنا إلى الاهتمام بقدر وعمل حساب السرعة

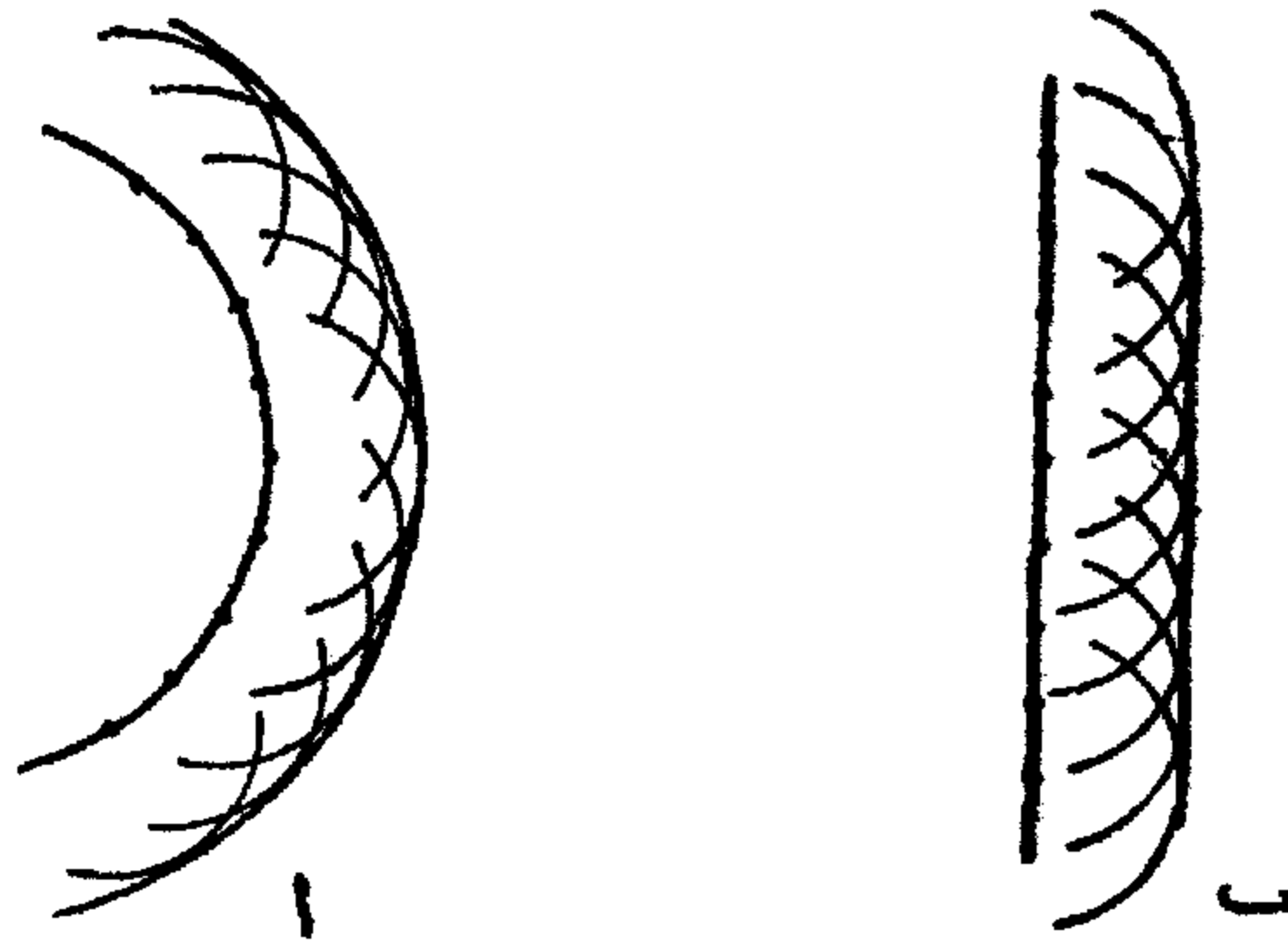
الحارقة التي ينتشر بها الضوء في شتى الاتجاهات ، وكذلك حساب أن الأشعة عندما تقبل من اتجاهات مختلفة تماماً ، بل متضادة ، فإنها تستمر في حركتها دون أن يعترض أحدها سبيل الآخر ، عند ذلك نستطيع أن نفهم تماماً أننا كلما استخدمنا جسماً مضيقاً لا يمكن أن يكون سر إضاءته هو إشعاع مادة أو إرسالها لتصل إلينا ، كما يحدث في حالة القذيفة ، أو كما تطير السهام في الهواء ؛ لأن هذا إنما يناقض تماماً صفتي الضوء ، وعلى الأخص صفته الثانية . وعلى ذلك فلا بد أنه ينتشر بطريقة أخرى ، وعلى وجه التحديد يمكن أن تقودنا معرفتنا بانتشار الصوت في الهواء إلى فهم طريقة انتشار الضوء هذه .

فنحن نعرف أنه بوساطة الهواء — الذي هو جسم غير مرئي وغير محسوس * — ينتشر الصوت في شتى أرجاء الفضاء المحيطة بمصدره ، وذلك بحركة تتقدم تدريجياً من كل جزىء من جزيئات الهواء إلى الجزىء الذى يليه . ولما كان انتشار هذه الحركة يتم بسرعة متساوية في شتى الاتجاهات ، فإنه لا بد من تولد سطوح كروية تستمر في الانتشار بمضى الوقت حتى تصل إلى آذاننا . ونحن الآن لا نشك في أن الضوء كذلك يصلنا من الأجسام المضيئة بوساطة نوع من الحركة يسبغها على المادة المتخللة بيننا . وقد رأينا كيف أن هذا لا يمكن أن يتم بانتقال جسم بالذات من مصدر الضوء إلينا . فإذا كان الضوء يستلزم استغراق بعض الوقت في مساره ، كما سنبحث ذلك سريعاً ، فإن الحركة التي يسبغها على المادة تتم على التدرّج ، كما أنه على غرار الصوت يجب أن ينتشر في أسطح كروية أو موجات . وإني أسمى موجات لشبه بينها وبين الأمواج التي تتكون في الماء عندما نلقى فيه بحجر ، ولأنها تمكّنتنا من أن نبصر انتشاراً تدريجياً مماثلاً في دوائر ، رغم أنها تنجم عن سبب مخالف ولا تتكون إلا في سطح مستو فقط . . .

وعندما نتعرض لموضوع انتشار الأمواج ، سواء أكان ذلك على سطح الماء أم في الهواء ، أم في « عالم الأثير » الغامض الذي يحمل أمواج الضوء ، نجد أن هيجتز إنما يبني رأيه على مبدأ بسيط يعرف اليوم باسمه . لنفرض أننا سندرس أعم الحالات وأوضحها ، وهي التي تتوافر عندما نلقى بحجر في بركة مثلاً ، وأنها نبصر موجة دائرية ،

* نحن لا نحس بالهواء إلا عند تحركه ، حيث يعرف باسم الريح . (المترجم) .

أو على الأصح سلسلة من الأمواج المتتابة ، تنتشر حول النقطة التي نفذ فيها الحجر في السطح . والسؤال هو : إذا ما أعطى لنا وضع موجة ما في لحظة معينة ، فكيف نعين موضعها عقب فترة قصيرة من الزمان؟ والإجابة عن هذا السؤال حسب قاعدة هيجنز هي : « تعتبر كل نقطة موجودة على جبهة الموجة الآخذة في الانتشار بمثابة المصدر لموجة جديدة ، أو مويجة ، ويكون الوضع الجديد لجبهة الموجة هو السطح الذي يطوى* هذه المويجات الصغيرة المنبعثة من جميع نقط الموجة عند وضعها الأول » . ويمثل شكل (٣ - ١٥) هذه الفكرة في أبسط حالات الموجة الدائرية والموجة المستوية .

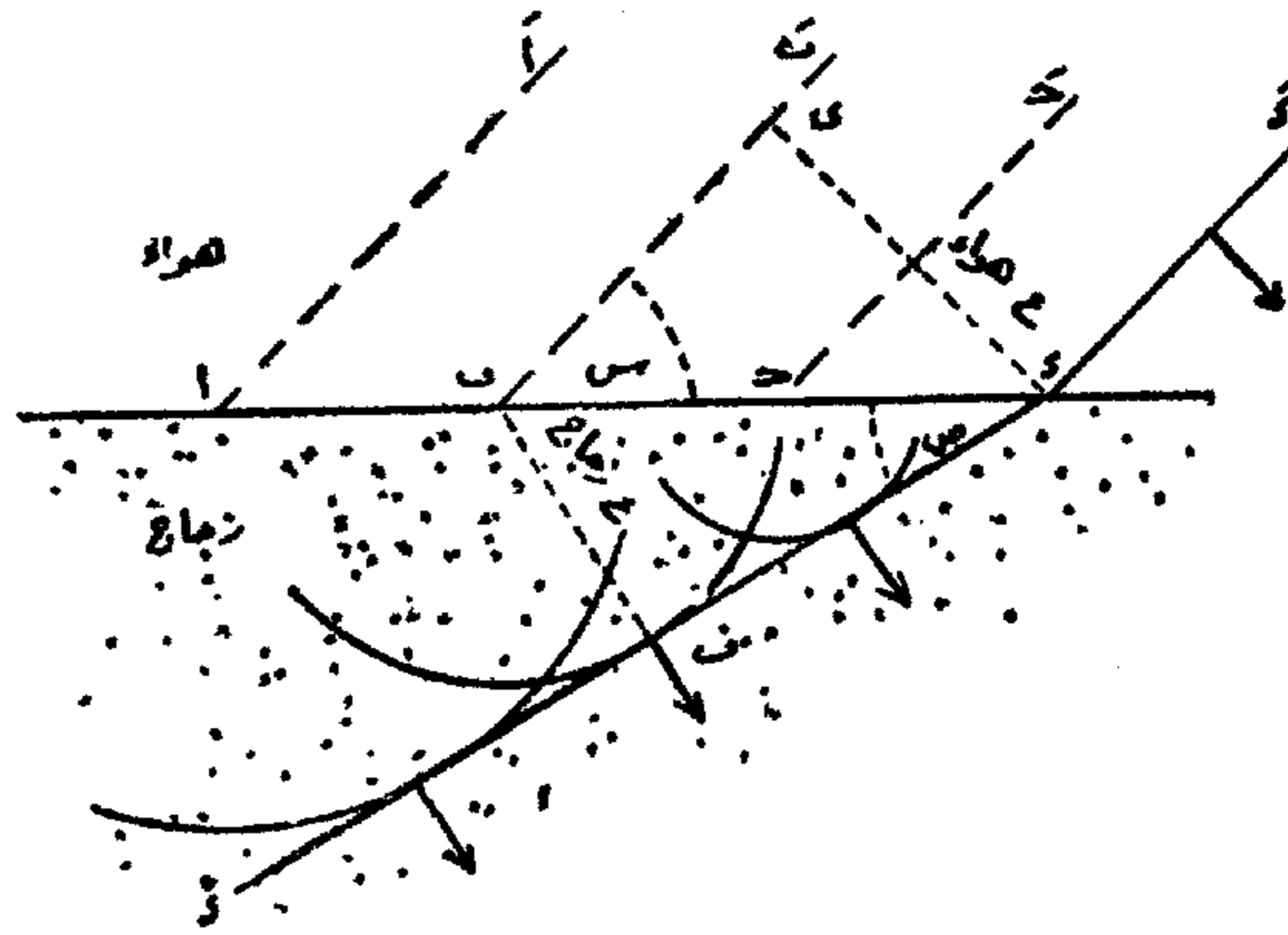


شكل (٣ - ١٥)

قاعدة هيجنز لانتشار الأمواج

وأروع تطبيقات قاعدة هيجنز استخدامه لها في تفسير انكسار الضوء الممثل في شكل (٣ - ١٦) : لنفترض مثلاً أن جبهة مستوية تسقط من أعلى اليسار على السطح الفاصل بين الهواء والزجاج (أو أى وسطين آخرين) . فعندما تكون هذه الجبهة في الوضع أ أ وتمس سطح الانفصال في النقطة أ ، تبدأ مويجة كروية في الانتشار داخل الزجاج من هذه النقطة. وكلما تقدمت جبهة الضوء في الهواء تنطلق منها مويجات متتابة ومماثلة من النقطتين ب ، ج ، ... ولقد تم رسم شكل (٣ - ١٦) في اللحظة التي كانت عندها الجبهة في الموضع د د وهي نفسها اللحظة التي فيها شرعت المويجة من د تنبثق لتنتشر داخل الزجاج . ولكن لكي نعين موضع الجبهة الضوئية في الزجاج يجب علينا أن نستنتج المماس الذي يطوى جميع المويجات التي سبق

* هو عينه السطح الذي يمس أو يجمع بالتماس (المترجم) .



شكل (٣-١٦) تفسير هيجنز لانكسار الضوء

انطلاقها (بمرور الضوء على السطح العاكس) هذا المماس هو في هذه الحالة خط مستقيم . فإذا كانت سرعة الضوء ، كما هو مفروض في الرسم ، داخل الزجاج أقل من سرعته في الهواء (أى إن أنصاف أقطار الموجات داخل الزجاج أصغر من المسافات التي تفصل بين الأوضاع المتتالية للجبهة في الهواء) ، فإن جبهة الضوء سوف تميل إلى أسفل داخل الزجاج ، وبذلك تصبح الأشعة المنكسرة أقرب للعمودى من الأشعة الساقطة . هذا هو عين ما يحدث عند ما يمر الضوء من الهواء إلى الزجاج . أما إذا افترضنا جدلاً أن سرعة الضوء داخل الزجاج هي أكبر من سرعته في الهواء فإن العكس تماماً يحدث . ولكى نعين العلاقة بين زاوية السقوط S وزاوية الانكسار V * ، نأخذ مثلثين قائمى الزاوية $B D$ ثم $B D F$ بينهما وتر مشترك ($B D$) ، فن تعريف جيب الزاوية نجد أن :

$$\text{حـا س} = \frac{D}{B} ، \text{حـا ص} = \frac{B}{D}$$

وبقسمة : المعادلة الأولى على المعادلة الثانية نحصل على :

$$\frac{\text{حـا س}}{\text{حـا ص}} = \frac{D}{B} = \frac{E}{E - \text{زجاج}} = \frac{E}{\text{هواء}}$$

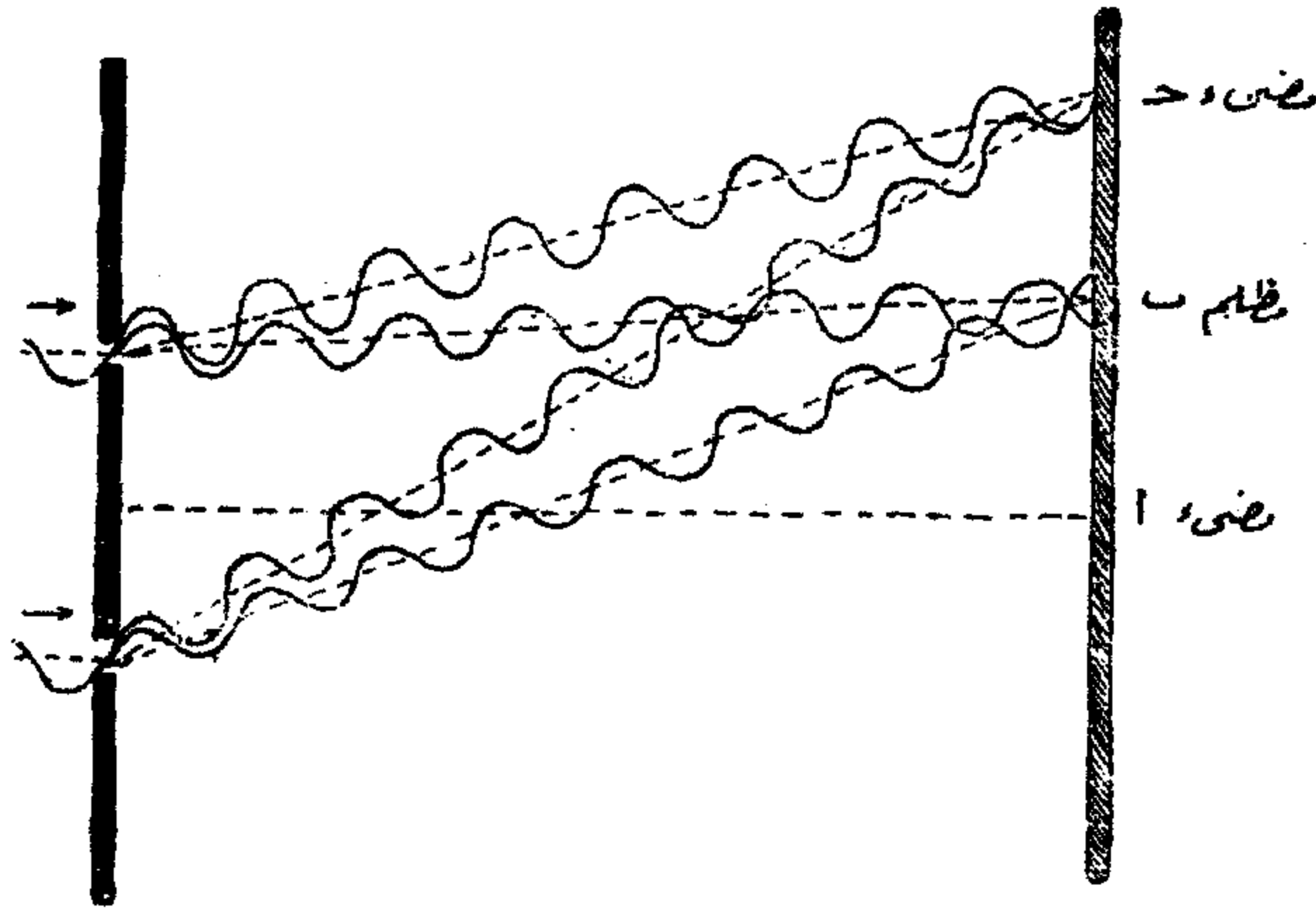
* هما الزاويتان المحصورتان بين اتجاهى الأشعة والعمودى على السطح الفاصل بين الوسطين ، أو هما الزاويتان المحصورتان بين الجبهة وذلك السطح (المؤلف) .

حيث ع - هواء ، ع - زجاج هما سرعة الضوء في الهواء وفي الزجاج على التوالي . وهذا هو عين قانون سنل ، مع تحويل يجعل النسبة بين حدى الزاويتين ، التى تعرف باسم معامل الانكسار ، مساوية للنسبة بين سرعتى الضوء فى هذين الوسطين . وينتج من هذا أن تكون سرعة الضوء فى الأوساط الكثيفة (مثل الزجاج) أقل من سرعته فى الأوساط القليلة الكثافة (كالهواء) .

ومن الطريف حقاً أن نلاحظ أن نظرية الجسيمات الضوئية لنيوتن تقودنا إلى نتائج عكسية تماماً . والحق يقال إننا عندما نريد تفسير انحناء الأشعة عند دخولها من الهواء إلى الزجاج على أساس نظرية الجسيمات هذه ، نجد أنه يلزمنا أن نفترض وجود نوع من القوة المتعامدة على السطح الفاصل تعمل على جذب جسيمات الضوء إلى الداخل إثر عبورها له . وفى هذه الحالة ، بطبيعة الحال ، تكون سرعة الضوء فى الزجاج أكبر من سرعته فى الهواء .

انتصار النظرية الموجية للضوء

رغم ما بدا من مزايا لنظرية هيغنز الموجية للضوء ، ورغم تفوقها على نظرية الجسيمات لنيوتن ، فإنه لم تتح لها فرصة الشهرة ولم يعترف بها إلا بعد مدة طويلة . ويرجع ذلك إلى ما كان يتمتع به نيوتن من ثقة وتقدير بين معاصريه من ناحية ، ثم إلى إخفاق هيغنز فى صوغ آرائه بالدقة التى تمكنها من الصمود ضد المعارضين من ناحية أخرى . وعلى هذا الأساس ظل السؤال الخاص بطبيعة الضوء معلقاً فى الهواء زهاء قرن كامل ، إلى حين ظهور ورقة عام ١٨٠٠ ، كتبها عالم الفيزياء الإنجليزى توماس ينج ، بعنوان : « تخطيط التجارب والاستفهامات المتعلقة بالصوت والضوء » . وقد فسر ينج فى ورقته هذه ظاهرة حلقات نيوتن على أساس طبيعة الضوء الموجية ، كما وصف تجربته هو التى يمكن بها أن نشاهد تداخل حزمين من الضوء بطريقة أكثر بدائية . وفى هذه التجربة - شكل (٣ - ١٧) - استخدم ثقبين قريبين من بعضهما فى ستارة تغطى نافذة غرفة مظلمة . فعندما يكون الثقبان كبيرين نسبياً يُكوّن نور الشمس الذى ينفذ خلالهما بقعتين من الضوء على الحاجز الموضوع على بعد منهما . ولكن عندما يكون الثقبان صغيرين جداً تنفرج



شكل (٣-١٧)

تجربة التداخل لينج

حزمتا الضوء إثر انبثاقهما من الثقبين تبعاً لقاعدة هيجنز ، وكذلك تنفرج البقعتان فيحدث تداخل جزئي بين الحزمتين . وقد شاهد لينج متوالية من حزم ملونة من أقواس قزح تفصلها مسافات مظلمة في المنطقة التي يصل خلالها إلى الحاجز ضوء من كل من الثقبين على غرار حلقات نيوتن . وعندما جعل ثقبى الستارة تفصلهما مسافة مليمتر واحد ، وثبت الحاجز على بعد متر منها ، صار سمك الحزمة الواحدة نحو ٠,٦ مليمتر . ويقوم تفسير هذه الظاهرة على أساس تداخل موجات الضوء ، تماماً كما يحدث في حالة حلقات نيوتن . والنقطة ا (على الحاجز) التي تقع في منتصف المسافة التي بين الصورتين تماماً تكون متساوية البعد من الثقبين و ، و ، وبذلك تصل إليها موجات الضوء وهي متفقة في (الطور *) ، أي قمة مع قمة (أو أوج مع أوج) ، وقاع مع قاع (أو حضيض مع حضيض) ، وبذلك تضاف الحركة الموجية في كليهما وتزداد الإضاءة . وتسرى نفس هذه القاعدة على النقطة ج التي يختلف بعدها عن كل من و ، و بمقدار يساوي طول موجة واحدة . ومن ناحية أخرى في النقطتين ب ، د حيث (ب و - ب و) ، (د و - د و) يختلفان

* يعني الشكل أو الهيئة (فيما يختص بالحركة الموجية) (المترجم) .

بمقدار نصف طول الموجة ، ومقدار $1\frac{1}{4}$ طول الموجة على التوالي ، نجد أن أمواج الضوء المقبلة تخرج عن (الطور) فيقع الأوج على الحضيض . وهنا يشاهد المرء الحزمة المظلمة .

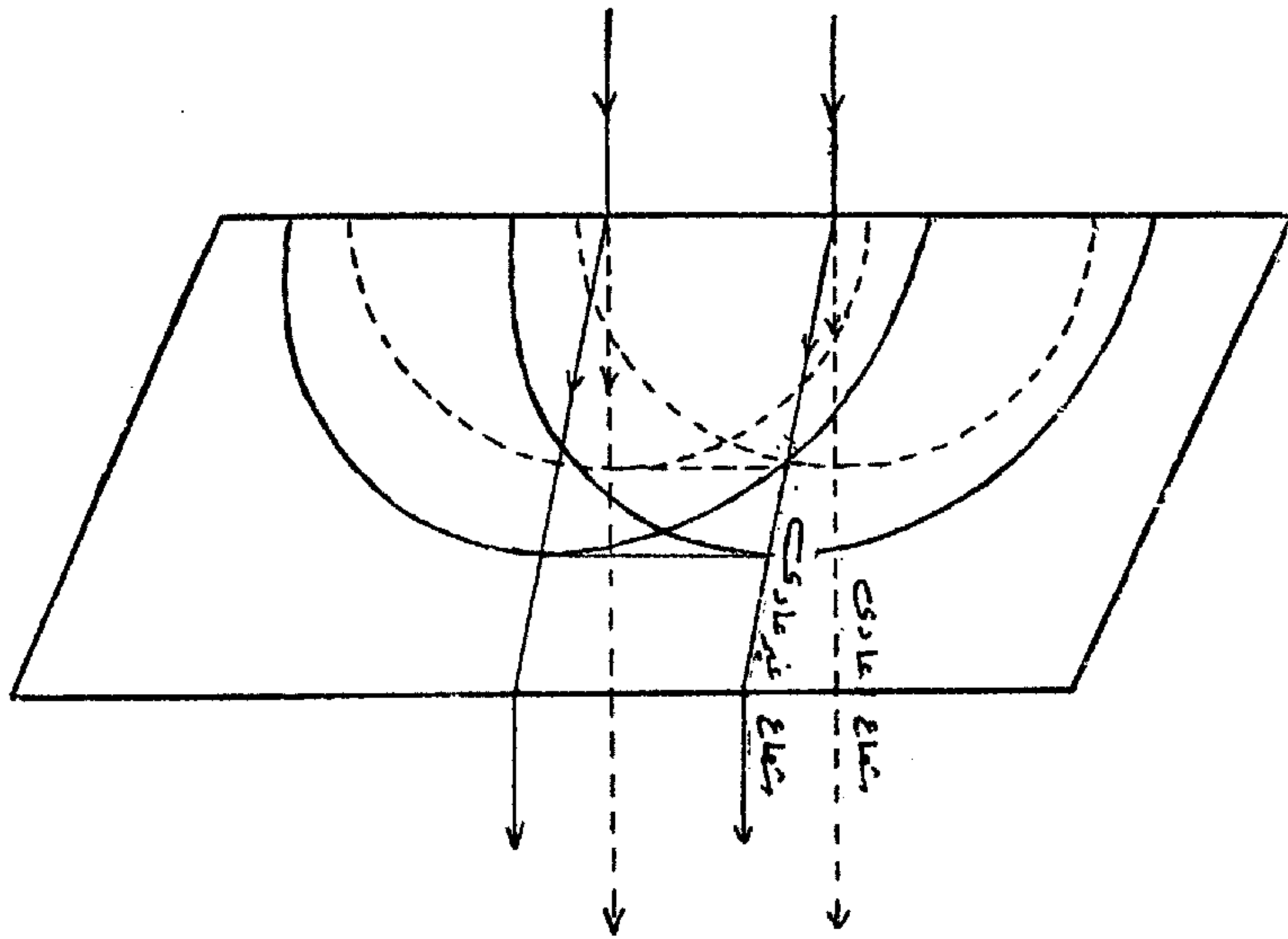
ولم تلبث أعمال توماس ينج ومعاصره الفرنسي العظيم أوجستين جين فرنل أن دعمت صحة النظرية الموجية للضوء ، وبذلك ربح هيغنز المعركة التي قضى فيها حياته بعد موت نيوتن .

بلورة من أيسلاند

وثمة مسألة أخرى عولجت ولكن لم يحلها كل من نيوتن وهيغنز ، وهي مسألة استقطاب الضوء . فقد حدث في عام ١٦٦٩ أن اكتشف الفيلسوف الهولندى أراسمس بارثولين أن بلورات معدنية شفافة يقال لها « أيسلاند سبار » لها خاصية عجيبة هي تجزئة أشعة الضوء التي تمر خلالها في اتجاه معين إلى شعاعين منفصلين (اللوحة رقم (١) السفلى) . وإذا ما أديرَت البلورة حول اتجاه شعاع الضوء الساقط عليها ، فإن أحد الشعاعين الخارجين منها ، وهو الذي يسمى الشعاع العادى ، يظل ثابتاً ، أما الشعاع الثانى ، وهو غير العادى ، فيلف كلما أديرَت البلورة . ولقد فسر هيغنز هذه الظاهرة على القرص بأن الشعاع الضوئى عند دخوله في بلورة أيسلاند سبار (وبعض البلورات الأخرى كذلك) ينقسم إلى موجتين ، تنتشر إحداهما بنفس السرعة في شتى الاتجاهات داخل البلورة ، على حين تتوقف سرعة انتشار الثانية على اتجاهها بالنسبة للمحور البلورى . ويرينا شكل (٣ - ١٨) فكرة هيغنز ورأيه في الكيفية التي تجعل هذا الفرق في سرعة الانتشار يتمخض عن تولد شعاعين . وتعتمد هذه الفكرة ، بطبيعة الحال ، على قاعدة هيغنز . فعندما تسقط حزمة الضوء في اتجاه متعامد على سطح بلورة الأيسلاند سبار تتكون مجموعتان من الموجات هما الموجات الكرية * وموجات القطاعات الناقصة . وتؤدي الموجات الكرية إلى جبهة مستمرة في نفس اتجاه الجبهة الساقطة . أما موجات القطاعات

* أى إن جبهتها سطح كروى (المترجم) .

الناقصة فإنها تحمل الجبهة المتكونة على الترحزح بصفة مستمرة على الجانبين ، وبذلك ينشأ الشعاع غير العادى . وعندما يخرج الشعاعان من البلورة لا يتكون فى الهواء سوى موجات كرية وتتوازى الحزمتان. ورغم أن تفسير هيجنز هذا كان سليماً تماماً ، إلا أنه لم يستطع أن يعلل سر انشطار موجات الضوء إلى فرعين ينتشران بطريقتين مختلفتين . . وعلة ذلك اعتقاده أن الذبذبات التى تصحب موجات الضوء تحدث فى نفس اتجاه انتشار الموجات (أى ذبذبات طولية *) كما هو الحال فى الصوت ، وبذلك لا يحدث أى فرق ، إذا صحب شعاعاً من الشعاعين دوران



شكل (١٨-٣)

تفسير هيجنز لظاهرة الانكسار المزدوج

أو لف داخل البلورة حول اتجاه الحزمة الساقطة . على أن نيوتن ، نظراً لعدم تسليمه بموجات هيجنز ومويجاته ، فكر فى تفسير هذه الظاهرة (التى تعرف باسم الانكسار المزدوج) ، بأن افترض أن الجزيئات التى تكون الشعاعين العادى وغير العادى ينالها اختلاف فى توجيهها فى الاتجاه العمودى على الشعاع . وفى الطبعة الثانية من كتابه (البصريات) يعمد نيوتن إلى مقارنة الفرق بين الشعاعين بالفرق بين قضيبين

* هناك أيضاً الذبذبات المستعرضة وهى التى تتحرك فيها جزيئات الوسط فى اتجاه متعامد على اتجاه انتشار الموجة ، كما هى الحال فى أمواج البحر مثلاً (المترجم) .

طويلين : أحدهما مقطعه دائري ، والثاني على هيئة مستطيل . فإذا ما أدار أحد القضيب الأول حول محوره لا يحدث فرق ملحوظ ، ويخالف ذلك بكل تأكيد ما يحدث للقضيب الثاني عند إدارته . ويقول نيوتن في كتابه : « وعلى ذلك فلكل شعاع ضوئي جانبان متقابلان وهما من الأصل صفة تتوقف عليها ظاهرة الانكسار غير الطبيعي ، وجانبان آخران متقابلان لا تتوافر لهما هذه الصفة » .

وجلى أن نيوتن – وقد كان يعرف أنه يجب أن تتوافر لأشعة الضوء بعض الخواص المستعرضة (أى المتعامدة على اتجاه الانتشار) – لم يكن في وسعه أن يصور لنا كنهها .

ولم يتم توحيد وجهات نظر هيجنز ونيوتن في موضوع الذبذبات الضوئية وصوغها في إطار واحد إلا بعد مدة طويلة ، على يد عالم الفيزياء الفرنسي أيتين مالوس (١٧٧٥ – ١٨١٢) . فليس من شك أن الضوء لا يعدو كونه أمواجاً تنتشر عبر الفضاء ، إلا أن ذبذبات الوسط تحدث في اتجاه متعامد على اتجاه انتشار الموجات ، وليس على طولها كما اعتقد هيجنز ، وما الفرق بين الشعاعين العادى وغير العادى داخل بلورة الأيسلاند سبار سوى أن الذبذبة في الحالة الأولى تتم في المستوى الذى يمر بالشعاع ومحور البلورة ، أما في الحالة الثانية فإن الذبذبات تكون متعامدة على هذا المستوى .

وسبب اكتشاف حقيقة أمر ذبذبات موجات الضوء ومعرفة أنها مستعرضة كثيراً من المتاعب للمشتغلين بالفيزياء بعد ذلك . ففي واقع الأمر لا توجد الذبذبات المستعرضة إلا في الأجسام الصلبة التى تقاوم قوى القص والثنى ، ومعنى ذلك أن الأثير الذى يملأ الوجود، وهو الوسط الذى افترض لحمل الضوء ، لم يكن غازاً مغلخلاً إلى أقصى درجات التخلخل كما يصوره هيجنز، وإنما هو جسم صلب . ولكن إذا كان الأثير الذى يتخلل عالم المادة في هذا الوجود صلباً، فكيف إذاً تتحرك الكواكب وسائر أجرام السماء خلاله وتسبح فيه دون أن تصادف أى مقاومة ؟ وحتى إذا افترضنا جدلاً أن الأثير العالمى هذا من شئ صلب خفيف جداً سهل التهشم على غرار (الستيروفورم) التى شاع استخدامها اليوم في ميادين متعددة ، فإن حركة الأجرام السماوية يصبح لها ممرات متعددة خلالها بحيث سرعان ما تفقد ميزة حمل موجات

الضوء عبر مسافات طويلة . ولقد أرهقت هذه المشكلات أجيالا عديدة من علماء الطبيعة حتى أزالها بصفة قاطعة ألبرت أينشتين الذى قذف بالآثير خارج نافذة حجرات تدريس الفيزياء .

كسوف نيوتن

عندما أدرك نيوتن الخمسين من عمره قرر اعتزال الحياة العلمية (الأكاديمية) وراح يبحث عن عمل يدر عليه دخلا أعظم . وعرضت عليه وظيفة ناظر مدرسة تشارتر هاوس* فى لندن ، إلا أنها لم تعجبه ، فكتب خطاباً يرفض فيه الوظيفة ويقول :

« أشكرك لإسناد أمر تشارتر هاوس إلىّ إلا أننى لا أرى فيه ما يغرنى ؛ إذ أنه إلى جانب العربة (التى يتضح أنهم منحوه إياها) التى لا أبالى بها ، يقتصر المبلغ على ٢٠٠ جنيه فى العام ، مع ملازمة هواء لندن ، ونوع من الحياة لا أحبه ولا أهواه . وإنى لا أرى كذلك أنه من المستحسن أن أقحم نفسى فى أى سباق للحصول على مركز أعلى » .

وفى عام ١٦٩٦ ، وكان قد بلغ الرابعة والخمسين ، عين أولاً مراقباً ، ثم من بعد ذلك رئيساً لدار سك النقود بلندن ، وشرع يجمع المال اسماً وفعلاً . وفى عام ١٧٠٥ منح لقب « سير » ، وأصبح السير إسحق ، كما ظفر بكثير من التشريف والتقدير ، إلا أنه خلال ربع القرن الأخير من حياته (مات عام ١٧٢٧ . وقد بلغ الخامسة والثمانين) لم يوفق إلى كشف ذات بال ، تلك التى كانت تنهمر انهماراً عندما كان أقل من الخامسة والعشرين . ويقول بعض من كتبوا عن حياته إن ذلك يرجع إلى الشيخوخة ، ويقول بعض آخر إنه استنفد كل الآراء الممكنة التى كان يمكن أن يتمخض عنها عصره . وعلى أية حال فقد أتى بما فيه الكفاية .

* مدرسة محافظة للسادة الأرستقراطيين البريطانيين (المؤلف) .

الباب الرابع

الحرارة كصورة من صور الطاقة

لعل أول من درس الظواهر الحرارية رجل الكهوف الذى عاش قبل التاريخ وتعلم كيف يبنى لنفسه مواقد توفر له الدفء خلال الفترات التى لا تمده فيها الشمس بالحرارة الكافية . وعملت زميلته التى عاشت معه جنباً إلى جنب - امرأة الكهوف فيما قبل التاريخ - على إمالة اللثام عن أمر هام ؛ فحواه أن ألوان الطعام المختلفة عندما تعرض بعض الوقت للهبب النار ، أو عندما تغلى فى الماء ، تصبح أطيب مذاقاً وأشهى طعاماً ، كما يسهل هضمها . والإنسان بطبيعته يميز بالغريزة بين (البارد) والحر ، وكذلك الحال مع الأحياء كافة ؛ إذ تسجل درجة حرارة الوسط وترسل إلى المخ بملايين الأعصاب التى تنتهى على سطح الجلد . ولكن استجابة الأعضاء لدرجة الحرارة من الوجهة التشريحية تكون غير سليمة ، ولا يستطيع الرجل المعصوب العينين أن يعرف ما إذا كانت يده أحرقها قطعة من الحديد المحمر من الحرارة ، أو جمدها قطعة من الثلج الجاف ، ففى كلتا الحالتين تكون الاستجابة واحدة ، لأنها تنجم عن نفس الأثر التشريحي لإتلاف الأنسجة .

المحارر « الترمومترات »*

اخترع أول جهاز علمى حقيقى لقياس درجة الحرارة عام ١٥٩٢ بمعرفة غاليليو، الذى استخدم من أجل ذلك قنينة من الزجاج ذات رقبة ضيقة جداً ، كان يملؤها إلى نصفها بماء ملون ، ثم ينكسها فى حوض مملوء بهذا الماء الملون . فعندما تتغير درجة الحرارة يتمدد الهواء الموجود أو ينكمش ، وبذلك يتحرك عمود الماء الموجود فى رقبتها إلى أسفل أو إلى أعلى . ولم يأبه غاليليو ويهتم بإدخال أو اتخاذ أى تدريج للدرجة الحرارة ، مما يحملنا على تسمية هذا الجهاز باسم (ثيرموسكوب) أو المحرار

* هى أجهزة قياس درجات الحرارة ، واللفظ « ترمومتر » شائع الاستعمال فى البلاد العربية وقد ترجم أخيراً « المحرار » (المترجم) .

بدلاً من (ترمومتر) أو مقياس درجة الحرارة . وأول من طور محرار غاليليو هو ربي عام ١٦٣١ ، وذلك بقلب قارورة غاليليو رأساً على عقب وتسجيل عمليات التسخين والتبريد بوساطة تمدد الماء .

وفي عام ١٦٣٥ صنع الدوق فرديناد من توسكانيا ، وقد كان مولعاً بالعلوم ، محراراً « ترمومتراً » استخدم فيه الكحول (درجة تجمده أقل من درجة تجمد الماء) بعد أن لحم قمة الأنبوبة ليحول دون تبخر الكحول . وأخيراً ، في عام ١٦٤٠ ، بنى علماء أكاديمية لنسي بإيطاليا النموذج الأصلي « للترمومتر » الحديث ، مستخدمين الزئبق بعد أن تخلصوا من جانب على الأقل من الهواء الموجود في الأنبوبة قبل لحمها . ومن الطريف أن نلاحظ أن التطور الكامل « للترمومترات » استغرق نحو نصف قرن ، وهي مدة تعد طويلة إذا ما قورنت بالسنوات القليلة التي فصلت بين اكتشاف الأمواج الكهرومغناطيسية * (الكتروماجنتك) وبناء أول تلغراف لاسلكي (راديو تلغراف) ، أو اكتشاف انشطار اليورانيوم وإطلاق أول قنبلة ذرية .

قوانين الغازات

بينما كان نيوتن منهمكاً في كمبردج ومنكباً على دراسات الضوء والجاذبية ، كان إنجليزى آخر هو روبرت بويل يشتغل في أكسفورد على الخواص الميكانيكية وتضاغط الغازات . وعندما سمع عن اختراع أوتوفون - جيريك الخاص بمضخة الهواء استطاع بويل أن يدخل تحسينات جوهرية على تصميمها ، وبدأ بإجراء سلسلة من التجارب قاس بها حجم الغاز عندما عرضه لحالات مختلفة من الضغط العالي والضغط المنخفض . ونجم عن هذا العمل صياغة ما يعرف اليوم باسم قانون بويل الذى يقول : عند ثبوت درجة الحرارة يتناسب حجم مقدار معين من أى غاز تناسباً عكسياً مع الضغط الواقع عليه - شكل (٤ - ١) - .

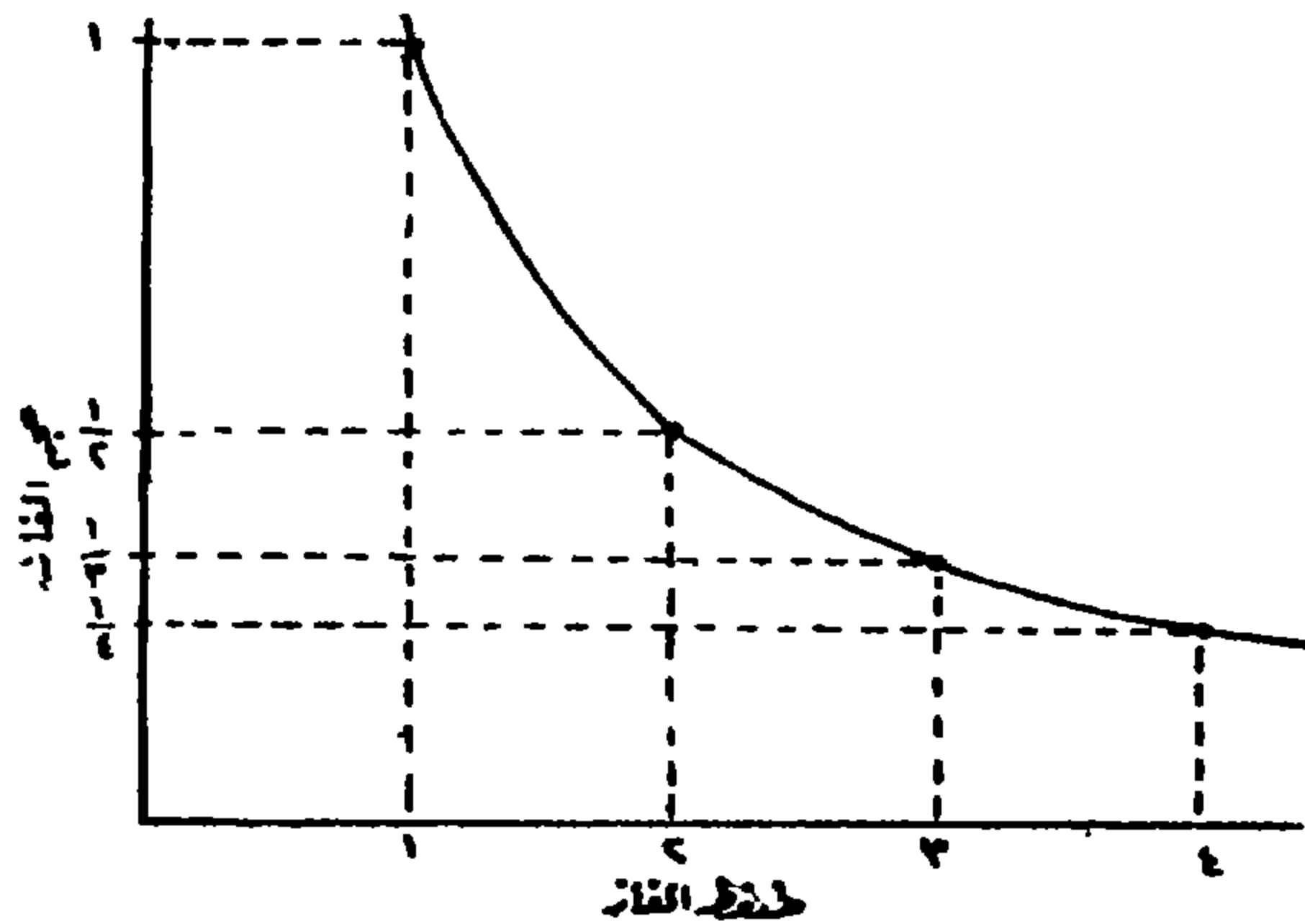
وبعد مضي نحو قرن توصل عالم فرنسى هو جوزيف جاي لوساك ، عندما

* هي أمواج الأثير المختلفة الأطوال والتي تتمثل في ظواهر الإشعاع كالضوء والحرارة ، أو في أمواج اللاسلكى والرادار ونحوها (المترجم) .

كان يدرس تمدد الغازات بالتسخين ، إلى قانون آخر هام يقول : يزداد حجم أى غاز يشغل حجماً معيناً بمقدار $\frac{1}{273}$ من قيمة حجمه الأصلي كلما ارتفعت درجة الحرارة درجة واحدة (مئوية) . وكان قد توصل إلى نفس هذا القانون عالم آخر فرنسى هو جاك شارل ، وذلك قبل جاي لوساك بستين ، ولهذا يعرف عادة باسم (قانون شارل) .

المحرار « الترمومتر » الغازى ودرجة الحرارة المطلقة

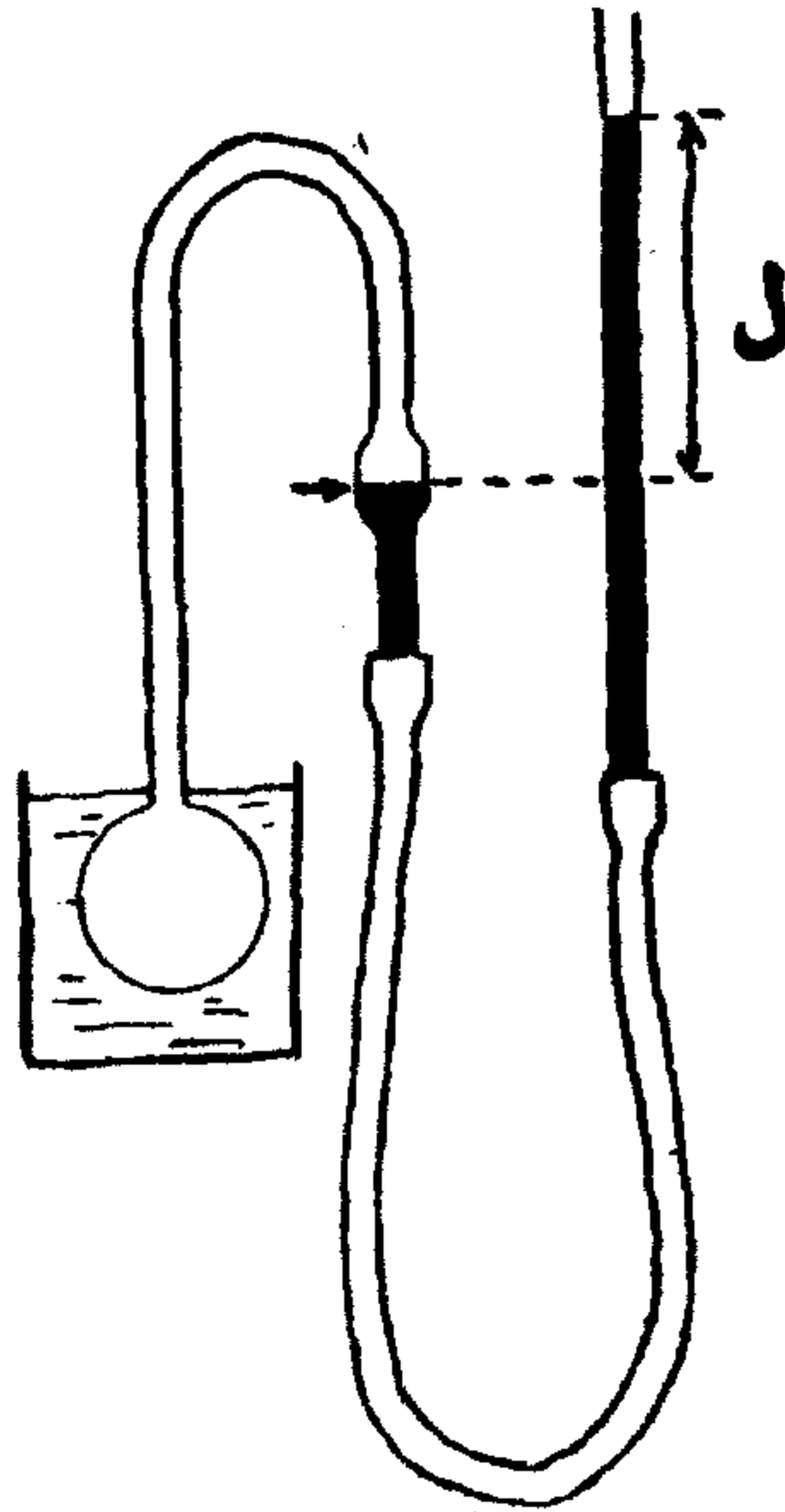
يدل القانونان السابقان على بساطة التركيب الداخلى للغازات ، لأن عمليات التضاضط والتمدد الحرارى للسوائل والأجسام الصلبة تخضع لقوانين أكثر تعقيداً ، وهى تتوقف أساساً على نوع المادة . ولهذا نجد أن بساطة القوانين التى تتحكم فى تصرف الغازات كلها ، بصرف النظر عن خواصها الكيموية ، تجعل من (الثيروموسكوب) الغازى لغاليليو آلة أكثر تعقلاً بكثير وأعظم لياقة لقياس درجة الحرارة عن أى جهاز آخر بنى بعد ذلك . فالسوائل المتباينة مثل الماء ، والكحول ، والزئبق وما شاكلها . . . (وكذلك الأجسام الصلبة التى يمكن استخدامها فى بناء أجهزة قياس الحرارة) كلها تتمدد بطرق مختلفة عندما ترتفع درجة الحرارة . وحتى الماء نجده يتقلص بدلا من أن يتمدد عندما ترتفع درجة الحرارة من نقطة



شكل (٤ - ١)

التمثيل البياني لقانون بويل الخاص بالتناسب العكسى بين حجم الغاز وضغطه

التجمد صاعدة خلال عدة درجات فوقها . وعلى ذلك لو أننا بنينا محرارين « ترمومترين » مستخدمين سائلين مختلفين ، ورسمنا على كل منهما علامتين للدلالة على طول عمود السائل في الساق عند درجتين مختلفتين من الحرارة (مثل نقطة التجمد ونقطة غليان الماء) * ، ثم قسمنا المسافة المحصورة بين العلامتين إلى عدد من الأقسام أو الدرجات ، أطوالها متساوية (مثل ١٠٠ درجة - في حالة المقياس المئوي أو الستجراد) فإن هذين المحرارين (الترمومترين) يعينان درجات من الحرارة مختلفة القيمة إلى حد ما فيما بين نهايتهما * . ولكننا نجد من ناحية أخرى أنه لما كانت كل الغازات تتمدد بطريقة واحدة تماماً عند ما تسخن ، فإنها تمثل مادة قياسية أكثر صلاحية لقياس درجات الحرارة. ونحن عندما نستعمل « الترمومترات » الغازية ، كما فعل غاليليو ، لا يلزمنا أن نقرر : هل الغاز المستعمل هو الهواء العادي ، أو الأيدروچين ، أو الهليوم ، أو أى شىء آخر . ويمثل شكل (٤ - ٢)



شكل (٤ - ٢)

نظرية الترمومتر الغازى : كلما ارتفعت درجة حرارة السائل في الوعاء الذى على اليسار ، زاد طول عمود الزئبق ل في الأنبوبة المتحركة اليمنى ، لكى يبقى مستوى الزئبق في الأنبوبة الوسطى على ما هو عليه أمام السهم .

* لاحظ أن نقطة التجمد يمكن الحصول عليها عملياً بإحاطة الجهاز بالجليد ، كما أن نقطة الغليان تتوافر حينما يغلى الماء وينطلق بخاره حرراً (المترجم) .
* * أى أنهما لا يتحددان إلا في النهايتين ، وهما نقطة التجمد ونقطة الغليان (المترجم) .

المحرار « الترمومتر » الغازى الحديث ، وهو يعتمد فى عمله على قياس الضغط بدلا من قياس حجم الغاز عند تسخينه . فعندما ترتفع درجة الحرارة يتمدد الغاز ويعمل على ضغط الزئبق الموجود بالزجاجة اليسرى إلى أسفل . ولكن برفع أنبوبة الزجاج اليمنى يمكن إرجاع حجم الغاز إلى قيمته الأصلية ، ثم تقاس درجة الحرارة بفرق الارتفاع ل بين مستوى الزئبق فى الشعبتين . وعندما يتم إعداد المقياس الحرارى هكذا على أساس المحرار « الترمومتر » الغازى ، يمكن تدريج كل « الترمومترات » الأخرى باتخاذ « الترمومتر » الغازى كجهاز قياسى . وعندما نستخدم « الترمومتر » الغازى ، مبتدئين بالضغط الجوى (عندما يكون عمودا الزئبق فى الأنبوبتين على مستوى واحد) ، نجد كما سبق أن ذكرنا ، أن ضغط الغاز يزيد أو ينقص بمقدار $\frac{1}{273}$ من قيمته الأصلية عندما ترتفع درجة حرارته أو تنخفض بمقدار درجة واحدة مئوية (1°م) . وعلى ذلك فلو أننا بدأنا من درجة الصفر المئوى (نقطة تجمد الماء) وبردنا الغاز إلى درجة 273 تحت تلك النقطة ، نجد أنه من المتوقع أن ينخفض ضغط الغاز إلى الصفر ، كما يكون حجمه قد انكمش إلى لا شىء على النحو الممثل فى شكل (٤ - ٣) . وتعرف النقطة التى نفترض حدوث هذه الحالة عندها باسم (درجة حرارة الصفر المطلق) ، كما تعرف درجات الحرارة المقيسة ابتداء من تلك النقطة باسم (الدرجات المطلقة $273 + ^\circ \text{د}$ م) . وبطبيعة الحال لا ينهار حجم الغاز بعملية التبريد إلى نقطة رياضية لا أبعاد لها ، فقبيل الوصول



شكل (٤ - ٣)

يظهر الخط البياني اعتماد ضغط أى غاز (داخل حيز معلوم) على درجة الحرارة . عند درجة حرارة 273°م تحت نقطة تجمد الماء يصير ضغط الغاز لا شىء .

إلى الصفر المطلق تتكاثف الغازات إلى سوائل لا سبيل إلى ضغطها بعد ذلك . ومهما يكن من شيء فإن نقطة الصفر المطلق لدرجة الحرارة تلعب دوراً هاماً في الفيزياء الحرارية ، باعتبارها درجة الحرارة التي عندها ينهار الغاز إلى نقطة رياضية بفرض أن حجم جزيئات الغاز عندها يصبح صغيراً إلى أقصى حد ، كما تنعدم قوى التجاذب ما بين الجزيئات (تتوافر كل حالة منهما إلى حد كبير في الغازات النادرة مثل الهيليوم والنيون والأرجون . .) .

السيال الحرارى

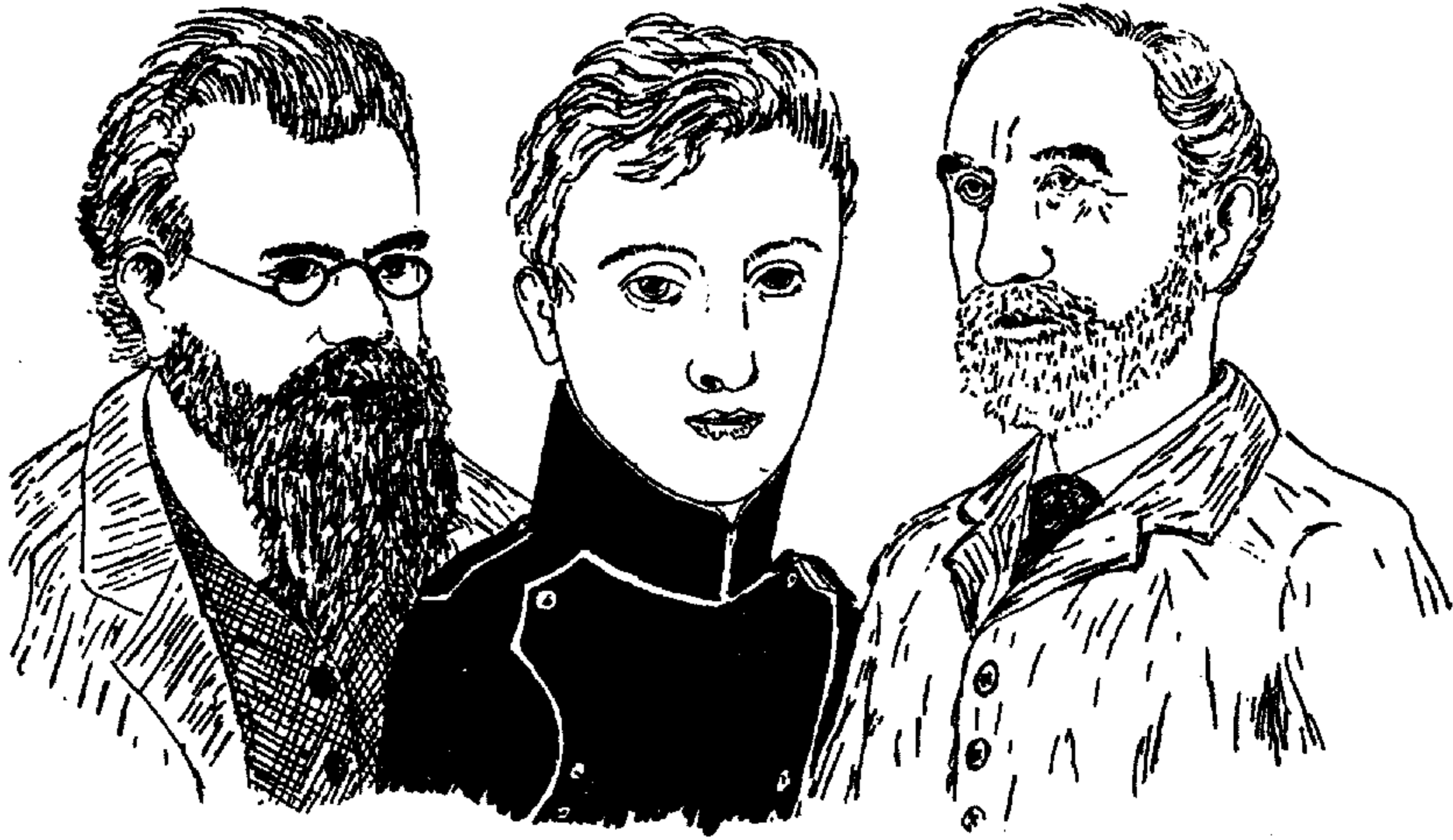
رغم أن الإنسان تحدث عن الحرارة منذ قبل التاريخ - السواد الأعظم في أراضي الجنوب ، وقدر لا يكتفى في أراضي الشمال - فإن أول من تكلم عن الحرارة كشئ له كيانه الطبيعي - يمكن قياس كميته كما نقيس كمية الماء أو الكيروسين سواء بسواء - هو على الأرجح طبيب أسكتلندي كانت تسمويه الفيزياء والكيمياء ، يقال له جيمس بلاك (١٧٢٨ - ١٧٩٩) ، فقد عرض الحرارة أمام الأنظار كسيال خاص لا وزن له . . أطلق عليه اسم « كالور » أو حرارة . ويستطيع هذا السيل أن يتسلل خلال جميع الأجسام المادية ، ومن ثم يزيد من درجة حرارتها . فعندما نخلط جالوناً من الماء المغلي مع آخر من الماء البارد كالثلج لاحظ أن درجة حرارة الخليط تكون تماماً في منتصف الطريق بين الدرجتين الابتدائيتين ، وفسر هذه الحقيقة بقوله إنه بعد المزج يتم توزيع الفائض من الحرارة التي في الماء الساخن على كل من مقدارى الماء - وعرف وحدة الحرارة بأنها المقدار اللازم لرفع درجة حرارة (رطل) من الماء درجة واحدة فهرنهايت* (في وحداتنا المترية الحديثة نتحدث عن الكالورى أو السعر الحرارى ، وهو مقدار الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة جرام واحد من الماء درجة واحدة مئوية) . ولقد استنتج جيمس بلاك أن الأوزان المتساوية من المواد المختلفة عندما تسخن إلى نفس درجة الحرارة تتضمن مقادير متباينة من الحرارة ، ذلك لأنه من غير شك عندما نخلط وزنين متساويين من الماء الساخن

* هي وحدة درجة الحرارة الإنجليزية ، بفرض أن الماء يتجمد في درجة ٣٢ فهرنهايت وينفلى في درجة ٢١٢ فهرنهايت ، أى أن ١٨٠ قسماً من أقسام فهرنهايت تعادل ١٠٠ قسم مئوية (المترجم) .

والزئبق البارد ، نحصل على درجة حرارة أقرب بكثير الى درجة حرارة الماء الأصلية منها إلى درجة حرارة الزئبق . وعلى ذلك اعتبر عملية التبريد خلال درجة واحدة لكمية معينة من الماء بأنها عملية تطلق كمية من الحرارة أكثر بكثير مما يلزم لرفع درجة حرارة وزن مساو من الزئبق خلال درجة واحدة . ولقد قادت هذه الحقيقة إلى فكرة (السعة الحرارية) للأجسام المختلفة ، وهي التي تتمثل في مقدار الحرارة اللازمة لرفع درجات حرارتها درجة واحدة . وثمة فكرة أخرى هامة أدخلها بلاك وهي فكرة (الحرارة الكامنة) ، التي هي عبارة عن مقدار الحرارة اللازمة لتحويل الثلج إلى ماء في درجة حرارة الثلج (كلاهما في درجة حرارة الصفر) . وكان يعتقد أن إضافة كمية معينة من سيال الحرارة هذا عديم الوزن إلى قطعة من الثلج يحملها على تفككها وتحويلها إلى سائل ، وكذلك بنفس الطريقة عندما تضيف كمية أخرى من الحرارة إلى الماء الساخن فإنها تفكك أوصاله بدرجة أكبر وتحيله إلى بخار .

وعمد رجل فرنسي في مستقبل العمر ، هو سادى كارنوت - شكل (٤ - ٤) الذى مات عام ١٨٣٢ عن ٣٦ سنة ، إلى جعل الشبه بين الحرارة وأى سيال آخر يمتد إلى مدى أبعد من ذلك . فقد قارن الآلة البخارية التي يتولد فيها الشغل الميكانيكى بوساطة الحرارة المنبعثة من مرجل ساخن بعجلة مائية يتولد فيها الشغل بوساطة الماء المتساقط من مستوى مرتفع . ولقد قاده هذا الشبه إلى استنتاج أنه كما في حالة العجلة المائية ، التي يتناسب فيها مقدار الشغل الناجم عن تساقط كمية معينة من الماء تناسباً طردياً مع فرق مستوى الماء فوق العجلة ومن تحتها ، فكذلك يكون مقدار الطاقة الميكانيكية التي يمكن توليدها بآلة بخارية متناسباً تناسباً طردياً مع فرق درجة الحرارة بين المرجل الذي يتولد فيه البخار ومركز التبريد الذي يتم فيه تكثيفه . وكان يعتقد على أية حال ، أنه تماماً كما في حالة العجلة المائية ، تكون كمية الحرارة المنبعثة إلى مركز التبريد مساوية لكمية الحرارة المأخوذة من المرجل ، كما أن الشغل الميكانيكى يبذل نظراً لأن قدرأ معيناً من الحرارة « يتساقط » من مستوى درجة الحرارة العالية إلى منطقة درجة الحرارة المنخفضة . ونحن نعرف الآن أن هذا الفرض ليس سليماً ، لأن الآلات البخارية تعمل على تحويل بعض الحرارة السارية فيها إلى طاقة ميكانيكية ، وأن كمية الحرارة التي تصل إلى مصدر التبريد هي أقل من كمية الحرارة

المتولدة بمقدار يعادل قيمة الحرارة التي تحولت إلى طاقة شغل .



شكل (٤ - ٤)

هؤلاء هم الذين وضعوا أساس النظرية الحديثة للحرارة : لدفيج بولتزمان (إلى اليسار) ، سادي كارنوت (في الوسط) . جوزيا جيز (إلى اليمين) .

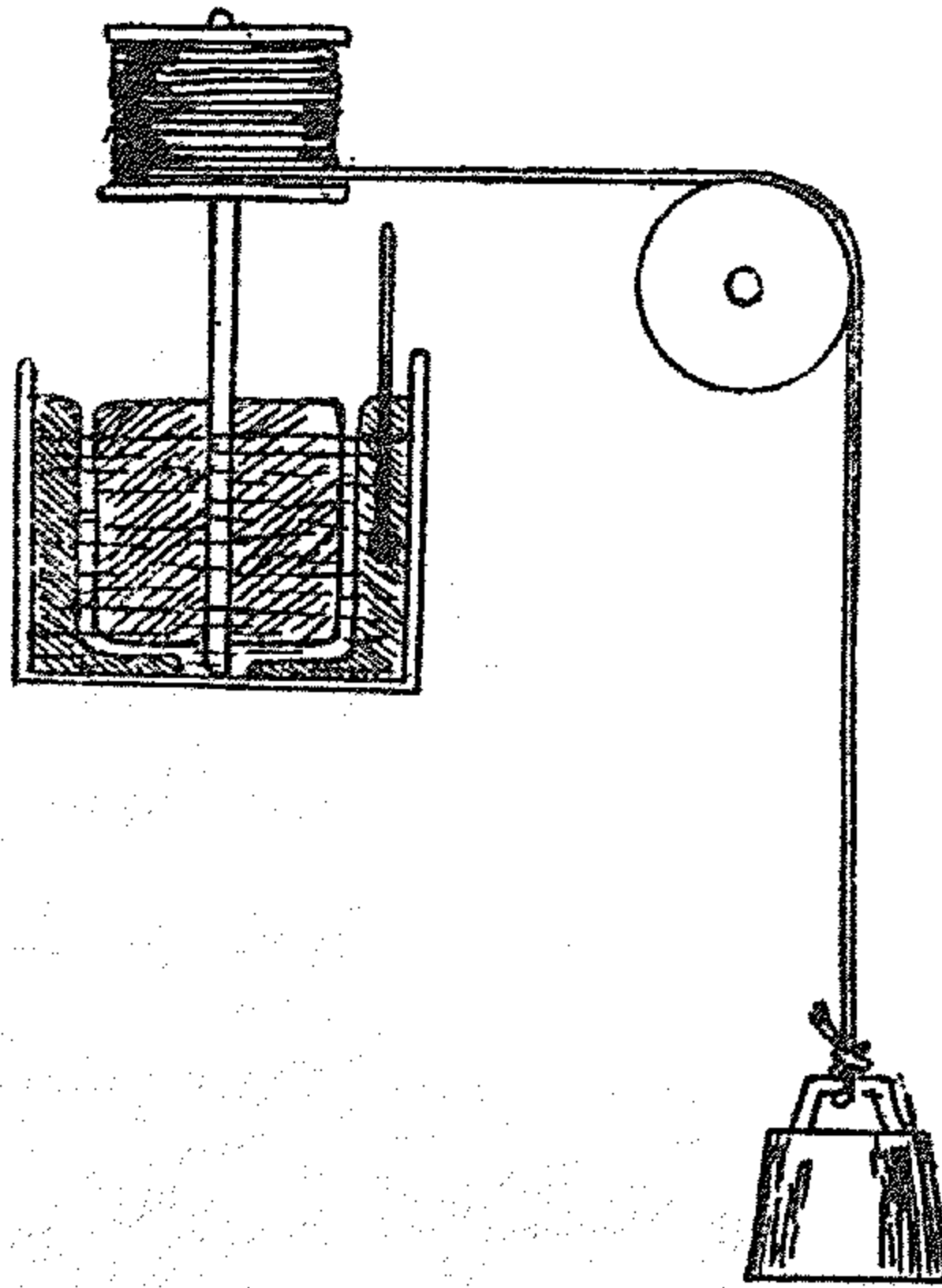
وأول من فكر في أن الحرارة هي نوع من الحركة الداخلية للجسم المادى ، وليست مادة معينة كما تصورها بلاك وغيره ، ضابط محترف دعم رأيه بتجارب أجريت في مصنع للبنادق . وكان هذا الضابط يدعى بنيامين تومسون ، من مواليد ماساشوستس الذين اشتركوا أيام صباهم في الحرب الثورية ، وقد رحل بعد ذلك إلى إنجلترا كمواطن بريطاني ، وسرعان ما أصبح وكيلا لوزارة المستعمرات ، ثم انتقل إلى بفاريا وزيرا للحربية ، ومنح لقب الكونت رمفورد لإعادته تنظيم الجيش الألماني . ولقد كان مهتماً اهتماماً عظيماً بالمسائل العلمية ، وعلى الأخص بأصل الحرارة وكنهها . خلال ذلك النشاط الحربى مباشرة ، ولم يكن مقتنعاً بالرأى المعاصر الذى كان يقول إن الحرارة هي مادة معينة تختلف عن جميع المواد الكيميائية الأخرى ، وفي مقدورها الاتحاد بالثلج لتعطى الماء السائل (ثلج + حرارة = ماء) ، كما أنها تنطلق في عمليات الاحتراق المختلفة . ويرجع السبب في شكوكه وعدم اقتناعه بهذا الرأى إلى حقيقة أن الحرارة إنما تنتج عن لا شىء - في حالات الاحتكاك التى يبدو أن ليس لها أى دخل بالتحويلات الكيموية . ولما شاهد عمليات ثقب المدافع في

وتبعاً للأرقام التي أوردها رمفورد في مقاله الذي نشره في (لندن فيلوسوفيكال ترانساكشنز London Philosophical Transactions عام ١٧٩٩) لا يمكن أن يزن السعر أكثر من ١٣ ,٠٠٠٠٠ ملليجرام . ونحن نعرف الآن أن أى صورة من صور الطاقة لها كتلة غاية في الصغر ، يمكن تعيينها بعلاقة أينشتين الشهيرة ، عن طريق قسمة الطاقة على مربع سرعة الضوء * . وعلى ذلك فإن وزن السعر الحرارى هو ٤ ,٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ملليجرام ، وهو رقم أقل بكثير عن مدى دقة أى جهاز يستخدم لقياس الوزن . وكانت نتيجة كل هذا أن قرر أن الحرارة لا يمكن أن تكون صورة من صور المادة العادية ولا بد أنها نوع من الحركة ، فنجدد يقول : « ما هى الحرارة ؟ إنها لا يمكن أن تكون جسماً مادياً ، ويلوح أنه من الصعب على " ، إذا لم يكن من المستحيل تماماً ، أن أتصور الحرارة فى صورة أى شئ غير ذلك الذى تستمدّه باستمرار قطعة المعدن فى هذه التجربة (تجربة ثقب المدافع) ، وهى الحركة التى تتبع ظُهور الحرارة » .

ولقد تطورت أفكار الكونت رمفورد بعد ذلك بعشرات السنين على يد طبيب
ألماني يدعى يوليوس روبرت ماير في مقاله : « ملاحظات على قوى الطبيعة غير

* لاحظ أن سرعة الضوء هي 3×10^8 سنتيمتر في الثانية (المترجم).

الحية » . . الذى نشره عام ١٨٤٢ . ولقد أجرى ماير هذا تجربة فى معمل للورق ، حيث كانت العجينة الموضوعة داخل (قزان) ضخمة تحرك أو تقلب بطريقة تستمد فيها القوة المحركة عن حصان يلف فى دائرة . فعندما قاس درجة حرارة العجينة حصل على رقم يدل على قيمة الحرارة المتولدة عن قدر معين من الشغل الميكانيكى الذى يبذله الحصان . وعلى أية حال فإنه نظراً لكثرة مشاغله الطبية لم يتابع السير فى هذا السبيل أكثر من ذلك ، كأن يعتمد مثلاً إلى إجراء تجارب أكثر دقة وعناية . والذى نال شرف قياس المكافئ الميكانيكى للحرارة قياساً سليماً رجل إنجليزى هو جيمس برسكوت جول . ولقد استخدم جول فى تجربته هذه جهازاً يبين شكل (٤ - ٥) أهم ما فيه من أجزاء وهى : وعاء مملوء بالماء ويحتوى على محور قابل للدوران تتصل به عدة بدالات . ويحال دون تمكين الماء الذى بالوعاء من أن يدور دوراناً حرّاً طليقاً مع هذه البدالات بواسطة دوارات خاصة متصلة بمحوران الوعاء ، مما يزيد من قيمة المقاومة الداخلية . وأدير المحور وما يتصل به من بدالات بواسطة ثقل معلق



شكل (٤ - ٥)

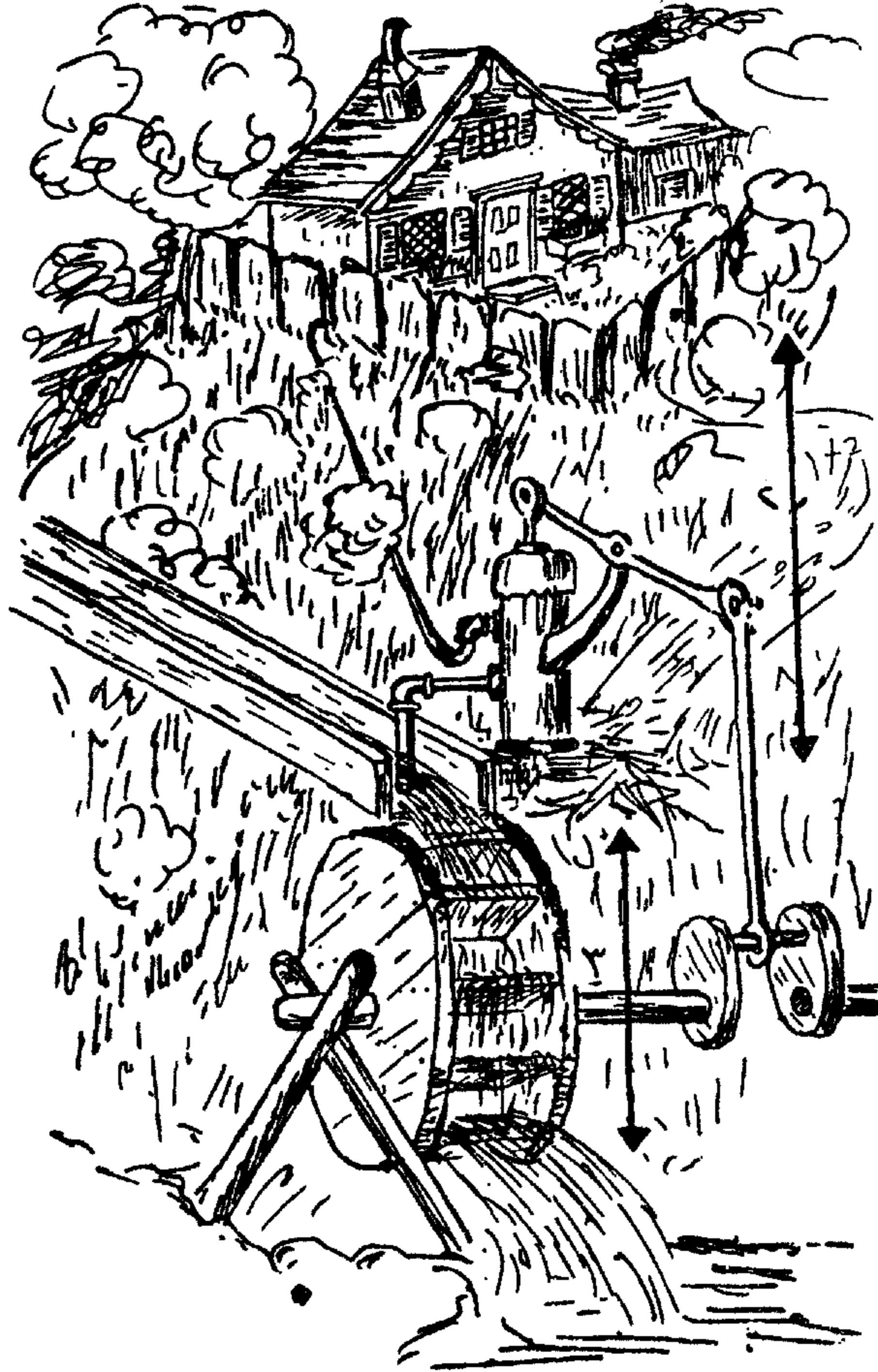
تجربة جول لتحويل الطاقة الميكانيكية إلى حرارة. يعمل الوزن فى أثناء تساقطه على إدارة بدالات فى وعاء (مسعر) مملوء بالماء ، فترتفع درجة حرارة الماء بالاحتكاك الداخلى . وبمقارنة الشغل المبذول بواسطة الثقل الهابط مع الزيادة فى الحرارة التى يذخرها الماء ، حصل جول على قيمة المكافئ الميكانيكى للحرارة .

بجهد يمر على بكرة ، بحيث يتحول الشغل الذى يبذله الثقل فى أثناء هبوطه إلى حرارة بالاحتكاك تنتقل إلى الماء . وبمعرفة مقدار الماء الموجود بالوعاء ، وقياس مدى الارتفاع فى درجة الحرارة ، استطاع جول أن يحسب القدر الكلى للحرارة المتولدة . ومن ناحية أخرى نجد أن حاصل ضرب الوزن المسبب للحركة فى المسافة التى يهبطها يعطينا قيمة الشغل الميكانيكى المبذول . وقد استطاع جول ، عن طريق إعادة إجراء التجربة مرات عديدة ، وتحت ظروف متباينة ، أن يتوصل إلى وجود تناسب طردى مباشر بين الشغل المبذول والحرارة المتولدة . وفى عام ١٨٤٣ أعلن هذه النتيجة فكتب يقول : إن الشغل الذى يبذله ثقل قدره رطل واحد خلال مسافة قدرها ٧٧٢ قدماً فى « منشستر » يمكنه ، عندما يستغل فى توليد الحرارة بوساطة احتكاك الماء ، أن يرفع درجة حرارة رطل واحد من الماء بمقدار درجة واحدة « فهرنهايت » . وهذا هو الرقم الذى ، سواء عبر عنه بهذه الوحدة أو بغيرها من الوحدات ، يستخدمه اليوم العالم بأسره كلما تطلب الأمر تحويل الطاقة الحرارية إلى شغل ميكانيكى ، والعكس بالعكس .

الديناميكا الحرارية

عندما توصل البشر إلى معرفة العلاقة التى تربط بين المكافئ الحرارى والطاقة الميكانيكية ، تلك العلاقة التى تعرف اليوم باسم (القانون الأول للديناميكا الحرارية) ، على أساس قويم سليم ، حان الوقت الذى يتوسع فيه الناس فى أعمال سادى كارنوت الخاصة بقوانين أو تحول أى صورة من صور الطاقة إلى صورة أخرى . ولقد ظهر عمل الرواد فى هذا المضمار خلال النصف الثانى من القرن الماضى ، على يد عالم الفيزياء الألمانى رودلف كلاوزيس ، وكذلك عالم الفيزياء البريطانى لورد كلفن . ونحن نعرف من خبرتنا اليومية أن الحرارة تسرى دائماً من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة ، ولا يحدث العكس بتاتاً . ونحن نعرف كذلك أن الطاقة الميكانيكية يمكن أن تتحول كلها إلى حرارة ، عن طريق الاحتكاك مثلاً ، على حين يمثل التحول الكلى للحرارة إلى طاقة ميكانيكية عملية مستحيلة من الوجهة الطبيعية . وكما قرر سادى كارنوت ؛ ليس من شك فى أن إنتاج أو تولد الشغل الميكانيكى يصحبه « هبوط »

قدر معين من الحرارة من مستوى مرتفع لدرجة الحرارة إلى مستوى آخر منخفض .
 وبينما اعتقد كارنوت (خطأ) أن الحرارة تبقى كاملة على حالها في أثناء انتقالها من
 المرجل إلى مركز التبريد ، يقول القانون الأول للديناميكا بأن جانباً منها يفقد ، ويظهر
 القدر المكافئ له على هيئة شغل ميكانيكي تبذله الآلة . ويحكى هذا الوضع حالة
 البيت المقام على تل ، والذي يحصل على ما يلزمه من الماء من جدول يجري من
 تحته ، وبدلاً من إدارة المضخة بمحرك كهربائي ، يقرر سكان البيت تشغيل
 المضخة بوساطة عجلة مائية تستمد قوتها الدافعة من نفس الجدول المائي على النحو
 الممثل في شكل (٥ - ٦) . وعلى ذلك نجد أنه بينما يتساقط بعض ماء الجدول



شكل (٤ - ٦)

تشابه (هيدروديناميكي) بين الآلة الحرارية التي تحول جزءاً من الحرارة (السارية من المنطقة
 المرتفعة الحرارة إلى المنطقة المنخفضة الحرارة) إلى طاقة ميكانيكية .

وهو في طريقه إلى البيت ليدبر العجلة ، يتم رفع البعض الآخر أعلى التل ليستقر في البيت . ومن الجلى والواضح أنه ليس في الإمكان نرح جميع ماء الجلول ، وإلا ما بقى فيه ماء يستخدم في تشتغيل المضخة . والشغل الناجم عن الماء المتساقط على العجلة ، أو الشغل اللازم لحمل هذا الماء ورفع إلى مستوى تساقطه ، يساوى حاصل ضرب مقدار الماء في الارتفاع . وعلى ذلك فخير ما نفعل هو أن نرتب أمورنا بحيث يكاد الماء المتبقى في الجلول يكفي تماماً لترح الجزء الآخر إلى البيت . فإذا كان مثلاً ارتفاع الخزان ثلاث أقدام ، وارتفاع البيت ١٢ قدماً فوق مستوى المضخة ، وكانت س هي جزء الماء الذي ينرح إلى البيت فإن : ١٢ س = ٣ (١ - س) ومنها يتبع أن : س = $\frac{3}{12+3} = \frac{1}{5}$

وعلى ذلك فإن مثل هذا الوضع لا يعين على نرح أكثر من خمس الماء إلى البيت . وسوف نرى فيما بعد في حالة الحرارة التي تسرى من منطقة ساخنة إلى أخرى باردة ، على حين يتحول جانب منها إلى شغل ميكانيكى ، يكون الجزء من الحرارة الذي يمكن أن يتحول إلى شغل مساوياً الكسر :

$$\frac{27-17}{17}$$

حيث ١٧ ، ٢٧ ، هما على الترتيب درجة الحرارة المطلقة للمرجل والمكثف . ولا كانت درجة غليان الماء هي ١٠٠° م ، أو ٣٧٣° مطلقة ، نجد أنه إذا كان المكثف يبرد بالثلج تكون درجة حرارته صفراً ٠° م أو ٢٧٣° مطلقة ، وعلى ذلك تكون أكبر قيمة لكفاية* الآلة البخارية هي : $\frac{100}{373} = 26\%$ ، وفي الواقع ، نظراً لما يفقد من جوانب الآلة من حرارات ، وكذلك لأسباب عملية أخرى ، نجد أن درجة نجاح الآلة البخارية أو كفايتها أقل من ذلك .

وتعرف العبارة القائلة بأنه : (ليس في الإمكان تحويل الحرارة إلى طاقة ميكانيكية من غير أن يكون لدينا فائض أو مزيد من الحرارة « الهابطة » من مكان ساخن إلى آخر بارد) ، وتشتهر باسم « القانون الثانى للديناميكا الحرارية » . ولا يختلف منطق هذا في معناه عن قولنا : (لن تسرى الحرارة من تلقاء نفسها من

* لكل آلة كفاية تمثلها بالنسبة بين ما تنجح في إنتاجه من شغل مفيد وما تتطلبه من طاقة حرارية أو كهربية إلخ .. لتؤدى وظيفتها . ولهذا يمكن التعبير عن الكفاية كذلك باسم درجة النجاح . (المترجم)

• هي بمثابة مقياس الترتيب لدى رجل الفيزياء ، أما بالنسبة لعالم الرياضة فهي مجرد تعبير يسهل عليه حل معادلاته الرياضية (المترجم) .

كما أن مكعب الثلج يفقد كمية من الحرارة قدرها s سعر ، أى إنه تصله كمية من الحرارة تساوى $-s$ سعر ، وبذلك يكون التغير فى درجة تعادل مكعب الثلج حسب التعريف هو :

$$\Delta s_2 = - \frac{s}{r_2} \quad (2)$$

ومن المعادلتين رقم (١) ، (٢) نجد أن التغير الكلى فى درجة تعادل الجهاز المكون من الماء ومكعب الثلج هو :

$$\Delta s_2 + \Delta s_1 = \frac{s}{r_1} - \frac{s}{r_2}$$

$$= s \left(\frac{1}{r_1} - \frac{1}{r_2} \right) \quad (3)$$

ولما كانت r_1 أكبر من r_2 فإنه من الطبيعى أن تكون $\frac{1}{r_1}$ أصغر من $\frac{1}{r_2}$ ، ومن ثم تكون قيمة القوس فى المعادلة رقم (٣) سالبة . ومعنى ذلك أن سريان الحرارة ومن مكعب الثلج إلى الماء إنما يعنى تناقص درجة تعادل الجهاز ، وهذا ينافى منطق القانون الثانى للديناميكا الحرارية . أما إذا كانت الحرارة تسرى من الماء الدافئ إلى الثلج فإن ذلك يعنى تغيير علامات قيم الحدود الواردة فى المعادلات السابقة ، ومن ثم يصبح التغير فى درجة التعادل موجباً ، وتتفق العملية فى هذه الحالة مع القانون الثانى للديناميكا الحرارية . وبطبيعة الحال يسرى هذا النظام أو الترتيب على (الأجهزة المعزولة) فقط ، وهى كما قلنا تلك الأجهزة التى لا سبيل إلى وصول أى طاقة إليها من الخارج . أما فى الأجهزة التى على غرار ثلاجة المطبخ ، أو نافذة مكيف الهواء ، فإن الحرارة إنما تنزح نزحاً من (بيت الثلج) ، أو من الغرفة إلى الهواء الخارجى المرتفع الحرارة نسبياً . وفى مثل هذه الحالات يعوض النقص فى درجة التعادل بالشغل الذى يبذله التيار الكهربى الذى يدير محركات هذه الأجهزة .

ويسمح لنا قانون تزايد درجة التعادل كذلك أن نستنتج بطريقة سهلة قيمة كفاية أى آلة حرارية كما ذكرناها سابقاً . فإذا كانت درجة حرارة المرجل هى r_1 ،

ودرجة حرارة جهاز التبريد هي R_2 ، وافترضنا أن كمية من الحرارة S_1 أخذت من المرجل ، فإن جهاز التبريد سوف تصله كمية من الحرارة أصغر من S_1 ، ولتكن هي S_2 ، حيث إن قيمة $(S_1 - S_2)$ هي مقدار الحرارة التي تحولت إلى طاقة ميكانيكية . وعلى ذلك فإن درجة تعادل المرجل تتناقص بالقدر $\frac{S_1}{R_1}$ ،

في حين تتزايد درجة تعادل جهاز التبريد بالقدر $\frac{S_2}{R_2}$. وبما أنه من الضروري أن تكون زيادة درجة تعادل جهاز التبريد أكبر أو على الأقل مساوية للنقص في درجة تعادل المرجل ، فيمكننا أن نقول :

$$\frac{S_1}{R_1} \text{ أصغر من أو مساوٍ لـ } \frac{S_2}{R_2}$$

$$\text{وينتج أن : } \frac{S_1}{R_1} \text{ أصغر من أو مساوٍ لـ } \frac{S_2}{R_2}$$

$$\text{أو أن } \frac{S_2}{R_2} \text{ أكبر من أو مساوٍ لـ } \frac{S_1}{R_1}$$

ومن ثم يمكننا أن نستنتج باستخدام قواعد الجبر البسيطة أن :

$$\frac{S_1 - S_2}{R_1} \text{ أصغر أو مساوٍ لـ } \frac{S_2 - S_1}{R_2}$$

وهي المعادلة أو القاعدة التي صغناها سابقاً .

الطيور المنقرة

من (الاختراعات) أو الحيل اليابانية الماهرة التي تعمل بمبدأ الآلات الحرارية الطيور اليابانية المنقرة — شكل (٤ — ٧) . وقوام الواحدة منها أسطوانة من الزجاج مفرغة من الهواء ، تتكون من كرتين متصلتين بأنبوبة طويلة . ويوجد بداخل الكرة السفلى كمية من الأثير يمكن أن تتبخر سريعاً في درجة حرارة الغرفة . وعندما تمتلئ هذه الكرة بأبخرة الأثير لا تجد هذه الأبخرة مnasاً من الصعود إلى الكرة العليا

المنخفضة الحرارة نسبياً ، ما دما نعمل على أن تكون الطبقة المنداة بالماء التي تغطيها مبتلة * . دائماً . ويتجمع الأثير المتكاثف في الجزء الأسفل للكرة العليا ؛ إذ يحول دون تسربه إلى أسفل امتداد الأنبوبة الموصلة بين الكرتين إلى مركز الكرة العليا . وعندما تتجمع كمية من الأثير كافية لجعل ثقل الرأس أكبر من ثقل جسم الطائر ، يميل هذا الأخير إلى الأمام حول المحور حتى يأخذ وضعاً أفقياً تقريباً ، وبذلك يسمح للأثير المتجمع في الرأس بالعودة إلى الكرة التي تمثل الجسم ، وعندها ينتصب الطائر واقفاً من جديد . وفي كل مرة ينحن فيها الطائر ينغمس أنفه في الماء وبذلك يظل رأسه منخفض الحرارة على الدوام .

وإذا ما عمدنا إلى ملء الكوب « بالفودكا » ، أو بالكحول الخالص وهو خير ما نستعمل بدلاً من الماء ، يعظم تبريد الرأس وبذلك ينقر الطائر بمعدل أكبر . أما إذا ما عمدنا إلى تغطيته داخل قبة زجاجية فإنه سرعان ما يتشبع الهواء الذي يلزم الطائر تحت هذه القبة وتقف الحركة تماماً . وكذلك يقل نشاط عمل هذه الطيور عندما ترتفع رطوبة الجو . والحق أن مؤلف هذا الكتاب لم يتمكن من حملها على العمل قط خلال يوم من أيام الحر المثالية في واشنطن .

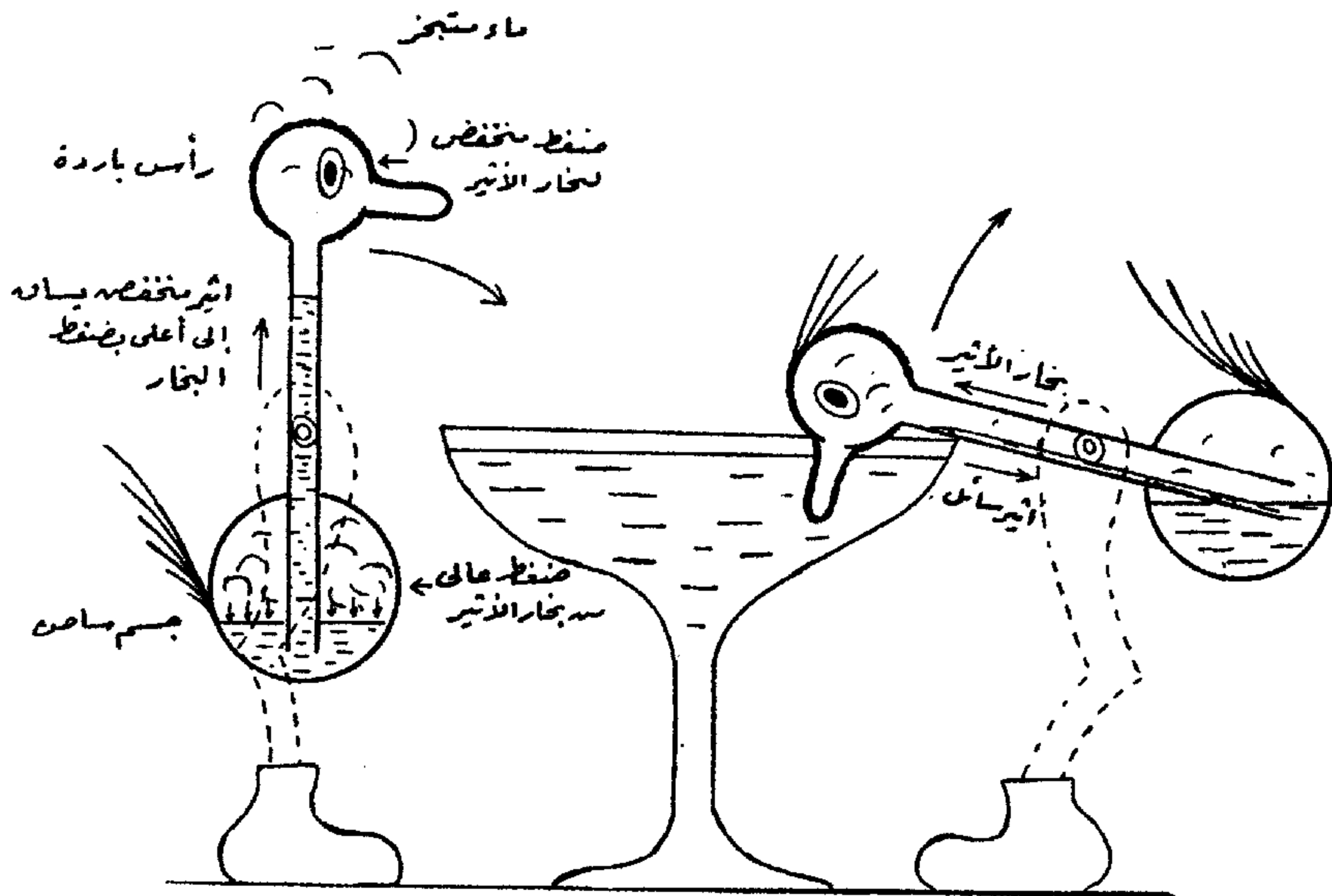
وبمناسبة هذه اللعبة التي تؤدي عملها عن طريق تبخر الماء ، يمكننا أن نوجه سؤالاً فيزيائياً طريفاً : إذا نحن عمدنا إلى تثبيت نوع من أنواع التركيب الميكانيكي للتروس في المحور الذي يميل حوله الطائر ، ليكون في مقدورنا الحصول على قدر من الطاقة الميكانيكية ، ندير بها مضخة مائية ترفع لنا الماء من أسفل (سطح البحر) إلى أعلى الكوب ، فما هو الارتفاع فوق سطح البحر الذي يمكن أن نضع عنده الطائر بحيث يظل يؤدي عمله ؟ في إمكاننا أن نعتبر اللعبة بمثابة الآلة الحرارية التي تسرى فيها الحرارة من جسم الطائر الدافئ إلى رأسه المنخفض الحرارة نسبياً ، في حين يتحول جانب منها إلى طاقة ميكانيكية . وتعادل الحرارة الكامنة لبخر الماء (الذي يتصاعد من رأس الطائر المنخفض الحرارة نسبياً) ٥٣٩ سعراً لكل جرام واحد ، أو ما يعادل $2 \times 27 \times 10^1$ إرج طاقة ميكانيكية . وبطبيعة الحال

* عند ما يتبخر الماء من أى سطح مبلل أو مندى بالماء ، يستنفد البخار جانباً من حرارة السطح ، فتتخفض درجة حرارته . وهذا هو عين ما يحدث في الأواني الفخارية ، أو عند رش الأرض بالمياه في الصيف . (المترجم)

لا بد أن يمثل هذا الرقم كذلك كمية الحرارة التي تسرى من الهواء الساخن نسبياً إلى جسم الطائر ، كلما تبخر جرام واحد من الماء من على رأسه (وذلك نظراً لانعدام تراكم الحرارة أو فقدائها باستمرار من الطائر ، فهو لا ترتفع درجة حرارته ولا تنخفض بصفة دائمة) . ونحن نعرف أن كفاية الآلة الحرارية أو درجة نجاحها في تحويل

الحرارة إلى طاقة ميكانيكية هي $\frac{T_2 - T_1}{T_2}$ ، وفي حالتنا هذه نجد أن كلا من T_1 و T_2

يساوي 300° ، مطلقة على التقريب (وهي درجة حرارة الغرفة) ، كما أن الفرق بينهما $(T_2 - T_1)$ لا يتعدى درجات معدودات . فإذا ما افترضنا أن هذا الفرق يساوي مثلاً 3° م ، وجدنا أن كفاية الطائر تساوي على وجه التقريب ١٪ . ومعنى ذلك أن عملية تبخير جرام واحد من الماء من على رأس الطائر



شكل (٧ - ٤)

الطيور اليابانية المنقورة

يمكن أن تمدنا بطاقة ميكانيكية تساوي نحو 2×10^8 إرج . ولكن لكي نرفع جراماً واحداً من الماء خلال مسافة قدرها سنتيمتر واحد ، يجدر بنا أن نبذل قدرأ من الشغل يعادل عجلة الجاذبية ، وهي تساوي على وجه التقريب ١٠٠٠ (أو ٩٨١ سنتيمتراً في الثانية لكل ثانية) . وإذا فإنه عندما يتم تبخر جرام واحد من الماء

من على رأس الطائر تتوافر لنا كمية من الطاقة الميكانيكية تكفى لرفع جرام واحد من الماء من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع نحو 2×10^5 سنتيمترات ، أو نحو كيلومترين . ولا يفوتنا بطبيعة الحال أن حسابنا هذا مقرب جداً ، كما أن هناك مصادر عديدة تفقد منها الطاقة الحرارية ، مما يؤدي إلى نقص كبير في قيمة هذا الرقم ، ولكن هذا لا يحول دون بقاء الحقيقة الواقعة وهي أن الطيور المنقرة تستطيع أن تشرب من ماء البحر وهي واقفة على ارتفاعات كبيرة .

آلات الحركة المستديمة من النوعين الأول والثاني

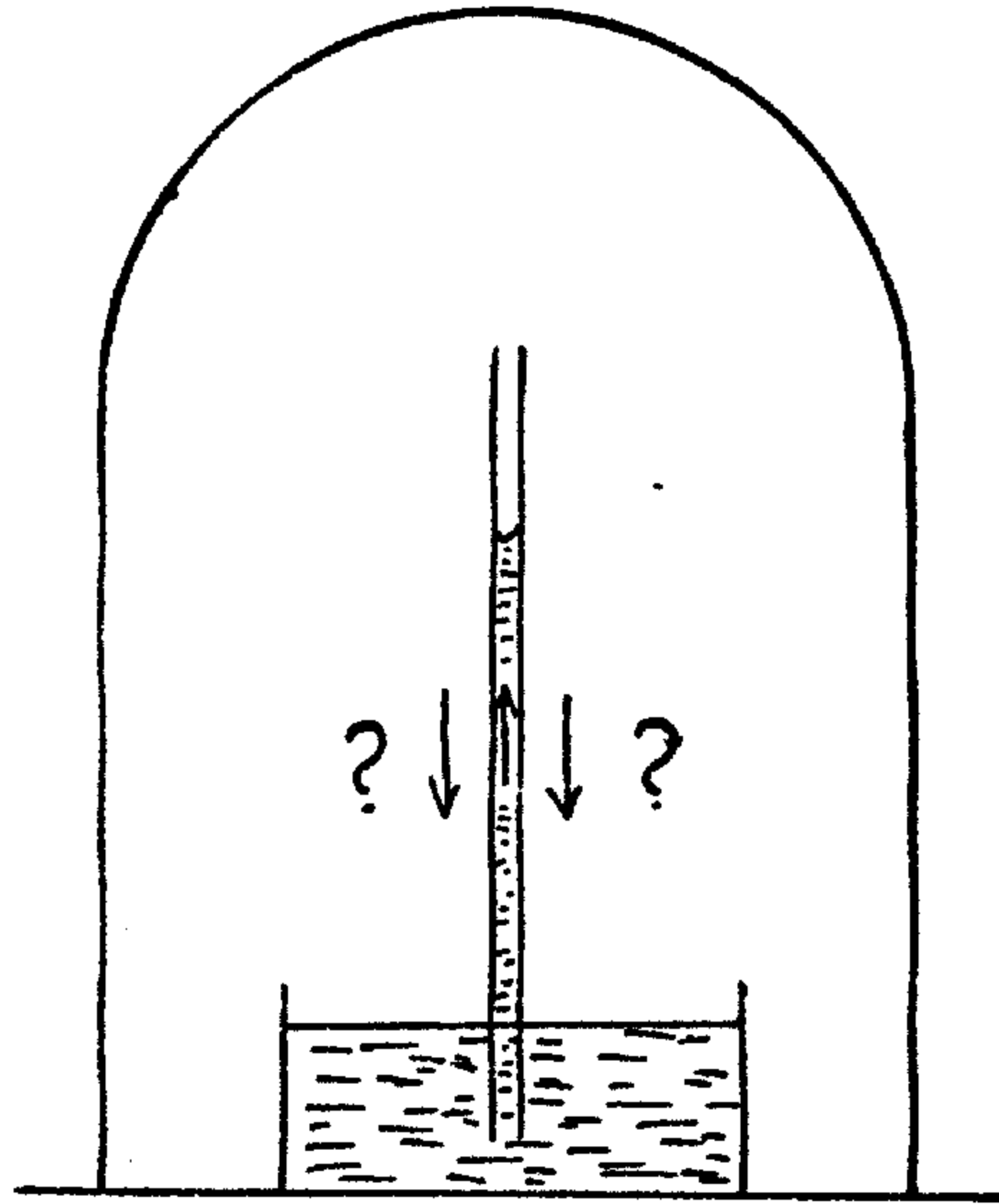
قديمًا كان الناس يحلمون بآلات تعمل بلا انقطاع أبد الدهر ، من غير وقود ولا مصدر خارجي للطاقة . وكثيراً ما استخدمت سلسلة ستيفينس المشروحة في الباب الثاني كنوع من التصميم الذي يجوز الأخذ به في بناء مثل تلك الآلة ، وذلك قبل أن يبين ستيفينس هذا استحالة عملها إذا ما استخدمنا القوانين السليمة للتوازن الميكانيكي على المستوى المائل .

وبينما تناقض آلة الحركة المستديمة التي من النوع الأول منطق القانون الأول للديناميكا الحرارية ، أو قانون بقاء الطاقة ، نستطيع أن نلمس أن آلة الحركة المستديمة التي من النوع الثاني إنما تناقض بدورها القانون الثاني للديناميكا الحرارية . وليس من شك أننا لو استطعنا أن نحول الحرارة كاملة (١٠٠ ٪) إلى طاقة ميكانيكية ، لصارت للآلات الميكانيكية اليد العليا على جميع مشروعات الطاقة الذرية التي تعلو الإعلانات من شأنها وتعطيها أهمية عظمى ، ولأصبح في مقدورنا بناء السفن عابرة المحيط ، التي تنزح إليها ماء البحر لتستخرج منه الحرارة اللازمة لإدارة آلاتها ، ثم تقذف على ظهرها مكعبات الثلج الناجمة عن هذه العملية ، ولأصبح في استطاعتنا كذلك بناء محركات للسيارات وللطائرات تمتص داخلها الهواء الجوى لتسلبه حرارته وتحولها إلى قوة محركية وتقذف خارجها أهوية في برودة الثلج ، تنبثق من أنابيب العادم ، ولصار في متناول أيدينا أن . . .

ولكن جميع هذه الاحتمالات البراقة غير ممكنة ، ويحول دون تحقيقها القانون الثاني للديناميكا الحرارية ، أو قانون درجة التعادل المتزايدة إلى الأبد .

الجدل بالديناميكا الحرارية

بمجرد أن نسلم بصحة قوانين الديناميكا الحرارية ، يمكننا استخدامها في مناقشة ظواهر طبيعية عديدة ، وبرهنة الكثير من العبارات الهامة المتعلقة بها . لنأخذ مثلاً حالة وعاء به ماء ، عندما تخترق سطح الماء أنبوبة شعرية مثبتة في وضع رأسي على النحو الممثل في شكل (٤ - ٨) . ويمكن من أجل عزل هذا الجهاز عن الوسط المحيط به ، أن نغطيه بغطاء زجاجي ، ثم ننزع منه الهواء (نفرغه) . ومن المعلوم أن الماء يرتفع في الأنبوبة الشعرية ، مكوناً سطحاً مقعراً هلالياً الشكل .



شكل (٤ - ٨)

مثال للجدل بالديناميكا الحرارية . إذا كان ضغط بخار الماء فوق السطح المقعر الهلالي الشكل داخل الأنبوبة الشعرية مساوياً لضغط بخار الماء فوق السطح المستوي لماء الوعاء ، صار الماء في حالة حركة مستديمة في الاتجاهات التي توضحها الأسهم .

والآن لنسأل أنفسنا عن الذي يحدث في مثل هذه الحالة ؛ فأولاً وقبل كل شيء يتحول جزء من ماء الوعاء إلى بخار يملأ فراغ الغطاء من الداخل . وتحت تأثير الجاذبية ، تكون كثافة البخار وضغطه أكبر ما يمكن عند القاعدة ، كما تبلغ أقل قيم لها في القمة ، وذلك على غرار جو الأرض سواء بسواء . ونحن نعلم أنه لكل

درجة حرارة قدر معين من ضغط بخار الماء يحدث معه (التوازن) * مع السائل ، فإذا ما كان ضغط البخار عالياً أكثر من اللازم ، فإن جانباً من هذا البخار يتكاثف إلى ماء سائل . أما إذا كان ضغط البخار أقل من اللازم فإن جانباً من السائل يتبخر ويتحول إلى بخار . وسوف نبرهن الآن على أنه يلزم أن يكون ضغط البخار فوق السطح المقعر للسائل في الأنبوبة الشعرية أصغر من الضغط فوق السطح المستوي ، مستخدمين في سبيل ذلك طريقة الجدل الديناميكي الحراري : لنفترض جدلاً أن العبارة السابقة ليست صحيحة ، وأن ضغط بخار الماء لا يتوقف بحال من الأحوال على انحناء سطح السائل . فماذا يحدث في مثل هذه الحالة إذا ؟

بما أنه تحت تأثير جذب الأرض يكون ضغط بخار الماء عند السطح العلوي الهلالي الشكل أصغر من قيمته عند سطح الماء الذي في الوعاء (السفلي) ، فإن الماء سوف يتبخر في داخل الأنبوبة الشعرية ويتكاثف في الوعاء . وينجم عن ذلك أن يسرى الماء إلى أعلى في الأنبوبة الشعرية ، وأن تستمر هذه الحركة دون توقف . ويكون في وسعنا إذاً أن نضع في داخل الأنبوبة الشعرية نوعاً من طاحونة الماء لتعمل باستمرار ، مما ينافي منطوق القانون الثاني للديناميكا الحرارية . وبما أنه لا سبيل للتعارض مع هذا القانون ، فإننا نستنتج أن ضغط البخار فوق السطح المقعر لأي سائل يكون أقل من ضغط البخار فوق السطح المستوي للسائل . وكذلك عندما نستخدم أنبوبة شعرية مغطاة بطبقة رقيقة من الشمع ، (يكون السطح الهلالي الشكل تحت مستوى سطح ماء الوعاء ، كما يكون محدباً إلى أعلى) نستنتج أن ضغط البخار فوق السطح المحدب لأي سائل يكون أكبر من ضغط البخار فوق سطح السائل المستوي . وكلما ازداد ضيق الأنبوبة الشعرية ، عظم فرق مستوى الماء ، أو ارتفاعه داخل الأنبوبة الشعرية فسوق سطح الماء في الإناء ، وبذلك يعظم التغير في ضغط البخار . ونحن عندما نستعمل القيم العددية لثابت ما ، نطلق عليه اسم التوتر السطحي ، (هو الذي يعين ارتفاع عمود الماء داخل الأنبوبة الشعرية)

* المقصود بالتوازن هنا أن يكون عدد جزيئات بخار الماء التي تترك سطح السائل إلى الخارج مساوياً تماماً لعدد جزيئات البخار التي تعود إليه من الخارج . وتسمى هذه الحالة أيضاً باسم (حالة التشبع) فإذا زاد عدد الجزيئات التي تترك سطح السائل على العدد الذي يعود إليه من الخارج فإنه يحدث البخر . أما في حالة التكاثف فيحدث العكس (المترجم) .

وكثافة بخار الماء (هي التي تعين فرق الضغط بين مستوى الماء في الإناء ومستواه في الأنبوبة الشعرية) ، نستطيع أن نحصل على معادلة — أو قاعدة رياضية — نعبر بها عن مدى اعتماد (أو توقف) قيمة ضغط البخار على تقوس (أو انحناء) سطح الماء . وإذا لم تكن هذه المعادلة صحيحة كان من الممكن أن يسرى الماء سرياناً مستمراً خلال الأنبوبة الشعرية ، وبذلك نحصل على آلة من آلات الحركة المستديمة من النوع الثاني .

وللنتيجة التي توصلنا إليها فيما سبق دخل في دراسة ظاهرة المطر . فإن السحب التي تسبح في السماء إنما تتكون من عدد لا يحصى من نقط الماء الصغيرة (كالضباب) التي تبلغ من الصغر درجة تحول دون تساقطها بسهولة . ولا تتساوى هذه النقاط كلها في الحجم ، بل إن منها الكبير نسبياً ، كما أن منها الصغير . ولكن ما هو أثر هذا الاختلاف في حجوم النقط ؟ لما كان ضغط البخار بالنسبة للأسطح المحدبة (كما هو الحال في نقط الماء) أكبر من ضغط البخار فوق الأسطح المستوية ، كما رأينا ، فإنه من اللازم أن تكون قيمة ضغط البخار فوق أسطح النقط الصغيرة أكبر من قيمته فوق أسطح النقط الكبيرة . وينجم عن هذا الفرق في ضغط بخار الماء أن يسرى البخار من النقط الصغيرة إلى النقط الكبيرة ، حيث يتم تكثفه على هذه الأخيرة وتزداد حجومها تبعاً . ومن ناحية أخرى تبخر النقط الصغيرة تدريجاً حتى تتلاشى . وسرعان ما يعجز الهواء عن حمل النقط النامية ، فتهمر مطراً فوق رؤوسنا ومظلاتنا .

نظرية الحركة للحرارة

استمر البحث في نظرية الحرارة ، وتحديد العلاقة بين القانون الأساسي • للديناميكا الحرارية ، وفكرة أن الحرارة هي صورة من صور الطاقة لحسيمات صغيرة ، هي الجزيئات التي تبنى منها كل الأجسام المادية ، خلال الربع الأخير من القرن الماضي . وأجريت أهم هذه البحوث على يد لدفيج بولتزمان في ألمانيا ، وچيمس كلارك ماكسويل في إنجلترا ، وجوزيا جيز في الولايات الأمريكية المتحدة —

(شكل (٤ - ٤) ، شكل (٥ - ١٦) . وعندما نحاول دراسة حركة الجزيئات الصغيرة التي لا سبيل إلى عدها ، والتي تكون الأجسام المادية ، نجد أنه بطبيعة الحال ليس في الإمكان بحال من الأحوال ، بل ليس من المفيد في شيء ، أن نتبع تماماً مسار كل جزيء منها . فكل الذي يهتما معرفته هو متوسط سلوك هذه الجزيئات في مجموعها تحت الحالات الطبيعية المختلفة ، وتتطلب منا هذه الدراسة استخدام قوانين الإحصاء . وكثيراً ما يستخدم الإنسان الطرق الإحصائية عندما يتعرض لدراسة وحدات أو أفراد عديدة . ولهذا نجد أن شركات التأمين ، ومصالح الحكومة المختصة بمسائل إنتاج الفلاحين لمختلف المحصولات ونحوها . . . ترسم سياستها على ما تجمع من قيم إحصائية ، ولا يهتما مثلاً تفاصيل قصة الموت الذي أنهى حياة السيد چون دوى ، ولا دقائق المزرعة التي يديرها جيرميا سميث . وعندما نأخذ في الاعتبار أن عدد سكان الولايات المتحدة مثلاً يقارب نحو ١٧٠ مليوناً من الأنفس ، في حين يصل عدد الجزيئات في السنتيمتر المكعب الواحد من الهواء إلى نحو ٢٠ مليون مليون جزيء * ، نلمس بوضوح كيف أن قوانين الإحصاء التي يمكن تطبيقها بدقة في حالة الجزيئات تفوق بكثير الدقة التي نطبقها بها في حالة البشر .

وليس أهون علينا ولا أيسر من أن نطبق الطرق الإحصائية على الغازات ، إذ أن فيها — بخلاف السوائل والأجسام الصلبة — تناسب الجزيئات وتنطلق حرة في الفضاء أو الحيز الذي يشغله الغاز ، فتتصادم بعضها مع بعض ، وكذلك تصطدم بجدران الوعاء الذي يضمها ، وعلى ذلك فإن جدران الوعاء المشتمل على أي غاز تتعرض لقذف مستمر بوابل من جزيئاته التي ترتد بعد التصادم معها . وتتمخض هذه العملية عن تولد قوة منتظمة ، هي ما نعبّر عنه بضغط الغاز (ض) . وعندما نفترض أن نفس الكمية من هذا الغاز احتبست في وعاء حجمه نصف حجم الوعاء الأول ، نجد أن عدد الجزيئات الموجودة في السنتيمتر المكعب الواحد يصبح في هذه الحالة ضعف العدد الذي كان موجوداً في الحالة الأولى ، ومعنى ذلك تضاعف

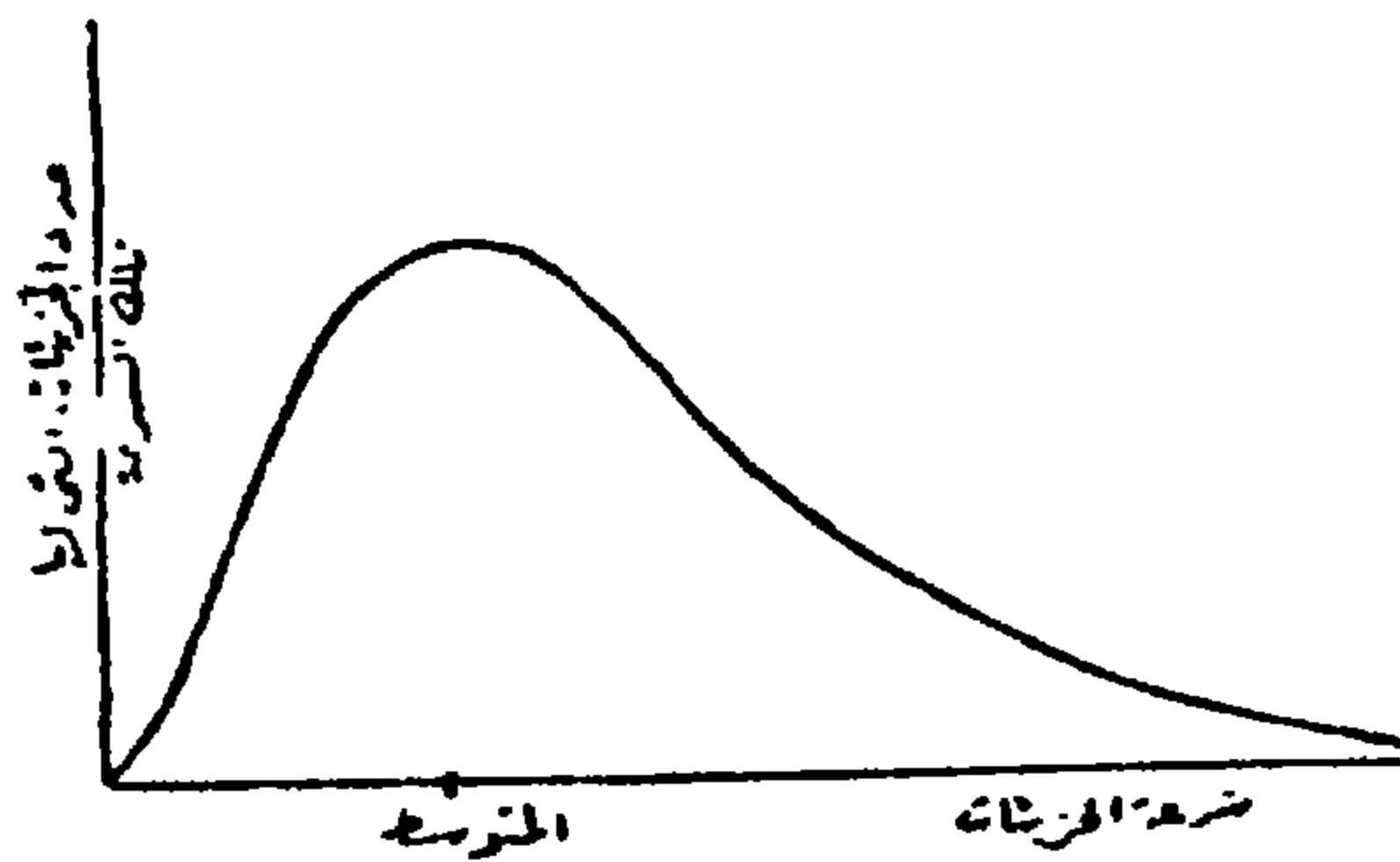
* يعني عشرين متبوعة بثمانية عشر صفراً (المترجم) .

ولنبحث الآن فيما يحدث عندما تزداد سرعة الجزيئات . يتبع زيادة السرعة ظاهرتان هما : (١) يصل أى مساحة معينة عدد أكبر من الجزيئات فى الثانية ، (٢) تزداد قوة الصدمة الواحدة كما تعينها قوة الدفع الميكانيكى (هى - كمية الحركة - على حد تعبير نيوتن) . وبما أن الظاهرتين تتناسبان طردياً مع سرعة الجزيئات ، فإن الضغط سوف يزداد متناسباً مع مربع السرعة . وهذه الكمية الأخيرة هى ذاتها طاقة حركة الجزيئات . ولما كنا ، تبعاً لقانون شارل - جاي - لوساك ، على بينة من أن ضغط الغاز عند ثبوت الحجم إنما يتناسب طردياً مع درجة حرارته المطلقة ، فإننا نستنتج أن (درجة الحرارة المطلقة ما هى إلا مقياس للطاقة الناجمة عن الحركة الحرارية للجزيئات) . وليس من المهم أن نعرف نوع هذه الجزيئات ، نظراً لأن من بين القوانين الأساسية للميكانيكا الإحصائية ، وهو القانون المعروف باسم « قانون تساوى توزيع الطاقة » ، ما يقرر أنه : (فى حالة الخليط المكون من عدد كبير من الجزيئات ، التى لها أكثر من كتلة معينة ، يظل متوسط طاقة الحركة لكل جزيء ثابتاً) . فمثلاً عندما يتكون الخليط من جزيئات الأيدروجين مع جزيئات الأوكسجين التى يزن الجزيء منها ستة عشر ضعف ما يزنه جزيء الأيدروجين ، تعادل سرعة جزيئات الأوكسجين ربع قيمة سرعة جزيئات الأيدروجين ، بحيث يظل حاصل ضرب الكتلة فى مربع السرعة مقداراً ثابتاً . وفى درجة حرارة الغرفة العادية ، أى نحو ٣٠٠ درجة مطلقة ، تعادل قيمة طاقة الحركة الحرارية نحو ٢ ٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ إرج ، وهى فى حالة جزيء الهواء تستلزم سرعة قدرها ٥٠ ألف سنتيمتر فى الثانية (أو ما يعادل ألف ميل فى الساعة الواحدة) .

وبطبيعة الحال ليست طاقة الحركة الحرارية هذه التي اعتمدنا في تقديرها على درجة الحرارة المطلقة سوى متوسط هذه الطاقة لعدد كبير من الجزيئات . ولكن -

كما هو الحال في الظواهر الإحصائية — قد تختلف الطاقة الفعلية لأي جزيء عن هذا المتوسط اختلافاً كبيراً . ونظراً لأن تصادم الجزيئات بعضها ببعض يتم حيناً اتفق ، فإن بعض الجزيئات قد يتاح لها ، خلال فترات زمنية قصيرة ، الحصول على سرعة كبيرة ، على حين يبطئ بعضها الآخر خلال تلك الفترات . وعندما نستخدم قوانين الميكانيكا الإحصائية نستطيع أن نحسب النسب المئوية للجزيئات الغاز التي تنحرف بدرجات مختلفة وتعيد عن التحرك بمتوسط السرعة تماماً . ويبين شكل (٤ - ٩) منحنى توزيع السرعة ، الذي تم حسابه لأول مرة على يد ماكسويل ، ولذلك فهو يحمل اسمه .

ومن بين الآراء الهامة في النظرية الإحصائية للغازات فكرة « متوسط المسار الطليق » * ، أو متوسط المسافة التي يقطعها الجزيء بين تصادمين . ويبلغ متوسط المسار الحر هذا قيمة ضئيلة جداً في الهواء الجوى ، فهو لا يعدو نحو ٠,٠٠٠٠١ سنتيمتر ، على حين أنه في الغازات المخلخلة (أى قليلة الضغط جداً) التي تملأ الفضاء الكوني كبير جداً ؛ فقد يتحرك جزيء أى غاز عبر عدة أميال قبل أن يلتقى بجزيء آخر . ويفسر لنا قصر متوسط المسار الحر (على الأرض) حقيقة أن الجزيئات ، برغم تحركها السريع ، تستغرق زمناً طويلاً لتنتقل مثلاً من أحد جوانب الغرفة إلى الجانب الذي تقابله . وفي الواقع تكون الجزيئات في وضع



شكل (٤ - ٩)

منحنى توزيع السرعة لمكسويل

* تترجمه بعض الجهات باسم المسار الحر كذلك (المترجم) .

المسافة المقطوعة = طول الخطوة الواحدة \times عدد الخطوات .

والآن لتساءل : كيف تفسر لنا نظرية الحركة للحرارة القانون الأساسي للديناميكا الحرارية ، الذى يقول بأنه فى جميع العمليات الحرارية يجب أن تزداد درجة التعادل دائماً ؟ ثم ما هو المقصود بدرجة التعادل على أية حال من وجهة نظر النظرية الإحصائية لحركة الجزيئات ، ولماذا تسرى الحرارة دائماً من الأجسام الساخنة

إلى الأجسام الباردة نسبياً ، ثم لا نستطيع تحويل أى قدر معين من الحرارة بأكمله إلى طاقة ميكانيكية ، فى الوقت الذى لا تعترض سبيلنا مثل هذه الاستحالة فى حالة تحويل الطاقة الميكانيكية إلى حرارة ؟ ونجد الإجابة عن كل هذه الأسئلة أمراً طبيعياً إذا استعرضنا أماننا ما يحدث للجزء فى هذه الحالات . لذلك نأخذ ما نحتجز فيه الغاز (من آنية أو أجهزة) ونقسمه إلى نصفين متساويين بحاجز يحول دون تسرب الحرارة ، ثم نملأ أحد النصفين بغاز ساخن ، والنصف الثانى بغاز بارد ، وبعد ذلك نرفع الحاجز . فما الذى يحدث ؟

من الواضح أن جزيئات الغاز الساخن التى تتحرك بسرعة تفقد طاقتها عندما تتصادم مع جزيئات الغاز المنخفض الحرارة التى تتحرك ببطء نسبياً . وتستمر هذه العملية حتى يتم تساوى توزيع الطاقة بين جميع الجزيئات ، أى تتساوى درجة الحرارة فى نصفي الجهاز الذى نحتجز فيه الغاز . ومثل هذا الوضع يشابه إلى حد ما السلة التى يملأ نصفها السفلى بالخرز الأسود ونصفها العلوى بالخرز الأبيض . فعندما نهزها يختلط الخرز تدريجاً حتى يتم توزيع اللونين الأبيض والأسود بالتساوى من قمة السلة إلى قاعها . فهل نستطيع فصلهما بعد ذلك باستمرار الهز والمضى فيه ؟ الإجابة عن هذا السؤال هو : نعم ، ولكن نظرياً فقط ، إذ أنه فى الحقيقة لا يوجد سبب يحول دون إتمام هذا الفصل ، رغم أن ذلك غير محتمل إلى حد كبير * ، فقد يستلزم الأمر أن نظل نهز السلة عدة قرون ، أو حتى ملايين السنين حتى يحدث ، لمجرد المصادفة ، أن يتجمع من جديد كل الخرز الأسود فى القاعدة ، وكل الخرز الأبيض فى القمة . وينطبق ذلك أيضاً على جزيئات الغاز ، فإنه من الجائز ، من حيث المبدأ أن يتباطأ نصف عدد الجزيئات لمجرد التصادم حيثما اتفق ، حتى تهبط سرعتها كثيراً تحت المتوسط ، على حين تزداد سرعة النصف الباقى تبعاً لذلك . إلا أن هذا بعيد الاحتمال جداً .

ونحن نصادف بعض الأوضاع الشبيهة بذلك فى حالات تحول الطاقة الميكانيكية إلى حرارة أو العكس . فعندما نتصور مثلاً قذيفة نارية (رصاصة) تطلق

* لاحظ أنه فى لغة الإحصاء الرياضى نقول : إن عدم الاحتمال ليس معناه الاستحالة . (المترجم)

على حائط من الصلب ، نجد أنه في أثناء انسياب القذيفة نحو الهدف تتحرك جميع جزيئاتها معاً في نفس الاتجاه وبنفس السرعة . (وبطبيعة الحال تتداخل هذه الحركة المشتركة مع الحركات الأخرى غير المنتظمة التي تكتسبها الجزيئات تبعاً لدرجة الحرارة الأصلية للقذيفة) . وعندما يوقف جدار القذيفة ، تتحول هذه الإزاحة المنظمة إلى إزاحات أخرى غير منتظمة لكل جزيء ، وبذلك تزداد التحركات الحرارية الأصلية للجزيئات التي تتكون منها القذيفة والجدار . ومرة أخرى نستطيع هنا أن نتصور إمكان حدوث العكس ، أي إن الجزيئات التي يتألف منها طرف قضيب من المعدن سخناه في النار ، سوف تكتسب لمجرد المصادفة السرعة الحرارية لكل منها نفس الاتجاه ، وبذلك يمرق القضيب منطلقاً كأنما قد قذف من مدفع . ولكن هذه أيضاً ظاهرة غير محتملة الحدوث بتاتاً . وهكذا يتضح لنا أن قانون درجة التعادل المتزايدة يمكن أن نعبر عنه في بساطة بقولنا : (في جميع الطرق الطبيعية تميل الحركة المنظمة للجزيئات إلى التغير لكي تصبح غير منتظمة أو لا رابط لها) . وتسير كل الأمور في الاتجاه الذي يتحول فيه نظام حركة الجزيئات من النماذج الأقل احتمالاً إلى النماذج الأكثر احتمالاً ، وما الزيادة في درجة التعادل إلا زيادة الاحتمال في نماذج حركة الجزيئات .

ويمكن استنتاج العلاقة التي تربط بين احتمال حدوث نموذج معين لحركة الجزيئات ودرجة التعادل بالطريقة السهلة الآتية ، التي كان أول من اقترحها هو لدفيج بولتزمان :

نأخذ جهازين من أجهزة الديناميكا الحرارية مثل ا ، ب ، ونفرض أنهما حيزان نحتجز فيهما غازين مختلفين تحت ضغطين متباينين ، أو حتى يمكن أن نعتبر الجهازين من النوع الأكثر تعقيداً ، على غرار تلك الأجهزة التي تحتوى السوائل ، وأبخرتها والبلورات الصلبة ، ومحاليلها في السوائل . . . إلخ . فإذا كانت درجة حرارة الجهازين واحدة وتساوى (ر) ، ثم وصلناهما حرارياً ، فإنه لا يحدث أن تسرى الحرارة في اتجاه معين ، ويظل الجهازان على نفس الحالة التي كانا عليها قبل التوصليل . ولكن عندما نفترض أن قلراً معيناً من الحرارة يفيض من الخارج إلى

الجهازين ، بحيث يكتسب الجهاز | القدر س | سعر ، ويكتسب الجهاز ب القدر س ب سعر ، وعلى ذلك تزداد قيمة درجة تعادل الجهاز | بالقدر $\frac{س}{ر}$ ، كما تزداد قيمة درجة تعادل الجهاز ب بالقدر $\frac{س ب}{ر}$. وعندما نضم الجهازين معاً في جهاز واحد

تكون الزيادة في درجة تعادل هذا الجهاز هي $\frac{س ا + س ب}{ر}$.

$$\text{ولما كانت } \frac{س ا + س ب}{ر} = \frac{س ا + س ب}{ر}$$

فنستنتج أن درجة تعادل أى جهاز مركب إنما تساوى مجموع درجات تعادل أجزائه .
والآن يمكننا أن نتساءل : كيف يبدو هذا الوضع من وجهة نظر احتمالات النماذج المختلفة لحركات الحزبيئات ؟ ثم كيف يمكن التعبير عن هذا الاحتمال للجهاز المركب من ا ، ب بدلالة احتمالات كل من ا ، ب على حدة ؟

إننا نجد أنه تبعاً للنظرية الرياضية للاحتمالات (يعطى احتمال أى حادثة مركبة - أى حادثة تحقق عدة شروط لا رابط بينها - بحاصل ضرب احتمالات الحوادث المستقلة التى تتكون منها هذه الحادثة المركبة) . وعلى ذلك إذا تمت واحدة أن تكون فى يوم ما من الأيام «طويلة وسمراء وجميلة» ، فإن احتمال تحقيق أمنيائها هو حاصل ضرب احتمال أن تكون طويلة ، فى احتمال أن تصبح سمراء ، فى احتمال أن تصبح جميلة . فإذا كانت فرصة أحد الرجال ليصبح طويلاً هي $\frac{1}{4}$ (أى مرة واحدة من كل أربع) وفرسته ليصبح أسمر اللون هي $\frac{1}{3}$ ، كما أن وفرسته ليصبح وسيماً تساوى $\frac{1}{6}$ ، فإن احتمال حدوث الحالات الثلاث مجتمعة هو :

$$\frac{1}{600} = \frac{1}{6} \times \frac{1}{3} \times \frac{1}{4}$$

أى مرة من كل ٦٠٠ حالة .

وعلى هذا الأساس يتضح لنا أنه ، بينما تجب إضافة درجات التعادل (إضافة جبرية) فى أجهزة الديناميكا الحرارية المركبة ، فإن الاحتمالات تخضع لحاصل الضرب . فأى نوع من أنواع الاعتماد الرياضى بين كميتين يمكن أن يحقق مثل هذه

الحالة ؟ ليس من شك أنه الاعتماد اللوغاريتمى ؛ وذلك نظراً لأننا عندما نصرب عددين نلجأ إلى جمع لوغاريتميهما . وإذا فإن درجة التعادل يجب أن تتغير مع لوغاريتم الاحتمال ، والتعبير الرياضى لذلك هو :

$$S = K \log V$$

حيث K هو معامل عددى يقال له معامل بولترمان .

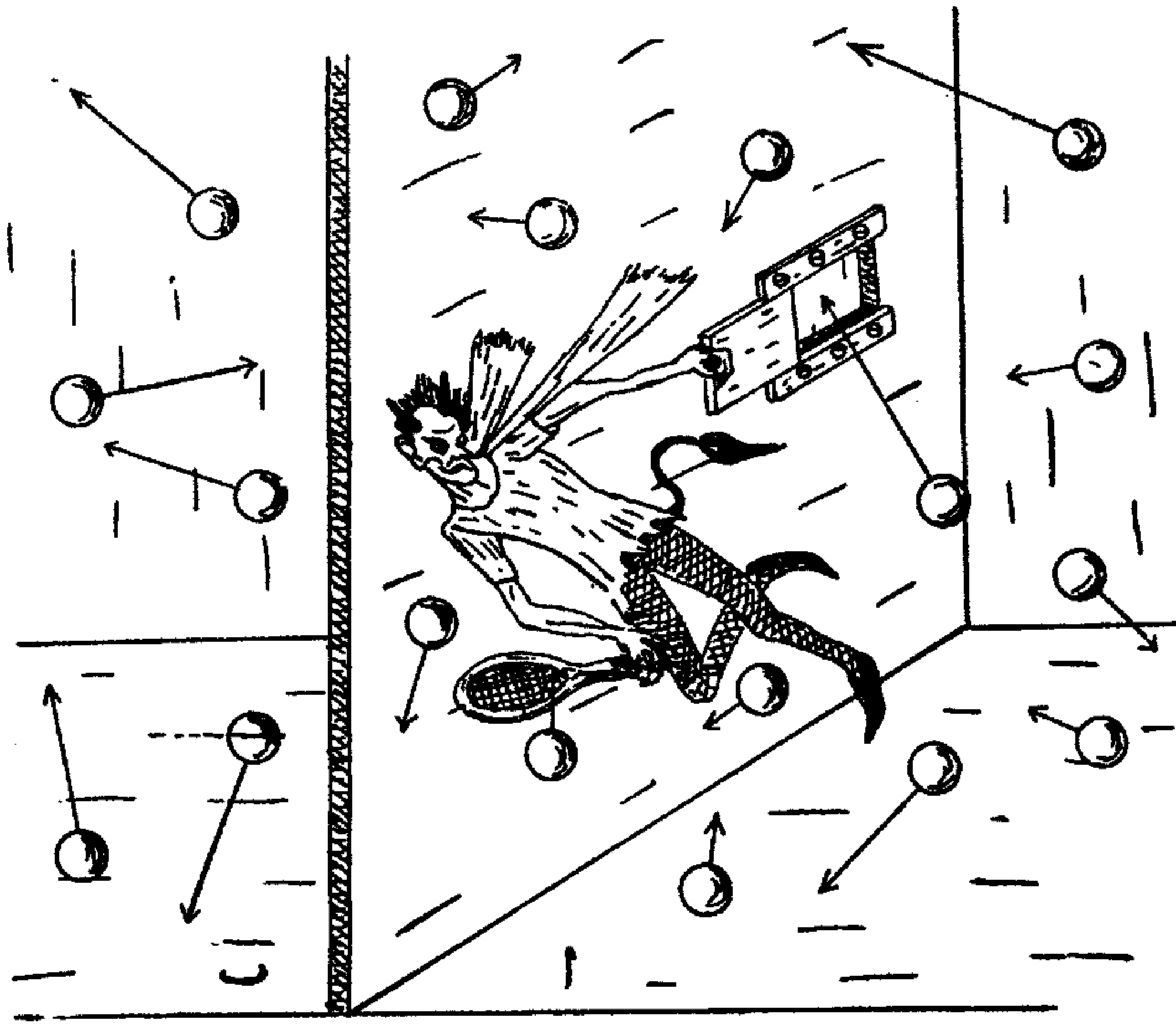
وتكون المعادلة السابقة أشبه شىء بالنقطة التى تصل بين الديناميكا الحرارية التقليدية ، ونظرية الحركة للحرارة ، كما تسمح لنا بحساب جميع مقادير الديناميكا الحرارية على أساس اعتبارات إحصائية .

عفريت مكسويل

ومن الشخصيات الهامة جداً فى الفيزياء الإحصائية « عفريت » مكسويل ، وهو من نتاج خيال جيمس كلارك مكسويل - شكل (٥ - ١٦) - الذى ندين له بكثير من الإضافات فى مجال العلوم .

فقد تصور مكسويل عفريتاً من الجن الصغير الممتلئ بالنشاط إلى أقصى حد - شكل (٤ - ١٠) - ، فى إمكانه رؤية كل جزيء على حدة ، كما يبلغ من السرعة الحد الذى يجعله يعالجها بسهولة كما يعالج البطل كرة التنس . إن مثل هذا العفريت يستطيع أن يعيننا على التغلب على قانون درجة التعادل المتزايدة ، وذلك بأن يعمد إلى نافذة صغيرة فى الجدار الذى يفصل بين غرفتين من الغاز A ، B ، فيقفلهما ويفتحهما بوساطة لوح يتزلق دون أدنى احتكاك . ويفتح الجن النافذة عندما يبصر جزيئاً يتحرك بسرعة فى ذلك الاتجاه . وعلى هذا الأساس يمكن بمضى الوقت أن تتجمع فى الغرفة B كل الجزيئات السريعة التى يمثلها منحى توزيع مكسويل ، على حين لا يبقى فى الغرفة A سوى الجزيئات البطيئة ، ومن ثم ترتفع درجة حرارة B ، وتنخفض درجة حرارة A . وهكذا تسرى الحرارة فى الاتجاه المضاد ، غير متفقة فى ذلك مع القانون الثانى للديناميكا الحرارية .

ولكن لماذا لا نستطيع لإنجاز ذلك ؟ ليس بطبيعة الحال عن طريق الاستعانة



شكل (٤ - ١٠)

عفريت مكسويل من الجح الذي يدعى إمكان فصل الجزيئات السريعة عن الجزيئات البطيئة

بعفريت حقيقى ، ولكن باستعمال بعض الآلات أو الأجهزة الفيزيائية الدقيقة الرائعة الصنع التى تعمل بنفس الطريقة ؟

ولكى نفهم هذا الوضع دعنا نلق سؤالاً خفياً المعنى ، سأله عالم الفيزياء النمساوى المشهور إروين شرودنجر - شكل (٧ - ١٩) - فى كتابه الممتع جداً (ما هى الحياة ؟) . هذا السؤال هو : « لماذا تبلغ الذرات هذا الحد من الصغر » ؟ ويبدو هذا السؤال لأول وهلة كأنه فارغ لا معنى له ، إلا أنه عندما يعكس يظهر له معنى ، ويتضح جوابه ، وذلك عندما نتساءل : (لماذا نحن نبغ هذا الحد من الكبر بالنسبة إلى الذرات ؟) . وجواب هذا السؤال بطبيعة الحال هو بكل بساطة : إن مثل هذا التكوين العضوى المعقد للإنسان ، بما فيه من مخ ، وعضلات ، و . . إلخ ، لا يمكن تركيبه من مجرد عدة عشرات من الذرات ، تماماً كما يتعذر علينا بناء كنيسة على النمط القوطى مثلاً من عدد محدود من الحجارة .

ومن اللازم أن نبني عفريت مكسويل هذا ، وكثيراً من الأجهزة الميكانيكية التى قد تؤدي عمله بدلاً منه ، من عدد صغير من الذرات ، وبذلك لا نستطيع

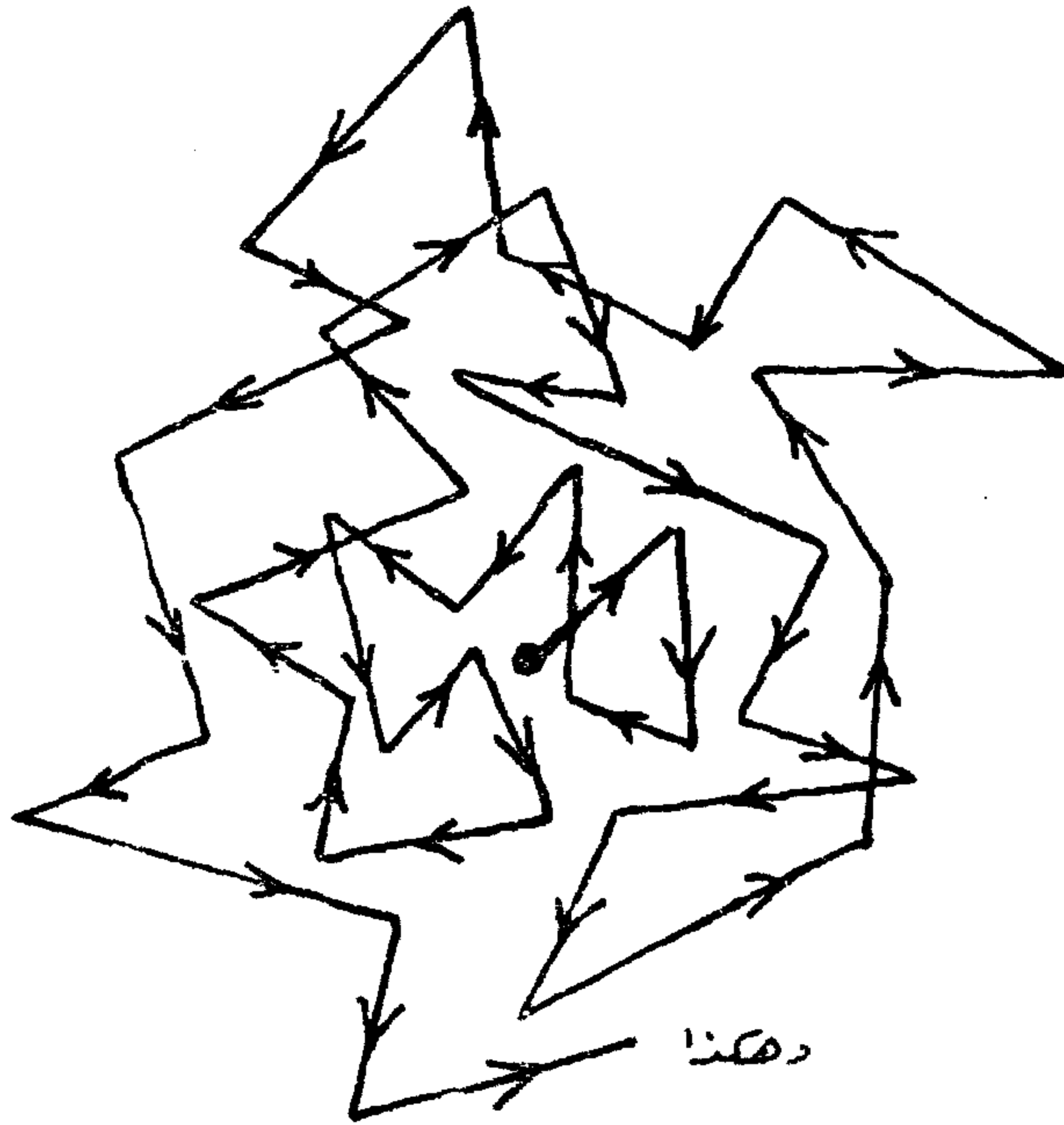
فى الغالب أن تقوم بوظيفتها المعقدة . فكلما قل عدد الذرات ، عظمت الذبذبات أو الفلنات الإحصائية فى سلوكها وطريقة تصرفها . فالسيارة التى تقفز إحدى عجلاتها الأربع فجأة لتكون عجلة القيادة ، فى حين يصبح خزان التبريد فيها خزاناً للتبريد ، وهكذا . . . ، لا تعتبر سيارة يعتمد عليها فى القيادة . وكذلك فإن عفريت مكسويل سواء أكان حقيقياً أم مجرد آلة من الآلات ، سوف يرتكب العديد من الأخطاء الإحصائية عندما يتعقب الجزيئات ، بحيث ينهار المشروع كلية.

الحركة الحرارية المجهرية

لم تكن تلك الأرقام العظمى والأرقام الصغرى التى ذكرناها فى سياق حديثنا عن عالم الجزيء إلا نتيجة لمجرد الحساب والتقدير ؛ وذلك لأن الجزيئات وما يصحبها من تحركات تبلغ من الصغر الحد الذى يحول دون مشاهدتها ، حتى إذا استخدمنا أحسن أنواع آلات التكبير (المجهر أو الميكروسكوب) . ومهما يكن من شئ ، فقد يحدث أن تضيق الثغرة التى تفصل بين الجزيئات التى لا سبيل إلى رؤيتها وبعض الأجسام الكبيرة التى نصادفها فى حياتنا اليومية ، وذلك عن طريق رصد سلوك الجسيمات الصغيرة وطريقة تصرفها . ويبلغ قطر الواحد من هذه الجسيمات حدود الميكررون* ، وهى بذلك من جهة على جانب من الصغر يسمح لها بأن تتعرض لحركة حرارية ملحوظة ، كما أنها من جهة أخرى تبلغ من الكبر ما يمكننا من مشاهدتها خلال مجهر قوى . وأول من درس مثل هذه الأجسام عالم النبات البريطانى روبرت براون الذى شاهد أن خلايا النبات عندما تطفو فوق سطح الماء لا يهدأ لها بال ، وإنما تظل منهمكة فى أداء أشبه شئ بالرقصة الإيطالية (هى التانتيلا) ، فتقفز فى غير انتظام هنا وهناك ، كأنما يقذف بها على الدوام عامل خفى — شكل (٤ — ١١) — ولم يستطع براون ذاته ، ولا من عاصره من العلماء ، تفسير هذا السلوك العجيب الذى تتخذه تلك الجسيمات الصغيرة ، ومضى زهاء قرن كامل

* الميكررون وحدة صغيرة لقياس الأطوال الصغرى ، ويساوى جزءاً من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر الواحد (المترجم) .

قبل أن يجيء عالم الفيزياء الفرنسي جين بيران ويفسرها كنتيجة للعديد من الصدمات التي تتلقاها هذه الجسيمات من جزيئات الماء الواقعة تحت تأثير الحركة الحرارية. ولقد أمدت أبحاث بيران في موضوع الحركة البراونية ببرهان قاطع على صحة نظرية الحركة الحرارية ، كما سمحت لعلماء الفيزياء بمشاهدة القوانين الإحصائية للحركة ، وذلك بطريقة مباشرة ، بعد أن كانت قبل ذلك مجرد آراء نظرية . وظهرت النظرية الرياضية السليمة المفسرة لحركة براون على يد الشاب الصغير ألبرت أينشتاين ، وذلك ضمن أحد الموضوعات الثلاثة التي نشرها عام ١٩٠٥ . أما الموضوعان الآخران فكانا على نظرية الكم للضوء ، ونظرية النسبية . واليوم تعتبر النظرية الإحصائية للحرارة التي



(شكل ٤ - ١١)

« السير حسبما اتفق » هو حركة الجسم عند ما يتغير الاتجاه سريعاً بلا رابط ومن غير انتظام ، بسبب التصادم مع الأجسام الأخرى ، سواء أكان ذلك الجسم جزيئاً أخذ يتصادم مع غيره من الجزيئات ، أم مدمن خمر راح يتخبط في أعمدة المصابيح . وجلى أن الجسم عند ما يسير على هذا النحو لا يتقدم بنفس المعدل الذي يتقدم به عند ما يسير قدماً في خط مستقيم . ويمكن البرهنة على أن متوسط المسافة المقطوعة من نقطة الابتداء تساوى في مثل هذه الحالة طول الخطوة مضروباً في الجذر التربيعي لعدد الخطوات .

تسمى عموماً باسم « الفيزياء الإحصائية » ، في مصاف ميكانيكا نيوتن اكتمالا ووضوحاً .

الحركة الحرارية وانتشار الصوت

من الأشياء المعروفة تماماً أن الصوت ما هو إلا انتشار أمواج التضاضط خلال الهواء وغيره من المواد . ولقد كشفت لنا الدراسات التجريبية عن حقيقة رائعة – فحواها أن سرعة الصوت لا تعتمد على كثافة الهواء ، وأن قيمتها عند مستوى سطح البحر تساوى قيمتها في طبقات الجو العليا المخلخلة . ومن ناحية أخرى نجد أن هذه السرعة تتوقف على درجة حرارة الهواء ؛ إذ تتناسب طردا مع الجذر التربيعى للدرجة الحرارة المطلقة . فكيف نستطيع أن نفسر هذه الحقائق من وجهة نظر التركيب الجزيئى والحركة الحرارية ؟

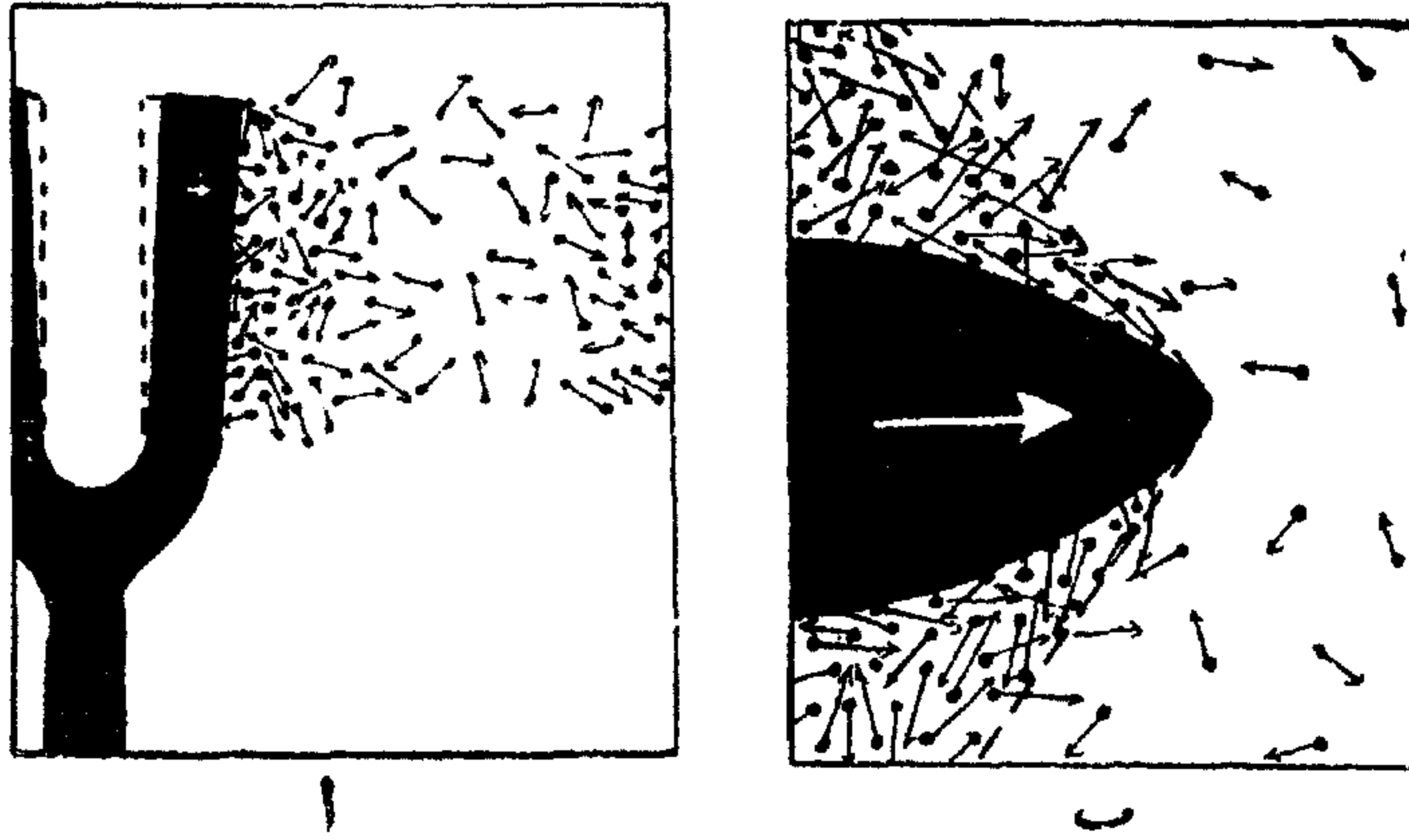
لكى نستطيع ذلك ، يجب أن نتذكر أن الهواء يتكون من عدد وفير من الجزيئات تندفع حسبما اتفق فى الفضاء بسرعة تزداد بارتفاع درجة الحرارة . وعندما تنطلق موجة تضاضط صوتية ، عن طريق ذبذبات شوكة رنانة مثلا ، فإن جزيئات الهواء القريبة من فرعى الشوكة تدفع دفعا فى اتجاه الحركة ، وهذه عندما تتصادم مع غيرها من الجزيئات التى تليها فى البعد عن الشوكة (فى الطبقة الهوائية الرقيقة التى تليها) توصل إليها هذا الدفع . ثم تدفع هذه بدورها الجزيئات التى تليها فى الطبقة التى بعدها . وهكذا ينتقل التضاضط خلال الهواء ، مكوناً موجة صوتية . ولما كان من الضرورى أن تنطلق جزيئات الهواء سابحة عبر مسافة طويلة نسبيا (هى المسافة المسار الطليق أو الحر) قبل أن تصدم جزيئات الطبقة الثالثة ، فإن سرعة الانتشار إنما تحدد أساساً بالسرعة الحرارية للجزيئات . وتفسر لنا هذه الصورة الديناميكية الحقيقتين السابقتين المتعلقتين بسرعة الصوت . فليس من شك أن السرعة الحرارية للجزيئات تظل على ما هى عليه عندما تثبت درجة الحرارة ، بصرف النظر عما يصيب الغاز ، سواء بالزيادة أو بالنقصان . ومن ناحية أخرى ، لما كانت طاقة حركة الجزيئات تتناسب طردا مع درجة الحرارة المطلقة ، فإنه من الطبيعى أن تزداد

سرعتها متناسبة مع الجذر التربيعي لدرجة الحرارة . وما ينطبق على سرعة جزيئات الهواء يجب أن ينطبق كذلك على سرعة الصوت .

ويشاهد الوضع المخالف لذلك تماماً عندما تزداد سرعة الجسم الذى يصدر عنه تضغط الغاز ، وتعلو فوق سرعة الحركة الحرارية للجزيئات تحت حالات معينة . ويحدث ذلك مثلاً عندما تنطلق الغازات الساخنة المتكونة بالانفجار وتدفع بالهواء المحيط بها فى عنف وشدة ، أو عندما يتفرق الهواء بأجنحة وجسم طائرة أو قذيفة تنطلق بسرعة تفوق حدود سرعة الصوت . وفى هذه الحالة لا تبلغ السرعة الحرارية للجزيئات القدر الذى يكفى لهربها من (الدافع) الذى يزحف بسرعة ، وتبدأ الجزيئات فى التراكم بعضها فوق بعض ، وينجم عن ذلك ازدياد الكثافة . ويمثل الفرق بين هذه الحالة والحالة السابقة بالرسم الذى فى شكل (٤ - ١٢) ، إذ تكون الجبهة الراحقة للغاز المضغوط ضغطاً عالياً يعرف باسم (موجة الصدمة) . ونظراً لارتفاع الكثافة ارتفاعاً كبيراً يلزم موجة الصدمة هذه المزيد من الضغط العالى ، مما يفسر لنا آثارها المدمرة . فى حالة تفجير القنابل يتباطأ تمدد الغازات الساخنة ، وينفصل تضغط الهواء عن (الدافع) ، ويستمر فى سيره على هيئة موجة الصدمة . أما فى حالة الطائرات والقذائف فوق الصوتية التى تنطلق بسرعة ثابتة ، تحت تأثير دفع محركاتها ، فإن موجة الصدمة تظل ساكنة بالنسبة للجسم المتحرك . ولذلك تعرف باسم « الصدمة الواقفة » .

إشعاع الأجسام الساخنة للضوء

من الأمور المعروفة والمألوفة أن كل الأجسام المادية تضيء إذا ما سخنت إلى القدر الكافى من « درجة الحرارة » . وهذه هى الطريقة التى كانت تستعمل فى الإضاءة قديماً باستخدام لمب مصابيح الغاز ، كما أنها هى ذاتها الطريقة التى تتبع اليوم فى توليد الضوء بالأسلاك الشعرية الساخنة فى مصابيح الكهرباء الحديثة . وعندما نتحدث عن مستوى الكون نجد أن الشمس والنجوم يشع منها الضوء كذلك ، نظراً لعظم حرارة أسطحها الخارجية . ونحن نعرف من خبرتنا العادية أننا فى درجات الحرارة المنخفضة نسبياً ، كما هى الحال فى وحدات التسخين التى نستخدمها فى غرفنا ، نحصل على إشعاع حرارى بدلا من الضوء المرئى . وعندما يبلغ مدى درجة حرارة



شكل (٤ - ١٢)

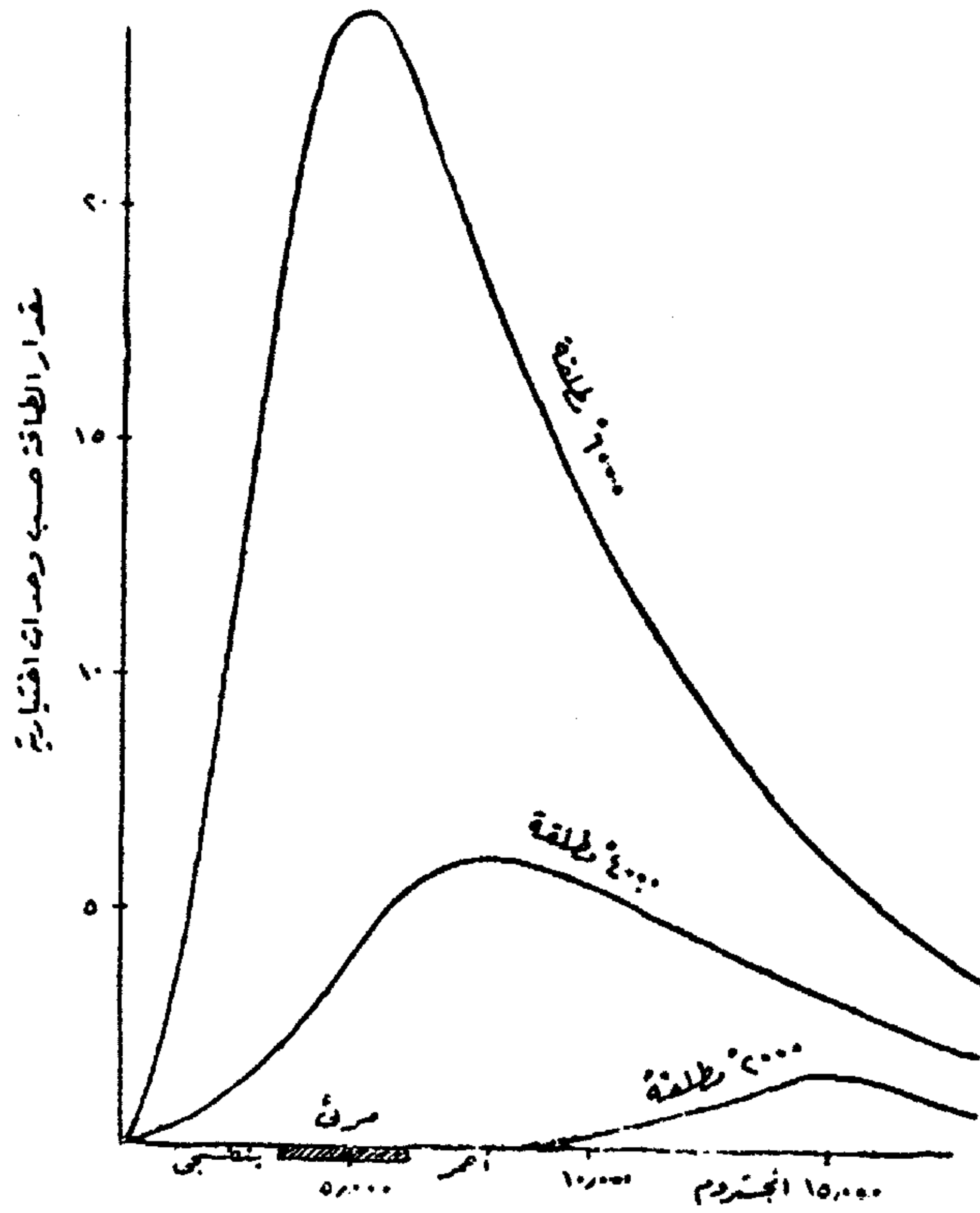
تولد موجة صوتية في حالة تحرك « الدافع » بسرعة أقل من سرعة الجزيئات (ا) وكذلك تولد موجات الصدمة (صدمات واقفة) عند ما يتحرك « الدافع » بسرعة أكبر من سرعة الجزيئات (ب) .

وحدة التسخين المستخدمة في المطابخ نحو 600°C إلى 700°C ، يصير لونها أحمر من الحرارة، وتومض ببريق خافت يميل إلى الحمرة . أما السلك الشعري الذي في المصباح الكهربائي فإن درجة حرارته ترتفع إلى ما يقرب من 2000°C ، ولذلك فهو يشع من الضياء كل جميل براق ، إلا أنه يبدو مصفراً إذا ما قورن بضوء القوس الكهربائية الناصع ، عندما تبلغ درجة حرارة القوس نحو 3000°C إلى 4000°C . ويرسل سطح الشمس الخارجي ، الذي تبلغ درجة حرارته نحو 6000°C ، ضوءاً غنياً بالأشعة الزرقاء التي تفوق مقاديرها في ضوء الشمس هذا، مقادير الأشعة الزرقاء التي يشعها أي مصدر ضوئي من المصادر آتفة الذكر . وعلى ذلك كلما ارتفعت درجة الحرارة عظمت حدة الأشعة * المنبعثة ، وكذلك ازدادت مقادير الأشعة القصيرة فيها .

ويبين شكل (٤ - ١٣) توزيع كميات الطاقة الإشعاعية على الموجات المختلفة الطول ، في الإشعاعات التي ترسلها الأجسام المادية المختلفة الحرارة .

فعندما تكون درجة الحرارة 2000°C مطلقة (كلفن) تقتصر الطاقة المنبعثة على الأمواج الحرارية، وتنعدم شدة الطاقة الضوئية (المرئية) المبينة في الشكل بالمنحنى القصير . وعندما تصبح درجة الحرارة 4000°C مطلقة ، ينبعث بعض الضوء المرئي ، إلا أن

* هي كمية الطاقة (المترجم) .



شكل (٤ - ١٣)

توزيع الطاقات في طيف متصل تشعه أجسام مادية عند ثلاث درجات مختلفة من الحرارة .

شدة الأشعة الحمراء فيه تفوق كثيراً شدة الأشعة الصفراء والخضراء والزرقاء . وعندما تبلغ درجة الحرارة 6000° مطلقة (كما هي الحال في السطح الخارجي للشمس) يقع السواد الأعظم للطاقة الإشعاعية ناحية المنطقة الصفراء * من الطيف ، ونلاحظ نحن خليط الأمواج في صورة « الضوء الأبيض » . وإذا ما ارتفعت درجة الحرارة فوق هذا الحد تزداد النهاية العظمى للطاقة تجاه منطقة الأشعة فوق البنفسجية غير المرئية . وهناك من النجوم ما يبلغ من الحرارة العالية الحد (عدة مئات الألوف من الدرجات) الذي يجعل أغلب ما ترسل من ضياء يقع في المنطقة فوق البنفسجية غير المرئية .

وينحصر انبعاث الضوء من الأجسام المادية الساخنة لقانونين هامين ، أميط

* توجد النهاية العظمى للطاقة عند الأشعة الزرقاء والخضراء (المترجم) .

الثام عنهما خلال النصف الثاني للقرن الماضي :

قانون فين : صاغه عالم الفيزياء الألماني ولهم فين (١٨٦٤ - ١٩٢٨) . ويقول هذا القانون : (يتناسب طول موجة النهاية العظمى للطاقة في الطيف تناسباً عكسياً مع درجة حرارة الجسم المشع المطلقة) . ويمكننا أن نلاحظ في شكل (٤ - ١٣) وقوع النهاية العظمى للطاقة عند درجة 6000° مطلقة على الموجة التي طولها نحو 5000 أنجستروم * ، على حين هي تقع على الموجة 15000 أنجستروم عندما تكون درجة حرارة الجسم المشع 2000° مطلقة .

قانون ستفان - بولتزمان : اكتشفه عالم الفيزياء الألماني جوزيف ستفان (١٨٣٥ - ١٨٩٣) ، ثم أمكن استنتاجه نظرياً باستخدام الديناميكا الحرارية على يد لدفيج بولتزمان الذي سبق ذكره . ومنطوق القانون هو : (تتناسب الطاقة الكلية التي يشعها أى جسم ساخن مع الأس الرابع لدرجة حرارته المطلقة) ومن الجلى والواضح دون شك أن المساحة الواقعة تحت المنحنى الذى يمثل التوزيع عند 6000° مطلقة في شكل (٤ - ١٣) هي $3^4 = 81$ مرة قدر المساحة الواقعة تحت المنحنى الذى يمثل توزيع الطاقات عند 2000° مطلقة .

الإشعاع الضوئى من الغازات الساخنة

تقتصر معالجة موضوع الإشعاع الضوئى من الأجسام الساخنة الذى أوردناه فى البند السابق على حالة الأجسام الصلبة أو السائلة ، مثل أسلاك التنجستن tungsten الشعرية التى فى داخل المصباح الكهربى ، أو الحديد السائل فى أحد مصانع صهر ** الحديد ، ولكننا نجد أن الوضع يختلف عن ذلك تماماً عندما ندرس

* الأنجستروم وحدة أصغر من الميكرن ، وهى تساوى جزءاً واحداً من عشرة آلاف جزء من الميكرن (المترجم) .

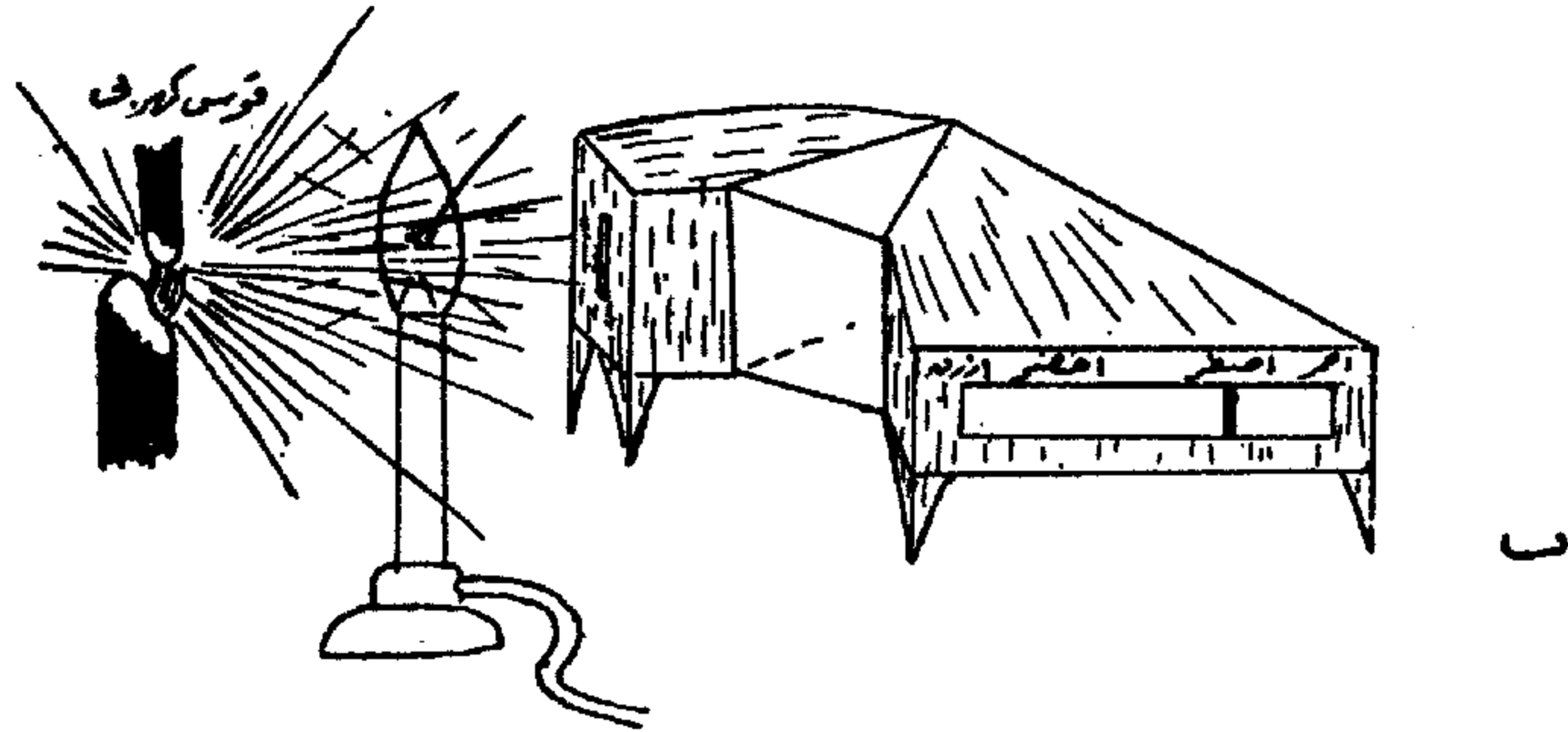
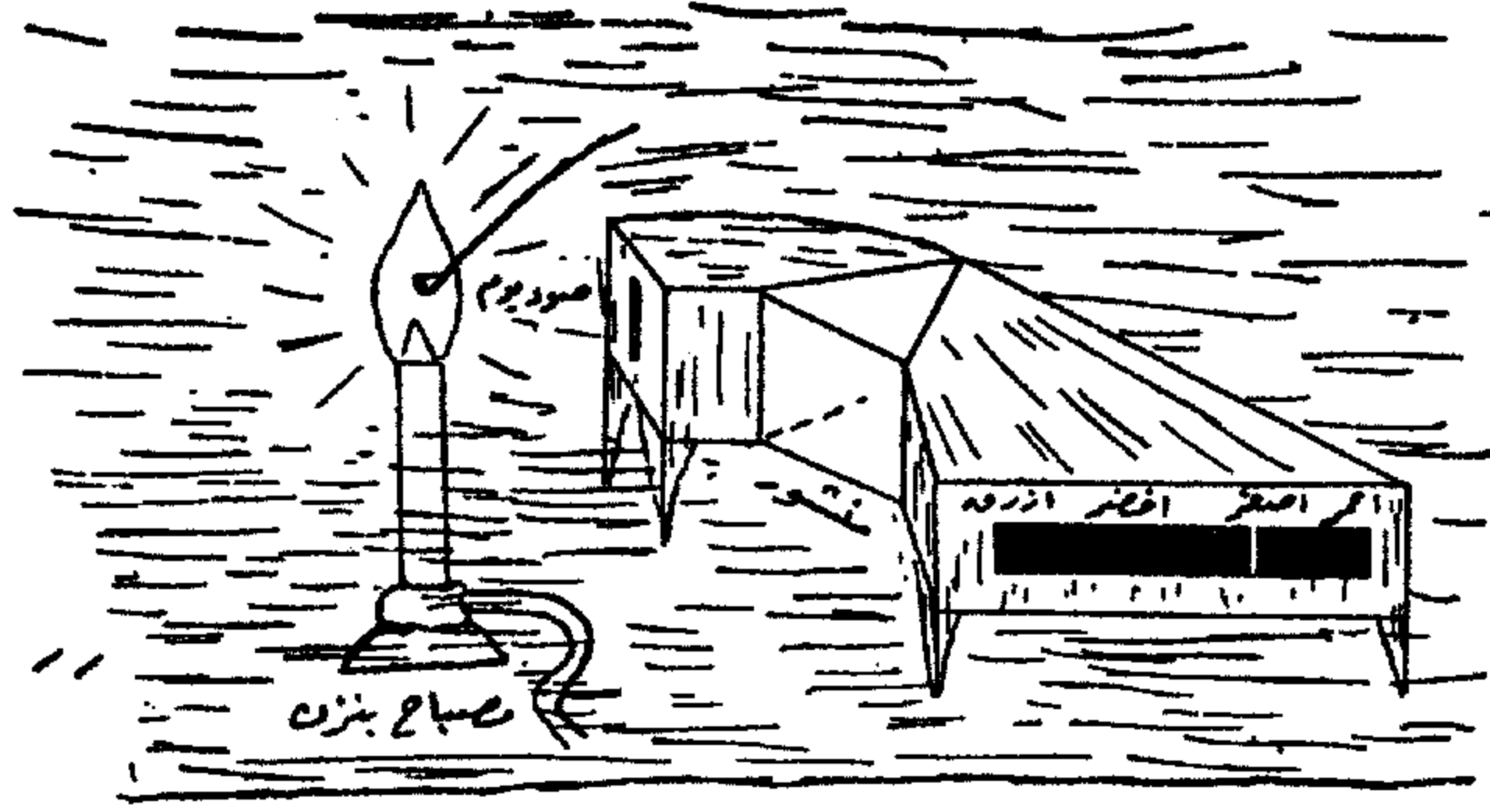
** تعتبر مادة الشمس (على وجه العموم) فى الحالة الغازية بسبب درجات حرارتها العالية جداً التى تتراوح ما بين 6000° على السطح ونحو 20 مليون درجة مطلقة عند المركز . وعلى أية حال ، بصرف النظر عن طبقة رقيقة خارجية هى الكروموسفير ، يقع على الغازات التى تكون جسم الشمس ضغط مرتفع يسبب ازدياد كثافتها إلى حدود الكثافة الطبيعية للأجسام الصلبة أو السائلة ، ولهذا فهى ترسل طيفاً متصلاً .

(المؤلف)

حالة الضوء المنبعث من الغازات الساخنة . فعندما ننظر من خلال منشور إلى الضوء المنبعث من غاز من الغازات ، أو من مصباح يعمل (بالكيروسين) ، نرى طيفاً متصلاً على طول المسافة الممتدة من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي ، ولكننا نستطيع أن نثبت أن هذا الطيف المتصل لا ينشأ في الواقع عن الغازات الساخنة الموجودة في اللهب ، ولكنه ينشأ عن الجسيمات الصلبة المنبثة فيه . ولو أننا استطعنا أن نحقق احتراقاً كاملاً للغاز ، كما هو الشأن في مصباح بزن Bunsen ، الذي صنعه عالم الفيزياء الألماني روبرت ولهم بزن (١٨١١ - ١٨٩٩) لحصلنا على لهب تشع منه ، نظراً لعظم حرارته ، كميات ضئيلة من الضوء . ولقد استخدم بزن مصباحه (أو موقده) في دراسة إشعاعات المواد المختلفة عندما تكون في الحالة الغازية . فعندما ندخل إلى لهب مصباح بزن كمية صغيرة من الصوديوم (يمكن أن تكون على هيئة كلورور الصوديوم ، أي ملح الطعام العادي) يلمع هذا اللهب بالضوء الأصفر . وعندما نعلم إلى تحليل ذلك الضوء بوساطة المنشور على طريقة إسحق نيوتن القديمة ، نجد أن الطيف إنما يتكون من خط واحد أصفر ، على حين لا يوجد أثر لجميع الأمواج الأخرى - شكل (٤ - ١٤) .

وعندما نجرى تجربة مماثلة مستخدمين البوتاسيوم ، الذي يسبغ على اللهب لوناً ناصعاً أحمر ، يعطى خطأً أحمر اللون إلى يمين الطيف . وتعطى المواد الأخرى عندما تتحول إلى أبخرة في لهب مصباح بزن ألواناً أخرى من الخطوط ، التي تبدو فريدة أحياناً ، كما تبدو في مجموعات أحياناً أخرى .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا تشع الغازات الساخنة ضوءاً له أطوال أمواج معينة بالذات (أو في تعبير آخر له ذبذبات لا تحيد عنها) ، على حين نجد أن المواد الصلبة أو السائلة تشع السلم الكامل لجميع أطوال الأمواج التي تكون طيفاً متصلاً ؟ وكما سيتضح لنا فيما بعد في هذا الكتاب ، يمكن تشبيه ذرة الجزيء بآلة موسيقية ، ويقتصر الفرق بينهما على أن الذرة ترسل موجات ضوئية بدلا من أمواج الصوت . وتبنى الآلة الموسيقية ، سواء كانت مثلاً شوكة رنانة صغيرة أو بيانو من النوع الكبير ، بطريقة تجعلها لا تعطى سوى أنواع متباينة من ذبذبات الصوت المختارة (ذبذبة واحدة في حالة الشوكة الرنانة والعديد من الذبذبات في حالة البيانو



شكل (٤ - ١٤)

(أ) عند ما ندخل الصوديوم إلى لهب ساخن ، نجده يشع خطاً لامعاً يميزاً أصفر اللون .
(ب) ولكن الضوء الأبيض ، الصادر عن قوس كهربية ويضم شتى الأمواج ، عند ما يمرر خلال لهب يحتوى على الصوديوم ، يعطى خط امتصاص مظلم مكان خط الإشعاع اللامع .

الكبير) ، التى عندما تنبعث ذبذبة بعد أخرى ، تكون لحناً عذباً . وكذلك ترسل الذرات والجزيئات مجموعة مختارة من أطوال الأمواج التى تميز كل ذرة . وتنتشر ذرات أو جزيئات الغازات حرة طليقة فى الفضاء ، ومن آن لآخر يتصادم بعضها ببعض ، وفى كل تصادم يتم تحدث لها استثارة (عندما تكون درجة الحرارة عالية علواً كافياً) ، فتنتطلق وهى تتذبذب وتشع موجات الضوء المميزة لها . وعلى ذلك فإن بخار الصوديوم ، والنحاس ، والحديد أو أى معدن آخر ، يشع خطوط طيف مميزة ، يمكن التعرف بها عليه . ولكن فى حالة المواد الصلبة نجد أن الذرات تكون مكدسة بعضها مع بعض ، ويشابه هذا الوضع إلى حد كبير حالة الزكية الكبيرة التى نكس داخلها جميع آلات الفرقة الموسيقية المعدة للإيقاع الموسيقى (سيمفونية) تكديساً يجعل بعضها فوق بعض . فعندما نهز الحقيبة نسمع صخب الآلات المكون

من جميع الذبذبات . ولا يفيدنا هذا الصخب بشيء في التعرف على صفات الأجهزة الخاصة الموجودة بالحقيقة . وبالمثل نجد أن الذرات المكسمة في قطعة من المعدن أو أى مادة أخرى صلبة (أو سائلة) تفقد كلية خصائص نغماتها النقية ، فلا يكاد يختلف الضوء الذى يرسله الحديد الذى احمر من الحرارة فى شيء عن الضوء المنبعث من النحاس المحمر بالحرارة ، أو أى شيء آخر ارتفعت درجة حرارته حتى بدا أحمر اللون .

وإن ما تتميز به المواد المختلفة من الإشعاع الضوئى يمثل الأساس الذى تقوم عليه إحدى وسائل التحليل الطيفى الهامة ، التى تتيح لنا فرصة تعرف التركيب الكيموى لأى مادة تعطى لنا ، وذلك من مجرد ملاحظة الضوء الذى تشعه أبجرتها .

امتصاص الضوء

لنعد الآن إلى تجربتنا — شكل (٤ — ١٤) — الى استخدمنا فيها مصباح بنزن وجعلنا لهبه يحتوى على بعض الصوديوم ، ولنفرض أننا وضعنا خلف اللهب مصدراً قوياً جداً للضوء يعطى طيفاً متصلاً ، مثل القوس الكهربائية شكل (٤ — ١٤ ب) — فإن الضوء ، المنبعث من قطب القوس الكهربائية عندما يبيض من الحرارة ، يمر خلال اللهب ليسقط على الفتحة الضيقة ، ويكون حزمة قوس قزح فى جهاز المطياف (السبكترسكوب) ، الا أننا نلاحظ هنا أن الاستمرار اللوني يقطعه خط مظلم ضيق يقع تماماً حيث كان يوجد خط الصوديوم الأصفر . ويرجع سبب هذه الحالة إلى ظاهرة هامة يقال لها « الرنين » ، ونحن نصادف هذه الظاهرة فى جميع الحالات التى نعالج فيها نوعاً من الذبذبة أو التردد . نخذ مثلاً طفلاً ركب بمعرفة أبيه أرجوحة فى حديقة الأطفال ، إذا ما عمد الأب إلى دفع الأرجوحة بانتظام فى فترات تساوى الفترة منها نفس زمن ذبذبة الأرجوحة ، فإن سعة الحركة سوف تتزايد على التدريج ، وينجم عن ذلك إما أن يسعد الطفل أو يفزع . ولكن إذا كان الأب قد أذهله جمال ممرضة تقف بجواره ولم يدفع الأرجوحة بانتظام ، فإن مجهوده سوف لا يثمر ، فتجده يدفع الأرجوحة أحياناً وهى تبتعد عنه فيساعد على ترنحها ، ثم يعود فيدفعها أحياناً أخرى وهى تقترب منه ، وبذلك يقلل من حركتها . وعلى أية

حال فإن زيادة سعةذبذبة أى جسم إنما تتطلب استخدام القوة خلال فترات معينة تساوى الفترة منها زمنذبذبة الجسم . وإذا ما ثبتنا شوكتين رنانتين متطابقتين فى كل شىء بحيث تفصلهما مسافة قصيرة ، ثم جعلنا إحداهما تتذبذب بأن طرقتها بمطرقة ، فإننا نجد أن موجات الصوت المنبعثة منها سوف لا تلبث أن تكسب الشوكة الأخرى نفس الحركة . ولكن إذا كان تردد الشوكتين مختلفاً فسوف لا يحدث أى أثر . وكذلك عندما نريد ضبط الموجة (أو الذبذبة) فى جهاز الراديو أو التليفزيون على محطة نرغبها ، ندير (الأكرة) التى تجعل تردد الجهاز المستقبل مساوياً لتردد (أو ذبذبة) المحطة المذيعة .

وتقع تجربتنا على اللهب المحتوى على الصوديوم تحت نفس هذا (البند) ؛ إذ يتفق تردد ذرات الصوديوم — أو يحدث ما يشبه الرنين — بالنسبة لطول موجة (أو أطوال موجات) فى طيف القوس المتصلة ، وهى نفسها الموجات التى يمكن أن ترسلها تلك الذرات ، فتعمل على تناثر هذه الموجات فى الاتجاهات كافة ، وبذلك تضعف الحزمة الأصلية . وليس من شك أن خط الامتصاص الأسود لا يكون فى هذه الحالة مسوداً تماماً . وفى الواقع قد يصادف أن يكون أكثر لمعناً من خط الإشعاع الأصيل ، إلا أنه يبدو مظلماً بالنسبة لأجزاء الطيف المتصل الأخرى التى ترسلها القوس . والذى اكتشف القانون الذى يعبر عن هذه الظاهرة ويقول : « تمتص جميع الأجسام نفس ذبذبات الضوء التى يمكنها إشعاعها » هو عالم الفيزياء الألمانى جستاف كرشوف (١٨٢٤ — ١٨٨٧) ، وهو يعرف حتى اليوم باسمه . ولهذا القانون أهميته العظمى فى كثير من دراسات الفيزياء والكيمياء ، والفلك . ومن أهم استعمالاته استخدامه فى دراسة التركيب الكيموى للشمس وغيرها من النجوم .

وفى أوائل القرن التاسع عشر عندما أعاد عالم الفيزياء الألمانى جوزيف فراونهوفر (١٧٨٧ — ١٨٢٦) إجراء تجارب نيوتن على طيف الشمس ، مستخدماً فى هذه المرة أنواعاً أرقى من المنشورات ، أدهشه أن يرى ألوان قوس قزح يقطعها عدد كبير من الخطوط السوداء الضيقة جداً . ونحن نستطيع الآن أن نفهم بسهولة أصل « خطوط فراونهوفر » هذه ، على الأسس التى ذكرناها فى ابتداء هذا الجزء من الكتاب . فلقد سبق أن قلنا إنه بالرغم من أن جسم الشمس يتكون كله من مادة

غازية ، إلا أنها تشع طيفاً متصلاً ، وذلك لمجرد تزاخم الذرات وتكدسها إلى الدرجة التي (لا يبقى لها مكان لمرق لتعرض أقواسها من غير التداخل مع ما جاورها من لاعبين) . ولكن الطبقة الخارجية لجسم الشمس ، المعروفة باسم الكروموسفير ، تتكون من غازات ساخنة عظيمة التخلخل ، وتحدث فعلاً نغمات ضوئية نقية . وعندما يمر الطيف المتصل المنبعث من الفوتوسفير (أو جسم الشمس الكثيف) خلال الكروموسفير ، يتم امتصاص وتناثر الأمواج التي تنتمي أطوالها إلى المواد الكيميائية الموجودة فيها ، وهكذا تظهر خطوط فراونهوفر المظلمة في قوس قزح الأصلية الحالية من البقع . ولقد أدى استخدام التحليل الطيفي إلى تقدم هائل وزيادة ملموسة في معلوماتنا عن الشمس والنجوم ، وفتح أمام أعين البشر آفاقاً لا حدود لها عن الكون الذي نعيش فيه . وتبين اللوحة رقم (٢) طيف الشمس لفراونهوفر . ولقد تم الحصول على الجزء المرئي (١) وجزء الأشعة فوق البنفسجية (٥) باستخدام الأجهزة الحديثة .

الباب الخامس

عصر الكهرباء

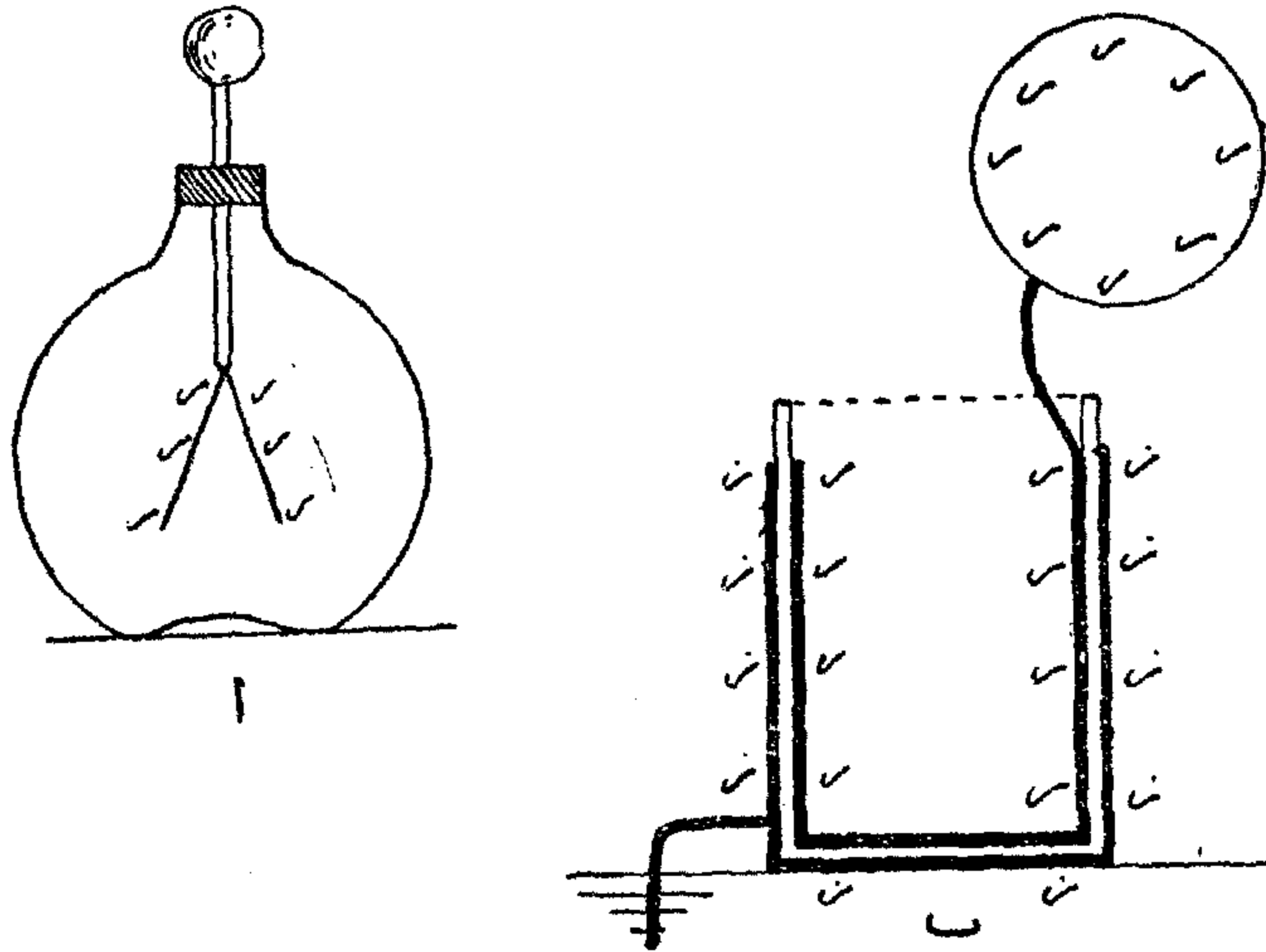
الكشف الأول

عرف قدماء الإغريق ظاهرتي الكهرباء والمغناطيسية - كما ذكرنا في الباب الأول - ومن المحتمل أن تكون سائر الحضارات القديمة قد عرفتهما كذلك . ولكن لم تبدأ الدراسة المنظمة لهما إلا في أوائل عصر نهضة الفنون والعلوم . ولقد أجرى السير وليم جالبرت ، الطبيب الشخصي للملكة اليصابات الأولى ، دراسات دقيقة على تداخل القوى المغناطيسية ، ونشر نتائج دراساته في كتاب (دي ماجنيتي De Magnete) الذى تضمن تفاصيل كل الصفات الكيفية الهامة للمغناطيس . وكان جالبرت هذا من المؤمنين بنظام كبرنيق للعالم والمتحمسين له ، وكم كان يتمنى أن تفسر القوى التى تبقى على الكواكب فى أفلاكها من حول الشمس على زعم أنها من قوى التجاذب المغناطيسى . ولكى يتمكن من دراسة هذه المسائل عن كثب ، عمد إلى صنع كور من الماغنيتيت (خام الحديد المغناطيسى) ، ثم راح يدرس المجال السائد حولها باستخدام إبر مغناطيسية صغيرة (بوصلات) موزعة على نقاط مختلفة موجودة على أبعاد متباينة من حول الكور ، فوجد أنه عند نقطة بالذات على سطح الكرة يبلغ التجاذب أقصى حد له بالنسبة لطرف معين من أطراف الإبرة . وعند النقطة التى تقابلها على جانب الكرة الآخر يبلغ التجاذب أقصى قيمة له بالنسبة للطرف الثانى للإبرة . كما أن الإبرة تأخذ دائماً اتجاهًا خاصًا عند ما توضع عند أى نقطة على الكرة ، هذا الاتجاه تعينه الدائرة العظمى التى تصل بين نقطتى أقصى التجاذب ، أو قطبي الكرة المغناطيسية . ولا يختلف هذا فى شيء عن الأوضاع التى تأخذها إبرة البوصلة فى جهات متفرقة من الأرض ، مما حمل جالبرت على اعتبار الكرة الأرضية بمثابة المغناطيس الهائل الذى يقع قطباه غير بعيد عن القطبين الجغرافيين الشمالى والجنوبى . وظلت هذه الفكرة قائمة خلال أجيال برمتها ، وعندما

توسع في دراستها رياضياً عالم الرياضة الألماني العظيم كارل فريدريك جاوس تمخضت دراساته في عصرنا هذا عن الفكرة الأساسية للمغناطيسية الأرضية . على أننا نجد من ناحية أخرى أن محاولات جالبرت لجعل القوى المغناطيسية مسئولة عن دوران الكواكب من حول الشمس قد باءت بالفشل والخذلان، وحتى لم يمحض عليها أكثر من نصف قرن حتى فسر نيوتن ذلك الدوران بقوى الجاذبية العالمية ، التي لا صلة لها بالمغناطيسية .

وخلال المدة التي فرغ فيها نيوتن من بلورة آرائه الخاصة برباط الجاذبية العالمية ، وظل يحتفظ بسرّها ، حاول عالم الفيزياء الألماني أوتوفون جرك، الذي اشتهر بتجاربه المعروفة باسم أنصاف كرات مجذبورج (تجارب على نصفي كرتين مفرغتين من الهواء) وموضوعتين معاً ، ولم يكن في مقدور مجموعتين من الخيل جرهما وفصلهما ، وعمل على تفسير التجاذب المتبادل بين الكواكب والشمس عن طريق القوى الكهربائية . ورغم أنه أخفق في عمله هذا ، تماماً كما أخفق زميله جالبرت في محاولته ، إلا أنه توصل إلى كشوف عديدة هامة تتعلق بصفات الشحنات الكهربائية وخصائصها . وقد وجد أنه بينما يجذب الكهرمان ويأثقل الأجسام الخفيفة التي على غرار قطع الورق الصغيرة ، فإن أي جسمين خفيفين عند ما يلمسان الكهرمان يتنافران . وتوصل كذلك إلى أنه يمكن نقل الشحنة الكهربائية من جسم إلى آخر ، ولا يستدعي ذلك ضرورة الاتصال المباشر ، ولكن يكفي توصيلهما بحبل مندى بالماء ، ويفضل هذا الوضع توصيلهما بسلك معدني . وعند ما واصل دي فاي دراسات الظواهر الكهربائية خلال القرن الثامن عشر توصل إلى اكتشاف وجود نوعين من الكهربائية : نوع يتولد عن طريق ذلك الكهرمان ، والشمع الأحمر ، والمطاط الصلب ، وغيرها من مواد راتنجية أو قلفونية ، ونوع يتولد بذلك المواد الزجاجية التي على غرار الزجاج والميكا ، وأطلق على هذين النوعين من السيل الكهربائي اسم (الراتنجية) و (الزجاجية) ، كما توصل إلى معرفة أن الشحنات الكهربائية المتجانسة تتنافر ، في حين تتجاذب الشحنات المختلفة . وكان المعتقد أن الأجسام التي في حالة التعادل الكهربائي تحتوى على مقدارين متزيين من نوعي السيل الكهربائي ، في حين تحتوى الأجسام المشحونة بالكهرباء على مزيد من

الكهربية (الزجاجة) أو (الراتنجية) . وعند ما شاهد أوتوفون جريك هذه الظواهر لأول مرة فسرهما كتفاعل بين نوعي السيل الكهربى . فمثلا عندما ندلك كرة من المطاط الصلب حتى يتم شحنها بالكهربية الراتنجية ، ثم نقرب منها جسما صغيراً غير مشحون (يتعادل فيه نوعا الكهربائية) ، فإن كهربيته الراتنجية تندفع بعيداً إلى طرف الجسم البعيد ، على حين تنجذب كهربيته الزجاجية إلى الطرف القريب . ولما كان التفاعل الكهربى بين النوعين يتناقص بازدياد المسافة . فإن قوى التجاذب التى تؤثر على الشحنات الزجاجية تكون أكبر من قوى التنافر الواقعة على الشحنات الراتنجية ، وتتمخض مجموعة هذه القوى عن تجاذب بين الجسمين . وعندما نستبدل بكرة المطاط الصلب أخرى من الزجاج ، نحصل على نفس النتيجة ، مع وضع الشحنات الراتنجية مكان الشحنات الزجاجية . وهكذا نجد أن الأجسام المتعادلة كهربياً تجذبها دائماً الأجسام المشحونة . وتعرف ظاهرة فصل الشحنتين من جسم متعادل أصلاً باسم « الاستقطاب » الكهربى أو « التأثير » ، فعندما نلمس جسماً كبيراً مشحوناً بالكهربية بجسمين صغيرين ، فإنه يتم شحنهما بنوع واحد من الكهرباء وعلى ذلك يتنافران عند أبعادهما .



شكل (٥ - ١)

(١) الكشاف الكهربى (ب) زجاجة ليدن

ولقد تم اختراع جهازين كهربيين هامين خلال تطور دراسة هذه الظواهر

الكهرية هما : الكشاف الكهربى ذو الورقتين ، وزجاجة ليدن . وتم بناء الكشاف الكهربى - شكل (٥ - ١) - ، أى الجهاز الذى يبين وجود الشحنة الكهرية لأول مرة عام ١٧٠٥ على يد هوكيسبي ، وكان يتكون من عودين هشين من القش أو التبن ، يعاقدان جنباً إلى جنب فى الطرف الأسفل لقضيب معدنى . وعند ما يشحن القضيب بنوع من الكهرباء (الزجاجية) أو (الراتنجية) ، تنتقل هذه الشحنة المتجانسة إلى عودى القش أو التبن فيتنافران . ونحن ما زلنا نستخدم هذا الجهاز فى عصرنا هذا ، مع إبدال عودى القش بأوراق من الذهب أقل وزناً بكثير منها . وكان الغرض من تصميم زجاجة ليدن ، التى صنعت عام ١٧٤٥ بمعرفة جماعة من علماء جامعة ليدن (بهولندا) ، هو الحصول على مقادير هائلة من الكهرية . وكانوا يصنعونها من أسطوانة عادية من الزجاج ، يغطى سطحها الداخلى والخارجى بأوراق الفضة الرقيقة .

وعند ما يوصل غطاء الفضة الخارجى بالأرض ، على حين يوصل الغطاء الداخلى بجسم مشحون ، والعكس بالعكس ، تحاول الكهرباء (سواء أكانت من النوع الزجاجى أم الراتنجى) التسرب إلى الأرض ، إلا أن طبقة الزجاج تحول دون حدوث ذلك ، وبذلك يتم تجميع مقادير هائلة من الكهرية فى الجهاز ، ويمكن الحصول على شرارات قوية عند توصيل أوراق الفضة الداخلية بطبقة الأوراق الخارجية بوساطة سلك معدنى . ولقد تم تطوير زجاجة ليدن القديمة فى هذا العصر إلى عينات متباينة من المكثفات ، التى تتكون من عدد وفير من الألواح المعدنية التى تفصل بينها طبقات رقيقة من الهواء أو الزجاج أو الميكا . وتستخدم مثل هذه المكثفات التى يمكن أن تخزن مقادير هائلة من الكهرباء ، فى شتى مجالات الفيزياء وفنون الكهرباء . ونذكر على الأخص من هذه المجالات أن أول محط للذرة ، الذى شيد عام ١٩٣٠ فى جامعة كمبردج على يد چون كوكروفت و لم . ت . س . والتون ، كان يتكون من بطارية من مثل هذه المكثفات تشحن إلى مليون فولت .

وعندما تفرغ المكثفات خلال أنبوبة من الزجاج تحتوى على غاز الأيدروجين ، كانت تحدث « قذائف ذرية » لها من الطاقة العالية ما يمكنها من قذف ذرات

الليثيوم التي في الهدف الموجود في طرف من أطراف الأنبوبة وشطرها إلى نصفين اثنين .

وتنتمى لنفس تلك الحقبة من الزمان أعمال السياسى والكاتب الأمريكى العظيم بنيامين فرانكلين ، الذى اجتذبه علوم الفيزياء عند ما اكتمل نضجه الفكرى في الأربعين من عمره ، ولم يقنع بتلك الشرارات الصغيرة التى يمكن الحصول عليها بذلك الحف بوساطة رداء من الفرو مثلاً ، ورغب فى التسلى بشرارات أكبر من ذلك بكثير ، على غرار تلك التى كان زيوس يقذف بها من السحب خلال عواصف الرعد . ولذلك عمد إلى إرسال الطيارات* إلى السحب الركامية التى يتولد فيها الرعد لكى يجمع منها ما يشاء من الكهرباء . وكان الحبل الذى تشد إليه الطيارة يقوم مقام الموصل الجيد للكهربية ، فاستطاع أن يشحن بها زجاجة ليدن ، وأن يستخلص منها بعد ذلك الشرارات الكهربائية . ولقد أكسبته دراساته التى جمعها فى كتابه (تجارب وأرصاء الكهرباء التى أجريت فى فيلادلفيا بأمريكا - ١٧٥٣) الفوز بعضوية المجمع الملكى بلندن ، وكذلك الانتساب إلى الأكاديمية العلمية الملكية بباريس . ورغم ما صادفه من نجاح بتحديه لزيوس فى تجاربه على هذا النحو ، نجد أنه لم يوفق تماماً فى دراساته النظرية المتعلقة بتفسير الظواهر الكهربائية عند ما أدخل الفرض القائل بعدم تعدد نوع السيل الكهربى . فقد ذهب إلى أن الكهربائية « الزجاجية » هى النوع الوحيد الذى يمثل هذا السيل ، وأن الاختلاف فى نوعى الشحنة إنما ينجم عن الزيادة أو النقص فى ذلك السيل الذى لا تدركه الأبصار . وعلى هذا الأساس كان يسمى الجسم المحتوى على المزيد من الكهربائية (الزجاجية) - كما يحدث عند ذلك عصا من الزجاج - باسم الجسم الموجب الشحنة ، كما كان يسمى الجسم الذى ينقصه جانب من هذه الكهربائية - كما يحدث عند ذلك عصا من المطاط - باسم الجسم السالب الشحنة . وعند ما يتصل جسمان يتميز أحدهما بالمزيد من السيل الكهربى بينما يتميز الثانى بالنقص فى هذا السيل (الجامعة الزجاجية) ، فإنه من اللازم أن يسرى التيار الكهربى من الجسم الأول حيث يوجد منه المزيد إلى الجسم الثانى حيث يعم النقص . ولقد حدث أفكار بنيامين فرانكلين هذه بالعلماء وقادتهم إلى اتخاذ التسمية الحديثة التى يقولون

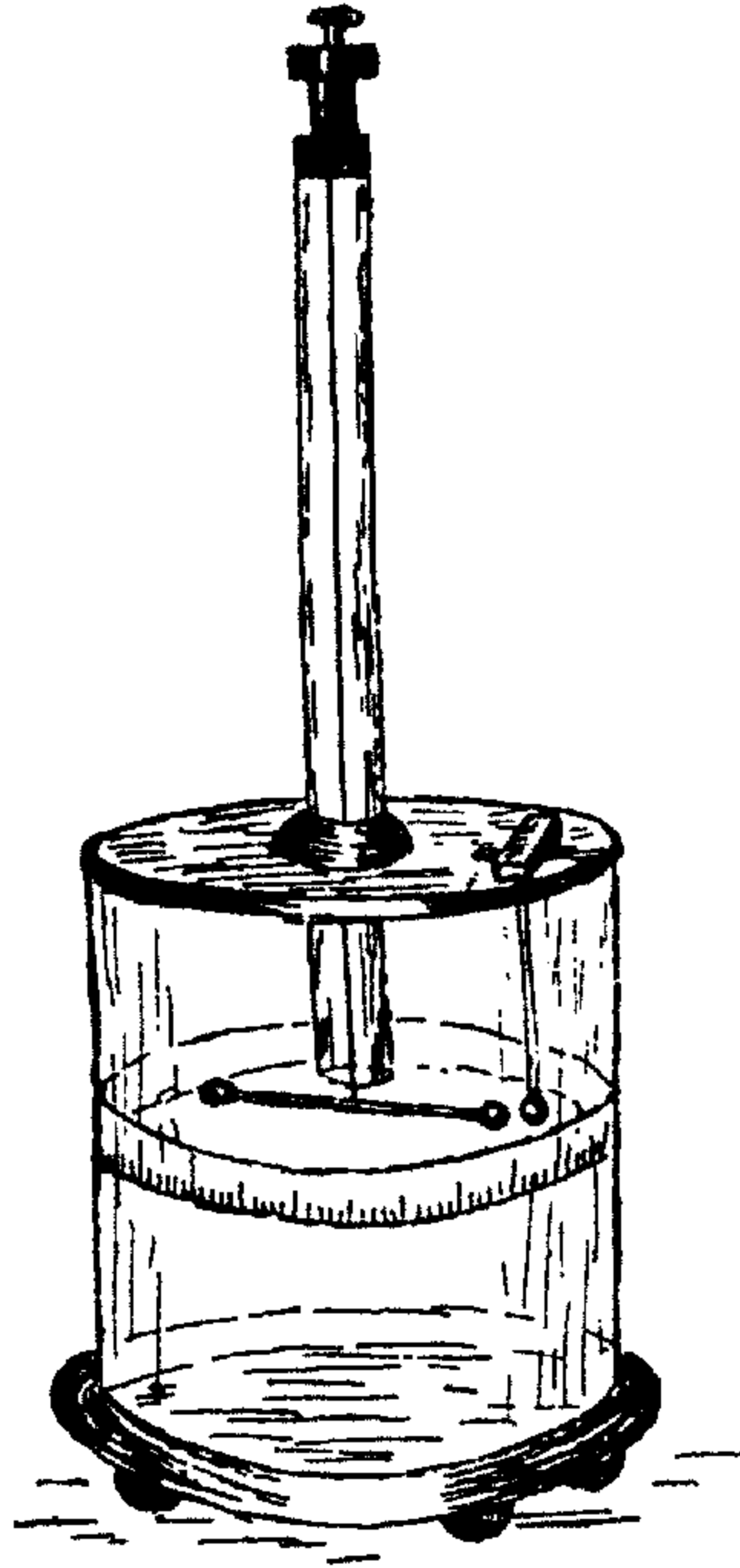
* لاحظ أن الطيارات غير الطائرات ، فهى ما يلهو به الصبية ويشدونها بالحبال . (المترجم)

فيها إن التيار إنما يسرى من القطب الموجب (الأنود) أو المصعد إلى القطب السالب (الكاثود) أو المهبط . ونحن في عصرنا هذا نعرف تماماً أن رأى دى فاى الخاص بوجود نوعين من السيل الكهربي هو رأى أقرب للحقيقة والصواب من رأى فرانكلين ، رغم أن الموقف هو في الواقع أكثر تعقيداً بكثير عن تلك الصور التي رسمها كل منهما . فهناك جسيمات موجبة الشحنة ، كما أن هنالك جسيمات أخرى شحناتها سالبة ، ويقابل كل جسيم يحمل شحنة طبيعية موجبة أو سالبة - جسيم آخر (من المادة المضادة) يحمل شحنة معتادة مضادة . ومهما يكن من شيء فإن فرانكلين كان أقرب للحقيقة في حالة التيار الكهربي الذي يسرى في الأسلاك ، حيث إن انتقال الكهرباء إنما ينجم إجمالاً عن حركة الكهارب (الإلكترونات) ، إلا أن هذه الكهارب تحمل معها كهربية (راتنجية) وليست (زجاجية) . ونحن نسمع أحياناً في هذا العصر بعض الآراء التي تنادى بتغيير اسم الكهربية الموجبة والسالبة بحيث يطابق الاتجاه التقليدي للتيار من + إلى - من شتى الوجوه الاتجاه الذي تتحرك فيه الكهارب (الإلكترونات) ، وعلى أية حال إذا ما تم ذلك فإن محطمت الذرة ، التي تقذف بروتونات طاقاتها عالية في الأهداف الذرية ، يصيبها بعض المتاعب ، فبدلاً من أن ينطلق التيار الكهربي من محطم الذرة يكون عليه أن ينساب إليه قادماً من الهدف . كما أنه في حالة السوائل ، حيث تحمل الكهرباء بمقادير متساوية بوساطة الأيونات الموجبة والسالبة التي تتحرك في اتجاهين متضادين ، لن يعيننا هذا التغيير في التسمية على تفهم الأمور وتتبعها بحال من الأحوال .

قانون القوى الكهربائية والمغناطيسية

وفي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر استخدم كثير من البلاد علماء الفيزياء في الدراسة الكمية للقوى الكهربائية والمغناطيسية . ومن أوائل الكشوف الهامة التي ظهرت في هذا الميدان ما تم على يد عالم الفيزياء الفرنسي شارل أوجستين كولوم ، مكتشف « ميزان اللي » الذي يستخدم في قياس القوى الضعيفة جداً . وكما نرى في شكل (٥ - ٢) الذي يمثل جهاز كولوم هذا ، يتكون الميزان من قضيب

خفيف يعلق في طرف خيط رفيع طويل ، وتوجد في طرفي القضيب كرتان متزنتان ، وعندما لا تتعرض الكرتان لتأثير أى قوى خارجية يأخذ القضيب اتجاهاً خاصاً يستقر فيه . وعند ما تشحن كرة منهما بالكهرباء ثم تقرب منها كرة أخرى مشحونة ،

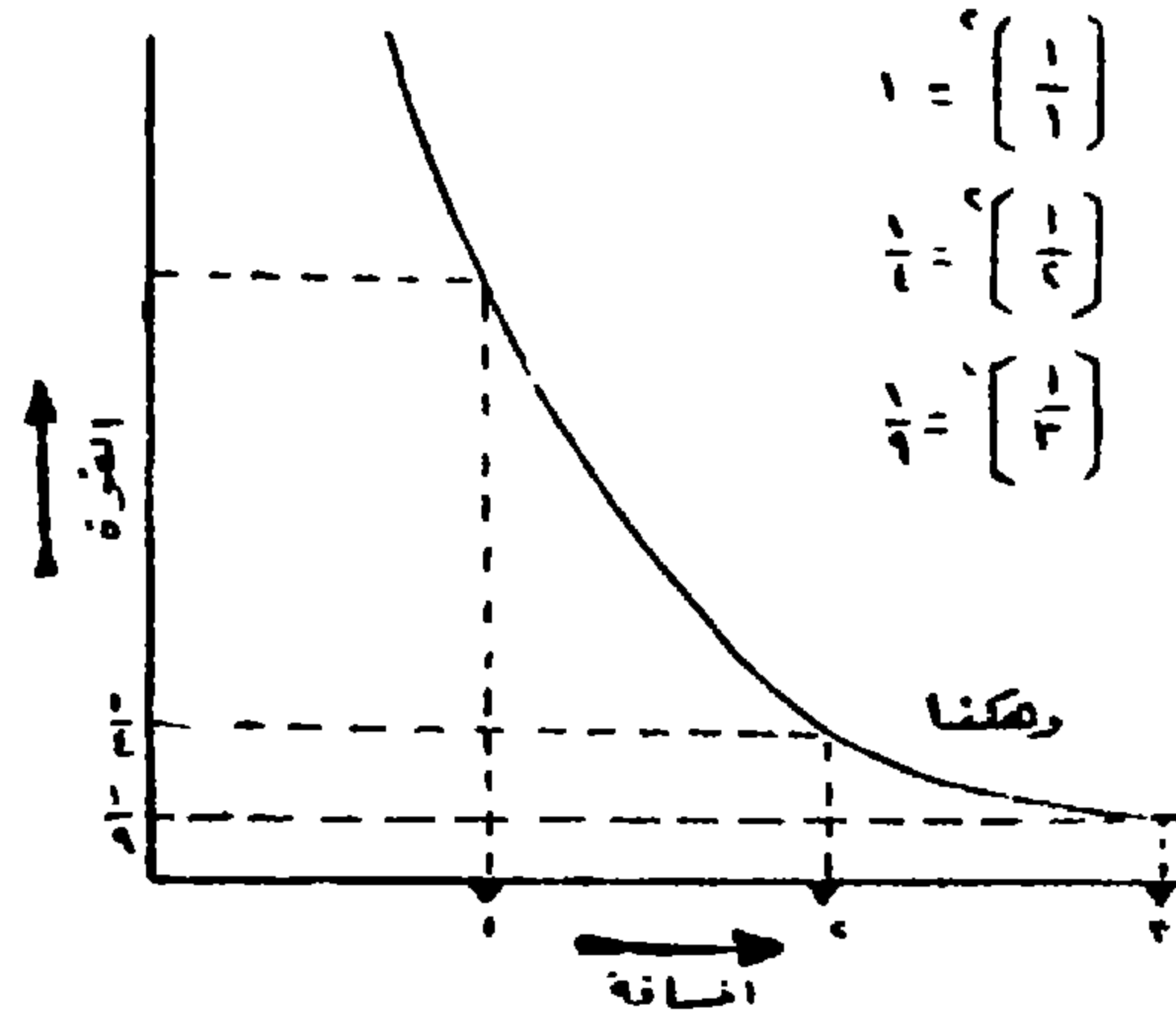


شكل (٥ - ٢)

ميزان اللى لكولوم

ترغم القوى الكهربائية (المؤثرة في الكرة المتحركة) وتجبر القضيب على اللف والدوران حول نقطة التعليق حتى يتم التوازن بين هذه القوة المؤثرة وقوى اللى في الخيط . ولما كان الخيط رفيعاً جداً فإن أى قوة مهما صغرت قيمتها عند ما تؤثر في الكرة تحدث انحرافاً كبيراً في وضع القضيب ، وتناسب زاوية الانحراف هذه طرداً مع القوة المؤثرة . ولقد استطاع كولوم عن طريق شحن الكرات المتحركة والكرات الثابتة بمقادير متغيرة من الكهربائية ، وكذلك عن طريق تغيير المسافات بينها ، أن يتوصل إلى القانون الذى يحمل اسمه ، والذى يقول إن قوى التجاذب والتنافر الكهربى تتناسب تناسباً طردياً مع حاصل ضرب الشحنتين ، وتناسباً عكسياً مع

مربع المسافة بينهما - شكل (٥ - ٣) - وباستخدام هذا القانون يمكن تعريف وحدة شحنة الكهرباء الستاتيكية (أى الساكنة) ، وهى التى تسمى (الكتروستاتيك) بأنها الشحنة التى تؤثر بقوة تساوى «داين واحد» على شحنة أخرى مساوية لها وموضوعة على بعد سنتيمتر واحد منها . ولكننا فى حياتنا العملية نستخدم وحدة أكبر من ذلك بكثير للتعبير عن الشحنة الكهربائية ، هذه الوحدة هى (الكولوم) ، وهى تعادل ثلاثة بلايين ضعف الوحدة الكهربائية الستاتيكية التى عرفناها سابقاً . وعند ما استخدم كولوم نفس ميزان اللى هذا ، وعلق فى الحيط قضيباً مغناطيسياً ، ثم ثبت مغناطيساً آخر فى وضع رأسى وفى أعلى الغطاء ، استطاع كولوم أن يثبت أن نفس هذا القانون يسرى أيضاً فى حالة القوى المغناطيسية . وعلى هذا الأساس أمكن تعريف (وحدة التغطس) بأنها شدة القطب المغناطيسى الذى يجذب أو يطرد قطباً آخر مساوياً له فى الشدة وعلى بعد سنتيمتر واحد منه بقوة تساوى «داين واحد» .



شكل (٥ - ٣)
رسم بيانى لقانون كولوم

وفى حدود تلك الفترة كذلك عاش فى إنجلترا شخص على جانب كبير من العزلة والنسك ، يقال له هنرى كافندش (ابن أمير بريطانى) ، فلم يكن له أصدقاء مقربون ، كما كان يخشى النساء ، أما الخادومات اللاتى كن يعملن فى بيته الفسيح فى أحد أجزاء لندن المسمى (كلاقام كومون) فكن يؤمرن بعدم التعرض له أو الظهور أمامه ، وكان يصدر إليهن تعليماته الخاصة بوجبات طعامه

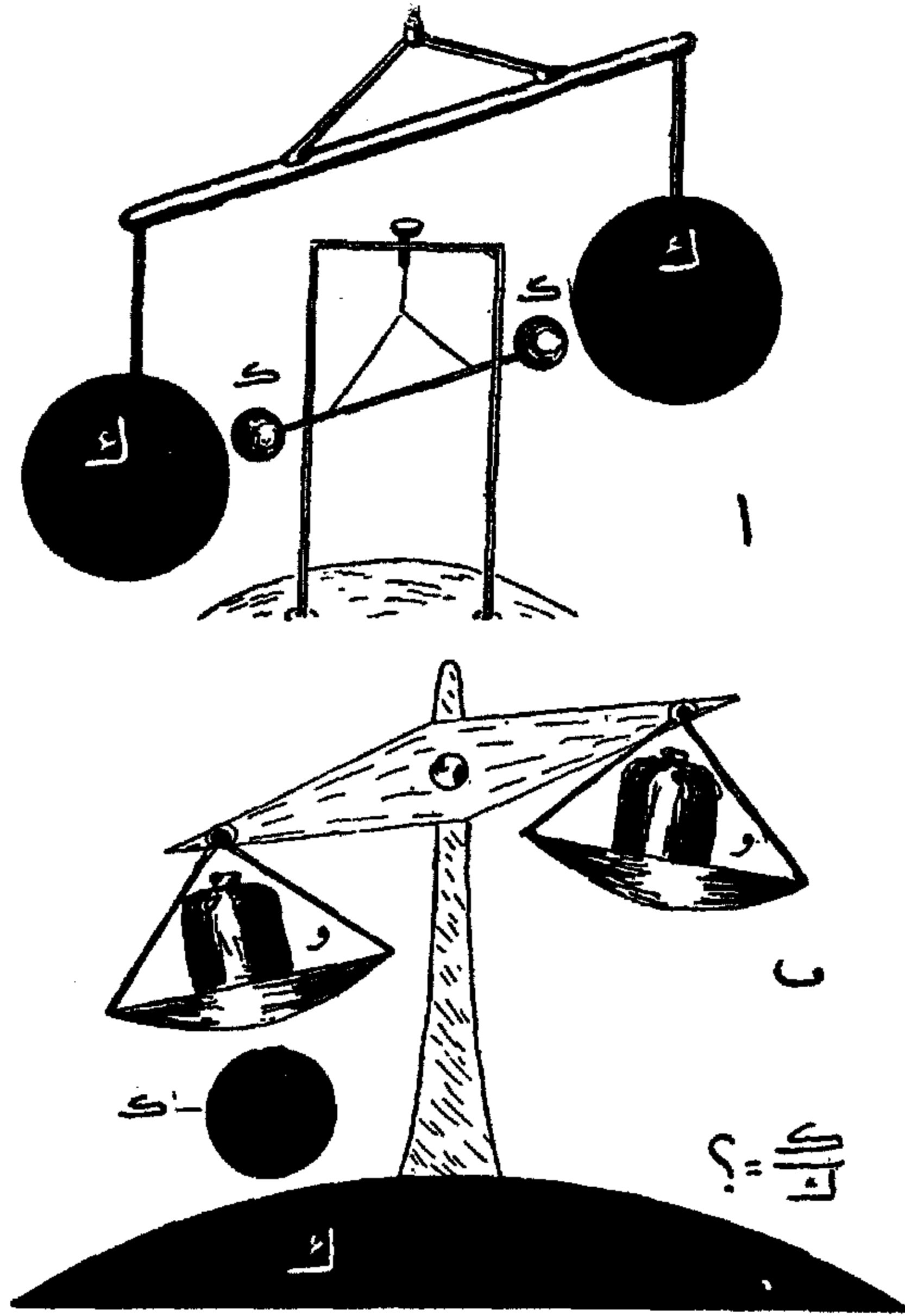
عن طريق وريقات يكتبها ويتركها على المنضدة الموجودة بهو المنزل . ولم تكن تستهويه الموسيقى ولا يغويه الفن بحال من الأحوال ، وأمضى جميع وقته في إجراء تجارب الفيزياء والكيمياء في معمل خاص بمسكنه الفسيح . ولم يكن يكدر صفو هدوئه وعزلته في عمله سوى الجولات التقليدية للأغراض الصحية ، وحضوره من آن لآخر حفلات غداء نادى الجمعية الملكية ، لكى يقف على ما يفعله غيره من المشتغلين بالفيزياء والكيمياء . ولم تنشر خلال حياته الطويلة (مات في التاسعة والسبعين) سوى حفنة من الأوراق التى ليس لها أهمية تذكر . ولكن بعد موته عثر في حسابه في البنك على ما يقرب من مليون جنيه استرليني ، وعشرين حزمة (رزمة) من المذكرات العلمية في معمله . وبقيت تلك المذكرات في حوزة أقربائه مدة طويلة ، ولكن عندما نشرت ، بعد مضى نحو مائة سنة من ذلك التاريخ ، وضح تماماً أن هنرى كافندش كان واحداً من كبار رجال العلوم التجريبية الذين ظهروا على الأرض . فقد أباط اللثام عن جميع قوانين القوى الكهربائية والمغناطيسية في نفس الوقت الذى كشفها فيه كولوم ، وتعادل أعماله في الكيمياء ما أنتجه لافوازييه . وبالإضافة إلى كل هذا استخدم ميزاناً من أجل دراسة قوى الجاذبية الضئيلة إلى أقصى حدود الضآلة ، على غرار تلك التى تؤثر بين الأجسام الصغيرة ، وتوصل على أساس هذه التجارب إلى تعيين قيمة صحيحة لكتلة الأرض - شكل (٥ - ٤) . ورغم أن اسمه لم يطلق على أى وحدة من الوحدات المستخدمة في الفيزياء ، فإن معمل كافندش بجامعة كمبردج هو من أشهر مراكز الدراسات العلمية في العالم .

رعدة أو هزة من ثعبان الماء المكهرب

كان أهالى أفريقيا وأمريكا الجنوبية منذ أمد طويل يألّفون نوعاً من أنواع سمك الأنهار الاستوائية، يسبب لمن يمسكه بيده هزة ألّيمة . وفي أواسط القرن الثامن عشر أحضرت سفينة بريطانية إلى لندن عينات عديدة من هذه الأسماك ، وراح علماء الحياة يدرسونها فوجدوا أن الهزة إنما تحدث فقط عند لمس مقدمة رأس السمكة

أو الجانب السفلى من جسمها باليد . واستعادت هذه الحقيقة والشعور الذي تحدثه الهزة ذكر عمل زجاجة ليدن . التي كانت قد اكتشفت آنثذ - وأطلق على السمكة اسم خلية الكهرباء (سيريس الكترونكس sirius electronicus) . وعند ما ثبت أن تلك السمكة يمكن أن تشحن زجاجة ليدن لم يبق هناك شك في أن المسألة عبارة عن تفريغ كهربى . ولقد أثارت الكهربائية التي تولدها السمكة اهتمام عالم الفيزياء الإيطالى لوجى جلفانى ، الذى كان منكباً على دراسة تقلص عضلات سيقان الضفدعة ، التي يطيب تقديمها في مطاعم بولونيا . وتقول الرواية إنه لاحظ مصادفة أن سيقان الضفدعة التي يقدمونها في تلك المطاعم ، وكانت معلقة في خطافات من النحاس مثبتة على القضبان الحديدية لشرفته ، تهتر كأنما قد دبت فيها الحياة كلما لمست القضبان الحديدية ، وعند ما حاول جلفانى التثبت من ذلك « تحت حالات يمكن التحكم فيها » أجرى تجربة أدرجت بتاريخ ٢٠ من سبتمبر عام ١٧٨٦ في مذكرة معمله ، استخدم فيها شوكة لها شعبة من حديد وشعبة من النحاس في لمس عصب وعضل ساق الضفدعة ، وفي كل مرة لاحظ سرعة تقلص الساق ، فتبين جلفانى أن هذه الظاهرة تحكى الهزة أو الرعشة التي تسببها الخلية الكهربائية . ومهما يكن من شيء فقد أخطأ تماماً في رأيه هذا ، وسرعان ما أثبت صديقه عالم الفيزياء الإيطالى الساندرو فولتا أن أصل التيار الكهربى الذى يسبب تقلص ساق الضفدعة ظاهرة غير عضوية بتاتاً ويمكن مشاهدتها دائماً ، وذلك عند وضع طرفى سلك مكون من سلكين ملحومين معاً أو غمسهما في محلول ملح في الماء ، وأطلق فولتا على هذه الظاهرة اسم (جلفانزم galvanism) أو الجلفنة تكريماً وتشريفاً لقلد صديقه العالم الفسيولوجى ، وشيد ما يطلق عليه اسم « عمود فولتا » باستخدام عدد وفير من أزواج صفائح النحاس والحديد أو النحاس والزنك بعضها فوق بعض ويفصل بينها طبقات من القماش المندى في محلول الملح . ولم يكن (عمود فولتا) هذا سوى النموذج الأول للبطاريات الكهربائية الحديثة التي نستخدمها في الإضاءة وفي غيرها من الأمور .

وفي عام ١٨٠٠ بعث فولتا بأصول بحثه التي يصف فيها كشوفه ومخترعاته إلى جمعية



شكل (٥ - ٤)

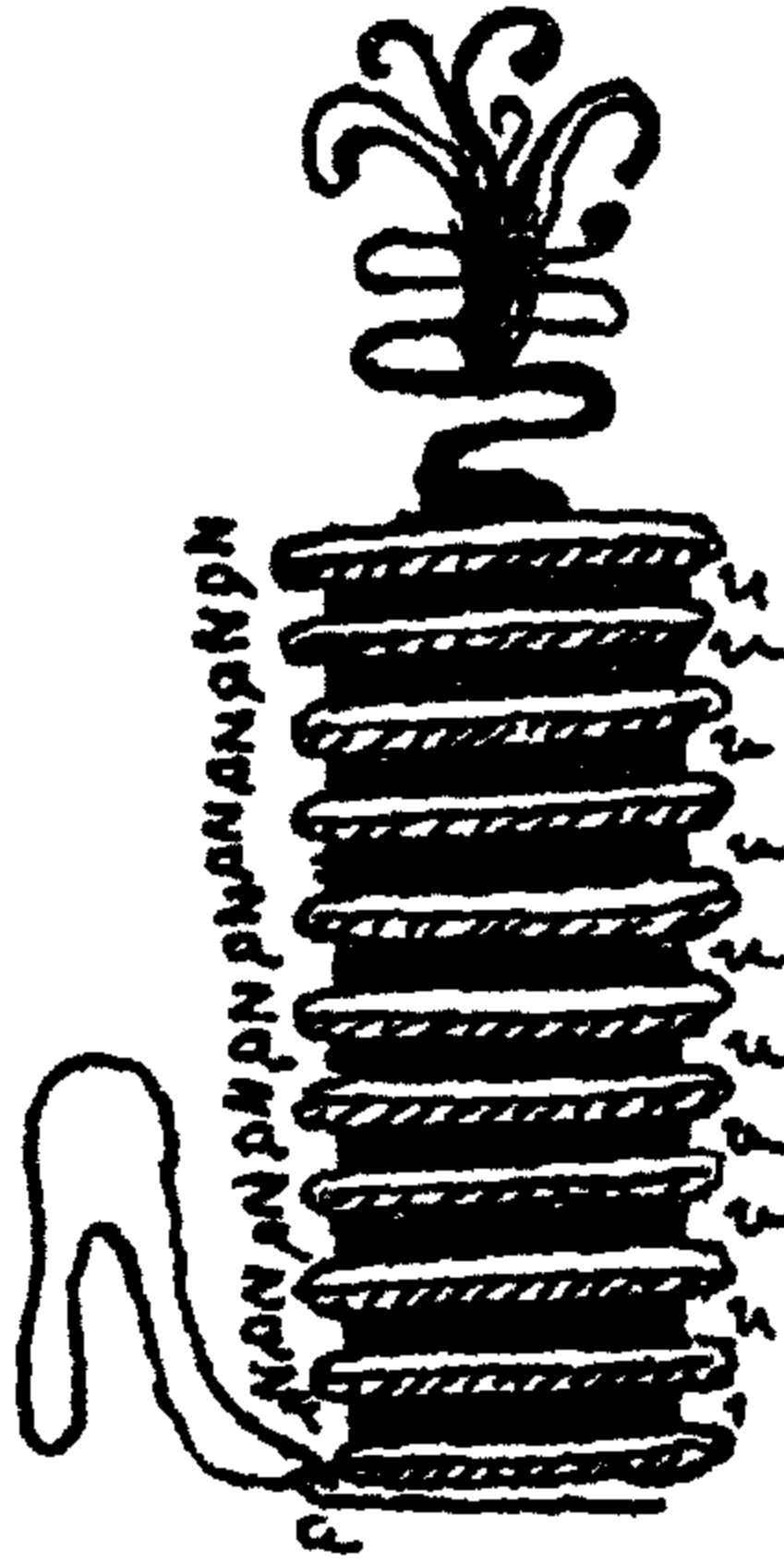
كان جهاز كافندش لقياس الجاذبية الأرضية يشابه جهاز كولوم لقياس القوى الكهربائية .
 فعند تغيير وضع كتلتين كبيرتين ك معلقتين في السقف (ا) يمكن رصد إزاحة كتلتين
 صغيرتين في خيط رفيع جداً . ويبين (ب) طريقة كافندش المنقحة . فعندما تكون الكتلتان (و)
 في حالة توازن تحت تأثير الجاذبية الأرضية (كتلة الأرض هي ك) ، نجد أنهما تتحركان عند وضع
 الكتلة الإضافية ك تحت كتلة منهما .

لندن الملكية ، وقد كانت بمثابة المركز العالمي لتبادل الآراء العلمية . ونجده
 يقول في بحثه هذا :

نعم إن الجهاز الذي أحدثكم عنه ، والذي من غير شك سوف يثير دهشتكم ،
 ما هو إلا مجموعة من الموصلات الجيدة المختلفة الأنواع ، مرتبة بطريقة معينة ،
 ومكونة من ٣٠ إلى ٤٠ أو ٦٠ قطعة أو أكثر من النحاس ، وتفضله الفضة ،
 كل قطعة منها موضوعة فوق أخرى من القصدير أو الصفيح ، ويفضلها بكثير

الزنك ، مع عدد متساو من طبقات الماء ، أو أى سائل آخر مائى يفضل الماء النقى فى توصيله للكهرباء ، كمحلول ملح الطعام أو ما على شاكلته ، أو حتى قطع من الورق المقوى أو الجلد ، أو ما على شاكليهما ، بعد تنديتها جيداً بتلك المحاليل . وتفصل مثل هذه الطبقات بين كل زوج مكون من معدنين مختلفين فى المجموعة ، بشرط أن تتابع هذه الأزواج مرتبة بنفس ترتيب أنواع هذه الموصلات الثلاثة ، وهذا هو كل ما يتركب منه جهازى الحديد الذى يحكى فى فعله وأثره نفس الأثر الذى ينجم عن زجاجات ليدن كما قلت ، أو نفس الأثر الذى توفره البطاريات الكهربائية ، فيعطى نفس الهزات إلا أنه فى الحقيقة يظل أقل نشاطاً بكثير من البطاريات المذكورة عند شحنها بدرجة كبيرة ، من حيث شدة وصوت الفرقعات ، والشرارة ، والمسافة التى يمكن أن يحدث التفريغ خلالها وهكذا . . . وهو يعادل فقط فعل البطارية المشحونة لدرجة منخفضة تماماً ، أو فعل البطارية التى لها سعة عظيمة جداً ، إلا أنه إلى جانب ذلك يتفوق عليها إلى أقصى حد من حيث الفكرة والقوة : فهو لا يحتاج إلى شحنة كهربية خارجية كما هو الشأن فى البطاريات ، وهو قادر على إحداث هزة حينما يلمس مهما تعددت هذه اللمسات . . . ولسوف أسرد لكم هنا المزيد من وصف هذا الجهاز ، وبعض الأجهزة الأخرى ، بالإضافة إلى أهم التجارب وأجدرها المتصلة بهذه الأجهزة . ويعطى شكل (٥-٥) رسمه الأصيل الذى مثل به ركام الصفائح .

وصادفه بعد ذلك سوء حظ عظيم ، فإن السيدين كارليل ونيكولسون ، وقد كانا مسئولين عن مطبوعات الجمعية الملكية ، حفظا أصل الرسالة ، وأعادا إجراء تجربة قولتا ، ثم نشرا النتائج باسميهما ، إلا أن هذه الحيلة لم تفلح ، لأن نتائج تجارب قولتا كانت قد عرفت عن طريق مصادر أخرى عديدة ، وحوكم كل من كارليل ونيكولسون بتهمة سرقة تأليف الغير ، وانتهى أمرهما وراحا فى طى النسيان . واليوم تخلد ذكرى اسم هذا العالم الإيطالى بجهاز (عمود قولتا) ، و(القولت) الذى اتخذ وحدة لقياس فرق الجهد الكهربى . وفرق الجهد هذا هو الذى يعين لنا حدود أو درجة تكهرب أى جسم ، فعندما يكون لدينا مثلاً موصل كهربى ضخم على هيئة كرة عملنا على شحنه بقدر معين من الكهرباء ، ثم رغبتنا فى زيادة شحنته



شكل (٥ - ٥)

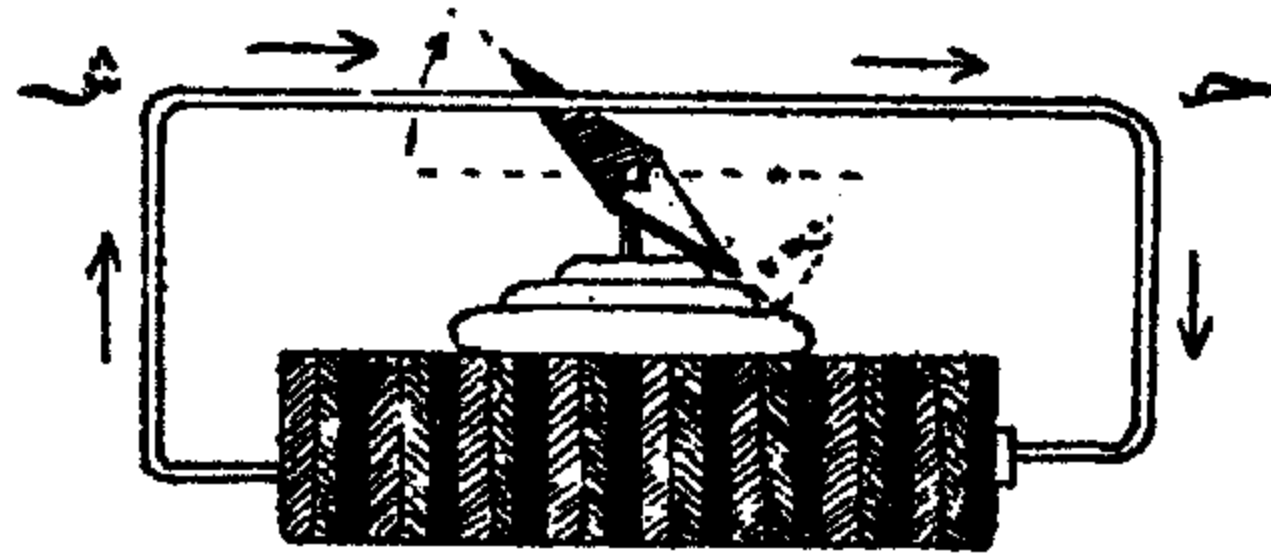
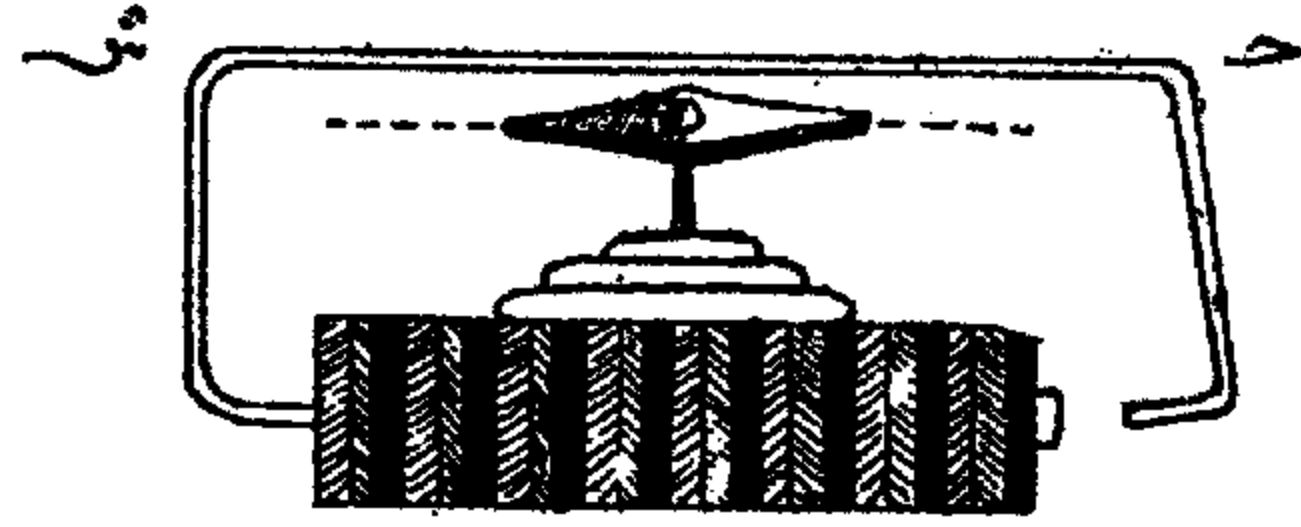
عمود فولتا

هذه ، فإننا نستطيع إنجاز ذلك بأن نعمل إلى كرة صغيرة من المعدن مشحونة بقدر معين من الكهرباء ، ومحمولة بوساطة ذراع مصنوعة من مادة عازلة ، ومثبتة على مسافة من الكرة الكبيرة (يلزم أن تكون هذه المسافة لا نهائية من الوجهة النظرية) ، ثم نقرّبها حتى تمسّها ، فنظراً لما يحدث من تنافر بين الكرتين (كما وجد كولوم) ، نجد أنه يكون من الواجب علينا أن نبذل إقْدراً معيناً من الشغل من أجل الوصول بالكرتين إلى هذا التماس . ويسمى الشغل اللازم بذله من أجل زيادة شحنة الكرة الكبرى بمقدار الوحدة الكهربائية باسم جهدها الكهربى ، ونحن عندما نقيس الشحنة بالكولوم والشغل بالجول ، يكون الجهد الكهربى مقدّراً أو مقيساً بالفولت .

الكهر ومغناطيسية

رغم أنه لم يكن بد من أن يشعر الدارسون الأولون للظواهر الكهربائية والمغناطيسية بوجود علاقة قوية تربط بين هذه الظواهر فإنهم لم يوفقوا إلى تحديد معالم تلك العلاقة ، فالشحنات الكهربائية لم يكن لها أدنى أثر فى المغناطيسات (كالقضبان المغناطيسية) ، كما أن هذه المغناطيسات لم تكن بدورها تؤثر فى الشحنات الكهربائية .

ويرجع فضل الكشف عن الصلة القائمة بين الكهربائية والمغناطيسية لعالم الفيزياء الدانماركي هانز كريستيان ارستد ، الذى حين سمع عن أعمال فولتا بادر ببناء ركام كهربى خاص به ، أجرى بوساطته تجارب مختلفة .



شكل (٥ - ٦)

اكتشاف ارستد للفعل الذى يحدثه التيار الكهربى على المغناطيس

وفى ذات يوم من عام ١٨٢٠ ، عند ما كان ارستد ذاهباً لإلقاء محاضراته فى جامعة كوبنهاجن خطرت له فكرة فحواها أنه رغم أن الكهربائية الستاتيكية لا تؤثر فى المغناطيسات بأى طريقة من الطرق ، فربما يختلف الأمر عند ما يدرس تأثير الكهربائية المتحركة فى السلك الموصل بين قطبي عمود فولتا . وعند ما وصل إلى قاعة المحاضرات التى كانت تعج بالعديد من الطلبة ، وضع ارستد على منضدة المحاضرات جهاز فولتا الذى فى حوزته ، ثم وصل طرفيه بسلك من البلاتين وقرب منه إبرة مغناطيسية ، فلاحظ أن هذه الإبرة ، التى يجب بطبيعتها أن تتجه من الشمال إلى الجنوب ، دارت حول محورها حتى استقر وضعها فى اتجاه متعامد على السلك - شكل (٥ - ٦) - ولم تثر تلك النتيجة اهتمام جمهور الطلبة ، إلا أن ارستد اهتم بها ، فبقى فى الغرفة بعد انتهاء المحاضرة ، وحاول التحقق من تلك الظاهرة غير الطبيعية التى اكتشفها . وكان أول ما خطر بباله أن سبب تلك الحركة ربما يكون

هو تيارات الهواء المنطلقة من حول السلك نتيجة تسخينه بمرور التيار الكهربى فيه . ولهذا عمد إلى وضع قطعة من الورق المقوى بين السلك والإبرة ، أمكنه بها وقف التيارات الهوائية ، إلا أن ذلك لم يغير من الوضع فى شىء ، وبعد ذلك أدار عمود قولتا خلال ١٨٠ درجة بحيث سرى التيار فى السلك فى الاتجاه المضاد ، وعند ذلك دارت الإبرة ولفت ١٨٠ درجة كذلك ، بحيث أصبح قطبها الباحث من الشمال مشيراً إلى الاتجاه الذى كان يشير إليه قطب الإبرة الجنوبي .

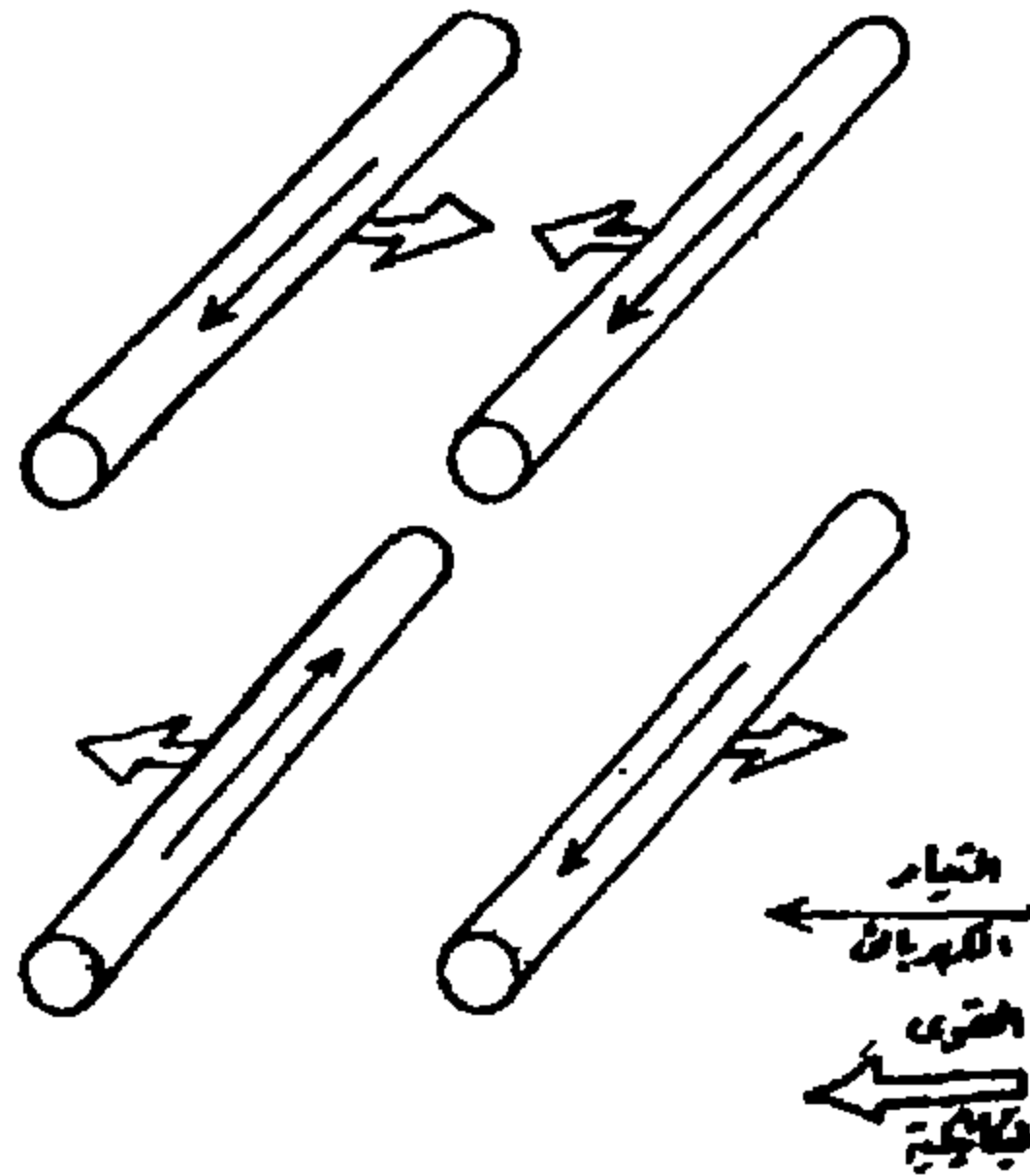
وهكذا اتضح له تماماً وجود علاقة قائمة بين المغناطيسات والكهربية المتحركة ، كما تبين له أن الاتجاه الذى تأخذه الإبرة الممغطة إنما يعتمد على الاتجاه الذى يسرى فيه التيار الكهربى فى السلك . وكتب ارستد جميع هذه الحقائق والمشاهدات المتعلقة باكتشافه هذا ، وأرسلها للنشر فى الجريدة الفرنسية «آنالى دى شيمى إى دى فيزيك Annales de Chimie et de Physique» ، وظهر المقال فى أواخر عام ١٨٢٠ ، مع تعليق المحررين الآتى :

لا بد أن قراء الآنالى قد لمسوا عدم استعدادنا لمؤازرة ونشر الاكتشافات * الغريبة ، وحتى الآن لم يكن لنا إلا أن نهى أنفسنا على هذه الخطوة ، أما بخصوص الورة (أى البحث) المقدمة من السيد ارستد ، فإن النتائج التى حصل عليها ، مهما بدت فريدة فى حد ذاتها ، إنما يتبعها تفصيلات عديدة ومتشعبة تدرأ وجود الشك بالخطأ . وهكذا أصبحت الكهرومغناطيسية (إلكتروماجنتزم) — كما سماها ارستد — حقيقة واقعة .

وعند ما وصلت إلى باريس أخبار اكتشاف ارستد استرعت أنظار عالم الرياضة والفيزياء الفرنسى آنلىرى مارى أمبير ، الذى وجد فى مدى أسابيع معدودة أنه لا يقتصر تأثير التيار الكهربى على الإبرة الممغطة فحسب ، بل إن أى تيارين كهربيين إنما يؤثر أحدهما فى الآخر كذلك ، فهناك تجاذب بين أى سلكين متوازيين يسر فى كل منهما تيار كهربى فى اتجاه واحد ، أما إذا سرى تيار منهما فى الاتجاه العكسى للتيار الآخر فإنه يحدث تنافر بين السلكين — شكل

* ربما يرجع ذلك إلى أن أغلبها من عمل غير الموثوق بهم (المؤلف) .

(٥ - ٧) . وبرهن على أن الملف المصنوع من سلك النحاس عند ما يكون حر الحركة حول محور رأسى ، يأخذ تلقائياً اتجاه الشمال والجنوب عند ما يسرى فيه التيار تماماً كما لو كان هذا الملف إبرة مغناطيسية ، كما أثبت أن أى ملفين من هذا النوع يؤثر أحدهما فى الآخر تماماً كما يؤثر قضيب مغناطيسى فى قضيب آخر ، مما جعله يعتقد أن منشأ المغناطيسية الطبيعية تيار كهربى يسرى فى داخل الأجسام المغطسة ، وتخيل أمبير على هذا الأساس أن كل جزيء يدخل فى تركيب المواد المغناطيسية إنما يحتوى فى داخله على تيار دائرى ، وعلى ذلك فهو يمثل « كهرومغناطيس » (أى مغناطيس كهربى) صغيراً جداً . فعندما تكون المادة غير مغطسة يوجه كل كهرومغناطيس جزيئى حسبما اتفق ، فتأخذ الجزيئات شتى الاتجاهات وتصير حصيلتها فى مجموعها صفراً . أما فى الأجسام المغطسة فإن المغناطيسات الجزيئية توجه بطريقة معينة ، ولو جزيئياً ، فتصبح كلها أو بعضها فى اتجاه واحد وبذلك ينشأ تجاذبها أو تنافرها المغناطيسى .



شكل (٥ - ٧)

قوانين أمبير الخاصة بتأثير التيارات بعضها فى بعض

ولقد أيدت دراسات الفيزياء الحديثة جميع هذه الآراء لأمبير ، فهى تحيل الخواص المغناطيسية للذرات والجزيئات إلى الكهارب الى تدور من حول النواة ، أو تلف بسرعة حول محاورها . ونظراً لأن أمبير هذا كان أول من صاغ بوضوح فكرة التيار الكهربى ، وعبر عنه بحركة الكهرباء فى السلك ، فإن وحدة التيار

الكهربى تحمل اسمه . ويعرف الأمير الواحد بأنه التيار الذى يحمل بين طياته عبر المقطع المستعرض للسلك قدراً من الكهرباء يساوى « كولوم واحداً » .

ولما كان عالماً كبيراً وفذاً بالنظر إلى ما أنجز من أعمال ، فهو يعتبر كذلك مثلاً تقليدياً للأستاذ شارد الفكر ؛ إذ يقال عنه إنه كثيراً ما كان فى محاضراته يستخدم ممحاة الطباشير فى تنظيف أنفه ! ويروى عنه أنه كان مرة يسير فى شوارع باريس فاعتقد خطأ أن مؤخرة إحدى المركبات الواقفة هى سبورته المعتادة فراح يكتب عليها قوانين الرياضة . وعند ما تحركت المركبة مشى خلفها ثم أخذ يجرى معها مصمماً على إنهاء استنتاجاته الرياضية .

وحدث مرة عند ما زار نابليون بونابرت أكاديمية باريس أن أمير لم يتبته إلى الإمبراطور ، فعلق نابليون مبتسماً بقوله : « إنك ترى يا سيدى كيف أنه من الصعب ألا يرى المرء زميله دائماً ، ولكننى لم أرك قط فى التويليرى كذلك . إلا أننى أعرف كيف أرغمك على الحضور لتحيتى على الأقل » . ثم دعاه للعشاء فى السراى فى اليوم التالى ، ولكن فى ذلك اليوم ظل كرسى مائدة الطعام فى السراى شاغراً ، فقد نسى أمير الدعوة !

قانون الدائرة الكهربائية

بينما كان اهتمام أمير منصباً على الآثار المغناطيسية التى تحدثها التيارات الكهربائية ، رغب أستاذ الفيزياء الألمانى جورج سيمون أوم ، الذى كان فى ذلك الوقت يشتغل مدرساً بمدارس كولونى ، فى معرفة مدى توقف شدة التيار أو اعتماده على نوع المادة التى يسرى فيها ، وكذلك على فرق الجهد الكهربى الذى يحمله على السريان باستمرار . واستخدم فى سبيل ذلك عدداً من أجهزة ركام فولتا ، التى عند ما وصلها على التتابع استطاع أن يحصل منها على درجات مختلفة من القوى الكهربائية ، واستخدم كذلك أحد « الجلفانومترات » التى صنعها أمير ، والتى تقيس شدة التيار عن طريق زاوية الانحراف التى يحدثها التيار فى إبرة الجهاز المغناطيسية . وعند ما استخدم عدة أسلاك مختلفة الطول والمقطع ، ومصنوعة

من مواد متنوعة ، وجد أن شدة التيار إنما تتناسب طردياً مع مساحة مقطع السلك ، وعكسياً مع طوله ، كما تتوقف على نوع المادة المصنوع منها السلك . وتوصل كذلك إلى أنه عند استخدام سلك معين تتناسب شدة التيار مع فرق الجهد الكهربائي بين طرفيه ، كما يعينه عدد أجهزة ركام فولتا الموصلة على التابع لينشأ عنها التيار الذي يسرى في السلك . ويحكى هذا الوضع تماماً ، ويكاد لا يختلف في شيء ، عن حالة نرح الماء بمضخة خلال أنبوبة مملوءة بنوع من وبر الزجاج الذي يقاوم مرور السائل . ففي هذه الحالة نجد أيضاً أن شدة التيار المائي تزداد بزيادة الضغط الذي تولده المضخة ، وكذلك بكبر مقطع الأنبوبة ، وتنقص كلما ازداد طول الأنبوبة ، وتتوقف شدة التيار على طبيعة ومقدار المادة المكسبة داخل الأنبوبة لتقاوم مرور الماء بسهولة* دون عائق .

وهكذا أدخل أوم فكرة (المقاومة الكهربائية) للأسلاك المختلفة ، مقررًا أن : شدة التيار إنما تتناسب طردياً مع فرق الجهد الكهربائي الذي يعطى التيار ، وعكسياً مع مقاومة السلك ، وهذه المقاومة بدورها تتوقف على مادة السلك وهي تناسب عكسياً مع مساحة مقطعه وطردياً مع طوله . ونشر أوم ما توصل إليه عام ١٨٢٧ في ورقة أسماها « الدراسة الرياضية للدائرة الجلفانية » ، فكانت بمثابة الأساس لكل الدراسات التي جاءت بعد ذلك والتي كانت تتعلق بالدوائر الكهربائية . ويمكن تمثيل قانون أوم بمعادلتين بسيطتين هما :

$$\text{شدة التيار} = \frac{\text{فرق الجهد الكهربائي}}{\text{مقاومة السلك}}$$

$$\text{ومقاومة السلك} = \frac{\text{مساحة مقطع السلك}^{**}}{\text{طول السلك}} \times \text{ع}$$

حيث ع هي كمية ثابتة تتوقف على نوع مادة السلك المستعمل . وتكريماً له

* يطابق هذا التمثيل تماماً وجهات النظر الحديثة المتعلقة بمرور التيارات الكهربائية في الأسلاك المعدنية . فالتيار إنما ينجم عن سريان ما نطلق عليه اسم الكهارب الطليقة ، التي تتخذ سبيلها عبر أكاداس الذرات التي يتكون منها المعدل تحت تأثير القوى الكهربائية ودفعها (المؤلف) .

** الغالب أنه حدث خطأ مطبعي في هذا القانون ، لأن حقيقته هي :

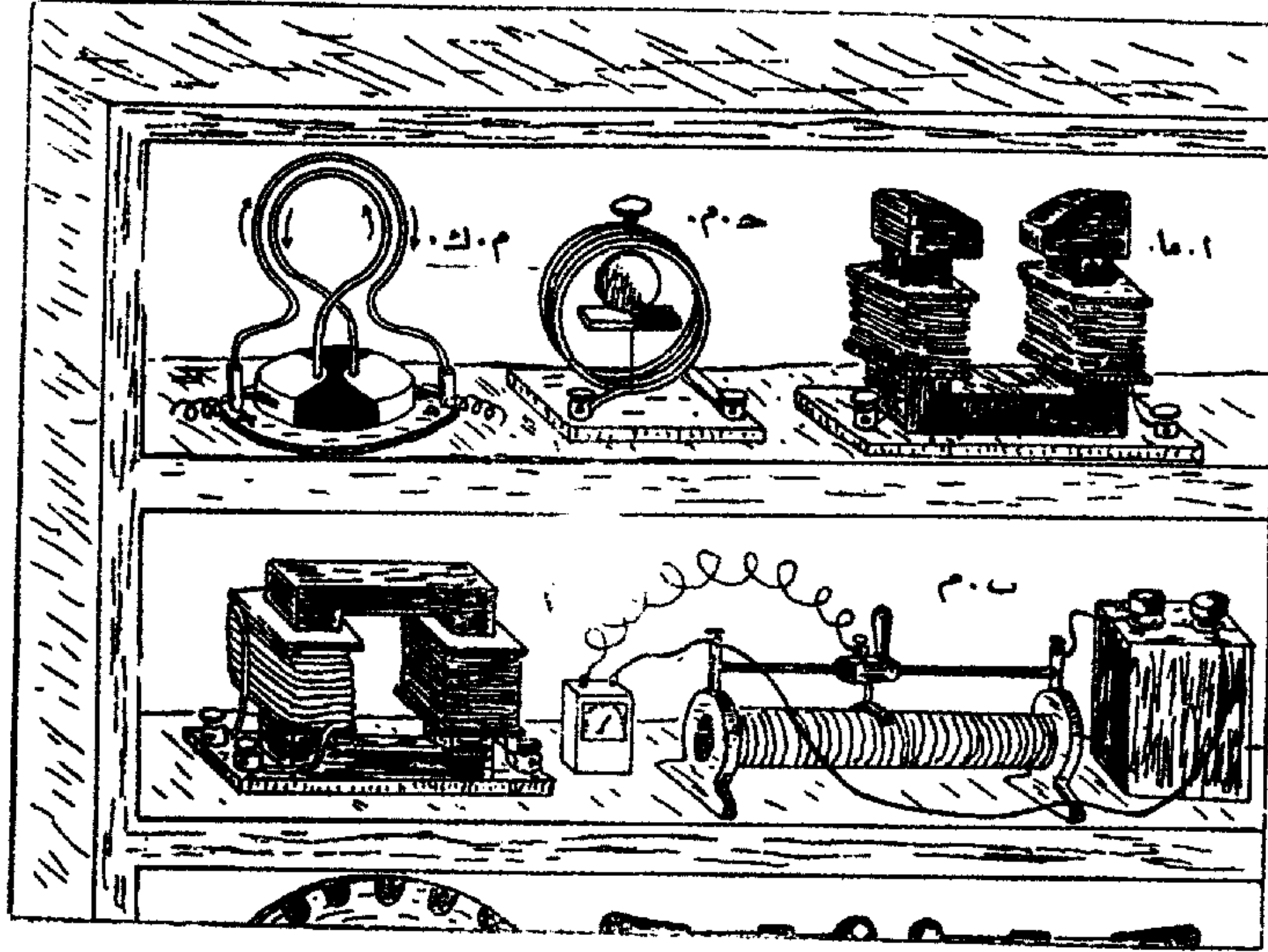
$$\text{مقاومة السلك} = \frac{\text{طول السلك}}{\text{مساحة مقطع السلك}} \times \text{ع}$$

تعتبر وحدة المقاومة الكهربائية بأنها تساوى أوم ، وهى المقاومة التى ينجم عنها تيار يساوى أمبيراً (واحداً) عند ما يكون فرق الجهد الكهربى يساوى فولتاً (واحد) . وقد يحدث أحياناً أن نتحدث عن التوصيل الكهربى بدلا من المقاومة الكهربائية ، وهى لا تعدو كونها عكس أو مقلوب المقاومة ، مما جعل من المستساغ أن تسمى وحدة التوصيل الكهربى باسم موا ، أو مقلوب أوم ، ويبين شكل (٥ - ٨) بعض أجهزة الكهرباء المختلفة التى تستخدم فى التجارب العملية المتعلقة بالظواهر الكهربائية .

اكتشافات فارادى

كان مولد ميخائيل فارادى شكل (٥ - ٩) ذلك الرجل الذى خطا بالبحوث التقليدية (الكلاسيكية) للظواهر الكهربائية والمغناطيسية خطواتها الثانية ، وبدأ عصرأ جديداً نطلق عليه اليوم اسم (الطبيعة الحديثة) ، فى عام ١٧٩١ بالقرب من مدينة لندن ، وكان أبوه حداداً ، فلم يستطع لفقره أن يتيح لابنه فرصة مواصلة الدراسة . ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره تسلى كصبي فى مكتبة يديرها شخص يقال له السيد ريبو . وبعد مضى عام عينه السيد ريبو هذا مجلداً للكتب بعقد لمدة سبع سنوات ، ولكن فارادى لم يقصر عمله على مجرد تجليد الكتب الى كانت ترد إلى المكتبة ، بل دأب على قراءة الكثير منها من أول صفحة إلى آخر صفحة فيها مما ولد فيه حماسة وولعاً متقدماً بالعلوم ودراستها . وكتب فارادى عن أيام طفولته يقول : وعندما كنت صبياً تحت التمرين عشقت قراءة الكتب العلمية التى كانت تقع تحت يدى ، وأعجبت من بينها جميعاً بكتاب مارست « أحاديث فى الكيمياء » ومقالات الكهرباء فى « انسيكلوبيديا بريتانيكا Encyclopaedia Britannica » . وعمدت إلى إجراء تجارب بلغت من البساطة أنها لم تكن تكلفنى بضعة بنسات فى الأسبوع ، وبنيت أيضاً آلة كهربية . كانت أولاً من زجاج قارورة ، ثم جعلتها بعد ذلك من أسطوانة حقيقية ، إلى جانب بعض أجهزة الكهرباء الأخرى الى كانت من نوع مماثل .

وخلال العام الأخير من عمله فى المكتبة ، عند ما تجاوز عشرين عاماً



شكل (٥ - ٨)

عرض لأجهزة الكهرباء المختلفة

محرك كهربى (م . ك .) . (الكتر و موتور) . تياران كهربيان يمران فى اتجاهين متضادين خلال سلكين دائريين ، أحدهما متحرك والثانى ثابت ، فتتولد قوى التنافر لأمبير وتجبر السلك المتحرك على الدوران حول المحور . ونظراً لما يعمل من ترتيب لتوفير التماس المنزلق فى القرص السفلى ، فإن اتجاه التيار يعكس ويستمر السلك فى الدوران .

جالفانومتر (ج . م .) . (وهو جهاز قياس شدة التيار) . عند ما يمر التيار الكهربى فى الملف ينحرف مغناطيس صغير معلق فى سلك رفيع عن وضعه الطبيعى . وكلما ازدادت شدة التيار كبرت زاوية الانحراف التى نقيسها بشعاع ضوئى تعكسه مرآة صغيرة .

الكتروماجنت (ا . ما .) . (هو المغناطيس الكهربى) . عند ما يمر تيار متصل فى الملف يظهر مجال مغناطيسى قوى بين القطبين .

محول (م .) عند ما يمر تيار متقطع له جهد معين خلال ملف مكون من عدد صغير من اللفات (إلى اليسار) ، يظهر تيار كبير الجهد جداً فى الملف الذى يحتوى على عدد أكبر من لفات السلك الرفيع (إلى اليمين) .

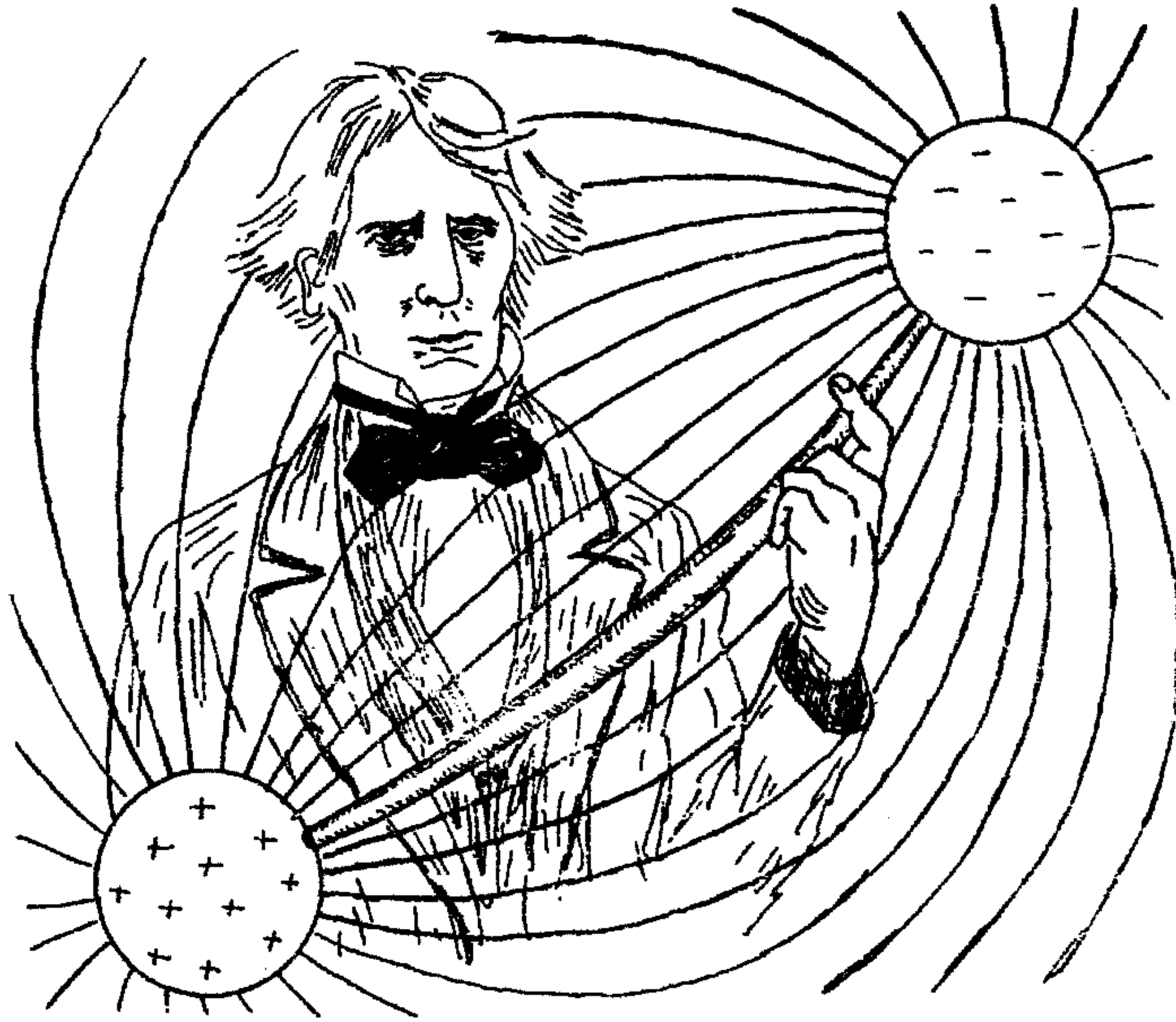
بوتنشيومتر (ب . م .) . (هو جهاز قياس الجهد) . يمر التيار المنبعث من البطارية خلال مقاومة متغيرة . ويمكن الحصول على جهود كهربية مختلفة من السلك المتصل بجهاز التماس المنزلق بتحريكه إلى اليمين أو إلى اليسار .

بقليل ، وكانت أخبار اكتشافات جلفانى وقولت لا تزال حديثة لم يتقادم عليها

العهد ، كتب إلى صديقه القديم بنيامين آبوت :

لقد أجريت أخيراً عدة تجارب بسيطة لجلفانى ، وذلك لكى أبين لنفسى المبادئ الأولى للعلم . وكنت أروم الذهاب إلى محل نيتس لأحضر بعضاً من

النكل ، فتذكرت أنه كان عندهم زنك قابل للسحب والمط ، وقد طلبته وابتعت بعضاً منه . فهل رأيت هذا الصنف بعد ؟ وكانت الكمية الأولى التي حصلت عليها أرق قطع يمكن الحصول عليها . لاحظها وهي مسطحة . وكانت كما أخبروني من الرقة بحيث تصلح للعصى الكهربائية ، أو كما سبق أن سميتها العمود الكهربى الفاخر ، ولقد أحضرنا من أجل عمل أقراص تصلح مع غيرها من أقراص النحاس لصناعة بطارية صغيرة ، ولقد اشتملت جميع أجزاء أول بطارية أكملت صنعها على سبعة أزواج من الأقراص . ولم يكن حجم الزوج منها يزيد على حجم نصف البنس .



شكل (٥ - ٩)

ميخائيل فارادى وأنايبه

ولقد عمدت بنفسى ، يا سيدى ، إلى قطع سبعة أقراص ، كل قرص منها فى حجم نصف البنس ، كما عمدت يا سيدى إلى تغطيتها بسبعة من أنصاف البنس ، ثم جعلت بينها سبع قطع ، أو على الأصح ست قطع من الورق المندى بمحلول الصودا . . . لا يعاودك الضحك يا عزيزى ! ! ولكن تعجب على الأثر الذى أحدثته هذه القوة الضئيلة التافهة . لقد كانت كافية لإنجاز تحليل كبريتات

(سلفات) المغنسيوم ، وهي ظاهرة أثارت دهشتي جداً ؛ إذ لم تكن لي ، بل لم يكن من الممكن أن تكون لي ، أى فكرة توحى بأنها كفء لهذا الغرض . وإني أرى أن أحدثك هنا عنها . فقد قمت بتوصيل قمة وقاعدة جهاز الركام والمحلول باستخدام سلك من النحاس . فهل ترى أن النحاس هو الذى عمل على تحليل السلفات الأرضي (أى الكبريتات) ، أعنى ذلك الجزء المنغمس في المحلول ؟ وإني على يقين من حدوث ظاهرة جلفانية ، لأن الساكنين غطتهما فقاقيع غازية بعد فترة وجيزة من الزمن ، كما ظهر تيار مستمر من الفقاقيع الصغيرة جداً التى بدت على هيئة الجسيمات الصغيرة ، وراح هذا التيار يجرى في المحلول من السلك السالب . وإن برهاني على تحليل السلفات هو أنه بعد أن مضت ساعتان تعكر لون المحلول الرائق نظراً لترسب المغنسيوم فيه .

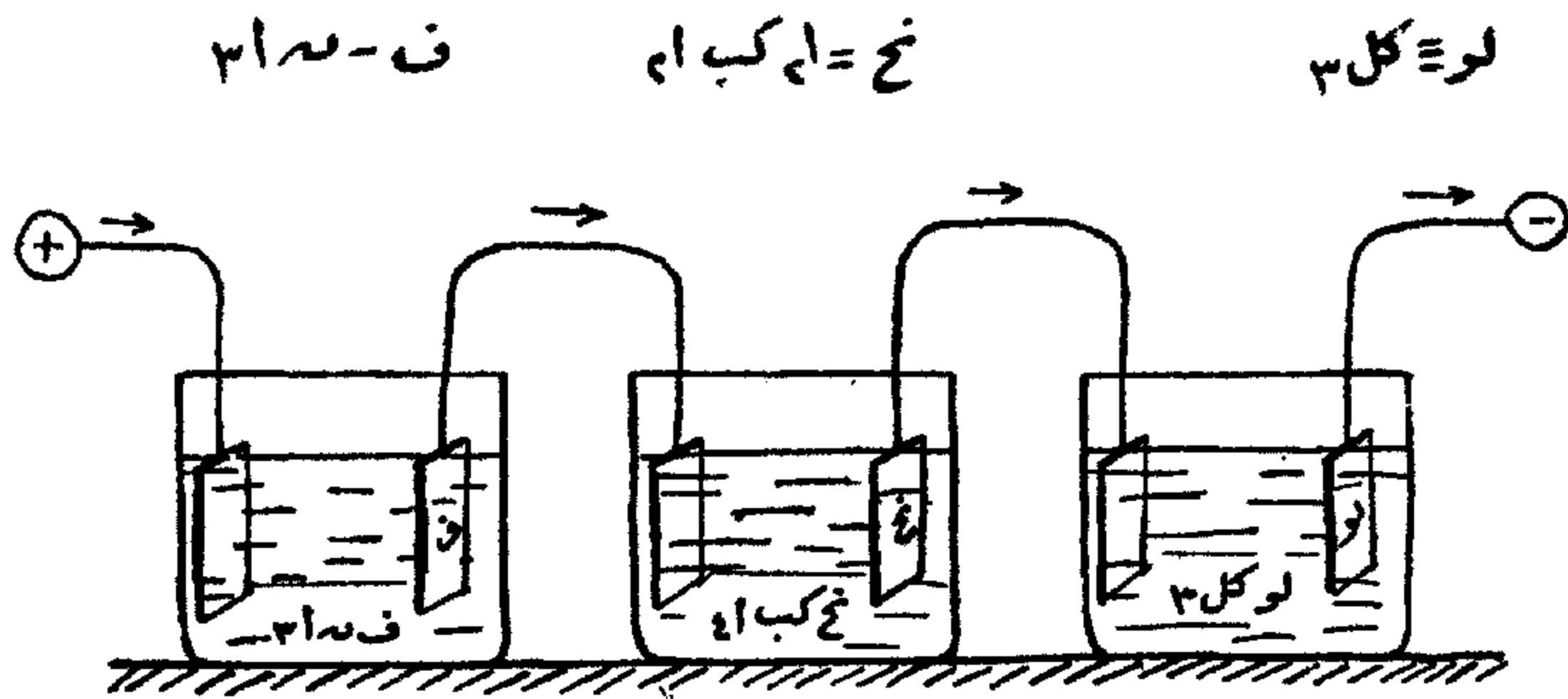
وكان هذا هو مبدأ اكتشاف التحليل الكيموي باستخدام التيار الكهربى ، أو التحليل الكهربى Electnolyisi (الكترولسز) كما سماها فارادى . ونقد توصل خلال السنين الى أعقبت ذلك وكان فيها يبحث هذه الظاهرة إلى قانونين أساسيين يحملان اسمه . ويقول قانون فارادى الأول : تتناسب كمية المادة المترسبة على القطبين (أو التى تنطلق منهما) تناسباً طردياً مع كمية الكهرباء الكلية ، (أو شدة التيار مضروبة في الزمن) التى تمر في المحلول . ومعنى ذلك أن الجزيئات المشحونة (التى أطلق عليها اسم الأيونات فيما بعد) التى تحمل الكهرباء عبر المحاليل السائلة لها شحنة كهربية محدودة تماماً — شكل (٥ - ١٠) .

وتبعاً لقانون فارادى الثانى نجد أنه : « تحمل كذلك الأيونات وحيدة التكافؤ للمواد المختلفة مقادير متساوية من الكهرباء ، فى حين أن الأيونات ثنائية وثلاثية التكافؤ . . . إلخ ، تحمل بالتبعية شحنات أكبر » . ويعنى هذا وجود وحدة عالمية للشحنة الكهربية ، وهى لم تكن تعرف أيام فارادى إلا بأنها تتصل بالذرات المختلفة ، ولكن أمكن ملاحظتها فيما بعد على هيئة كهارب (إلكترونات) حرة طليقة تنتشر في الفضاء .

وبقى على فارادى — بعد أن فرغ من اكتشاف التحليل الكهربى — أن يبحث له عن عمل ، لأن وظيفته في المكتبة كانت ستنتهى بعد بضعة أشهر ، وكانت

أكبر أمانيه أن يعمل مع السير همفري داثي ، الكيميائي المشهور ، الذي دأب فارادى على حضور محاضراته وهو يعمل كصبي في المكتبة . فكتب ملاحظاته على محاضرات داثي بطريقة توخى فيها تحسين الخط ، وضمنها أشكالاً رسمها بكل دقة وعناية ، ثم أرسلها مجلدة تجليداً لطيفاً إلى السير همفري مع طلب للالتحاق بوظيفة في معمله . وعند ما حاول داثي أخذ رأى أحد الإداريين المسئولين في المعهد البريطاني الملكي الذي كان يعمل مديراً له عن إمكان تعيين صبي له خبرة بتجليد الكتب ، أجاب الرجل بقوله : دعه يغسل الأواني ، فإذا كان فيه خير فسوف يقبل العمل ، أما إذا رفض فمعنى ذلك أنه لا يصلح لشيء بتاتاً .

وقبل فارادى العمل وظل في المعهد الملكي خلال خمس وأربعين سنة هي التي بقيت من حياته ، فبدأ كمساعد لداثي ، ثم كزميل له ، وأخيراً ، بعد موت داثي كخلف له .



شكل (١٠ - ٥)

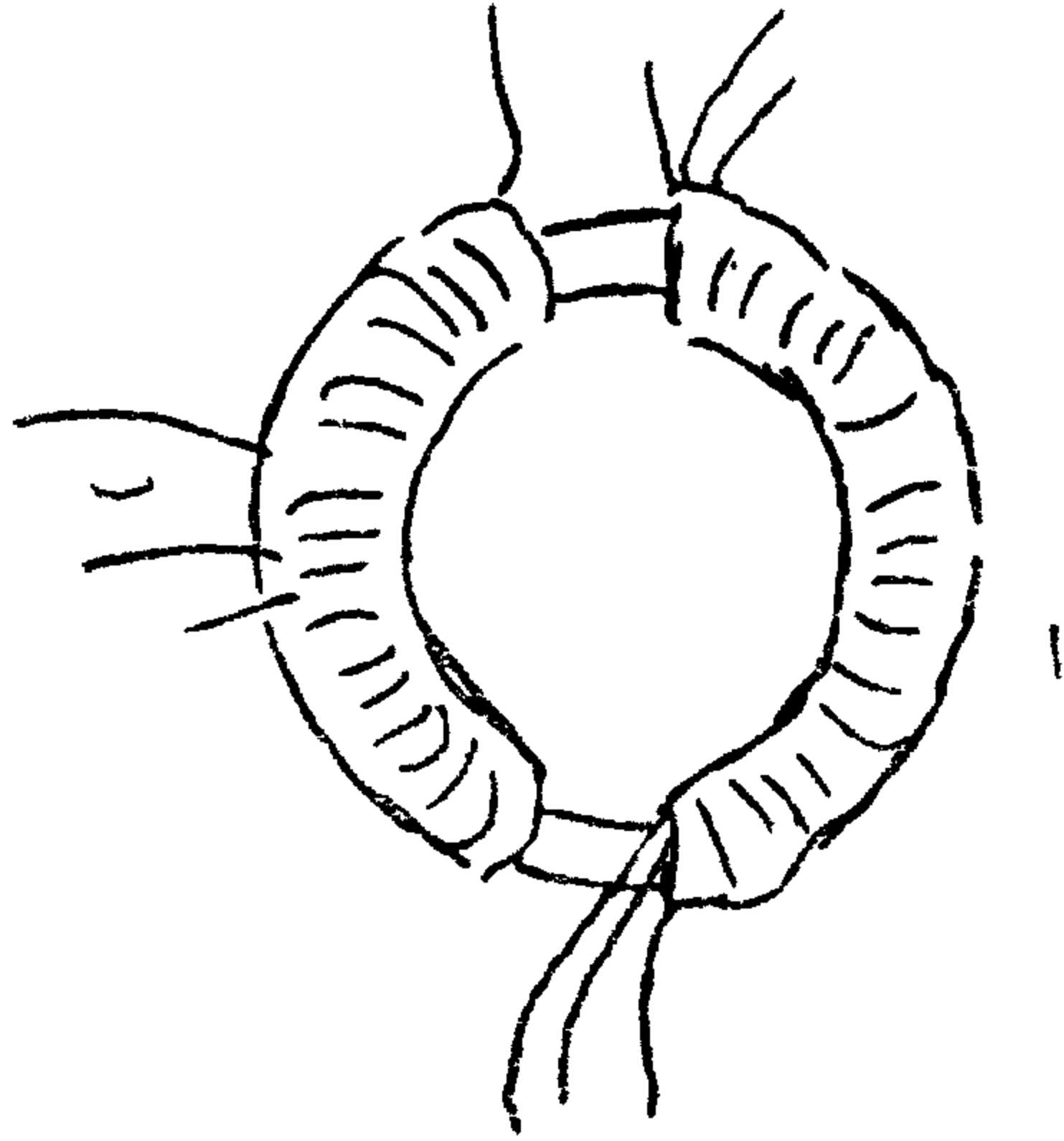
بيان قانوني فارادى للتحليل الكهربائي : عند ما نمرر تياراً كهربياً خلال محلول أزونات الفضة ، وكبريتات النحاس ، وكلورور الألمنيوم ، ترسب المعادن على القطب السالب . ووجد أن كمية المعادن المترسبة تتناسب طردياً مع مقدار الكهرباء التي مرت (قانون فارادى الأول) . ووجد كذلك أنه إذا كانت كمية الفضة المترسبة تساوي ١٠٨ جرامات (الوزن الذري للفضة) ، فإن مقدار ما يترسب من النحاس يساوي ٣١,٧ جرام (نصف الوزن الذري للنحاس) ، كما أن وزن الألمنيوم المترسب لا يعدو ٩ جرامات (ثلث الوزن الذري للألمنيوم) . ونظراً لمرور نفس القدر من الكهرباء في الأوعية الثلاثة ، فإننا نستنتج أن أيون النحاس يحمل ضعف الشحنة الكهربائية التي يحملها أيون الفضة ، وأن أيون الألمنيوم يحمل ثلاثة أضعاف هذا القدر . وتتفق هذه القيم مع التكافؤ الكيميوي لهذه المعادن ، على النحو الموضح بالمعادلات الكيميائية التي في أعلى الشكل . وهذا هو قانون فارادى الثاني .

وبصرف النظر عن البحوث العديدة التي نشرها في اخجلات العلمية ، فإن أظهر وثيقة تتعلق بدراساته هي مذكراته اليومية التي دأب على كتابتها دون انقطاع ابتداء من عام ١٨٢٠ إلى عام ١٨٦٢ . ولقد تم نشرها حديثاً (١٩٣٢) بمعرفة المعهد الملكي في سبعة مجلدات ضخمة قوامها ٣٢٣٦ صفحة ، وبضعة آلاف شكل مرسومة على الهامش . ونحن نقتبس من هذه المذكرات كلمات فارادی على ما ربما يكون أهم اكتشاف له ، ألا وهو الاكتشاف المتعلق بموضوع « التأثيرات المنتجة * الكهرومغناطيسية » :

٢٩ من أغسطس عام ١٨٣١

- ١ - تجارب على توليد الكهرباء من المغناطيسية إلخ . إلخ .
- ٢ - بعد عمل حلقة من الحديد (الحديد المطاوع) حديد مستدير سمكه $\frac{1}{8}$ بوصة ، وحلقة قطرها ٦ بوصات - شكل (٥ - ١١) - وبعد أن لففت عدة ملفات من السلك النحاس حول نصف الحلقة ، مع عزل (الملفات بواسطة قتل الخيط) أو الدوبارة والعبك ، استخدمت ثلاثة أطوال من السلك ، بلغ طول كل منها ٢٤ قدماً ، وكان من الممكن توصيلها بعضها ببعض على هيئة طول واحد ، أو استخدامها كأطوال منفصلة معزولة بعضها عن بعض . ولنطلق على هذا الجانب من جوانب الحلقة اسم الجانب ا . وعلى الجانب الآخر ، الذي تفصله عن ا مسافة صغيرة ، لف سلك من قطعتين معاً طوله نحو ٦٠ قدماً في نفس اتجاه لف السلك في الملفات الأولى ، ولنطلق على هذا الجانب اسم الجانب ب .
- ٣ - شحنت بطارية مكونة من عشرة أزواج من الأقراص ، مساحة كل منها ٤ بوصات مربعة ، وعمل الملف في الجانب ب ملفاً واحداً ، ووصل طرفاه بسلك من النحاس مد ليمر فوق إبرة مغناطيسية (على بعد ثلاث أقدام من الحلقة) . وبعد ذلك وصل طرف من أطراف القطع المستخدمة في الجانب ا بالبطارية ، وفي الحال ظهر أثر ملموس في الإبرة ، التي راحت تتذبذب واستقرت أخيراً في وضعها الأصلي . وعندما قطع اتصال الجانب ا بالبطارية اضطربت الإبرة من جديد .

* هي التيارات التأثيرية (المترجم) .



شكل (٥ - ١١)

يبين هذا الشكل المنقول عن مفكرة فارادى اكتشافه لظاهرة التأثير الكهرومغناطيسى المنتج . فإن ظهور أو عدم ظهور التيار الكهربى فى الملف ا ينتج تياراً كهربياً فى الملف ب - يبقى مدة وجيزة جداً .

وعلى ذلك يستطيع التيار الكهربى الذى يمر فى أى ملف أن ينتج بالتأثير تياراً فى ملف آخر بجوار الملف الأول ، تماماً كما تحدث الشحنة الكهربائية التى على جسم ما استقطاباً كهربياً لجسم آخر قريب . ولكن بينما يكون الأثر الناتج فى حالة الاستقطاب الكهربى ساكناً ، ويدوم ما بقى الجسمان متجاورين ، نجد أن إنتاج التيارات الكهربائية بالتأثير إنما يتضمن عملية غير ساكنة (ديناميكية) كما يقتصر تولد التيار فى الملف الثانى على تلك اللحظات التى يتزايد فيها التيار فى الملف الأول من الصفر إلى قيمته العادية ، أو التى يتناقص فيها من هذه القيمة عائداً إلى الصفر .

وفى خلال مدة أقل من ثلاثة أشهر من تاريخ هذا الكشف الذى كان فاتحة عصر جديد ، أكمل فارادى خطوة أخرى هامة فى دراسة العلاقة التى تربط بين الكهربائية والمغناطيسية . وفيما يلى طريقة عمل تلك الخطوة تبعاً لما جاء فى مذكراته :

١٧ من أكتوبر عام ١٨٣١

٥٦ . بنيت أسطوانة ، مفرغة ، من الورق ، مغطاة بثمانية ملفات لولبية من

السلك النحاس ، بحيث كانت تأخذ جميعها نفس الاتجاه وتشتمل على المقادير الآتية :

١	(أو الخارجية)	قدم	بوصة
٢		٣٢	١٠
٣		٣١	٦
٤		٣٠	
٥		٢٨	
٦		٢٧	
٧		٢٥	٦
٨	(أو الداخلية)	٢٣	٦
		٢٢	

٢٢٠ قدماً مع إهمال الأطراف البارزة .

وفصلت أو عزلت كلها بالدوبار والعبك . وبلغ القطر الداخلى لأسطوانة الورق $\frac{13}{16}$ من البوصة ، كما بلغ القطر الخارجى فى جملته $1\frac{1}{4}$ بوصة ، وطول ملفات النحاس اللولبية (على هيئة أسطوانة) $6\frac{1}{4}$ بوصة .

٥٧ . التجارب باستخدام الأكسجين . نظفت أطراف الملفات الثمانية الموجودة على جانب معين من الأسطوانة ، وربطت بعضها مع بعض على هيئة حزمة ، وعملت الثمانية الأطراف الأخرى بالمثل - شكل (٥ - ١٢) - ، ثم وصل هذان الطرفان المركبان بجهاز الحلفانومتر باستخدام أسلاك طويلة من النحاس ، ثم أدخل طرف قضيب مغناطيسى أسطوانى الشكل قطره $\frac{3}{4}$ بوصة وطوله $8\frac{1}{4}$ بوصة فى فوهة أسطوانة السلك اللولبي . وبعد ذلك دفع المغناطيس بسرعة على طول الأسطوانة فتحركت إبرة الحلفانومتر ، ثم سحب فتحركت الإبرة من جديد ، ولكن فى الاتجاه المضاد ، وتكرر حدوث هذه الظاهرة فى كل مرة أدخل أو أخرج فيها المغناطيس ، مما عمل على توليد موجه من الكهرباء من مجرد ما يشبه المغناطيس ، وليس عن تكوينه بالفعل .

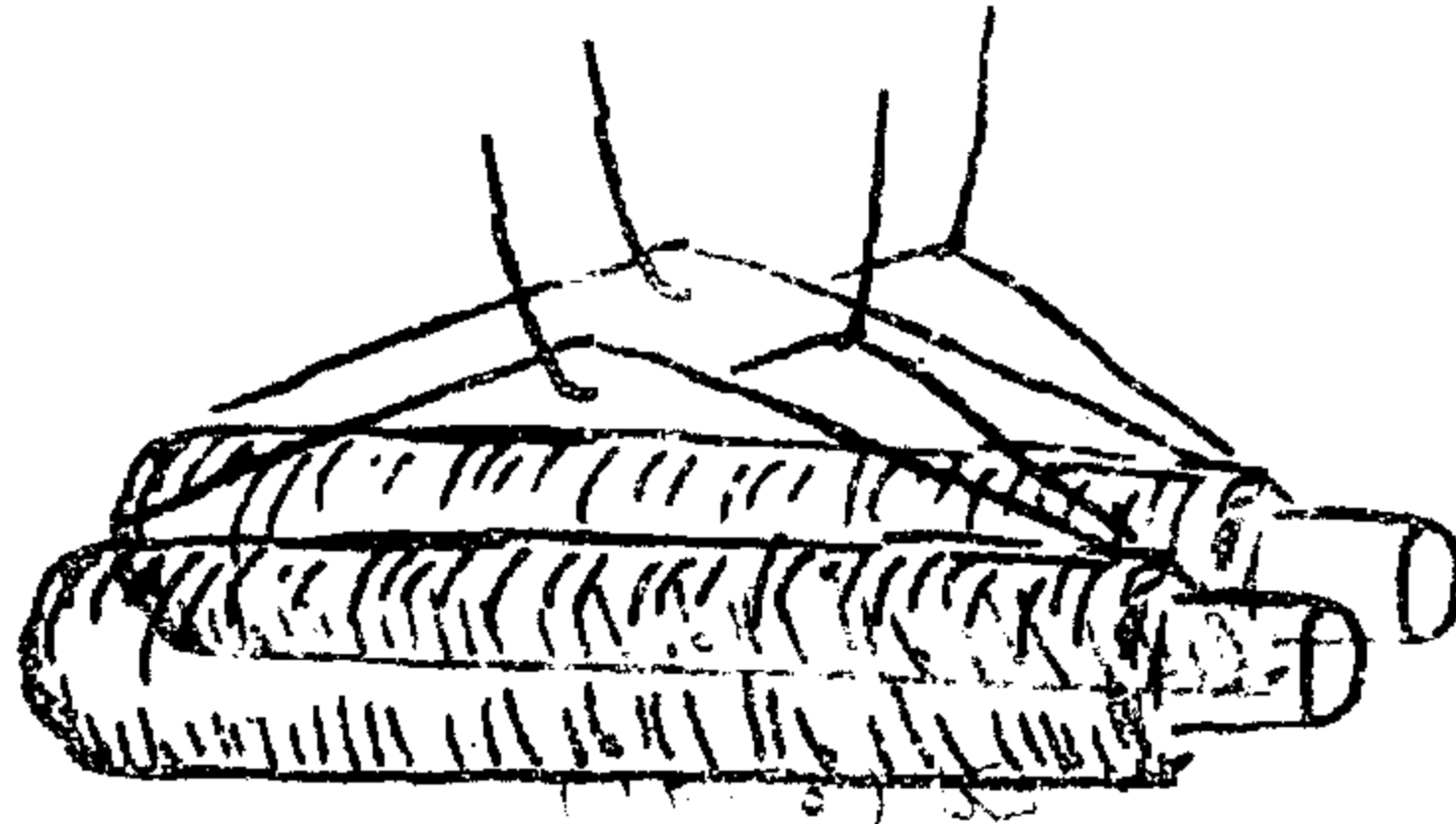
٥٨ . لم تظل الإبرة محتفظة بإزاحتها عن موضعها الأسمى ، ولكنها كانت فى كل مرة تعود إليه . وكانت تتحرك على التعاقب فى اتجاهات عكسية كما فى

التجربة السابقة ، وفي حركات مطابقة ، أى إن الإبرة المؤشرة دارت لتصير بجذاء المغناطيس المؤثر ، أى موازنة له ، لكونها على نفس جانب السلك ونفس اسم القطبين فى نفس الاتجاه .

٥٩ - وعند ما حولت الملفات الثمانية اللولبية إلى ملف واحد لولبي لم يكن الأثر بنفس الشدة كما كان أولاً على الجالغانومتر . ولهذا فالأفضل أن تصنع من أجزاء تتصل نهايتها .

٦٠ - عندما استخدم ملف لولبي واحد من الملفات الثمانية وصلت قيمة التأثير إلى نهايتها الدنيا ، حتى صار من الصعب ملاحظتها أو إدراكها .

ومرة أخرى نجد هنا أن إنتاج التيار فى الملف كان بسبب ظاهرة فيها طابع الحركة (ديناميكية) ، فإن التيار وجد فقط كلما دفع المغناطيس إلى الداخل أو سحب إلى الخارج من الملف . وفى تلك الأيام التى عاش فيها فارادى كان رأى القائل بأن المغناطيسية يجب أن تنتج تياراً كهربياً كما يولد التيار الكهربى المغناطيسية ، هو مجرد رأى معلق فى الهواء ، وظل كثير من المشتغلين بالفيزياء



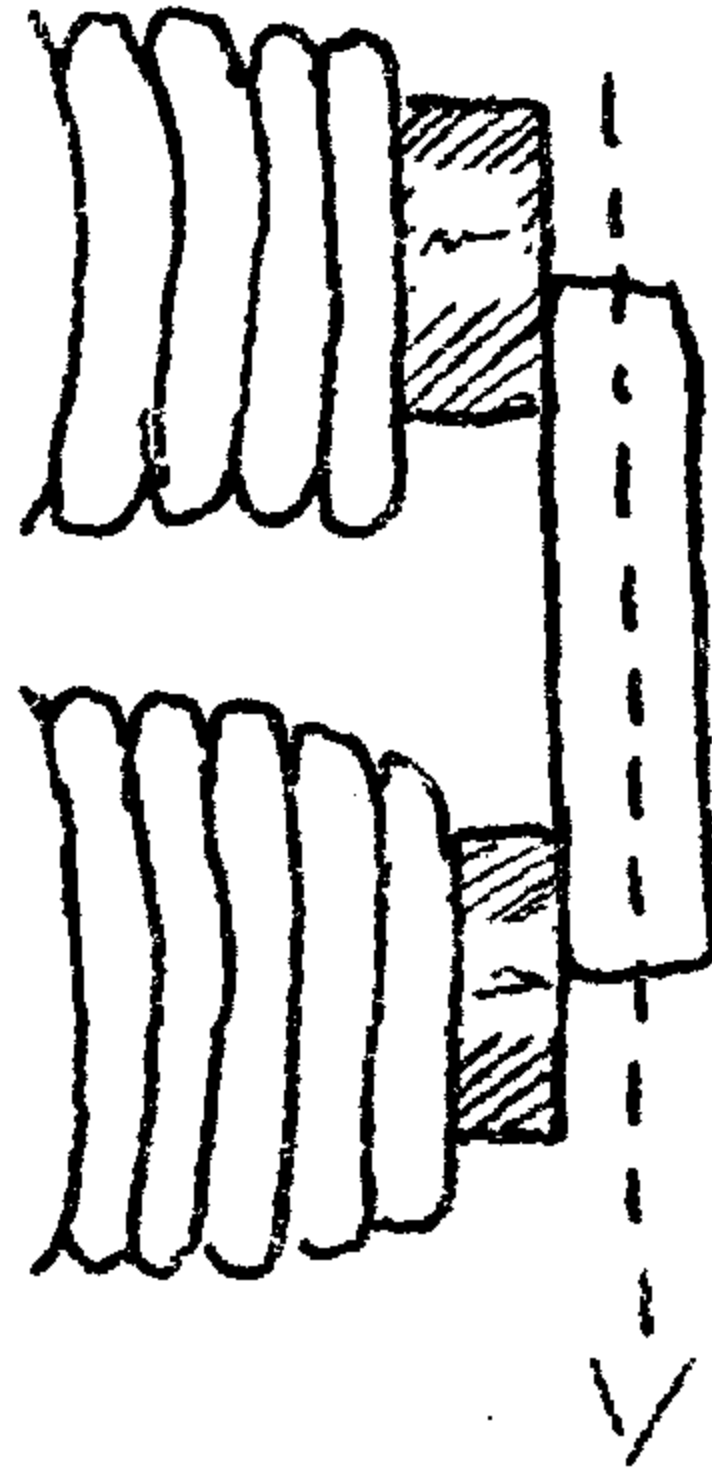
شكل (٥ - ١٢)

رسم من مذكرة فارادى ، يبين تجربة فيها ينتج المغناطيس تياراً كهربياً فى ملف عند ما يدفع هذا المغناطيس داخل الملف أو يسحب خارجه .

يحاولون مشاهدة هذه الظاهرة ، ولكن خدعهم التشابه القائم بينها وبين المسألة المناظرة فى حالة التأثير الكهربى مع انعدام الحركة ، فراحوا يجربون فقط الأشكال الساكنة (ستاتيك Static) للمغناطيسات المختلفة ، والأسلاك ، التى على غرار القضيب المغناطيسى الملفوف من حوله سلك ، وهو وضع يقاوم بشدة وعننف إنتاج أى شرارة عند ما يلمس الطرفان ، والحق أننا ندين لعبقرية فارادى ، أو ربما لذلك العدد الوفير من التجارب التى كان يجريها على مر الأيام ، فى إيضاح مسألة إنتاج

التيار الكهربى بالطريقة المتحركة (Dynamic) ، وأن الأمر يحتاج إما إلى تغيير فى شدة تيار آخر أو تغيير فى وضع المغناطيس . وعالم الفيزياء الوحيد الذى توصل إلى نفس رأى فارادى كان العالم الأمريكى جوزيف هنرى ، إلا أنه طال ترده فى إعلان رأيه هذا على الملأ ، وبذلك صارت أسبقية الكشف للرجل الموجود على الجانب الآخر * من المحيط الأطلسى .

ولم يقف عقل ميخائيل فارادى ، ذلك العقل الباحث المنقب ، عند حد فك عقدة ما خفى من علاقة بين الكهربية والمغناطيسية ، فقد أراد أن يعرف هل المغناطيسية تؤثر فى الظواهر الضوئية ؟ وأدى ذلك إلى اكتشاف العلاقة القائمة بين مستوى استقطاب الضوء (فقرة ص ١٤٤) المار خلال الأجسام الشفافة الموضوعة فى مجال مغناطيسى . وهنا نترك مرة أخرى فارادى نفسه يحدثنا عن اكتشافه هذا :



شكل (٥ - ١٣)

رسم من مذكرات فارادى ، يبين اكتشافه لظاهرة تأثير المجال المغناطيسى فى الضوء : عند ما ينتشر الضوء المستقطع على طول خطوط القوى المغناطيسية ، ويبدو مستوى الاستقطاب بزاوية تتناسب مع شدة المجال .

١٣ من سبتمبر ١٨٤٥ .

٧٤٩٨ اشتغلت اليوم بخطوط القوى المغناطيسية فجعلتها تمر عبر أجسام مختلفة (شفافة فى اتجاهات متباينة) ، وفى الوقت نفسه أمرت خلالها شعاعاً

* يعنى إنجلترا بالنسبة لأمريكا (المترجم) .

ضوئياً مستقطباً ، ثم اختبرت الشعاع بعد ذلك بعينية نكلز * أو بوسائل أخرى . وكان المغناطيسان من نوع المغناطيس الكهربى : أحدهما مغناطيسنا الكهربى الأسطوانى الكبير ، والثانى مغناطيس مؤقت من الحديد على هيئة قلب وضع داخل الملف اللولبى محملاً على دعامة ، ولم يكن هذا الأخير فى مثل قوة المغناطيس الأول . وأمرتيار من خمس من بطاريات جروف فى الملفين اللولبيين دفعة واحدة وجعل المغناطيسان يعملان أو لا يعملان بإمرار التيار الكهربى أو قطعه .

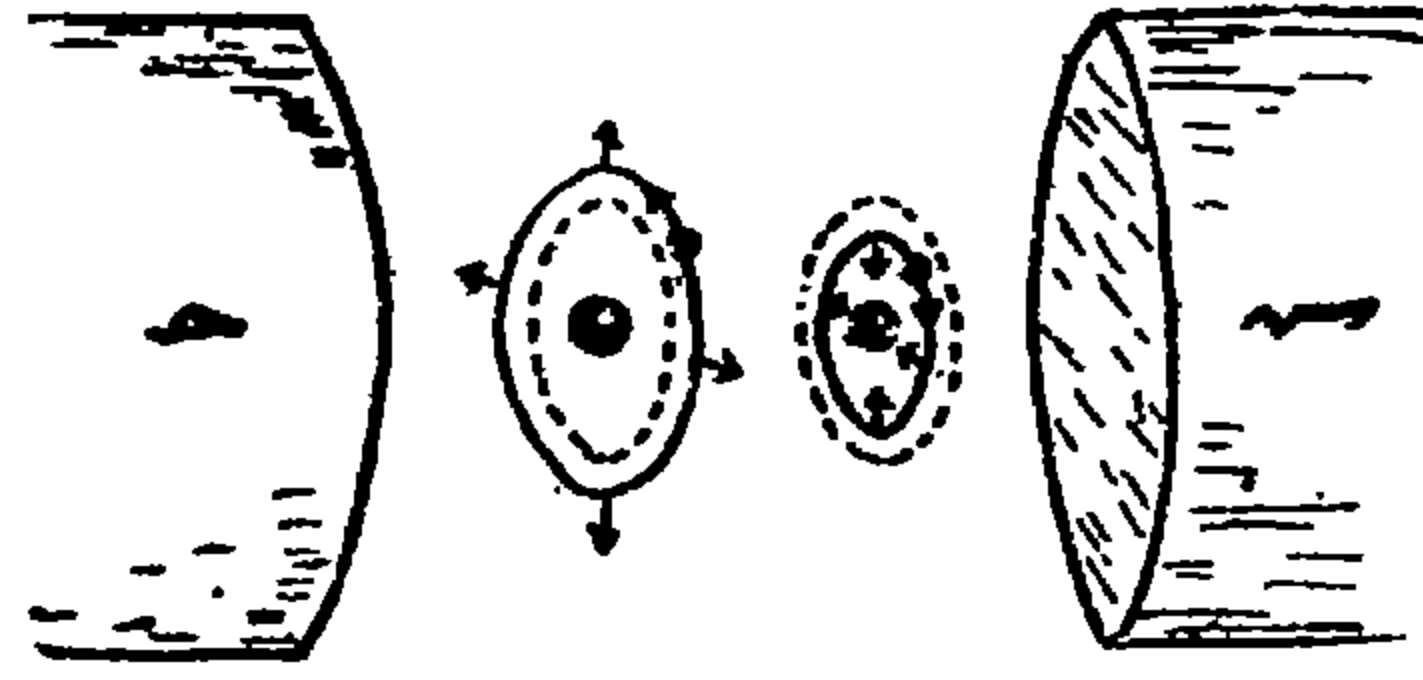
وبعد أن وصف عدة نتائج سلبية اتجارب أمر فيها شعاع الضوء فى الهواء ، ثم فى مواد أخرى عديدة ، نجد فارادى يقول فى مذكرته فى نفس ذلك اليوم :

٧٥٠٤ زجاج ثقيل .

أخذت قطعة من الزجاج الثقيل ، طولها بوصتان وعرضها ١,٨ بوصة ، وسمكها ٠,٥ من البوصة ، من مادة بورات سلكا الرصاص ، وبعد أن هذبت من حافتيها القصيرتين أجريت عليها التجارب ، فلم تعط أية نتيجة عند ما كان على جانبيها قطبان مغناطيسان متشابهان أو متضادان (بالنسبة إلى مسار الشعاع المستقطب) ، وكذلك عند ما وضع القطبان المتشابهان على جانب واحد ، سواء أكان التيار ثابتاً أم متقطعاً ، ولكن عند ما وضع القطبان المغناطيسان المتضادان على جانب واحد - شكل (٥ - ١٣) - وقع تأثير على الشعاع المستقطب ، وهكذا ثبت بالتجربة وجود علاقة بين القوى المغناطيسية والضوء ، وتبدو أهمية هذه الحقيقة وفائدتها واضحة عند دراسة كلتا الحالتين من قوى الطبيعة .

وبكل تأكيد ثبتت تلك العلاقة ودلت عليها « ظاهرة فارادى » ، أو دوران مستوى استقطاب الضوء المنتشر على طول خطوط القوى المغناطيسية ، وبينت تلك الصلة الوثيقة القائمة بين أمواج الضوء ، التى هى عبارة عن أمواج كهرومغناطيسية قصيرة جداً ، والتيارات الكهربائية التى فى داخل كل كهرب من الكهارب . ونحن نفسر اليوم هذه الدوائر الكهربائية الصغيرة ، التى كان أمبير أول من اقترح وجودها أو قيامها (ص ٢٠٤) ، بأنها ناجمة عن دوران الكهارب الذرية حول النوى

* العينية هى العلة التى ينظر المرء خلالها ، ويستخدم منشور نكلز كعينية يدرس بها استقطاب الضوء (المترجم) .



(شكل ٥ - ١٤)

تفسير ظاهرة فارادى . تتوقف القوة المؤثرة في كهربي ذرى يتحرك في مجال مغناطيسى على اتجاه الحركة . ففي حالة الدوران ضد عقرب الساعة (إلى اليسار) تعمل القوة على زيادة نصف قطر المدار ونقص التردد ، أما في حالة الدوران مع عقرب الساعة (إلى اليمين) فإن القوة تعمل على تقليل نصف القطر وزيادة التردد . وعند ما تؤثر على الضوء نجد أن هذين النوعين من حركة الكهارب يعملان على دوران مستوى الاستقطاب .

المركزية . فعندما نأخذ ذرتين متطابقتين وموضوعتين في مجال مغناطيسى بحيث يدور كهربي في اتجاه عقرب الساعة ، على حين يدور الثاني ضد اتجاه عقرب الساعة - شكل (٥ - ١٤) - نجد أنه في حالة منها يؤثر المجال المغناطيسى في الكهربي المتحرك بقوة تتجه نحو النواة ، بينما في الحالة الأخرى تأخذ القوة الاتجاه العكسى وعلى ذلك يتقلص قطر مدار الكهربي في الحالة الأولى ويزداد التردد ، ويحدث العكس في الحالة الثانية . ويؤثر هذا الفرق في نتيجة دوران التيارات الداخلية للذرات ولفها مع عقرب الساعة أو ضد عقرب الساعة على انتشار الأمواج الكهرومغناطيسية (الضوء) خلال المادة ، ويمكن التدليل على أن النتيجة الحتمية هي دوران مستوى الاستقطاب على النحو الذى شاهده فارادى .

وما إن اقتنع فارادى بأن جميع الظواهر التى نشاهدها في عالم الطبيعة إنما تتصل بعضها ببعض بطريقة أو بأخرى ، حتى شرع يحاول الوصول عن طريق التجربة إلى العلاقة القائمة بين القوى الكهرومغناطيسية وقوى الجاذبية التى تحدث عنها نيوتن . وفي هذا الصدد كتب في مفكرة معمله عام ١٨٤٩ يقول :

الجاذبية بكل تأكيد ، يجب أن تكون هذه القوة لائقة بإجراء تجربة تثبت علاقتها بالكهربية والمغناطيسية وغيرهما من القوى ، حتى نضعها معها في تفاعل

منعكس وتأثير مماثل . ولنجرب أن نفكر لحظة في الوسيلة التي نعالج بها هذا الموضوع عن طريق الحقائق والمحاولات .

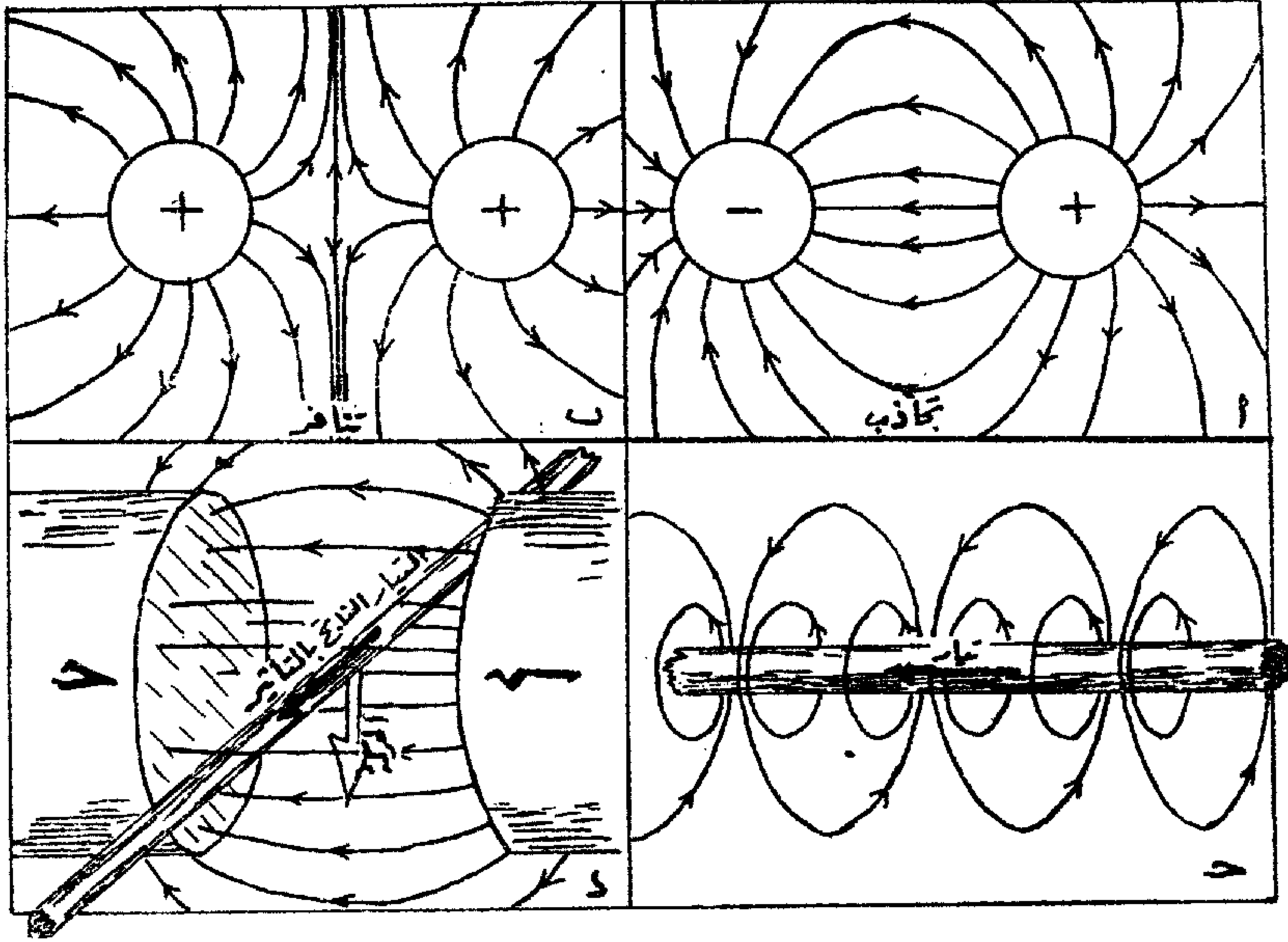
إلا أن التجارب العديدة التي أجراها من أجل إمادة اللثام عن سر هذه العلاقة باءت كلها بالفشل ، فكتب عنها في مفكرته يقول :

إنني أنهي محاولاتي عند هذا الحد الآن : فإن النتائج سلبية ، إلا أنها لا تهر شعوري القوى بوجود علاقة بين الجاذبية والكهربية ، رغم أنها لا تعطيني الدليل على وجود مثل هذه الصلة .

وبعد مضي قرن كان عبقرى آخر هو البرت أينشتين يقترح فكره ويعصر ذهنه خلال عشرات السنين محاولاً الوصول إلى ما يسمى « نظرية المجال الموحد » ، وهي النظرية التي تجمع معاً كل الظواهر الكهرومغناطيسية والجاذبية . ولكن البرت أينشتين مات دون أن يتم هذه المهمة ، تماماً كما فعل ميخائيل فارادى سواء بسواء .

المجال الكهرومغناطيسي

وتمشياً مع اكتشافات فارادى التجريبية المثيرة سارت الدراسات النظرية التي تدعمها جنباً إلى جنب . ولم تتح لفارادى فرصة الوصول إلى مرتبة عالم الفيزياء النظرية ، نظراً لأنه لم يظفر إلا بقسط صغير من التعليم ، كما لم يكن يعرف إلا التزر اليسير من الرياضيات . والحق يقال : إن تكوين صورة نظرية لظاهرة طبيعية محيرة قد لا يتطلب ولا يستلزم الوقوف على رياضيات معقدة ، وقد تكون هذه الرياضيات مضرة أحياناً ، فإن الباحث أو المنقب قد يضل بسهولة ويفقد طريقه في غابات المعادلات المتشابكة المعقدة ، أو كما يقول المثل الروسى : « لا يستطيع رؤية الغابة من الشجر » . وقبل مجيء فارادى كانت القوى الكهربائية والمغناطيسية ، وكذلك قوى الجاذبية تعتبر كأنما تعمل « عبر الفضاء » المفرغ من المادة الذي يفصل بين الأجسام التي يؤثر بعضها في بعض ، وعلى أية حال لم يستوعب عقل فارادى على بساطته مثل هذا « التأثير على بعد » ولم يبد له هذا القول مفهوماً من الوجهة الطبيعية . فهو عندما يبصر ثَمَلاً يزاح من مكان إلى آخر إنما يريد كذلك أن يبصر الحبل



شكل (٥ - ١٥)

خطوط قوى فارادى المنتمية إلى أنواع متباينة من التأثيرات المتبادلة الكهرومغناطيسية :
 (أ) خطوط القوى الكهربائية التي تعمل بين شحنتين مختلفتين . (ب) خطوط القوى الكهربائية بين شحنتين متجانستين . (ج) خطوط القوى المغناطيسية من حول سلك يحمل تياراً كهربياً .
 (د) تيار كهربى منتج بالتأثير فى سلك يتحرك (السهم الأبيض) عبر خطوط قوى مغناطيسية . وتدل الأسهم السوداء على اتجاه خطوط القوى حسب التعريف والاتفاق من الشحنة الموجبة إلى السالبة ، ومن القطب المغناطيسى الشمالى إلى القطب المغناطيسى الجنوبى .

الذى يجربّه أو العصى التى تدفعه . وعلى هذا الأساس عمد ، من أجل فهم حقيقة القوى التى تؤثر على الشحنات الكهربائية أو المغناطيسات ، إلى تصور الفضاء الكائن بينها ، كأنما هو مليء « بشيء » يستطيع الجذب والطرْد . وتحدث عن شيء شبيه بأنابيب المطاط التى تمتد بين الشحنات الكهربائية المتضادة ، أو أقطاب المغناطيس - شكل (٥ - ١٥) - فتجذبها لبعضها . وفى حالة الشحنات والأقطاب المتجانسة أو المتحدة فى العلامة تمتد أشباه أنابيب المطاط هذه بطرق مختلفة - شكل (٥ - ١٥ ب) وتدفعها بعيداً بعضها عن بعض . وعلى أية حال فإنه فى حالة المغناطيسيات يمكن أن يلاحظ اتجاه أنابيب فارادى هذه بأن تطرح برادة الحديد الدقيقة على لوح الزجاج الذى يوضع عليه المغناطيس ، فإن البرادة تتمغطس وتوجه نفسها فى اتجاه خطوط القوى المغناطيسية المؤثرة فى طول الأنابيب ،

وتكون بذلك أشكالا شبيهة بتلك المرسومة على اللوحة رقم (٣) ، أما في حالة المجال الكهربى فإنه يمكن الحصول على نتائج مشابهة باستخدام الاستقطاب الكهربى ، إلا أن التجربة أكثر صعوبة وغير سهلة الإجراء . ويقول فارادى كذلك ، إن الأنايب الكهربائية والمغناطيسية مسئولة عن كافة الظواهر الكهرمغناطيسية ، فعندما يمر تيار فى سلك كهربى يحاط بأنايب دائرية - شكل (٥ - ١٥ ج) - تعمل على شد الإبرة المغناطيسية وتوجيهها بطريقة معينة . وعند ما يحرك سلك (من الأسلاك الموصلة للكهربية) بالنسبة إلى مغناطيس (أو العكس) ، فإنه يعبر أنايب مغناطيسية - شكل (٥ - ١٥ د) - وينجم عن ذلك تولد أو إنتاج تيار كهربى فيه .

ومهما يكن من شىء فإن آراء فارادى كانت إلى حد بعيد مجرد تصوير وصفى (غير كمى) ، إلا أنها كانت فاتحة عصر جديد فى تقدم علوم الفيزياء ، فتلک القوى الغامضة التى تؤثر عبر مسافات كبيرة بين الأجسام قد أبدلت « بشىء » يضطرب على الدوام ويفيض ليملاً شتى أرجاء الفضاء الذى بينها أو من حولها ، وهو شىء يمكن أن يقدر بقيمة معينة عند أى نقطة بالذات . ولقد أدخل بذلك إلى علم الفيزياء فكرة « مجال القوة » أو مجرد « المجال » ، سواء أكانت التأثيرات كهربية ، أم مغناطيسية ؛ أم جاذبية . ويمكن الآن اعتبار القوى المؤثرة المتبادلة بين الأجسام المادية التى يفصل بينها الفضاء الكونى على أنها نتيجة لتأثير « التجاور » بين المجالات المحيطة بها .

ويقع عبء مهمة صياغة آراء فارادى فى القالب الرياضى المعبر عن الكم على عاتق رجل أسكتلندى مشهور يقال له كلارك ماكسويل - شكل (٥ - ١٦) - ولد فى أدنبرج لعدة شهور قلائل مضين على إعلان فارادى لاكتشافه التأثير الكهرمغناطيسى . وعلى عكس فارادى ، كان مكسويل هذا رياضياً ماهراً جداً . وعند ما بلغ العاشرة من عمره ذهب إلى المدرسة بأكاديمية أدنبرج ، وأرغم على أن يكرس جزءاً كبيراً من وقته فى دراسات الأفعال الإغريقية غير المنتظمة ، وغيرها من فروع « الدراسات الإنسانية » . ولكنه كان يفضل دراسة الرياضة ، وكان أول نجاح له فيها ، حسب قوله بالذات ، « عمل شكل رباعى منتظم ، وشكل

منتظم له ١٢ ضلعاً ، وشكلين آخرين منتظمين لم أعرف لهما أسماء » ، وعندما بلغ الرابعة عشرة فاز بالحصول على وسام (مدالية) الأكاديمية في الرياضة لتقدمه بورقة (بحث) يبين كيفية بناء القطع الناقص أو الاهليلج (هو الشكل البيضاوي) التام باستخدام الدبابيس والخيط . وبعد سنوات من ذلك التاريخ قدم ماكسويل للجمعية الملكية بحثين ، أحدهما في موضوع : « حول نظرية منحنيات اللف » ، والثاني في موضوع « حول توازن الأجسام الصلبة المرنة » وقرأ شخص ما البحثين أمام الجمعية ، إذ رأى أنه ليس من المستحسن ولا من المستساغ أن يصعد صبي لا يزال يلبس زى الصغار إلى منصة الخطابة هناك . وفي عام ١٨٥٠ ، وكان قد بلغ التاسعة عشرة ، أدرج اسم ماكسويل كطالب بجامعة كمبردج ، وحصل على درجته العلمية بعد مضي أربع سنوات ، وفي غضون عام ١٨٥٦ عين على كرسي الفلسفة الطبيعية بجامعة ماريشال بابردين ، فظل فيها حتى استدعته جامعة كمبردج من جديد عام ١٨٧٤ ليكون أول مدير للمعمل الجديد المنشأ باسم كافندش .

ورغم أن هواية ماكسويل الأولى تركزت في موضوع الرياضة البحث ، فإنه سرعان ما أصبح مهتماً باستخدام الطرق الرياضية في حل مسائل الفيزياء المختلفة ، فعمل إضافات « جوهريّة » عديدة لنظرية الحركة في الحرارة (الباب الرابع) ، إلا أنه ليس من شك أن أعظم أعماله على الإطلاق كانت صياغته لأفكار فارادى الخاصة بطبيعة وقوانين المجال الكهرمغناطيسي ووضعها في قالب رياضي ، عمم به الحقائق المستنتجة بالملاحظة والتجربة . وتقول تلك الحقائق إن التغير في المجالات

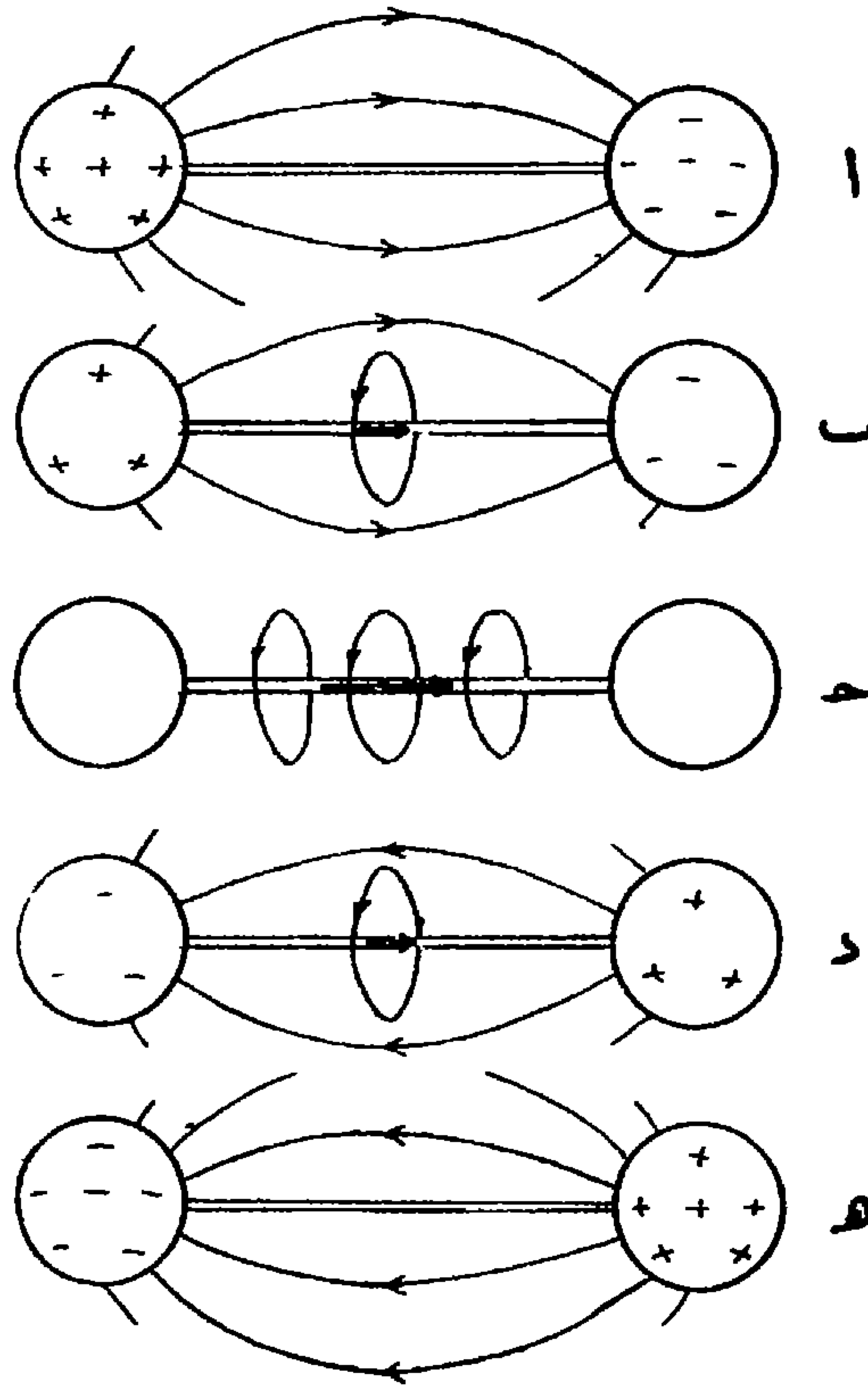


$$\begin{aligned} \text{د ف ت} &= \text{ث} : \text{د ف ه} = \text{صفر} \\ \text{ك ر ل ت} &= \frac{1}{\text{ع}} - \frac{1}{\text{و ه}} \\ \text{ك ر ل ه} &= \frac{1}{\text{ع}} + \frac{1}{\text{و ه}} + \text{ث} \frac{1}{\text{ع}} \end{aligned}$$

شكل (٥ - ١٦)

جيمس كلارك ماكسويل ومعادلاته الخاصة بالمجال الكهرمغناطيسي

المغناطيسية ينجم عنه بالتأثير تولد قوى كهربية دافعة وتيارات تسرى في الأجسام الموصلة ، على حين ينجم عن المجالات الكهربية المتغيرة وعن التيارات السارية مجالات مغناطيسية . ولقد عبر عن هذه الحقائق كلها بمعادلات رياضية لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم ، وهى تربط بين معدل التغير في المجال المغناطيسى وتوزيع المجال الكهربى في الفضاء ، والعكس بالعكس . ونحن نستطيع باستخدام معادلات مكسويل ، ومعرفة توزيع الأجسام المغناطيسية والأجسام الموصلة المشحونة بالكهرباء والتيارات الكهربية ، أن نحسب بالتفصيل المجال الكهرمغناطيسى المحيط بها كلها ، وكذلك التغير فيه بمضى الوقت . ولقد برهن مكسويل على أنه بالرغم من أن المجالات الكهربية والمغناطيسية تكون عادة (راسية) على الأجسام المشحونة بالكهرباء أو المغطاة ، فإن في مقدورها كذلك أن توجد وتنتشر في الفضاء على هيئة موجات كهرمغناطيسية حرة طليقة ، ولكى نوضح هذه النقطة نأخذ موصلين على هيئة كرتين ، إحداهما مشحونة بالكهربية الموجبة ، والثانية مشحونة بالكهربية السالبة — شكل (٥ — ١٧ أ) — ، فنجد أنه ينشأ في الفضاء الذى يحيط بالكرتين مجال كهربى ساكن ، يخزن الطاقة الكهربية للشحنتين ، كما يخزن الزنبرك الملفوف جيداً الطاقة الميكانيكية على وجه التقريب . وعندما نوصل سلكين متصلين بالكرتين أحدهما بالآخر يسرى تيار كهربى من كرة إلى أخرى ، وبذلك تبدأ الشحنة الكهربية التى على كل منهما ، وكذلك المجال الكهربى المحيط بهما ، فى التناقص سريعاً شكل (٥ — ١٧ ب) ، حتى تتلاشى كلها أخيراً كما فى شكل (٥ — ١٧ ج) . ومهما يكن من شئ فإن التيار الكهربى عند سريانه فى السلك يولد مجالا مغناطيسياً من حوله ، وفى اللحظة التى تصير فيها قيمة التيار الكهربى صفراً ، تكون طاقة المجموعة كلها مخزونة فى هذا المجال المغناطيسى . ولكن العملية لا تنتهى على هذا النحو ، فإن التيار الكهربى الذى يسرى فى السلك يستمر ، ولو بقوة متناقضة ، عاملاً على شحن الكرتين بكهربية مضادة كما فى شكل (٥ — ١٧ د) . وتعود طاقة المجال المغناطيسى مرتدة إلى طاقة مجال كهربى ، حتى نصل أخيراً إلى المرحلة التى يصير فيها التيار صفراً ، وتشحن كل كرة من الكرتين بالقدر الأصيل من الكهربية المضادة — شكل (٥ — ١٧ هـ) . وتتكرر العملية بعد ذلك متبعة نفس الخطوات ولكن فى الاتجاه المضاد . وهكذا تستمر الذبذبات الكهربية مقبلة مدبرة حتى تقف تحت تأثير فقد الطاقة التدريجى بسبب تسخين السلك الذى



شكل (٥ - ١٧)

الذبذبات الكهرومغناطيسية المتبادلة بين جسمين موصلين ، فيها تتحول طاقة المجال الكهربائي (ا) بانتظام إلى طاقة مجال مغناطيسي (ب) ، والعكس بالعكس في (هـ) .

يحمل التيار . ويحكي هذا الوضع إلى حد كبير وضع البندول حيث تتحول طاقة الحركة في منتصف كل ذبذبة إلى طاقة وضع عند الطرفين .

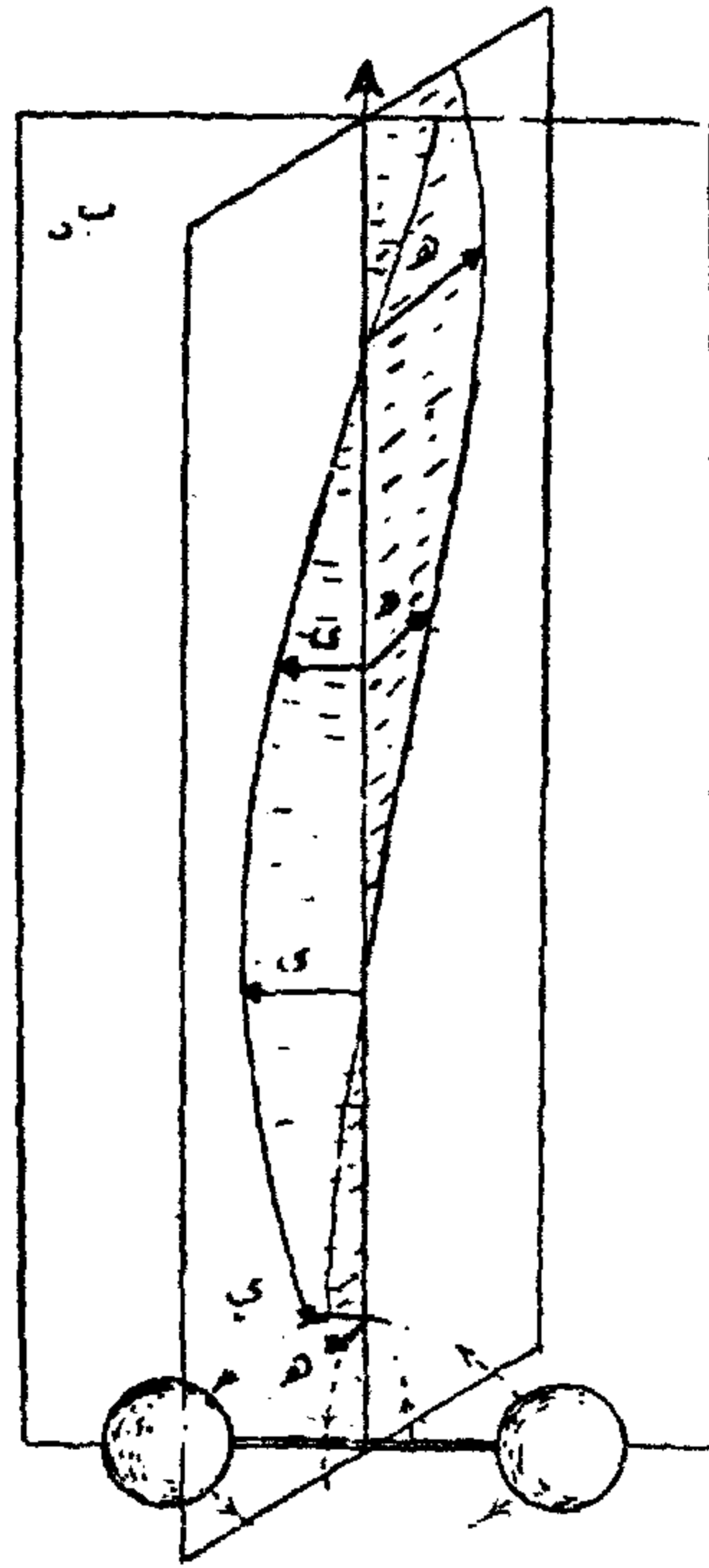
واستطاع مكسويل عن طريق استخدام معادلاته أن يبرهن على أن المجال الكهرومغناطيسي الذي يتذبذب على النحو الذي سبق شرحه إنما ينتشر عبر الفضاء المحيط بمصدر الذبذبات على هيئة موجات تنقل الطاقة إلى مسافات بعيدة . ولما كانت خطوط القوى الكهربائية تقع في المستوى الذي يمر بالسلك ، بينما تتعامد عليه خطوط القوى المغناطيسية ، فإن المقدارين الموجهين * (فكتور Vectors) اللذين

* المقدار الموجه للقوة مثلاً هو الذي يمثلها مقداراً واتجاءً (المترجم) .

يمثلان المجالين الكهربى والمغناطيسى فى الموجة المنتشرة يكون كل منهما متعامداً على الآخر وكذلك متعامداً على اتجاه انتشار الموجة ، كما فى شكل (٥ - ١٨) . ولقد أمكن التدليل على وجود مثل هذه الموجات عملياً عام ١٨٨٨ على يد عالم الفيزياء الألمانى هينرخ هرتز ، ولم يكن قد مضى زمن طويل على تكهن مكسويل بها ، مما أدى إلى ابتكار فنون الاتصال اللاسلكى الذى يمثل فى عصرنا هذا فرعاً رئيسياً من فروع حضارتنا الصناعية .

وسوف نناقش الآن ، مع شىء من التفصيل ، إحدى النقاط الهامة التى جاءت فى نظرية مكسويل ، ألا وهى حساب سرعة انتشار الموجات الكهرمغناطيسية: فنحن عندما نحاول النظر إلى التفاعل أو التأثير المتبادل الذى يحدث بين المجالات الكهربائية والمغناطيسية تعرض سبيلنا المسألة المتعلقة بالوحدات اللازمة استخدامها لقياس المقادير الكهرمغناطيسية المختلفة . ولقد رأينا فيما سبق أن وحدة الشحنة الكهربائية هى الشحنة التى إذا وضعت على بعد سنتيمتر واحد من وحدة مماثلة لها تتنافر معها بقوة تساوى (داين) . وعلى هذا القياس فإن وحدة المجال الكهربى يلزم أن تعرف بأنها المجال الذى يؤثر بقوة تساوى (داين Dyne) واحد على وحدة الشحنة الكهربائية الموضوعه فيه . وعلى نمط مماثل كذلك يمكن تعريف وحدة شدة القطب المغناطيسى ووحدة المجال المغناطيسى . ولكن ماذا يحدث لو أننا عمدنا إلى أن نأخذ فى الاعتبار تلك الظواهر التى تتضمن الكهربائية والمغناطيسية معاً ، على غرار المجال المغناطيسى الذى يولده تيار كهربى مثلاً ؟

لنفرض أننا ندرس تأثير تيار كهربى فى قطب مغناطيسى موضوع على بعد سنتيمتر واحد من السلك . هنا نستطيع أن نعرف وحدة التيار الكهربى بأنه التيار الذى يحمل وحدة الشحنة الكهربائية السابق تعريفها فى الثانية . ولكننا فى هذه الحالة نجد أن القوة التى يؤثر بها المجال المغناطيسى الذى يولده التيار فى وحدة القطب الموضوعه على بعد سنتيمتر من السلك لا يلزم أن تساوى داين Dyne واحداً ، وهى ليست كذلك بالتأكيد . وبدلاً من ذلك يمكننا تعريف وحدة التيار بأنه الذى يعطى مجالا مغناطيسياً يؤثر بقوة تساوى داين Dyne فى قطب شدته الوحدة موضوع على بعد سنتيمتر واحد . وفى هذه الحالة لا تكون كمية الكهربائية التى



شكل (٥ - ١٨)

تولد موجة كهرومغناطيسية وانتشارها نتيجة لتذبذب الشحنة بين موصلين

تسرى في السلك حاملة معها وحدة التيار الكهربى مساوية لما سبق أن عرفناه باسم وحدة الشحنة الستاتيكية ، أو الساكنة (الكتروستاتيك) وبدلاً من تخير تعريف بالذات من بين التعريفين الممكن استخدامهما ونبذ الآخر يفضل علماء الفيزياء استخدام التعريفين معاً ، وذلك بإدخال كمية ثابتة لترجمة أحد النوعين من الوحدات إلى النوع الآخر ، ولا يختلف هذا الوضع كثيراً مثلاً عن حالة قياسات الحرارة حيث يمكن استخدام السعر أو الأرج (النسبة بينهما 4.2×10^7) .

ووحدة الشحنة الكهربائية التي نعرفها باستخدام قانون كولوم للجذب والطرء الكهربى (الأول من التعريفين السابقين) هى المعروفة باسم الوحدة الكهربائية الستاتيكية الساكنة (الكتروستاتيك) ، ويرمز لها بالرمز (و . ك . س .) بينما وحدة الشحنة التي نعرفها تبعاً لقانون أرستد الخاص بتأثير التيار الكهربى على القطب المغناطيسى يقال لها الوحدة الكهربائية المغناطيسية (الكتروماجنتك) ويرمز لها بالرمز

(و. ك. م.) وتساوى الوحدة الكهربية المغناطيسية 3×10^{10} مرة قدر الوحدة الكهربية الستاتيكية ، بحيث إن التيار الذى يحمل معه وحدة كهربية ستاتيكية فى الثانية يؤثر بقوة تساوى $\frac{1}{3 \times 10^{10}}$ من الداين * فقط فى وحدة القطب الموضوع على بعد سنتيمتر ، أما الجسمان اللذان يشحن كل منهما بشحنة تساوى وحدة كهربية مغناطيسية ، عند ما يكونان على بعد سنتيمتر واحد ، فيتنافران بقوة تساوى 3×10^{10} داين .

ولما كان مكسويل يستخدم وحدات كهربية ستاتيكية فى كتابة معادلاته للتعبير عن المجالات الكهربية ، ووحدات كهربية مغناطيسية للتعبير عن المجالات المغناطيسية ، فقد ظهر المعامل 3×10^{10} فى قوانينه ، وذلك عند ما تتضمن المعادلة الرياضية المجال الكهربى فى جانب منها والمجال المغناطيسى فى الجانب الآخر . كما أن استخدام هذه المعادلات من أجل وصف الموجات الكهرمغناطيسية المنتشرة دل على أن سرعة الانتشار تساوى عددياً النسبة بين الوجدتين ، أى 3×10^{10} سنتيمترات فى الثانية الواحدة . واسترعى هذا الرقم الأنظار لأنه إنما يساوى تماماً سرعة انتشار الضوء فى الفراغ كما قيست بطرق عديدة قبل مولد مكسويل بمدة طويلة . وراح مكسويل يفكر فى الأمر وذهب إلى أنه من اللازم أن تكون موجات الضوء موجات كهرمغناطيسية ذات أطوال قصيرة جداً ، وأدى هذا رأى إلى ظهور فرع هام من فروع الفيزياء هو :

(النظرية الكهرمغناطيسية للضوء) . ونحن اليوم نعلل التفاعل المتبادل بين الضوء والمادة ، ذلك التفاعل الذى يتضمن الظواهر التى على غرار إرسال الضوء وانتشاره وامتصاصه كنتيجة لقوى مؤثرة بين الموجات الكهرمغناطيسية القصيرة المرسلة والجسيمات الصغيرة المشحونة بالكهربية ، أى الكهارب أو الإلكترونات التى تسبح بلا انقطاع من حول نوى الذرات ذات الشحنات الموجبة . وفى مقدورنا الآن أن نفسر أصغر تفاصيل الظواهر والقوانين الضوئية باستخدام معادلات مكسويل .

* داين Dyne القوة التى تسبب أن كتلة مقدارها جرام واحد تغير سرعتها بمعدل سنتيمتر واحد فى الثانية لكل ثانية طوال مدة عملها .
معجم ويبستر ص ٤٥٣

وكثيراً ما كان التوافق في القيمة العددية بين المقادير الطبيعية التي يلوح أنه لا رباط بينها — مثل النسبة بين الوحدات الكهرستاتيكية والكهرمغناطيسية من ناحية ، وسرعة الضوء من ناحية أخرى — سبباً في الوصول إلى كشف جديدة هامة وتعميمات واسعة في علم الفيزياء . ولسوف نرى فيما بعد في هذا الكتاب كيف أن توافقاً مماثلاً بين ثابتين من ثوابت الفيزياء — يتصل أحدهما بإشعاع موجات الضوء والحرارة من الأجسام الساخنة ، ويتصل الثاني بانبعاث الكهارب من الأسطح المضاءة بالأشعة فوق البنفسجية — تمخض عن ملاحظة عظمى لها قيمتها في نشوء نظرية الكم .

الباب السادس ثورة النسبية

ذكرنا في الباب السابق كيف أنه في أواخر القرن التاسع عشر تبلورت فكرة وجود وسط عالمي يملأ الفضاء الكوني وينبث بين سائر الأجسام المادية متداخلاً معها ، وكيف أصبح ذلك الافتراض من دعائم علم الفيزياء . وتحت اسم تأثير هيجنز استخدم هذا الوسط كطبقة من وراء المادة تنتشر فيها موجات الضوء ، كما أنه تحت اسم أنابيب فارادى اعتبر مسئولاً عن القوى المتبادلة بين الأجسام المشحونة بالكهرباء والممغنطة . ولقد أدت أعمال مكسويل إلى التوفيق بين هذين الواسطين الافتراضيين ، بأن بينت أن الضوء ما هو إلا موجات كهرومغناطيسية منتشرة ، كما أنها في الوقت نفسه أمدتنا بنظرية رياضية رائعة ربطت بين سائر الظواهر المتضمنة للضوء والكهرية والمغناطيسية . ولكن على الرغم من هذا النجاح كله ظلت علوم الفيزياء عاجزة عن وصف خصائص هذا الوسط العالمي الغامض بنفس الألفاظ والتعبيرات التي يستخدمها في وصف الأوساط المادية المألوفة لدينا ، مثل الغازات والأجسام الصلبة والسائلة ، وتناقضت نتائج كل المحاولات التي بذلت في هذا الصدد .

أزمة الفيزياء التقليدية القديمة *

الحق أن ظاهرة استقطاب الضوء لم تدع مجالاً للشك في أننا نعالج هنا مسألة ذبذبات مستعرضة ، تتحرك فيها أجزاء الوسط مقبلة مدبرة في اتجاه متعامد على اتجاه الانتشار . ولكن العجيب في هذا الأمر أن الذبذبات المستعرضة لا يمكن أن توجد إلا في المواد الصلبة التي ، بعكس السوائل والغازات ، تقاوم أية محاولة تعمل على تغيير أشكالها ، وعلى ذلك كان لازماً أن يعتبر التأثير الذي ينتشر فيه الضوء

* هي الكلاسيكية (المترجم) .

مادة صلبة . وإذا كان الأمر هكذا ، وبفرض أن الأثير يملأ شتى أرجاء العالم والفضاء الذى من حولنا ، فكيف إذن نستطيع المشى والجرى على الأرض ، وكيف تدور الكواكب من حول الشمس منذ بلايين السنين ، دون اعتراض أية مقاومة مهما كان نوعها ؟

ولقد حاول عالم الفيزياء البريطانى الشهير اللورد كلفن حل هذا التناقض الظاهر بأن أسبغ على الأثير العالمى هذا صفات تحكى صفات غراء صانع الأحذية أو شمع الحتم . ولهاتين المادتين خاصية تعرف باسم (اللدانة) ، فهى فى الوقت الذى تقصف فيه ، كما تقصف قطعة الزجاج تحت وطأة قوة كبيرة سريعة العمل ، نجدها تسرى أو تتدفق كالسوائل تحت تأثير القوى الضعيفة جداً (التى على غرار أوزانها) عند ما تعمل خلال فترة طويلة من الزمن . ويقول كلفن إنه فى حالة موجات الضوء ، حيث تغير القوة اتجاهها ببلايين بلايين المرات فى الثانية الواحدة ، يبدو الأثير العالمى على هيئة جسم صلب من ، بينما فى حالة الحركات الوئيدة ، كتحركات الناس والطيور وسبح الكواكب والنجوم فإنه يسمح لها دون مقاومة تقريباً . ولكن إذا كانت أنابيب فارادى ما هى إلا سلسلة من حالات الشد والضغط (والدفع) فى الأثير العالمى فإن المغناطيسات المستديرة والشحنات الكهربائية الساكنة لن تتواجد خلال أية فترة زمنية يمكن ملاحظتها ، وذلك نظراً لأن التضغط سوف يضمحل سريعاً تحت تأثير التغيرات أو الاستجابات التى يخضع لها هذا الوسط الغامض بفعل مرونته ولدونته . وإنه لمن اليسير جداً أن ينتقد أولئك الذين يصلون إلى استنتاجات خاطئة بعد معرفة الحقيقة والصواب ، ولكن أعجب العجب أن فطاحل العلماء الفيزيائيين فى القرن الماضى لم يفتنوا إلى ذلك ، فلو أنه كان للأثير أى وجود فإن خصائصه لا بد أن تختلف تماماً عن خصائص وصفات الأجسام المادية العادية المعروفة لنا . والحق يقال لم يكن أحد يجهل أن جميع صفات الأجسام المادية العادية التى على غرار قابلية الغازات للتضاغط ، إنما ترجع إلى تركيبها الجزيئى ، وتنجم عن حركة الجزيئات ومجموعة القوى المؤثرة بينها . ويلوح أن أحداً ، فيما عدا الكيميائى الروسى دمترى مندليف الذى أسبغ على الأثير وزناً ذرياً قيمته الصفر (فى الجدول الدورى) * للعناصر ، لم يفكر قط فى أن

* من المعروف أن مندليف قسم العناصر بحسب أوزانها الذرية إلى مجموعات رتبها فى جدول هو « جدول الترتيب الدورى » (المترجم) .

للأثير العالمى تركيبه الجزيئى الخاص به ، وأنه على أية حال لا يقودنا مثل هذا الافتراض إلى تعقيدات إضافية فوق تلك التى تعترض سبيلنا ، وإذا كان لابد من تفسير هذه القوى التى تعمل بين المغناطيسات والأجسام المشحونة وانتشار الضوء فى الفضاء ، بوجود نوع من الوسط الخلقى ، فإن هذا الوسط لا يلزم أن يشابه بحال من الأحوال الأجسام المادية العادية التى نألفها . ولما كان العقل البشرى كثيراً ما يقنع - ويقتصر على الآراء التقليدية (القديمة) ، فقد كان على أينشتين أن يخلصنا بعقريته من عالم الأثير القديم المناقض لعالمنا ويقذف به بعيداً ، مستبدلاً إياه بفكرة المجال الكهرمغناطيسى العام أو الممدد ، الذى يسبغ عليه حقيقة طبيعية تعادل تلك الحقيقة التى نسبغها على أى جسم مادى .

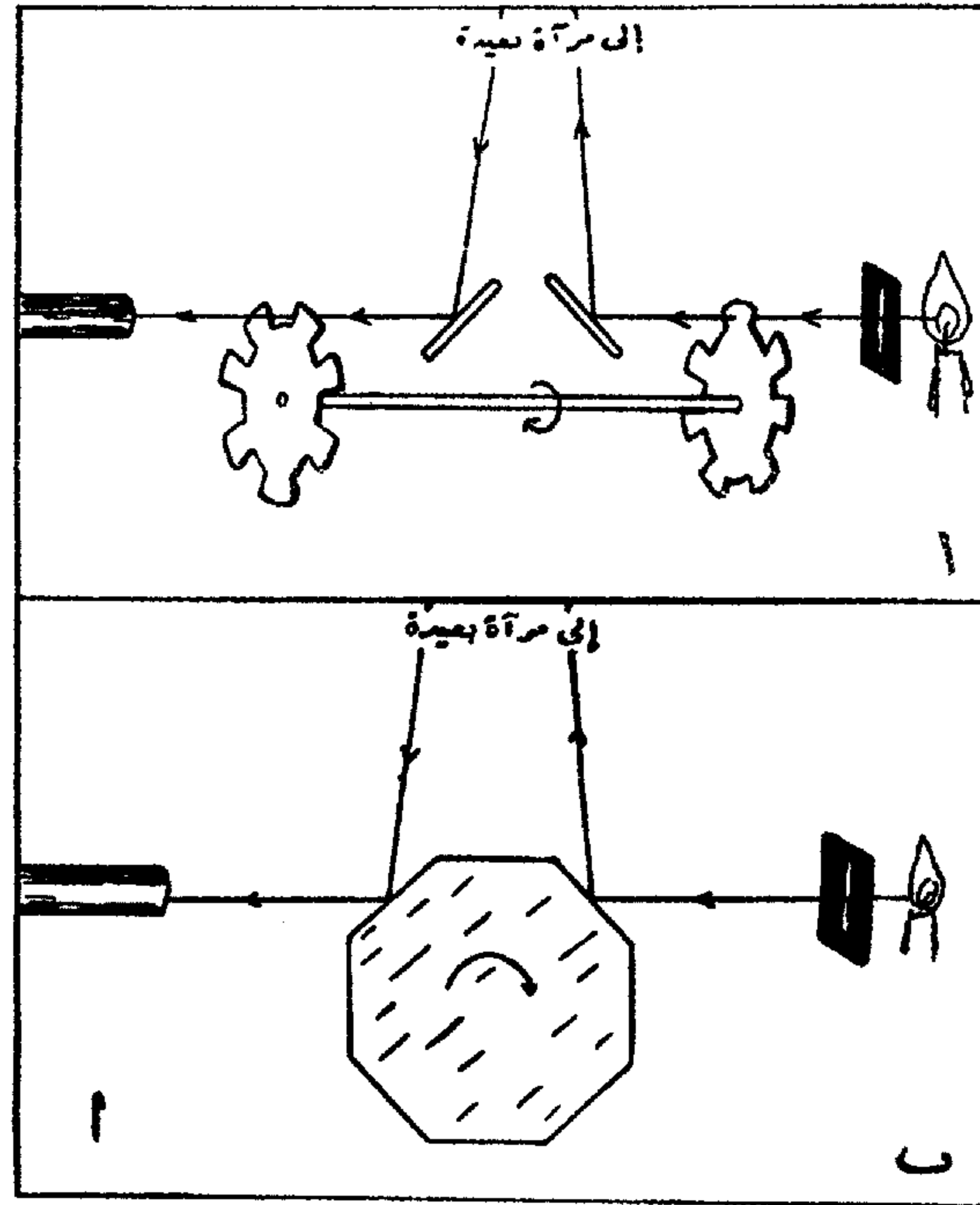
سرعة الضوء

عملت أول محاولة لقياس سرعة الضوء بمعرفة جاليليو ، الذى ذهب ذات مساء مع مساعده إلى الأرياف ، وحملاً معهما مصباحين لكل مصباح منهما فتحة لها حاجب . وهناك فى الخلاء ، وقف كل واحد على بعد من الثانى جعلاه أكبر ما يمكن ، ولكن بحيث يسمح لكل منهما برؤية الآخر . ثم أجريا التجربة ، بأن جعل المساعد مصباحه يومض فى اللحظة التى أبصر فيها وميض مصباح جاليليو . وكان من الطبيعى أن يدل تأخر وصول الإشارة المرتدة على أن الضوء إنما ينتشر بسرعة محدودة يمكن قياسها . ولكن الذى حدث على أية حال أن جاءت هذه التجربة بنتيجة سلبية تماماً ، لأنه ، كما نعرف اليوم ، تبلغ سرعة انتشار الضوء من الكبر الحد الذى نتوقع فيه ألا يزيد تأخر الإشارة المرتدة على جزء من مائة ألف جزء من الثانية الواحدة . وبعد مضى أكثر من قرنين أعيد إجراء تجربة جاليليو بعد تحسينها وإدخال تعديلات جوهرية عليها بمعرفة عالم الفيزياء الفرنسى آرماند هيبوليت فيزو ، الذى استخدم الأجهزة الموضحة فى شكل (٦ - ١١) ، وهى تتكون من

عجلتين مستنتين ومثبتتين في طرف محور طويل بحيث أن أسنان عجلة كل منهما تقابل تماماً الفتحات التي بين الأسنان في العجلة الأخرى ، وبذلك لا يمكن للعين التي إلى اليسار أن ترى حزمة الضوء المنبعثة من المصدر الضوئي ، بصرف النظر عن الطريقة التي يلف بها المحور ، ولكن عندما تدار العجلتان بسرعة فائقة ، تبلغ الحد الذي يتحركان فيه مسافة تساوي نصف المسافة بين أي سنين متجاورتين في نفس الوقت الذي يستغرقه الضوء للانتقال من عجلة إلى أخرى ، فإنه يكون من المتظر أن تمر الحزمة الضوئية وتنفذ من العجلتين بسلام . ولقد عمد فيزو إلى زيادة المسافة التي يقطعها الضوء بين العجلتين زيادة كبيرة باستخدام ثلاث مرايا ، وضع إحداها بعيداً جداً على النحو الموضح في الشكل ، وعندما راح يلف العجلتين بمعدل بلغ نحو عدة آلاف دورة في الدقيقة ، ابتهج بملاحظة الضوء وهو يمر عبر الجهاز من غير عائق . وعندما عوض عن القيم التي حصل عليها في قياس المسافة والزمن ، استنتج أن سرعة الضوء هي على وجه التحديد 3×10^{10} من الستيمترات في الثانية . وطابق هذا الرقم القيمة التي حصل عليها الفلكي الدانمركي ألوس رومر ، من أرصاده الخاصة بالتأخر الظاهري في خسوف أقمار المشتري عندما كان الكوكب على أبعاد متباينة من الأرض ، وكان لم يمض على موت جاليليو زهاء الثلاثين عاماً .

ولا تستخدم طريقة فيزو هذه إلا لقياس سرعة الضوء في الهواء (وهي تساوي على وجه التقريب سرعته في الفضاء أو الفراغ) ، وذلك نظراً لأن المرآة التي استخدمت في تكبير المسار الضوئي كان من اللازم وضعها على بعد كبير من الجهاز حتى يمكن مشاهدة الأثر الناتج . ولكن صديقه وزميله جين فوكولت (ولداً معاً في عام ١٨١٩ ، وكانا من علماء فرنسا المرموقين) ، نجح في تقصير المسافة بأن أبدل العجلتين المستنتين بمرآة تدار حول محورها . ولقد سمح جهازه المبين في شكل (٦ - ١ ب) ، والذي يشرح نفسه بنفسه ، بتقصير المسار الضوئي إلى بضعة أمتار فقط ، وبذلك استطاع أن يمرر الضوء خلال المسار بأكمله في الماء ، أو أي وسط آخر شفاف . وعند ما أجرى هذه التجربة وجد أن سرعة الضوء في الأجسام المادية تقل عن قيمتها في الفراغ ، وبذلك أمدت هذه النتيجة

وجهات نظر هيجنز بسند جاء متأخراً ، إلا أنه كان له وزنه وقيمته على أية حال ضد آراء نيوتن ، فإن النظرية الموجبة للضوء كانت قد قدرت سرعة الضوء في الماء والزجاج . . . إلخ ، على أنها تساوى تماماً السرعة في الفراغ مقسومة على معامل انكسار المادة الشفافة التي يمر خلالها الضوء .



شكل (٦ - ١)

(١) طريقة فيزو ، (ب) طريقة فوكولت لقياس سرعة الضوء

سرعة الضوء في الوسط المتحرك

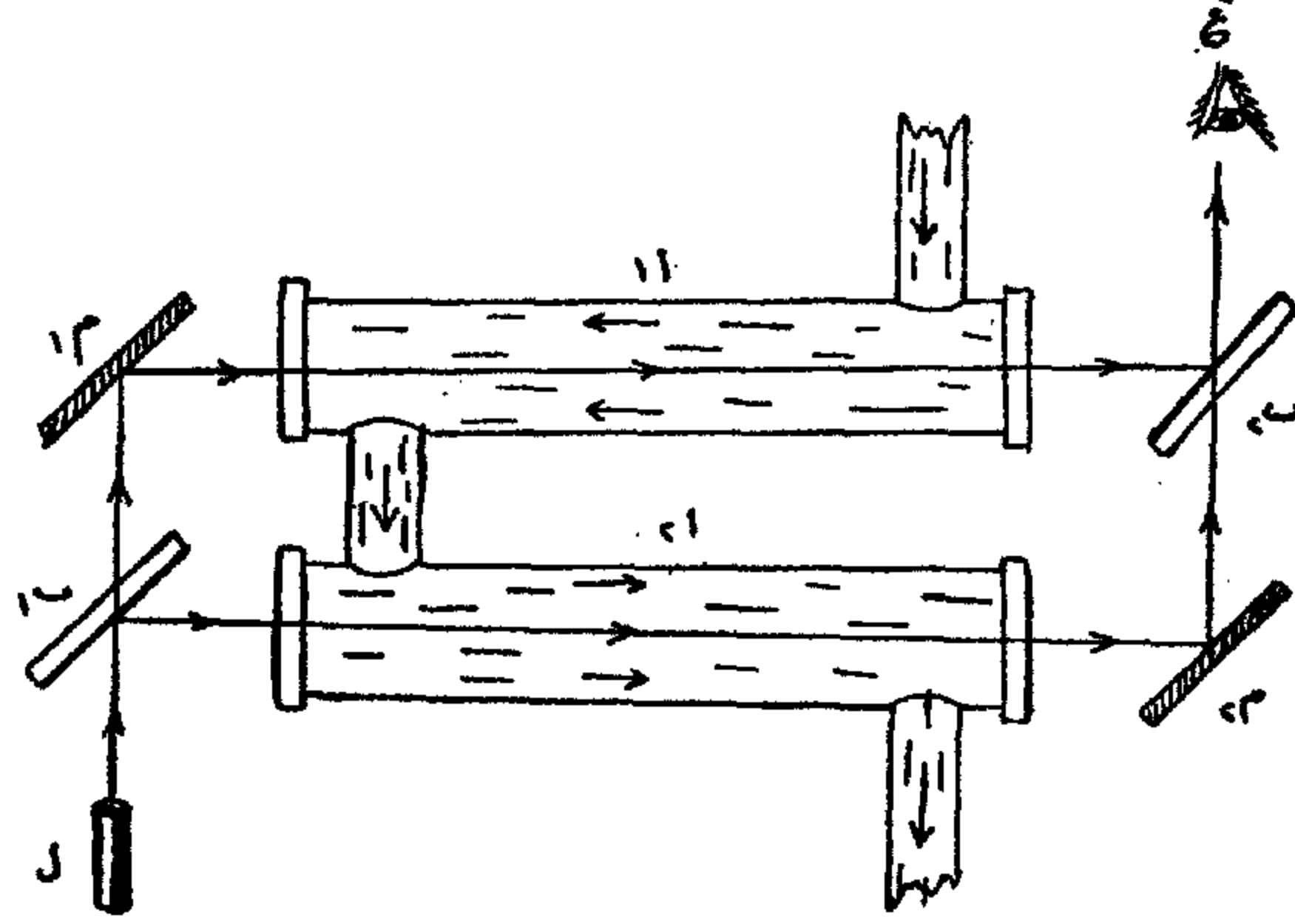
عندما وثق علماء الفيزياء في القرن التاسع عشر من الطريقة التي يقيسون بها سرعة الضوء بكل دقة وعناية ، راحوا يجرون البحوث العديدة على انتشار الضوء على أمل أن تلقى تلك التجارب بعض الضوء على الأثير العالمى ، ذلك الوسط الغامض الذى افترضوا وجوده لانتشار موجات الضوء . وأجرى فيزو أهم تجربة في هذا الصدد عام ١٨٥١ ، رغم أنه لم يفتن أحد إلى أهميتها وقيمتها العظمى إلا بعد

أن نشر أينشتين بحوثه لأول مرة . وكانت الفكرة (أو الغرض) من إجراء هذه التجربة الوقوف على مدى تغير سرعة الضوء تبعاً لحركة الوسط الذي ينتشر فيه . وبطبيعة الحال عند ما تقارن هذه الحالة بحالة أمواج الصوت عند ما تنتشر في الهواء نجد أن سرعة هذه الأخيرة إنما تتأثر مباشرة بحركة كتل الهواء ، بحيث تزداد سرعة الصوت أو تنقص إذا انتشرت موجاته على التوالي مع اتجاه الريح أو في الاتجاه المضاد . ونحن لانشك في كل هذا ، إلا أن السؤال هو : هل يحدث نفس الشيء عند ما ينتشر الضوء خلال وسط متحرك ؟ وللإجابة على ذلك قرر فيزو أن يقيس سرعة الضوء عندما تنتشر موجاته على طول أنبوبة يجري فيها الماء سريعاً ، وأن يعرف هل يستلزم ذلك إضافة سرعة المياه إلى سرعة الضوء في الفراغ أو طرحها منها ؟ وبطبيعة الحال من المتوقع أن يكون التغير في سرعة الضوء في هذه الحالة صغيراً جداً ، وذلك نظراً لأن أكبر سرعة يمكن تحقيقها فنياً ليسرى بها الماء في الأنبوبة لا تعدو أن تكون كسراً صغيراً جداً بالنسبة إلى سرعة الضوء . وعلى ذلك فإن القياسات المباشرة لسرعة الضوء في مثل هذه الحالة ، سواء باستخدام طريقة فيزو أو طريقة فوكولت السابق شرحهما لن تعطى أية فروق ، ولكن لما كان كل ما نطلبه ونتطلع إليه في هذا الصدد يقتصر على معرفة (الفرق) بين سرعتي الضوء في الماء المتحرك والماء الساكن ، فمن الممكن أن نستخدم هنا طريقة أكثر دقة ، تعتمد في عملها على تداخل شعاعين ضوئيين ويبين شكل (٦ - ٢) المبدأ الذي تتضمنه هذه التجربة .

يسقط الضوء الذي له طول معين* من المصباح الزئبقي ل على لوح من الزجاج (ب ١) مغطى بطبقة رقيقة جداً من الفضة تبلغ من الرقة درجة تجعلها تكفي فقط لرد أو عكس نصف الشعاع ، على حين ينفذ النصف الباقي ليرتد بوساطة المرآة م ١ ، وعلى ذلك نحصل على حزمتين من الضوء متوازيتين ولهما نفس الشدة ، وتنظم الذبذبات فيهما ليحدث بينهما توافق تماماً كما رأينا في تجربة ينج التي شرحناها في الباب الثالث . وتمر الحزمتان خلال الأنبوبتين ١ ، ٢ ومن ثم يجمعان معاً مرة أخرى بوساطة لوح الزجاج ب ٢ . وعندما يكون الماء الذي في الأنبوبتين

* هو الذي له لون معين بدلا من خليط الألوان (المترجم) .

ساكناً لا يتحرك تصل الحزمتان الضوئيتان إلى عين الراصد ع وقد اتحدت في الطور، (أى تتفق قمة الموجة في إحداهما مع قمة الموجة في الأخرى والحضيض مع الحضيض) ، وبذلك تزداد شدة إضاءة الحزمة . ولكن إذا حدث أن تحرك الماء في الأنبوبتين في اتجاهين متضادين ونجم عن ذلك أن سحب الماء معه موجات



شكل (٦ - ٢)

تجربة فيزو من أجل مشاهدة التغير الطارئ على سرعة الضوء المنتشر خلال الوسط المتحرك . الضوء ، فإن الموجات التي في الحزمة السفلى سوف تصل إلى ع قبل أن تصلها الموجات التي في الحزمة العليا المناظرة ، وإذا ما كان الفرق يساوى تماماً نصف طول الموجة المستخدمة ، فإنه يحدث تداخل هادم (أى تنطبق القمة مع الحضيض والحضيض مع القمة) . ولنحاول أن نعمل تقديراً تقريبياً للسرعة التي يلزم أن يتحرك بها الماء في ب_١ حتى يحدث هذا الفرق في الطور . إذا أعطينا أن طول كل من الأنبوبتين المستخدمتين في تجربة فيزو كان يساوى ١,٥ متراً، أو ١٥٠ سنتيمتراً، وأن طول الموجة التي استخدمت كان نحو ٠,٥ ميكرون (أو ٥ × ١٠^{-٦} سنتيمترات) ، بحيث وجدت سلسلة من الموجات عددها ٣ × ١٠^٦ موجة على طول الأنبوبة . ولكي نغير هذا العدد بقيمة تساوى نصف طول الموجة الواحدة (من ٣ ملايين إلى ٣ ¼ مليون)^(١) يلزم أن تزداد سرعة الضوء في الأنبوبة التي يتحرك فيها الماء أو تنقص بكثر قدره $\frac{0.5}{3 \times 10^6}$ ، أى ١,٧ × ١٠^{-٦} ^(٢) . ولما كانت سرعة الضوء

(١) الصواب هو من ٣ ملايين إلى ٣ ملايين موجة ونصف موجة . (المترجم) .

(٢) الصواب هو ١,٧ × ١٠^{-٧} . (المترجم) .

في الماء تساوى نحو 2×10^8 ستيترات في الثانية الواحدة ، فإن سرعة انسياب الماء اللازم توفرها للحصول على هذه النتيجة يجب أن تكون على وجه التقريب مساوية $\frac{2 \times 10^8}{1.7 \times 10^7}$ ^(١) وهذه تساوى ١٠٠٠ ستيتر في الثانية ، أو عشرة أمتار في الثانية . وهى قيمة برغم كبرها إلا أنه يمكن أن تسرى بها المياه في الأنابيب . ومجمل القول أنه يمكن مشاهدة التغيرات المنتظرة في سرعة الضوء عن طريق رصد أهداب التداخل في تلك التجربة .

وبعد أن أجرى فيزيو القياسات الدقيقة مع تغيير سرعة سريان الماء ، خرج بنتيجة تعتبر حلاً وسطاً بين الاحتمالين الممكن ، حدوثهما وفحواها أن سرعة الضوء في الماء المتحرك تختلف عن سرعته في الماء الساكن . إلا أن الفرق يقل عن سرعة سريان الماء . ووجد فيزو من (إزاحة أهداب التداخل) أن سرعة انتشار الضوء في اتجاه سريان الماء تزداد بمقدار $\frac{4}{4}$ % من سرعة الماء ، بينما سرعة انتشار الضوء في الاتجاه المضاد تنقص بنفس القدر . وعندما استخدمت سوائل أخرى وجد أن قيمة سحبها للضوء المنتشر خلالها تختلف وتباين ، وتمخضت هذه التجارب عن اعتبار سرعة الضوء في سائل متحرك هى تلك التى تعطىها المعادلة الآتية التى تم استنتاجها لتوافق نتائج التجارب (أمبيريكال) * .

$$s = \frac{1}{n} \pm (1 - \frac{1}{n}) s^- ,$$

حيث n هى معامل انكسار السائل المستخدم ، و s^- سرعته ، و s هى سرعة الضوء في الفراغ $= 3 \times 10^8$ واحدة . ولم يستطع فيزو ولا أى شخص آخر عاش في تلك الآونة أن يصور ما يمكن أن تعينه هذه المعادلة ، وبقيت المسألة معلقة مدة نصف قرن ، حتى جاء أينشتين الذى برهن على أن هذه المعادلة الغامضة المستنتجة من التجارب إنما هى نتيجة مباشرة لنظرية النسبية .

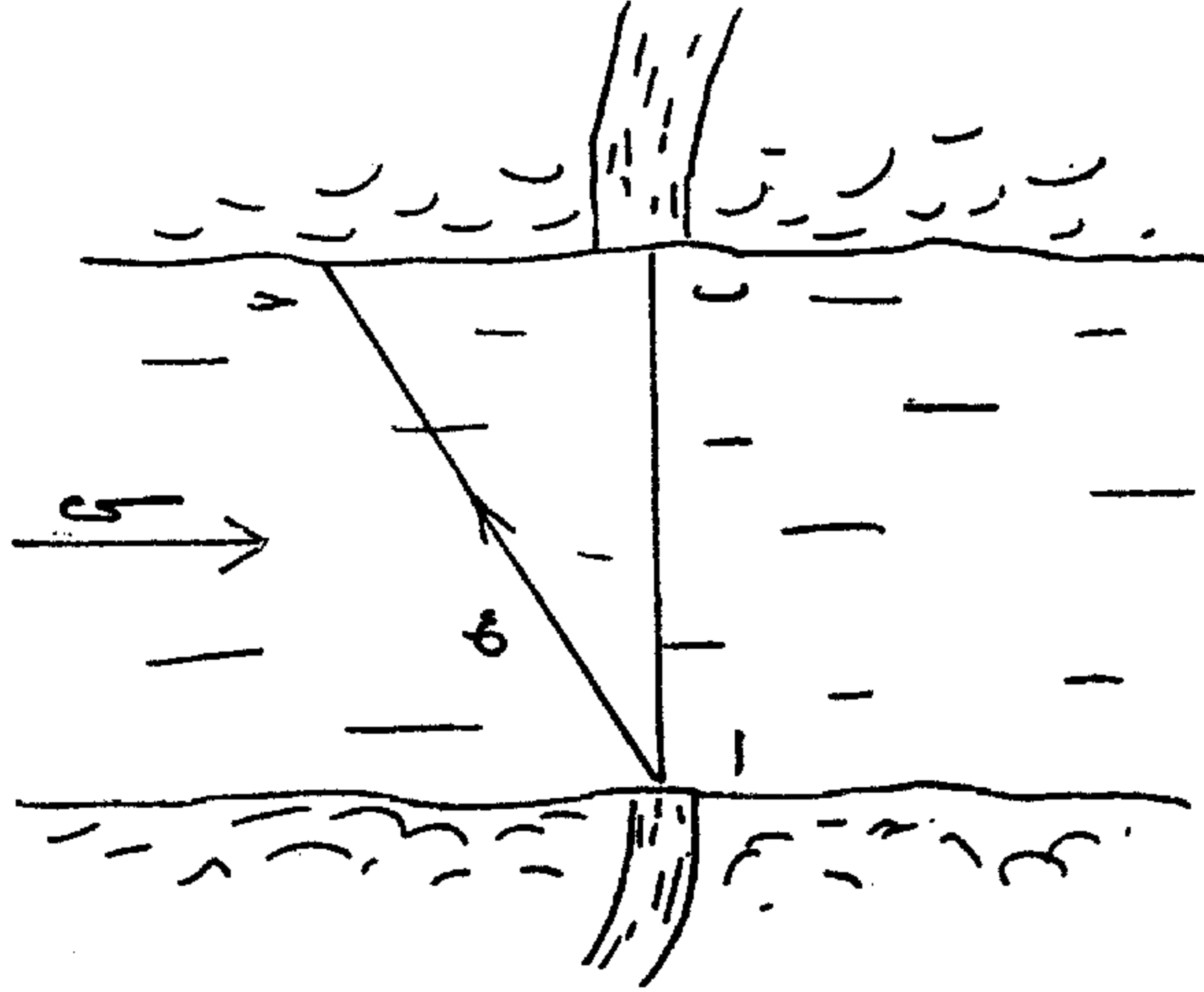
(١) الصواب هو $2 \times 10^8 \times 1.7 = 3500$ سم ثانية أو نحو ٣٥ متراً في الثانية .
(الترجم) .

* القانون (التجريبي) هو الذى لا يتم استنتاجه رياضياً على أساس نظرية خاصة ، ولكنه الذى تم صياغته واختيار قيم الثوابت فيه بحيث يلائم ما يجمع من أرصاد وقرارات .
(المؤلف) .

سرعة الضوء على الأرض المتحركة

في عام ١٨٨٧ ، عندما كان عمر أينشتين ثمانى سنوات ، أجرى عالم الفيزياء الأمريكى ا. ا. ميكلسون ومساعدته ي. و. ومورلى تجربة أخرى رائعة . فإذا كان في مقدور فيزو أن يلاحظ تأثير مجرى الماء السريع على انتشار الضوء خلاله ، فن الأجدر أن نلاحظ أثر حركة الأرض عبر الفضاء في سرعة الضوء المقاسة على سطحها . فليس من شك أن الأرض تجرى في فلكها من حول الشمس بسرعة تقدر بنحو ٣٠ كيلومتراً في الثانية ، وهذا يستلزم هبوب رياح أثرية على سطحها . ومن الجائز جداً أن تمتد تلك الرياح الأثرية في هبوبها إلى باطن الأرض نفسها ، تماماً كما يحدث عند ما يقود فرد سيارة مفتوحة في يوم خلا من الرياح . ولقد استخدم ميكلسون ومورلى في تجربتهما نفس الفكرة التي استخدمها فيزو مع تحويل نظراً لعدم إمكان توافر ما يستعاض به عن الأنبوبتين المتوازيتين بحيث تناسب فيهما الرياح الأثرية في اتجاهين مختلفين . وبدلاً من ذلك عمداً إلى قياس الزمن الذي يستغرقه الضوء في رحلته الدائرية عند ما ينتشر في اتجاه الرياح الأثرية كما نتوقعها ، ثم في رحلة مائلة عند ما ينتشر في اتجاه متعامد عليها . ولكي نفهم مبدأ تلك التجربة ، نصرب مثلاً بقارب له محرك آلى ويعمل رحلات يعود في نهايتها إلى نقطة القيام . ولنبدأ بالحالات التي فيها تتم رحلاته على طول نهر عريض ، ثم تنتقل بعد ذلك إلى الحالات التي يعمل فيها رحلات بعرض النهر . من الجلى والواضح أن القارب في الحالة الأولى يجرى خلال جزء من الرحلة مع التيار في النهر ، وتكون محصلة سرعته في مثل هذه الحالة هي (ع + س) ، حيث ع هي سرعته بالنسبة للماء ، وحيث س هي سرعة سريان الماء في النهر . وعند ما يقفل القارب عائداً يجرى ضد التيار ، وتكون سرعته في مجموعها هي (ع - س) . فإذا كانت المسافة بين مكانين للترول على طول النهر هي ل فإن الوقت ن اللازم للعودة يساوى :

$$\frac{\frac{L}{c} \cdot 2}{\frac{c}{s} - 1} = \frac{2Lc}{c^2 - s^2} = \frac{L}{c-s} + \frac{L}{c+s} = 2$$



شكل (٦ - ٣)

مسألة القارب الذي يعبر النهر

ولما كان الحد $\frac{2L}{c}$ يعين الزمن اللازم للذهاب والإياب عند ما يسكن الماء في النهر يتضح لنا أن وجود التيار إنما يعمل على إطالة زمن الرحلة الكاملة . ويحدث (على الأخص) عند ما تكون s مساوية للسرعة c أو أكبر منها أن القارب لن يعود بتاتاً ويمتد الزمن ت إلى ما لا نهاية .

وعند ما ندرس حالة القارب الذي يعبر النهر بالعرض - شكل (٦ - ٣) - ، نجد أنه يبدأ الرحلة من النقطة ١ ليصل إلى النقطة ب على طول عرض النهر مباشرة ، يكون عليه أن ينحرف قليلاً في خط سيره ضد التيار حتى يعوض ما يحدث له التيار من إزاحة في اتجاه انسيابه . وعلى ذلك نجد أنه في خلال الفترة التي يقطع فيها المسافة AB بالنسبة للماء ، يكون عليه أن ينساب ضد التيار خلال المسافة AB في نفس

الوقت . ومن الواضح أن النسبة $\frac{ب}{ا}$ هي عينها النسبة بين سرعة التيار وسرعة القارب المتحرك . وعند ما نطبق نظرية فيثاغورث على المثلث ا ب ج نجد أن :

$$\overline{ا ب}^2 = \left(\frac{ع}{س} \times \overline{ا ج} \right)^2 + \overline{ا ج}^2$$

$$\text{أو } \overline{ا ب}^2 = \overline{ا ج}^2 \times \left(\frac{ع^2}{س^2} - 1 \right)$$

$$\text{أو } \overline{ا ب} = \overline{ا ج} \sqrt{\frac{ع^2}{س^2} - 1}$$

فإذا كانت أ ب = ل ، ، يكون الزمن اللازم للذهاب والإياب :

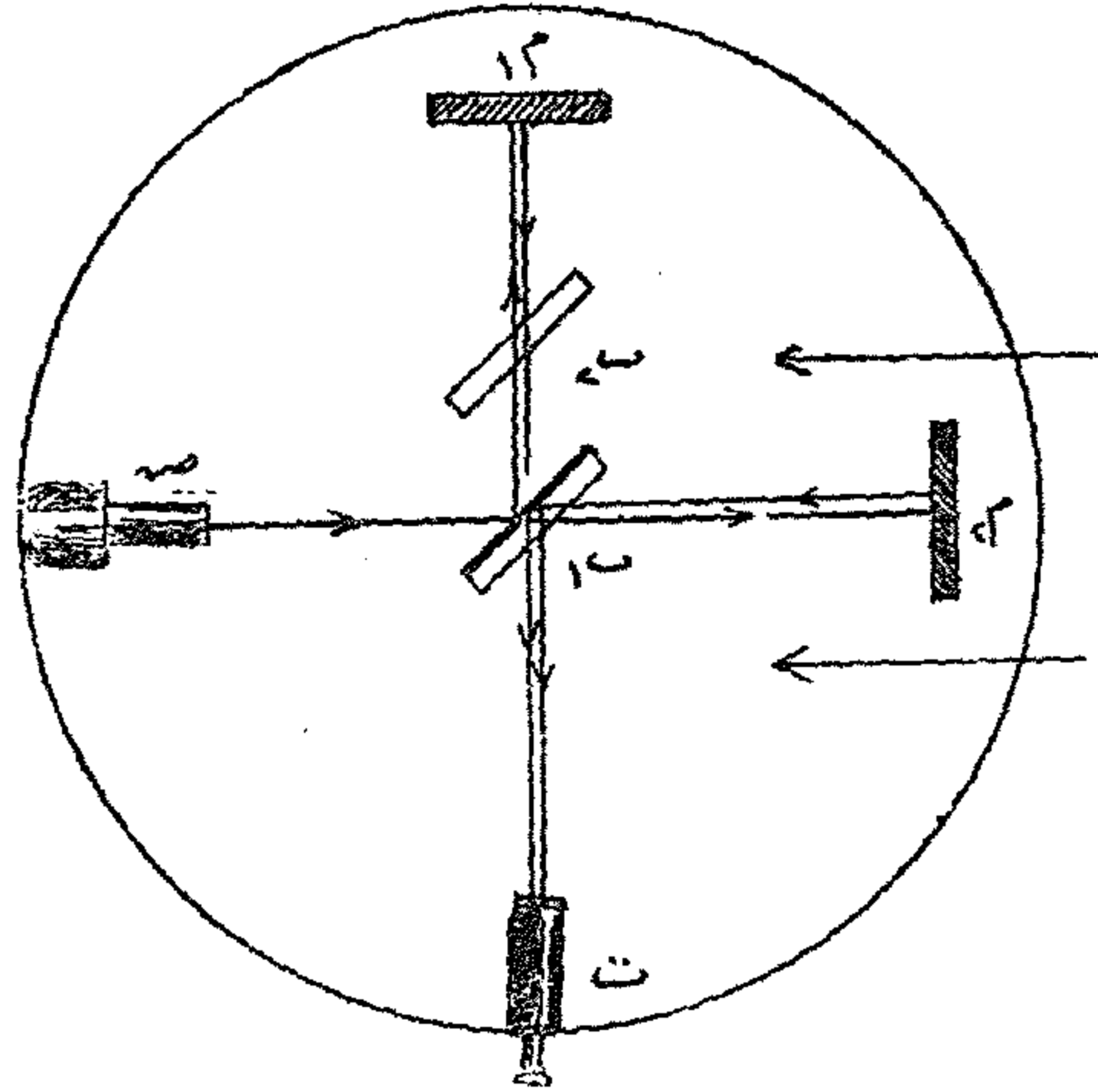
$$\frac{\frac{ل}{ع}}{\sqrt{\frac{ع^2}{س^2} - 1}} = \frac{\overline{ا ج}^2}{ع} = \tau$$

وكما رأينا في الحالة السابقة ، يكون هذا الزمن أطول من الفترة اللازمة لإتمام الرحلة في حالة سكون الماء ، إلا أن المعامل اللازم لإجراء التصحيح ، وهو

$$\sqrt{1 - \frac{س^2}{ع^2}} \text{ أصغر من المعامل السابق } 1 - \frac{س^2}{ع^2} .$$

وعندما نبدل النهر الجارى بالرياح الأثيرية ، ونبدل القارب المتحرك بأمواج الأثير ، عند ذلك تتمثل أمامنا تجربة ميكلسون ومورلى . ويبين شكل (٦-٤) أجزاء هذا الجهاز الذى استخدمناه ، ولقد عمدا إلى تثبيته فوق (بلاطة) من الرخام تطفو فوق سطح من الزئبق ، بحيث يمكن أن يدار الجهاز حول محوره دون كبير عناء أو هز أو ارتجاج . وعند ما سقطت حزمة ضوئية ض على لوح من الزجاج [موضوع فى مركز (البلاطة) ومغطى بطبقة رقيقة من الفضة تعمل على رد نصف الحزمة المتساقطة ، فى حين تسمح للنصف الباقى بالمرور] ، انعكست أو ارتدت

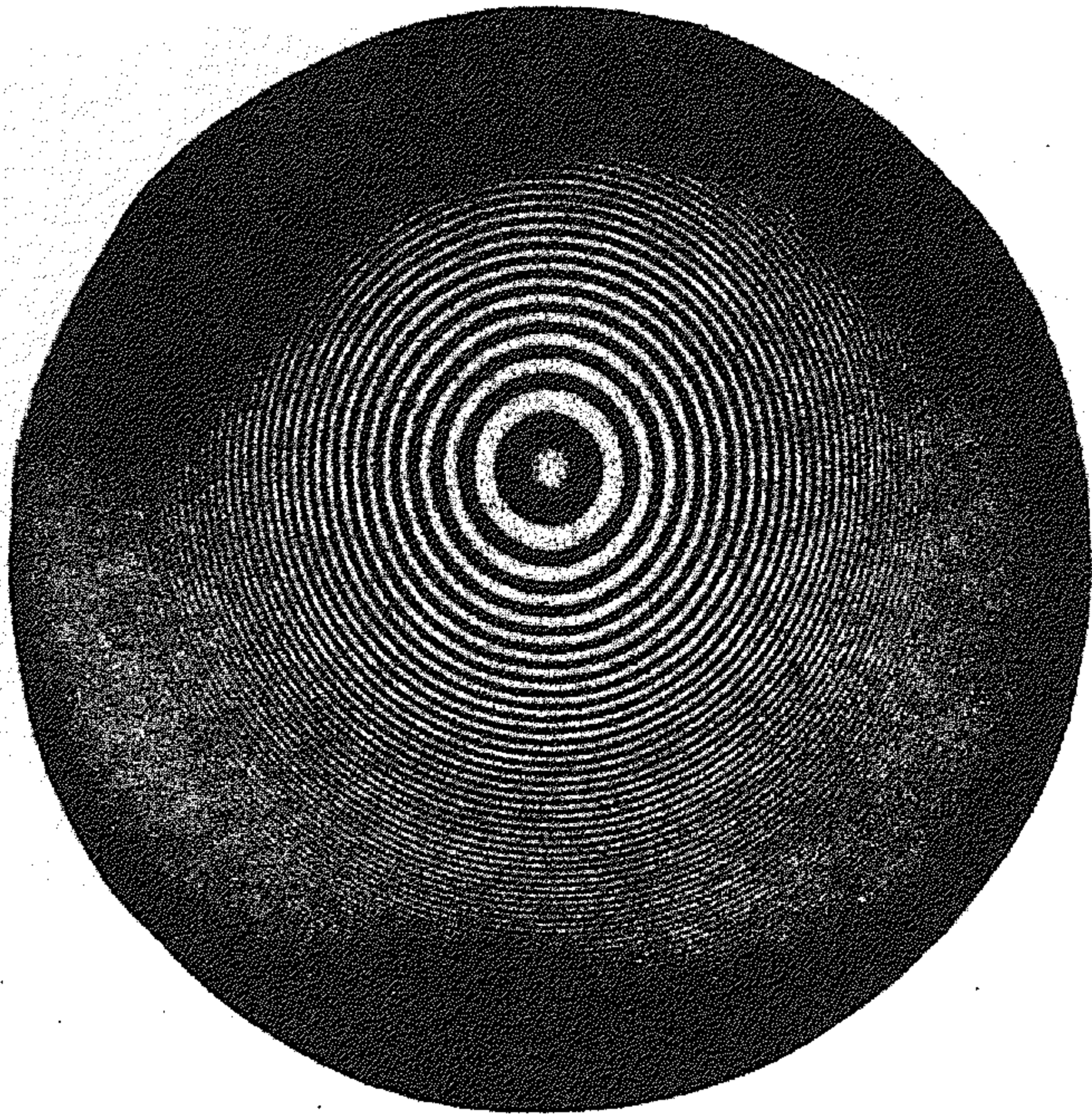
الحزمتان مرة أخرى بواسطة المرآتين M_1 ، M_2 الموضوعتين على بعدين متساويين من المركز . وعند ما وصلت الحزمتان إلى لوح الزجاج المفضل ، نفذ جزء من



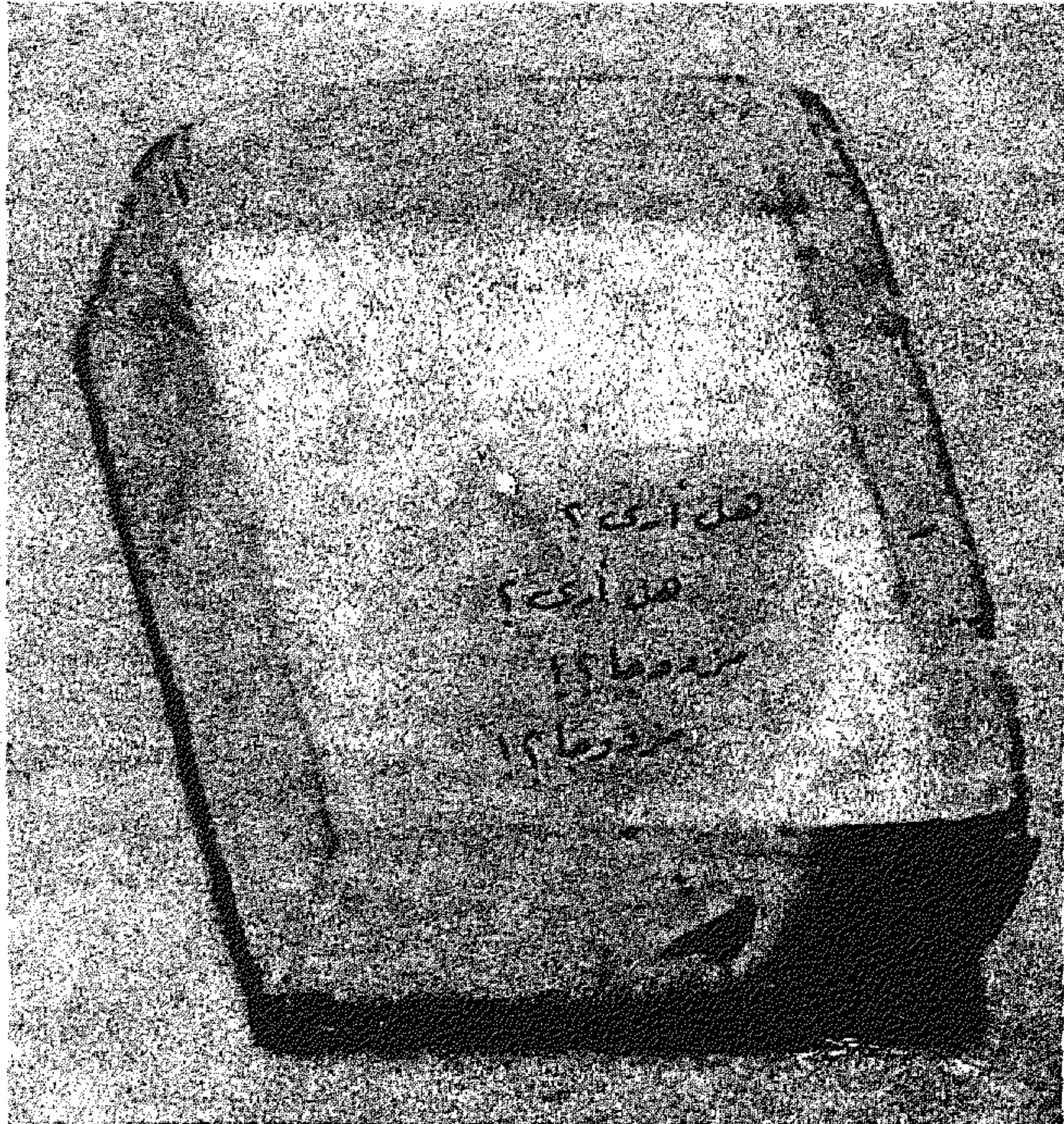
شكل (٦ - ٤)

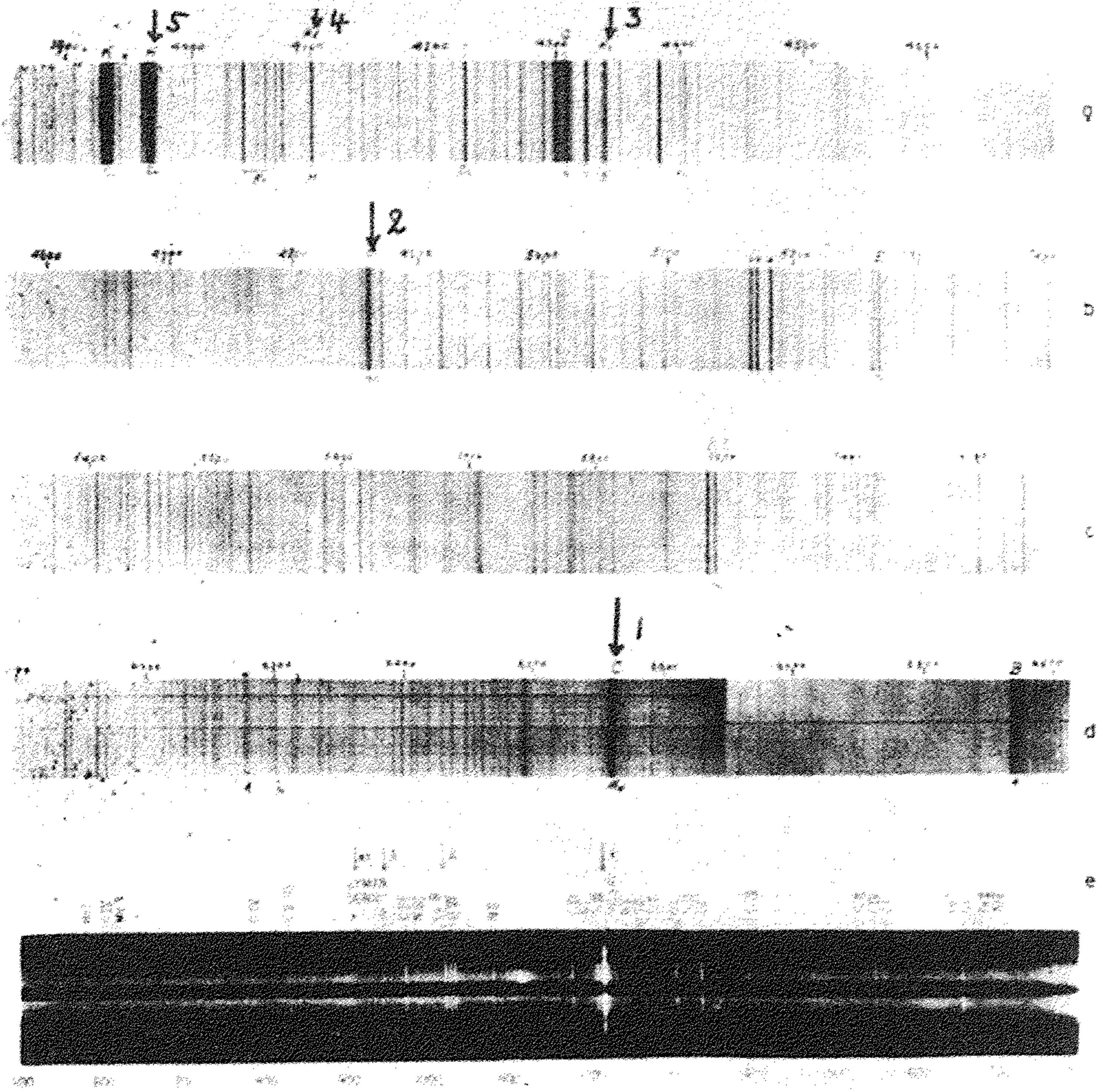
جهاز ميكلسون ومورلي ، وهو يبين مسارات أشعة الضوء . ويظهر الشعاعان المنعكسان من المرآتين M_1 ، M_2 ، وقد أزيح كل منهما بعض الشيء بالنسبة للآخر ، وذلك تسهيلاً لإتمام الرسم وأدخل اللوح B من أجل تعويض المسار الإضافي في اللوح B ، الشعاع الذي يوجه إلى المرآة M_2 .

الشعاع المرتد من M_1 ، (ولم يأبه أحد بما حدث للجزء الباقي من الشعاع) ، في حين انعكس جانب من الشعاع المرتد من M_2 ، (ولم يأبه أحد كذلك بما حدث للجانب الآخر منه) ، وسار هذان الشعاعان قدماً ليدخلا المنظار المكبر (تليسكوب) ت ، فلو لم تكن هناك رياح أثرية لوصل الشعاعان معاً في نفس الطور وصحبتهما نهاية عظمى في شدة إضاءة مجال المنظار . أما إذا وجدت الرياح الأثرية وكانت تهب مثلاً من اليمين إلى اليسار ، فإن الشعاع الذي ينتقل على عرض اتجاهها يتأخر بمقدار فترة تقل عن الفترة التي يتأخرها الشعاع المنتقل في اتجاه الرياح ثم على عكس اتجاهها ، وينجم عن ذلك تداخل يعمل على إضعاف شدة الإضاءة ولو جزئياً . وفيما يلي تقدير عددي تقريبي لمثل هذه الحالة : النسبة بين الفترتين الزمنية N_1 ، N_2 ، اللتين يستغرقهما الضوء عندما ينتشر في الاتجاهين المتعاضدين ، هي تبعاً للقانون السابق :

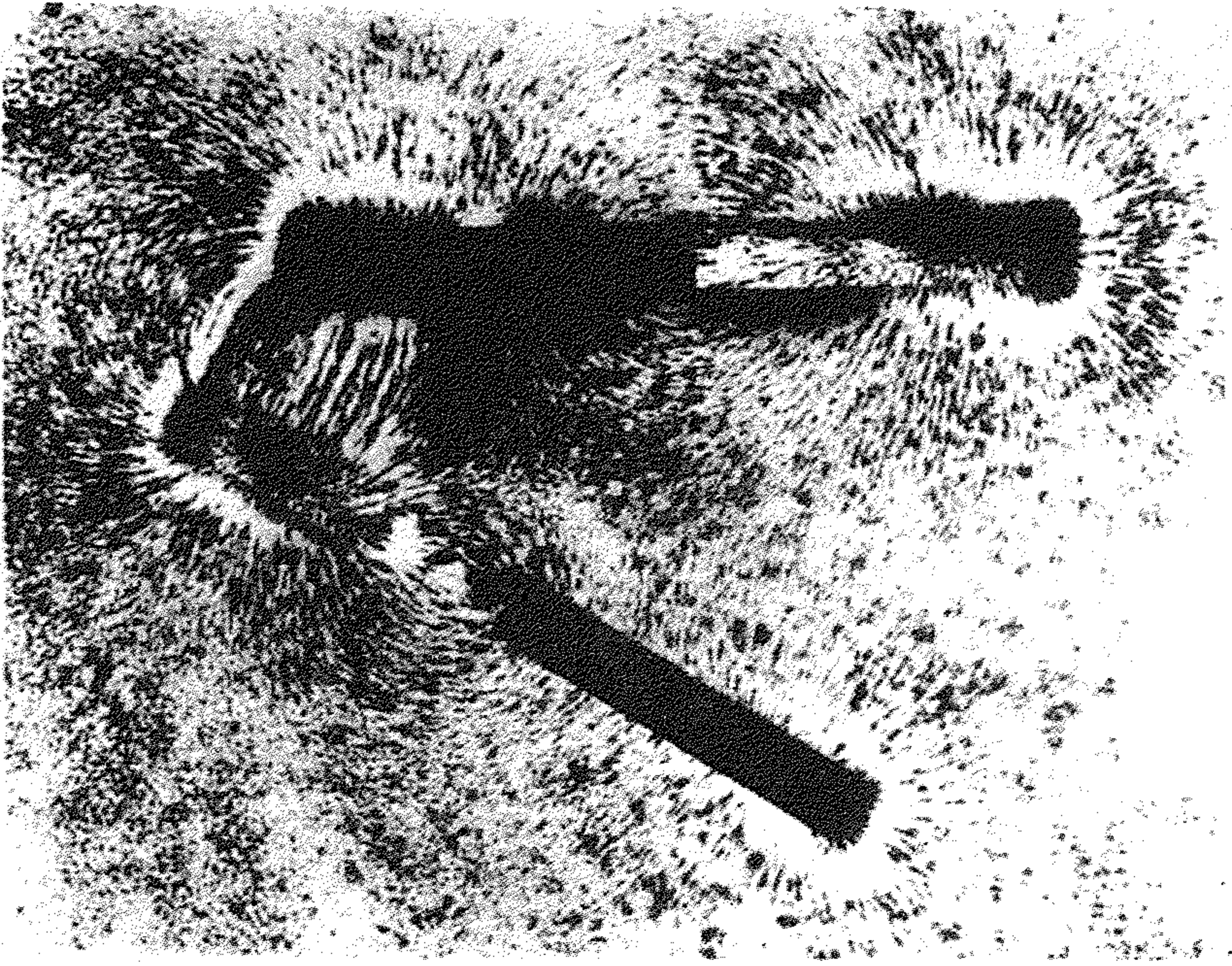


اللوحة رقم (١) . (العليا) حلقات نيوطن . (السفلى) الانكسار المزدوج في بلورة من أيسلاند
سبار بإذن من دالتن كورتس ، جامعة كلورادو .

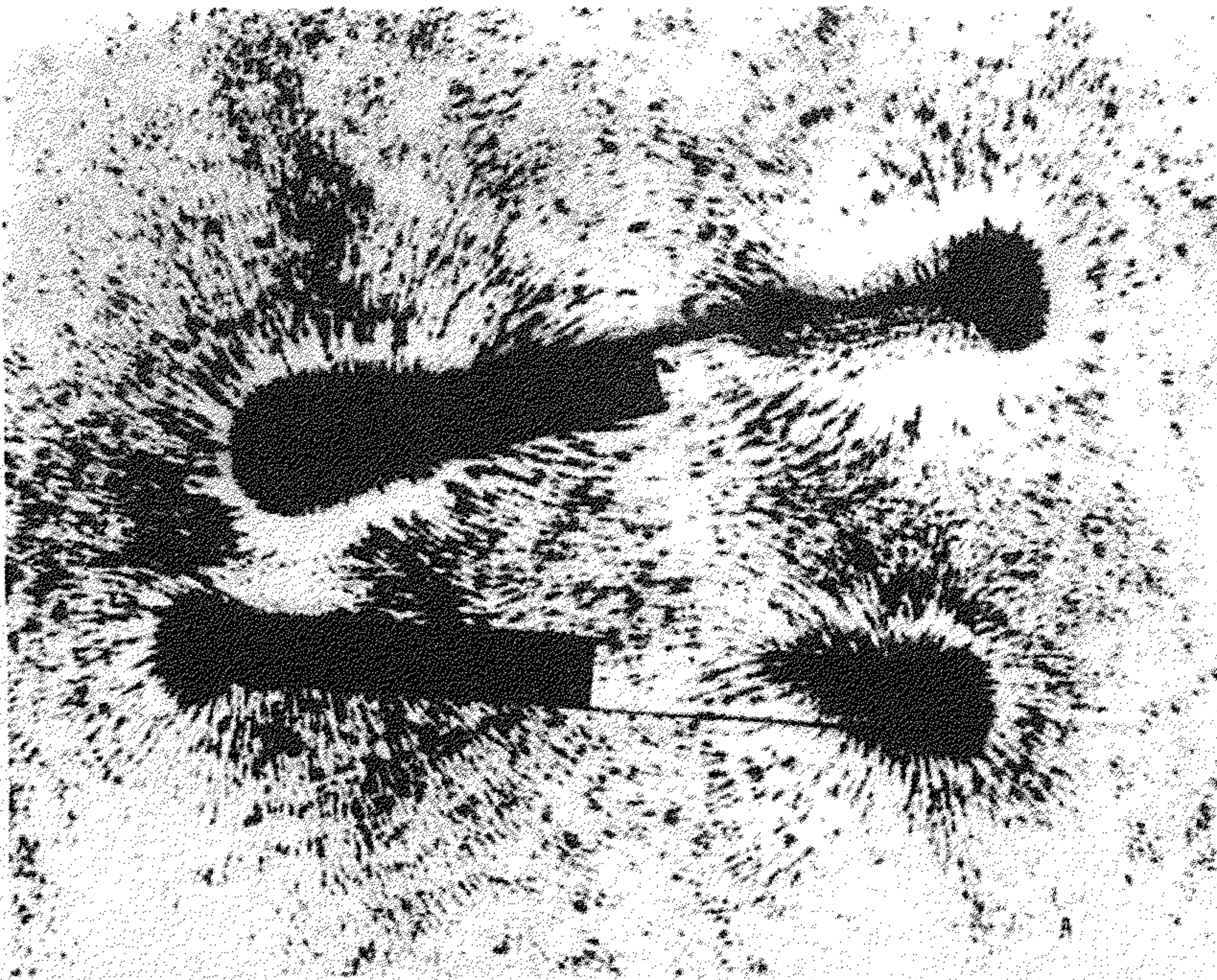


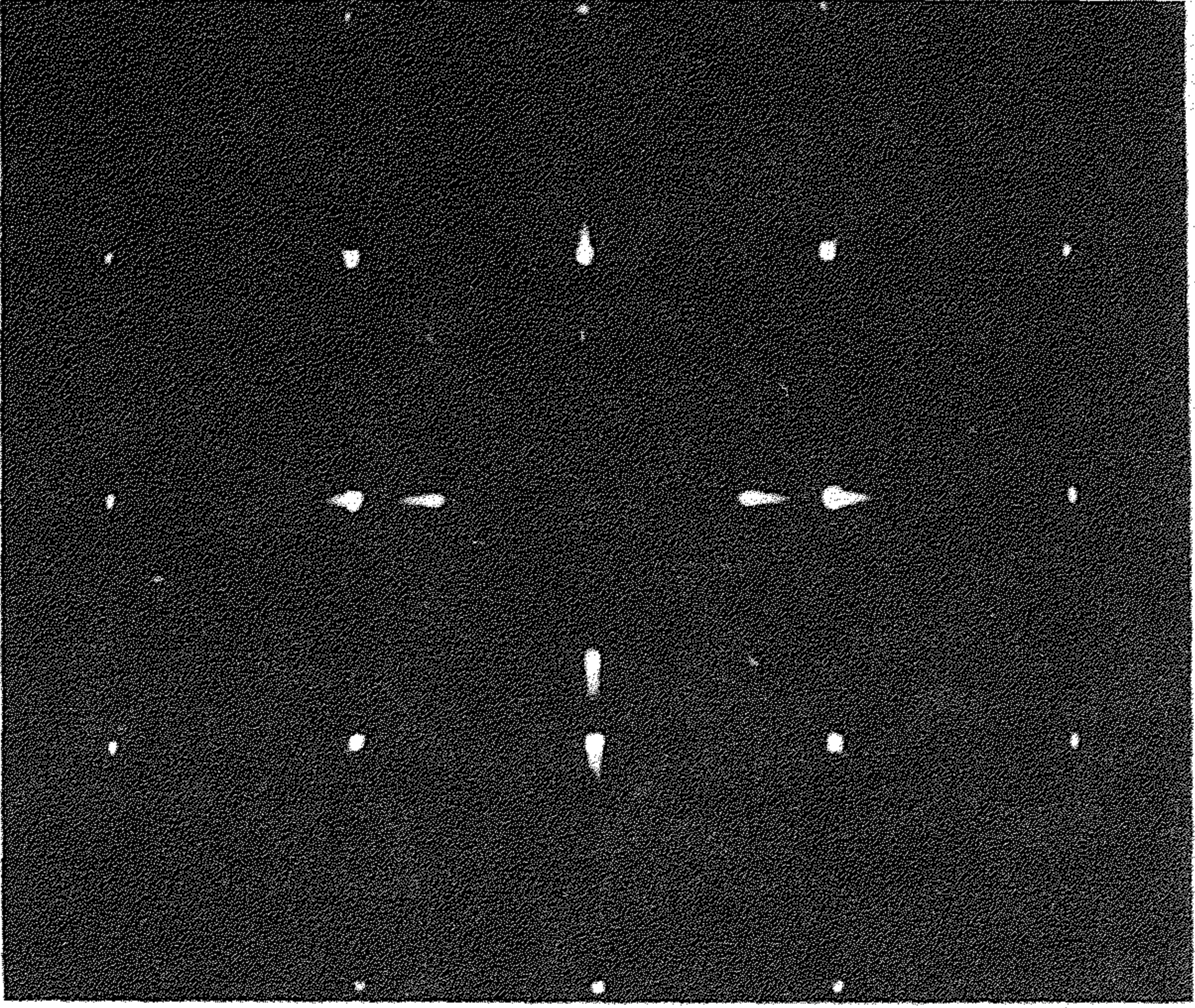


اللوحة رقم (٢) : (١ - ب - ج - د) تمثل الجزء المرئى من طيف الشمس . أخذ بواسطة هليوسبكتروجراف ١٣ - قدم . تنتمى الخطوط المرقومة إلى طيف بالمرنلايدروجين . عن مرصد جبل ولسن . (هـ) تمثل طيف الأشعة فوق البنفسجية البعيد للشمس كما سجله صاروخ فى أعلى الجو . تنتمى الخطوط المرقومة إلى طيف ليمان للأيدروجين . عن معمل أبحاث البحرية .

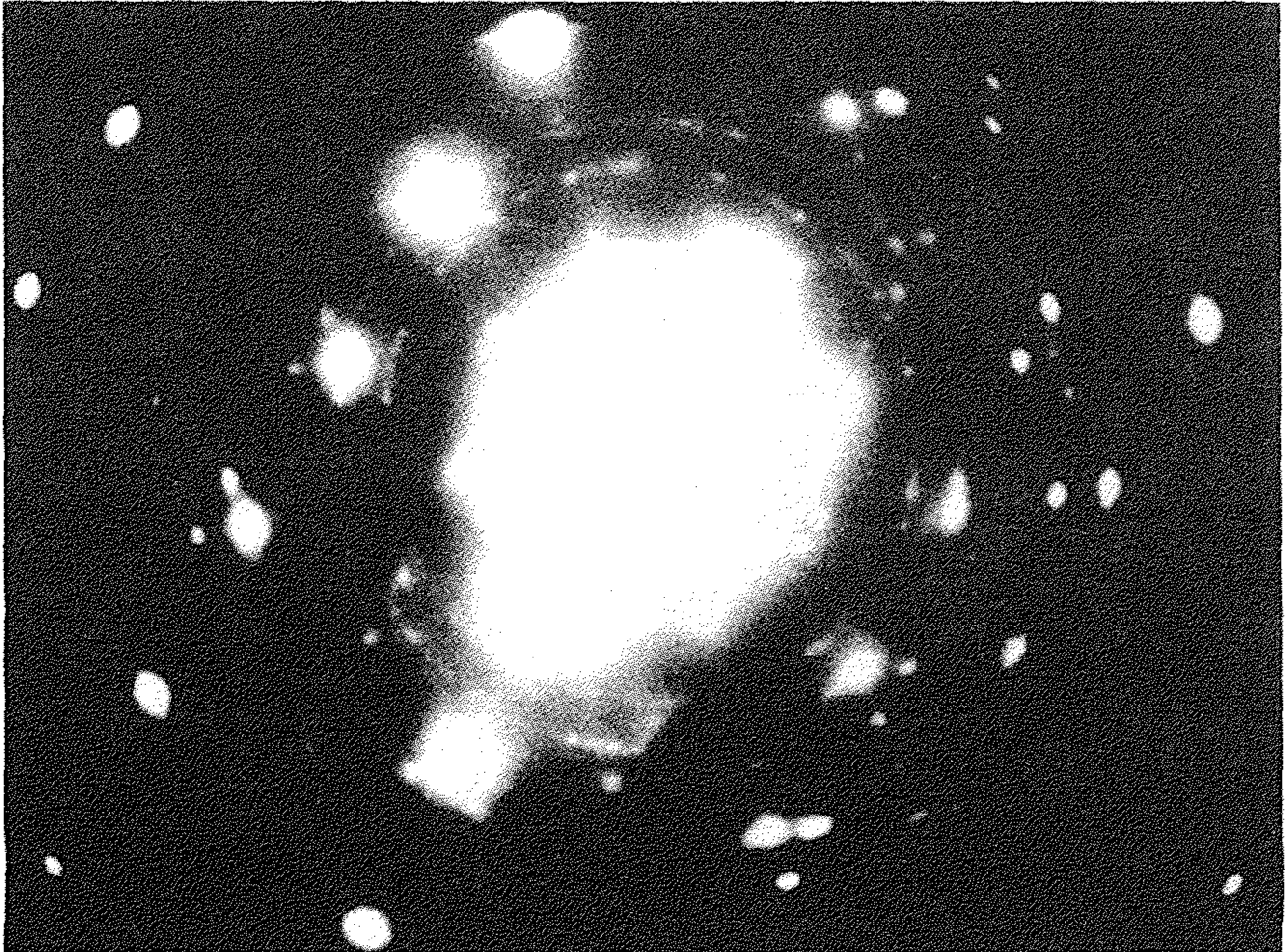


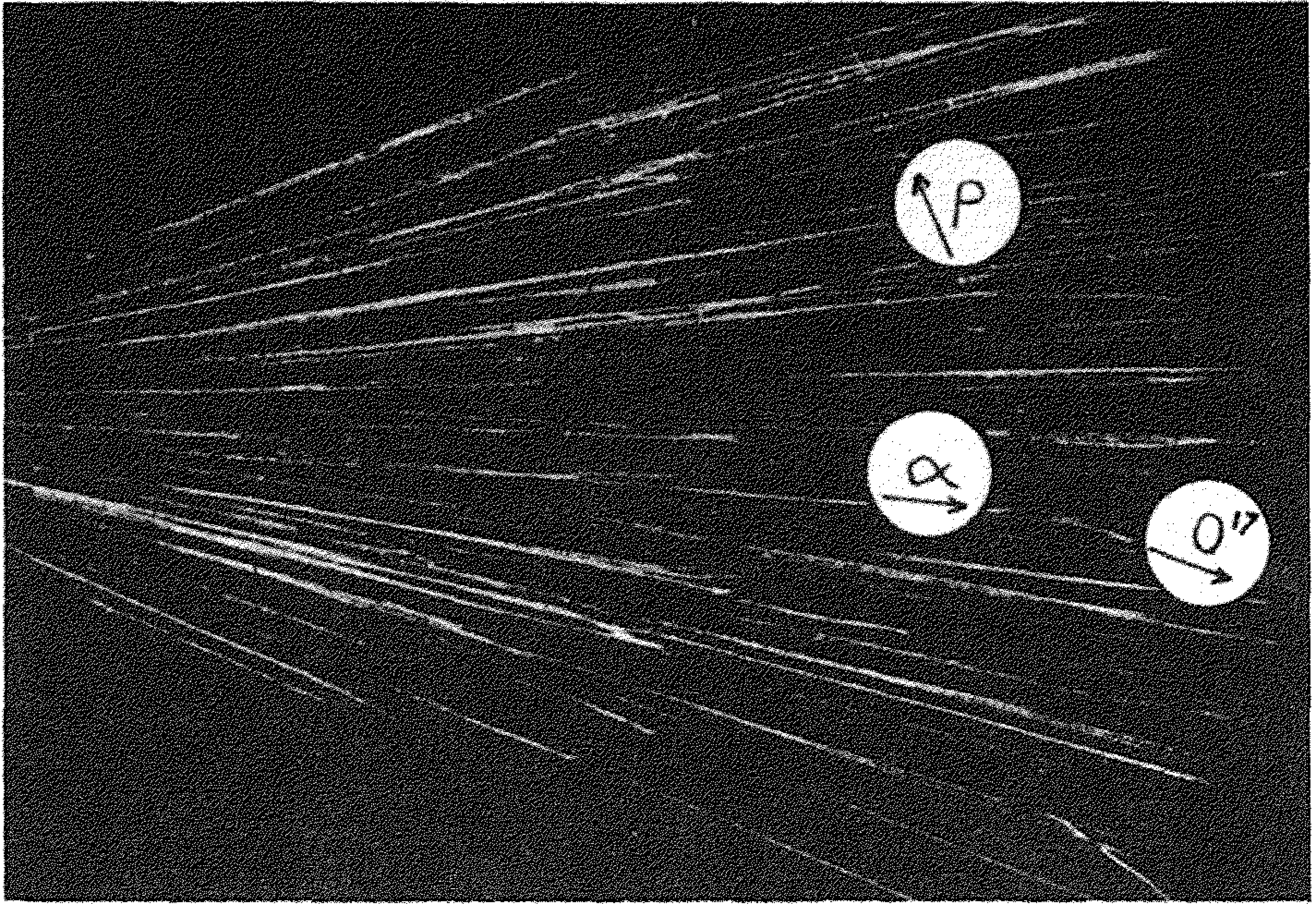
اللوحة رقم (٣) خطوط القوى المغناطيسية بين مغناطيسين في اتجاهين متضادين
(العلوى) ، وفي نفس الاتجاه (السفلى) . بإذن من ر . كنكلن بجامعة كلورادو سابقاً .



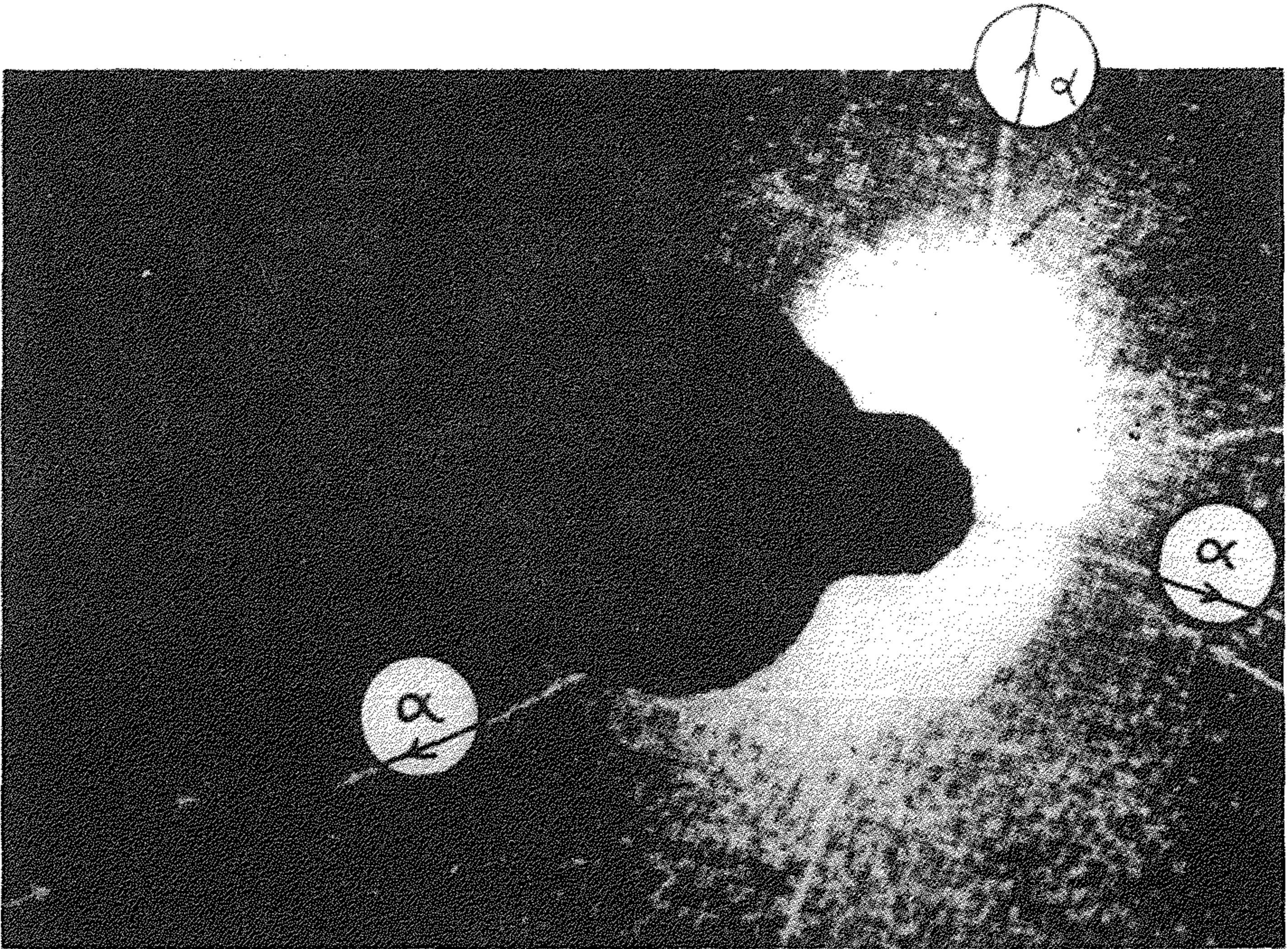


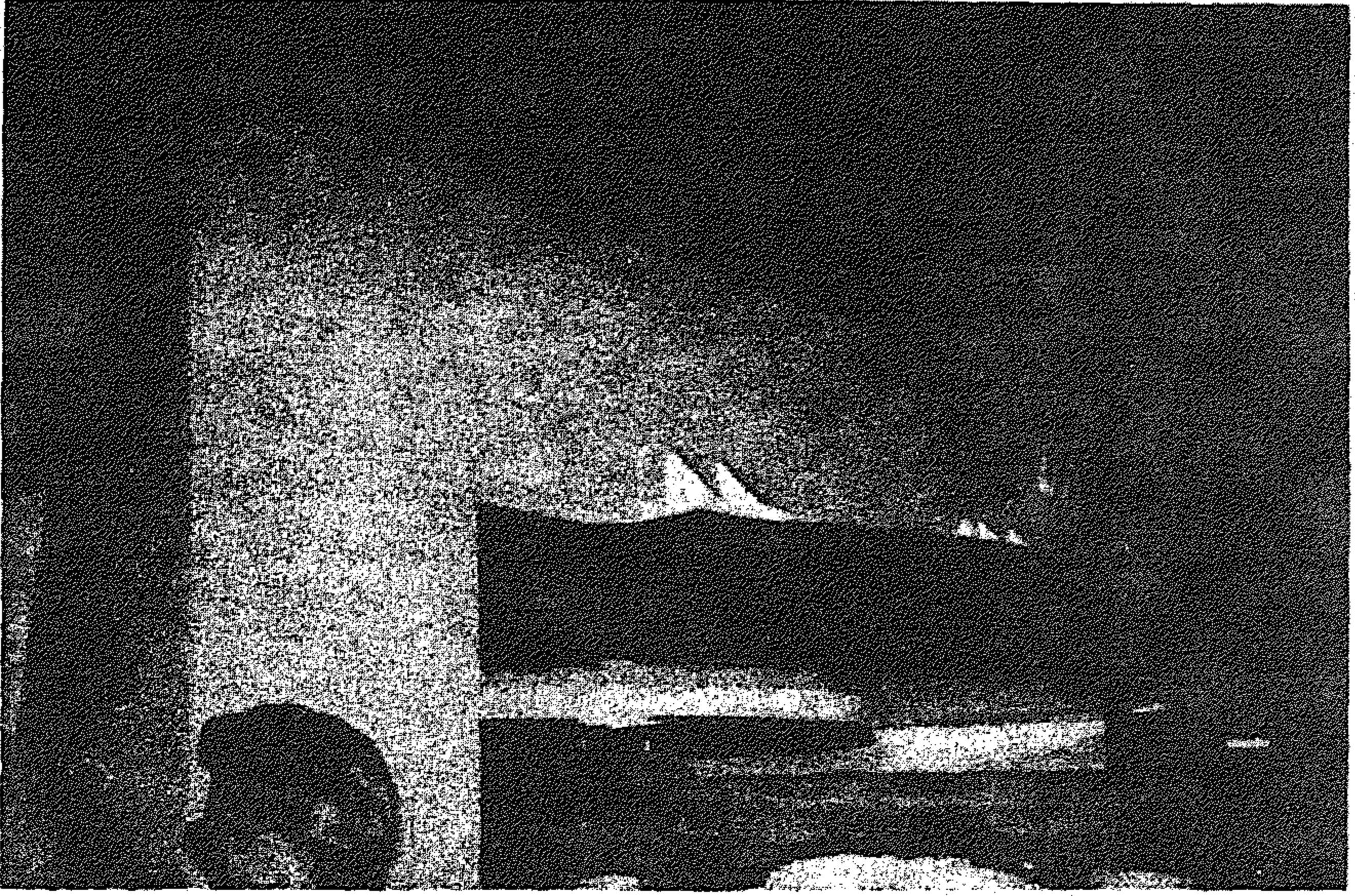
اللوحة رقم (٤) (العليا) حيود الأشعة السينية في سبيكة من النيكل والحديد .
 (السفلى) حيود كهارب ١٠٠ كيلو فولت في نفس السبيكة . بإذن من ر . د . هيدفريخ ،
 معامل بل تليفون .



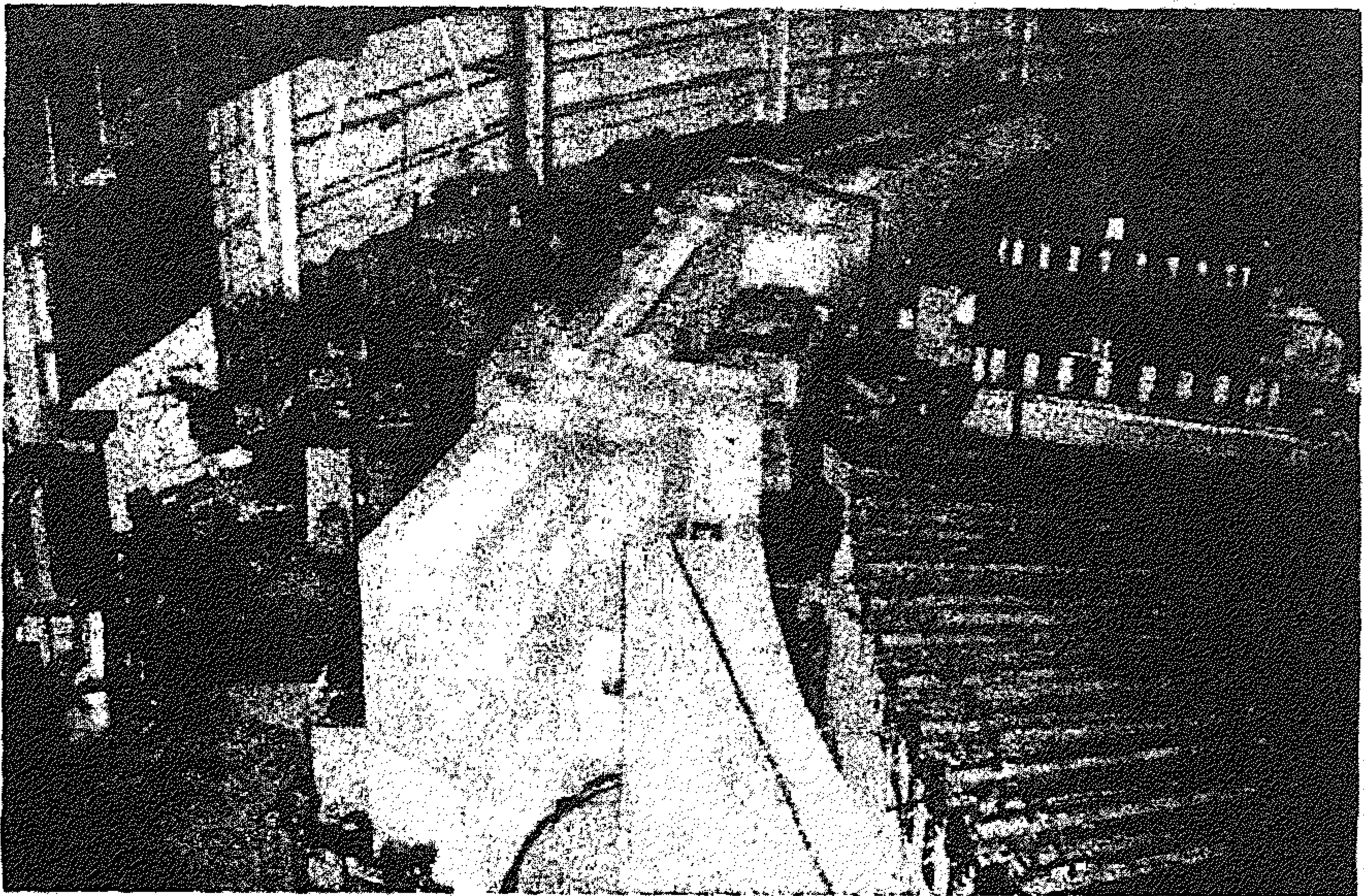


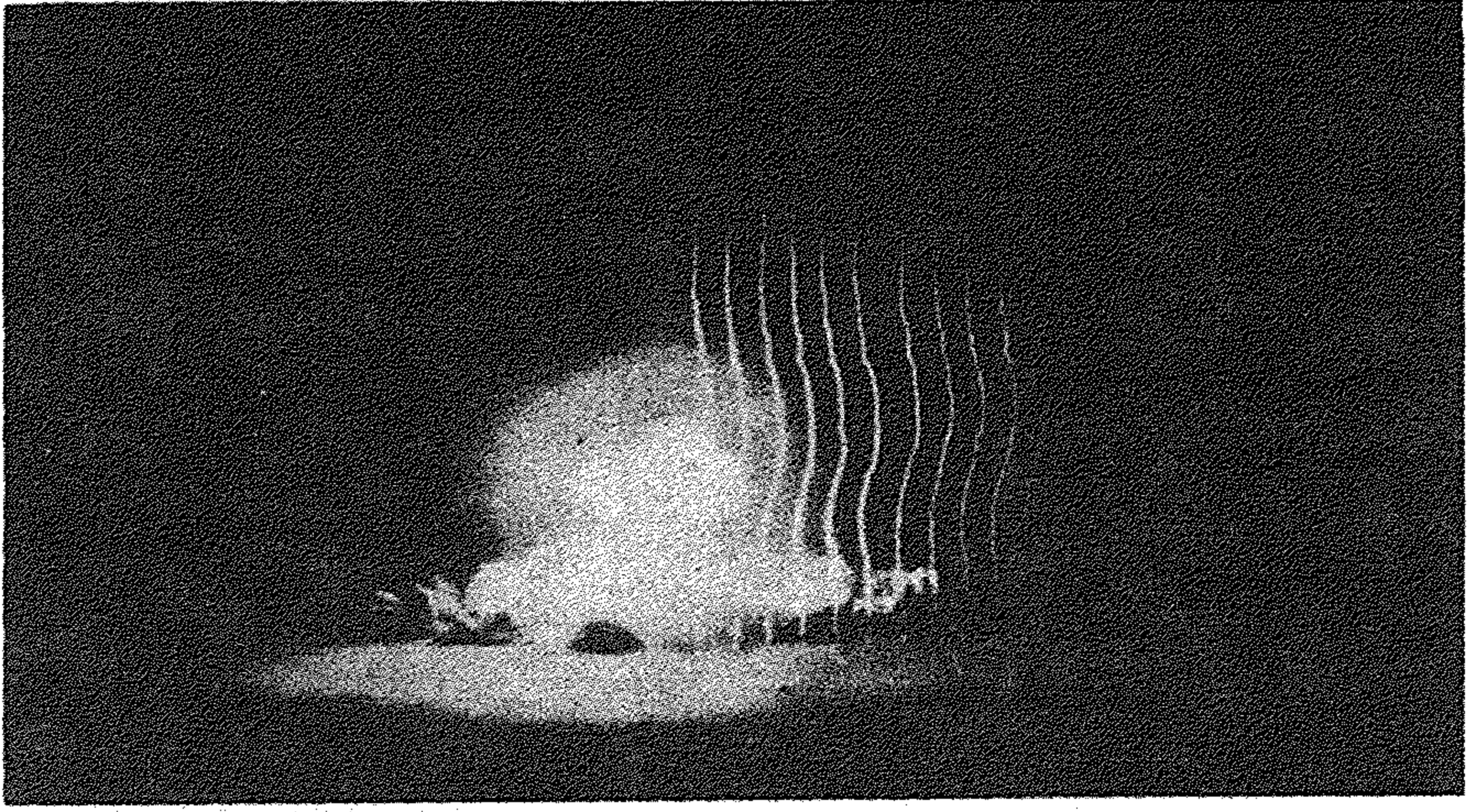
اللوحة رقم (٥) (العليا) : أول صورة أخذت للتحويل النووي الصناعي داخل غرفة التكاثر بمعرفة ب . م . ي . بلاكت ، بجامعة كبرديج سابقاً . (السفلى) انقسام نواة البورون إلى ثلاثة من جسيمات ألفا ، بمعرفة ب . دي و ك . جلبرت بجامعة كبرديج سابقاً .



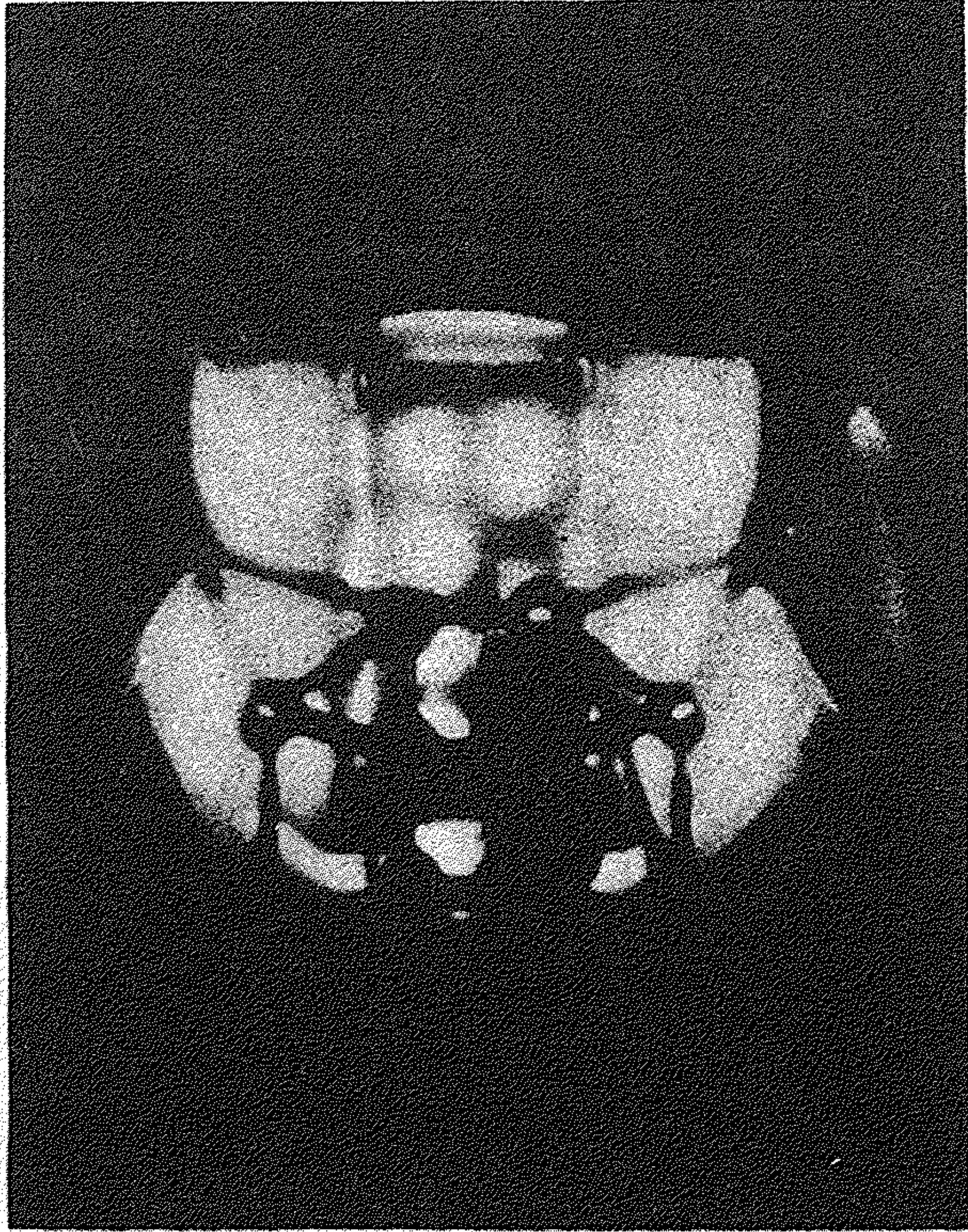


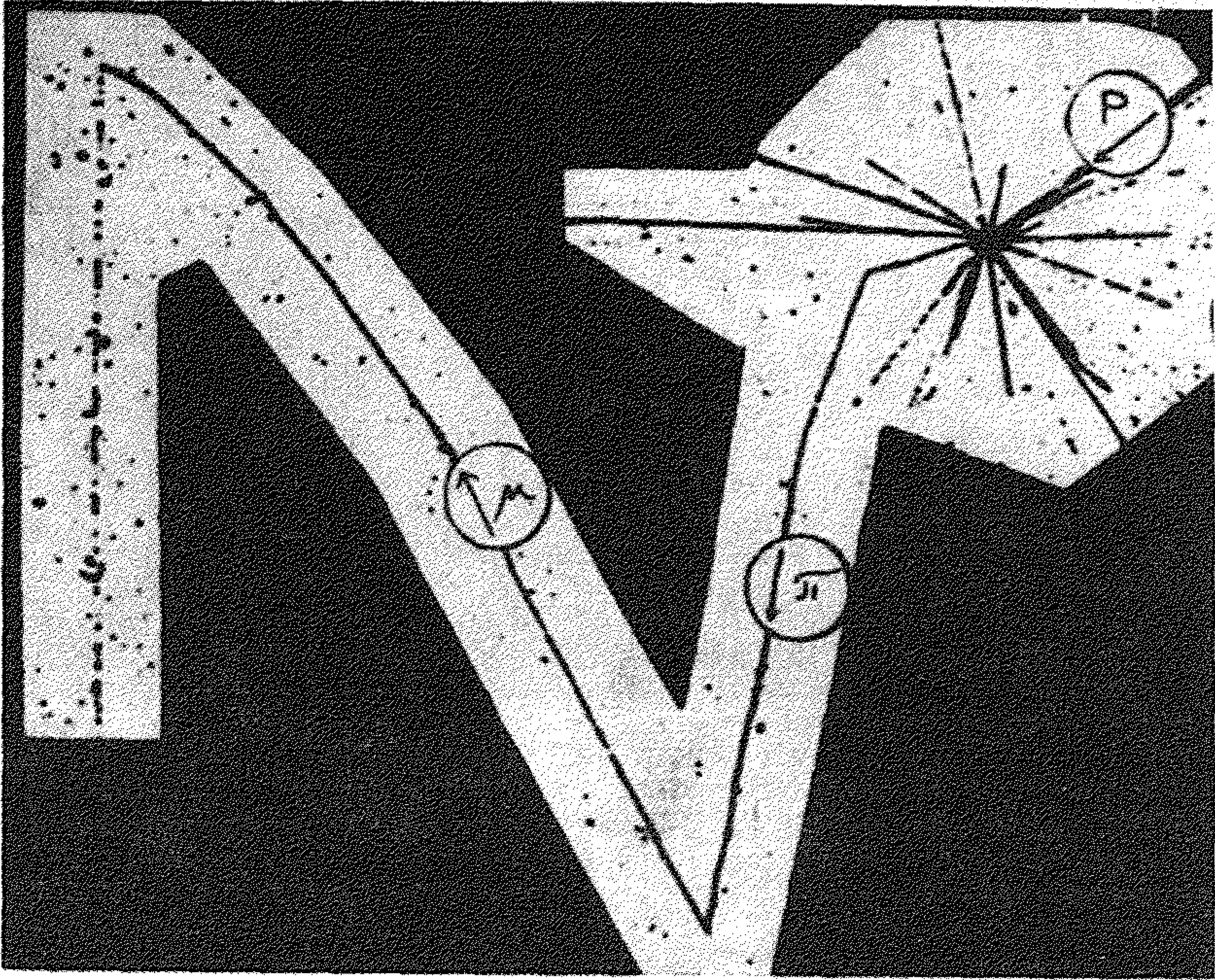
اللوحة رقم (٦) (العليا) : سيكلترون جامعة كلورادو وفيه يظهر قطب المغناطيس الكهربى
والخزمة بمعرفة معمل البحوث النووية . (السفلى) مقطع فى بيفاترون جامعة كاليفورنيا بمعرفة
معمل الإشعاع للورانس .



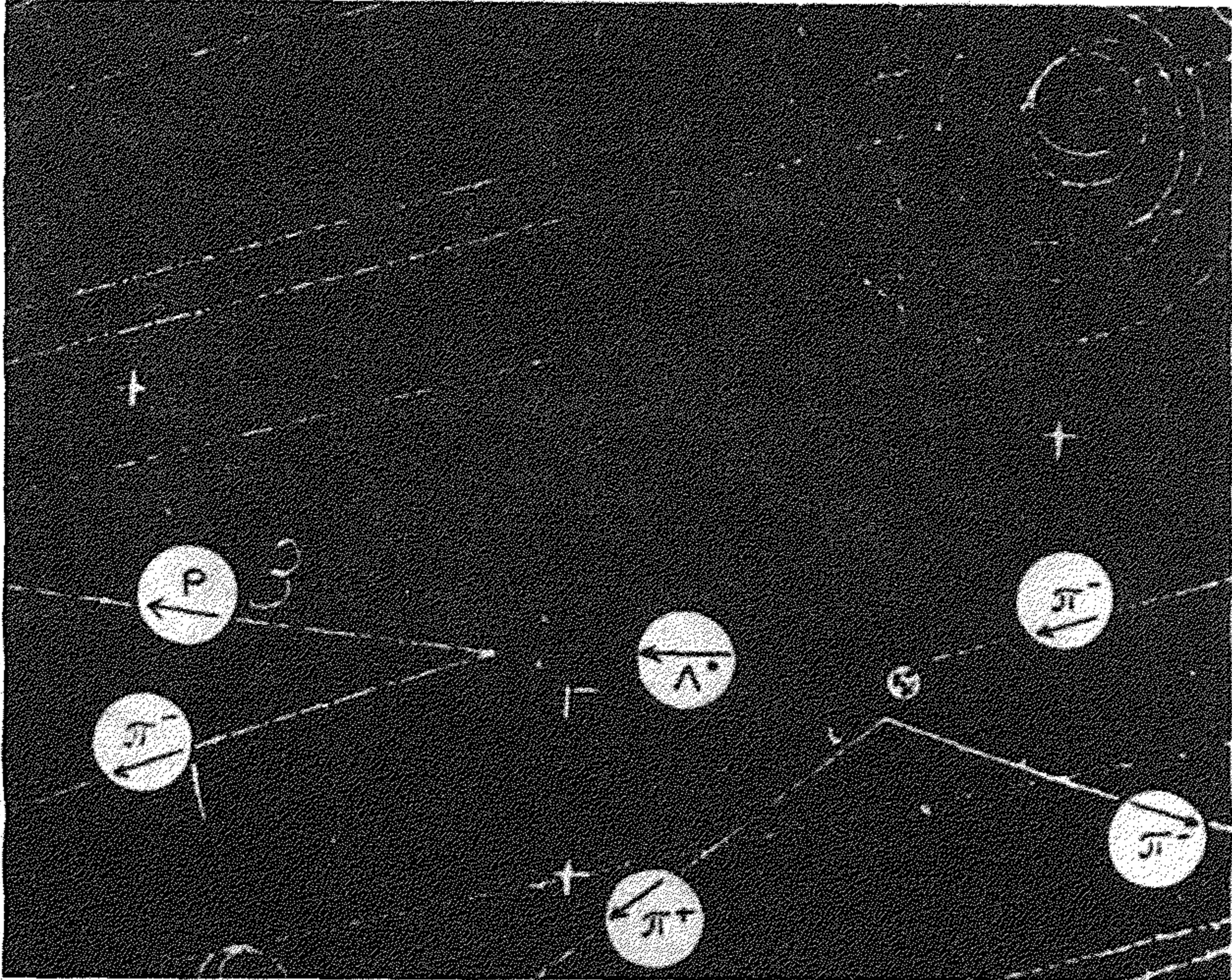


اللوحة رقم (٧) (العليا) : تجربة قنبلة ذرية في نيفادا . (السفلى) مفاعل بركة سباحة في
أوكردح - بمعرفة لجنة الطاقة الذرية .





اللوحة رقم (٨) (العليا) تولد البيون وما يتبعه من تحليل إلى ميون وكهرب . الصورة الفوتوغرافية ذات المستحلب السميكة أخذت بمعرفة ي . بيكب الذي كان يعمل سابقاً في مجلس البحوث الكندي التابع للبحرية . (السفلى) سلسلة من الحادثات النووية في غرفة من غرف النقاة ، وقد أخذت بواسطة ل . الفارز بجامعة كاليفورنيا .



$$\sqrt{\frac{v^2}{c^2} - 1} = \frac{\frac{v^2}{c^2} - 1}{\sqrt{\frac{v^2}{c^2} - 1}}$$

حيث استبدلت قيمة السرعة c بسرعة الضوء في الفضاء وهي c . وفي هذه

الحالة تكون النسبة $(\frac{v}{c})^2$ تساوى $(\frac{10 \times 3}{10 \times 3})^2 = 10^{-8}$ أو $0,00000001$

ويمكن البرهنة على أنه في حالة كهذه عند ما تكون $\frac{v}{c}$ صغيرة * ، فإن قيمة

المعامل $\sqrt{\frac{v^2}{c^2} - 1}$ يمكن أن تمثل إلى درجة كبيرة من الصحة بالكمية

$$1 - \frac{v^2}{c^2} = 1 - 0,9999999999 = 0,0000000001$$

المنتظر حدوثه في وصول الموجتين لا يعدو خمسة أجزاء من ألف مليون جزء .
فإذا كان قطر (بلاطة) الرخام يساوى ثلاثة أمتار (وهو رقم يمثل الحقيقة إلى حد كبير) ، كان الزمن الكلى اللازم لعبور الضوء (من لوح الزجاج إلى المرآة

وبالعكس) يساوى $\frac{300}{10 \times 3} = 10^{-8}$ ثانية ، وعلى ذلك صار الفرق بين

زمنى الوصول إلى المنظار المكبر هو :

$$5 \times 10^{-9} \times 10^{-8} = 5 \times 10^{-17} \text{ ثانية .}$$

وبما أن زمن الذبذبة الواحدة عندما استعملت الموجة التى طولها 6×10^{-5} سم

هو : $\frac{6 \times 10^{-5}}{10 \times 3} = 2 \times 10^{-10}$ ثانية ، فعلى ذلك صار الفرق بين

زمنى الوصول هو : $\frac{5 \times 10^{-17}}{2 \times 10^{-10}}$

$$= 2,5 \times 10^{-7} ,$$

* فى الحقيقة ، كانت هذه هى محتويات أول ورقة رياضية عملها السير إسحق نيوتن (المؤلف) .

أو $\frac{1}{4}$ في المائة من قيمة زمن الذبذبة الكاملة ، وبذلك يلزم أن ينجم عنها تداخل هدام ملحوظ . وكان المفروض أن يشاهد الأثر في التجربة الأصلية ، ليس عن طريق نقص شدة الإضاءة ، ولكن عن طريق إزاحة سلسلة أهداب التداخل بقيمة تبلغ $2,5\%$ من قيمة المسافة بينهما . وعند ما أدارا جهازهما بزاوية قدرها 90° درجة (وهذا هو السبب في تقويم الجهاز فوق الزئبق) ، وبذلك استبدلا الدور الذي تلعبه كل من المرآتين 1 م ، 2 م أحدهما مكان الآخر ، كان من المنتظر أن تحدث نفس الإزاحة في الاتجاه المضاد ، بحيث تصبح الإزاحة الكلية لأهداب التداخل هي 5% من قيمة المسافة بينها وإذا ما تم رصد هذه الإزاحة ، كان ذلك دليلاً على أن السرعة التي تجرى بها الأرض في الفضاء هي 30 كيلومتراً في الثانية .

وعلى أية حال فقد أجريت التجربة ، ولم تحدث أية إزاحة على الإطلاق . فكيف كان ذلك وكيف يتأتى ؟ فهل كان أثير الضوء يسحب بمقدار 100% مع جسم الأرض المتحركة ؟ لقد دلت نتائج إعادة تجربة ميكلسون في (بالون) يطفو على ارتفاع شاهق فوق الأرض على عكس ذلك الاحتمال ، وهكذا حار علماء الفيزياء في تفسير هذه النتيجة ولم يصلوا فيها إلى جواب مقنع ، وتقدم عالم الفيزياء البريطاني (الإيرلندي الأصل) ج. ف. فتزجيرالد برأى ثوري وجرىء إلى أقصى الحدود ، فقد اقترح أن جميع الأجسام المادية التي تتحرك بالسرعة s عبر الأثير العالمي ينقص طولها أو تنكمش في اتجاه الحركة بمعامل قدره $\sqrt{1 - \frac{s^2}{c^2}}$. وأن مثل

هذا الانكماش ، الذي افترض حدوثه لجميع الأجسام المادية بصرف النظر عن تكوينها الطبيعي يمكن أن يقلل المسافة التي بين لوح الزجاج المركزي والمرآة الموجودة في اتجاه هبوب الرياح الأثيرية في تجربة ميكلسون ومورلي بالقدر الكافي تماماً لتساوي زمني الوصول ، وبذلك يدرأ حدوث أية إزاحة في أهداب التداخل . ولقد عملت محاولات عديدة من أجل تفسير « انكماش فتزجيرالد » هذا الذي افترض افتراضاً ، عن طريق استخدام القوى الكهربائية والمغناطيسية التي بين الذرات التي تكون الأجسام المادية ، إلا أن كل هذه المحاولات لم تسفر عن شيء . ولقد أوحى هذا الاقتراح الذي كان وليد المهارة والعبقرية بنوع من الشعر هو :

انظر إلى ما قاله فسك الصغير وأدلى به في العلم من رأى خطير
هذى المواد ، لها في الوجود ناموس بديع

هو دون شك انكماش فتزجيرالد السريع

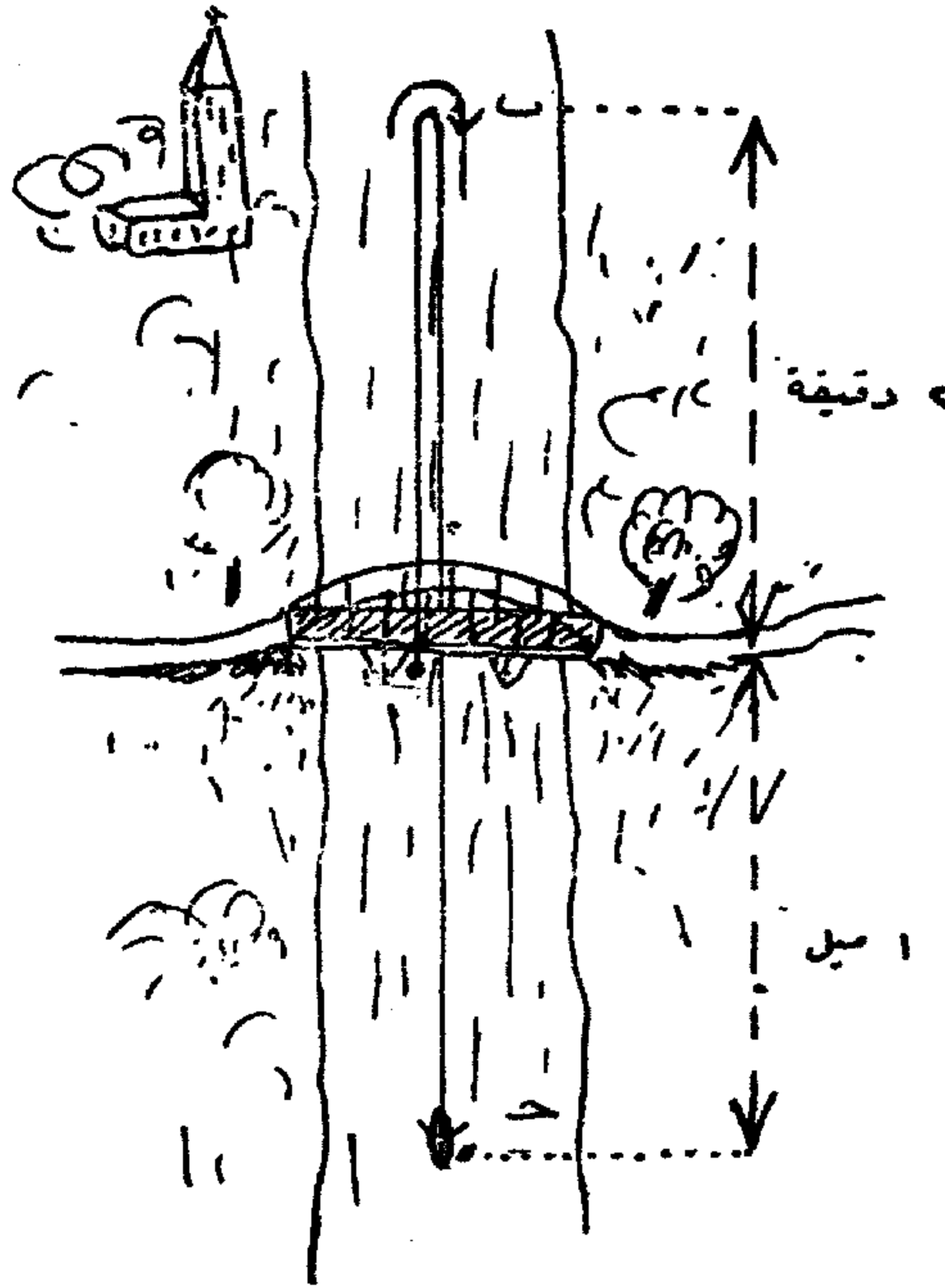
ذاك الذى يحيل السيف إلى قرص وديع !

ولكن هذا كله لم يشتمل إلا على نصف الحقيقة ، وليست الحقيقة كلها .

قطعة موسيقية بين الفصول

ربما يكون من الأفضل قبل أن نتعرض لتفصيل تفسير أينشتين لتلك النتيجة السلبية التى تمخضت عنها تجربة ميكلسون ومورلى ، أن نناقش مسألة لها ملامح النسبية برغم أنها لا تمت للنظرية النسبية بصلة : ينساب رجل بقاربه ضد التيار - شكل (٦ - ٥) ، فى نهر من الأنهر ، ومعه على طرف القارب زجاجة من الخمر (الوسكى) نصف فارغة . وبينما كان القارب يمر تحت (الكوبرى) هزته موجة منعكسة من الدعائم التى يحمل عليها ذلك (الكوبرى) فسقطت الزجاجة فى الماء دون أن يشعر الرجل بها . فإذا استمر القارب بعد ذلك فى سيره ، ضد التيار خلال ٢٠ دقيقة ، على حين انسابت الزجاجة مع التيار ، ثم لاحظ الرجل بعد مضى العشرين الدقيقة اختفاء الزجاجة ، فأدار قاربه (بفرض أن الزمن اللازم لهذه العملية لا قيمة له ولا يدخل فى الحساب) ، وانطلق يجرى مع التيار بنفس السرعة التى كان يتحرك بها من قبل بالنسبة للماء ، حتى لحق بالزجاجة والتقطها على بعد ميل من (الكوبرى) . والسؤال الآن هو : ما هى سرعة جريان الماء فى النهر ؟ حاول أن تحل هذه المسألة من قبل أن تسير قدماً فى مطالعتك ، وعندئذ سوف تلمس كيف تبدو صعبة . والحق يقال : لقد أعجزت هذه المسألة العديد من الرياضيين البارعين .

ولكن الأمر يهون والعقبة تذلل إذا كنا بدلاً من سرد الحوادث بالنسبة إلى خط الشاطئ كما هى العادة ، عمدنا إلى سردها أو وصفها بالنسبة إلى ماء النهر نفسه . فلنفرض مثلاً أننا نجلس على لوح من الخشب يطفو منساباً مع التيار ونحن ننظر حولنا . فبالنسبة لنا يكون الماء فى حالة السكون ، ولكن الشواطئ والجسور « الكبارى »



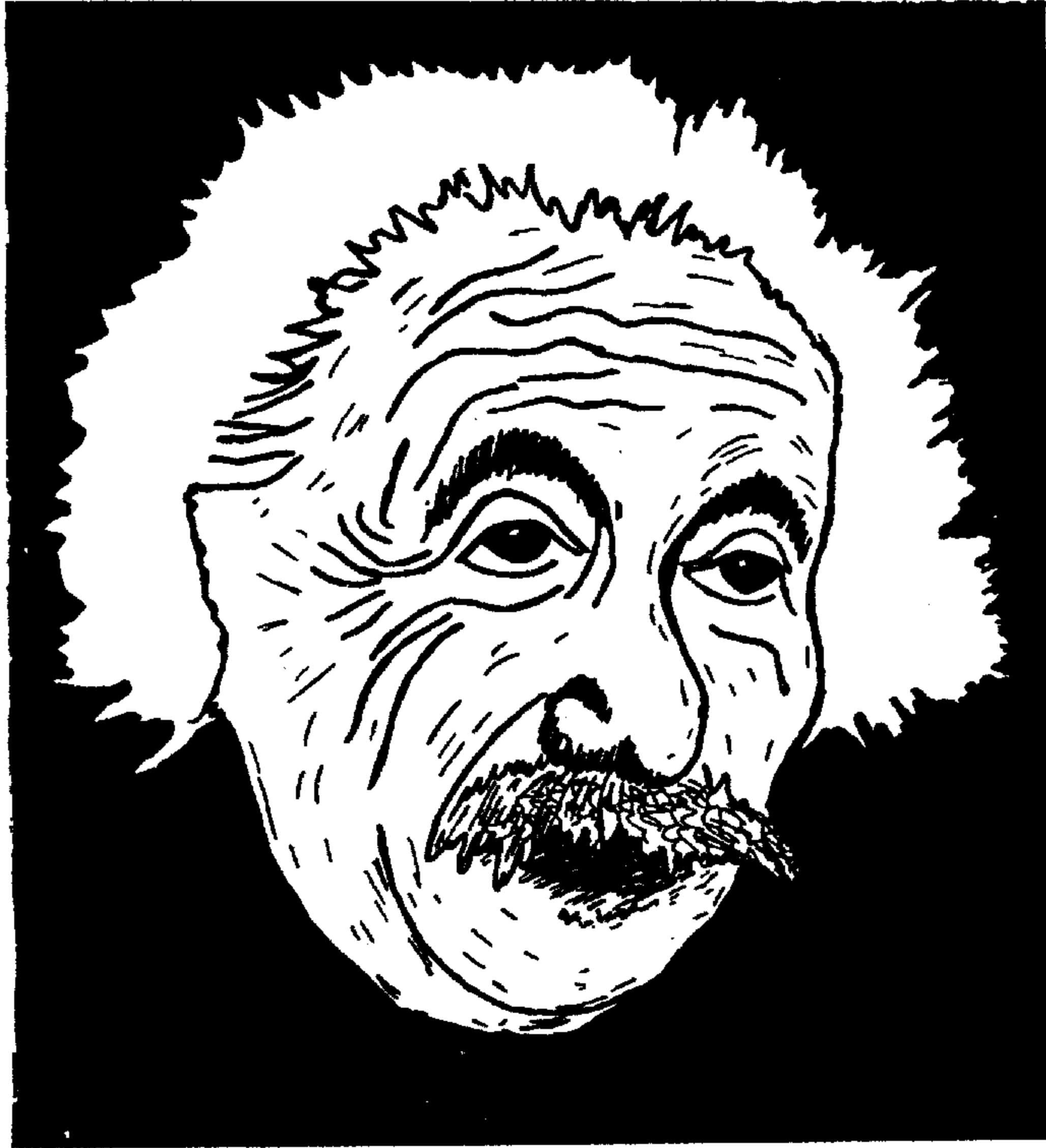
شكل (٥ - ٦)

مسألة اللحاق بالزجاجة التي سقطت

تبدو متحركة بسرعة معينة . وعندما يمر بنا القارب وتسقط الزجاجة (زجاجة الوسكى) إلى الماء ، يستمر القارب في سيره ، وتطفو الزجاجة دون حركة عند النقطة التي سقطت فيها . (تذكر : إن الماء لا يتحرك بالنسبة لنا) . وبعد مضي ٢٠ دقيقة نرى القارب يلف ويعود إلينا قافلا ليلحق بالزجاجة . وبطبيعة الحال ، يستغرق القارب ٢٠ دقيقة أخرى في العودة ، وعلى ذلك تظل الزجاجة في الماء مدة قدرها ٤٠ دقيقة ، تكون الشواطئ والجسور (الكبرى) قد تحركت خلالها مسافة ميل واحد . وعلى ذلك تصبح سرعة الجسر (الكبرى) بالنسبة للماء ، أو بمعنى أصح تصبح سرعة الماء بالنسبة للجسر (الكبرى) والشاطئ ٤٠ ميلا في ٤٠ دقيقة ، أو ما يعادل $1\frac{1}{4}$ من الأميال في الساعة . إنها مسألة سهلة أليس كذلك ؟

نتف من تاريخ حياة أينشتين

لمجرد سرد الحقائق التاريخية نقول إن ألبرت أينشتين — شكل (٦ - ٦) — ولد في الرابع عشر من مارس عام ١٨٧٩ ، في البلدة الألمانية الذائعة الصيت برغم صغرها (من أجل القادة في الغناء) وهي (أولم) بالقرب من ميونخ ، حيث كان لأبيه ورشة كهربية ، وبعد أن أمضى أيام صباه في ميونخ نرح إلى سويسره حيث تلقى دراسته في مدرسة (البوليتكنيك Polytechnical) بزيورخ ، كما كان يحصل على المال اللازم لقوته ومصرفه عن طريق حل المسائل والتمارين لمن هم دونه من الطلبة وأقل منه فهماً للرياضة والفيزياء . وفي عام ١٩٠١ تزوج وضمن لنفسه عملاً هادئاً ، رغم كونه غير مريح ، كفاحص للدمغات في مكتب الدمغة السويسري في بيرن ، وفي عام ١٩٠٥ ، وكان قد بلغ السادسة والعشرين ، نشر



شكل (٦ - ٦)
ألبرت أينشتين

في مجلة ألمانية (أنالن درفيزيك Annalen der Physick) ثلاث مقالات هزت عالم العلم . وكانت هذه المقالات الثلاث حول المجالات الثلاث العريضة التي تمثل علم الفيزياء وهي : الحرارة ، والكهرباء ، والضوء . وقد ذكرنا بالفعل واحدة منها في الباب الرابع ، وهي تشمل على نظرية مفصلة تتعلق بالحركة البرونية ، كما كان لها قيمة عظمى في نشوء التعبير الرياضي للظواهر الحرارية . وفسرت الأخرى قوانين الظاهرة الكهروضوئية على أساس فروض صيانية تعتمد على الكم ، كانت قائمة في ذلك الوقت ، وأدخلت فكرة الفوتونات أو وحائد سلات الطاقة الإشعاعية ، وهو ما سنقوم بشرحه في الباب التالي . أما أهم هذه المقالات وأعظمها أثراً في تطور علم الفيزياء فقد كانت الثلاثة بعنوان غير جذاب ولا مثير إلى حد كبير ، وهو « حول الديناميكا الكهربية للأجسام المتحركة » . وخصص المقال لحل معضلات قياس سرعة الضوء وعجائبه . وكان هذا البحث أول ما نشر عن النظرية النسبية .

نسبية الحركة

لم يعد من السهل إغفال المصاعب المتراكمة والمتناقضات الجمة المتعلقة بتلك الطبقة الخلفية التي افترض العلماء لها وجوداً ، وراحوا ينسبون إليها التفاعلات الكهرومغناطيسية وانتشار أمواج الضوء . وتحولت من جراء ذلك إلى عقدة أثرية لا سبيل إلى حلها ، وأصبحت عظمة الشبه بأسطورة تلك العقدة التي تربط نير العبودية بصارى سفينة الملك المزارع الإغريق القديم جورديوس . وتحققت النبوءة القائلة بأن من يفك عقدة جورديوس سوف يحكم "آسيا" بأسرها على يد الإسكندر الأكبر ، الذي بتر العقدة بضربة صارمة من سيفه .

وكذلك أصبح البرت أينشتين زعيم الفيزياء الحديثة ، إذ بتر عقد الأثير بمنطقه الحاد ، ثم ألقي بما تخلف من الأجزاء الملتوية من الأثير العالمى خارج نافذة هيكل (معبد) العلوم الطبيعية .

ولكن إذا لم يكن في الوجود أثير عالمى يملأ شتى أرجاء هذا الكون بأسره ،

وينتشر خلال ما فيه من مادة ، لما كانت هنالك حركة مطلقة* بحال من الأحوال إذ يستحيل أن يتحرك شخص بالنسبة إلى لا شئ . ولهذا قال أينشتين : إننا نستطيع فقط الكلام عن حركة أى جسم مادي بالنسبة إلى جسم آخر ، أو أى مجموعة من المحاور يمكن الرجوع إليها بالنسبة إلى محاور أخرى ، ويحق للراصدین اللذين ينتمی أحدهما إلى مجموعة من هذه المحاور ، على حين ينتمی الآخر إلى المجموعة الأخرى ، أن يقول أى منهما دون تمييز : « إني في حالة السكون ، أما هذا الشخص الآخر فهو يتحرك » . فإذا لم يكن هنالك أثر كوني يمدنا بجهاز عالمي كأصل يمكن أن يرجع إليه في حالة حركة عبر الفضاء ، لانعدمت الوسيلة التي نميز بها مثل تلك الحركة ، وتكون أية عبارة تتعلق بها هي في الحقيقة بمثابة الهراء الفيزيائي . وليس من العجيب إذاً أن يخفق ميكلسون ومورلي . عند ما راحا يقيسان سرعة الضوء في اتجاهات مختلفة داخل معملهما على أمل ملاحظة ما إذا كان ذلك (المعمل) ، (ومن ثم الأرض ذاتها) ، يتحرك أو لا يتحرك في الفضاء . ولنستعد الآن ما قاله غاليليو (صفحة ٩٠ إلى ٩٢ من هذا الكتاب) :

أقفل عليك مع صديق لك باب أكبر غرفة تحت سطح سفينة كبيرة ومعكما عدد من البعوض والذباب وغيرها من الكائنات الصغيرة ذات الأجنحة ، بعد أن تكون قد أحضرت معك إناء كبيراً به ماء بداخله بعض الأسماك ، وعلقت في السقف زجاجة يقطر منها الماء نقطة نقطة متساقطاً داخل فوهة ضيقة لزجاجة أخرى موضوعة تحتها . بعد ذلك لاحظ — والسفينة ساكنة لا تتحرك — كيف تطير تلك الحيوانات الصغيرة المجنحة بسرعة متجانسة تجاه جميع أرجاء الغرفة ، وكيف تعوم الأسماك دون تمييز بين جوانب الإناء ، وكيف تتساقط جميع النقط التي تقطر من الزجاجة العليا داخل الزجاجة السفلى . وإذا ما أردت أى شئ من صديقك فإنه لن يحتاج لكي يدفعه إليك إلى قوة أكبر في اتجاه أو آخر ما دامت المسافات متساوية . وعندما تعمد إلى القفز بكل قواك تجد أن المسافة التي تقطعها تظل ثابتة إلى أى جهة ترغبها .

وبعد ملاحظة كل هذه الدقائق ورغم أنه لا ينكر أحد أن الأمور تجري على هذا النحو ما دامت السفينة ساكنة ، اجعل السفينة تتحرك بأية سرعة تعجبك بشرط

* هي التي توصف بذاتها كطارىء في الوجود ، وليس بالنسبة لشيء بالذات (المترجم) .

أن تظل الحركة منتظمة من غيرذبذبة هنا أو هناك . تجد أنه يستحيل عليك تمييز أى تغير يطرأ على الظواهر السابق ذكرها ، كما أنه لا يمكنك أن تحكم عن طريق أية ظاهرة منها ما إذا كانت السفينة تتحرك أو لا تتحرك بتاتاً .

ونحن نستطيع أن نصوغ كلمات غاليليو في قالب آخر بالنسبة إلى تجربة ميكلسون ومورلى وذلك على النحو الآتى : احبس نفسك ومساعدك فى معمل كبير على الأرض ، ومعكما مصادر ضوئية ومرايا ، وبعض أجهزة الضوء المختلفة ، بالإضافة إلى آلات قياس القوى الكهربائية والمغناطيسية والتيارات وما على شاكلتها ، ثم أقنع نفسك بطريقة منطقية بأنه إذا كانت الأرض ساكنة لا تتحرك وجب أن يكون انتشار الضوء وتأثير الشحنات بعضها على بعض والمغناطيسات والتيارات الكهربائية غير متوقف على أوضاعها النسبية واتجاهاتها بالنسبة إلى جدران معملك . وبعد ذلك افترض كما هى الحقيقة ، أن الأرض تدور حول الشمس ، وكذلك تجرى معها حول مركز مجموعات النجوم التى تكون الطريق اللبنى (أو طريق الثبانة) ، وعند ذلك لن يكون فى مقدورك أن تميز أقل تغير يطرأ على جميع الظواهر السابقة ، بل لن تستطيع كذلك أن تستفيد من أية ظاهرة منها فى معرفة ما إذا كانت الأرض تتحرك أو لا تتحرك على الإطلاق .

وإذا فإن ما كان صحيحاً بالنسبة إلى البعوض ، والسمك ، ونقط الماء ، والأجسام التى تلى على ظهر السفينة التى افترض غاليليو أنها تمخر عباب البحر المتوسط الزرقاء ، يصبح صحيحاً كذلك بالنسبة لموجات الضوء وغيرها من الظواهر الكهرمغناطيسية على الأرض التى تسبح فى الفضاء . وبطبيعة الحال كان من السهل على غاليليو أن يتبين ما إذا كانت سفينته تتحرك أو لا تتحرك بالنسبة للأرض ، وذلك بالخروج من غرفته والصعود على ظهر السفينة ومشاهدة المياه أو خطأ الساحل ، ونحن نستطيع أن نعين حركة الأرض حول الشمس وكذلك حركة الشمس بالنسبة إلى النجوم بطريقة مماثلة ، وذلك بالنظر إلى النجوم ورصد ما يطرأ من تغيرات على أوضاعها فيما بينها (الإزاحة فى الوضع الظاهرى) ، وعلى أطوال الموجات الضوئية المقبلة منها (ظاهرة دبلر *) . ولكن إذا لم نعلم إلى إجراء عمليات

* تتضمن إزاحة بعض خطوط الطيف فى اتجاه معين بسبب الحركة النسبية ، ولها قانون يربط هذه الإزاحة بالسرعة النسبية التى يتحرك بها المصدر (المترجم) .

الرصد الخارجى كان من المحال ملاحظة الحركة عبر الفضاء عن طريق مجرد رصد الظواهر الكهرومغناطيسية ، تماماً كما يستحيل انجاز ذلك عن طريق رصد الظواهر الميكانيكية (أو ظواهر حركة الأجسام المادية) .

اتحاد المكان والزمان

ولقد فطن أينشتين إلى أن هذه الصورة العريضة لمبدأ غاليليو الخاص بنسبية الحركة إنما تتطلب تغييراً جوهرياً فى أفكارنا الأساسية الخاصة بالزمان والمكان ، فمذ القدم والناس يعتبرونهما شيئين مستقلين ومنفصلين تماماً بعضها عن بعض ، وفى ذلك يقول نيوتن العظيم فى كتابه (برنسبيا Principia) :

« المكان المطلق ، فى طبيعته الخالصة ، ومن غير الرجوع إلى شىء خارجى ، يظل أبداً الدهر متشابهاً وساكناً . الزمان المطلق ، والزمن الرياضى ، فى حد ذاته ، ومن طبيعته الخالصة ، يسرى بانتظام على الدوام دون الرجوع إلى شىء خارجى » .

وبينما يتطلب تعريف نيوتن للمكان ضرورة وجود جهاز خارجى مطلق يتخذ مرجعاً للحركة عبره ، يتضمن تعريفه الخاص بالزمان وجود جهاز خاص للتوقيت ، كالذى يمكن وجوده بعدد وفير من ساعات دقيقة أو ساعات المعامل (كرونومترات) المضبوطة لتعطى نفس الوقت ، أو حتى ساعات الحائط الموزعة على أجزاء متباينة من الفضاء الكونى ، بحيث تعطى جميعها الزمن الكونى القياسى . وبينما غرض الطرف عن فكرة المكان المطلق بثبوت سرعة الضوء التى برهنت عليها التجارب ، نجد أن هذه النتيجة كذلك قضت على جهاز التوقيت العالمى . ولكى نفهم هذا البلاء المسمى بالتوقيت العالمى ، دعنا نستعرض خير الطرق التى نستطيع بها ضبط ساعتين تفصل بينهما مسافة معينة . بطبيعة الحال يمكن لموظف فى شركة للتوقيت العالمى^(١) أن يسافر متنقلاً من مكان إلى آخر . حاملاً معه ساعة دقيقة للزمن القياسى ، وهذا هو عين ما كان يفعله ملاحو العهود الماضية عند ما كانوا يحملون معهم فى سفنهم ساعات ضبط دقيقة ، ولكن من الذى يضمن أن تستمر تلك الساعات الدقيقة

(١) بفرض وجود مثل هذه الشركة الخيالية (المترجم) .

في عملها دون حدوث خطأ في الزوال ؟ أما الطريقة الحديثة للتوقيت فتعتمد كما نعرف على إشارات اللاسلكى التى تتضمن إذاعات الوقت مرسلة بسرعة الضوء . ومن الوجهة العملية على الأرض ، يمكن بكل سهولة إهمال أى تأخير طفيف ينجم عن كون أن سرعة الضوء محدودة وليست لا نهائية ، إلا أن هذا التأخير يعظم أمره بكل تأكيد عند ما نتعرض لمسألة التوقيت بين الكواكب ، فقد يصل إلى عدة ساعات . ولكن على أية حال يمكن التغلب على هذه الصعوبة بسهولة عندما نعمل على إرسال الإشارة بحيث تروح وتجىء عن طريق ردها (أو عكسها) — دون أى تأخر أو ضياع في الوقت بتاتاً — من محطة الاستقبال ، بمعنى أنه إذا أرسلت إشارة الوقت في اللحظة n ، وارتدت إلينا في اللحظة n_1 ، فإن التوقيت الصائب السليم للساعة التى في محطة الاستقبال لحظة وصول الإشارة يلزم أن يكون $\frac{n_1 + n}{2}$ ، ولما كانت سرعة الضوء حسب تجربة ميكلسون ومورلى ثابتة ولا تتغير

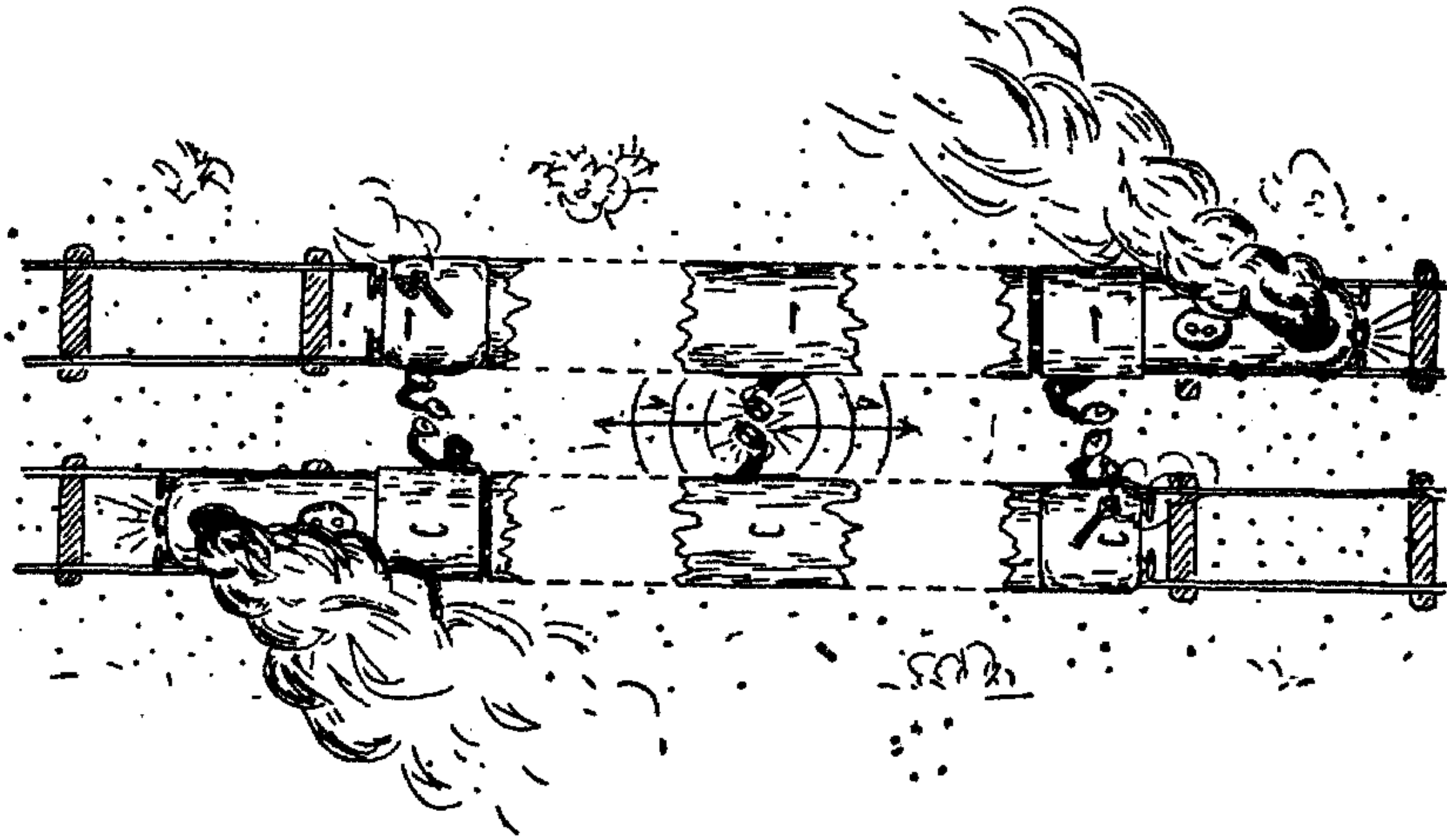
في الفراغ بصرف النظر عن ظروف الحركة القائمة ، فإنه يجب اعتبار هذه الطريقة الأخرى التى وصفناها مطلقة الدقة ، ولا غبار عليها ، والطريقة الأخرى التى يمكن اللجوء إليها بدلا من ذلك هى إرسال إشارتين ضوئيتين في اتجاهين متضادين من نقطة تقع تماماً في منتصف المسافة بين محطتين ، واعتبار الساعتين مضبوطتين إذا أعطتا أو أشارتا إلى نفس الوقت عند وصول الإشارتين إليهما .

والخطوة الثانية التى تلى تلك هى تعيين العلاقة القائمة بين الساعة وجهازين يتحرك أحدهما بسرعة منتظمة بالنسبة إلى الآخر .

وتتضمن الخطوة الثانية إيجاد العلاقة أو الارتباط بين الساعات على جهازين منفصلين يتحركان نسبياً بسرعة منتظمة ، كما يحدث مثلاً عند تلاقى قطارين من قطارات السكة الحديد يسيران في اتجاهين متضادين ، وهو خير مثل نختاره لهذه الخطوة ، وذلك لأن موظفى السكة الحديد كثيراً ما يعظم افتخارهم بساعاتهم الكبيرة المطلية بالذهب والتى تعطى الوقت بكل دقة . ولكى تتم عملية توحيد الوقت يكون على المكلف بالإشارة (الأشرجى) أن يلوح بمصباحه من نقطة في منتصف

القطار ، على حين يعتمد المهندس * والمتابع (أو المراقب) وهما يطلان على الترتيب من القاطرة والعربة الخلفية (سبنسه) ، إلى ضبط ساعتيهما في اللحظة التي يصلهما فيها الضوء .

وتذكرنا هذه الطريقة التي وصفناها بمحاولة غاليليو القديمة لقياس سرعة الضوء عن طريق رصد بريق ضوء الفانوس ، إلا أننا لا نغنى هنا أن مثل هذه التجربة يلزم إجراؤها فعلاً بعمال قطارين من قطارات السكة الحديد ، وإنما هي على أية حال ما كان يحلو لأينشتين أن يسميها « تجربة ذهنية » ، أو « آين جدنكن اكسبرمنت » Eine Gedanken experiments ، وهي التي يقتصر فيها الأمر على مجرد تصور الفرد للوضع ومحاولة استنتاج ما سيحدث على أساس النتائج المعروفة بالتجربة (التي على غرار تجربة ميكلسون ومورلي مثلاً) .



شكل (٦ - ٧)

ضبط الساعات في قطارين يتحركان أحدهما بالنسبة للآخر

وعند تطبيق هذه الطريقة على كل من القطارين ا ، ب ، نستطيع ضبط الساعات التي في كل منها لتقرأ نفس الوقت ، ومن ثم نواجه مسألة مقارنة التوقيت على قطار منهما بالتوقيت على القطار الآخر . ويمكن إنجاز ذلك في اللحظة التي تمر

* هو سائق القطار (المترجم) .

فيها القاطرة ا بمحاذاة العربـة الخلفية ب ، والعربـة الخلفية ا بمحاذاة القاطرة ب — شكل (٦-٧) — وليس من شك أنه في تلك اللحظة يكون في مقدور مهندس القاطرة ا ومراقب القاطرة ب مقارنة ساعتـيـهما مباشرة ، وذلك بأن ينحني كل منهما مطلا من نافذته ليضع ساعته مع ساعة زميله جنباً إلى جنب . ويمكن أن يحدث المثل بالنسبة للمراقب في ا والمهندس في ب .

ويصبح في إمكاننا إيجاد العلاقة بين مقارنات هذه الساعات بهذه الطريقة المباشرة وما سبق أن شرحناه من مقارنة لأـمـواج الضوء بافتراض أن اثنين من عمال الإشارة في ا ، ب يهزان مصباحـيـهما في اللحظة التي عندها يصبح أحدهما بجـزاء الآخر تماماً في أثناء مرور القطارين . وبطبيعة الحال سوف لا توجد في هذه الحالة سوى موجة ضوء واحدة نظراً لانطباق أحد المصباحين على الآخر في تلك اللحظة .

ولنتبع الآن نتيجة مثل هذا العمل : لما كان الضوء ينتشر بسرعة محدودة فإنه سوف يستغرق بعضاً من الوقت قبل أن يصل إلى مؤخرتي القطار ، وعند ما يصل إلى نهايته تكون القاطرة ا قد آلت إلى يسار العربـة الخلفية ب على حين تكون العربـة الخلفية ا قد آلت إلى يسار القاطرة ب ، وعلى ذلك فإن موجة الضوء بعد أن تمر بالعربـة الخلفية ب تستغرق بعض الوقت لتصل إلى القاطرة ا . ولهذا فإنه إذا نجم عن الاتفاق المبني على طريقة الإشارة الضوئية لضبط الساعات ، أن عمد المهندس ا والمتابع ب إلى ضبط ساعتـيـهما بحيث تعطى كل ساعة منهما نفس الوقت عند ما يبصر المهندس والمتابع موجة الضوء ، فإنه من اللازم أن تكون ساعة المهندس أ متخلفة وراء ساعة المتابع ب لحظة مرورهما ببعض . وبنفس الطريقة والاستدلال تكون ساعة المتابع ا متقدمة على ساعة المهندس ب لحظة وقوعهما معاً . ولما كان الناس في القطار ب متأكدين من أن ساعاتهم قد تم ضبطها بكل دقة ، لاستخدامهم طريقة الإشارة الضوئية ، فإنهم سوف يصرون إصراراً على أن الساعات التي في ا غير مضبوطة ، بمعنى أن الساعة التي في القاطرة ا تؤخر عن الساعة التي في العربـة الخلفية لنفس ذلك القطار ، وكذلك يخالـج الشك ركاب القطار ا ، لاعتبارهم أن ساعاتهم مضبوطة تماماً ، في أمر ضبط ساعات القطار ب . فيقول مهندس ا إن ساعة متابع القطار ب مقدمة وتسبق قراءتها الوقت

المضبوط ، بينما يصير متابع ا على أن ساعة المهندس ب تؤخر ، وهكذا يتفق الاثنان على خطأ ضبط الساعات في القطار ب ، وأن الساعة التي في القاطرة ب تؤخر بالنسبة إلى الساعة الموجودة في الغرفة الخلفية ب . ولن ينتهى هذا الجدل ، وذلك نظراً لأنه لا توجد ميزة معينة تفضل أحد القطارين ا ، ب على الآخر ، ويكون علينا أن نخرج بنتيجة أن الساعات التي تضبط في جهاز معين تبدو كأنما هي غير مضبوطة بتاتاً عند رصدها من جهاز آخر يتحرك بالنسبة للجهاز الأول ، والعكس بالعكس ، وفي معنى آخر ، عند ما يتم حصول حادثتين تفصل بينهما مسافة ما (كطول القطار) في جهاز معين في نفس اللحظة ، فإنهما يظهران كأنهما لم يحدثا في نفس الوقت عندما يرصدان من جهاز آخر يتحرك بالنسبة إلى الجهاز الأول . وهكذا يتضح لنا أن المكان يجوز تبادله ، ولو جزئياً على الأقل ، مع الزمان ، وأن أى حادثتين يفصل بينهما فاصل مكاني بحث في جهاز معين ، يمكن أن يؤدي بهما هذا الانفصال المكاني إلى وجود فرق زمني بينهما عند رصدهما من جهاز آخر في حالة من الحركة النسبية .

ولكى نوضح هذه العبارة ونقربها للأذهان ، نضرب مثلاً برجل يتناول غداءه في عربة أكل بقطار يجرى ، فيتناول حساءه أولاً ، فاللحم ، ثم الحلوى أو الفاكهة . وتم هذه الحوادث كلها في نفس المكان (نفس المائدة) بالنسبة للقطار ، ولكن في أزمنة مختلفة . ومهما يكن من شيء فإنه من وجهة نظر الراصد على الأرض يتناول الرجل حساءه وحلواه أو فاكهته في مكانين تفصل بينهما عدة أميال . ونحن نستطيع أن نصوغ هذه الحقيقة التافهة بقولنا : (إن الحوادث التي تتم في نفس المكان ولكن في أزمنة مختلفة في جهاز بالذات ، تتم في أمكنة مختلفة عند رصدها من جهاز لآخر يتحرك بالنسبة إلى هذا الجهاز) . والآن عند ما نبدل كلمة « مكان » الواردة في الجملة السابقة بكلمة « زمان » ، والعكس بالعكس تصبح على النحو الآتى : « إن الحوادث التي تتم في نفس الزمان ولكن في أمكنة مختلفة في جهاز بالذات ، تتم في أزمنة مختلفة عند رصدها من جهاز آخر يتحرك بالنسبة إلى هذا الجهاز » . وهذه هي عين النتيجة التي توصلنا إليها فيما سبق .

وإذا ما صارت الفترة الزمنية التي تساوى الصفر أكبر من الصفر عند رصدها

بجهاز يتحرك، فإن أى فترة زمنية محدودة تقع بين حادثتين يلزم أن تزداد كذلك عند ما ترصد من نفس هذا الجهاز . وهذا هو « التمدد الزمني » المشهور أو التأخير والإبطاء في الساعة (تمثيلاً مع جميع العمليات الأخرى الفيزيائية والكيميائية والحيوية) عند رصدها من جهاز متحرك . وعلى غرار كافة ظواهر النسبية يكون التمدد الزمني متجانساً بالنسبة إلى جهازين يتحركان بالنسبة لبعضهما البعض ، وبينما تشاهد الساعات التى فى القطار ا بوساطة ركاب القطار العابر ب كأنها تؤخر فى تقدير الزمن ، نجد أن ركاب القطار ا يصرون على أن التأخير إنما يحدث فى ساعات القطار ب . ويمكن البرهنة على أن التأخير النسبي فى الساعة إنما يعطيه القانون :

$$\frac{n}{\sqrt{1 - \frac{c^2}{c^2}}} = n$$

حيث أ هى سرعة الضوء كما سبق ، ع هى السرعة النسبية للجهازين . وهذا القانون شبيه بقانون انكماش فيتزجيرالد ، إلا أن الجذر يظهر هنا فى المقام .

ولقد شوهدت ظاهرة إبطاء كافة العمليات الطبيعية التى تصاحب الأجهزة السريعة الحركة بطريقة مباشرة فى حالة اضمحلال (الميسونات) ، تلك الجسيمات الأولية غير المستقرة التى تكون جانباً رئيسياً من الأشعة الكونية التى تهبط إلى سطح الأرض بسرعة عالية جداً ، وسوف ندرسها بتفصيل أكثر فى آخر باب من أبواب هذا الكتاب .

وهناك فكرة تتجه إلى أن توضع داخل قمر من الأقمار الصناعية التى تدور حول الأرض ساعة ذرية ، وهى آلة دقيقة جداً لقياس الزمن تضبط فيها حركة العقارب بوساطة ذبذبات جزيئات من الغازات الموضوعة داخلها . وعند ما نقارن بوساطة الإشارات اللاسلكية معدل الساعة التى فى القمر الصناعى مع ساعة مطابقة لها تماماً ومثبتة على الأرض ، يكون من الممكن إثبات صحة ظاهرة تمدد الزمن على مقياس كبير .

ميكانيكا النسبية

يستلزم انكماش أبعاد المكان وتمدد فترات الزمان عند رصدها من جهاز متحرك ضرورة عمل تغييرات جوهرية في القوانين والمعادلات التي تربط قياسات المكان والزمان في مجموعة معينة من المحاور* مع قياسات نفس هذه الكميات عند ما تؤخذ في مجموعة محاور أخرى تتحرك بالنسبة إلى المحاور الأولى . لنأخذ مثلاً جهازى المحاور (س ، ص) ، (س' ، ص') اللذين يتحركان بسرعة نسبية ع ، ثم تجعل حساب الزمن في الجهازين ابتداء من اللحظة التي تنطبق فيها نقطتا الأصل و ، و' فوق بعضهما بعضاً . لنفرض أن شيئاً مثل ب وضع ليسكن (أو ليثبت) على محور السينات للجهاز الثانى وعلى بعد س' من نقطة الأصل و' فما هى قيمة الأحداث السينى س لهذا الشيء على مجموعة المحاور الأولى فى الزمن ن ، أى ما هى المسافة المقاسة من نقطة الأصل و' ؟ يكون الجواب بسيطاً جداً إذا ما عمدنا إلى استخدام وجهة نظر نيوتن التقليدية ، فإنه خلال الزمن ن تنفصل نقطتا الأصل و ، و' بمسافة تساوى ن × ع ، وعلى ذلك فإن :

$$س' = س + ع ن$$

كما تستطيع أن تضم إليها كذلك المعادلة :

$$ن = ن'$$

التي تعبر فى بساطة عن تعريف نيوتن للزمن العالمى المطلق .

وقبل مجيء أنشتين كانت هاتان المعادلتان ، وهما ما نطلق عليهما اليوم اسم « طريقة غاليليو فى تحويل الإحداثيات » ، بمثابة البديهيات ، ولم يعتمد أحد إلى كتابة القانون الثانى على الإطلاق . ولكن احتمال التحويل الجزئى للأبعاد المكانية إلى فروق زمنية يتطلب إبدال هذه القوانين التي تبدو من التفاهة بمكان بقوانين أخرى أكثر تعقيداً . ويمكن التدليل على أنه لكى نحافظ على شرط ثبوت سرعة الضوء ، وغيرها من ظواهر النسبية التي ذكرناها سابقاً ، يجب إبدال تحويلات

* من المعلوم أن المكان يمكن تحديده بمحاور متعددة الأنواع ، منها محاور ديكارت المتعامدة والتي تتمثل فى الطول والعرض والارتفاع (المترجم) .

غاليليو القديمة بالمجموعة الجديدة وهي :

$$\frac{s + c n}{\sqrt{\frac{c}{c_1} - 1}} = s^-$$

$$n = \frac{c}{c_1} s^-$$

ويعرف هذان التعبيران باسم تحويلي لورنتز ، والذي استنتجها عالم الفيزياء الهولندي ه . ا . لورنتز ، وذلك عقب نشر نتائج تجارب ميكلسون ومورلي مباشرة ، إلا أن كاتب البحث وغيره من الفيزيائيين المعاصرين اعتبروها بمثابة الحيل الرياضية المسلية . ولم يظهر قيمة هذه التحويلات سوى أنشتين الذي كان أول من فطن إلى أن تحويلي لورنتز يدلان على حقيقة طبيعية ، كما أنهما يتطلبان تغييراً جوهرياً في أفكارنا وآرائنا القديمة المتعلقة بالمكان والزمان والحركة .

ونحن نستطيع أن نلاحظ أنه بينما لا تبدو تحويلات غاليليو متجانسة بالنسبة لأحداثيات الزمان والمكان ، فإنه على النقيض من ذلك تتجانس تحويلات لورنتز . فعند حساب الزمن الجديد n^- يجب علينا ضم حد إضافي إلى الزمن n ، ويتوقف هذا الحد الإضافي على السرعة النسبية c ، ولذلك فهو يحكى الحد الذي نضيفه إلى الأحداث السني القديم s لنحصل على الأحداث السني الجديد s^- . وفي جميع الحالات التي تعترضنا في حياتنا اليومية ، حيث تكون جميع السرعات التي تصادفنا أصغر بكثير من سرعة الضوء (c أصغر بكثير من A) ، تؤول قيمة الحد الثاني الذي في بسط الكسر الخاص بالتحويل الزمني إلى الصفر تقريباً ، هذا كما يصبح المعامل الموجود في المقام في المعادلتين مساوياً الواحد الصحيح على وجه التقريب ، وبذلك نعود إلى تحويلات غاليليو القديمة . ولكن على العكس من ذلك ، عند ما تقارب قيمة السرعة النسبية سرعة الضوء فإنه ينجم عن الحد الإضافي في تحويل الزمان تصدع فكرة انسيابه المطلق ، في حين ينجم عن معاملات الجذور التربيعية انكماش في المسافات وتمدد في الزمن .

ومن اللازم عند هذه النقطة أن نناقش لبساً يتعلق بالانكماش النسبي في الطول .
فقد لبث هذا اللبس قائماً بين علماء الفيزياء ٥٤ عاماً ، منذ الوقت الذي نشر فيه أنشتين ورقته الأصلية عام ١٩٠٥ إلى حين تعبيد صعاها في بحث نقدي مقتضب نشره أحد الفيزيائيين من الشبان الأمريكيين المدعوج . تريل عام ١٩٥٩ فقد كانت الفكرة السائدة عن انكماش الطول بمعامل قدره $\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}$ أنه يمكن

بالفعل مشاهدته بالنظر إلى شيء يتحرك إذا ما قاربت سرعته سرعة الضوء .
وعلى ذلك فالراكب في إحدى طائرات (بان أمريكيان) Pan-American يرى طائرة من طائرات ت . و . ا . T.W.A. وهي تمر أمامه في الاتجاه المضاد (مخالفة جميع نظم الف . ا . ا .) * . وقد تقلصت أو انكمشت من حجرة القيادة إلى زعانف الذيل ، على حين يشاهد أي راكب في الت . و . ا . نفس الشيء يحدث لطائرة (بان أمريكيان) ولكن تريل يبين خطأ هذا القول ، وذهب إلى أنه من وجهة النظر الخاصة بعمليات الرصد بالنظر إلى جسم سريع الحركة ، نجد أن مثل هذا الجسم لا يبدو أقصر مما هو عليه في حالة السكون ، وعلة ذلك أنه نظراً لأن سرعة الضوء محدودة ، فإننا في أثناء مرور الطائرة نرى الضوء المقبل من أنفها وذيلها متأخراً بأزمنة متباينة ، ويعمل هذا الفرق الزمني على محو أثر التقلص في الطول الناجم عن النسبية . أما إذا كان الضوء ينتشر بسرعة لانهاية فإن مثل هذا الخطأ في الرصد لا يحدث ، ولكن بطبيعة الحال ينجم عن كون أن $a = \infty$ ما لانهاية (∞) أن يصبح التقلص في الطول الناجم عن النسبية مساوياً للصفر مهما كانت قيمة السرعة النسبية للجهازين المتحركين .

وكما يقول تريل ، بينما لا يمكن لأي راصد أن يشاهد التقلص في الطول الناجم عن النسبية ، نجد أن هذا التقلص يمكن تصويره ، بشرط أن يكون قطر العدسة أكبر من طول الجسم المتحرك . ونحن في استطاعتنا أن نتصور طائرة خاصة بالتقاط الصور معدة بآلة تصوير تغطي عدستها المسافة الممتدة من أنفها إلى ذيلها . ومن اللازم أن تكون هذه العدسة على هيئة أسطوانة طويلة ، ولها حاجز

يحجب الضوء في وقت واحد ، أى إن هذا الحاجز تغلق مقدمته في نفس اللحظة التى تغلق فيها مؤخرته (في الوقت الذى يطبق فيه نظام ضبط الزمن في الطائرة) . وعند ما تمر مثل هذه الطائرة بشيء غير واضح المعالم يتحرك بسرعة في الاتجاه المضاد ، ثم تلتقط صورة لهذا الشيء ، فإن تلك الصورة تبين جميع الصفات الخاصة بالتقلص في الطول الناجم عن النسبية . وتمر الطائرة دون أن تقول شيئاً ، وإذا أتيحت لهذا الشيء غير الواضح المعالم فرصة التقاط صورة لطائرة التصوير ، أرسلت إلى الطيار إشارة على أمواج الأثير تقول : « أنتم أقل طولاً كذلك ! » .

ولا يسمح المجال في هذا الكتاب بأن نعلم إلى الكشف عن النتائج الرياضية لتحويلات لورنتز ، ولكننا سوف نقتصر على الإشارة إلى أهم النتائج التى أدت إليها وأعظمها أثراً . وتختص إحدى تلك النتائج الهامة بموضوع إضافة أى سرعتين . فلنفرض مثلاً أن سفينة من حاملات الطائرات تنطلق عبر المحيط بسرعة تساوى ٣٥ عقدة ، أى نحو ٤٥ من الأميال في الساعة ، بينما يركب رجل دراجة آلية (موتوسيكل) ليعبر ظهرها من المؤخرة إلى نهايتها من الأمام بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة — شكل (٦ — ٨) — فماهى سرعة (الموتوسيكل) بالنسبة للماء ؟ الجواب حسب الميكانيكا القديمة هو بكل بساطة : ٤٠ + ٦٠ ، أو ١٠٠ ميل في الساعة ، إلا أن هذه القاعدة البسيطة التى نضيف تبعاً لها سرعتين بعضهما إلى بعض لا يمكن على أية حال أن تظل صحيحة في ميكانيكا النسبية . وفي الواقع إذا ما افترضنا أن سرعة كل من أعلى السفينة المسطح (والموتوسيكل) هى مثلاً ٧٥ ٪ من سرعة الضوء (وهو أمر جائز من حيث المبدأ على الأقل) ، فإن سرعة (الموتوسيكل) بالنسبة للماء يلزم أن تزيد ٥٠ ٪ على سرعة الضوء . والقاعدة النسبية لإضافة سرعتين

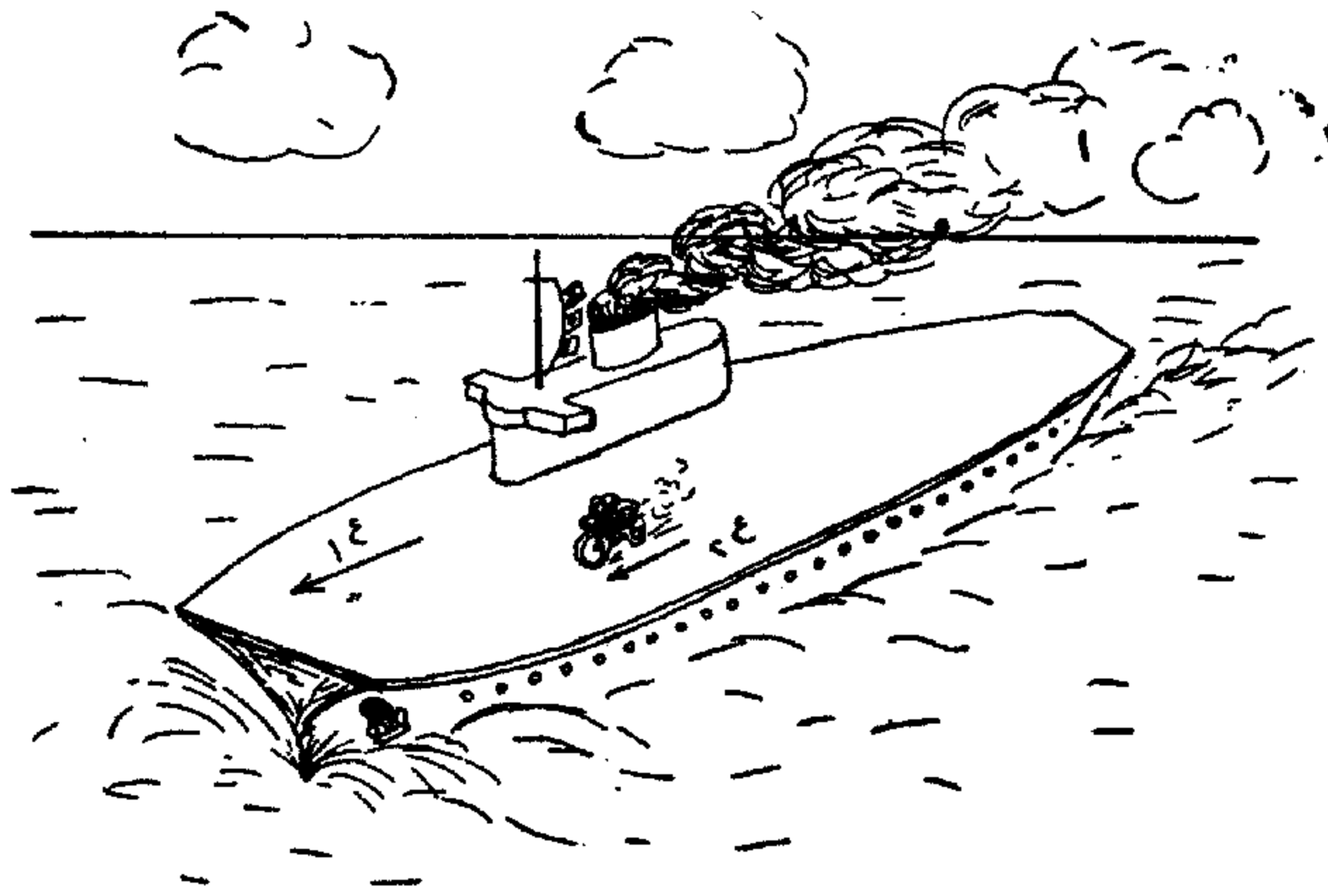
ع_١ ، ع_٢ هى :

$$ع = \frac{ع_١ + ع_٢}{١ + \frac{ع_١ ع_٢}{c^2}}$$

حيث ع_٢ هى السرعة الناجمة عن الإضافة . ومن السهولة أن نتبين أن كلا من ع_١ ، ع_٢ أصغر من أ . وفي الحقيقة نجد أننا حتى عند ما نضع ع_١ = أ ،

فإننا نحصل على :

$$\frac{2c + 1}{\frac{2c}{1} + 1} = \frac{2c + 1}{\frac{2c}{1} + 1} = c$$



شكل (٦ - ٨)

إضافة سرعتين حسب النسبية

$$u = \frac{(c + u)}{2c + u} =$$

مما يدل على أن أية سرعة نضيفها إلى سرعة الضوء لا تسبب بحال من الأحوال أى زيادة فى سرعة الضوء . وعند ما نضع $c = u$ ثم $c = u$ نحصل مرة أخرى على :

$$u = \frac{u}{1 + 1} = \frac{u}{\frac{u}{c} + 1} = c$$

وتفسر لنا قاعدة النسبية لإضافة السرعات تجربة فيزو التى سبق لنا أن شرحناها ، والتى أجريت قبل ذلك بما يقرب من نصف قرن كامل . فعندما نعوض عن c بقيمة سرعة الضوء فى الماء أى n ، ثم نضع الرمز c بدلا من c

للدلالة على سرعة الماء في الأنبوبة نحصل على :

$$\frac{c + \frac{1}{n}}{\frac{c}{v} + 1} = \frac{c + \frac{1}{n}}{\frac{c}{v} + 1} = \bar{c}$$

ويضرب كل من البسط والمقام في $(1 - \frac{c}{v})$ ينتج أن :

$$\frac{(c + \frac{1}{n})(1 - \frac{c}{v})}{\frac{c^2}{v^2} - 1} = \bar{c}$$

$$\frac{\frac{c^2}{v^2} - \frac{c}{v} - c + \frac{1}{n}}{\frac{c^2}{v^2} - 1} =$$

ولما كانت c أصغر بكثير من v ، فإن قيمة $\frac{c}{v}$ تكون صغيرة جداً، ولذلك تكون

$[\frac{c}{v}]^2$ أصغر بكثير. وعند ما نهمل الحدود التي تشتمل على $\frac{c^2}{v^2}$ في القانون

السابق نحصل على :

$$c + \frac{1}{n} - c = \frac{c}{v} - c + \frac{1}{n} = \bar{c}$$

وهو عين القانون التجريبي الذي حصل عليه فيزو . وعلى ذلك فلا وجود لما أسميناه (سحب الأثير) بوساطة سيال مادي متحرك ، والسرعة التي تنجم عن حركة أى سائل هي مجرد الجمع بالنسبية لسرعة الضوء في السائل وسرعة سريان السائل في الأنبوبة .

ومن ضمن النتائج الأخرى الهامة التي تمخضت عنها ميكانيكا النسبية عدم ثبوت كتلة أى جسم متحرك ، ذلك الثبوت الذى تفترضه ميكانيكا نيوتن ، ولكن الكتلة تزداد بازدياد السرعة . والعامل الذى يؤثر على كتل الأجسام المتحركة هو نفس العامل الذى يؤثر فى انكماش الطول وتمدد الزمن . وقيمة كتلة جسم يتحرك بالسرعة c تعطىها المعادلة :

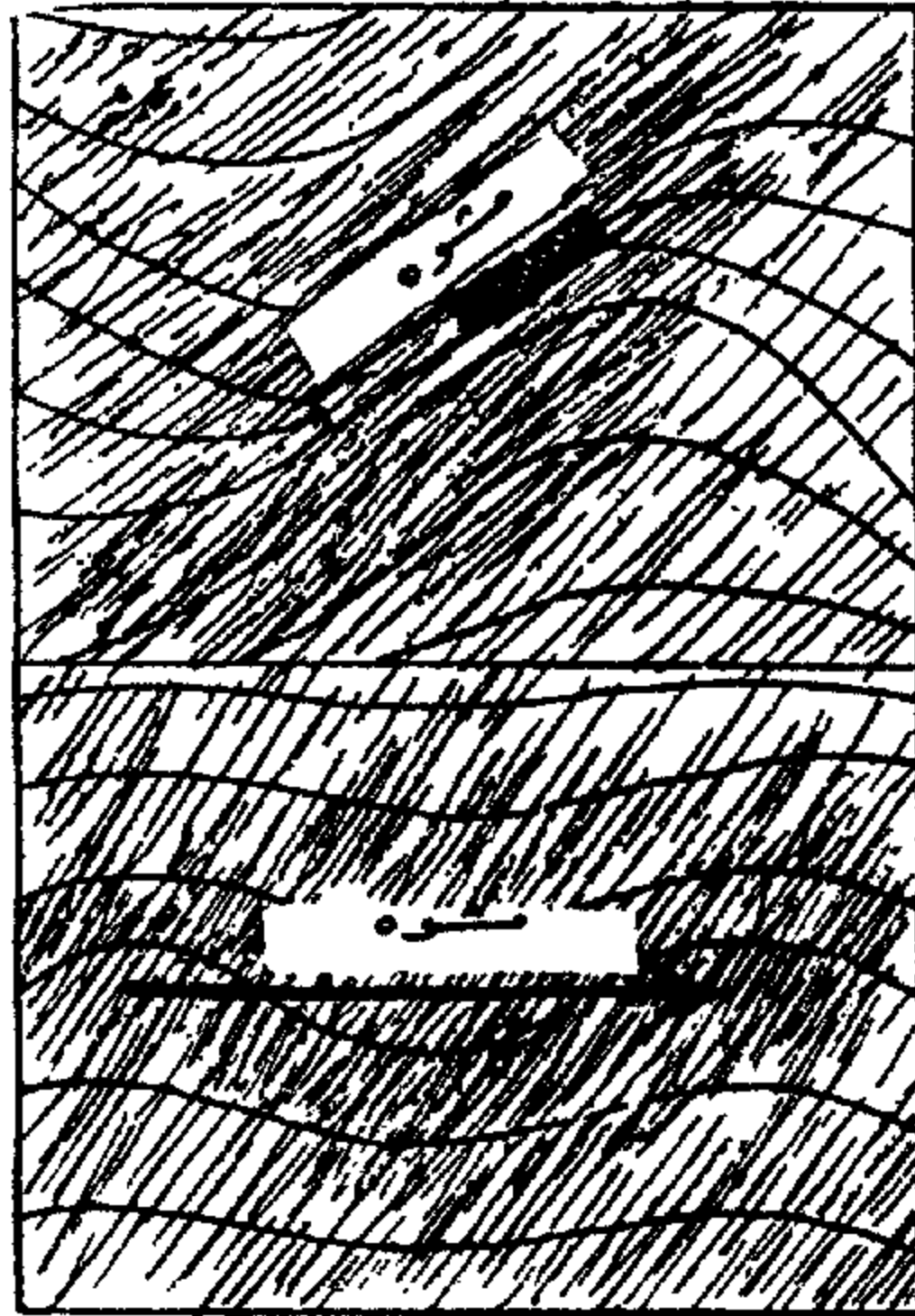
$$K = \frac{K_0}{\sqrt{1 - \frac{c^2}{c^2}}}$$

حيث K . هى ما يطلق عليه اسم « كتلة السكون » أو فى معنى آخر مقاومة الحمول (أو القصور الذاتى) التى تقف حائلا فى سبيل كل قوة تعمل على تحريك الجسم وهو فى حالة السكون ، وعند ما تزداد سرعة الجسم ، وتقرب من حدود سرعة الضوء ، تتزايد على التدريج المقاومة التى تحول دون زيادة السرعة ، حتى إذا ما صارت $c = 1$ ، أصبحت المقاومة ضد أية زيادة فى السرعة متناهية فى الكبر . وتعرض علينا هذه الحالة صورة أخرى من صور الصياغة الأساسية لنظرية النسبية ، وهى أنه لا يمكن لأى جسم مادى التحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء . وفى الواقع ينجم عن تضخم مقاومة الحمول أو القصور أن تصبح قيمة الطاقة ، اللازمة للزيادة من سرعة أى جسم مادى لكى ينطلق بسرعة الضوء ، قيمة لانهاية ، أى لا حدود لها .

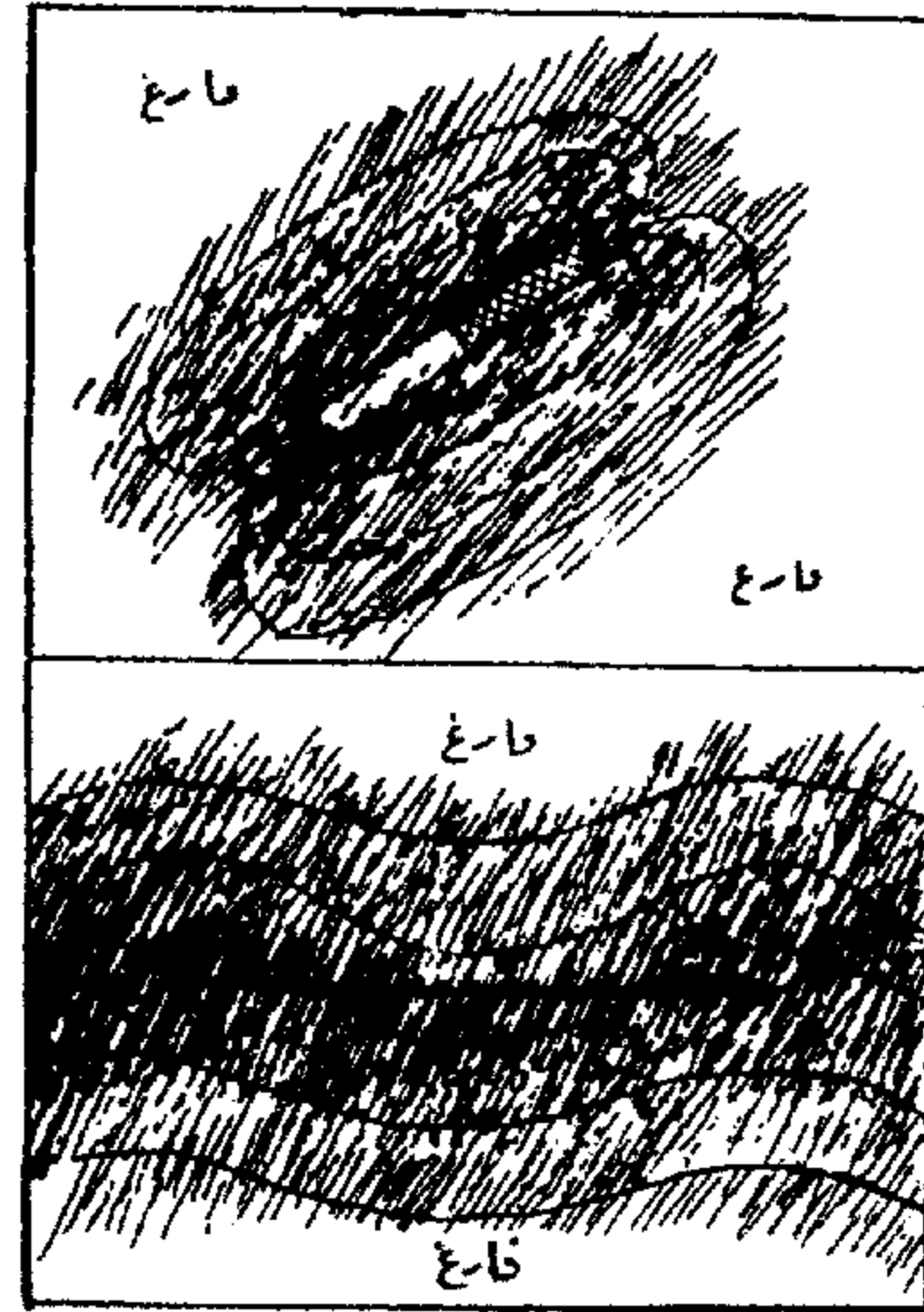
تساوى الكتلة بالطاقة

وعند ما تخلص أنشتين من فكرة الأثير العالمى وعاد بالفضاء الممتد عبر أجرام السماء إلى سيرته الأولى كفراغ تام ، كان عليه أن يفعل شيئا ما من أجل الإبقاء على الحقيقة الفيزيائية الممثلة فى موجات الضوء والمجالات الكهرومغناطيسية بوجه عام . فإذا لم يكن هناك أثير ، فما الذى يحيط بالشحنات الكهربائية والمغناطيسات وما الذى ينتشر عبر الفراغ التام حاملا إلينا ضوء الشمس والنجوم ؟ لا سبيل إلى

مواجهة هذه الحقائق إلا إذا اعتبرنا المجال الكهرمغناطيسي كنوع من أنواع الوسط المادى حتى لو كان يختلف اختلافاً تاماً عن الأوساط المادية العادية التى نألفها . وفى علم الفيزياء تستخدم الصفة « مادي » للدلالة على ما (يتناقل) أو ما له كتلة أو وزن . ومعنى ذلك أنه يلزم أن تحاط الشحنات الكهربائية والمغناطيسات بنوع من المادة التى لها ثقل صغير جداً ، وهى مهما بلغت من الخفة تكون كثيفة نسبياً بجوار تلك الشحنات أو المغناطيسات ، وتقل كثافتها إلى الصفر على البعد الذى تختفى فيه القوى الكهربائية والمغناطيسية الناجمة عنها . وكذلك لا مناص من تصوير أشعة الضوء على هيئة مجارٍ متذبذبة ودافقة من هذه المادة ، تنبثق من الأجسام المضيئة (تماماً كما تنبثق مجارى المياه من خراطيم الحديقة) متدفقة عبر فضاء فارغ تماماً . ويوضح الفرق بين وجهتى النظر الجديدة والقديمة بالرسم فى شكل - (٦ - ٩) . فبينما افترض العلماء أولاً أن الأثير العالمى إنما يوزع توزيعاً منتظماً ومتجانساً فى الفضاء ، وصوروا لنا المجالات الكهربائية والمغناطيسية كمجرد تشويه



فكرة ما قبل أينشتاين



فكرة ما بعد أينشتاين

شكل (٦ - ٩)

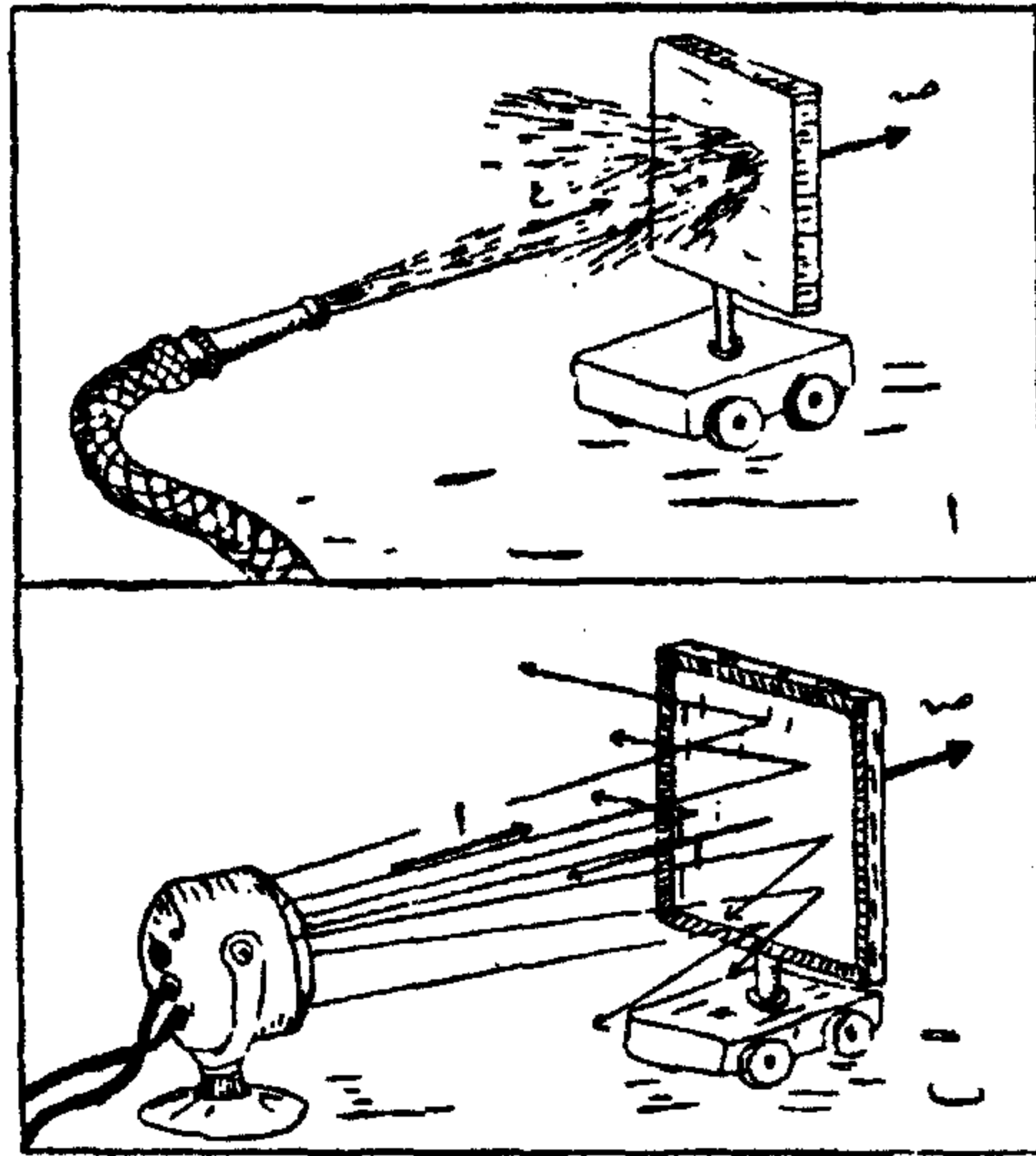
الفكرة القديمة والفكرة الحديثة المتعلقةان بالمجال الكهرمغناطيسى . كان من المعتقد قبل أينشتاين أن الأثير الذى ينتشر ليملا شتى أرجاء الكون يصيبه نوع من التشويه فى مناطق المجال الكهرمغناطيسى . أما الآن فإننا نعتقد أن المجال الكهرمغناطيسى ما هو إلا شئ طبيعى له كيان وله (ثقل) ويوجد تلقائياً فى الفضاء الفارغ الخالى من المادة .

طارئ على هذا التوزيع ، اعتبر وجود المادة « الأثيرية » الجديدة قاصراً على الأماكن التي توجد فيها القوى الكهربائية والمغناطيسية ، وهي لا تعتبر حاملة لهذه القوى بقدر ما تعتبر بمثابة القوى نفسها متجسدة . ولا سبيل إلى إظهار الصفات الطبيعية لتلك المادة باستخدام تعبيراتنا القديمة التي على غرار : التماسك ، والمرونة .. وغيرها مما لا تستخدم إلا في وصف الأجسام المادية المبنية من الذرات والجزيئات ، وإنما باستخدام معادلات مكسويل التي تصف لنا جميع دقائق التفاعلات الكهرومغناطيسية . وتحتاج وجهة النظر الحديثة هذه إلى بعض الوقت والجهد من أجل هضمها ، إلا أنها تحرر العقل البشري من نير « التركيب المادي » للضوء الذي يحكى دراسة الإنسان من حيث تركيبه .

ولكن على أى أساس نسبغ على هذه المادة « الأثيرية » الجديدة صفة التكتل ونفرض أنها مما يتناقل ؟ ثم ما هي قيمة الكتلة التي يمكن أن تتضمنها ؟ ولعل أسهل السبل للإجابة على هذا السؤال هو أن ندرس ما يحدث عند ما تسقط حزمة ضوئية على مرآة ثم ترتد ؛ فالمعروف منذ زمن طويل في علم الفيزياء أن الضوء عند ما يرتد من مرآة يؤثر فيها بنوع من الضغط ، وهو رغم عدم بلوغه القدر الكافي لزعزعة مرآة موجودة أمام شمعة مثلاً ، ينجح في دفع جزيئات الغاز من أجسام المذنبات عند ما تقترب هذه من الشمس* . وتكون جزيئات الغاز هذه ذيولاً مضئية بوهج لامع تمتد عبر السماء . وتم أول إثبات لضغط الضوء هذا في المعمل على يد عالم الفيزياء الروسي ب . ن . ليديف ، حيث أثبت أنه يساوى عددياً ضعف قيمة الطاقة المرتدة مقسومة على سرعة الضوء .

ومن أقرب الأمثلة الميكانيكية التي تعتبر عظيمة الشبه بالضغط الذي تحدثه حزمة ضوئية منعكسة من مرآة ، ذلك الدفع الذي يولده مجرى من الماء ينبثق من خرطوم الحديقة موجهاً نحو لوح يعترض سبيل الماء — شكل (٦-١٠) — وبحسب قوانين الميكانيكا التقليدية القديمة ، يكون الضغط الناجم عن مجرى من الجزيئات المادية ، الذي يقع على جدار يعترض سبيلها ويعمل على ردها ، مساوياً معدل

* الرأي السائد الآن على أية حال هو أن هذا الدفع يرجع أساسه إلى الغازات والجسيمات الأولية التي تطلقها الشمس بصفة مستمرة من حولها (المترجم) .



شكل (٦ - ١٠)

ارتداد مجرى مائي من لوحة قابلة للحركة (أ) . وانعكاس حزمة ضوئية من مرآة قابلة للحركة (ب) .

التغير في كمية حركتها - كما سماها نيوتن (انظر الباب الرابع) . فإذا كانت ك هي كتلة الماء التي يحملها المجرى في وحدة الزمن ، وكانت ع هي سرعة المجرى ذاته ، فإن التغير في كمية التحرك يصبح $٢ ك ع$ ، نظراً لأن كمية التحرك هذه تتغير قيمتها من $+ ك ع$ إلى $- ك ع$ ، وبكل تأكيد $+ ك ع - (- ك ع) = ٢ ك ع$.

وعند ما نستخدم نفس المبدأ لحزمة من الضوء تنعكس من مرآة ، يكون من اللازم أن ننسب إليها قدرأً من كمية الحركة الميكانيكية مساوياً حاصل ضرب « كتلة الضوء » ك الساقط على المرآة في وحدة الزمن في سرعته أ . وعلى ذلك يمكننا أن نعبر عن ضغط الضوء بالمعادلة الآتية :

$$\text{ض} = ٢ ك أ$$

الضوء

وعند ما نقارن هذا التعبير بالعلاقة التي حصلنا عليها عن طريق التجربة ، وهي :

$$\text{ض} = \frac{٢ ي}{١} \text{ التي سبق ذكرها ، نخرج بالنتيجة القائلة بأن :}$$

$$\frac{U}{c^2} = K$$

$$U = K c^2$$

وهذا هو عين قانون أنشتين المشهور المعروف باسم « قانون معادلة الكتلة بالطاقة » الذى يسوى بين طاقة الإشعاع ، تلك التى تعتبرها الفيزياء التقليدية القديمة عديمة الثقل ، والمادة العادية ذات الثقل . ولما كانت U لها قيمة عددية كبيرة جداً ، 9×10^{20} ، فإن كتلة أى مقدار محدود من طاقة الإشعاع تكون صغيرة جداً إذا ما عبرنا عنها بالوحدات المألوفة . فمثلاً (البطارية) التى تبلغ قوة مصباحها ١٠ وات ، عند ما تشع 6×10^9 أرج من الضوء فى الدقيقة ، يقل وزنها بمقدار $\frac{6 \times 10^9}{9 \times 10^{20}} = 7 \times 10^{-12}$ جرام . ومن ناحية أخرى نجد أن الشمس تفقد فى اليوم الواحد 4×10^{11} طناً عن طريق إرسال إشعاعاتها فى الفضاء المحيط بها .

وبطبيعة الحال لا مناص من تعميم العلاقة القائمة بين الكتلة والطاقة لجميع أنواع هذه الأخيرة . وعلى هذا الأساس تصبح المجالات التى تحيط بالأجسام الموصلة المشحونة بالكهربية والمغناطيسات حقيقة طبيعية لها ثقافتها ، حتى لو كانت كتلة المجال الذى يحيط بكرة من النحاس قطرها متر ومشحونة إلى جهد قدره ألف فولت وزن 2×10^{-22} جراماً ، على حين لا تزيد كتلة مجال مغناطيسى المعمل العادى على 10^{-10} من الجرام .

ويجب أن تكون للطاقة الحرارية كتلة ثقافية كذلك ، فلتر الماء عند درجة حرارة 100°م تزيد كتلته بمقدار 10^{-20} جراماً على نفس هذه الكمية من الماء البارد ، على حين وزن الطاقة الكلية التى تنطلق من قبلة ذرية من ذوات عشرين ألف طن نحو جرام واحد .

وهنا يجدر بنا أن نعلق ببعض الكلمات على ما تقرره الجرائد ، وما يكتب فى المجالات من مقالات للعامة ، بأن علاقة أنشتين هذه الخاصة بالطاقة والكتلة كانت أساس اختراع القنبلة الذرية ، فنحن عند ما نتوخى الحقيقة نجد أن هذا

الزعم ليس صحيحاً بتاتاً ، وفي مقدور أى شخص أن يقول على نفس المقياس من الصحة إن هذه العلاقة هى كذلك أساس اكتشاف نوبل للنيتروجلسرين* ، أو أساس اختراع الآلة البخارية على يد وات . فى جميع مثل هذه الحالات التى يحدث فيها تحويل كيموى أو طبيعى يصحب هذا التحويل انطلاق قدر من الطاقة ، وتكون كتلة ما ينجم عن هذه التحويلات من مادة أقل من كتلة ما اشترك أو دخل فيها من الأصل بمقدار كتلة الطاقة المنطلقة . وعلى ذلك فإن الغازات التى تنجم عن النيتروجلسرين تكون أقل فى الوزن من المواد المفرقة الأصلية . وكذلك تكون كتلة البخار المقبل من الآلة البخارية أقل من كتلة الماء الساخن الموجود فى المرجل . وبالمثل فإن مجموع أوزان الغازات المتصاعدة والرماد المتخلف عن حرق الخشب يقل عن وزن كتلة الخشب الأصلية . ولكن فى جميع هذه الحالات تكون كتلة المادة المنطلقة صغيرة جداً بالنسبة إلى كتلة المادة الأصلية ، بحيث يستحيل قياسها ، حتى لو عمدنا إلى استخدام أعظم الموازين دقة وأكثرها حساسية . وليس فى استطاعة أى عالم فيزيائى أن يلاحظ الفرق الناتج فى وزن كوب من الماء الساخن عند ما يبرد . بل لم يحدث قط أن لاحظ عالم من علماء الكيمياء الفرق بين وزن الماء ووزن غازى الأيدروجين والأكسجين اللازمين لإنتاج الماء باتحادهما .

وفى حالة التفاعلات النووية ، تكون مقادير الطاقة المنتجة أكبر من ذلك بكثير . ورغم أنه من المحال أن يعتمد المرء إلى جمع كل ما ينجم عن انشطارات القنبلة ليبرهن أن وزنها يقل بمقدار جرام واحد عن وزن القلب الأصى المكون من البلوتونيوم ، يستطيع الإنسان بطريقة حساسة من طرق التجارب العملية النووية أن يعين بكل دقة كتلة الذرات الداخلة فى التفاعل النووى والذرات الناجمة عن هذا التفاعل . وعلى ذلك لم يكن الدور الذى لعبه أنشتين فى صناعة القنبلة الذرية هو استنتاج العلاقة $E = mc^2$ ، ولكن خطاباً لم يكذب يبعث به للرئيس روزفلت ، حتى بدى بتنفيذ مشروع مانهاتان نظراً لما كان لأنشتين من رأى له قيمته ووزنه . وأى جسم مادى يتحرك بسرعة معينة يحمل بين طياته طاقة الحركة ، وتفسر لنا

* الذى يستخدم فى المفرقات الذرية (المترجم) .

الزيادة الطارئة على الكتلة بسبب إضافة كتلة هذه الطاقة إليها ما يعرف في النسبية باسم ازدياد الكتلة . ويستخدم قانون أنشتين الخاص بمعادلة الكتلة بالطاقة كذلك في تحويل الجسيمات الأولية. فلكي تخلق زوجاً من كهربي وكهرب مضاد (أوبروتون وآخر مضاد) فإنه يلزم إمدادهما بقدر من الطاقة يعادل كتلتيهما معاً . وينطلق نفس هذا القدر من الطاقة كإشعاع عالي الذبذبات عند ما يفنى الجسيم الأول منها الجسيم الآخر .

عالم الأبعاد الأربعة

من الوجهة الرياضية يعادل انكماش المكان في النسبية تقلص فتزجيرالد للأجسام المتحركة . ولكن بينما تصور فتزجيرالد هذا التقلص كظاهرة طبيعية حقيقية تنجم عن حركة الأجسام المعادية خلال الأثير ، تعتبر النظرية النسبية هذا التقلص كانكماش ظاهري للمسافات عند ما ترصد من جهاز متحرك . ويتشابه كل من انكماش المكان وتمدد الزمان بالنسبة لأي جهازين في حركة نسبية . وفي جميع الحالات التي تقصر فيها أبعاد المكان نجد أن الزمان يطول ، ويحكي هذا الوضع إلى حد ما المسقطين الرأسى والأفقى لعصا لها طول معين l . فإذا ما أخذت العصا وضعاً رأسياً ، يكون مسقطها الرأسى صفراً ومسقطها الأفقى l ، أما إذا وضعت أفقياً فإن مسقطها الرأسى يصبح l ، كما يصير طول مسقطها الأفقى صفراً . وعند ما تثبت العصا بحيث تميل بزاوية قدرها θ مثلاً نجد أن المسقطين الأفقى والرأسى تختلف قيمة كل منهما عن الصفر .

ومهما كانت قيمة الزاوية θ فإنه تبعاً لنظرية فيثاغورث يكون :

$$\Delta^2 = \Delta_{\text{ص}}^2 + \Delta_{\text{ل}}^2$$

ولقد ألهم هذا التشابه عالم الرياضة الألماني ه . منكوسكى (الذى سايرت بحوثه عن كذب نتائج الأوراق الأولى التي نشرها أنشتين) إلى اعتبار الزمن بطريقة ما البعد الرابع المكمل لأبعاد المكان * الثلاثة ، وأن حركة أى جهاز بالنسبة إلى جهاز آخر يمكن أن ينظر إليها كدوران لهذه المحاور الأربعة المتعامدة .

* هي الطول (المحور السيني) ، والعرض (المحور الصادي) ، ثم الارتفاع (المحور العمودي) .
(المترجم) .

ونحن في حياتنا اليومية نصف الحوادث المختلفة بالإشارة إلى زمانها ومكانها . فنقول مثلاً إن الاجتماع سوف يكون في الطابق الخامس عشر من منطقة « سيكث أفينو Sixth Avenue » في الشارع الثاني والثلاثين في تمام الساعة الثامنة مساء . وفي العادة نعلم إلى عمل أشكال بيانية ، نرسم فيها المكان مع الزمان ، إلا أن مثل هذه الأشكال التي لا تختلف في شيء عن تلك التي تبين مثلاً التغير في أسعار سوق الجملة من شهر إلى آخر ، لا تزيد عن كونها عرضاً باستخدام المنحنيات البيانية لبيان الاعتماد القائم بين مقدارين فيهما ترابط ، ولا يمكن اعتبارها بأية وسيلة خاضعة لأي نوع من قواعد الهندسة القياسية ، أو عملية من عملياتها . وإذا كنا سنعتبر الزمان كبعد رابع حتمي ، فمن الواجب قبل كل شيء أن نقيسه بنفس الوحدات التي نقيس بها أبعاد المكان الثلاثة . ويمكن إنجاز ذلك بضرب الزمن ، المقدر في الأصل بالثواني ، بنوع السرعة القياسية ، بحيث ينجم عن حاصل الضرب هذا مسافة مقيسة بالسنتيمتر ، أي بنفس الوحدة المستخدمة في قياس أبعاد المكان الثلاثة . ومن العبث أن نتخير لهذا الغرض وحدة عادية ، التي على غرار نهاية السرعة المسموح بها في الطرق الحالية مثلاً (فهذه تتوقف على القوانين المحلية) ، ومن العبث كذلك تخير سرعة الصوت (لاعتمادها على مادة الوسط ودرجة الحرارة) . ومن الجلي والواضح أنه ليس هناك أفضل من تخير سرعة الضوء في الفراغ ، التي يبدو أن لها صلة بقوانين الطبيعة الأساسية ، كما برهن ميكلسون ومورلي على ثبوتها وعدم تغيرها . وعلى ذلك عند ما نرسم للأحداثيات الثلاثة الأولى (المكان) بالرموز s, v, c ، ونستخدم الرموز t ان للبعد الرابع (الزمن) ، إلا أن هذا العمل هو بمثابة أول خطوة نخطوها في هذا الصدد . ففي حالة إحداثيات المكان s, v, c ، نجد أنه يمكن تبادلها فيما بينها دون قيد أو شرط ، كان يصير طول صندوق من الخشب مثلاً هو ارتفاعه إذا ما قلبناه على جانبه . ومن الواضح أن مثل هذا التبادل الكامل لا يوجد في حالة محاور المكان والزمان ، وإلا لأمكن تحويل الساعة إلى عصا والعكس بالعكس ! وعلى ذلك فلو أردنا اعتبار الزمن بمثابة الأحداث الرابع ، ينبغي ألا يقتصر عملنا على ضربه بالسرعة c ، ولكن بمعامل آخر من شأنه أن يجعل من الأحداث الزمنية شيئاً يخالف

في طبيعته أحداثيات المكان الثلاثة ، دون أن يضيع التوافق في جهاز الأحداثيات الأربعة ، وتمدنا الرياضة بمثل هذا المعامل تماماً ، وهو المعروف باسم « الوحدة التخيلية » التي يرمز لها عادة بالرمز i ، وهي تساوى الجذر التربيعي لـ ناقص واحد .

$$\overline{1 - i} = t$$

وتبعاً لقواعد الجبر الأولية يكون $(1 + i)^2 = 1 + 2i + i^2 = 1 + 2i - 1 = 2i$ ، وكذلك $(1 - i)^2 = 1 - 2i + i^2 = 1 - 2i - 1 = -2i$ ، ولا يبقى للعدد t أى مكان بين الأعداد العادية الموجبة أو السالبة ، ولهذا يسمى بالوحدة الخيالية . وليس لهذه الوحدة أية فائدة في أعمال العد العادية ، على حين نجد أن « امتلاك ١,٠٠ دولار » يعنى أنه يوجد ضمن حسابك في البنك دولار واحد ، فإن امتلاك $(1 - i)$ دولار ، يعنى أنك مدين بدولار واحد (في الأحمر) أما t دولار فهو لا يعنى شيئاً بتاتاً في حسابات البنوك .

ولكن علماء الرياضة والفيزياء النظرية استخدموا t بكل سهولة في حساباتهم بحيث تختفى ولا تظهر في النتائج النهائية التي يلزم أن يكون لها معنى طبيعي . فالذى يحدث دائماً أن تتضمن النتائج النهائية مربعات t ، ولما كانت $t^2 = -1$ فهي عدد عادى سالب . وعلى ذلك فلنستخدم « الوحدة التحليلية » بمثابة المعامل الإضافى ، ونكتب الأحداثى الرابع مركباً ليعطى t ان . ولما كان من المستحيل رسم أربعة محاور متعامدة بعضها على بعض ؛ فإننا نتجاهل الأحداثى المكانى الثالث t ونستعمل بدلاً منه أحداثى الزمن الجديد t ان ، فنحصل على الصورة الممثلة في شكل - (٦ - ١١) ، حيث تم رسم أحداثى المكان وهما محورا s ، v ، في مستوى أفقى (بالنسبة للقارئ) ، أما محور الزمن التخيلى فهو يجرى رأسياً . وتمثل كل نقطة في هذا الشكل حادثة بذاتها ، أى إنها تمثل شيئاً حدث في مكان معين وزمن معلوم . والحادثات التي تتم في وقت واحد ، أو المتحدة في الزمن (في مجموعة المحاور المعينة التي رسم من أجلها هذا الشكل) تمثلها النقط الواقعة في مستويات متعامدة على محور الزمن . أما الحادثات التي تتم في أوقات مختلفة ولكن في نفس المكان (في نفس مجموعة المحاور التي اخترناها سابقاً) ، فإنها تقع على

المستقيم ي ف الواصل بينهما ومحور الزمن أصغر من ٩٠ درجة . في هذه الحالة نستطيع أن نجد مجموعة من المحاور تتحرك بالنسبة إلى المجموعة الأصلية بسرعة تبلغ القدر الذى معه تكون الحادثتان على محور الزمن الجديد ، ت ان ، بينما تصبح المسافة المكانية لهما صفراً . ويعتبر هذا النوع من دوران محاور الزمان والمكان نوعاً تافهاً ، ونحن جميعاً نتعرض له في حياتنا اليومية العادية . أما إذا شئنا مثلاً أن نشاهد مباراة في كرة القدم يوم الاثنين في إحدى المدن ، ثم يوم الثلاثاء في مدينة أخرى على بعد مئتي ميل منها ، فليس علينا إلا الرحيل في نهاية المباراة الأولى لنكون في المدينة الثانية قبل بدء المباراة فيها . ورغم أن وضع كل ملعب منهما يختلف عن الآخر بالنسبة إلى خط الاستواء وخط طول جريتش ، فإن كلتا المحطتين تكونان على وجه التقريب في نفس المكان بالنسبة لمجموعة المحاور الملازمة للسيارة . ويسمى الفاصل المكاني الزماني الذى يفصل بين الحادثتين الرياضيتين السابق وصفهما باسم فاصل (شبيه الزمن) ، وذلك نظراً لأنه عن طريق الحركة بسرعة مناسبة يمكننا أن نقلل المسافة المكانية الفاصلة بينهما إلى الصفر ، ثم نشاهدتهما من نفس المكان (مقعد السيارة) في زمنين مختلفين (بينهما يوم كامل) .

٢ - حادثات على غرار ج ، د ، تكونان معها الزاوية المحصورة بين الخط ج د ومحور الزمن أكبر من ٩٠ درجة . وهنا لا نستطيع الانتقال من أول عرض إلى العرض الثانى ما لم نتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء . وعلى ذلك فمثلاً لما كان الضوء يستغرق زهاء خمس ساعات وعشرين دقيقة ليقطع المسافة من عطار د إلى بلوتو ، نجد أنه ليس من المحتمل أن نتناول الغداء في الساعة الواحدة على عطار د ثم نتمكن من حضور حفلة كوكتيل على بلوتو في تمام الساعة الخامسة من مساء نفس اليوم . ومن ناحية أخرى تجدنا نستطيع دائماً أن نتخير سرعة سفر مناسبة نقلل بها فرق الزمن بين الحادثتين إلى الصفر وبذلك نجعلهما يتان في وقت واحد في مجموعة محاور المكان والزمان التى نتخيرها . ويسمى الفاصل الزماني المكاني بين مثل هذا الزوج من الحوادث باسم (شبيه المكان) ، وذلك نظراً لأنه عند التحرك بطريقة ملائمة نستطيع أن نقلل فرق الزمن إلى الصفر .

ولعلنا الآن في وضع يسمح لنا بصياغة تعريف جديد لفكرتنا القديمة عن « الماضي والحاضر والمستقبل » . فإذا ما افترضنا أننا في ابتداء الأحداثيات الميئة

في شكل (٦ - ١١) ، وتبين مثلاً أنني : « أنا هنا (س = صفر ، ص = صفر ، ع = صفر) ، الآن (ن = صفر) » ، فإن جميع الحوادث الواقعة في الجزء العلوي من المخروط (ن موجبة) تكون هي المستقبل ، وذلك نظراً لأنه بصرف النظر عن الطريقة التي تتحرك بها ، سوف يمضي بعض الوقت قبل أن نبصر بها . ونحن في مقدورنا التأثير على حوادث المستقبل هذه بالتصرف بطريقة ما ، إلا أننا لا يمكن أن نتأثر بها ، وكذلك تكون جميع الحوادث الواقعة في الجزء السفلي من المخروط (ن سالبة) هي الماضي وذلك نظراً لأنه مهما بلغت السرعة التي تتحرك بها لا سبيل لنا إلى رؤيتها . فمثلاً من الجائز أن ننطلق إلى الفضاء بسرعة فائقة تمكننا من اللحاق بأمواج الضوء التي انبثقت عن انفجار أول قنبلة ذرية أو عن حريق روما . ويمكن أن تؤثر فينا هذه الحوادث الماضية ، إلا أنه لا سبيل لنا إلى التأثير فيها ! وبين الجزئين العلوي والسفلي من مخروط الضوء توجد منطقة « المشاع » ، وهي التي تتضمن الحوادث التي إما أن تكون قد حدثت في وقت واحد من وجهة نظرنا نحن ، أو التي يمكن أن توجد أزمنتها ، بحيث تبدو كأنها تمت في وقت واحد ، إذا ما عمدنا إلى رصدها من مجموعة من المحاور الأصلية تتحرك بسرعة أقل من سرعة الضوء . ويرجع السر في أن « الحاضر » في شكل (٦ - ١١) يشغل مثل هذا المكان الكبير بطبيعة الحال إلى قرارنا باستخدام أن بدلاً من ن فقط في حساب فترات الزمن . وإذا ما رسمنا ن بدلاً من ان ، فإن المقياس الرأسى سوف ينكمش بما يعادل 3×10^{10} من قيمته ، وعند ذلك يتسع الجزء العلوي والسفلي من مخروط الضوء بانكماش الحيز الذي بينهما إلى قرب الصفر . وهذا عين ما نشاهده في حياتنا اليومية العادية حيث تتضاءل قيم السرعة بالنسبة إلى سرعة الضوء .

وعند ما نعاود الحديث عن المكان ذى الأبعاد الثلاثة ، بإدخال المحور ع ، نستطيع عمل حيلة رياضية لكي تضمن « الوحدة التخيلية » في التعبير عن الأحداث الرابع . لنفرض مثلاً أننا أرسلنا إشارة ضوئية من ابتداء الأحداث س = صفر ، ص = صفر ، ع = صفر في الزمن ن = صفر . فعندما يكون الزمن هو ن ، تصل الإشارة الضوئية وضعاً أحداثياته المكانية هي س ، ص ، ع ، ويكون بعد هذا الوضع عن نقطة الأصل بحسب نظرية فيثاغورث :

$$\sqrt{s^2 + v^2 + c^2}$$

ولما كان انتشار الضوء يتم دائماً بنفس السرعة أ ، فإن هذه المسافة يجب أن تساوى كذلك أن ، وعلى ذلك فإن :

$$\sqrt{s^2 + v^2 + c^2} = \text{أن}$$

$$\text{أو } s^2 + v^2 + c^2 = (\text{أن})^2$$

$$\text{أو } s^2 + v^2 + c^2 - (\text{أن})^2 = \text{صفر}$$

ولكن لما كان $t = 1$ ، فإننا نستطيع كتابة المقدار السابق بالصورة :

$$s^2 + v^2 + c^2 - (t \text{ أن})^2 = \text{صفر}$$

ويمثل الجانب الأيمن من هذه المعادلة الجمع بطريقة فيثاغورث بين مربعات الأبعاد الأربعة . وفي أى جهاز آخر من المحاور التى تتحرك بالنسبة للمحاور الأصلية نجد أن :

$$s^2 + v^2 + c^2 - (t \text{ أن})^2 = \text{صفر}$$

بمعنى أن حاصل جمع المربعات الأربعة لا يتغير بسبب دوران مجموعة محاور الأبعاد الأربعة . ويمكن للمرء أن يبرهن باستخدام تحويلات لورنتز أن نفس هذه النتيجة تظل صحيحة وقائمة بالنسبة للفواصل المكانية والزمانية الذى يفصل بين أى نقطتين فى حيز (س ، ص ، ع ، ت أن) الذى يمثل حادثتين . وعلى ذلك فإن المقدار :

$$s^2 + v^2 + c^2 - (t \text{ أن})^2$$

لا يتغير (أى لا تتبدل قيمته) بصرف النظر عن جهاز المحاور الذى نشاهد منه أى حادثتين . ورغم أن كلا من الفاصل المكانية الثلاثى الأبعاد الذى يفصل بينهما ، والفاصل الزمنى الأحادى البعد ، سوف يتغير ، فإن فاصل المكان الزمانى الرباعى الأبعاد الذى تعطيه المعادلة السابقة يظل دائماً على حاله ولا يتغير . وهكذا نرى أننا باستعمال ت أن كأحداثى رابع نحقق وجود اتحاد بين المكان والزمان بطريقة رياضية ، ونحن الآن لا يمكننا اعتبار جميع الحوادث الطبيعية كأنها تتم فى عالم من المكان الزمانى الرباعى الأبعاد . ومهما يكن من شئ فمن الواجب

ألا ننسى أن هذا لا يمكن أن يتم إلا باستخدام « وحدة خيالية » ، تعتبر بمثابة المعين الذى لا يقدر بضمن ، وأنه عند ما نلقى بأوراقنا ونتلمس القيم الحقيقية ، لا يظل الزمان والمكان هما نفس الشيء .

نظرية الجاذبية فى النسبية

وكما بينا فيما سبق يمكن أن تعتبر نظرية النسبية لأنشتين بمثابة الثمرة اليانعة لآراء غاليليو وتعليقاته المتعلقة بالتجارب الميكانيكية التى أجريت داخل إحدى الغرف لسفينة تنساب فوق سطح البحر فى هدوء تام . وتنبت جذور تعميم هذه النظرية لتشمل حالة الحركة غير المنتظمة ، وهى التى يطلق عليها عادة اسم النظرية العامة للنسبية ، ولكن الأفضل أن تسمى نظرية الجاذبية فى النسبية ، ويبدأ ظهورها كذلك فى تجربة غاليليو عند ما ألقى من برج ييزا جسمين أحدهما ثقيل والآخر خفيف . ولقد ظلت الحقيقة المشاهدة المتعلقة بسقوط كل الأجسام الثقيلة والخفيفة بنفس العجلة سرّاً غامضاً تماماً ، وظلت هكذا عبر العصور إلى حين ظهور نبذة كتبها أنشتين خاصة بالعلاقة بين العجلة والحركة وقوى الجاذبية ، ونشرها عام ١٩١٤ .

ويصف أنشتين فى تلك النبذة تجارب خيالية يمكن عملها داخل غرفة مغلقة تطفو من غير قيد فى أعماق الفضاء الكونى . فنظراً لعدم وجود الجاذبية لا تميل الأجسام التى فى داخلها للإزاحة فى اتجاه معين ، أما إذا اكتسبت الغرفة عجلة حركة ، تحت تأثير زوج من المحركات الصاروخية متصلة بقاعدتها مثلاً ، فإن الوضع داخلها يصبح مختلفاً تماماً ، إذ أن جميع الأجسام سوف تنضغط إلى قاعدة الغرفة ، كأنما توجد قوى جاذبية تعمل على جذبها إلى أسفل . والآن لنبحث حالة رجل يقف على أرض 'معمل' فى الفضاء عند ما يتحرك بعجلة منتظمة ج ، ويمسك فى يديه بكرتين إحداهما خفيفة والأخرى ثقيلة : بطبيعة الحال ، نظراً لتحرك المجموعة كلها بعجلة سوف تضغط قدما الرجل بشكل محسوس على أرض الغرفة ، كما تضغط الكرستان على راحتي الرجل . ولكن ما الذى يحدث الآن بعد أن يسقط الرجل الكرتين معاً من يديه فى لحظة واحدة ؟ نظراً لانفصالهما عن جسم السفينة ،

تستمر أى كرة منهما فى التحرك بالسرعة التى اكتسبتها لحظة إسقاطها ، وعلى ذلك سوف تظل إلى جانب الكرة الأخرى . ومن ناحية أخرى نجد أنه نظراً لأن حركة السفينة لها عجلة فإنها سوف تتزايد سرعتها باستمرار ، وعلى ذلك فسرعان ما تدرك قاعدتها الكرتين وترتطم بهما معاً فى نفس الوقت ، ومن ثم تظل الكرتان على أرض الغرفة وتضغطانها نظراً لتحركهما بعجلة مع باقى المجموعة . ومهما يكن من شىء فإن الراصد الموجود فى داخل الغرفة سوف يشاهد الكرتين اللتين أفلتتهما من يديه تتساقطان بعجلتين متساويتين ، وبذلك ترتطمان مع القاعدة فى نفس اللحظة . وهذا هو التعادل أو الانطباق القائم بين الجاذبية والعجلة ، وهو لا يعدو كونه من المعلومات العامة فى « عصر الفضاء » الذى نعيش فيه .

ولكن هل هذا التشابه الذى سقناه خاصاً بالظواهر الميكانيكية التى تحدث داخل سفينة صاروخية تتحرك بعجلة ، ومجال الجاذبية الذى تحدثه كتلة الأرض العظيمة ، هو مجرد تشابه بالصدفة ، أو أن له علاقة أعمق تتصل بطبيعة قوى الجاذبية؟ كان أنشتين يشعر شعوراً صادقاً بصحة الاحتمال الثانى ، وراح يسائل نفسه عن الطريقة التى يتصرف بها الشعاع الضوئى فى مثل تلك الحالة داخل الغرفة المتحركة بعجلة . فلتتصور أن مصدراً ضوئياً يتصل بجدار الغرفة ويرسل عبرها حزمة من الضوء . ولكى يمكن مشاهدة مسار الحزمة نضع على أبعاد متساوية على طول هذا المسار عدداً من الألواح المصنوعة من الزجاج المنير - شكل (٦ - ١٢) . فإذا لم تكن الغرفة تتحرك بعجلة فإن النقط التى تخترق فيها حزمة الضوء ألواح الزجاج تقع بطبيعة الحال على خط مستقيم ، ويتعذر تماماً الجزم بأن الصاروخ فى حالة السكون أو أنه يتحرك بسرعة منتظمة بالنسبة للنجوم الثابتة مثلاً . ولكن على أية حال يختلف الوضع عند ما تتحرك الغرفة بعجلة منتظمة . فالوقت الذى يستغرقه الضوء للوصول إلى لوح الزجاج الأول والثانى والثالث . . . إلخ ، إنما يتزايد تبعاً للمتوالية الحسابية ١ ، ٢ ، ٣ ، . . . إلخ ، بينما تزداد إزاحة الصاروخ المتحرك بعجلة منتظمة تبعاً للمتوالية الهندسية ١ ، ٤ ، ٩ ، . . . إلخ ، وعلى ذلك فإن آثار حزمة الضوء على ألواح الزجاج المنير تكون فى مجموعها قطعاً مكافئاً على غرار المسار الذى تسلكه قطعة من الحجر عند ما تقذف أفقياً . وهذا يعنى أنه إذا ما



شكل (٦ - ١٢)

تجربة ضوئية في سفينة صاروخية تتحرك بمجلة ، وهي توحى بوجود انحراف أشعة الضوء تحت تأثير مجال الجاذبية .

امتدت معادلة العجلة بالجاذبية إلى الظواهر الكهرومغناطيسية فإن أشعة الضوء ينبغي لها أن تنثنى تحت تأثير مجال الجاذبية . ومهما يكن من شيء فإنه نظراً لسرعة الضوء العالية فإن الانحناء في مجال جذب الأرض يبلغ من الصغر الدرجة التي يتعذر معها رصده . وفي الحقيقة عند ما ترسل حزمة من الضوء في الاتجاه الأفقي لتتساقط

على ستارة على بعد ٣٠ متراً مثلاً فإنها تستغرق من الزمن $\frac{3 \times 10^3}{3 \times 10^8} = 10^{-5}$ من الثانية .

ولما كانت عجلة الجاذبية على سطح الأرض تعادل نحو 10^3 سنتيمتراً لكل ثانية في الثانية ، فمن المتوقع أن تكون الإزاحة الرأسية لحزمة الضوء على الستارة خلال هذه المدة تساوى :

$$\frac{1}{2} \times 10^3 \times (10^7 - 10^6) = 5 \times 10^{12} \text{ سنتيمترًا ،}$$

وهي مسافة تقارن فقط بقطر نواة الذرة !

وعلى أية حال فقد توقع أنشتين ضرورة انحناء أشعة الضوء عند ما تمر قريباً من سطح الشمس . وفيما يلي تقدير تقريبي للزحزحة المتوقعة في مثل هذه الحالة :
عجلة الجاذبية بالقرب من سطح الشمس هي حاصل ضرب ثابت الجاذبية $(6,7 \times 10^{-8})$ في كتلة الشمس $(2 \times 10^{33}$ جراماً) مقسوماً على مربع نصف قطر الشمس $(7 \times 10^{10}$ سم) ، أى :

$$= \frac{6,7 \times 10^{-8} \times 2 \times 10^{33}}{(7 \times 10^{10})^2} \times 3 \times 10^4 \text{ سنتيمترًا في الثانية في الثانية .}$$

ويمكن أن تقارن المسافة التي يقطعها الضوء في مجال جذب الشمس بطول قطر الشمس نفسها $(6,7 \times 10^{11}$ سم) ، ولهذا فإن الزمن اللازم لقطع هذه المسافة هو $= \frac{1,4 \times 10^{11}}{3 \times 10^{10}} = 5$ ثوان . وخلال هذه الفترة من الزمن تكون حزمة الضوء قد « تساقطت » تجاه الشمس بمقدار :

$\frac{1}{2} \times 3 \times 10^4 \times 25 = 3,7 \times 10^6$ سم ، وبذلك تكون الزاوية التي تعينها الإزاحة أو الزحزحة عند المركز هي :

$$= \frac{3,7 \times 10^6}{7 \times 10^{11}} = 6 \times 10^{-6} \text{ زاوية نصف قطرية أو ما يقرب}$$

من الثانية .

وتعطى الحسابات الأكثر دقة لمقدار زحزحة أشعة الضوء عند ما تقترب من قرص الشمس زاوية قدرها ١,٧٥ ثانية . ولما كانت النجوم القريبة من الشمس لا يمكن مشاهدتها إلا في حالات الكسوف الكلى للشمس ، فقد قامت بعثة بريطانية في عام ١٩١٩ لرصد كسوف الشمس الذي حدث في أفريقيا (ولم يتمكن علماء الفلك الألمان من الذهاب بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى) . ولقد أبدت النتائج ما توقعه أنشتين كل التأييد . وعند ما أخبر الرجل بهذه النتائج لم يفعل شيئاً

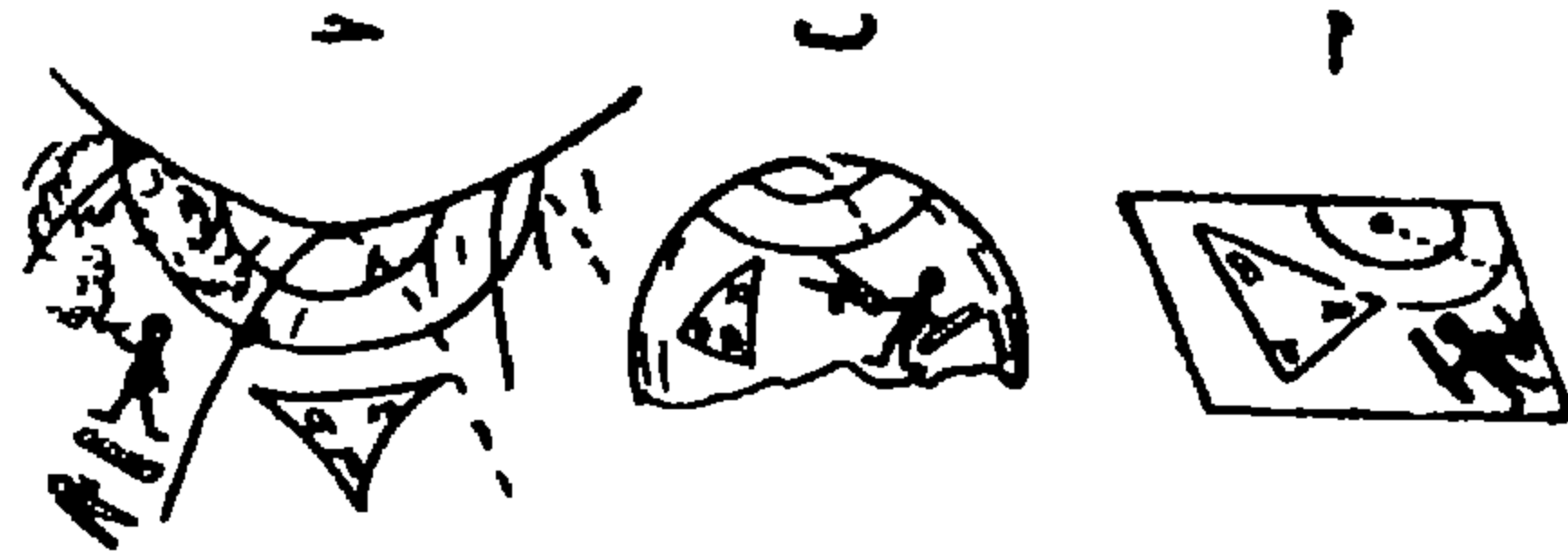
سوى أنه تبسم وقال : إنه كان يمتلكه العجب لو أن النتائج جاءت سلبية . وهكذا برهنت هذه المشاهدة وغيرها من القرائن على قيام العلاقة بين الظواهر التي تشاهد في مجالات الجذب والتي تحدث في الأجهزة التي تتحرك بعجلة .

الجاذبية وانحناء الفضاء

ليس منا من لا يعرف المقصود بالخط المنحني المرسوم على سطح منحني ، ولكن فهم معنى الفضاء المنحني ذي الأبعاد الثلاثة يتطلب بعض الخيال والتصور . ولعل الصعوبة في تكوين فكرة عن الفضاء المنحني أساسها أننا في الوقت الذي نستطيع فيه أن ننظر إلى أى سطح من الخارج لنرى ما إذا كان مستوياً أو منحنيًا ، نجد أننا نعيش داخل الفضاء ، ولا سبيل لنا إلى الخروج منه لنشاهده . وخير وسائل دراسة خصائص الفضاء المنحني هي اللجوء إلى استخدام بديل له من كائنات خيالية ذوات بعدين اثنين تعيش على سطح وتنعدم عندها فكرة وجود اتجاه عمودي على سطحهم هذا . فكيف يستطيعون الحكم على السطح الذي يعيشون عليه بأنه مستوٍ أو منحني ، كرة أو شيئاً آخر من غير الخروج منه ؟ إجابة ذلك بالطبع هي أن عليهم أن يدرسوا الهندسة على سطحهم برسم أشكال متنوعة ، وقياس الزوايا وما على شاكلة ذلك . ويعطى شكل (٦ - ١٣) مثالا لمثل هؤلاء الهندسيين من ذوات البعدين وهم يدرسون مثلاً رسم على مستوى وعلى كرة ، ثم على ما نطلق عليه اسم « السطح الركابي » .

فإذا كان السطح مستوياً كما في (أ) تستخدم قواعد هندسية أقليدس المستوية ، ويكون حاصل جمع زوايا المثلث الثلاثة مساوياً دائماً ١٨٠ درجة . وإذا كان السطح كروياً كما في (ب) يكون حاصل جمع هذه الزوايا دائماً أكبر من ١٨٠ درجة على النحو الذي يمكن أن يتبينه أى واحد منا برسم مثلث مكون من نصفي خط الزوال لكرة ما ومقطع خط الاستواء المحصور بينهما . ولما كانت خطوط الزوال تقطع خط الاستواء في زوايا قائمة فإن مجرد حاصل جمع زاويتي القاعدة للمثلث الكروي يعطينا ١٨٠ درجة . ويلزم أن نضيف إلى هذه القيمة الزاوية

الموجودة عند القطب ، ومن الجائز أن تكون بدورها زاوية كبيرة . وكلما صغر المثلث الكروي قارب مجموع زواياه 180° درجة ، ولكن لا يختفى الفرق تماماً إلا إذا صغر المثلث بدرجة غير متناهية بالنسبة إلى الكرة المرسوم عليها . وفي حالة السطح الركابي (ج) يختلف الوضع ، ويصبح حاصل جمع الزوايا الثلاث أصغر من 180° درجة . وفي العادة نسبغ على الأسطح الكروية المحدبة انحناء موجباً ، كما نسبغ على الأسطح الركابية (المقعرة) انحناء سالباً .

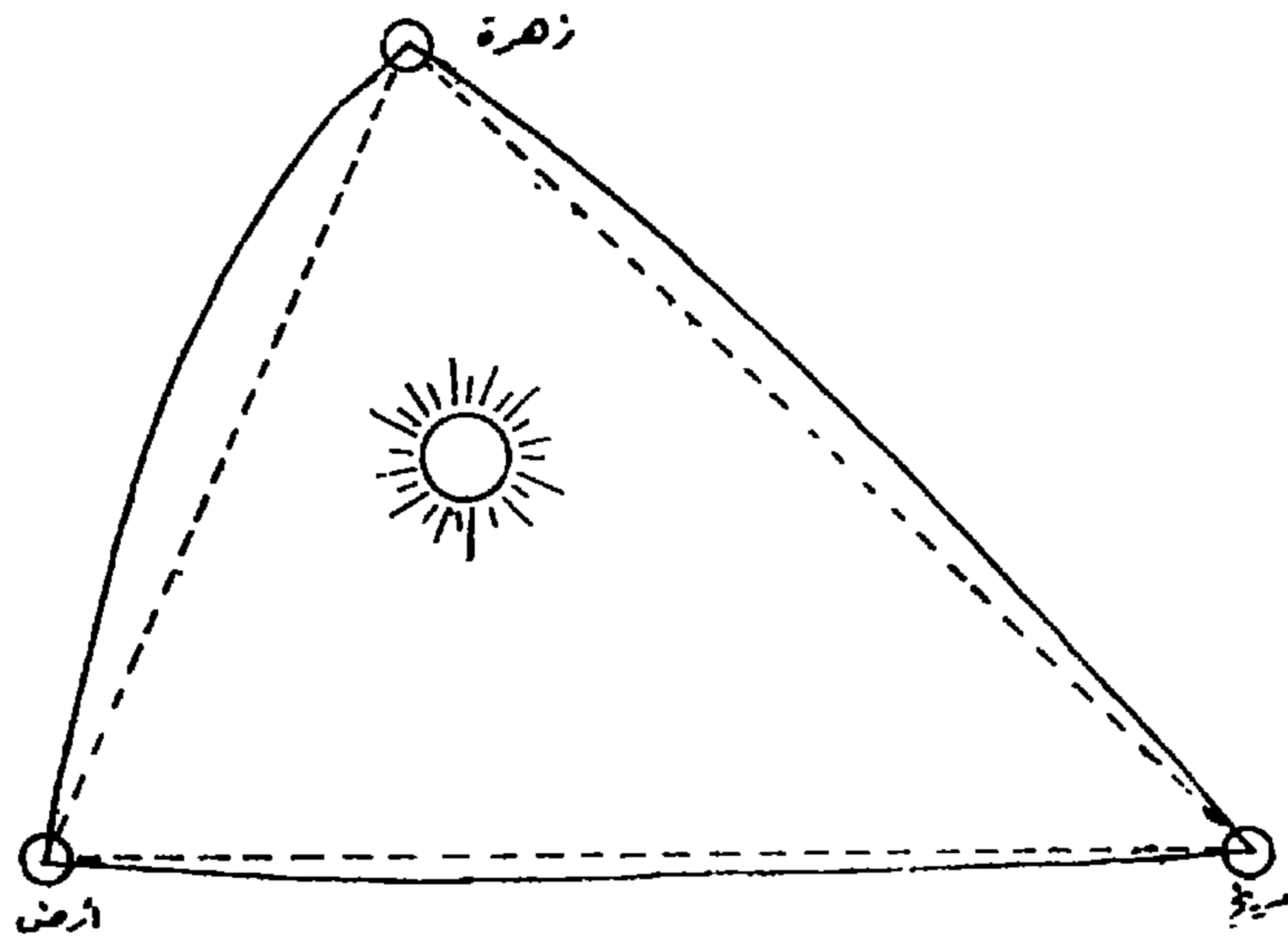


شكل (٦ - ١٣)

ثلاثة أنواع مختلفة من الأسطح المنحنية (ذات البعدين) . (أ) سطح مستو : الانحناء يساوي صفراً ، (ب) سطح كروي : انحناء موجب . (ج) سطح ركابي : انحناء سالب . يمكن التفرقة بين هذه الحالات بوساطة كائنات عاقلة من ذوات البعدين عند ما ندرس هندسة الدوائر أو المثلثات .

وفي مقدورنا أن نعمم هذه الحالات لتشمل فضاء الأبعاد الثلاثة ، ونقول إن الفضاء مستو ، أو إن له انحناء موجباً ، أو انحناء سالباً بحسب ما إذا كان مجموع زوايا المثلثات المرسومة بين أي ثلاث نقط في هذا الفضاء يساوي ، أو أكبر أو أصغر ، من 180° درجة على الترتيب . ولنأخذ حالة نجرى فيها تجربة على مثلث كبير يرصده ثلاثة من الفلكيين مزودين بآلات رصد الزوايا (ثيودوليت Theodolites) والمسافات ، أحدهما على الأرض ، والثاني على الزهرة ، والثالث على المريخ ، ونفرض أنهم قاسوا الزوايا الثلاث للمثلث أ ب ج . وكما قلنا في البند السابق : نظراً لأن أشعة الضوء يزحزح مسارها تحت تأثير مجال جاذبية الشمس (فينحني تجاه الجسم المؤثر بالجاذبية) ، تبدو الأشعة الثلاث التي تكون المثلث كما في شكل (٦ - ١٤) ، ويصبح حاصل جمع الزوايا الثلاث كما يرصدها هؤلاء الفلكيون أكبر من 180° درجة . وعلى ذلك يكون استنتاجهم أو حكمهم أن الفضاء الذي من حول الشمس هو فضاء منحن موجب الانحناء . وإذا أعيد أجراء التجربة

باستخدام المشتري وزحل ويورانوس ، التي توجد على أبعاد أكبر من أبعاد المجموعة الأولى بالنسبة إلى الشمس ، فإن زحزحة أشعة الضوء تحت تأثير جذب الشمس تكون أصغر من الحالة الأولى ، وبذلك يقارب مجموع الزوايا ١٨٠ درجة ، مما يدل على أن انحناء الفضاء الذي من حول الشمس يقل بازدياد البعد عنها . ومن الجائز أن يعترض شخص على تفسيرنا هذا للقياسات السابقة قائلاً إن الفلكيين الثلاثة لا يقيسون مثلثاً منتظماً نظراً لأن أضلاعه غير مستقيمة . ولكن ما هو الخط المستقيم ؟ إن التعريف الوحيد المعقول للخط المستقيم هو : « خط النظر » . ولكن خط النظر هذا هو خط انتشار الضوء في الفضاء الخالي !



شكل (٦ - ١٤)

مثلث الفضاء الذي من حول الشمس

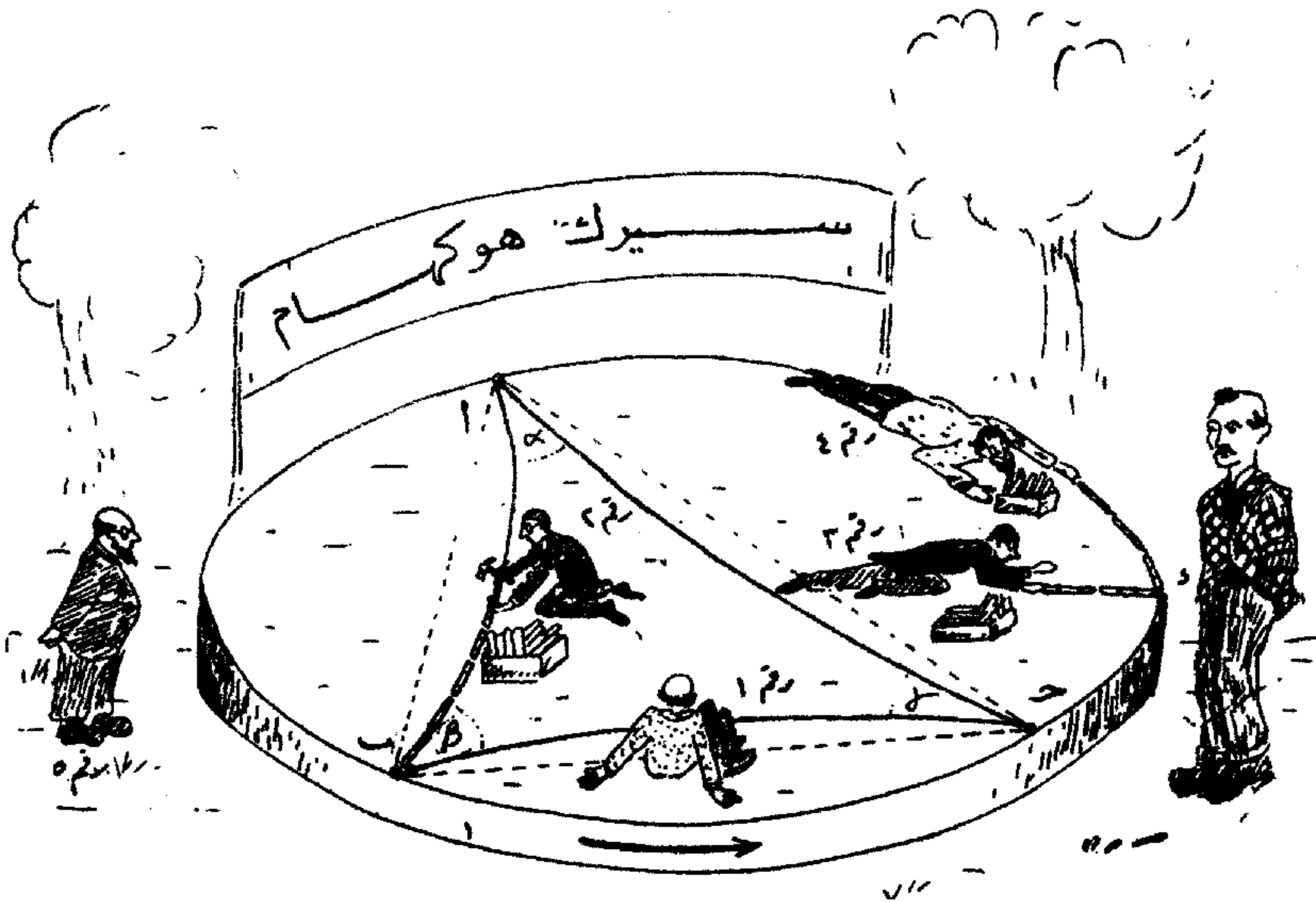
ويمكننا كذلك تعريف الخط المستقيم بأنه « أصغر بعد بين نقطتين » ، ولكن علم البصريات بحذايره قائم على فرض أن الضوء يأخذ دائماً أقصر الطرق . وإذا ما فكرنا جدياً في الوضع وجدنا أنه لا توجد طريقة أخرى معقولة نعرف بها الخط المستقيم ، وأن الخطوط المتصلة التي في شكل (٦ - ١٤) يجب أن تعتبر بمثابة الخطوط المستقيمة في الفضاء « المنحني » ، وأن الخطوط المنقطة المرسومة في هذا الشكل ليس لها أى معنى طبيعي على الإطلاق . ولكي نتجنب الخلط بين التعاريف ، لا يستعمل لفظ « خط مستقيم » إلا للدلالة على أقصر المسافات في

حالة الهندسة المستوية ، أما في حالات السطح المنحني والفضاء المنحني فإننا يجب أن نستخدم بدلاً من ذلك لفظ « الخطوط الهندسية » . وعلى ذلك يقابل الخط المستقيم أقواس والدوائر العظمى على سطح الكرة ، تلك الأقواس التي نستخدمها في بناء المثلثات الكرية . وعلينا أن نلاحظ هنا أن العبارة القديمة المستخدمة في هندسة أقليدس التي تقول بأن « الخطوط المستقيمة لا تتقابل أبداً » لا تصلح في حالة الهندسة الكرية ، وذلك نظراً لأنه لا مناص من تقاطع أى دائرتين عظيمتين في نقطتين . وعند ما تبدأ طائرتان من نقطتين على خط الاستواء ، وتنطلقان في اتجاهين متوازيين ومتعامدين على خط الاستواء من غير أن تغير إحداهما اتجاهها ، فإنهما لا مناص من تصادمهما بمجرد وصولهما إلى القطب .

ويمكن زيادة إيضاح التوافق القائم بين مجال الجاذبية وانحناء الفضاء بالحركة الآتية ذات البعدين : عند ما ندحرج كرة (البليارد) على منصدة مسطحة مثبتة في وضع أفقي تماماً ، تتحرك الكرة بطبيعة الحال ، على طول خط مستقيم كما هو معروف . ولكن إذا كان بالمنصدة أى انخفاض صغير لسبب من الأسباب ووجد بروز بسيط في خط سير الكرة ، فإن هذه الأخيرة سوف تخرج عن مسارها « المستقيم » متجهة نحو مركز الانخفاض ومبتعدة عن قمة البروز . وعند ما نعلم إلى رصد الكرة من أعلى (من ثقب في السقف) لن نلاحظ عيب سطح المنصدة ، ونميل إلى الاعتقاد بوجود قوى تجاذب أو تنافر تدفع بالكرة من نقطة معينة على سطح المنصدة . وكذلك فإن زحزحة أشعة الضوء والأجسام المادية المتحركة على مقربة من الشمس يمكن أن يعبر عنها إما على أنها قوى تؤثر فيها ، وإما نتيجة لانحناء الفضاء بجوار الكتل المادية العظيمة .

ولننظر الآن إلى هذه المسألة من زاوية أخرى ، ونحاول دراسة الظواهر الطبيعية كما يرصدها شخص على مسرح أو منصة كبيرة تلف - شكل (٦ - ١٥) وتمثل هذه التجربة الذهنية حالة صندوق أنشتين التي سبق أن ناقشناها ، مع اختلاف بسيط هو إبدال العجلة المستقيمة (أى التغير في القيمة العددية للسرعة مع ثبوت الاتجاه) ، بعجلة دائرية (أى تغير اتجاه السرعة مع ثبوت قيمتها العددية) . ونستطيع أن نضيف إلى هذه المنصة التي تدور قبة على هيئة نصف

كرة تدور معها وتحول دون مشاهدة الناس في الداخل للأشجار والبيوت وهي تجري من حولهم . وكما هو معلوم لنا جميعاً ، يقع الموجودون على المنصة في أثناء دورانها تحت تأثير القوة الطاردة المركزية التي تعمل على زحزحتهم بعيداً عن المركز ، وقد يعتبرونها نوعاً خاصاً من الجاذبية من صفاته الرد بدلاً من الجذب . ويعظم تمثيلها بالجاذبية نظراً لأنه إذا تشبث أحد أولئك الأشخاص بالمنصة ثم وضع عليها كرتين ، إحداهما خفيفة والأخرى ثقيلة ، فإن الكرتين سوف تتدحرجان جنباً إلى جنب تماماً كما يسقط جسمان جنباً إلى جنب من أعلى أى برج . ولما كان الرجال الموجودون على المنصة من علماء الفيزياء المحنكين ، وهم على بينة من كل المعلومات التي سبقت الإشارة إليها في هذا الباب ، فإنهم قد يعمدون إلى إيجاد علاقة بين هذا « المجال الشبيه بمجال الجاذبية » وهندسة الفراغ ، ثم يحاولون عمل بعض القياسات الهندسية . وقد تبدأ محاولاتهم برسم مثلث رؤوسه في ا ، ب ، ج ، ثم يقيسون حاصل جمع زواياه . وباستخدام تعريف الخط المستقيم كأقرب بعد بين نقطتين ، فإن عالم الفيزياء رقم (٢) [الفيزيائي رقم (١)] هو مجرد رئيس كبير يراقب العمل ويديره [يحضر صندوقاً مليئاً بالعصى الخشبية التي لها جميعها نفس



شكل (٦ - ١٥)

دراسات هندسية على منصة تدور

الطول القياسي ، ويحاول تثبيتها بالمسامير . على طول الخط الممتد من ا إلى ب بحيث يستخدم أقل عدد منها . فإذا لم تكن المنصة تلف فإن خير وسيلة لإنجاز ذلك هو أن يثبتها على طول الخط المنقوط ا ب المبين في الشكل ، ولكن يختلف الوضع نظراً لدوران المنصة ، فإن العصي تلف في اتجاه طولها وتتعرض بذلك لانكماش فيترجيرالد . وفي الحقيقة سوف يتأكد الفيزيائي رقم (٥) الواقف على الأرض من حدوث هذا الانكماش . وتتحرك العصي الوسطى في اتجاه طولها تماماً وتقع تحت التأثير الكامل لانكماش فيترجيرالد ، بينما يكون نصيب العصي الواقعة قرب الحافة مجرد مركبة صغيرة من السرعة في اتجاه طولها . وينجم عن هذا الانكماش حدوث مسافات أو ثغرات بين العصي وبعضها ، ويجب على رقم (٢) إضافة عدد آخر منها ليسد هذه الثغرات ، ولكن هناك على الأقل علاج جزئي لهذه المشكلة ، فإذا ما حركت العصي قليلاً تجاه المركز فإنه ينتج عن ذلك تقليل سرعتها المستقيمة وكذلك مقدار الانكماش الحادث فيها ، ولا نحتاج بذلك إلا إلى عدد من العصي أقل من العدد الذي يستخدم في الحالة الأولى . وعلى ذلك سوف يضع رقم (٢) عصيه على النحو الموضح في الشكل ، كما أنه سوف يجبر على اتباع الطريقة نفسها بالنسبة للضلعين الآخرين . وهنا يكون حاصل جمع الزوايا الثلاث للمثلث أقل من ١٨٠ درجة ، ويستنتج الفيزيائيون الموجودون على المنصة أن الفضاء عندهم سالب الانحناء .

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أنه عندما يقرر أولئك العلماء مراجعة هذه النتيجة واختبارها بالطرق الضوئية ، فإنهم لاشك سوف يصلون إلى نفس الشيء . فليس من شك أنه نظراً لأن مجال القوة الطاردة المركزية يحكى من شتى الوجوه مجال جاذبية طاردة ، فإن أشعة الضوء الواصلة بين الرؤوس ا ، ب ، ج سوف تتزحزح مبتعدة عن مركز دوران المنصة ، وبذلك تأخذ خط السير الذي أخذته العصي من قبل .

وهناك شخصان آخران — رقم (٣) ، رقم (٤) — يعملان عملاً غير ذلك على المنصة ، فهما يحاولان قياس النسبة بين المحيط والقطر ، وهي التي نرمر لها في الهندسة المستوية بالحرف الإغريقي π * . ومرة أخرى يلعب دوران المنصة

* هي النسبة التقريبية وقيمتها العددية ٣,١٤١٦ (المترجم) .

دوره في هذا الباب : فيينا رقم (٣) سوف لن يتعرض لأية متاعب نظراً لأن العصي التي يستخدمها إنما تتحرك في اتجاه متعامد على أطوالها وبذلك يقل سمكها من غير أن يتغير طولها، نجد أن العصي التي يستخدمها رقم (٤) تتعرض للنهاية العظمى لانكماش فترجيرالد ، ويكون على هذا الشخص الأخير أن يستخدم أكبر عدد من العصي . وعلى ذلك فإن النسبة بين المحيط والقطر عند ما تقاس وتحدد على المنصة تكون أكبر من ١٤١٦،٣٠٠ التي نستخدمها في الهندسة المستوية ، ومرة أخرى تؤيد هذه النتيجة استنتاج القوم بأن انحناء الفضاء عندهم سالب .

ولتعد الآن مؤقتاً إلى الأسطح المنحنية ذات البعدين ، لرى ما يحدث إذا عمدنا إلى رسم بعض الدوائر عليها . فعلى الكرة تعرف الدوائر التي نرسمها بحيث يكون المركز هو القطب باسم (المتوازيات) (أو خطوط العرض) ، ومن الجلى والواضح أن النسبة بين طول أى متوازية وقطرها (كما نقيسه على طول خط الزوال) أقل من π . ونحن نجد في الحقيقة أن طول خط الاستواء (المتوازية صفر) مقسوماً على طول خط الزوال هو ٢ فقط . ويزداد طول المتوازيات ببطء أكبر من ازدياد أنصاف أقطارها، كما تقاس على طول خطوط الزوال. فللمتوازيات (خطوط العرض) ٨٠ و ٧٠ و ٦٠ وهكذا . . . (التي أنصاف أقطارها ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ إلخ . درجة) تزداد الأطوال ببطء أشد من ١ ، ٢ ، ٣ . . . وبالمثل فإن المساحة السطحية التي تتضمنها هذه المتوازيات تزداد ببطء أكبر من ١ ، ٤ ، ٩ ، إلخ . ويحدث العكس على السطح الركابي ، حيث تزداد أطوال الدوائر بسرعة أكبر من أنصاف أقطارها ، وكذلك تزداد المساحات بمعدلات أكبر من مربعات أنصاف الأقطار . فإذا ما قطعنا قطعة جلد دائرية من كرة القدم ، ثم وضعناها على المنضدة فإنها سوف تبرز من وسطها ، ويكون لزاماً علينا أن نسحبها من أطرافها لكي نجعلها مسطحة . وعلى العكس من ذلك نجد أن قطعة الجلد المقطوعة من ركاب الخيل المستخدم في الغرب تتضمن كمية من الجلد أكثر من اللازم على حافتها ، ولا بد من تقلصها لكي نجعلها منبسطة . وبهذا التشابه يجب علينا مرة أخرى أن نسبغ على فضاء المعمل الذي يلف انحناء سالباً .

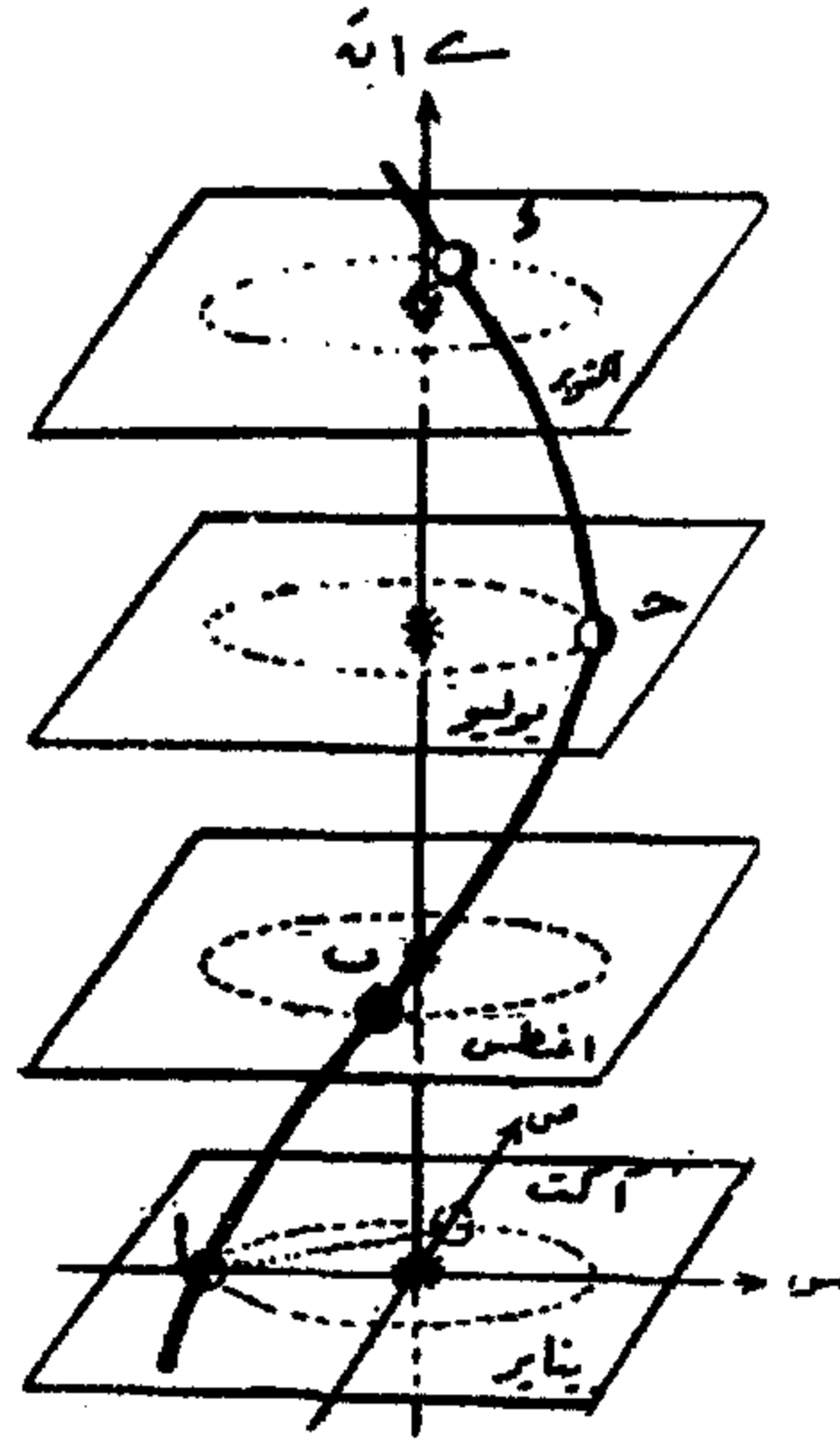
وفي حالة الفضاء المكون من أبعاد ثلاثة ، نجد أن سطح الكرة يزداد ببطء أكبر من $نق^2$ ، كما أن الحجم يزداد ببطء أشد* من $نق$ في حالة الانحناء الموجب ، والعكس صحيح في حالة الفضاء السالب الانحناء . وتمدنا هذه النتيجة الرياضية بأساس عمل قيم جداً في مجال الفلك قام به أدوين هبل في مرصد جبل ولسن منذ سنين مضت . ولما كان هبل من الخبراء في مجرات النجوم التي تتناثر البلايين منها عبر الفضاء الكوني الذي يمكن مشاهدته بالمناظير المكبرة ، فقد قرر أن يدرس ما إذا كان عدد المجرات الموجودة على أبعاد مختلفة منا يتزايد طردياً ، أو ببطء أكبر ، أو حتى أسرع من مكعبات تلك الأبعاد . فإذا ما صح الاحتمال الأول وجب علينا أن نعتبر الفضاء الكوني من نوع قضاء أقليدس ، وإذا صح الاحتمال الثاني فإن انحناء الفضاء يكون موجباً ، وبذلك وجب أن يقفل على نفسه . أما إذا صح الاحتمال الثالث فإن معنى ذلك أن للفضاء انحناء سالباً فيفتح ويتسع في شتى الاتجاهات . ولسوء الحظ كانت طرق الرصد لقياس المسافات بين المجرات في ذلك الوقت غير متقدمة على الإطلاق ، وناقضت نتائج هبل بعضها بعضاً ، ولم تدل على شيء . والأمل عظيم في أن تعاد بحوث هبل في « عد المجرات » باستخدام طرق أحسن للرصد لنصل إلى جواب حاسم نجيب به على هذه المسألة الكونية الهامة .

وفي ضوء الاعتبارات السابقة تقدم أنشتين بنظرية تفسر جميع التأثيرات الناجمة عن الجاذبية بانحناء الفضاء . ومن حسن حظ الرجل أن كان أحد علماء الرياضة الألمان ، المدعو برنهارد ريمان ، قد أخرج للناس قبل ذلك ببضع عشرات السنين نظرية رياضية شاملة عن الفضاء المنحني المكون من أي عدد من الأبعاد ، ولم يكن من أنشتين إلا أن استخدم المعادلة الرياضية الموجودة على الفضاء المنحني كحقيقة طبيعية . وليس من شك أنه كان من نوع فضاء الأربعة الأبعاد ، وأحداثياته هي $س$ ، $ص$ ، $ع$ ، $ت$ أن التي سبق أن عرفناها . وعند ما وجدت العلاقة القائمة أو القانون الذي يربط بين ما يطلق عليه اسم « امتداد الانحناء لوحدة المكان الزماني » وتوزيع الكتل المادية وتحركاتها . [هذا القانون الأساسي

* لاحظ أن مساحة سطح الكرة هي $٤ \pi ر^2$ وأن حجمها يساوي $\frac{4}{3} \pi ر^3$ $نق$ (المترجم) .

موضح تحت صورة أينشتين في شكل (٦ - ٦) [، استطاع أينشتين الحصول على كل نتائج نظرية الجاذبية لنيوتن كتقريب أولى . وعلى أية حال فإن الحسابات التي عملت بدقة أعظم من هذا التقريب دلت على وجوب وجود اختلافات صغيرة وحيود عن نظرية الجاذبية الأصلية لنيوتن ، وإن اكتشاف هذه الاختلافات سوف يبرهن على ترجيح آراء وجهات نظر البرت وتفوقها على آراء إسحق . ومن بين نتائج نظرية أينشتين للجاذبية ، وهي النتيجة المتعلقة بزحزحة الضوء عن مساره في مجال الجاذبية ، ما قد أتممنا مناقشته وبجته . ومن النتائج الهامة كذلك تلك النتيجة المتعلقة بحركة الكواكب حول الشمس . فقد برهن نيوتن على أنه تبعاً لقانونه الخاص بالجاذبية يتحتم أن تسبح الكواكب في مسارات على هيئة أهليلج (قطاعات ناقصة) من حول الشمس ، تمشيًا مع القوانين التي وجدها كبلر بالتجربة . أما في نظرية أينشتين فإن جميع الحركات إنما تدرس في عالم الأبعاد الأربعة (س ، ص ، ع ، ت إن) ، وهو عالم ينحني حيثما توجد مجالات الجاذبية . ويلزم أن تكون الخطوط التي تمثل « تاريخ الحركة » لأي جسم مادي في عالم الأبعاد الأربعة ، وهي الخطوط المعروفة باسم « الخطوط الكونية » أو « الخطوط العامة » للجسم ، نقول يلزم أن تكون هذه الخطوط « مسحية » أي تمثل أقصر الخطوط ، ويمكن حسابها على أساس نظرية النسبية الخاصة بمجال الجاذبية .

ويعطى شكل (٦-١٦) تمثيلاً بيانياً للخط الكوني للأرض في حركتها من حول الشمس ويقع إحداثيا المكان س ، ص في مستوى القطاعات الناقصة ، أما البعد الثالث فهو الإحداثي الزمني ت إن . وجلي أن وحدة المكان الزماني تنحني بالقرب من الشمس ، ويتمى خط الأرض الكوني إلى أكثر الخطوط استقامة (أي المسحي) في هذا الفضاء المنحني . وعلى ذلك فإن الخط ا ب ج د هو أقصر بعد بين النقطتين (الحادثتين) ا ، د في وحدة المكان والزمان ذات الأبعاد الثلاثة ، ويعطى مسقطه على المستوى (س ، ص) مسار الأرض حول الشمس ، وعلى أية حال فقد دلت الحسابات الدقيقة على أن هذا القطع الناقص لا يظل ثابتاً في الفضاء كما توحى بذلك نظرية نيوتن . وإنما هو يدور ببطء ، بينما يرسم محوره الأكبر زاوية صغيرة في أثناء كل دورة . ويلزم أن تكون هذه الظاهرة أكثر وضوحاً في حالة مدار



شكل (٦ - ١٦)

الخط الكوني أو الخط العام للأرض وهي في مسارها من حول الشمس ، مرسوماً في مجموعة المحاور (س، ص، ت، ان) . المسافة في المكان الزماني بين وضع الأرض في يناير ووضعها في أكتوبر هي أقصر بعد ، ولكن المسافة بين وضع يناير ومسقط وضع أكتوبر على مستوى يناير (أكت) ليست هي أقصر الأبعاد بطبيعة الحال .

الكوكب عطارد ، نظراً لأنه أكثر استطالة عن مدار أى كوكب سيار آخر ، كما أنه أقربها للشمس . ولقد وجد أينشتين بالحساب أنه يلزم أن يعمل مدار عطارد زاوية قدرها ٤٣ ثانية في كل قرن ، وبذلك حل معضلة أو لغز الديناميكا السماوية القديم . وقد سبق أن حسب علماء الفلك الرياضيون قبل مولد أينشتين بمدة طويلة أن المحور الأكبر لمدار عطارد هذا يلزم أن يلف ببطء بسبب القلقة ، أو الاضطرابات التي تسببها جاذبية الكواكب الأخرى الداخلة ضمن المجموعة الشمسية ، ولكن كان هناك عدم توافق ظاهر بين تلك الحسابات ونتائج الرصد وصلت قيمته إلى ٤٣ ثانية في كل قرن كامل . ولم يكن في مستطاع أحد أن يفسر عدم التوافق هذا ، إلا أن النظرية النسبية لأينشتين الخاصة بمجالات الجاذبية ملأت هذا الفراغ وحلت تلك المشكلة ، وبذلك تم لها النصر المبين على نظرية نيوتن القديمة .

نظرية المجال المتحد

تمخضت نتائج أعمال أينشتين التي أمضى فيها حياته عن تحويل جانب كبير من الفيزياء ؛ إلى هندسة : فالزمن أصبح رقيقاً رابعاً لإحداثيات المكان الثلاثة ولا يفارقها (بصرف النظر عن ت) ، وفسرت قوى الجاذبية على أنها نتيجة لانحناء عالم الأبعاد الأربعة هذا . ولكن بقيت القوى الكهربائية والمغناطيسية خارج إطار هذه الفكرة الهندسية ، إلا أن أينشتين بعد أن أحرز كل هذا التقدم وجه جميع طاقاته من أجل وضع بلحام للمجال الكهرمغناطيسي العنيد . فما هي الخواص الهندسية للمكان ذي الأبعاد الأربعة التي لم تطرق ويمكنها أن تفسر لنا التأثيرات الكهربائية والمغناطيسية؟ ولقد بذل أينشتين نفسه وكذلك كثيرون من «الفيزيائيين المهتمين بالأمر» مثل عالم الرياضة الألماني هرمان فيل ، كثيراً من الجهد من أجل إعطاء المجال الكهرمغناطيسي صورة هندسية بحتة . ولكن في عناد الإسكتلنديين المعهود ، رفض طفل وليم كلارك مكسويل [ألا وهو المجال الكهرمغناطيسي] ، أن يقبل هندسته . واستمر أينشتين يعمل زهاء نحو أربعين سنة حتى موته عام ١٩٥٥ في تلك النظرية المعروفة باسم « نظرية المجال المتحد » ، أي النظرية التي تهدف إلى توحيد مجالي الجاذبية والكهرمغناطيسية على أساس هندسي واحد . ولكن بمضي السنين ضعف أمله في الوصول إلى نتيجة ، وراح يخرج إلى الناس بين الفينة والفينة بمجموعات جديدة من المعادلات والقوانين . كن يدعى أنها تقرب من حل عقدة نظرية المجال المتحد . وكانت تلك التعبيرات المعقدة الخاصة بالكميات الممتدة تطبع على الصفحات الأولى لجريدة (نيويورك تيمز New York Times) وغيرها من الجرائد في العالم ، إلا أنه كان يكتشف عدم صلاحيتها في القيام بالغرض المنشود . وفقد رجال الفيزياء النظرية على التدريج الأمل ، سواء الكبير منهم أو الصغير ، في إعطاء المجال الكهرمغناطيسي صورة هندسية بحتة . وكم كان يحلو لنا ويسعدنا أن ينجحوا في تلك المهمة ، ولكن هيات أن ترغم الطبيعة على ما ليس من ديدنها ، ومن ناحية أخرى كان علم الفيزياء يتقدم بسرعة في مجالات فروعها التي اكتشفت حديثاً ، وبالإضافة إلى مجالي الجاذبية والكهرمغناطيسية

التقليدية القديمين احتلت المجالات الحديثة التي أدخلت عن طريق ميكانيكا الموجات وضعاً ثابتاً في العلم . ولو أنه حدث أن أعطى المجال الكهرمغناطيسي معنى هندسياً بحتاً لوجب علينا أن نخضع مجالات الميسون ومجالات الهيرون ، وغيرها من عديد المجالات الأخرى الحديثة حتى يكون في مقدورنا أن نقول : ما الفيزياء إلا هندسة . وحتى أينشتين نفسه بدأ يتزايد غضبه على رسالته تلك ونفوره منها ، كما قل ميله لمناقشة تلك المسائل مع غيره من الفيزيائيين . وفي إحدى زيارته لبريطانيا ألقى محاضرة عن نظرية المجال المتحد في إحدى مدارس البنات في شمال إنجلترا (وكان المسئولون في المدرسة قد احتجزوا السبورة بعد أن ملأها بمعادلات الكمية الممتدة — هي التنسور — المعقدة) ، إلا أنه رفض التكلم عنها في جامعة كمبرج وازداد اهتمامه وانشغاله بمسألة السلام العالمي ، ولكنه ظل حاد الذهن كما كان . وعندما كان مؤلف هذا الكتاب يزور أينشتين إبان الحرب العالمية الثانية في مسكنه الهادئ في برنستن ، ألفاه ما زال جذاباً كعادته ، ويذكر كثيراً من النقاش الذي جرى حول فروع الفيزياء الحديثة المختلفة . وعلى درج مكتبه تناثرت قطع من الورق وقد غطت صفحاتها معادلات الكميات الممتدة — تنسورز — المعقدة ، التي يلوح أنها كانت تتصل بموضوع نظرية المجال المتحد ، إلا أن أينشتين لم يشأ قط الخوض في ذلك الموضوع . والآن — وهو ينعم في اللجنة دون شك — لا بد أنه قد عرف ما إذا كان قد أخطأ أو أصاب في محاولته من أجل جعل كل الفيزياء علماً هندسياً .

الباب السابع قانون الكم

قابلية المادة للانقسام

كان لفظ الذرة (آتوم Atom) ومعناه في الإغريقية الذى لا يقبل الانقسام) ، كما لا يخفى على أحد من بنات أفكار ديموقريطس الذى عاش فى أثينا وعلم فيها منذ نحو ٢٣ قرناً مضت ، فقد اعتبر ديموقريطس أنه ليس من المعقول أن تنقسم المادة إلى جسيمات أصغر فأصغر من غير حد معين تقف عنده عملية الانقسام ، وبذلك قرر أنه لا بد أن توجد جسيمات نهائية تبلغ من الصغر الحد الذى يستحيل معه تقسيمها إلى جسيمات أصغر . ويميز ديموقريطس بين أنواع أربعة من الذرات هى : ذرات الحجر ، وذرات الماء ، وذرات الهواء ، ثم ذرات النار ، واعتقد أن جميع أنواع المواد المختلفة المعروفة إنما تنجم عن تراكيب متباينة من هذه العناصر . وتكون آراؤه ، تلك التى أخذت ووضعت على أساس تجريبي متين فى أوائل القرن التاسع عشر بواسطة الكيموى البريطانى جون دالتون ، دعائم وأسس جميع الكيمياء الحديثة ، برغم أننا نعرف الآن أن الذرات ليست بتاتاً غير قابلة للانقسام ، وأن لها فى الواقع تركيباً داخلياً معقداً إلى حد ما . وعلى أية حال فإن فكرة ديموقريطس الخاصة بالنهاية فى الابتدائية إنما تترجم الآن إلى جسيمات أصغر من ذلك الحد بكثير تدخل فى صميم التركيب الداخلى للذرة . ونحن نرجو أن تكون الكهارب (الألكترونات) ، والبروتونات وغيرها مما نطلق عليه اسم « الجسيمات الأولية » ، أولية بحق وصدق وغير قابلة للانقسام بمعنى الكلمة كما تصورها ديموقريطس الطيب قديماً . ومن الجائز أن يكون هذا الإحساس ناتجاً عن قلة تعودنا نسبياً ، أو تعرفنا على تلك الجسيمات التى اكتشفت حديثاً ، وأننا نرتكب هنا نفس الخطأ الذى وقع فيه كيميائيو وفيزيائيو القرن التاسع عشر ، الذين آمنوا بوقوف انقسام المادة عند حد الذرات . ومن الجائز أن يعرف فى المستقبل ، بطبيعة الحال ، أنه إذا كانت للجسيمات الأولية التى نعرفها اليوم

تركيبات معقدة ، ثم نؤلف لأجزائها المختلفة أسماء جديدة ، فإن هذا سوف يدل على عدم انتهاء الطريق ، وعندما تمضي سنوات أخرى تعمل خطوة تالية نحو الكشف عن جسيمات أصغر وأصغر . ونحن لا نعرف سبيلا للتكهن بتطورات العلم في المستقبل ، وكذلك لا تمدنا الطرق العملية بالإجابة عما إذا كانت آراء ديموقريطس الفلسفية الأولى الخاصة بعدم استمرار الانقسام هي آراء صائبة أم خاطئة . ولكن لسبب من الأسباب ، يشعر فريق كبير من العلماء ، ومن بينهم مؤلف هذا الكتاب ، بالاطمئنان والثقة في الرأي القائل إنه بدراسة المادة « تصل الأمور إلى النهاية » ، وإن علماء الفيزياء في المستقبل سوف يقفون على جميع أسرار تركيب المادة الداخلى . ويلوح كذلك من المقبول والمعقول جداً أن الجسيمات الأولية التى نتحدث عنها اليوم في الفيزياء الحديثة تستحق أن تسمى كذلك مائة فى المائة ، وذلك نظراً لأنها تبدو فى صفاتها وسلوكها أبسط بكثير مما قيل عن الذرات على الإطلاق .

شظية من الذرة القديمة

وجه علماء الفيزياء جهودهم فى أواخر القرن التاسع عشر إلى إمرار الكهرباء خلال الغازات . وكان معروفاً منذ قرون أن الغازات ، وهى فى العادة من نوع الأجسام العازلة بدرجة عالية للكهربية ، يمكن أن تعتبر موصلة لما إذا ما استخدمت قوى كهربية عظيمة . وتتراوح شدة التفريغ من حدود الشرارات الصغيرة التى تحدث بين أكر الباب ويد رجل يكون قد مشى فوق فرش من السجاد وهو يلبس حذاء من المطاط ، إلى البرق الذى يخطف الأبصار إبان عواصف الرعد . ولكن السير وليم كروكس ، الذى طمست بعض معالم إضافاته للعلم بسبب اعتقاده فى تحضير الأرواح والظواهر الخارقة للطبيعة ، برهن على أن مرور الكهرباء فى الغازات يحدث بطريقة أكثر أمناً عندما ينخفض ضغط الغاز إلى كسر صغير من قيمة الضغط الجوى . وكانت أنابيب كروكس تتوهج بأضواء زاهية تعتمد على طبيعة الغاز المستعمل ، وهى ما زالت تضيء شوارع المدن اليوم معلنة عن الفنادق ، والأندية الليلية وغيرها من آلاف الأشياء الأخرى . وعندما يكون ضغط الغاز فى الأنبوبة (التى يستخدم فيها جهد كهربى عال) منخفضاً بدرجة كافية ، تظهر حزمة واضحة

المعالم تنبثق من المهبط وتتجه إلى المصعد ، وقد تقع على طرف الأنبوبة البعيد عندما يبعد الفيزيائي المختص المهبط عن طريق الحزمة . وعندما تصطدم الحزمة الغامضة المنبعثة من قرص المهبط بجدار الأنبوبة الزجاجي تجعله يتوهج بضياء أخضر باهت . ويرى أى جسم يوضع فى طريق هذا الضياء ظلا واضح المعالم . وعندما وضع كروكس قضيباً مغناطيسياً بالقرب من الأنبوبة شاهد زحزحة الحزمة عن مسارها كما لو كانت فى حالة تيار كهربى أو مجموعة من الجسيمات المشحونة بالكهربية السالبة تطير متباعدة عن المهبط . وخلال تلك الفترة على وجه التقريب وجد جين برن فى فرنسا أن القرص المعدنى الموضوع فى طريق تلك الحزمة اكتسب شحنة سالبة . ودلت كل هذه القرائن على أن تلك الجسيمات ما هى إلا جسيمات سالبة الشحنة تنطلق عبر الغاز المخلخل على غرار أيونات « فاراداي » التى تتحرك خلال السوائل فى عمليات التحليل الكهربى . وتركز الفرق الرئيسى بين الحالتين ، بطبيعة الحال ، فى أنه بينما تتلمس الأيونات طريقها ببطء عبر جزيئات السائل المكدسة جنباً إلى جنب ، ولا تفقد سبيلها إلى القطب المضاد قط ، نجد أن أشعة المهبط (كما سميت) فى الغازات المخلخلة تنطلق مباشرة فى خطوط مستقيمة وتصطدم بكل ما يعترض سبيلها .

وعارض وجهات النظر هذه عالم الفيزياء الألمانى فيليب لنارد ، الذى وجد أن شعاع المهبط يستطيع أن ينفذ بسهولة تامة خلال حواجز مختلفة موضوعة على طول مساره من غير ثقبها كما تفعل الجسيمات المادية . وقال لنارد إنه لا يمكن أن يحدث هذا إلا بوساطة الأمواج ، وليس بسبب سرب من الجسيمات المادية . وبطبيعة الحال عندما عرفنا اليوم أنه لا مناص من بناء جدران مسلحة سمكها عدة أقدام من حول المفاعل الذرى للحيلولة دون تسرب النيوترونات إلى الخارج ، تلك التى تسبب الأمراض الإشعاعية لأفراد الوحدة الذرية ، نتبين ضعف وجهة نظر لنارد ، إلا أنه فى ذلك الوقت اعتبرها الناس من القرائن والحجج القوية .

وكل المجلس الأعلى للنهوض بالعلوم إلى جوزيف جون تمسون ، السير جوزيف فيما بعد ، مهمة تفسير هذا التضارب فى النتائج العملية ، وبرهنته أن أشعة المهبط ما هى إلا مجار من الجسيمات ، وكذلك مهمة تعرف الخصائص الطبيعية لهذه الجسيمات - شكل (٧ - ١ إلى اليمين) - ، وهو من علماء الفيزياء ، من مواليد

منشستر ، وكان قد بلغ الأربعين من عمره وعين مديراً لمعمل كافندش الشهير بكمبردج الذى يعتبر من أكبر مراكز دراسات الفيزياء فى العالم . وعندما افترض تومسون أن أشعة المهبط تتكون من جسيمات تتطير بسرعة ، قرر أن يعين كتلتها وشحنتها الكهربائية . ومن بين مصادر الحصول على معلومات تختص بهذه المقادير الزحزحة التى يمكن مشاهدتها فى مسار أشعة المهبط تحت تأثير المجال المغناطيسى - شكل (٧ - ٢ ب) - . ولا تتوقف هذه الزحزحة (أو انحراف المسار) على قيمتى شحنة وكتلة الجسيمات المتطيرة فحسب ، ولكن على سرعتها كذلك . وبقياس هذه الزحزحة يمكن التعرف على حاصل الضرب $\frac{\text{الكتلة} \times \text{السرعة}}{\text{الشحنة}}$ أو $\frac{K}{Y}$ ، حيث K هى

كتلة الجسيم ، و Y مقدار ما يحمل من شحنة كهربية . وعلى أية حال تدلنا الدراسة النظرية على أن الزحزحة التى تنجم عن المجال الكهربى شكل (٧ - ٢) - إنما تتوقف كذلك على تركيبات رياضية أخرى لهذه المقادير ، وهى حاصل الضرب



شكل (٧ - ١)

اللورد رذرفورد (إلى اليسار) والسير ج . ج . تومسون

$\frac{K}{Y}$. وعلى ذلك عندما قاس الزحزحة فى الحالتين وربط النتائج بعضها ببعض ،

استطاع تومسون أن يعين كلامن سرعة الحركة E والنسبة بين الشحنة والكتلة $\frac{Y}{K}$ على

انفراد . وبينما كانت E تتوقف على فرق الجهد الكهربى الذى يستخدم فى الأنبوبة ،

ظلت $\frac{Y}{K}$ ثابتة دائماً وتساوى $١٧١٠ \times ٥,٢٨$ وحدة كهربية ستاتيكية *
جرام

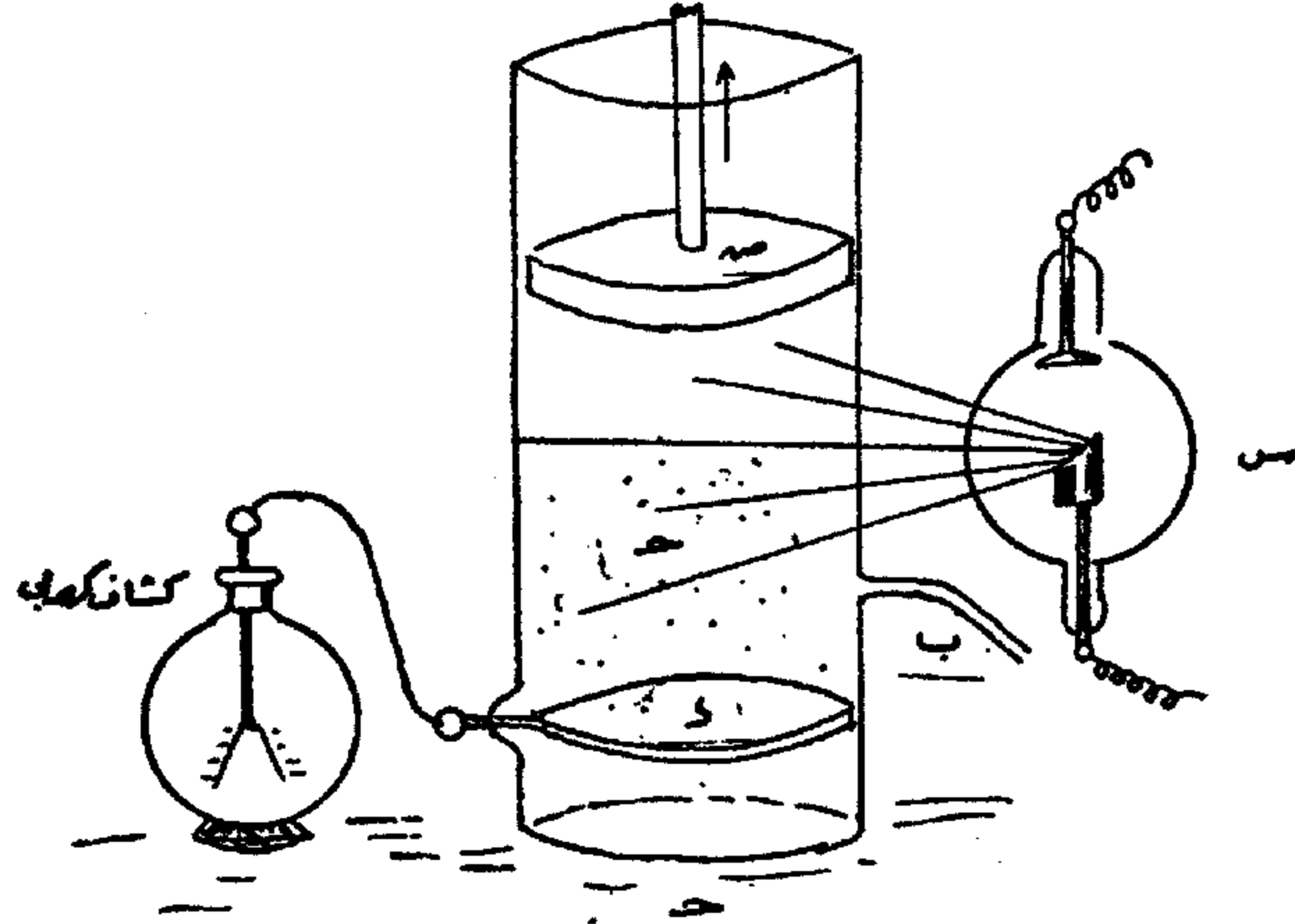
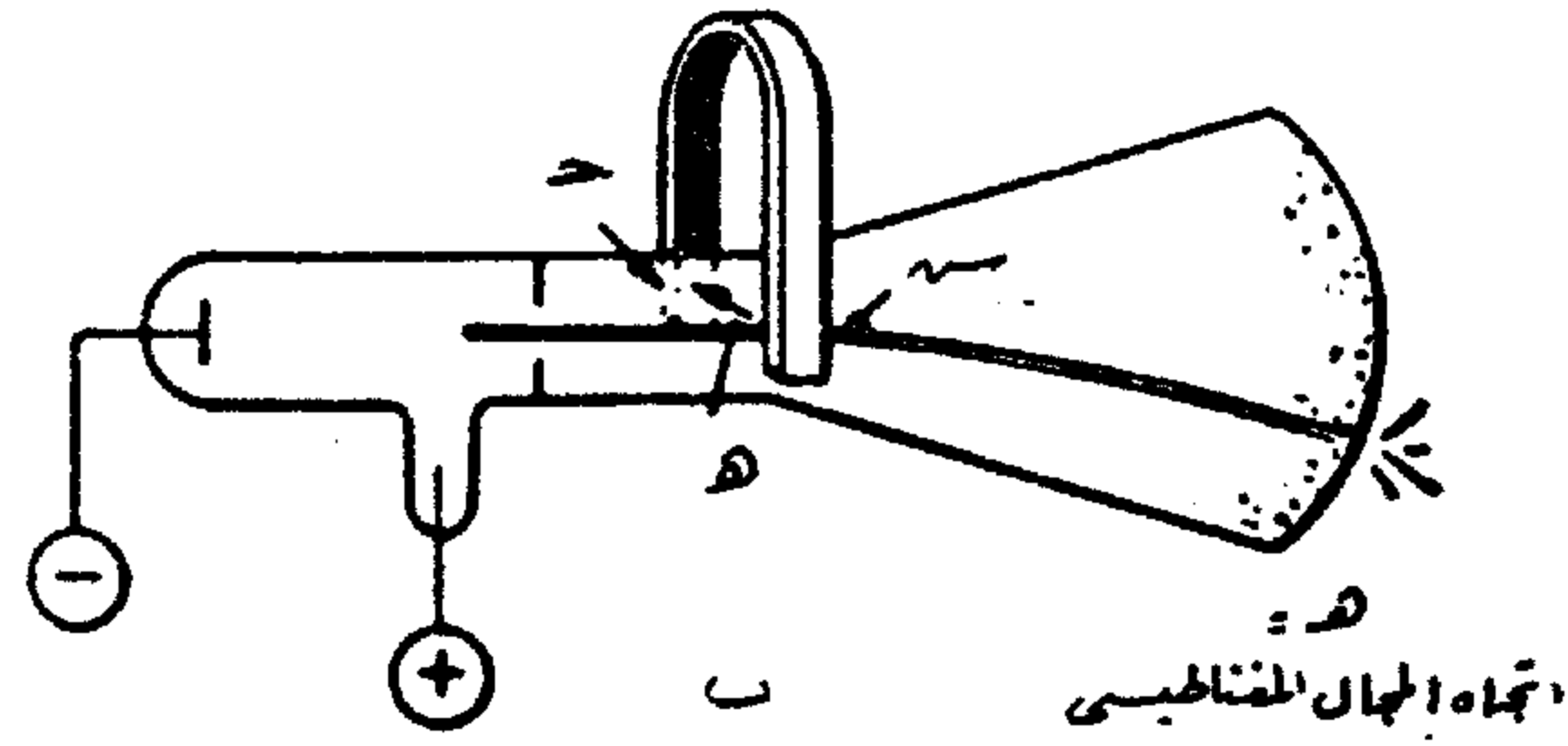
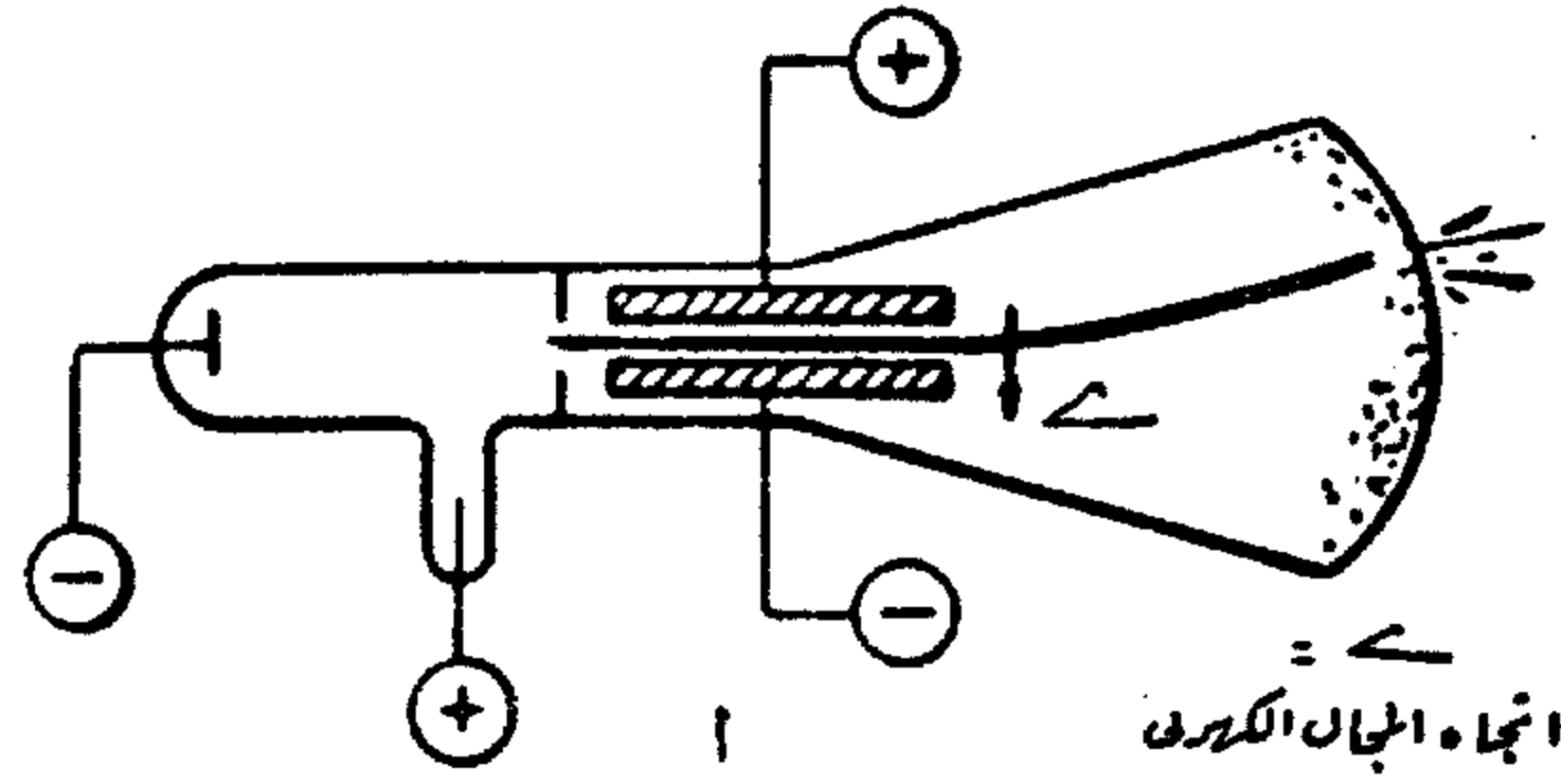
ورغم أنه كان واضحاً تماماً أن قيمة Y العددية يلزم ألا تختلف عن قيمة وحدة الشحنة الابتدائية التي وجدها فاراداي في تجاربه على التحليل الكهربى للسوائل ، أجرى تمسون تجربة خاصة لقياس قيمتها في حالة جسيمات الغازات المتحللة إلى مركباتها الكهربائية (أى المتأينة) والمعروفة باسم (الأيونات) . وكانت الطريقة التي استخدمها تتوقف على اكتشاف قام به عالم آخر من علماء كافندش الفيزيائيين ، هو ك . ت . ر . ولسون (تقول إحدى أغاني كبرديج : ك . ت . ر ، نجم ساطع الأنوار ، الذي وجد أنه عندما يبرد الهواء المنقى من الأتربة والغبار والمشيح ببخار الماء تبريداً فجائياً بالانتشار * * ، تتكون نقط صغيرة من الماء على الأيونات الموجودة في الهواء * * * ، وفي حالات الانتشار البسيط (تحت ٣٠٪) يحدث التكاثف على الأيونات السالبة فقط التي تعمل كنويات للتكاثف ، أما في حالات الانتشار الكبير ، فيتكاثف بخار الماء على كل من الأيونات السالبة والأيونات الموجبة . ويبين شكل (٧ - ٢ ج) الطريقة التي اتبعها تمسون في تجربته . ويتكون الجهاز من أسطوانة من الزجاج ج لها مكبس ص وقرص من المعدن د يتصل بكشاف كهربى ، وتملأ هذه الأسطوانة بالهواء الرطب عن طريق الأنبوبة ب ، كما تضاء بالأشعة السينية (س) . وعندما يسحب المكبس فجأة ويتمدد الهواء (بقدر أقل من ٣٠٪) تتكون سحابة من الضباب قوامها نقط الماء التي تتكاثف على الأيونات السالبة - وتستقر سحابة الضباب تدريجياً فوق القرص د ، وبذلك يمكن قياس الكمية الكلية لشحنة الأيونات الكهربائية بواسطة الكشاف الكهربى . وبمعرفة الكمية الأصلية لبخار الماء العالق في هواء الأسطوانة ، ومتوسط حجم نقط الماء الذي نجم عنه الضباب ، يمكن تعيين العدد الكلى لجميع نقط الماء المترسبة ، أو عدد الأيونات

* سبق شرحها في الباب الخامس (المؤلف) .

* * التبريد بالانتشار أو التمدد نتيجة تقليل الضغط هو أهم أسباب التبريد التي ينجم عنها تكاثف أبخرة المياه في الجو . وهو يحدث عند ما يرتفع الهواء إلى أعلى فتتكون السحب ، وقد ينهمر المطر . أما في المعمل فإن ذلك يتم داخل « غرفة التكاثف » (المترجم) .

* * * عند ما يحتوى الهواء على بعض ذرات الأتربة يحدث الترسب أولاً على هذه الذرات ، وبذلك

يختلط الأمر (المؤلف) .



شكل (٧ - ٢)

الطريقة التي قاس بها السير ج . ج . تمسحون كتلة الكهر ب ك . (١) تسمح الزحزحة

(أو الانحراف) تحت تأثير المجال الكهربائي بقياس قيمة $\frac{K}{Y}$ ٢٤ . (ب) تسمح الزحزحة

(أو الانحراف) تحت تأثير المجال المغناطيسي بقياس قيمة $\frac{K}{Y}$. وبالمجموع بين النتيجةين يمكن

استخراج قيمة $\frac{K}{Y}$. (-) يسمح معدل تساقط النقاط الصغيرة التي تتكون على أيونات الغاز

بقياس ي . وواضح أنه بتعيين $\frac{K}{Y}$ ثم يمكن حساب قيمة ك .

الذى هو نفس الشيء ، ولما كان حجم النقط يبلغ من الصغر القدر الذى يتعذر معه رؤيتها ، قرر تمسون أن يعين حجوماها عن طريق سرعة تساقطها إلى القرص تحت فعل الجاذبية الأرضية ، فكلما صغر الحجم قلت سرعة الهبوط ، وهناك قانون (أول من توصل إليه هو ستوكس) يعطى العلاقة القائمة بين سرعة الهبوط ونصف قطر النقطة المائية ودرجة لزوجة الهواء. وعندما استخدم تمسون هذه الطريقة ، وقسم الشحنة الكلية التى تجمعت فى الكشاف الكهربى على عدد النقط المتكونة ، وجد أن مقدار الشحنة التى تحملها كل نقطة هو $4,77 \times 10^{-10}$ وحدة كهربية ستاتيكية ، أى نفس القيمة التى وجدت فى حالة التحليل الكهربى للسوائل .

وهكذا استطاع تمسون أن يعين قيمة ك من قيمة النسبة $\frac{K}{Y}$ التى قيست ، فوجدها $0,9 \times 10^{-19}$ جرام ، أى أصغر بمقدار ١٨٤٠ مرة من قيمة كتلة ذرة الأيدروجين .

وتمخضت هذه النتيجة عن اكتشاف عظيم : فهناك جسيم أخف من أقل الذرات وزناً على الإطلاق بنحو ألفى مرة . واستنتج تمسون أنه بينما كانت أيونات فاراداي هى الذرات الحاملة للشحنات الكهربائية ، فإن الجسيمات التى تكون أشعة المهبط ما هى إلا نفس الشحنات وقد انطلقت حرة ، وأطلق عليها اسم الكهارب (الكترونات) . وصور تمسون الذرة على هيئة كرة بداخلها مادة ثقيلة مشحونة بالكهربية الموجبة مع عدد من الكهارب الصغيرة المنتشرة خلالها على غرار انتشار بذر البطيخة الأسود فى لحمها الأحمر ، وأعطينا هذه الصورة على حد تعبيرنا « نموذجاً ساكناً » ، أى افترض أن الكهارب الموجودة داخل الذرة فى حالة من السكون فى أوضاعها المترنة التى يحددها التعادل بين القوى الكهربائية التى تعمل على تنافر الكهارب السالبة الشحنات وتجاذب هذه الكهارب مع النواة المشحونة بالكهربية الموجبة . وعندما تثار الذرة ، أى تصلها طاقة إضافية من الخارج ، افترض أن الكهارب الموجودة داخلها تتذبذب حول أوضاعها المترنة ، وبذلك ترسل أمواجاً كهرومغناطيسية (ضوء) متنوعة الأطوال . ولقد أجريت حسابات مضمينة من أجل الوصول إلى أى علاقة تربط تردد ذبذبات الكهارب المترنة بأشكال عديدة مع ما يشاهد من خطوط الطيف المتباينة التى تعطيها المواد الكيموية المختلفة ،

ولكن لم تسفر هذه المحاولات كلها عن أى نتيجة ، وظلت المسألة كما هى من غير حل إلى حين ظهور « نموذج رذرفورد للذرة » .

الأشعة السينية الغامضة

ساعدت المصادفة على الوصول إلى كثير من الكشوف الهامة التى تمت فى نهاية القرن التاسع عشر وعملت على التحول السريع لعلم الفيزياء التقليدى القديم إلى الفيزياء الحديثة . ولكن تلك الكشوف كان من ورأها دائماً علماء لهم آراؤهم التقدمية ويتوافر لديهم الانتباه الكافى للملاحظة كل ما هو غير عادى ، وفى مقدورهم متابعة دراساتهم حتى تتكشف لهم الحقائق الهامة . فى ١٠ من نوفمبر عام ١٨٩٥ كان عالم الفيزياء الألمانى فلهم كوناورد رونتجن - شكل (٧ - ٣) - يجرى بعض التجارب باستخدام أشعة المهبط فى أنبوبة كروكس ، فلاحظ أن إحدى الستائر الفوسفورية المشعة والموجودة لمحض المصادفة بالقرب من الجهاز على المنضدة كانت تومض ببريق ناصع كلما أمر التيار الكهربى خلال الأنبوبة . وعندما غطى رونتجن الأنبوبة بقطعة من الورق الأسود استمر بريق الستارة على حاله ، ولم يوقفه إلا لوح من المعدن . وعلى ذلك فقد كانت هنالك إشعاعات جديدة تنبعث من الأنبوبة وتستطيع المرور بسهولة خلال المواد المعتمة بالنسبة للضوء الطبيعى . وكانت أول صورة أخذها رونتجن باستخدام هذه الأشعة المكتشفة حديثاً والتى أطلق عليها اسم الأشعة السينية ، هى صورة يد زوجته ، وقد أظهرت بكل وضوح تركيب العظام و (دبلة) خطوطها . ولقد دلت الدراسات التى أجريت بعد ذلك على أن تلك الأشعة النفاذة إنما تنبعث من الطرف البعيد لأنبوبة الزجاج عندما تقع عليه أشعة المهبط . ويمكن زيادة شدة الأشعة السينية هذه عندما يوضع فى مسار أشعة المهبط لوح من المعدن الثقيل يعرف باسم « المهبط المضاد » - شكل (٧ - ٣) وقدّر أن الأشعة السينية إنما تنجم عن ارتطام الكهارب التى تكون أشعة المهبط (ولعل القارىء يذكر أن الكهارب اكتشفها السير ج. ج. تومسون بعد ذلك بعامين) ، وهى تنطلق بسرعة فائقة وتصادمها

مع الهدف الموضوع في طريقها . وعندما تقف الكهارب فجأة ويحال دون مضيتها في سبيلها تطلق طاقات حركتها على هيئة موجات كهرومغناطيسية عظيمة القصر ، على غرار أمواج الصوت التي تنجم عن تصادم رصاص البنادق مع لوح من الألواح المخصصة لضرب النار . وكما يحتوى الصوت المنبعث في حالات إطلاق النار على شتى أنواع الذبذبات الممكنة ، ونصفه على أنه « ضوضاء » أكثر منه نغمة موسيقية نقية ، فإن الأشعة السينية تمثل كذلك خليطاً لا ينقطع من أطوال الموجات المختلفة ، ويطلق عليها الألمان اسم (برمستراهلنج Bremsstrahlung) ، حيث تعنى كلمة (برمس) يفرمل ، أما (ستراهلنج) فمعناها أشعة ، ويستخدم هذا اللفظ كغيره من كثير من الألفاظ الألمانية ، في اللغة الإنجليزية (وليس من شك أنه يبدو غريباً عندما يقال أشعة مفرملة) .



شكل (٧ - ٣)

ماكس فون لاو (إلى اليسار) وفلهلم رونتجن

ولما لم يزحزح المجال المغناطيسى الأشعة السينية عن مسارها ، فقد افترض رونتجن منذ اللحظات الأولى أنها ذبذبات على غرار الضوء العادى . وإذا كان

الأمر كذلك فلا بد أنها تخضع لظاهرة الحيود * ولهذا قضى رونتنجن العديد من السنين محاولاً إثبات ذلك عملياً ولكن دون جدوى. وبعد مضي اثني عشر عاماً على هذا الاكتشاف الهائل وصلت رونتنجن دعوة ، وقد كان أستاذاً للطبيعة التجريبية في جامعة ميونخ ، من رجل في مقتبل العمر (٣٣ سنة في تلك الآونة) من علماء الفيزياء النظرية هو ماكس فون لاو من نفس الجامعة ليفحص بعض الصور الفوتوغرافية التي كان قد فرغ من أخذها المساعدان و . فريدريك ، و ب نينج . وعندما وقع عليها بصر الرجل لمس في الحال أنها ضالته المنشودة التي ظل يبحث عنها سنين عديدة ، هي صور الحيود الرائعة التي أحدثتها الأشعة السينية إثر مرورها في بلورة (اللوحة رقم ٤ العليا) ، فقد خطرت ببال فون لاو فكرة استخدام إحدى البلورات كجهاز من أجهزة محرز القيود ** ، على أساس نظري بحث . ولما كانت الأشعة السينية لا تعطى ظاهرة الحيود عندما تستخدم محزرات القيود العادية التي تستخدم في تجارب الضوء ، فمن اللازم أن تكون أطوال موجاتها قصيرة جداً . . . وتكون البلورة من طبقات منتظمة من الذرات أو الجزيئات تفصل بينها مسافات قدر كل منها 10^{-8} سنتيمتراً ، وعندما تسقط حزمة من الأشعة السينية على سطح بلوري فإنها تخترقه وتنفذ إلى أعماق كبيرة داخل البلورة ، إلا أنها تعاني انعكاساً جزئياً في كل طبقة من طبقاتها إثر اختراقها لها - شكل (٧ - ٤) - فإذا ما كانت زاوية السقوط تبلغ القدر (ب) الذي معه تكون الموجات المرتدة في نفس الطور ، فإن شدة إضاءة الحزمة المرتدة تزداد ، أما في حالة الزاوية الأخرى (ا) عندما لا تكون الموجات المرتدة في نفس الطور ، فيكون من المتوقع حدوث الظلام . وكما في حالة حيود الضوء يمكن مشاهدة نموذج الحيود ، إما في الحزمة المرتدة ، وإما في الحزمة المرسلة . ويزيد من صعوبة الوضع حقيقة أن للبلورات عدة أنواع من الطبقات المتوازية المكونة من الجزيئات ، بحيث تبدو الصورة المتوقعة مركبة وأكثر تعقيداً من حالة الضوء العادي . وترينا اللوحة رقم (٤) المأخوذة في معامل بل تليفون ، حيود الأشعة السينية في سبيكة من النيكل والحديد .

* هو من ظواهر الضوء المعروفة عند مروره في فتحة ضيقة . (المترجم) .

** ويقال كذلك محزوز القيود ، والحز هنا بمعنى الخط الرفيع المحفور في الزجاج مثلاً (المترجم)

واكتشف بعد ذلك أنه بصرف النظر عن (البرمستراهلنج) المستمرة — تحتوى الأشعة السينية كذلك على سلسلة من الخطوط الواضحة التى تحكى تماماً فى شكلها الطيف الضوئى ، ومصدرها مرور الكهارب فى أعماق الذرة . ولقد أجرى و . براج (الأب) ، ثم و . ي . براج (الابن) أبحاثاً مستفيضة على الأشعة السينية ، وعلى يديهما تم الوصول إلى الطرق الدقيقة المستخدمة فى دراسات طيف الأشعة السينية .

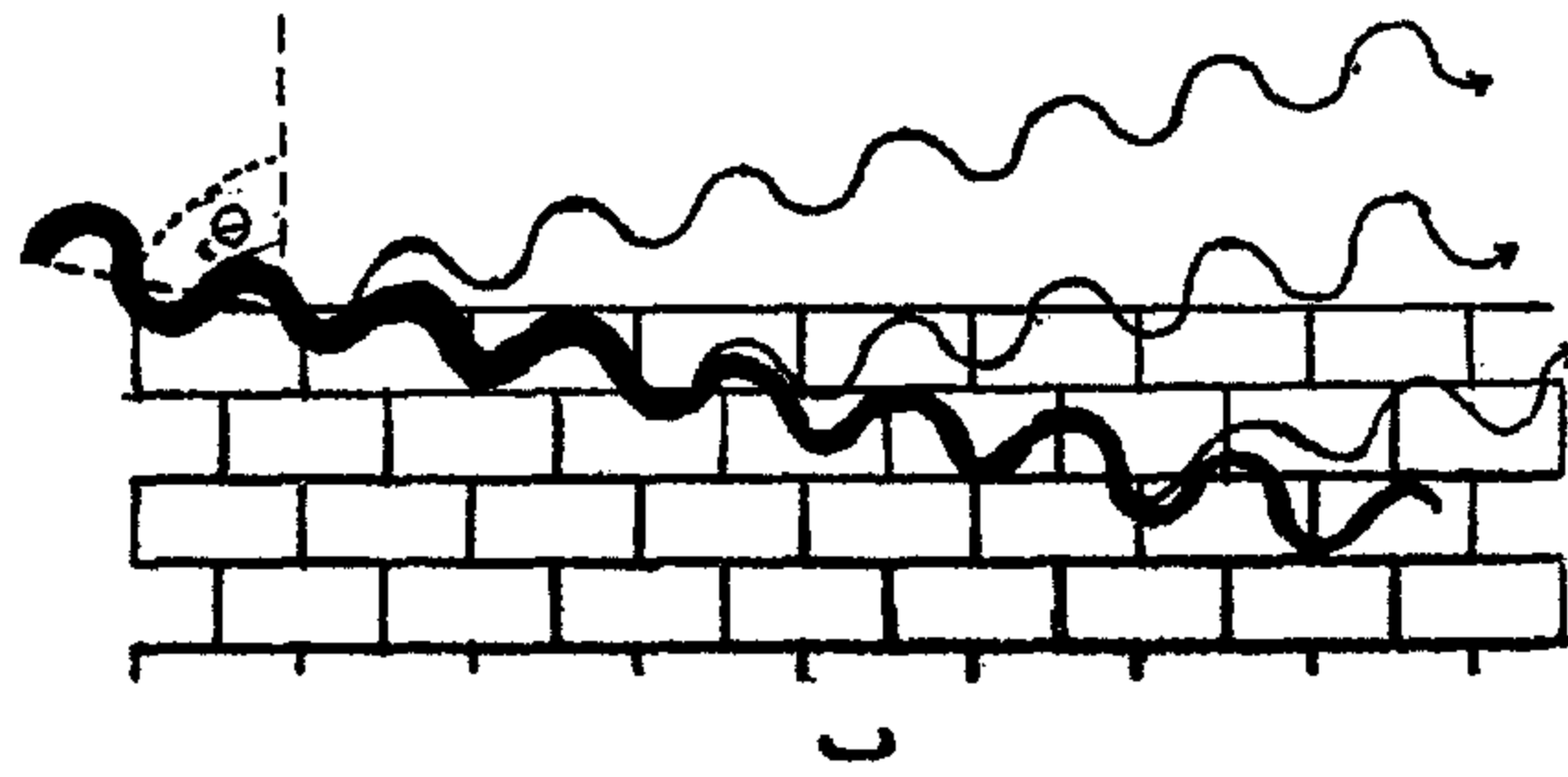
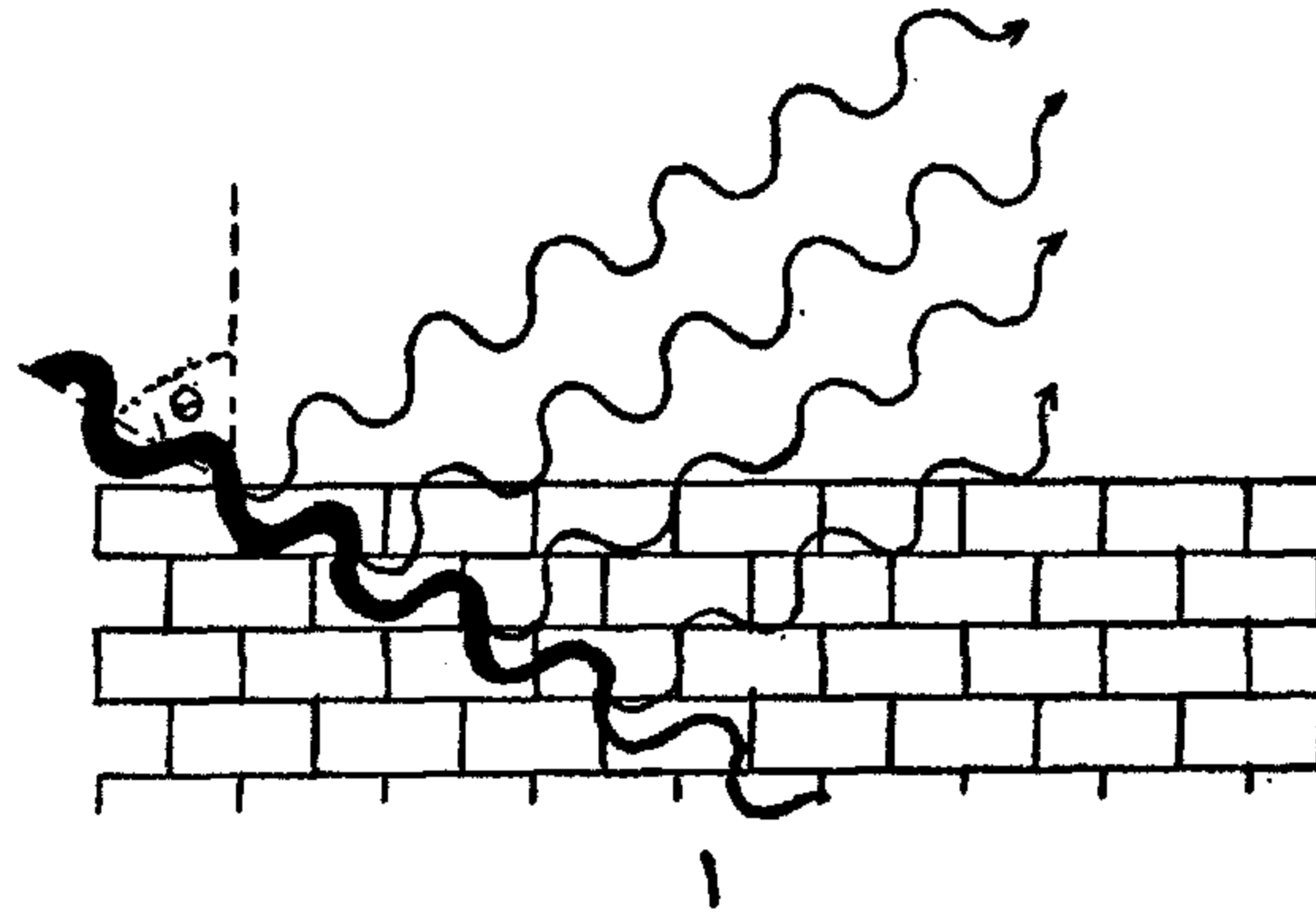
النظائر *

فى أوائل القرن التاسع عشر كان أحد علماء الكيمياء البريطانيين وهو و . پروت متأثراً بظاهرة أن الأوزان الذرية للعناصر المختلفة عندما يعبر عنها بدلالة الوزن الذرى للأيدروجين يمكن تمثيلها إلى درجة كبيرة من الدقة بأعداد صحيحة . ولقد ألهمته هذه المشاهدة إلى افتراض أن ذرات العناصر الكيموية المختلفة ما هى إلا تجمعات متباينة العدد من ذرة الأيدروجين (أو الأيدروجينات) . فمثلا الهيليوم = ٤ أيدروجينات ، الكربون = ١٢ أيدروجينات ، والأكسجين = ١٦ أيدروجينات وهلمجرا . . ولكن الذين عاصروا پروت لم يقاسموه آراءه ، وأسرعوا إلى إظهار بعض الحقائق التى ناقضت فروضه الجريئة ؛ فمثلا وجد أن الوزن الذرى لكل من الكلور والكاديوم هو على الترتيب ٣٥,٤٥٧ و ١١٢,٤١ ، أى فى منتصف المسافة بين عددين صحيحين . والعناصر التى لها أوزان ذرية قريبة من العدد الصحيح وجد كذلك أن قيم أوزان ذراتها دائماً تقل عما يتوقع لها لو أن ذراتها تكونت من مجموعات ذرة الأيدروجين . ولما كان الوزن الذرى للأيدروجين يساوى ١,٠٠٨٠ * * ، فمن اللازم أن يكون الوزن الذرى للهيليوم مساوياً $٤ \times ١,٠٠٨٠ = ٤,٠٣٢٠$ فى حين أنه يساوى بالفعل ٤,٠٠٣ أى أقل بمقدار ٠,٨ ٪ . وكذلك عندما نضع اثنى عشر من الأيدروجينات معاً فإنها تزن $١٢ \times ١,٠٠٨٠ = ١٢,٠٩٦$ ، فى حين وزن الكربون الذرى كما نعينه بالوسائل الكيميائية هو ١٢,٠١٠ فقط . ونجم عن

* ويمكن أن تسمى كذلك التوائم لأنها تؤدي نفس المعنى (المترجم) .

** يضبط علماء الكيمياء الوزن الذرى بحيث يكون الوزن الذرى للأكسجين مساوياً

١٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (المؤلف) .



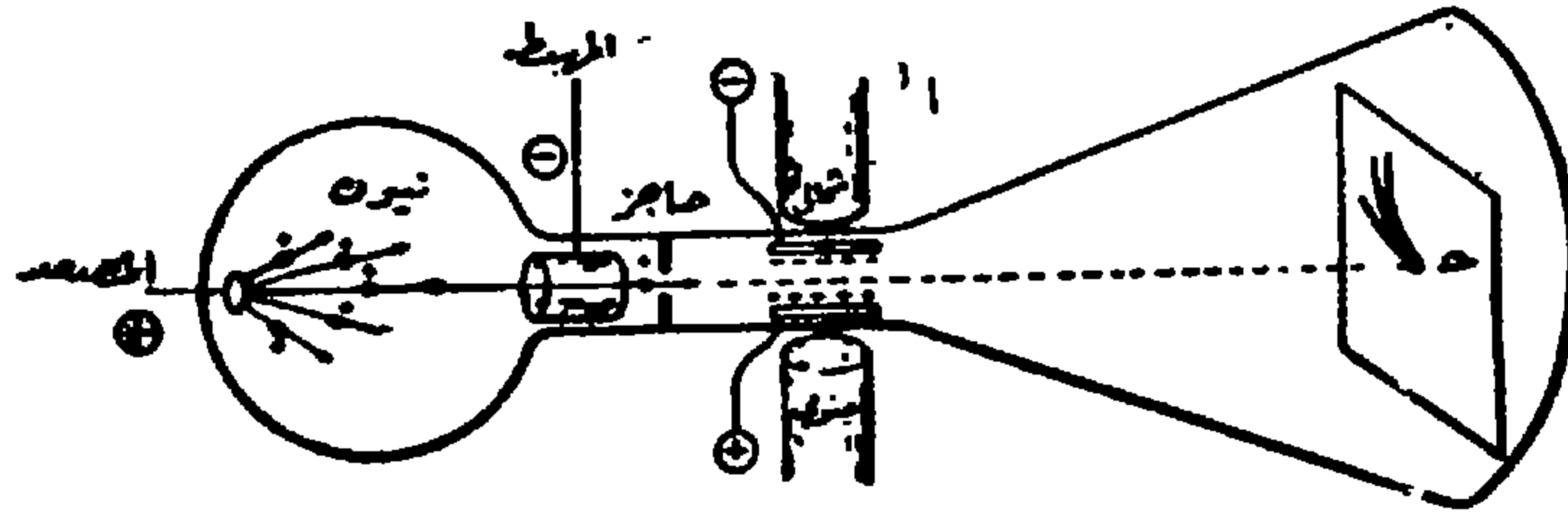
شكل (٧ - ٤)

ارتداد الأشعة السينية أو موجات دي بروى من سطح بلورة . فى (ا) تكون الموجات المنعكسة من الطبقات المتتالية للبلورة (ممثلة على هيئة لبنات) مختلفة الطور ويلغى بعضها بعضاً . وفى (ب) تكون الموجات متحدة فى الطور وبذلك تزداد شدتها .

هذه الخلافات « الظاهرية » رفض افتراضات پروت ، وبذلك راحت فى النسيان زهاء نصف قرن كامل حتى عادت للظهور مظفرة عام ١٩٠٧ نتيجة لدراسات ج . ج . تمسون .

فبعد أن فرغ ج . ج . من إثبات وجود الكهرب ، وعين كتلته ومقدار ما يحمل من شحنة كهربية عن طريق إزاحة حزم الكهارب فى المجالات الكهربائية والمغناطيسية ، عمد الرجل إلى الاهتمام بالجسيمات التى تتحرك فى الاتجاه المضاد خلال أنابيب التفريغ الكهربى . ولقد كانت الحزم المكونة من هذه الجسيمات المشحونة بالكهرباء الموجبة تعرف باسم « أشعة القناة » نظراً لأنها شوهدت أول مرة

عن طريق حفر ثقب (قنوات) في قرص المهبط سمحت للجسيمات بالمرور خلالها إلى الحيز الذي من خلفه . ويمثل شكل (٧ - ٥) الجهاز الذي استخدمه تمسون لدراسة أشعة القناة ، وهو يعمل بنفس المبدأ الذي استخدمه في دراسة حزم الكهارب . وتمر الجسيمات المشحونة بالكهرية ، المتولدة بالتفريغ الكهربى خلال



شكل (٧ - ٥)

جهاز تمسون لدراسة أشعة القناة . تمر الايونات الموجبة الشحنة والمنطلقة من المصعد إلى المهبط خلال قنوات في المهبط ، وبعد نفاذها من حاجز معين تدخل منطقة المجالين الكهربى والمغناطيسى اللذين يأخذان نفس الاتجاه . ولما كانت الإزاحة المغناطيسية (فى الاتجاه الأفقى) تتوقف على سرعة الجسيمات ، على حين تتوقف الإزاحة الكهرية (فى الاتجاه الرأسى) على مربع السرعة ، فإن الجسيمات التى لها نفس الكتلة عند ما تتحرك بسرعات مختلفة توزع على طول قطع مكافئ على الحاجز .

الغاز بين المصعد والمهبط ، فى ثقب (قناة) محفور فى المهبط ثم تدخل منطقة المجالين الكهربى والمغناطيسى وهما يأخذان نفس الاتجاه . وكما قدمنا تتناسب الإزاحة الرأسية التى يسببها المجال المغناطيسى مع $\frac{U}{v}$ ، بينما تتناسب الإزاحة الأفقية الناجمة عن المجال المغناطيسى مع $\frac{U}{v}$. وعلى ذلك فالجسيمات المتساوية النسبة بين الشحنة والكتلة والمختلفة السرعة تكون إزاحتها فى الاتجاه الرأسى متناسبة مع مربع الإزاحات فى الاتجاه الأفقى ، وتصير المنحنيات التى تشاهد على الحاجز المشع (مفسفر) ج قطاعات مكافئة .

وهذا عين ما شاهده ج . ج . ، ولكن بدلا من أن يتكون قطع واحد مكافئ (لأى عنصر كيموى معين) تكون اثنان أو ثلاثة ، مما دل على وجود ذرات مختلفة الكتلة . فى حالة الكلور مثلا تكون قطع مكافئ للذرات الكلور التى كتلتها ٣٤,٩٨ ، كما تكون قطع آخر للذرات الكلور التى كتلة واحدة منها ٣٦,٩٨ ،

وكلا الرقمين قريب من العدد الصحيح . وأطلق اسم « النظائر » على ذرات العنصر الواحد التي لها أوزان ذرية مختلفة ، ومعنى النظائر أنها تحتل نفس المكان في جدول مندليف . ولقد وجد أن العدد النسبي لذرات الكلور لهذين الوزنين المختلفين (كما قدر من إظلام اللوح الفوتوغرافي) هو ٧٥,٤ ٪ و ٢٤,٦ ٪ على الترتيب . وعلى ذلك يكون متوسط الوزن الذري هو $٣٤,٩٨ \times ٠,٧٥٤ + ٣٦,٩٨ \times ٠,٩٤٦ = ٣٥,٤٥٧$ ، وهو ينطبق تماماً مع قيمة الوزن الذري للكلور الذي تم تعيينه كيميائياً . ولقد دلت الدراسات التي تمت بعد ذلك على يد ف . و . استون على أن نفس هذه النتيجة تنطبق على العناصر الأخرى الكيموية . فمثلاً يتكون الكدميوم من ثمانية أنواع مختلفة من الذرات التي تساوي أوزانها ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، والمقادير النسبية ١,٤ ، ١,٠ ، ١٢,٨ ، ١٣,٠ ، ٢٤,٢ ، ١٢,٣ ، ٢٨,٠ ، ٧,٣ ٪ ، ومتوسط الوزن الذري هو ١١٢,٤١ يتفق تماماً مع القياسات الكيميائية . وهكذا عادت فكرة بروت القديمة للظهور من جديد .

ولكن بالرغم من اكتشاف النظائر فإن بعض المفارقات ظلت باقية ، وذلك نظراً لأن الوزنين الذريين لزوج من نظائر الكلور يساويان ٣٤,٩٨ ، ٣٦,٩٨ على وجه التحقيق بدلا من $٣٥,٢٨٠ (= ١,٠٠٨ \times ٣٥)$ و ٣٧,٢٩٦ $(\times ٣٧)$ ١,٠٠٨ . وعلى أية حال فقد أدت تلك المفارقات هذه المرة إلى الاغتراب بدلا من اعتبارها مشكلة ، وذلك لأنه تبعاً لقانون أينشتين الخاص بمعادلة الكتلة بالطاقة ، يلزم أن يكون وزن المجموعة المكونة من جسيمات متعددة أقل من وزن الجسيمات الأصلية بمقدار يعادل ما بينها من طاقات الترابط مقسومة على c^2 وعلى ذلك فإن الفرق بين كتلة ذرة مركبة ومجموع كتل مركباتها يدلنا على قيمة الطاقة التي تم تضمينها في عملية التكوين . ولنضرب مثلاً ذرة الكربون $^{12}_6$ التي تحتوى على ٦ بروتونات و ٦ نيوترونات . ولما كان الوزن الحقيقي لذرة الأيدروجين هو ١,٠٠٨١٣١ ، بينما وزن النيوترون ١,٠٠٨٩٤٥ ، فإن الكتلة الكلية يلزم أن تساوى ١,٠٠٨١٣١ $+ ٦ \times ١,٠٠٨٩٤٥ = ١٢,٠١٢٤٥٦$. وتدل القياسات الدقيقة على أية حال على أن كتلة ذرة الكربون هي ١٢,٠٠٣٨٨٢ ، أى تقل عن القيمة السابقة بمقدار

٠,٠٩٨٥٤٦ وحدة . ويلزم أن يمثل هذا النقص الذى يطلق عليه اسم « عيب الكتلة » كتلة الطاقة المنطلقة فى تكوين نوى الكربون من النيوترونات والبروتونات .
وتبعاً لنظرية أينشتين يعادل هذا القدر طاقة تساوى $٠,٠٩٨٦ \times ١,٦٦ \times ١٠^{-٢٤} \times ٩ \times ١٠^{٢٠} = ١,٤٨ \times ١٠^{-١٠}$ إرج أو ٩٢,٥ ميف * .

نموذج رذرفورد الذرى

ولد أرنست رذرفورد - شكل (٧ - ١) - عام ١٨٧١ بالقرب من مدينة نلسن فى الجزيرة الجنوبية لينوزيلند (زيلندة الجديدة). وعندما مُنح بعدمضى سنين عديدة لقباً بريطانياً لشهرته العلمية صار اللورد رذرفورد من نلسن . وما إن بلغ الرابعة والعشرين حتى وفد إلى كمبردج لتلقى العلوم تحت إشراف ج . ج . تمسون فى معمل كافندش . وعين بعد تخرجه أستاذاً بجامعة ماكجل بمنتريال ، حيث ظهرت باكورة أعماله الهامة فى مجال دراسات ظاهرة النشاط الإشعاعى الذى كان قد اكتشف حديثاً آنئذ . وبعد ذلك انتقل إلى جامعة مانشستر ، وفى عام ١٩١٩ عندما تقاعد ج . ج . تمسون عن العمل ، أصبح مديراً لكافندش واشتهر بين من يعرفونه باسم « التمساح » ، الذى أسبغه عليه أحد طلبته المقربين ، وهو عالم الفيزياء الروسى بىتر كابترا . ويجدر بنا أن نلاحظ أنه بينما تبدو هذه التسمية التهكمية بالنسبة إلى الإنجليز الذين كانوا يترددون (أو حتى زاروا) على مصر وعضتهم أو أكلتهم التماسيح ** كأنها ماسة بالكرامة ، إذا هى بالنسبة إلى الروس الذين لا تتاح لهم رؤية التماسيح فى موطنها قط ، تبدو أو تُفهم كرمز للقوة العظمى . ورغم أنه لم يجرؤ أحد أن يذكر ذلك الاسم التهكمى فى حضور رذرفورد ، فإن الرجل كان يعرفه ، وكان يفخر به سرّاً . ويحمل جدار المبنى الحديد الذى شيد من أجل دراسات كابترا على المجالات المغناطيسية البالغة القوة ، لسبب لم يعلن قط بصفة رسمية ، كتابة محفورة لتمساح ضخم .

* $١,٦٦ \times ١٠^{-٢٤} \times ٩$ جرام هى $\frac{1}{16}$ من وزن ذرة الأكسجين (المؤلف) .

** هكذا تصور المؤلف ، وهو من علماء الفيزياء المعاصرين ، أن مصر موطن للتماسيح ! ولعل عذره

فى ذلك أن اسمها يقرن باسم النيل (المترجم) .

وحديث أيام كافندش يذكر المؤلف بحادثة جرت في كبردج ولها علاقة بالتمساح . . .

. . . ذلك البريطاني الملقب باللورد
ابن فلاح من زيلنده الجديدة
فصوته الرنان ، وصياحه في العتاب
وإذا ما استثير أو حدثت جريرة
يوضحها تماماً بلغة البلاد
وفي مرة نزل جاموف ضيف الشرف
في حفلة شاي تكريماً لنيل بور
وتحدث الرجال عن (الجولف) و (الكركت) كذلك

عرفناه باسم أرنست رذرفورد
وجميع خصاله حسنة حميدة
لا تقف في سبيلهما أضخم الأبواب
نراه لكي ما يرضى ضميره
ليفهمها كل رائح وغاد
على رذرفورد كما قال واعترف
وطبعاً قد سمعت أنت عن هذا الأخير

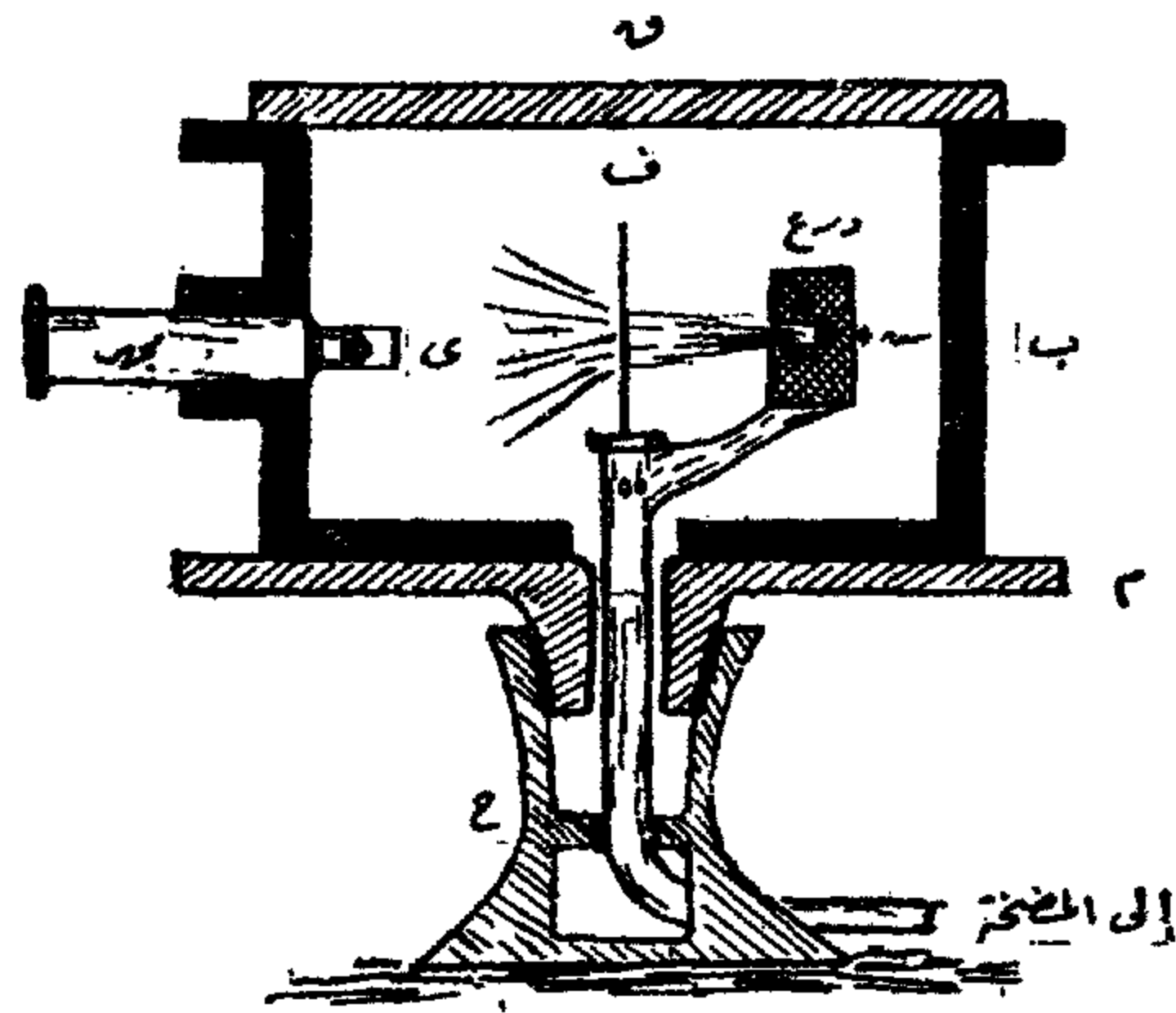
أما النساء فرحن يسألن كعادتهن هنالك

عن (البلوزات) و (الشيلان) والأحزमे
وصاح : جاموف إني أرى في الشارع
أن ننطلق لتفهمنى . . . كيف يسير؟
ونحو (الموتوسيكل) راح يجرى بور
وإذ أتم شرح كل شيء بإسهاب
إذا بهذا الأخير ينطلق مثيراً
ورغم أنه بدأ مكتملاً قوياً
وعلى مسافة خمسين ياردة
وبدا يلف بعنف وبطء ملكه
وهب جاموف في لحظته
وتمنى الجميع حدوث معجزه
إذا عدت يا جاموف مرة ثانية
لتوقف المرور أو تصدم الناس

حتى تضجر بور من ذلك الجحوشمه
(موتوسيكل) فهل لديك من مانع
فليس هنا ما يسر أو يثير
ومن خلفه جاموف على الفور
بينما كان يجلس بور على الركاب
مخاوف الناس والدواب كثيراً
فإنه سرعان ما فقد الروية
جعل من المحرك آلة هامة
فأوقف المرور في شارع الملكه
ليقيم بوراً من عشرته
وصاح رذرفورد بجاموف يحذره :
إلى إعطاء بور هذه (الداهية)
فتالله لأفصلن جسدك عن الراس !

وعندما نعود إلى أيام رذرفورد في منشستر نجد أنه لم يعجبه نموذج تمسون للذرة
الذى جعله شبيهاً بالبطيخة ، وقرر أن يسير داخل الذرة بأن يطلق عليها أنواعاً جديدة

من القذائف كانت قد وقعت في أيدي الفيزيائيين عقب اكتشاف النشاط الإشعاعي وخلال أيامه الأولى في مكمل بيتن رذرفورد أن ما يطلق عليه اسم جسيمات ألفا ، التي تشعها العناصر المختلفة ذات النشاط الإشعاعي ، ما هي في الواقع إلا حزم من أيونات الهيليوم الموجبة الشحنة التي تنبثق مصحوبة بطاقة عظيمة من الذرات عديمة الاستقرار . وعندما تقع تحت تأثير الأجزاء المشحونة من الذرات ، يكون لا مناص

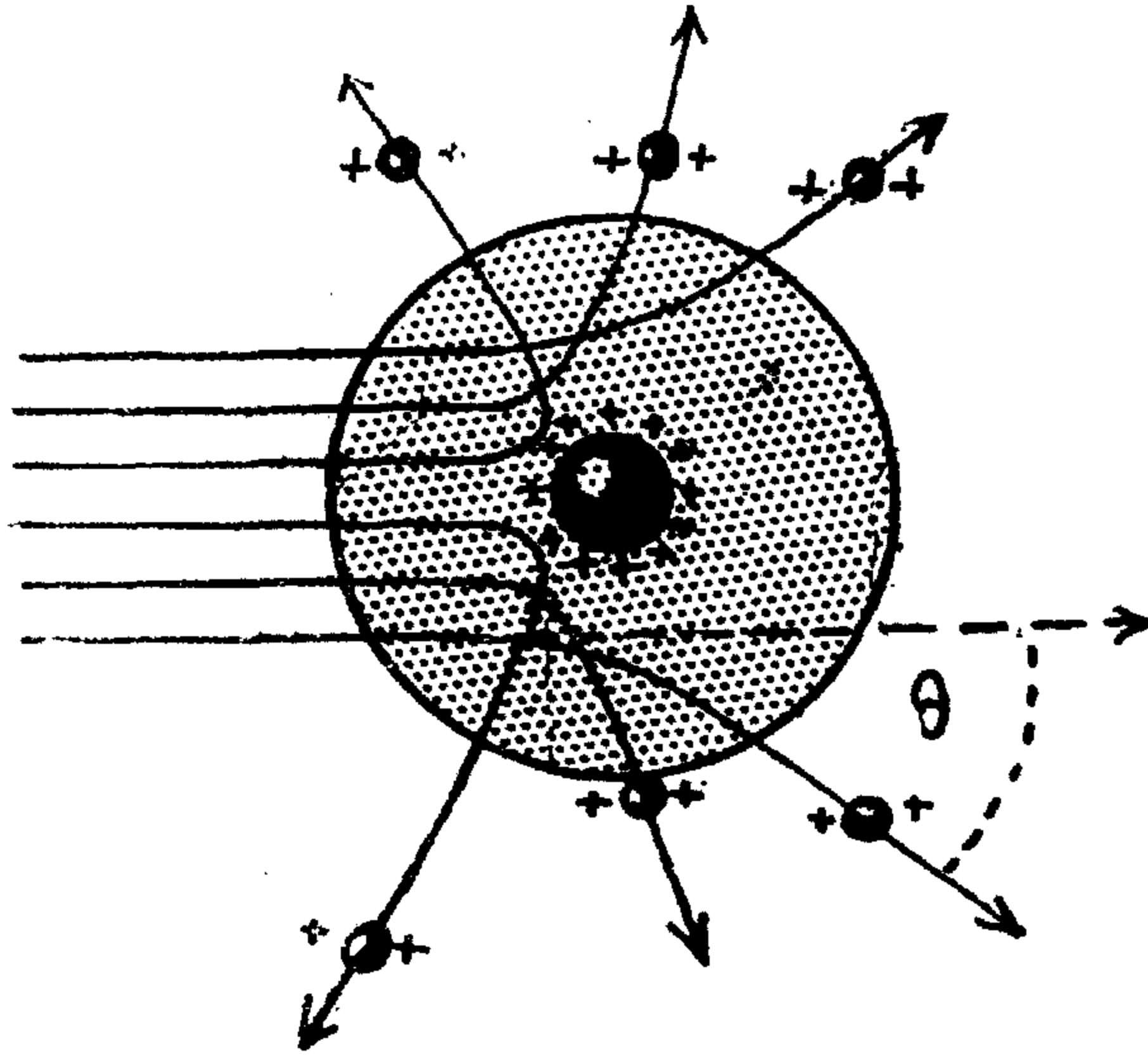


شكل (٧ - ٦)

أول جهاز لدراسة تشتت أشعة ألفا . صندوق مفرغ من الهواء ب مزود بقرص علوي ق يمكن إبعاده ، والصندوق موضوع فوق منضدة لفافة م . يوضع مصدر النشاط الإشعاعي ش داخل درع من الرصاص ، وتتصل الفتائل ف التي تعمل على التشتت بالحامل ح وتظل ساكنة ولا تتحرك . كما يتصل بالصندوق مجهر (ميكروسكوب) له حاجز يومض (ي) يمكن أن يدار حول محور أفقي .

من زحزحة جسيمات ألفا عن مسارها الأصلي ، بحيث تتضمن محصلة تشتت الحزمة بهذه الطريقة المعلومات الوافية الخاصة بتوزيع الشحنات الكهربائية في داخل الذرة . وعلى هذا الأساس أخذ رذرفورد يصوب حزمًا من جسيمات ألفا على صفائح رقيقة جدًا مصنوعة من معادن متباينة - شكل (٧ - ٦) - ويحسب عدد الجسيمات المتناثرة في الاتجاهات المختلفة بعد مرورها خلال تلك الصفائح . وفي تلك الأيام كانت عمليات عد الجسيمات من أشق العمليات وأصعبها ، أما اليوم فإن المشتغل بالفيزياء يستطيع تركيب عداد چيجر لهذا الغرض ويخرج للترهة أو إلى السينما . وكان على رذرفورد أن ينظر خلال مجهر أعده بحاجز يومض بضوء فسفوري يعترض

سبيل الحزمة ، ويعد على أصابعه عدد الومضات (البريق) ، أو الشرارات الصغيرة التي تحدث عندما يصدم جسيم له طاقة عالية تلك الستارة . ولقد اعتاد بعض علماء الفيزياء النووية في تلك الآونة تعايطي البلاذونا لكي تعمل على توسيع لإنسان العين بدرجة أكبر . وكان من نتائج تلك الدراسات أن توصل رذرفورد إلى أن جسيمات ألفا بعد مرورها خلال صفائح رقيقة جداً من المعدن تعاني كثيراً من التشتت . وعلى الرغم من أن أغلب الجسيمات في الحزمة الساقطة احتفظت باتجاه تحركها الأصلي ، فإن عدداً منها انحرف عدة درجات ، كما كاد بعضها يترد إلى الخلف . ولم تتفق هذه النتيجة مع نماذج تمسون التي يفترض فيها توزيع الكتلة والشحنة الموجبة بانتظام تقريباً خلال جسم الذرة كله . وفي الحقيقة يلزم في مثل



(شكل ٧ - ٧) النموذج النووي للذرة

هذه الحالة ألا يقوى التأثير المتبادل بين شحنة الجسيم المتساقط وشحنات الذرة الداخلية ولا يصل قط إلى الدرجة التي معها يزاح جسيم من جسيمات ألفا ، وينحزح عن مساره الأصلي بزاوية كبيرة ، ولا سبيل إلى إمكان القذف به ورده إلى الخلف . وكان التفسير الوحيد الممكن هو تركيز الشحنة الموجبة وكتلة الذرة وقصرهما على حيز صغير جداً في نقطة على وجه التقريب تقع تماماً في المركز - شكل (٧ - ٧) .

ولكى يتحقق من أن هذا الفرض إنما يطابق التشتت المرصود كان من اللازم صياغة معادلة تعتمد على قوانين الميكانيكا من أجل التعبير عن إزاحة الجسيمات التي تمر على أبعاد مختلفة من مركز التنافر . وعلى غرار كثير من كبار رجال الفيزياء التجريبية لم يكن رذرفورد يحب الرياضة ، والذي يقال على أية حال إن الذي استنتج له تلك المعادلة هو أحد صغار المشتغلين بالرياضة المسمى ر . ه . فولر الذي تزوج فيما بعد بابنة رذرفورد . وتبعاً لمعادلة رذرفورد هذه يلزم تناسب عدد جسيمات ألفا المنحرفة بزاوية عن مسارها الأصلي تناسباً عكسياً مع الأس الرابع لقيمة θ ، وتتفق هذه النتيجة تماماً مع ما شاهد من منحنيات التشتت . وهكذا ظهرت صورة جديدة تماماً للذرة ، مكونة من مركز صغير له كتلة مشحونة شحنة كبيرة ، أطلق عليها رذرفورد اسم « نواة الذرة » ، ومجموعة من الكهارب تسبح حول النواة تحت تأثير قوى تجاذب كولوم . وبدأت هذه الصورة إلى حد كبير شبيهة بمجموعة كواكبنا السيارة * التي تسبح من حول الشمس ، والتي تظل محتفظة بأفلاكها بقوى الجاذبية (النيوتونية) . ولقد ثبت فيما بعد — على يد تلامذة رذرفورد من أمثال ه . جيجر ، وى . مارزدن — أن الشحنة الموجبة لنواة الذرة أو عدد الكهارب التي تسبح من حولها الذي هو نفس الشيء ، يساوى الرقم الوضعي أو « الرقم الذري » للعنصر حسب وروده في جدول مندليف الدوري للعناصر . وهكذا ولدت الصورة الحالية لتركيب الذرة .

كارثة الأشعة فوق البنفسجية

عندما يعود بنا التاريخ إلى الماضي القريب ، إلى السنين العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر ، عندما كانت الفيزياء تمر خلال آلام الانسلاخ من اليرقة القديمة التقليدية إلى الفراشة الحديثة ، في تلك الآونة كانت نظرية الحركة للحرارة متقدمة تماماً إثر أعمال بولتزمان ، ومكسويل ، وغيرهما ، ولم يعد ثمة شك في أن ما نطلق عليه اسم « الحرارة » ما هو إلا نتيجة حركة غير منتظمة حيثما اتفق لعدد لا يحصى من الجزيئات التي تكون جميع الأجسام المادية . وفي أبسط الحالات ،

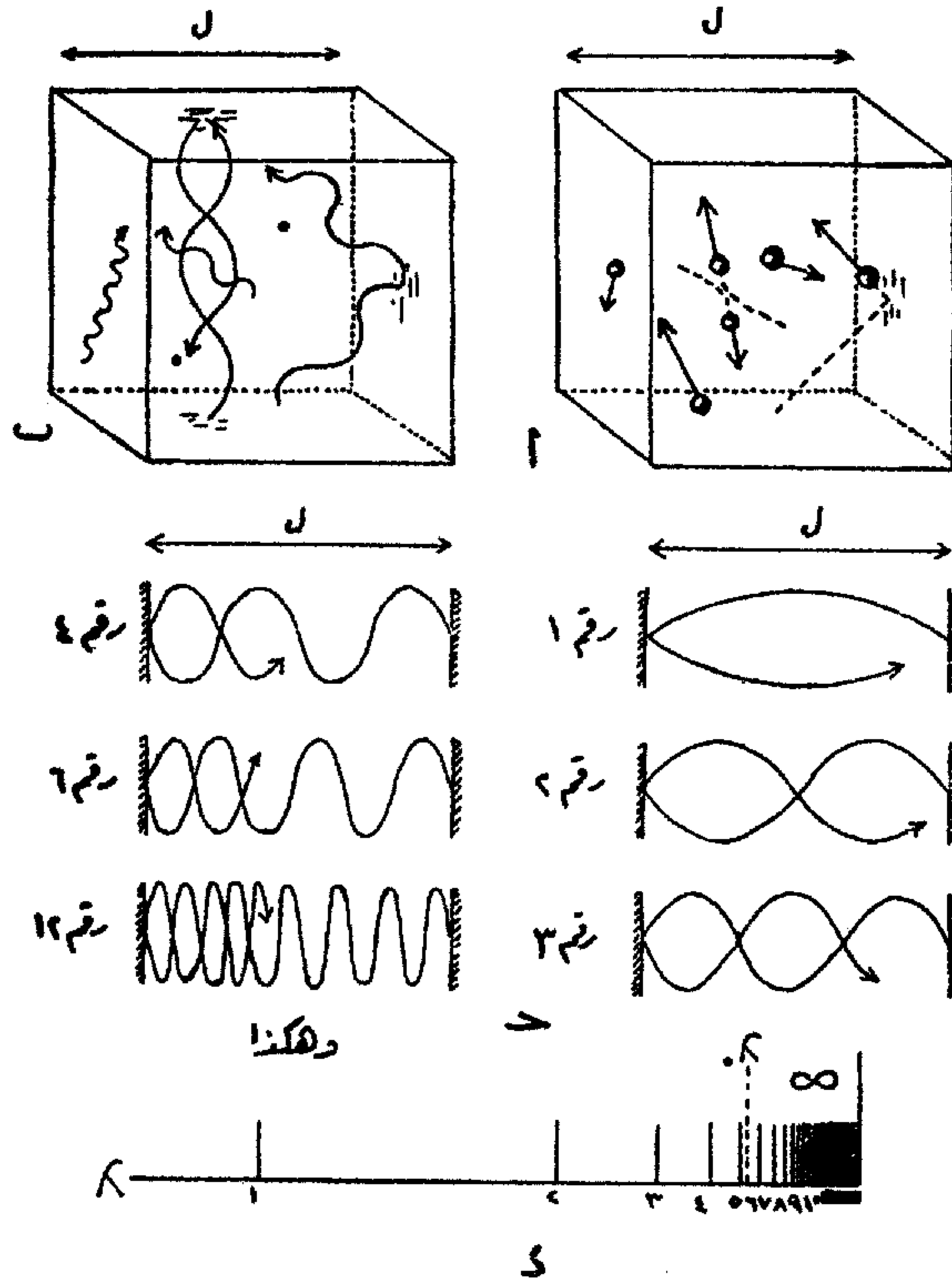
* ألا تطابق هذه الصورة قوله تعالى في سورة الملك (٣) : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ؟ (المترجم)

وهي حالة الغازات التي تتطاير جزيئاتها من غير قيد أو شرط في الحيز الذي تشغله ، يمكن استنتاج مصطلحات رياضية بسيطة ، من توزيع السرعة ، عدد مرات التصادم التي تحدث بين الجزيئات ، وغيرها من خصائص الجزيء التي تتميز بها الظواهر الحرارية . وفي تلك المرحلة قرر أحد علماء الفيزياء والفلك البريطانيين الذين ذاع صيتهم واشتهروا بتصنيف الكتب المبسطة للعامة ، وهو السير جيمس جينز ، استخدام الطرق الإحصائية التي ثبت نجاحها التام في دراسة حركة الجزيئات الناجمة عن الحرارة ، في المسألة الخاصة بالإشعاع الحراري . ولقد رأينا في الباب الرابع أن الأجسام الساخنة تشع طيفاً ضوئياً متصلاً يحتوي على جميع الذبذبات بشتى أنواع التردد والموجات . ولقد رأينا كذلك أنه لكل درجة حرارة معينة يوجد نوع خاص من أنواع توزيع الطاقة المتوافرة بين أطوال الموجات المختلفة ، وأن طول الموجة التي تنتمي إلى أكبر كمية من الطاقة إنما يختلف باختلاف درجة الحرارة — شكل (٧ — ١٣) — وسأل جينز نفسه عما إذا كان توزيع الطاقة بين أطوال الموجات المختلفة في حالة الإشعاع يخضع لنفس القوانين الإحصائية كما هي الحال في توزيع الطاقة بين جزيئات الغاز . ولتأخذ مثلاً ما يسمى « مكعب جينز » ، وهو صندوق مغطى من الداخل بوساطة « مرايا مثالية » أي مرايا تعكس ١٠٠٪ من الضوء الساقط عليها . وبطبيعة الحال تمتص أي مرآة في الوجود بعض الضوء الذي يسقط عليها قبل أن ترده ، ولكننا نتحدث عن « تجربة فكرية » شبيهة بصندوق اينشتين في حالة نظرية الجاذبية في النسبية . ولنفترض أن صندوق جينز هذا له فتحة صغيرة وحاجز على جانبها يستعمل في إغلاقها . ونحن نستطيع فتح الحاجز لندع بعض الضوء المقبل من مصباح يلبج الصندوق ، ثم نعمل إلى حبس هذا القدر إغلاقها الفتحة بالحاجز مرة أخرى . ولما كان من المستحيل أن تمتص جدران الصندوق الضوء الداخلى فإنه بطبيعة الحال سوف يتعرض لعدد لا يحصى من عمليات الانعكاس ، بحيث إننا إذا أزلنا الحاجز عن الفتحة تدفق الضوء منبثقاً من الصندوق ، كما يتدفق الغاز من صمام عجلة السيارة المفتوح .

وفي شكل (٧ — ٨) مقارنة لطيفة بين وعائين ، أحدهما مليء بجزيئات في حركة حرارية ، والثاني مليء بالإشعاع الحراري مختلف أطوال الموجات . ففي الحالة الأولى

تندفع الجزيئات إلى الفضاء في شتى الاتجاهات الممكنة وبكل مقادير السرعة المحتملة ، نظراً لارتدادها من جدران الوعاء الذي يحويها ، وتصادمها أحياناً بعضها ببعض في أثناء انطلاقها . أما في الحالة الثانية فإننا نجد أن ما لدينا هو موجات ضوئية مختلفة الطول تنتشر في كافة الاتجاهات الممكنة ، نظراً لانعكاسها من المرايا التي تغطي الجدران .

والذي ينقصنا معرفته في الصورة الثانية هو « التصادم بين الموجات » ؛ تلك الظاهرة التي من شأنها أن تسمح بتبادل الطاقة بينها . وليس من شك أن الصفة الأساسية لأي نوع من الموجات ، سواء أكانت أمواج البحر ، أم موجات الصوت



شكل (٧ - ٨)

مقارنة بين الحركة كيفما اتفق (جزافاً) لجزيئات غاز داخل وعاء مغلق (ا) والحركة (جزافاً) للموجات في مكعب جينز (ب) . تمثل النقاط السوداء في (ب) جزيئات غبار الفحم الصغيرة التي تعمل بمثابة المعبيل الذي يبدل الطاقة بين الموجات . ويعرض الشكل (ج) طرقاً مختلفة للتذبذب في مكعب جينز (حالة مبسطة ذات بعد واحد) ، بينما تعطينا (د) الطيف المقابل لهذه التذبذبات .

أم موجات الراديو والضوء ، هي أنها لا يؤثر بعضها في بعض عندما تتقابل ، فأقواس الموج المنطلقة من سفيتين تنسابان جنباً إلى جنب ، وأمواج الصوت التي تحمل حديث العديد من الناس في غرفة ما ، وأمواج الراديو المذاعة من محطتين في نفس المدينة ، أو أي حزمتين من حزم الضوء المنبثقة من كشافين عندما تتقاطعان في السماء ، نجدها كلها يمر بعضها ببعض كأنما هي أشباح خيرة من أشباح قصص العصور الوسطى . ولكي نزيل هذا النقص في التشابه ، لتصور أن بداخل مكعب جيتز جسيمات قليلة من جزيئات غبار الفحم التي تستطيع امتصاص جانب من الطاقة التي لها طول موجة واحد ، لتعيدها على موجة لها طول آخر ، ولقد تخيرنا غبار الفحم بالذات ، لونه الأسود ، فن المعلوم أن الأجسام السوداء (أو على الأصح الأجسام السوداء مثاليًا التي تتمشى مع المرايا المثالية التي في مكعب جيتز) ، في مقلورها أن تمتص وتطلق الإشعاع على أية موجة أو طول موجة . ولقد أدخلت جزيئات غبار الفحم في هذه التجربة الفكرية لمجرد أن تسمح بتبادل الطاقة بين ذبذبات الضوء الذي له موجات مختلفة الطول ، وفي مقلورها أن تقوم بهذه العملية من غير أن تسلب المجموعة شيئاً من طاقتها ، وذلك تبعاً لحجومها المتناهية في الصغر ومن ثم صغر أشعتها الحرارية .

ولنبحث الآن عن طريقة توزيع الطاقة المتوفرة بين الذبذبات المتباينة التي يمكن أن توجد في مكعب جيتز . هنا نستخدم الفيزياء الإحصائية قاعدة واحدة أساسية تعرف باسم « قانون تساوي توزيع الطاقة » ويقول هذا القانون إنه إذا كان لدينا عدد كبير جداً من الأجهزة (التي على غرار أفراد جزيئات الغاز) يؤثر بعضها في بعض تأثيراً إحصائياً ، فإن الطاقة المتوفرة تكون في المتوسط موزعة بالتساوي بينها . فإذا ما كان العدد الكلي لجزيئات الغاز الموجود بالوعاء هو د ، وكانت الطاقة المتوفرة هي ق فإن متوسط ما ينال الجزيء الواحد منها هو :

$$y = \frac{q}{d}$$

ومن اللازم أن يستخدم نفس هذا القانون البسيط لمجموعة الموجات التي يمكن أن توجد داخل مكعب جيتز . ولكن السؤال هو : كم موجة منها يمكن أن توجد ؟ ولتبسيط الوضع نأخذ فقط الموجات التي تنساب أفقياً بين جداري

الصندوق الأيمن والأيسر - شكل (٧ - ٨ ج) - فنجد أن الوضع يشابه وضع وتر (الكمان) المثبت من طرفيه (قارن ذلك بأعمال فيثاغورث المشروحة في الباب الأول) . فأطول الأمواج الممكنة هي رقم (١) ، حيث يبلغ طول الموجة ضعف المسافة ل التي بين الجدارين . ويليهما في القصر رقم (٢) ، التي يساوى طول موجتها ل ، أو $\frac{L}{2}$ الذي هو نفس الشيء يلي ذلك في القصر الموجة التي طولها $\frac{L}{3}$ ، ثم

$$\frac{L}{4} \left(\text{أو} \frac{L}{2} \right) \text{ ثم } \frac{L}{6} \left(\text{أو} \frac{L}{3} \right) \dots \frac{L}{100} \dots \frac{L}{101} \dots \frac{L}{1000000} \dots \text{ بحيث}$$

لا يوجد حد أدنى للأمواج الكهرومغناطيسية الممكنة . و بأكمال المتسلسلة السابقة نمر عبر الضوء المرئي ، فالأشعة فوق البنفسجية ، فالأشعة السينية ، فأشعة جاما وهلم جرأ . وعلى ذلك فإن عدد الذبذبات الممكنة يمتد إلى ما لا نهاية . وعندما نعم هذه القاعدة لتشمل جميع الموجات التي تنتشر في الاتجاهات الثلاثة نحصل بالطبع على نفس النتيجة . وإذا فنحن عندما نستخدم قانون تساوى توزيع الطاقة التقليدي القديم ، ونقسم الطاقة الموجودة فعلا على جميع الأمواج المحتملة ، بصرف النظر عن مبلغ هذه الطاقة من الكبر ، نحصل على .

$$y = \frac{q}{\infty} = \text{صفر} .$$

ومن وجهة نظر الفيزياء يعنى ذلك أننا إذا قسمنا كل أطوال الأمواج الممكنة المبينة في شكل (٧ - ٨ د) إلى مجموعتين بنخط رأسى هو λ_0 * فإننا نحصل دائماً على عدد محدود من الذبذبات المحتمل وجودها على يمين λ_0 ، ولكن على عدد لا نهائى بين λ_0 ونقطة الصفر . ويتطلب مبدأ تساوى التوزيع ضرورة إعطاء كل الطاقة المتوافرة لدينا إلى الذبذبات التي لها أطوال موجات أقل من λ_0 ، بصرف النظر عن مبلغ λ_0 من الصفر . وعلى ذلك إذا ملأنا مكعب جيتز بالضوء الأحمر ، فإن هذا الضوء سوف يبدأ في التحول (عن طريق الامتصاص وإعادة الإشعاع بوساطة غبار الفحم) إلى أشعة فوق بنفسجية ، وأشعة سينية ، وأشعة جاما

* يستخدم الحرف الإغريقى λ في جميع الكتب العلمية للدلالة على طول الموجة . (المترجم) .

وهلم جرا . . . وما يسرى على مكعب جيتز الافتراضى يجب أن يسرى على غيره كذلك بصفة عامة ، بحيث إننا إذا فتحنا مثلاً باب فرن المطبخ أو طاقة فى فرن القاطرة فإننا سوف نتعرض إلى أشعة قصيرة فتاكة تقتلنا حيث نحن فى الحال * . ومجمل القول من غير شك أن هذا ليس صحيحاً ، ولكنه ينجم عن استخدامنا لقوانين الفيزياء التقليدية القديمة ، تلك القوانين التى تعتبر بمثابة الأساس أو الدعامات التى شيد عليها صرح الفيزياء القديمة .

ومضت أعوام بعد أن نشر جيتز ورقته ، ولم يستطع هو ولا أى شخص آخر الوصول إلى تفسير هذه المفصلة ، وأخيراً فى الأسبوع الأخير من آخر عام من أعوام القرن الماضى تقدم عالم من علماء الفيزياء الألمان هو ماكس بلانك - شكل (٧ - ٩) - إلى السبورة فى اجتماع عيد الميلاد الخاص بالمجمع الألمانى بعلوم الفيزياء وأعلن عن رأى خارق لما هو معتاد ، فحواه أن الضوء وجميع أنواع الإشعاع الكهرمغناطيسى ، التى كانت تعتبر بمثابة الموجات المتتابعة بصفة مستمرة ، ما هى فى الواقع إلا حزم منفردة من الطاقة ، لكل حزمة منها قدر معلوم من هذه الطاقة . وتتوقف قيمة الطاقة التى تصاحب كل حزمة على الذبذبة التى تتردد بها ، بحيث تتناسب معها تناسباً طردياً ، طبقاً للمعادلة :

$$E = h \nu$$

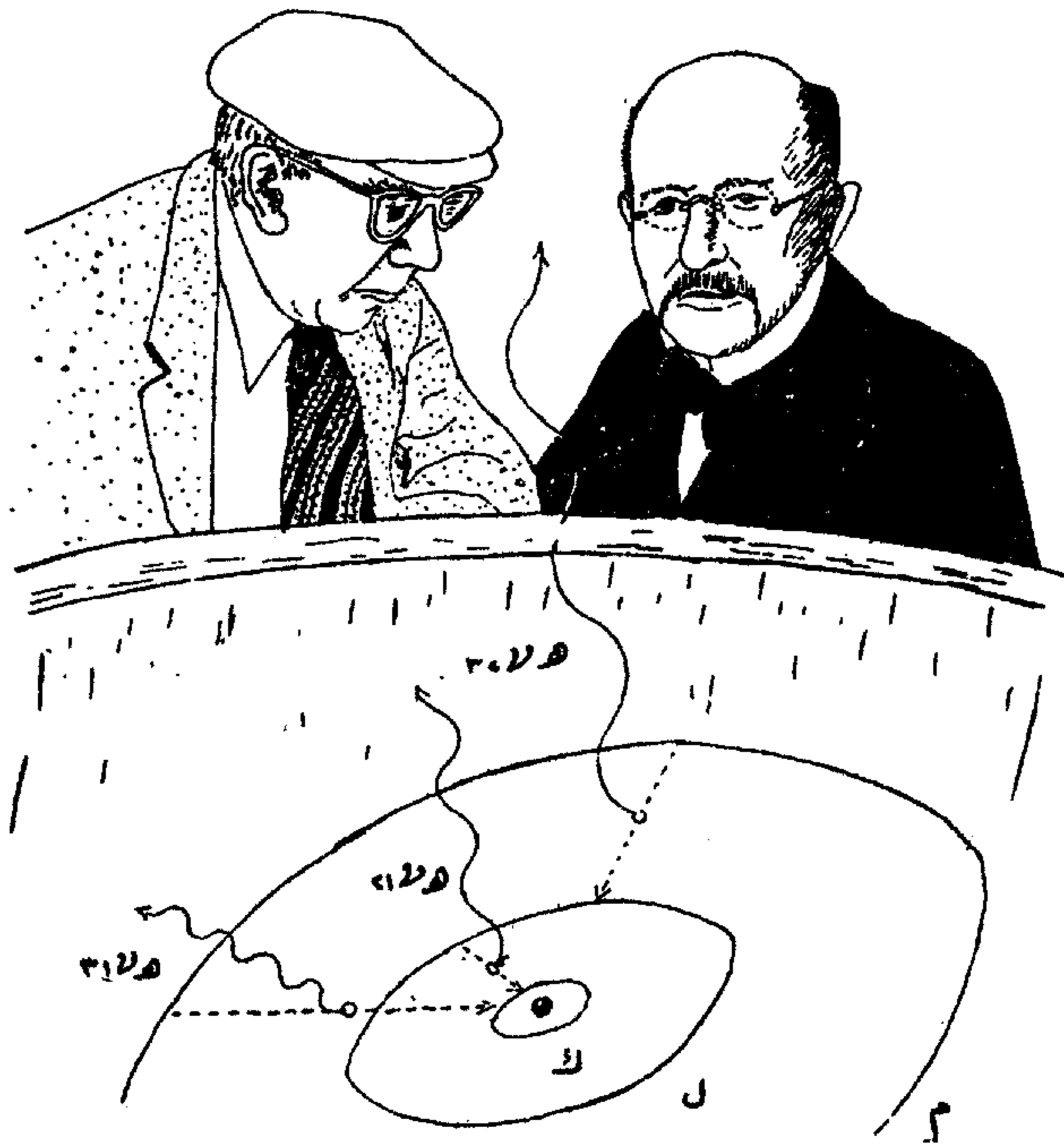
حيث h ثابت عالمى . وأطلق بلانك على حزم الطاقة هذه اسم « مجموعة الكم الضوئية » (أو على وجه عام : الكم الإشعاعية) ، ويعرف الثابت h باسم ثابت الكم ** .

والآن كيف تخلصنا هذه الفكرة الثورية من خطر كارثة الأشعة فوق البنفسجية لجيتز ؟ لكى نشرح للقارىء الطريقة باختصار نأخذ حالة رجل مات عن تركة قدرها ٦٠٠ دولار ، وليس له من وريث اللهم غير خمسة ممن لهم حساب : صاحب بار ، وجزار ، وصيدلى ، وبقال ، وخياط ، ويرغب كل منهم فى استرداد ما له من نقود ، إلا أن الدين الكلى يزيد كثيراً على النقود الموجودة . من الحلول

* هذا هو السر فى اختيار اسم (كارثة الأشعة فوق البنفسجية) (المترجم) .

** من الجائز أن تستخدم بعض الكتب العربية نفس اللفظ الإفرنجى وهو (كوانتم) Quantum بدلاً من كلمة كم العربية (المترجم) .

البسيطة لهذه المسألة أن نستخدم « قانون تساوى التوزيع » ، وبذلك نعطي كل فرد منهم ١٠٠ دولار . ولكن الأمر يتعقد باتباع المبدأ القائل بأن كل من الدائنين يجب أن يأخذ فقط كل ما له من نقود ، أو لا يأخذ شيئاً بتاتاً . فصاحب البار يريد أخذ كل دينه البالغ ٦٠٠ دولار ، ويطلب كل من الجزار والصيدلى بمبلغ ٣٠٠ دولار بينما يريد البقال ٢٠٠ دولار والخياط ١٠٠ دولار . ونظراً لعدم وجود المال الكافى لتسديد جميع هذه الديون ، يكون على القاضى أن يلجأ إلى ما يعرف بين المحامين باسم « الإنصاف » أى الحل القائم على المنطق . ومن الجلى والواضح أنه من غير المعقول أن يعطى صاحب البار كل الستمائة دولار ، ويحرم باقى الدائنين من أى مبلغ بتاتاً . وثمة حل آخر أكثر اعتدالاً ألا وهو أن يصرف نقوداً أكثر من أجل إرضاء الدائنين الذين لهم مطالب متواضعة ، ويرفض الصرف للمتزمين أو المغالين فى طلباتهم ، وبذلك يمكن مثلاً إعطاء الخياط ١٠٠ دولار ، والبقال ٢٠٠ دولار ، وأى من الجزار أو الصيدلى ٣٠٠ دولار ، (بالاقتراع باستخدام قطعة



شكل (٧ - ٩)

فيل بول (إلى اليسار) مع ماكس بلانك ، وانتقالات الكم فى ذرة الإيدروجين

من النقود) ، ولا يعطى شيئاً لصاحب البار (وتلاحظ هنا أن هذا المبدأ الذى اتبعناه فى تقسيم النقود إنما يستخدم بالفعل بوساطة مؤسسة العلوم الأهلية ، التى لا تمتلك إلا النذر اليسير من النقود وتحاول توزيعه بالإنصاف أو بالاعتدال بين مختلف الباحثين عن العقود) . ومن الأمور المشكوك فيها أن يعطينا التساوى فى التوزيع حلاً فريداً لا يضاهيه حل لمثل هذا النوع من المسائل ، ولكن الفيزياء الإحصائية يمكن أن توفر لنا مثل ذلك الحل . فبمجرد أن أدخلت افتراضات بلانك المتعلقة بالنهاية الدنيا للطاقة على الكم الضوئية التى لها أطوال موجات مختلفة ، ظهرت قوانين الإحصاء الرياضى الدقيقة ، وقد تخلصت من كثير من الذبذبات القصيرة الموجات لأية طاقة كانت ، وذلك بسبب مستلزماتها العزيزة المنال إلى درجة غير معقولة . ونتيجة لذلك حصلنا على معادلة لتوزيع الطاقة فى الإشعاع الحرارى تقصر أغلب الطاقة على طول الموجة المتوسطة ، فى حين جعلت المغالاة فى المطالب التى تستلزمها ذبذبات الموجات القصيرة نصيب هذه الموجات من تلك الطاقة النزر اليسير أو لا شئ فى المعادلة .

ولقد حدث توافق تام بين المعادلة التى صاغها بلانك على أساس فروض الكم الضوئى وكافة قوانين الإشعاع المعروفة ، إلا أنه نجم عن إدخال فكرة حزم الطاقة المنفردة على الصورة القديمة التقليدية لانتشار موجات الضوء ثورة فى الآراء لا يمكن مقارنتها إلا بتلك التى نجمت عن تجربة ميكلسون ومورلى .

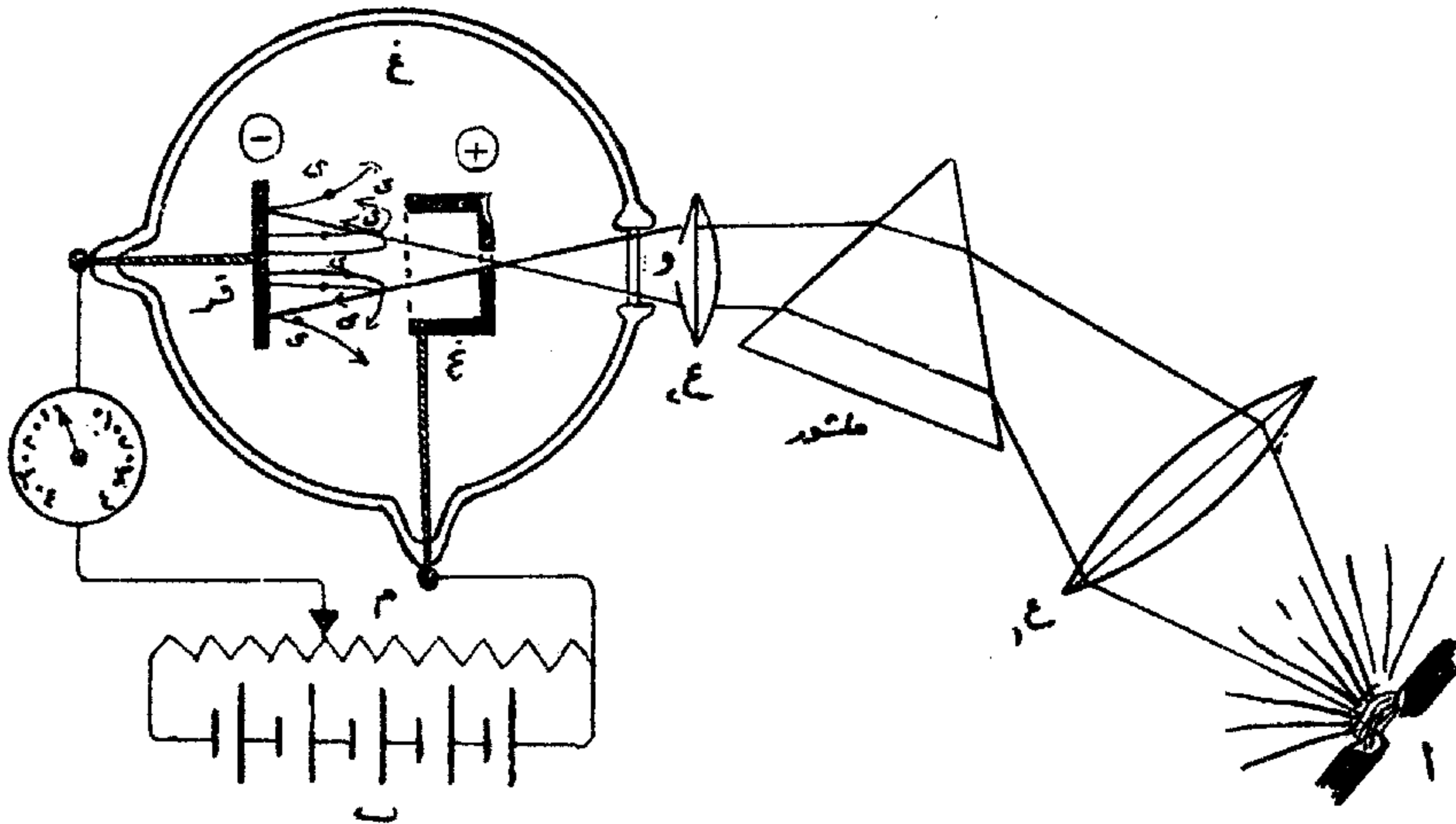
حقيقة مجموعات الكم الضوئية

فى الوقت الذى فيه بدت فكرة بلانك الأصلية بخصوص حزم طاقة الإشعاع غير واضحة المعالم تماماً ، واقتصر استعمالها على اتخاذها كأساس لتوزيع الطاقة توزيعاً إحصائياً بين أمواج الطيف المختلفة ، بدأت معالم الفكرة فى الظهور والتبلور بعد ذلك بسنوات خمس على يد ألبرت اينشتين فى بحث من ثلاثة بحوث نشرها عام ١٩٠٥ .*

* البحثان الآخران كما ذكرنا قبل ذلك عن الحركة البراونية ثم عن النسبية (المؤلف) .

وقد استخدم اينشتين فكرة الكم الضوئي في تفسير ما يسمى بالظاهرة (الكهرضوئية) ، إذ كان من المعروف خلال فترة طويلة من الزمان أن الضوء (وعلى الأخص الطاقة فوق البنفسجية) عندما يتساقط على أسطح المعادن يسبغ عليها شحنة كهربائية موجبة . وبعد اكتشاف الكهارب أمكن البرهنة على أن علة هذه الظاهرة هي انطلاق الكهارب من الأسطح المضاءة .

وبين شكل (٧ - ١٠) أجزاء الجهاز القياسى المستخدم في دراسة ظاهرة الكهرضوئية ، إذ يمر الضوء المنطلق من القوس الكهربائية ١ والذي يحتوى على مقدار وفير من الأشعة فوق (البنفسجية) خلال مجموعة مكونة من عدستين من الكوارتز ومنشور يفصل الأمواج المختلف بعضها عن بعض (لاستخدام جزء من الطيف أو حزمة لها لون بالذات) . وتدخل الحزمة التى يقع عليها الاختيار (والتي يمكن تغييرها بإدارة المنشور) من نافذة من الكوارتز ، وإلى أنبوبة مفرغة غ ، ثم يمر خلال ثقب في أسفل أسطوانة من النحاس نح ، ليسقط على قرص معدنى قر يمكن أن يصنع من معادن متباينة . ويستخدم فرق جهد كهربى متغير بين القرص والاسطوانة من أجل إبطاء سرعة تحرك الكهارب الضوئية المنطلقة (تؤخذ القوى الكهربائية من البطارية ب والمقاومة المتغيرة م ، على حين يقاس التيار الكهربى باستخدام الجلفانومتر ج) .



شكل (٧ - ١٠)

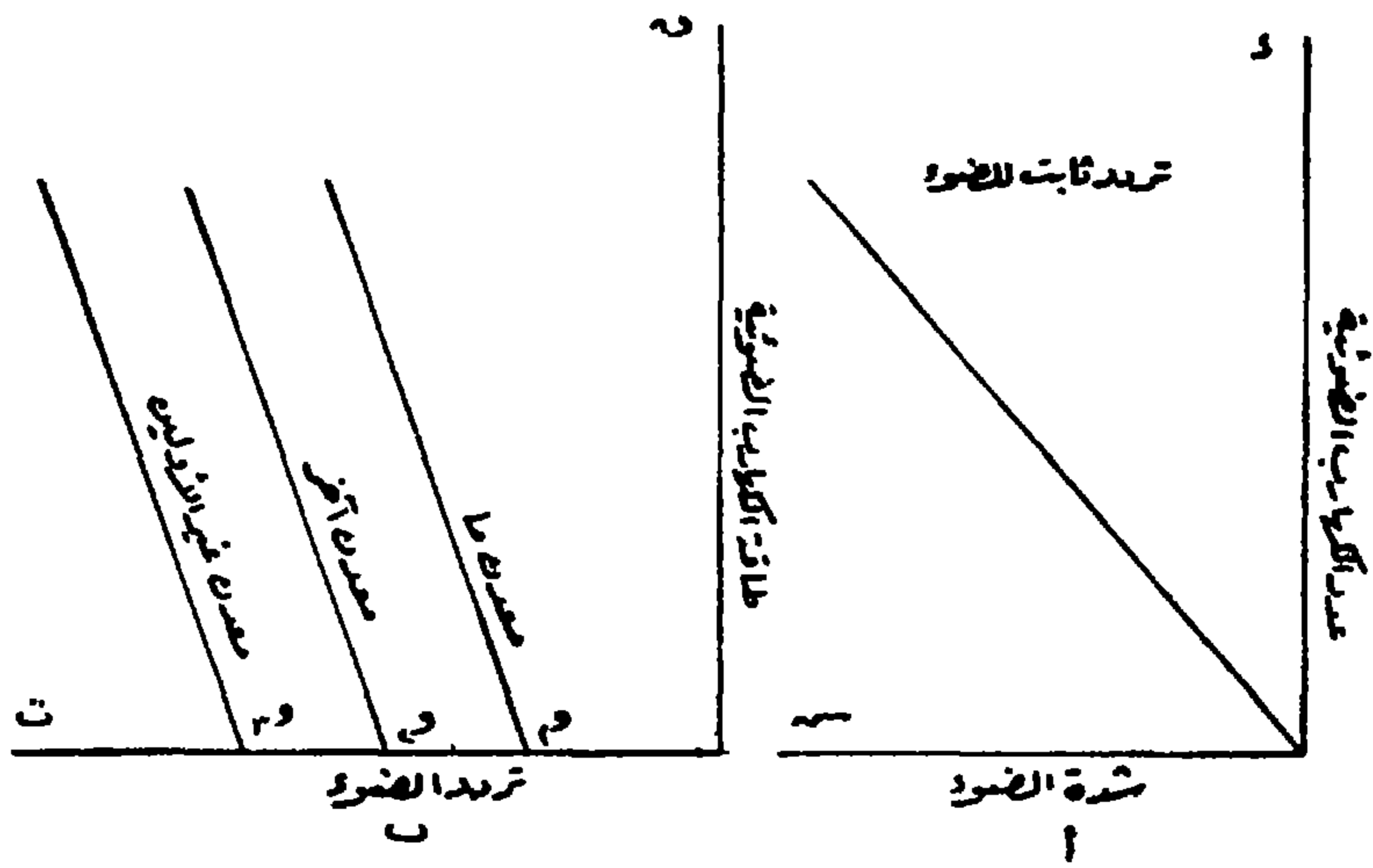
الأعداد الدراسية ظاهرة الكهرضوئية . توقف حركة الكهارب الضوئية المرسله من القرص (قر) نحو الأسطوانة (نح) تحت تأثير المجال الكهربى إذا كان فرق الجهد بين (قر) و (نح) يبلغ من الكبر القدر الكافى .

وعندما يساوى حاصل ضرب الجهد الكهربى المستخدم فى شحنة الكهارب مع طاقة حركتها يقف التيار الكهربى فى الدائرة . وعلى ذلك فيمكن عن طريق تغيير شدة التيار ، وطول موجة الضوء الساقط ، وقياس الجهد الذى عنده يقف التيار ، نقول يمكن تعيين العلاقة التى تربط شدة الضوء وكميته وسرعة الكهارب الضوئية . ولقد تمخضت الدراسات المعملية لظاهرة الكهروضوئية عن قانونين هامين هما :

- ١ - لأى ذبذبة معلومة للضوء المتساقط لا تتغير طاقة الكهارب الضوئية ، ولكن يزداد عددها متناسباً تناسباً طردياً مع شدة الضوء .
- ٢ - عندما تتغير ذبذبة الضوء المتساقط (بالزيادة) لا تنطلق أية كهارب حتى يتم الحصول على ذبذبة معينة ابتدائية (تتوقف على المعدن) . وعندما يزداد التردد بعد ذلك تزداد طاقة الكهارب الضوئية متناسبة طردياً مع فرق الذبذبة المستخدمة والذبذبة الابتدائية .

ويوضح (شكل ٧ - ١١) هذين القانونين باستخدام الرسم البيانى . ومهما يكن من شىء فإنه رغم بساطتهما التامة لم يتفق منطوقهما ولم يتمش مع ما تكهنت به نظرية الضوء الكهرومغناطيسية التقليدية . فتبعاً لتلك النظرية تعنى الزيادة فى شدة الضوء ازدياد قيمة القوة الكهربائية المترددة فى الموجة . وعندما تؤثر هذه القوة الكهربائية الأكثر شدة فى الكهارب القريبة من سطح المعدن (هى الكهارب التى تحمل التيار الكهربى فى الأسلاك المعدنية) ، نجدها تقذف بها إلى الخارج بطاقة حركة أكبر . ولكن التجربة دلت على أنه حتى إذا ازدادت شدة الضوء مائة ضعف تنبثق الكهارب الضوئية بنفس السرعة . ومن ناحية أخرى يبين المنحنى المرسوم فى شكل (٧ - ١١) علاقة واضحة تماماً بين سرعة الكهارب (أو طاقات حركتها) وتردد الضوء الساقط ، وهى علاقة يتضح منها عدم صلاحية نظرية الضوء الكهرومغناطيسية القديمة .

وعندما نستخدم فكرة مجموعات كم الضوء التى تحمل بين طياتها مقادير معينة من الطاقات التى تتناسب مع ترددها ، يمكن على كل حال الوصول إلى تفسير قانونين من قوانين الفيزياء التجريبية ، وذلك بطريقة طبيعية تماماً . فعندما يرتطم كم ضوئى ساقط بسطح معدن ما ويؤثر فى أحد الكهارب ، يتحتم على الكم أن يوصل أو ينقل إلى هذا الكهرب كل طاقته ، وذلك لأنه لا توجد طاقة تقل عن



شكل (٧ - ١١)

القوانين الخاصة بالظاهرة الكهروضوئية والتي وجدت بالتجربة . (ا) توقف عدد الكهارب الضوئية على شدة الضوء . (ب) توقف طاقة الكهارب الضوئية على تردد الضوء .

كم واحد . وعلى ذلك فإن القيم المتزايدة من طاقة الضوء المتساقط إنما تعنى المزيد من عناصر الكم الضوئي التي لها نفس التردد ، ومن ثم المزيد بنفس النسبة من الكهارب التي لها نفس طاقة الحركة . وعندما تزداد ذبذبات الضوء الساقط يختلف الوضع : فإن كل كم ضوئي تصبح له في هذه الحالة طاقة أكبر . وعندما يعطيها لأحد الكهارب يقذف به إلى خارج المعدن بسرعة أكبر . وعندما يمر الكهرب على سطح المعدن يفقد جانباً من الطاقة التي أخذها من كم الضوء . وتتوقف هذه الكمية من الطاقة على طبيعة المعدن ، وتعرف باسم (دالة الشغل) ، وهو اسم غير لائق تماماً . وعلى ذلك فإن طاقة الكهرب الضوئي تعطيه قاعدة بسيطة جداً هي :

$$E = h \nu - \phi$$

حيث ϕ هي دالة الشغل للمعدن المستعمل . وما دامت $h \nu$ أقل من ϕ (أو E أقل من الصفر) فلا تكتسب الكهارب طاقة كافية من أسراب الكم الضوئي تمكنها من عبور السطح ، وبذلك لا يحدث شيء . ولكن بمجرد أن تصبح $h \nu$ أكبر من ϕ ، تبدأ عملية انطلاق الكهارب تحت وطأة الضوء المتساقط ، وتزداد طاقة الكهارب متناسبة طردياً مع $h \nu$. ومن اللازم أن يكون ميل المنحنى الذي في

شكل (٧ - ١١ ب) مساوياً لثابت الكم h ، وهذه هي الحقيقة . وعلى ذلك فبضربة واحدة فسر أينشتين قوانين الظاهرة الكهرمغناطيسية الغامضة ، وأعطى بذلك سنداً قوياً لفكرة بلانك الأصلية المتعلقة بأفراد كم الطاقة الإشعاعية .

ومن بين القرائن الهامة التي أيدت فروض الكم الضوئي ، تلك الفروض التي كانت آنئذ في مرتبة تسمح بأن نطلق عليها اسم نظرية ، ما ورد ضمن أعمال عالم الفيزياء الأمريكي « آرثر كمتن » من لاعبي « الجيتار » المعروف في جزر هاواي ، ومن أبطال لعبة التنس وعظماء الدين بحثوا في طبيعة الأشعة الكونية . ولقد أكسبته هذه الدراسات الأخيرة شهرة أنه أقوى رجل في المكسيك بأسرها . وكانت الظروف التي عاش فيها كمتن كما قصها بنفسه على مؤلف هذا الكتاب على النحو الآتي :
كان على كمتن - وهو يدرس تغير شدة الأشعة الكونية من القطب إلى خط الاستواء - أن يعمل بعض قياسات على شدتها في مكان ما في جنوب المكسيك . وكان لابد من تخير موقع محطة الرصد بعيداً عن المدن حتى يمكن تلافي الاضطرابات والتقلبات التي تسببها خطوط القوى الكهربائية والمواصلات إلخ . . . ولكنه في نفس الوقت يلزم أن يمد الموقع بما يبي الغرض من التيار الكهربائي . ووقع الاختيار على دير للكاتوليك على مسافة ما جنوبي مدينة المكسيك ، وامتاز هذا المكان بالسكون ، وكان فيه محطة خاصة لتوليد الكهرباء وبطاريات للشحن ، كما كان رئيس الدير يحب المعاونة في تقدم العلوم . ووصل كمتن محطة السكة الحديد القريبة من الدير ومعه نحو اثني عشر صندوقاً محملة بالعتاد العلمي ، وبدأت صناديق الخشب في غاية النظافة ، وكان الواحد منها في حجم حقيبة (شنطة) الملابس المتوسطة وله يدان جميلتان من المعدن . واحتوى صندوقان من هذه المجموعة على أربعة من الكتر ومترات كهراوش - كرات معدنية سوداء لها نوافذ صغيرة يشاهد منها سلك لتسجيل الشحنة الكهربائية ، أما باقي الصناديق فكانت محملة بقوالب الرصاص التي تستخدم كدرع يقي من الإشعاع .

وجميع من زاروا المكسيك يعلمون تماماً أنه بمجرد الوصول إلى المحطة ، يحاط الركاب في الحال بجمع من الحفاة من الرجال والصبية وهم يصيحون Lleva su equipaje señor « الليفو سوا كويبا جي سنيور ؟ » ، ثم يسرعون إلى سحب حقائب

السفر من اليد . وفي تلك الحالة التقط كمتن الصندوقين المحتويين على الكترومترا كهلراوش Kohlrausch وأوما للمكسيكيين لحمل الباقي . وحدث أن تتابع القوم على النحو الآتي : أمريكانو دستنجويدو Americano distinguido يسير ببطء على طول الرصيف وهو يهز بين يديه صندوقين من صناديق الأجهزة ، يتبعه صف من المكسيكيين يحمل كل اثنين منهم صندوقاً وقد انحنوا جميعاً تحت وطأة أوزانها . ولكن لم يكن ذلك هو نهاية القصة ، فعندما وصلت عربة النقل تحمل كمتن وصناديق أجهزته إلى أبواب الدير أوقفها جنديان من قوات المكسيك . وطلبا فحص الصناديق ، والمهم في هذا الموضوع أنه في تلك الآونة كانت حكومة المكسيك مشغولة بخلاف عظيم نشب بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية ، مما أدى إلى وضع الحراس حول جميع المعاهد الكاثوليكية . وعندما فتح الجنديان الصناديق وجدا « أربع قنابل سوداء والوفير من الرصاص » وقد يكون الغرض الوحيد من هذا الأخير هو في الأغلب عمل القذائف النارية (الرصاص) . وألقى القبض على كمتن ، وألزم بالانتظار ساعات عديدة في مركز البوليس المحلي قبل أن تحل الاتصالات التليفونية البعيدة مع السفير الأمريكي في مدينة مكسيكو هذا الإشكال . ولقد دلت القياسات على أن حدة الأشعة الكرونية في ذلك الدير تطابق تماماً ما كان منتظراً أو ما قدر بالحساب .

وعندما نعود إلى ذكر ظاهرة كمتن ، نجد أنه نظراً لما تميز به الرجل (كمتن) من المقدرة الفائقة على إجراء التجارب ، أراد أن يوضح التصادم بين وحدات الكم الضوئية والكهارب على فرض تشابهه بتصادم كرات العاج في لعبة « البليارد » ، غير أنه بينما تشابه تماماً جميع كرات البليارد (إلا من حيث اللون) يلزم أن نعتبر وحدات الكم الضوئية والكهارب مختلفة الكتلة . وقال كمتن إنه على الرغم من أن الكهارب التي تكون جهاز الكواكب في الذرة تحتجزها نواة المركز بتأثير قوى التجاذب الكهربية ، فإن هذه الكهارب تبدو كأنما لها مطلق الحرية عندما تحمل وحدات الكم الضوئية التي ترتطم بها مقادير من الطاقة تبلغ من الكبر القدر الكافي . فلنفرض مثلاً أن كرة سوداء (كهرباً من الكهارب) تقف في حالة من السكون على طاولة البليارد ويمسكها حبل متصل بمسار مثبت في سطح الطاولة ، في حين يحاول أحد

اللاعبين ، وهو لا يبصر الحبل ، وضعها في الجيب الجانبي عن طريق صدمها بكرة بيضاء (الكم الضوئي) . فإذا ما أرسل اللاعب كرتة بسرعة صغيرة نسبياً فإن الحبل سوف يصددها لحظة التصادم وبذلك لا ينجم شيء عن هذه المحاولة . أما إذا ازدادت سرعة الكرة البيضاء بعض الشيء فربما ينقطع الحبل ، إلا أنه يسبب من الخلل والاضطراب ما يجعل الكرة السوداء تسير في الاتجاه الخاطئ تماماً . ولكن على أية حال ، إذا كانت طاقة حركة الكرة البيضاء تزيد بنسبة كبيرة على ثمانية الحبل الذي يمسك الكرة السوداء ، فإن وجود الحبل سوف لا يؤدي إلى أثر يذكر ، وتكون نتيجة التصادم بين الكرتين شبيهة تماماً بما يحدث عندما تصبح الكرة السوداء غير مربوطة .

وكان كمتن يعرف أن الطاقة التي تملك كهارب الذرة الخارجية يمكن مقارنتها مع طاقة كم الضوء المرئي ، وعلى ذلك فلكى يجعل التصادم يحدث بقوة تفوق حدود القوة المطلوبة تخير لإجراء تجربته وحدات الكم الغنية بالطاقة للأشعة السينية ذات التردد العالي . وليس من شك أن نتيجة التصادم بين كم الأشعة السينية والكهارب الحرة (تقريباً) يمكن أن تعالج بنفس الطريقة التي تعالج التصادم بين كرات البليارد . ففي حالة التصادم بمقدمة الكرة المتحركة نجد أن الكرة الساكنة (الكهربي) تندفع بسرعة كبيرة في نفس اتجاه التصادم ، على حين تفقد الكرة الأولى (كم الأشعة السينية) جزءاً كبيراً من طاقتها . وإذا كان التصادم جانبياً فإن الكرة الساقطة تفقد كمية أقل من الطاقة كما تعاني قدراً أصغر من الانحراف عن خط سيرها الأصلي . أما إذا كان الذي يحدث هو مجرد التماس فإن الكرة الساقطة سوف تستمر في سيرها دون انحراف يذكر على وجه التقريب . كما أنها لن تفقد إلا التزر اليسير من طاقتها الأصلية . ونحن عندما نعبر عن ذلك بالتصرف بلغة الكم الضوئي نقول : « في عملية التشتت تكون لوحداث كم الأشعة السينية التي تنحرف بزوايا كبيرة كمية أصغر من الطاقة ، ومن ثم طول موجة أكبر » . ولقد أيدت التجارب التي أجراها كمتن تأييداً مفصلاً ما تكهنت به الدراسات النظرية ، وبذلك أضافت عوناً جديداً ونصراً لفروض الكم الخاصة بطبيعة الطاقة الإشعاعية .

ذرة بور

في عام ١٩١١ وصل مانشستر أحد الشبان الدانمركيين (٢٥ سنة) المشتغلين بالفيزياء هو نيل بور - شكل (٧ - ٩) - الذي استخدم في أثناء دراساته في جامعة كوبنهاجن خبرته كلاعب كرة يعرفه الشعب واستعان بها في حلّ مسألة « تضليل » أشعة ألفا خلال أكّداس الذرات التي تحاول صدها والوقوف في سبيل تحركها . وفي ذلك الحين كان رذرفورد قد بدأ عهد إجراء تجاربه التي أدت إلى اكتشاف نواة الذرة ، وقد أعجبت بور آراء رذرفورد ، وقال هذا الأخير لصديق له : « إن هذا الدانمركي الصغير أذكى شخص قابلته في حياتي » وهكذا أصبح الاثنان صديقين وظلا يتعاونان إلى النهاية .

ويكاد يكون من المستحيل وصف نيل بور لمن لم يعمل معه قط . ولعل أهم صفاته المميزة تفكيره البطيء وإدراكه الشامل . وفي أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن ، عندما كان مؤلف هذا الكتاب واحداً من « أولاد بور » الذين يعملون في معهده بكبنهاجن على زمالة كارلسبرج (أحسن بيرة في العالم) ، أتاحت له فرص عديدة لمشاهدة خصاله ولسها عن كثب ؛ فكم من مرة في المساء عندما كانت حفنة من تلامذة بور الذين « يعملون » في معهده بكبنهاجن تناقش آخر مسائل نظرية الكم ، أو تلعب تنس الطاولة على منضدة المكتبة وقد وضعت عليها أقذاح القهوة للزيادة من صعوبة اللعبة ، كان بور يظهر شاكياً من فرط تعبته وإرهاقه ، ويبدى رغبته في أن « يفعل شيئاً ما » . والمقصود من أن (يفعل شيئاً ما) كان يعنى لزماً التوجه إلى دور السينما. وكان بور يحب من الأفلام السينمائية ما تسمى "The Gun Fight at the Lazy Gee Ranch or The Lone Ranger and a Sioux Girl." ولكن كان من الصعب الذهاب معه إلى السينما ، فهو لا يستطيع تتبع العرض ويظل يسألنا باستمرار ، مسبباً أكبر أنواع الانزعاج لباقي المتفرجين ، ومن أمثلة أسئلته : « هل هذه هي أخت راعي البقر الذي قتل الهندي الذي حاول سرقة قطيع الماشية الذي يمتلكه شقيق زوجها ؟ »

وكان هذا البطء نفسه في التفكير يبدو واضحاً عليه في الاجتماعات العلمية . فكم من مرة ألقى أحد الشبان المشتغلين بالفيزياء (كان أغلب زوار كبنهاجن الفيزيائيين من الشبان) حديثاً رائعاً عن حساباته الحديثة . . في مسألة تتعلق بنظرية الكم . ورغم أن كل فرد من المستمعين يفهم تفاصيل المحاضرة تماماً ، إلا بور فإنه لا يفهمها كلها ، وعلى ذلك يبدأ كل شخص يوضح لبور النقطة البسيطة التي فاتته تتبعها ، وبذلك يقف تتبع الجمع للمحاضرة . وأخيراً وبعد مضي مدة طويلة جداً ، يبدأ بور التتبع والفهم وتكون النتيجة أن ما يفهمه خاصاً بالمسألة التي يعرضها الزائر يختلف تماماً عما يقصده هذا الزائر ، وأن الأول يصيب حيناً يخطئ الثاني .

ونجم عن كثرة تردد بور على السينما الغربية ظهور نظرية لا يعرفها أحد سوى رفاقه في السينما في ذلك العهد . فنحن جميعاً نعرف أن السينما الغربية تقدم دائماً أهل الشر والمكاريين أولاً ، ولكن البطل يكون أسرع تحركاً ويقتل في جميع الأحوال أولئك اللثام وأهل الشر . ولقد أرجع نيل بور تلك الظاهرة إلى الفروق بين الأعمال الصادرة عن إصرار وعناد والتصرفات المشروطة ، فالشرير عليه دائماً أن يفكر قبل اللحظة التي يرفع فيها سلاحه فيستدل من ذلك على تصرفاته ، في حين تكون حركات البطل أسرع نظراً لأنه يعمل من غير تفكير بمجرد أن يبصر الشرير يتلمس سلاحه . ولقد خالفناه جميعاً في هذه النظرية ، وفي صباح اليوم التالي ذهب المؤلف إلى حانوت لبيع اللعب لشراء زوج من مسدسات رعاة البقر ، وأفرغنا كل ما فيها مع بور ، الذي مثل دور البطل وقتلنا جميعاً على بكرة أبينا .

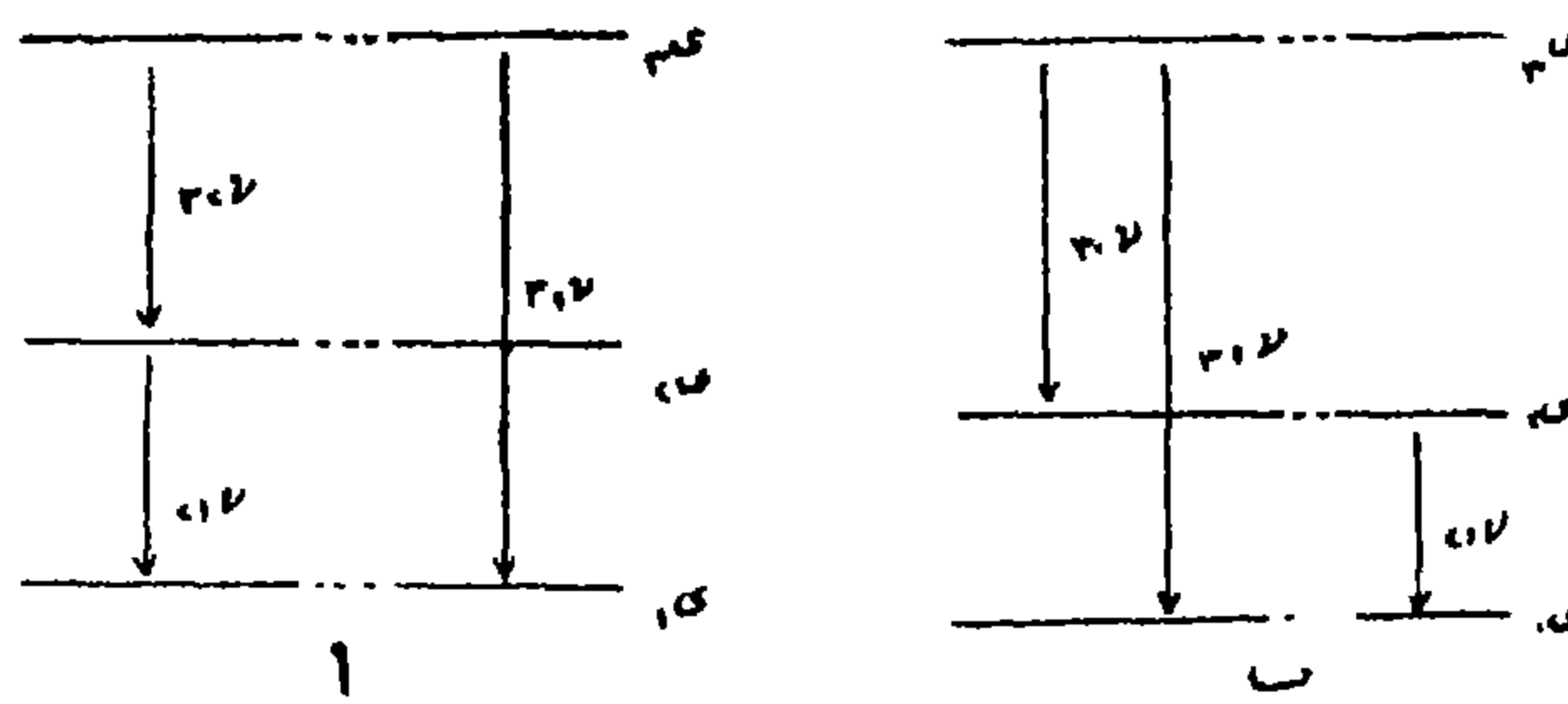
ومن الأمثلة الأخرى التي تدل على بطء تفكير بور عدم مقدرته على العثور على حل سريع في مسابقات الكلمات المتقطعة . ففي مساء يوم من الأيام توجه مؤلف هذا الكتاب إلى بيت بور الريفي في تسفيليجي (شمال جتلاندا) حيث كان بور قد أمضى اليوم بأكمله يعمل مع مساعده ، ليون روزنفلد (من بلجيكا) في كتابة ورقة هامة حول موضوع « علاقات عدم الثابت - سيجي » ذكرها فيما بعد - ، للمجال الكهرمغناطيسي . وكان كل من بور وروزنفلد مرهقاً تماماً من عمل اليوم ، وبعد تناول وجبة العشاء اقترح بور لأجل الاسترخاء والراحة أن يعتمد الجمع إلى حل مسابقات الكلمات المتقطعة الواردة في إحدى الجرائد البريطانية . ولم تسر الأمور

على ما يرام ، وبعد مضي نصف ساعة اقترحت فروبور (fru هي اللفظ الدانمركي لكلمة السيدة أو مدام) أن نذهب جميعاً للنوم . وفي ساعة غير معروفة تماماً من تلك الليلة استيقظت أنا وروزنفلد (وقد كنا نشترك في غرفة واحدة للضيوف في الطابق العلوى) إثر طرق على الباب . فقفزنا في الظلام ونحن نصيح : « ماذا ؟ ما الذى حدث ؟ » وأقبل صوت من الباب يقول : « إننى أنا بور ، إننى لا أقصد إزعاجكما ، ولكننى وددت أن أقول فقط إن المدينة الصناعية الإنجليزية المكونة من سبعة أحرف وتنتهى بلفظ تش هي أيسوتش » .

ومن أحب التعبيرات إلى نفس بور قوله : « إننى لا أقصد . . . ولكن . . . » .
وكم من مرة يسير وقد فتح إحدى المجلات بين يديه وهو يقول : « لا ، إننى لا أقصد النقد ، ولكننى وددت فقط أن أفهم كيف يكتب شخص هذا الهراء » .
وثمة قصة أخرى واقعية عن نيل بور نذكرها قبل أن تنتقل إلى نظريته عن الذرة . فقد حدث مرة في ساعة متأخرة من الليل (حوالى الساعة ١١ مساءً بحسب توقيت كبنهاجن المحلي) أن كان مؤلف هذا الكتاب عائداً مع بور وفروبور وأحد الفيزيائيين الهولنديين وهو كاز كازيمير من حفلة عشاء كان قد أقامها أحد أعضاء معهد بور . وكان كاز « ذبابة بشرية » ماهرة (اللفظ الألماني هو Fasadenkläterer فاسادنكلاتيرر) ، فكثيراً ما كنا نراه في مكتبة المعهد وقد ألصق جسده بالقرب من السقف وهو يمسك بكتاب في يده ويمد ساقيه على طول رفوف الكتب العليا . وكنا نسير في شارع غير مطروق ، ومررنا ببناء أحد البنوك . وكانت واجهة البنك مكونة من قوالب ضخمة من الأسمنت بينها ما يطلق عليه أهل ألبنيا اسم « المواقف » . وقد استرعت انتباه كازيمير ، فراح يتسلقها إلى نحو الطابق الثانى . وعندما عاد ، أحب بور أن يمرن قدميه فتسلق ببطء جدار المصرف ، ولما تملكنا الخوف عليه وقفت السيدة بور ومعها كازيمير وأنا نرقب من أسفل تقدم بور البطيء في تسلق الجدار . وفي تلك اللحظة أقبل جنديان من حراس الليل في كبنهاجن وأسرعنا إلينا من الخلف استعداداً للتنفيذ ، ثم دفعا بصرهما إلى بور وقد تعلق بين الطابق الأول والثانى ، وقال أحدهما : « لا بأس ، ما هو إلا الأستاذ بور » . وبعد أن تأكدا من شخصيته انسحب الجنديان المكلفان برعاية القانون والنظام بأمان في غير ما جلبة ولا ضوضاء .

وبعد أن تهيأ ذهن القارئ بهذه الملاحظات ، نستطيع أن نناقش نظرية بور عن الذرة ، تلك النظرية التي نشرها عام ١٩١٣ ، وكانت تعتمد على الحقيقة التي أمارط عنها رذرفورد اللثام ، وهي أن للذرات نوى ثقلاً ذوات شحنات موجبة ، وتلف من حولها أسراب الكهارب أو تدور على هيئة مجموعة من الكواكب الصغيرة . وكانت أول عقبة اعترضت سبيل بور في تلك الصورة أن الذرات لم تستطع البقاء أكثر من كسر لا يذكر من الثانية . فمن المؤكد أن الكهرب الذي يسبح بسرعة في فلكه يعادل تماماً مولد الذبذبات الكهربى ولا بد من أن يرسل أمواجاً كهرومغناطيسية ، وعلى ذلك فسرعان ما يفقد طاقته . وكان من السهل أن يقدر بالحساب أن مجموعة متتابعة من الكهارب الذرية تتحرك على طول مسارات لولبية تتساقط على النواة في زهاء جزء واحد من مائة مليون جزء من الثانية . وكان هذا الوضع محيراً تماماً كوضع أشعة جيتز فوق البنفسجية ، وكان واضحاً أمام بور أن حل هذه المشكلة يجب أن يلتبس (على نفس النمط) وبنفس الطريقة . فإذا كانت طاقة الإشعاع لا توجد إلا على هيئة نهايات صغرى من الكم الكلى فلماذا لا نفترض نفس الشيء بالنسبة إلى الطاقة الميكانيكية للكهارب وهي تدور وتلف من حول النواة؟ وفي هذه الحالة يلزم أن تمثل حركة الكهارب في الوضع العادى للذرة النهاية الدنيا للطاقة ، في حين تمثل حالات الاستثارة أعداداً أكبر من وحدات كم الطاقة هذه الميكانيكية . وعلى ذلك فإن الوسيلة التي تتبعها الذرة هي إلى حد ما شبيهة بما يحدث في صندوق نقل السرعة في السيارة . فهذا الأخير من الجائز ضبطه على السرعة الأولى أو الثانية أو النهاية العظمى ، ولكن ليس من الممكن ضبطه على ما بين هذه القيم من السرعة . فإذا كانت حركات الكهارب الذرية والضوء الذى تشعه كلاهما يخضع للكم فإن انتقال أحد الكهارب من مستوى كم أعلى إلى آخر أقل داخل الذرة يجب أن ينجم عنه إشعاع كم ضوئى تكون فيه $h \nu$ تساوى فرق الطاقة بين المستويين . وعلى العكس ذلك ، إذا كانت $h \nu$ من كم ضوئى ساقط تساوى فرق الطاقة بين الحالة العادية وحالة الاستثارة لذرة من الذرات ، فإن الكم الضوئى سوف يتم امتصاصه وبذلك ينتقل الكهرب من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى . ويمثل شكل (٧ - ١١٢ ، ب) هذه الطرق لتبادل الطاقة بين المادة والإشعاع ، وهو يقودنا إلى نتيجة

هامة جداً . إذا أمكن إشعاع كم ضوئي طاقته $h\nu_{32}$ بانتقال كهربي من الوضع 3 إلى الطاقة إلى الوضع 2 ، وإذا كان الانتقال من 2 إلى 1 ينجم عن إشعاع كم ضوئي طاقته $h\nu_{21}$ ، فمن الممكن أن نشاهد ، في بعض الحالات على الأقل ، كمًا ضوئيًا طاقته $h\nu_{31} = h\nu_{32} + h\nu_{21}$ ، الذي ينتمي إلى انتقال مباشر من 3 إلى 1 . وكذلك فإن إرسال كميتين من الضوء طاقتاهما $h\nu_{32}$ ، $h\nu_{21}$ يجعلنا نتوقع احتمال إشعاع ضوء له كم ضوئي يساوي $h\nu_{31} = h\nu_{32} + h\nu_{21}$



شكل (٧ - ١٢)

يمثل مبدأ رديبرج . (ا) إذا استطاع أحد الكهارب القفز من الوضع 3 للطاقة إلى الوضع 2 مرسلًا ذبذبة قدرها $h\nu_{32}$ ، ثم استطاع أن يقفز مرة أخرى من 2 إلى 1 مرسلًا الذبذبة $h\nu_{21}$ ، فإنه حتمًا يجوز وجود انتقال مباشر من 3 إلى 1 حيث يتم إرسال الذبذبة $h\nu_{31} = h\nu_{32} + h\nu_{21}$. (ب) إذا استطاع أحد الكهارب القفز من 3 إما إلى 2 مرسلًا الذبذبة $h\nu_{32}$ ، أو إلى 1 مرسلًا الذبذبة $h\nu_{31}$ ، فإنه يتحتم كذلك جواز الانتقال من 2 إلى 1 مع إرسال الذبذبة $h\nu_{21} = h\nu_{31} - h\nu_{32}$.

$h(\nu_{32} - \nu_{21})$. وبغض النظر عن h نقول إننا لو شاهدنا ترددتين معينتين لذبذبات مرسلّة في طيف ذرة معينة ، فإننا نتوقع وجود حاصل جمعهما أو الفرق بينهما كذلك ، وهذا هو عين ما يطلق عليه اسم « مبدأ الجمع لردبرج » ، الذي اكتشفه عمليًا عالم الطيف الألماني رديبرج قبل ظهور نظرية الكم بمدة طويلة .

ولم تترك كل الحقائق التي وضعناها سابقاً أي ريب في أن الفكرة الأساسية لبور الخاصة بإسباغ صبغة الكم على الطاقة الميكانيكية هي فكرة صائبة تماماً ، ولا يبقى سوى استخلاص القواعد الخاصة بصبغة الكم هذه . ولقد عمد بور من أجل

إنجاز هذه المهمة إلى دراسة أبسط الذرات قاطبة ، وهى ذرة الأيدروجين ، التى تتكون حسب ما قدمناه سابقاً من كهربي واحد يدور حول النواة التى تحمل وحدة موجبة من الشحنة ، أو البروتون كما نسميها الآن. ويتكون الطيف المرئي للأيدروجين من خطوط أربعة : أحدها أحمر والثاني أزرق ، أما الثالث والرابع فهما بنفسجيان ، إلا أن دراسة الجانب فوق البنفسجي من الطيف أظهر كثيراً من الخطوط ذوات الأمواج القصيرة . وتبين اللوحة رقم (٢) هذا الطيف ، حيث رتبت خطوط الطيف ترتيباً تصاعدياً بالنسبة للتردد . وكان يعرف مثل هذا التابع فى الخطوط ، التى يقترب بعضها من بعض أو هى تتزاحم رويداً رويداً ، متقاربة بذلك من نهاية بالذات ناحية الذبذبات العالية ، نقول كان مثل هذا النوع يعرف فى علم دراسة الطيف باسم « المتواليات » أو حتى « المتسلسلات » ، والمتوالية الأيدروجينية هى أقربها مثالية وأكثرها انتظاماً . وفى عام ١٨٨٥ اكتشف مدرس ألماني الجنس كان يعمل بإحدى المدارس ، وهو ج . ج . بالمر ، أنه يمكن تمثيل خطوط طيف الأيدروجين (المعروفة الآن باسم متوالية بالمر) بالقانون الآتي المتناهي فى البساطة :

$$\gamma = \left(\frac{1}{4} - \frac{1}{n^2} \right) ,$$

حيث γ تمثل عدداً ثابتاً ، أما رفتأخذ القيم ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ . . إلخ (ويلوح أن لا يمكن أن تساوى ١ أو ٢ وإلا صارت قيمة γ فى هذه الحالة سالبة أو صفراً) .

وبضرب هذا القانون الرياضى فى h ، لكى نحصل على طاقة مجموعات الكم الضوئي المرسله بالإشعاع على اليسار ، نجد أن

$$h \gamma = h \left(\frac{1}{4} - \frac{1}{n^2} \right) , \text{ الذى أعاد بور كتابته بالصورة :}$$

$$h \gamma = h \left(\frac{1}{4} - \frac{1}{n^2} \right)$$

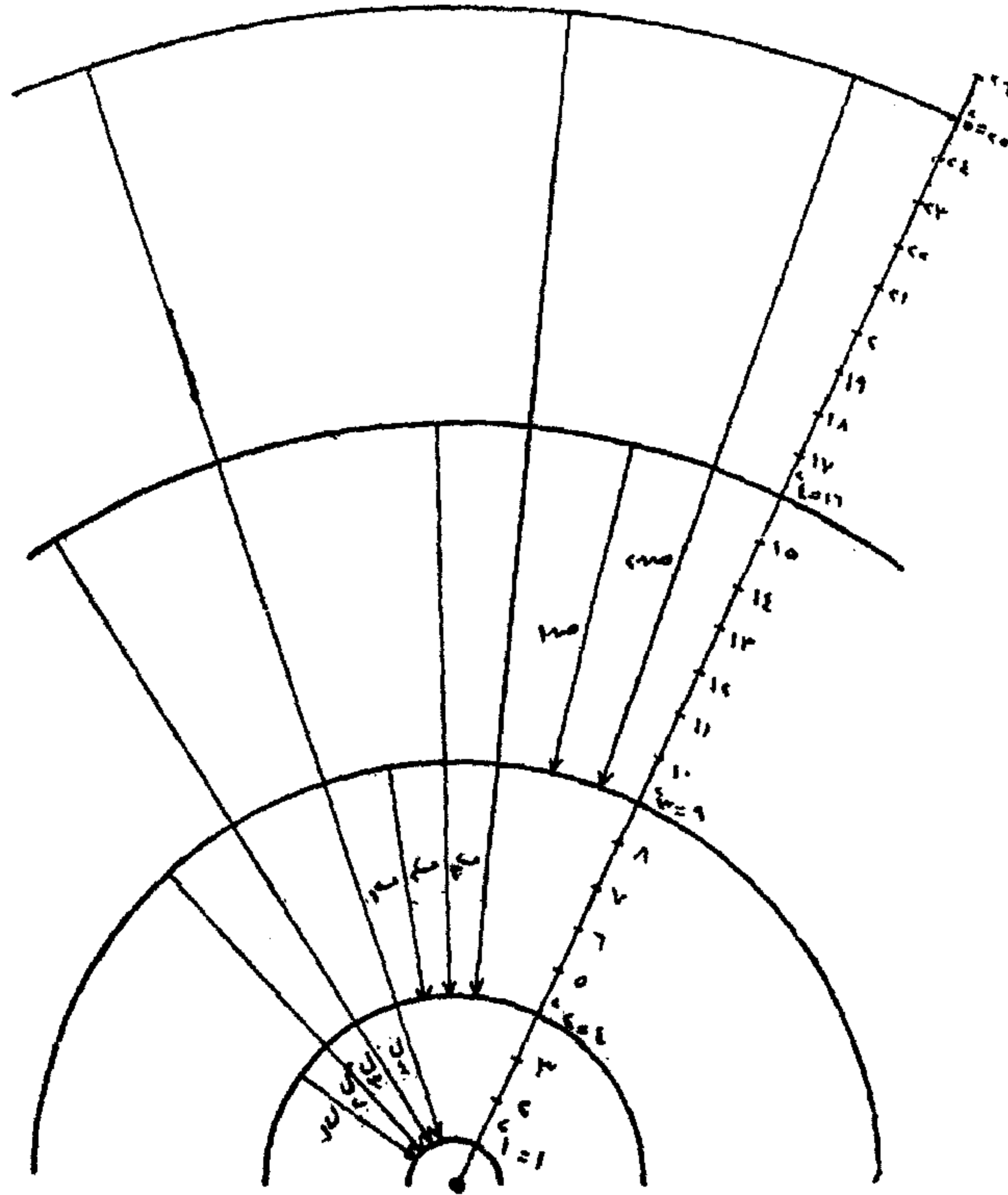
حسب حقيقة معروفة تماماً فى علم الحساب .

ويمكن أن نتبين مما سبق أن $\frac{h}{4\pi m r^2}$ إنما تمثل مستويات الطاقة (أو أوضاعها)

للكهرب فى ذرة من ذرات الأيدروجين ، تلك المستويات التى تحدث بينها الانتقالات المؤدية إلى إشعاع خطوط بالمر . وقد جعلنا علامة (السالب) تسبق كل كمية منها

نظراً لأن طاقة مسار الكهرّب في أى ذرة هي طاقة سالبة ، وبكل بساطة نجد أن معنى ذلك هو أن طاقة حركتها أقل من طاقة وضعها في المجال الكهرّبى ، فلا تستطيع الإفلات . فما هو نوع الحركة الحادثة من حول النواة والتي يمكن أن تقابل قيم الطاقة هذه ؟

أبسط طريقة للإجابة عن هذا السؤال هي أن نتذكر أن طاقة الوضع لقوى كولوم إنما تتغير تغيراً عكسياً مع المسافة المقاسة من المركز . ولما كانت الحدود في معادلة بالمر تتغير تبعاً لمقلوب ومربعات العدد الصحيح r ، نستنتج أن أنصاف



شكل (٧ - ١٣)

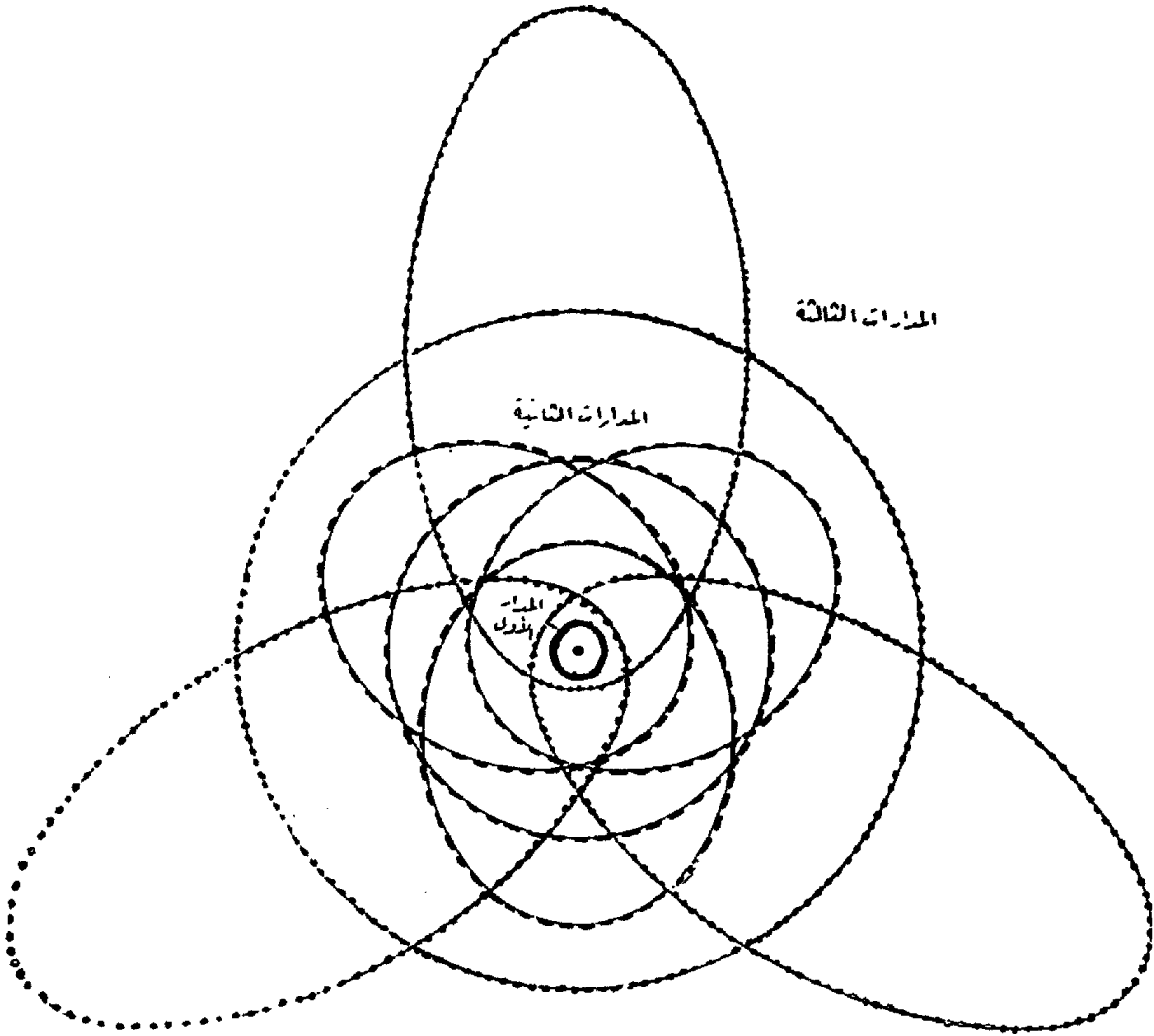
المدارات الدائرية الأربعة الأولى في نموذج بور لذرة الأيدروچين . تتزايد أنصاف الأقطار متناسبة مع مربعات الأعداد الصحيحة . وتعطى مراحل انتقال المدار الأولى وهي المراحل ل ١ ، ل ٢ ، ل ٣ ، ل ٤ . متوالية يمان . أما مراحل الانتقال ب ١ ، ب ٢ ، ب ٣ ، ص ١ ، ص ٢ ، ص ٣ الخاصة بالمدارين الثانى والثالث فإنها تعطى خطوط بالمر ومتوالية باسخن . ويساوى نصف قطر مدار الكم الأول 1.0×10^{-8} سم .

أقطار مدارات الكم المتتابة يجب أن تتزايد متناسبة مع r^2 . وفي حالة المدارات الدائرية ، التي بدأ بها بور مناقشته للموضوع ، يمكن تمثيل المقاسات والنسبية كما في شكل (٧ - ١٣) . وتسمى « انتقالات الكهرب » إلى المدار الثاني من المدارات الواقعة بعده إلى خطوط متوالية بالمر ، ولكن ما موضوع الاحتمالات الأخرى؟ يجب أن تكون أو تعطى الانتقالات من المسارات المرقومة ٢ ، ٣ ، ٤ . . . متوالية من الخطوط شبيهة بمتوالية بالمر ولكنها تقع في جانب طيف الأشعة فوق البنفسجية البعيد . ومن ناحية أخرى يلزم أن يعطى الانتقال من المدار الأعلى إلى المدار رقم ٣ متوالية في أقصى الأشعة تحت الحمراء . ولقد اكتشف المتواليتين المذكورتين عالمان من علماء الطيف هما « تيودور ليمان » و « فردريك باسغن » ، ولقد كان لوجود المتواليتين أكبر الأثر في تدعيم نظرية بور الخاصة بالكهرب القافر - أو الكهرب الذي يقفز .

واستطاع بور ، عن طريق معرفته بأن أنصاف أقطار مدارات الكم (بفرض أنها دوائر) تتناسب متزايدة طردياً مع مربعات الأعداد الصحيحة ، أن يتبين أي الطاقات الميكانيكية هي التي يسبغ عليها « صبغة الكم » أي تتزايد بنفس القدر من مسار إلى آخر ، ووجد أنها حاصل ضرب كمية حركة الكهرب في طول مساره ، وهي الكمية التي تعرف في علم الحركة القديم باسم (الفعل) كما وجد أن التغير في « الفعل » من مدار معين للكم إلى مدار آخر يساوى تماماً قيمة ثابت الكم h الذي استخدمه بلانك في نظرية الإشعاع الحرارى التي صاغها وفي تفسير أينشتين للظاهرة الكهروضوئية .

وسرعان ما اتضح أن النموذج الأصلي لذرة بور بما يحوى من مسارات كم دائرية متحدة المركز يجب تعميمها بإضافة بعض القطاعات الناقصة بعد إسباغ صفة الكم عليها . والذي نجح في إجراء هذا التعميم هو عالم الفيزياء الألماني آرنولد سمرفلد . وبين شكل (٧ - ١٤) ، مجموعة كاملة لمدارات الكم المحتملة للكهرب الموجود في ذرة الأيدروجين . فالمدار الدائرى الأول (الخط الصلب) بقى على حاله وأضاف سمرفلد إلى المدار الدائرى الثانى (الخط المنقوط) ثلاثة مدارات على هيئة القطاعات الناقصة ، التي عندما يسبح فيها الكهرب تكون له نفس الطاقة التي تتوفر له في

المدار الدائري ، أما المسار الدائري الثالث فقد أضيفت إليه ثمانية مدارات على هيئة القطاعات الناقصة (لا يبين الشكل المرسوم إلا ثلاثة منها فقط) التي تنتمي كلها إلى نفس القدر من الطاقة التي تتوافر في الفلك الدائري . وبعد ذلك يوجد المزيد من المدارات التي يأخذ كل مدار منها هيئة القطع الناقص ، والتي تضاف إلى المسارات الدائرية الأعلى درجة . وهكذا ازداد الوضع تعقيداً ، إلا أنه جدير بالذكر حقاً أنه ازداد مطابقة للواقع كذلك . وهكذا لم تعد الذرة شبيهة بالمجموعة



شكل (٧ - ١٤)

المسارات الدائرية ومسارات القطاعات الناقصة في ذرة الأيدروجين . ينتمي المدار الدائري الأول (الخط الصلب) إلى أقل قيمة لطاقة الكهرب . وتنتمي المدارات الأربعة التالية ، التي يبدو أحدها دائرياً والثلاثة الأخرى على هيئة قطاعات ناقصة ، (الخطوط المنقطة) إلى نفس القدر من الطاقة الأعلى درجة من طاقة المدار الأول . وتنتمي المسارات التسعة التي تليها (الخطوط المنقطة) ، التي تظهر أربعة منها فقط في هذا الشكل إلى مرتبة أعلى من الطاقة (التي تتساوى للتسعة بأجمعها) .

الشمسية التي يمكن للمشتري فيها أن يقفز فجأة إلى فلك الزهرة ، ولكن تم وصفها بتصميم معنوي لا صلة له بدوائر وقطاعات الميكانيكا التقليدية القديمة الناقصة إلا من حيث المسافات .

ولقد صادفت نظرية بور نجاحاً منقطع النظير خلال العشر السنين الأولى من بلوغها مرتبة النضج ، وذلك في تفسير خواص الذرات المعقدة التركيب ، وما يصحبها من طيف مرئي ، وتفاعلات كيميوية إلخ . . . ولكن احتفظت النظرية خلال جميع مراحل نجاحها بصبغتها الهيكلية الأصلية ، ولم تتمخض كل المحاولات التي عملت من أجل أن يكسب الهيكل باللحم خلال انتقال الكهارب من حالة من حالات الطاقة إلى حالة أخرى ، ومن ثم حساب شدة خطوط الطيف الذي تشعه الذرة نتيجة لتلك الانتقالات ، عن شيء ما . ولقد صيغ وصف هذا الوضع بنجاح في أبيات شعرية في أوائل العشر الثالثة من هذا القرن ، نظمها أحد علماء الروس المشتغلين بالفيزياء النظرية ، وهو فلاديمير ا . فوك . وفيما يلي ترجمتها بالعربية :

حيالك الله يا نيل بور *

املاً (الكيزان) وأشعل النيران	واشرب نخبه في غبطة وسرور
وحرك الأوتار بأعذب الألحان	فنحن نغني للبطل نيل بور !
يرافق ركبك في المجيء والرواح	
شرف النصر المبين والنجاح	
يا بور ، يا من نكن له الإجلال في الصدور	
فضلك لاينتهى وإن أنكره الجحود	ورأيك في الذرة ولو حارفيه الذكاء
رأى سديد قد وضحته ونحن عليك شهود	بلفظ كوحى الإله عظيم النقاء
فيا نيل يا رمز الكفاح	
يا من على نهجه نبغى الفلاح	
إن صغت قانوناً فقد ضمن البقاء	
جعلت من الميكانيكا عبداً ذلولاً	يلبي على الفور أى نداء

* نقلها إلى الإنجليزية ب . ب . ج . عن الشعر الروسى الذى لم ينشر ، نظم ف . أ . فوك في أوائل عام ١٩٢٠ (المؤلف) .

وقد يبقى عليها الحظ وقتاً طويلاً ولكن قوانين الطاقة راحت هباء !

فما إن تمنع فيها إلا وصاح

هراء عظيم تبدى ولاح

دوام التحرك كبش الفداء .

ورب قوانين العلة حين أنت تغامر تعيينك ، ولكن من يتكهن لك ياترى

فى يوم فيه بنفسك قد تبادر لتعقيد الأمور والرجوع القهقري؟

وثمة أمر جديد جليل

تحدث عنه نفر قليل

اثنان وتسعون جرماً أزلتها أنت قهراً

من دائرة المعارف

وأنت خير عارف

وحديث تباعد المتسلسلات قضيت عليه طرا

والكم يرفع من قدرك ، ولكن ديدنك التواضع وكل كهرب دقيق يرى مركزك العظيم

يطير من فرط السرور ، وماترنج أوتراجع يرسل الإشعاع حيناً ، وهو بموضعه عليم

فيسبق بالحكم عن مسلكه

ويلهم دوماً عن خطته

ويخلط النتائج بالعلة خلط الحكيم ،

ليقفز من مسار أمه الساحر

مباشرة إلى مسار آخر ،

باحثاً عن مأوى له حتى لا يهيم .

سلام على نيل بور من الشعوب الدينية أنت يا من نتخذة قدوة للبشرية

نرهب فيك الرأي السديد وسراً خفياً وكل منا ولو سلب نصف الروية

يبقى مخلصاً لك

ولا يقول . أف لك

يلتهم ما تقول من الألف للياء بأى طريقة

حتى ولو كان (شرب نخبه

يستلزم خشخشة الكوز وصخبه) .

فليس منا من سبر غور كلماتك العميقة

يظل حجم الذرات عموماً كما هو .

ولقد لفتت هذه المسألة نظر عالم الفيزياء الألماني ولفجانج باولي - شكل (٧ - ١٥) الذى كان منظره البدين المرح من المناظر المعتادة التى يرحب بها فى معهد بور للفيزياء النظرية . ولقد كان باولي عالماً من الطراز الأول فى الفيزياء النظرية . وبين أصدقائه كان اسمه يختلط دائماً بتلك الظاهرة الغامضة المعروفة باسم « ظاهرة باولي » . ومن المشهور والمتداول أن جميع المشتغلين بالفيزياء النظرية لا يحسنون بتاتاً إجراء التجارب واستخدام الآلات ، ويعمدون عادة إلى كسر الأجهزة الثمينة التى أحكم صنعها لمجرد لمسها . وكان باولي من بين هؤلاء الفيزيائيين النابهن ، فكانت الأشياء تهشم وتتحطم لمجرد دخوله المعمل . وحدثت أكثر الحالات إقناعاً بظاهرة باولي هذه يوماً ما عندما تناثرت على حين غرة المعدات التى يضمها معمل الأستاذ جيمس فرانك فى معهد الفيزياء بجامعة جوتنجن ، وراحت أثراً لعين لغير علة ظاهرة . ولقد دلت التحريات التى أجريت بعد ذلك على أن تلك الكارثة حدثت تماماً فى اللحظة التى توقف فيها قطار السكة الحديد الذى كان يقل باولي من زيورخ إلى كوبنهاجن مدة خمس دقائق فى محطة سكة حديد جوتنجن .

وعندما فكر باولي فى حركة الكهارب داخل الذرة ، صاغ مبدأه المشهور الخاص به (الذى أطلق عليه بنفسه اسم « مبدأ الاستبعاد ») ، وهو يقول بأنه لا يمكن لأى مدار من مدارات الكم أن يتضمن أكثر من كهرين اثنين فقط . ويتطلب المبدأ فى حالة ملء هذين المحلين وجوب تضمين الكهارب التالية ضمن المسارات الأخرى . وعندما تمتلئ جميع المسارات التى فى قشرة ما ، يبدأ ملء مسارات القشرة التى تليها (تنتمى إلى مستوى أعلى من الطاقة) .

وعندما نتبع الترتيب الطبيعى للعناصر لنصل إلى الذرات الثقيلة فالأكثر ثقلاً ، تنكش أنصاف أقطار مسارات الكم تحت تأثير شحنة النواة المتزايدة ، ولكننا نجد أنه من ناحية أخرى تحتل الكهارب مسارات أكثر وأكثر ، وبذلك يظل حجم الذرة كما هو فى المتوسط ابتداء من أكثر العناصر خفة إلى أعظمها ثقلاً . ومهما يكن من شىء فإن هنالك بعض الاختلافات الطفيفة التى تحدث فى حجوم الذرات عندما تنتقل من قشرة مكتملة المعالم إلى قشرة أخرى (أشكال الغاز السامى) .

وينجم عن ذلك تغيرات صغيرة في كثافة العناصر المختلفة تسير بحذاء التغيرات الدورية في خواصها الكيموية .

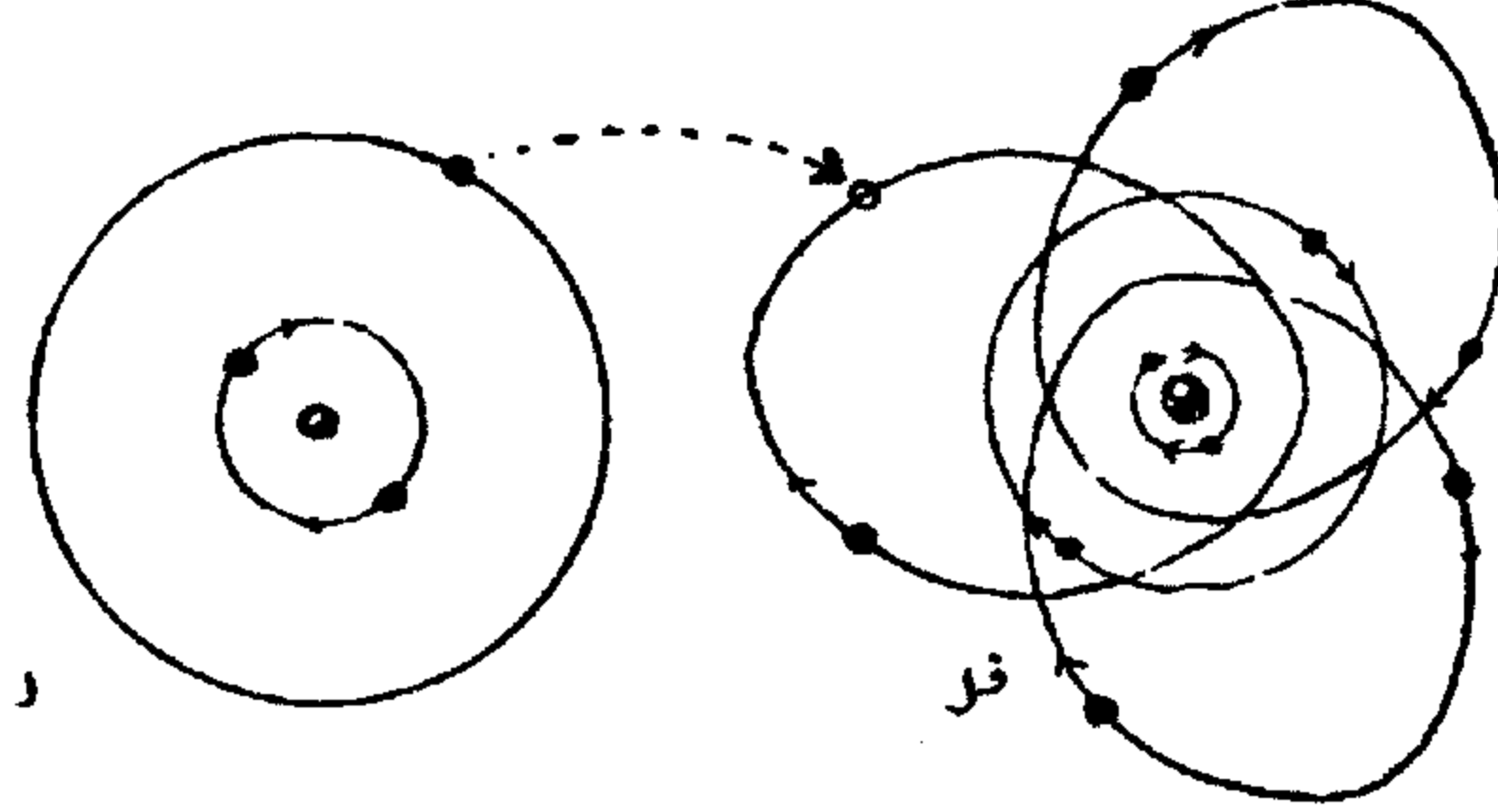
وتملاً قشور الكهارب لكل أنواع الذرات التي في الجدول الدوري تبعاً لهذه القاعدة الكهنتوية الثابتة الخاصة بحالات الطاقة أو مستوياتها ، فيكون من اللازم أولاً وقبل كل شيء تشبيح القشرة الأولى التي تمثل أقل مستوى متوافر من الطاقة . وفي حالة ذرة الهيليوم تملأ هذه القشرة تماماً بكهريين يتبع أحدهما الآخر في مدار الكم الأول . وللعنصر الثاني ، الليثيوم ، ثلاثة كهارب ، يلزم ضم أحدها - تبعاً لمبدأ الاستبعاد - إلى القشرة التي تليها ، وهي تتكون من مدار واحد دائري بالإضافة إلى ثلاثة مدارات على هيئة قطاعات ناقصة . ولما كانت هذه الأفلاك الأربعة يمكنها - أن تتضمن من الكهارب ما يبلغ مجموعه ثمانية ، على حين يشمل المدار الداخلي اثنين منها فقط ؛ فمن الطبيعي أن تمتلئ القشرتان الأولى والثانية في ذرة النيون التي تحتوى على عشرة كهارب . وعندما نتقل إلى العناصر الأكثر ثقلاً نجد أن الكهارب الزائدة يجب أن تدخل ضمن مجموعة ثالثة من المدارات الدائرية والمدارات التي على شكل القطاعات الناقصة ، وهلم جرأً . . . وعلى ذلك فإن مبدأ الاستبعاد لباولي إنما يفسر لنا التركيب الداخلي للعناصر من حيث الطريقة التي تمتلئ بها قشرات الكهارب المتعاقبة فيها ، ويتضمن المبدأ كذلك التماثل الخارجى أو الكيموى للذرة ، والصفات الدورية للخواص الكيموية للأنواع الذرية المتتابعة في جدول العناصر . وتحدد هذه الخواص بعدد الكهارب الموجودة في القشرات الخارجية للذرات ، تلك التي يتم تلامسها عندما تصطدم الذرات بعضها ببعض .

وخلال المدة التي تمت فيها صياغة مبدأ باولي كان المعتقد أن الكهارب ما هي إلا نقط مشحونة بالكهرية السالبة ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عرف أن الكهارب يلزم أن تعتبر بدورها مغناطيسات دقيقة ؛ إذ أن لها عزمًا مغناطيسيًا ، بسبب دورانها السريع في أثناء سبوحها حول النواة . وما إن تعلمنا وجوب اعتبار الكهارب مغناطيسات دقيقة ، حتى كان من الضروري أن نعمل حساب كل من القوى الكهرية التي تعتبر المسئول الأساسى عن سبوحها في مساراتها ثم القوى المغناطيسية الناجمة عن اللف والدوران .

ويلف الكهرب بطريقتين من اثنتين : إما في اتجاه سيره في فلكه ، وإما في الاتجاه المضاد . ولقد تمت البرهنة على أن الكهربين اللذين ينسابان في نفس المدار يجب أن يلفا حول نفسيهما في اتجاهين متضادين . ولقد تطلب منا هذا الكشف أن نصوغ مبدأ باولي بطريقة تختلف عن طريقتنا الأولى بعض الشيء . فنظراً لأن الكهارب التي تلف في اتجاهات متضادة تنشر مجالات مغناطيسية ضعيفة ، فإنها تحدث تغيرات أو تأثيرات طفيفة بعضها على مسارات بعض . ونحن نقول الآن إن أى كهربين سمح لهما من الأصل بالانطلاق في نفس المسار يأخذان فعلاً مسارين مختلفين (ولو بقدر يكاد لا يذكر) . وعلى ذلك فإن من المنطق أن ننظر إلى المسارات المسموح بها كأزواج متقاربة انفصلت تحت تأثيرات مغناطيسية ضعيفة .

وتعطينا وجهة النظر هذه الخاصة بالقشرات الذرية تفسيراً مبسطاً عن طبيعة التكافؤ الكيموي للعناصر المختلفة ؛ إذ يمكننا التدليل ، على أساس نظرية الكم ، أن الذرات التي لها قشرة متكاملة الكهارب تقريباً يكون لها ميل لأخذ المزيد من الكهارب ملء تلك القشرة ، وأن الذرات التي من شأنها مجرد الابتداء في قشرة كهارب جديدة تميل إلى التخلص من مزيد الكهارب . فمثلاً ذرة الكلور (رقمه الذري ١٧) لها كهربان في القشرة الأولى ، وثمانية في الثانية ، وسبعة في الثالثة ، مما يجعل القشرة الخارجية محتاجة إلى كهرب واحد . أما ذرة الصوديوم فهي من ناحية أخرى (الرقم الذري ١١) بها كهربان في القشرة الأولى ، وثمانية في الثانية ، وكهرب واحد فقط في ابتداء القشرة الثالثة . وفي مثل هذه الظروف ، عندما تصادف ذرة من الكلور ذرة أخرى من الصوديوم تعتمد الأولى إلى « تبنى » الكهرب الفريد الموجود في القشرة الخارجية للذرة الثانية فتصير كلاً ، على حين تصبح ذرة الصوديوم ص + ، وعند ذلك تهاusk الذرتان معاً تحت تأثير القوى الكهربائية الاستاتيكية ، وتكونان جزيئاً في حالة الاستقرار من ملح الطعام . وكذلك ، فإن ذرة الأوكسجين التي ينقصها كهربان اثنان من قشرتها الخارجية (الرقم الذري $8 = 2 + 6$) تميل إلى تبنى كهربين من أى ذرة أخرى ، وعلى ذلك تستطيع ضم ذرتين من الذرات وحيدة التكافؤ (يد ، ص إلخ . . .) أو ذرة واحدة ثنائية التكافؤ مثل ذرة المغنسيوم (الرقم الذري $12 = 2 + 8 + 2$) ، التي بها كهربان يمكن إعارتهما . ويبين شكل (٧ - ١٦)

مثالاً للترابط الكهربى الذى من هذا النوع . ويتضح لنا كذلك السبب الذى من أجله تصبح الغازات السامة التى اكتملت تماماً جميع قشراتها ولا تميل إلى أخذ كهارب ، خاملة كيميائياً .



شكل (٧ - ١٦)

الترابط الكيموى بين ذرة الليثيوم (ل) وذرة الفلور (فل) فى جزئ فلوريد الليثيوم (ل فل) يقفز كهرب زائد من القشرة التى تنفرد به فى ذرة الليثيوم إلى مكان خال من القشرة المزدحمة بذرة الفلور .

موجات المادة

فى عام ١٩٢٤ ، قام أحد خاصة الفرنسيين ، المدعو المركيز لويس دى برولى البالغ من العمر ٣٢ عاماً - شكل (٧ - ١٧) - ، وكان قد بدأ حياته العلمية كطالب يدرس تاريخ العصور الوسطى ثم ما لبث أن اهتم بالفيزياء النظرية ، بتقديم رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، ضمنها آراء عجيبة . فقد



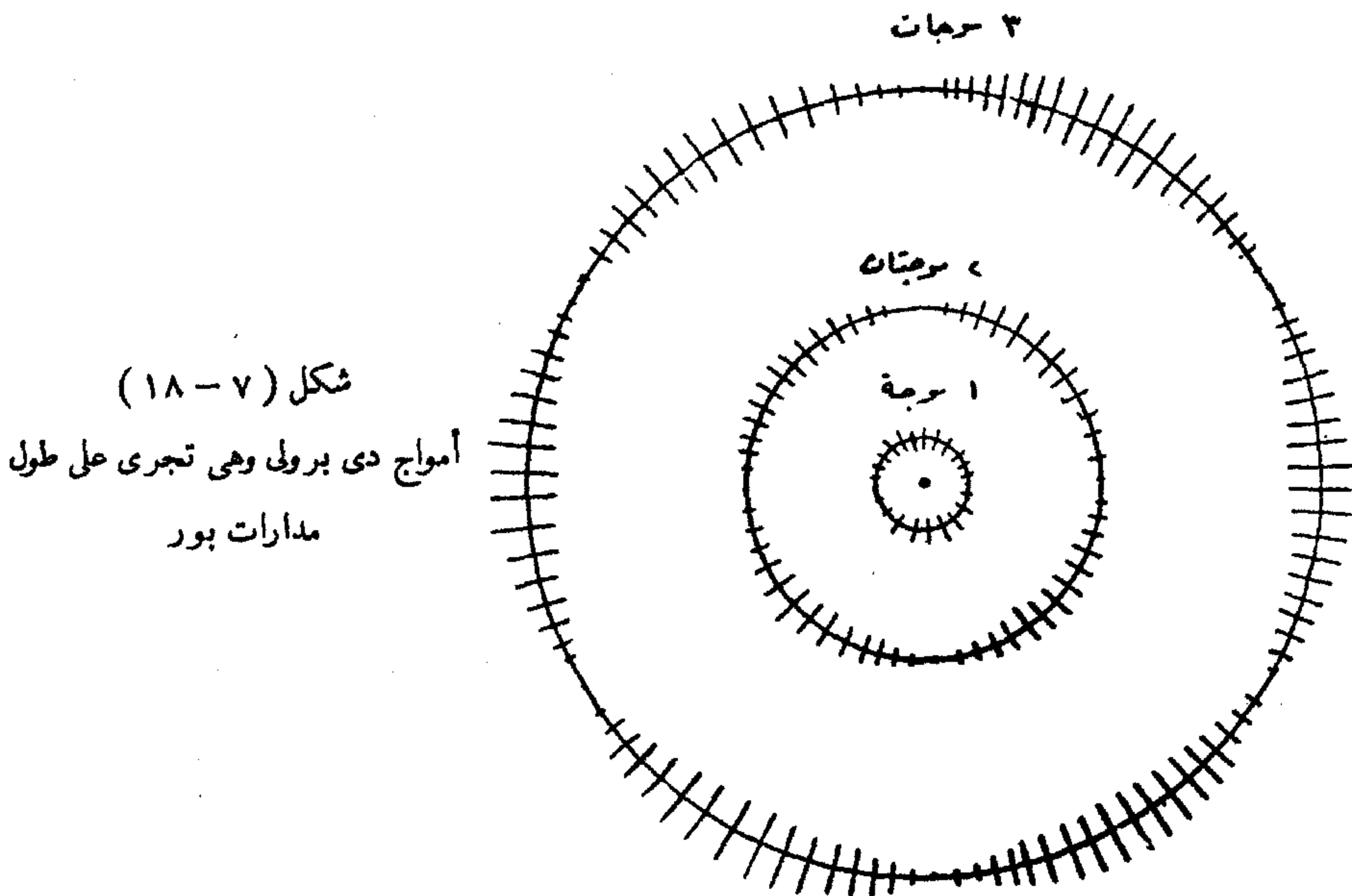
شكل (٧ - ١٧)

ب . ا . م . ديراك (إلى اليسار) ولويس دى برولى

اعتقد دى بروى أن حركة الجسيمات الأولية المادية (كالكهارب) يصحبها ويقودها نوع خاص من الموجات الطائفة التي تنتشر في الفضاء مع تلك الجسيمات . وإذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن اعتبار مدارات الكم ، المختارة في نموذج بور للذرة ، على أنها تلك المدارات التي تحقق وجوب تضمين طولها عدداً صحيحاً من هذه الموجات الطائفة : موجة واحدة في مسار الكم الأول ، وموجتان في المسار الثانى . إلخ . كما في شكل (٧ - ١٨) . ولقد سبق أن رأينا كيف أنه في حالة المسار الدائرى البسيط تحقق مدارات الكم لبور الشرط الذى يوجب أن تكون أطوالها مضروبة في كمية الحركة (الكتلة مضروبة في السرعة) للكهارب المتحركة تساوى h للمسار الأول ، و $2h$ للمسار الثانى ، و $3h$ للثالث . وهكذا . وتنطبق هاتان العبارتان عند ما نفترض أن طول الموجة الطائفة يساوى h مقسومة على كمية حركة

$$\frac{h}{\lambda} = \text{ك.ع. الجسيم}$$

وهذا هو عين ما افترضه لويس دى بروى . وفي حالة المسارات التي لها أنصاف أقطار بين هذه القيم لا تستطيع « الموجة الطائفة » التماسك ، أى ربط نفسها مع مؤخرتها ، وعلى ذلك فإن مثل هذا النوع من الحركة



لا يمكن أن يوجد . وهكذا استطاع دى برولى بضربة جريئة واحدة أن يغير مدارات الكم الهيكلية لنيل بور إلى فكرة مدارات يكسوها بعض « اللحم » المكون من أنابيب الأرغن ، وأغشية الطبل . . . إلخ . وهكذا اكتسبت ميكانيكا الكم للجسيمات خواص تشابه أمواج الصوت أو الضوء .

وأمكن وضع الرأى الثورى تحت الاختبار . فإذا كانت الكهارب تقودها أمواج دى برولى فى تحركها داخل الذرة ، فمن اللازم كذلك أن تبدى بعض الخواص الموجية عندما تنطلق فى خطوط مستقيمة عبر الفضاء . وفى حالة حزم الكهارب ذات بضعة آلاف الفولت التى تستخدم فى المعامل ينتظر أن يكون طول موجة دى برولى نحو ١٠ - ٨ سم ، نظراً لأنه يضاهى طول موجة الأشعة السينية ، وبذلك يمكن استخدام طريقة حيود الأشعة السينية فى اختيار ما إذا كانت هنالك أمواج تصاحب الكهارب ، أم لا توجد تلك الأمواج على الإطلاق .

وفى عام ١٩٢٧ أجرى نجل السير ج . ج . تمسون المدعو جورج (السير جورج فيما بعد) تجربة فى هذا الاتجاه مع عالمى الفيزياء الأمريكيين ك . ج . ديفيسون و ل ه . جيرمر ، بأن وجهوا إلى بلورة من البلورات حزمة من الكهارب التى اكتسبت عجلة تحرك تحت تأثير مجال مغناطيسى معين . وتمخضت النتيجة عن صورة على غرار تلك التى فى اللوحة رقم (٤) - السفلى - وهى تظهر فوق أية شبهة بأننا نعالج هنا ظاهرة الحيود الموجية . وقد انطبق طول الموجة المقدر من أقطار حلقات الحيود هذه تماماً مع طول الموجة المستخرج بمعادلة دى برولى : $\frac{h}{\lambda}$. ولقد

كان هذا الطول يتناقص أو يزداد عندما كانت سرعة الكهارب التى فى الحزمة تزداد أو تنقص . وبعد مضى عدد قليل من السنين أعاد أحد الألمان المشتغلين بالفيزياء وهو أوتو - ستيرن إجراء تجربة ديفيسون وجيرمر ، مستخدماً بدلاً من الكهارب حزمة من ذرات الصوديوم ، فوجد أن ظاهرة الحيود التى يصفها قانون دى برولى تحدث فى هذه الحالة كذلك . وعلى هذا الأساس صار من المؤكد أن الجسيمات الصغيرة التى على غرار الكهارب أو الذرات تقاد فى تحركها بوساطة « موجات طائفة » ، إلا أن طبيعتها كانت على أية حال مجهولة فى ذلك الوقت .

وعملت آراء دي برولي ووضعت على أسس رياضية قوية عام ١٩٢٦ على يد الفيزيائي النمساوي أروين شرودنجر - شكل (٧ - ١٩) - الذي ضمنها كلها معادلة شرودنجر المشهورة ، التي يمكن استخدامها في حركة الجسيمات تحت أي مجال من مجالات القوى . ولقد أدى استخدام معادلة شرودنجر هذه وتطبيقها على حالة الأيدروجين ، وكذلك الكهارب الأكثر تعقيداً ، إلى استنتاج جميع نتائج نظرية الكم المدارية لبور ، وبالإضافة إلى ذلك أجيب عن السؤال (الخاص بشدة إضاءة خطوط الطيف) الذي عجزت النظرية القديمة عن معالجته ، وبدلاً من مسارات الكم الدائرية أو التي على هيئة قطاعات ناقصة أصبح داخل الذرة يوصف بما يطلق عليه اسم دوال* التي تمثل الأنواع المختلفة من أمواج برولي الممكن وجودها في الفضاء المحيط بنواة الذرة .

وفي نفس الوقت الذي نشر فيه شرودنجر ورقته الأولى في إحدى المجلات الألمانية التي تمتاز بالقيادة العلمية وهي (أنالنديرفيزيك) Annalen der Physick ، ظهرت في مجلة مماثلة (زيتشرفت ديرفيزيك) Zeitschrift der Physick ورقة على نظرية الكم كتبها شاب ألماني من المشتغلين بالفيزياء (عمره ٢٤ سنة في ذلك الوقت) هو فيرنر هيزنبرج - شكل (٧ - ١٩) - . وليس من السهل أن نصف نظرية



شكل (٧ - ١٩)

فيرنر هيزنبرج (إلى اليسار) وأروين شرودنجر

* منطوقها دوال فاي (المترجم) .

هيزنبرج مبسطة ولو قليلاً . أما الفكرة الأساسية فيها فهي أن الكميات الميكانيكية ، مثل الوضع والسرعة والقوة إلخ . . . ، يجب ألا تمثل بالأعداد العادية مثل ٥ أو $7\frac{1}{2}$ أو $13\frac{9}{7}$ ولكن بوساطة التراكيب الرياضية المعنوية التي يعرف التركيب الواحد منها باسم « الماتركس matrix » أو المصفوف ، وهذا التركيب يشبه صفاً من صفوف لغز الكلمات المتقطعة المكون من الأرقام العادية التي يتبعها عدد لا ينتهي من الصفوف الأفقية والرأسية . وفي إمكاننا أن نستنتج قواعد خاصة بعمليات « جمع وطرح وضرب وقسمة هذه المصفوفات » ، وهي تحكى تماماً قواعد الجبر إلا أنها تختلف عنها في قاعدة واحدة عامة : ففي جبر المصفوف لا يلزم أن يكون حاصل ضرب ب في ا مساوياً لحاصل ضرب ا في ب ، وذلك نظراً للتعقيد العظيم في طرق ضرب المصفوفات . ولعل أقرب مثال نسوقه لذلك لغة البشر التي يعتبر فيها دوجلاس مالكولم مخالفاً تماماً للمدعو مالكولم دوجلاس ، وقمة مسطحه تختلف عن مسطحه القمة . ولقد أثبت هيزنبرج أننا إذا اعتبرنا أن جميع المقادير التي في معادلات الميكانيكا التقليدية القديمة هي مصفوفات ثم أدخلنا شرطاً جديداً فحواه أن كمية الحركة \times السرعة - السرعة \times كمية الحركة = ه ت ، حيث ه هي ثابت الكم ، ت = $\sqrt{1 - v^2}$ = صديقنا التخيلي القديم ، نحصل على نظرية تصف لنا في سلامة تامة جميع ظواهر الكم المعروفة .

ولقد أدى ظهور ورقتين في آن واحد توصل كل منهما إلى نفس النتائج تماماً باستخدام وسيلتين مختلفتين اختلافاً كلياً ، إلى حدوث ضجة في عالم الفيزياء ، إلا أنه سرعان ما اتضح أن النظريتين متشابهتان رياضياً . وفي الحقيقة والواقع نجد أن مصفوفات هيزنبرج إنما تمثل حلول معادلات شرودنجر الموضوعة في جداول ، ويمكن للمرء عندما يحاول حل المسائل المختلفة المتعلقة بنظرية الكم أن يستعمل الميكانيكا الموجية وميكانيكا المصفوفات على التبادل .

علاقات عدم التثبت من القياس*

ما هو المعنى الطبيعي لموجات دى بروى التى تقود الجسيمات المادية فى تحركاتها؟ هل هذه الموجات حقيقية كموجات الضوء ، أم هى فكرة رياضية أدخلت لمجرد السهولة فى وصف الظواهر الطبيعية فى عالمنا الصغير ** ؟ تمت الإجابة عن هذا السؤال بعد مضى سنوات معدودات على صياغة الميكانيكا الموجية على يد و . هيزنبرج ، الذى سأل نفسه عن الكيفية التى تؤثر بها قوانين الكم (التى أدخلت النهايات الصغرى لطاقة الإشعاع والطاقة الميكانيكية) فى أفكارنا الأساسية فى الميكانيكا التقليدية القديمة .

ولقد عالج هيزنبرج المشكلة من أساسها : فحاول استخدام القواعد والطرق العادية المستخدمة فى رصد الظواهر التى مقاييسها على قدر مقاييس الذرة . وإننا نستطيع فى حياتنا العادية أن نشاهد أية ظاهرة ونقيس خواصها من غير أن نؤثر فى هذه الظاهرة بأى قدر مهما صغر . ولزيادة الإيضاح ، نقول إننا عندما نحاول قياس درجة حرارة قدح صغير من القهوة مثلاً باستخدام ترمومتر حمام مائى كبير ، نجد أن الجهاز المستخدم سوف يمتص قدراً كبيراً من حرارة القهوة لدرجة أنه يحدث تغييراً ملحوظاً فيها . أما إذا استخدمنا « ترمومتراً » كيميائياً دقيقاً فإننا نستطيع الحصول على قراءة صحيحة إلى حد كبير . ونحن نستطيع أن نقيس درجة حرارة الأجسام الصغيرة التى تصل من الصغر حجم الخلية الحية باستخدام ازدواج حرارى دقيق جداً بحيث يمكن إهمال سعته الحرارية . ولكننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نشاهد الاضطراب الناجم عن إدخال أجهزة القياس التى نستخدمها إلى عالم الذرة . وإن مقادير الطاقة على هذا المقياس تبلغ من الصغر الحد الذى تسبب فيه أدق وسائل القياس وأعظمها حساسية اضطرابات جوهرية للظاهرة المرصودة ، ومن ثم لا نستطيع الجزم بأن نتائج القياس والملاحظة تصف بالفعل ما كان قد يحدث لو أننا لم نستخدم

* يساير هذا الجزء إلى حد كبير ما جاء فى الموضوع الذى كتبه المؤلف بعنوان « مبدأ عدم التثبت » ونشره فى سينتفك أمريكان Scientific American عدد يناير عام ١٩٥٨ (المؤلف) .
** يعنى عالم الذرة (المترجم) .

وسائل القياس ، فالراصد ومعداته كلاهما يصبح جزءاً متكاملًا مع الظاهرة التي تدرس . وحتى من حيث المبدأ لا يوجد شيء مثل ظاهرة طبيعة مطلقة ، وفي جميع الحالات يوجد تأثير متبادل لا يمكن تجنبه على الإطلاق بين الراصد والظاهرة .

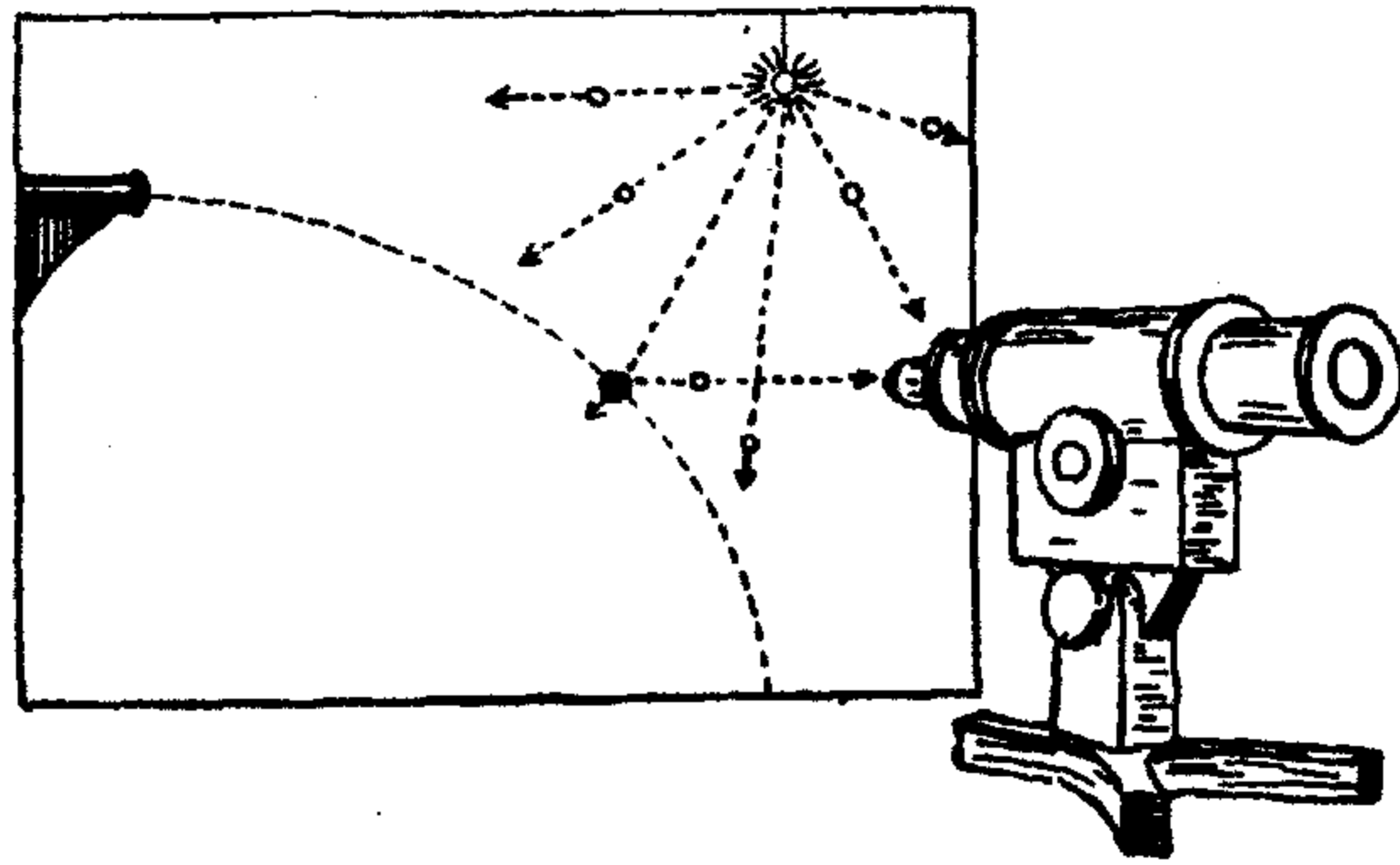
ولقد عبر هيزنبرج عن ذلك بدراسة مفصلة لمسألة محاولة متابعة حركة جسم مادي . ففي عالمنا الكبير نستطيع أن نتابع كرة الطاولة وهي تطير من غير أن تؤثر في المسار على الإطلاق . ونحن نعلم أن الضوء يؤثر في الكرة بما له من ضغط ، ولكن ليس معنى ذلك أنه يجب أن نلعب تنس الطاولة في غرفة مظلمة (على فرض إمكان ذلك) ، وذلك لأن ضغط الضوء يبلغ من القلة والضآلة قدرًا لا يحدث أي أثر أو فرق في مسار الكرة . ولكن عندما نبدل كرة الطاولة بكهرب من الكهارب يصبح الوضع مختلفاً تماماً . ولقد درس هيزنبرج الحالة عن طريق « تجربة ذهنية » وهي وسيلة للإقناع استخدمها اينشتين في معالجته لنظرية النسبية .

وفي مثل هذا التمرين الذهني يمنح القائم بالتجربة « ورشة مثالية » يستطيع فيها صنع أي نوع من الأجهزة — ما دام تصميمها وعملها لا يتنافيان مع قوانين الفيزياء الأساسية . فثلاً يستطيع أن يحصل على صاروخ يتحرك بسرعة تقارب سرعة الضوء ، ولكن لا تزيد على سرعة الضوء ، أو يستطيع أن يكون عنده من مصادر الضوء ما يشع فوتون * واحداً ، ولكن لا يشع نصف فوتون . ولقد أمد هيزنبرج نفسه بمعدات كاملة من أجل رصد طيران أحد الكهارب — شكل (٧ - ٢٠) — ثم تصور وجود مصدر تنطلق منه الكهارب ، وقد قذف بكهرب واحد فقط في اتجاه أفقي داخل حجرة كاملة التفريغ تماماً — خالية حتى من جزيء واحد من الهواء — ويقبل الضوء الذي يستخدمه من مصدر مثالي يشع فوتونات بحسب طول الموجة المطلوب والعدد المرغوب — واستطاع مراقبة حركة الكهرب داخل الغرفة من خلال مجهر مثالي أمكن إدارته بحسب الحاجة على طول مدى الطيف ، من أطول موجات الراديو إلى أقصر موجات جاما * * .

* الفوتون هو كم الضوء مثلاً بحسب ذبذبه γ وطاقته $h\nu$ (المترجم)

* * المعروف أن طيف الأمواج الأثيرية كما نرصده متكاملًا يبدأ بأمواج الراديو الطويلة والمتوسطة فالقصيرة فأمواج الرادار فالأمواج الحرارية أو تحت الحمراء فالضوء المرئي فالأشعة فوق البنفسجية فأشعة إكس — أو السينية فأشعة جاما (المترجم) .

فماذا يحدث عند إطلاق كهربي في الغرفة ؟ تقول كتب الميكانيكا التقليدية القديمة إن الجسم يجب أن ينطلق في مسار يعرف باسم القطع المكافئ ، ولكن الذي يحدث فعلاً أنه في اللحظة التي يصطدم معه فوتون يترنح الكهربي وتتغير سرعته . وعندما نرصد الجسم في مواضع متتابعة نجد أنه يتخذ مساراً متعرجاً بسبب ما يتعرض له من صدمات الفوتون . ولنحاول بعد ذلك ، بما عندنا من جهاز يتحرك حركة مثالية في كل اتجاه ، أن نقلل من تأثير الصدمات بتصغير طاقة الفوتون ، وذلك باستخدام ضوء منخفض الذبذبة نسبياً . وفي الواقع عندما نصل إلى نهاية التردد البطيء للغاية (وهو أمر جائز في جهازنا) ، نستطيع تصغير اضطراب حركة الكهربي كما يحلو لنا ويطيب . ولكن عند ذلك تعرض سبيلنا عقبة أخرى ، فكلما ازداد طول موجة الضوء قلت قدرتنا على توضيح الجسم المرئي ، بسبب ظاهرة الحيود . وعلى ذلك لا نستطيع الاستمرار في تحديد الوضع الحقيقي للكهرب في أي لحظة . ولقد برهن هيزنبرج على أن حاصل ضرب عدم التثبيت في الوضع في عدم



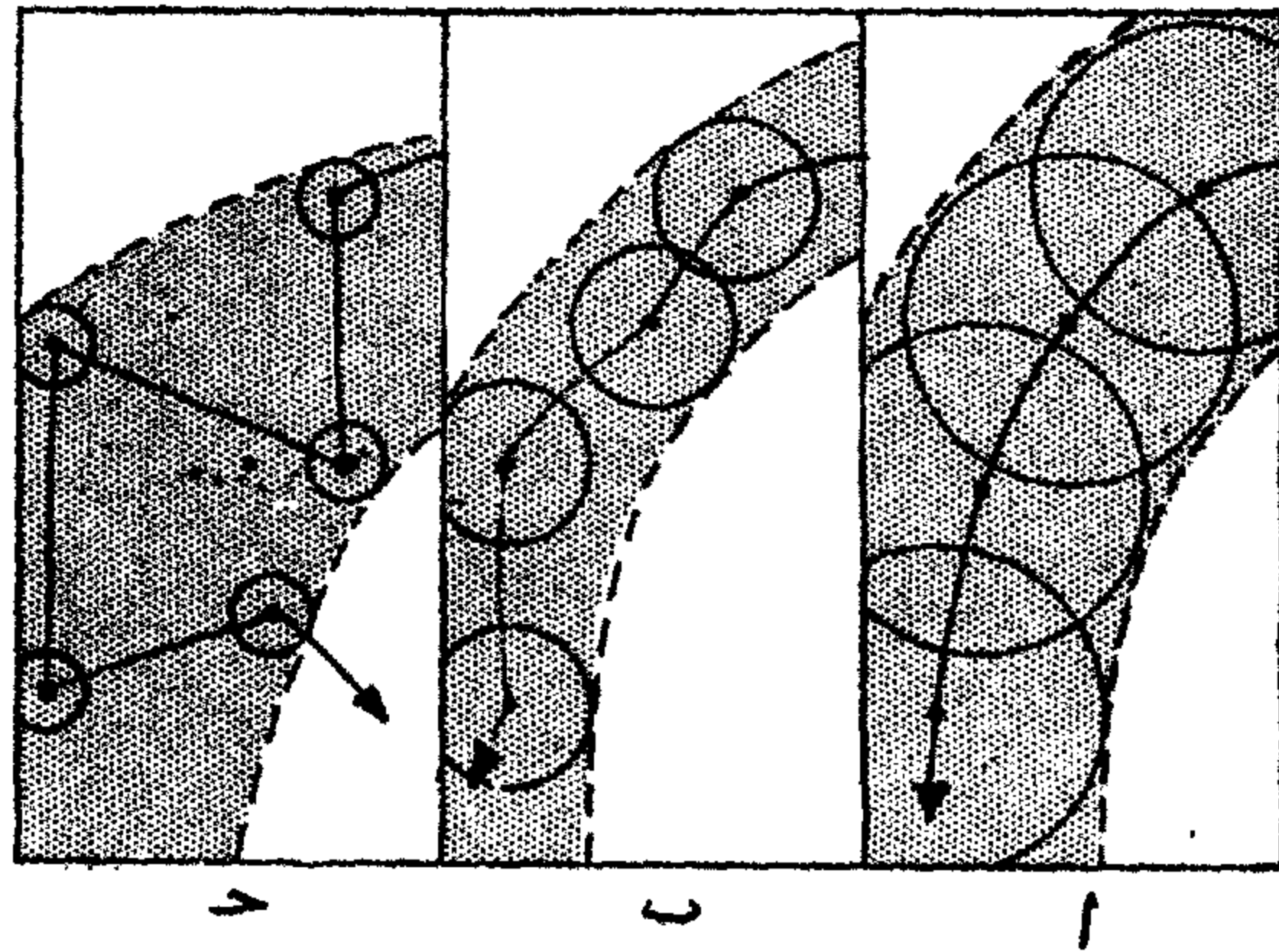
شكل (٧ - ٢٠)

تجربة هيزنبرج المثالية لرصد مسار جسم مادي

التثبيت من السرعة لا يمكن أن يقل في القدرة عن ثابت بلانك مقسوماً على كتلة الجسم :

$$\Delta x \cdot \Delta p \geq \frac{h}{4\pi}$$

وعلى ذلك فإننا عندما نستخدم موجات قصيرة جداً نستطيع أن نحدد بكل دقة أوضاع جسم يتحرك ، ولكننا سوف نتدخل كثيراً في سرعته ، أما عندما نستخدم الموجات الطويلة فإننا نستطيع تجديد سرعته التي لا نعمل على قلقها ، ولكننا سوف نصبح في حالة عدم تثبت من وضعه . والآن سوف نتخير وضعاً وسطاً بين هاتين الحالتين من حالات عدم التثبيت : فعندما نستخدم طول موجة متوسطة ونختار هذا الطول اختياراً حراً فإن مسار الجسم سوف يضطرب بقدر معتدل فقط ، ونظل قادرين على تحديد خط سيره إلى درجة كبيرة من الدقة — شكل (٧) — (٢١) . وسوف لا يكون المسار الموصود كما تعبر عنه الألفاظ التقليدية القديمة خطأ واحداً ، وإنما يكون حزمة حافات غير صافية . وعندما نصف مسار أحداً الكهارب بهذه الطريقة لا نجد صعوبة في حالة كحالة أنبوبة الصورة في التليفزيون مثلاً ، حيث يكون « سمك » مسار الكهارب إلى الشاشة أصغر بكثير من قطر البقعة الضوئية التي تتكون على الشاشة بواسطة حزمة الكهارب . وإننا نستطيع أن نمثل مسار الكهرب هنا بخط ونحن مقتنعون بذلك ، ولكننا لا نستطيع أن نصف مدار أى كهرب داخل الذرة بنفس الألفاظ ، فإن حزمة عدم التثبيت تباع من الاتساع قدر المسافة بين مسار الكهرب ونواة الذرة .



شكل (٧ - ٢١)

مسار جسم في تجربة هيزنبرج الخيالية . (أ) طول موجة الضوء كبير جداً بحيث إن كل تحديد للوضع يصير فيه خطأ جسيم . (ب) الموضع الوسط . (ج) التردد عال جداً والجسم يزاح كثيراً .

لنفرض أننا عدلنا عن تتبع خط سير جسم متحرك باستخدام الضوء ، وحاولنا طريقة غرفة التكاثف * بدلا منها . وإذن نبني داخل معملنا الخيالي «غرفة تكاثف» مثالية ، مفرغة تماماً من الجسيمات المادية ، ولكنها تملأ «بدلائل» تخيلية غاية في الصغر يمكن إثارتها عندما يمر الكهرب عن كُثب منها . وتبين «الدلائل» المثارة خط سير الجسم المتحرك تماماً كما تفعل نقط الماء في غرفة تكاثف حقيقية ** .

وتبعاً للميكانيكا التقليدية القديمة يمكن أن تكون «الدلائل» من حيث المبدأ صغيرة صغراً ولطيفة لطفاً يكفي للحيلولة دون سلبها أى كمية لها اعتبارها من طاقة الجسم المتحرك ، فنستطيع رصد مساره بما نرغب من دقة . ولكن ميكانيكا الكم أثارت اعتراضاً أساسياً على طريقته وتقول إحدى قواعدها : كلما صغر الجهاز الميكانيكى كان ذلك عاملاً على كبر ما له من كم (النهايات الصغرى) للطاقة وعلى ذلك فلما قلل حجم «الدلائل» (من أجل زيادة الدقة في قياس وضع الكهرباء) عملت على أخذ كمية أكبر من طاقة الجسم المتحرك . ويحكى هذا الوضع تماماً الصعوبة المميتة التى نلاقها في متابعة خط سير جسم باستخدام الضوء . ومرة أخرى نصل إلى نفس العلاقة الخاصة بعدم التثبت من المكان والسرعة .

ومتى يرحل عنا كل هذا ؟ يستنتج هيزنبرج أنه في مستوى الذرة يكون لزاماً علينا أن نعدل عن فكرة مسار الجسم كخط رياضى (يعنى له طول فقط وليس له عرض) فهذه الفكرة تبقى صحيحة ما دمنا نعالج الظواهر الطبيعية المعتادة التى نقابلها فى حياتنا العادية ، حيث نستطيع اعتبار الجسم المتحرك كأنما يمسك فى مساره أو يحدد بدقة بنوع من أنواع القضبان الحديدية . أما فى عالم الكهارب الصغيرة داخل الذرة فإن كل حركة بذاتها أو حالة بعينها لا تصل إلى هذه الدرجة من الدقة فى التحديد ، فالجسيمات المادية الصغيرة التى على غرار الكهارب والنوى

* طريقة غرفة التكاثف أو غرفة السحابة هى الطريقة التى استخدمها ولسون للتكاثف بإحداث حالات مختلفة من التشبع فوق الأيونات كنوى تكاثف (المترجم) .

** سيجى وصف غرفة التكاثف الحقيقية التى استخدمها علماء الفيزياء فى الباب التالى . (المؤلف)

إنما تتحرك عبر مدى تحت قيادة الموجات التي يجب أن تعتبر على شاكلة خطوط المسار المتزايدة العرض المعروفة في الميكانيكا التقليدية القديمة . والمهم أن هذه القيادة إنما تجرى بطريقة أقرب إلى عدم التحديد منها إلى التحديد . فنحن نستطيع فقط أن نحسب احتمال وصول أى كهربي إلى نقطة معينة على حاجز ما ، أو احتمال وجود أى جسم مادي آخر في مكان بالذات داخل جهاز معين ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بالمسار الذي يتبعه تحت تأثير مجال للقوى معلوم .

ومن اللازم أن نوضح أن كلمة « احتمال » إنما استخدمت هنا بطريقة تختلف نوعاً ما عن استخدامنا لها المعتاد في الفيزياء التقليدية وحياتنا العادية . فعندما نقول في لعبة البوكر إن هناك احتمالاً لسحب ورقة ما (الملك مثلاً) فإننا نعني بذلك أن علينا فقط تقدير الفرض لأننا نجهل ترتيب الورق (في الكتشفية) . ولو أننا كنا نعلم تماماً ترتيب الأوراق فيها لأصبح في مقدورنا دون شك تحديد ما إذا كانت الورقة (ملكاً) أم لا . وتفترض الفيزياء التقليدية القديمة صحة نفس الشيء في مسألة كمسألة الطريقة التي تتصرف بها جزيئات الغاز ، فقد لزم تحديد صفاتها على أسس من الاحتمال الإحصائي فقط نظراً للنقص في معرفتنا فلو أعطينا أوضاع وسرعات كل الجزيئات ، لاستطعنا التنبؤ بما يحدث ويتم داخل الغاز بالتفصيل . ويجتد مبدأ عدم الثبوت هذه الفكرة من أساسها ، فلا سبيل لنا إلى التنبؤ بحركات الجسيمات واحداً تلو الآخر ، وذلك قبل كل شيء نظراً لأننا لن نتمكن قط من معرفة الحالات الابتدائية على وجه التحديد . ومن حيث المبدأ لا سبيل للحصول على قياس صحيح لكل من مكان وسرعة جسم في حجم الذرة .

وهل توجد دالة الموجات ψ ، (أو على الأصح ترييها) التي تدل على مسار أى جسم مادي ، كما يوجد « شيء طبيعي » مؤكد ننظر إليه بنفس المعنى الذي ننظر به إلى ذرات الصوديوم أو الصواريخ عابرة القارات ؟ إن دوال الموجات إنما « توجد » بنفس المعنى الذي توجد به خطوط سير الأجسام المادية . فليس من شك أن مدار الأرض من حول الشمس ، أو القمر من حول الأرض ، له وجود وكيان بالمعنى الرياضي الذي يمثل مجموعة النقاط التي يشغلها على التوالي الجسم المادي المتحرك ، ولكن هذا المسار ليس له وجود بنفس المعنى الذي توجد به قضبان السكة

الحديد التي تسيطر على حركة قطار يعبر البلاد . ومن أنخص « صفات دوال الموجات أنها ليس لها أية كتلة ، فهي لا تملو كونها أفلاكاً مرسومة » .

ولعل أقرب مثل إليها في الطبيعة التقليدية القديمة هي فكرة درجة التعادل (أنثروبي) وهي دالة من دوال الرياضة ، اخترعها رجال الفيزياء النظرية ، وتتصل بالاحتمال الرياضي لأي نوع معلوم لحركة الجزيئات تحدد الاتجاه الذي فيه تسرى أو عليه تسير عادة التغيرات الحرارية الديناميكية من قيم درجات التعادل الصغيرة صاعدة إلى القيم الكبيرة . ولكن درجة التعادل ليست « شيئاً طبيعياً » يؤدي نفس المعنى الذي تؤديه الكتلة أو الطاقة ، وبينما نستطيع الكلام عن جرام واحد من المادة ، أو عن جرام واحد من الطاقة (منذ عهد أينشتين) لا نجد معنى على الإطلاق للكلام عن جرام واحد من درجة التعادل . ولكن يكون هناك بعض المعنى عندما نتحدث عن جرام واحد من أمواج دي بروي ، أو عن جرام واحد من دالة شرودنجر .

وإن نظرة واحدة إلى معادلة هيزنبرج ترينا السبب الذي من أجله نستطيع صرف النظر عن مبدأ عدم الثبوت وزكن في أمان إلى مبدأ التحديد اللطيف القديم عندما نعالج المادة على مقياس غير صغير ، فإن حاصل ضرب عدم الثبوت في الوضع في عدم الثبوت في السرعة يساوي ثابت بلانك ه مقسوماً على كتلة الجسم . وثابت بلانك هذا عبارة عن كمية في غاية الصغر ، فقيمه العددية تساوي ١٠ - ٢٧ فقط بوحدة الستيمتر - جرام - ثانية . فعندما ندرس جسماً يزن مليجراماً واحداً ، فإننا نستطيع من حيث المبدأ أن نعين في نفس الوقت وضعه إلى أقرب جزء من تريليون جزء من الستيمتر ، وكذلك سرعته إلى أقرب جزء من تريليون جزء من الستيمتر في الثانية - أو ٣٠ ميكرونا لكل جيل .

ولقد حول بور مبدأ هيزنبرج هذا إلى نوع جديد من فلسفة الفيزياء ، ونجم عن ذلك تغيير جوهري في أفكارنا الخاصة بعالم المادة - وهي الأفكار والآراء التي نكتسبها من تجاربنا العادية منذ الطفولة ، إلا أنها سمحت لكثير من معضلات الفيزياء الذرية والغازها بأن تملو مفهومة ذات معنى .

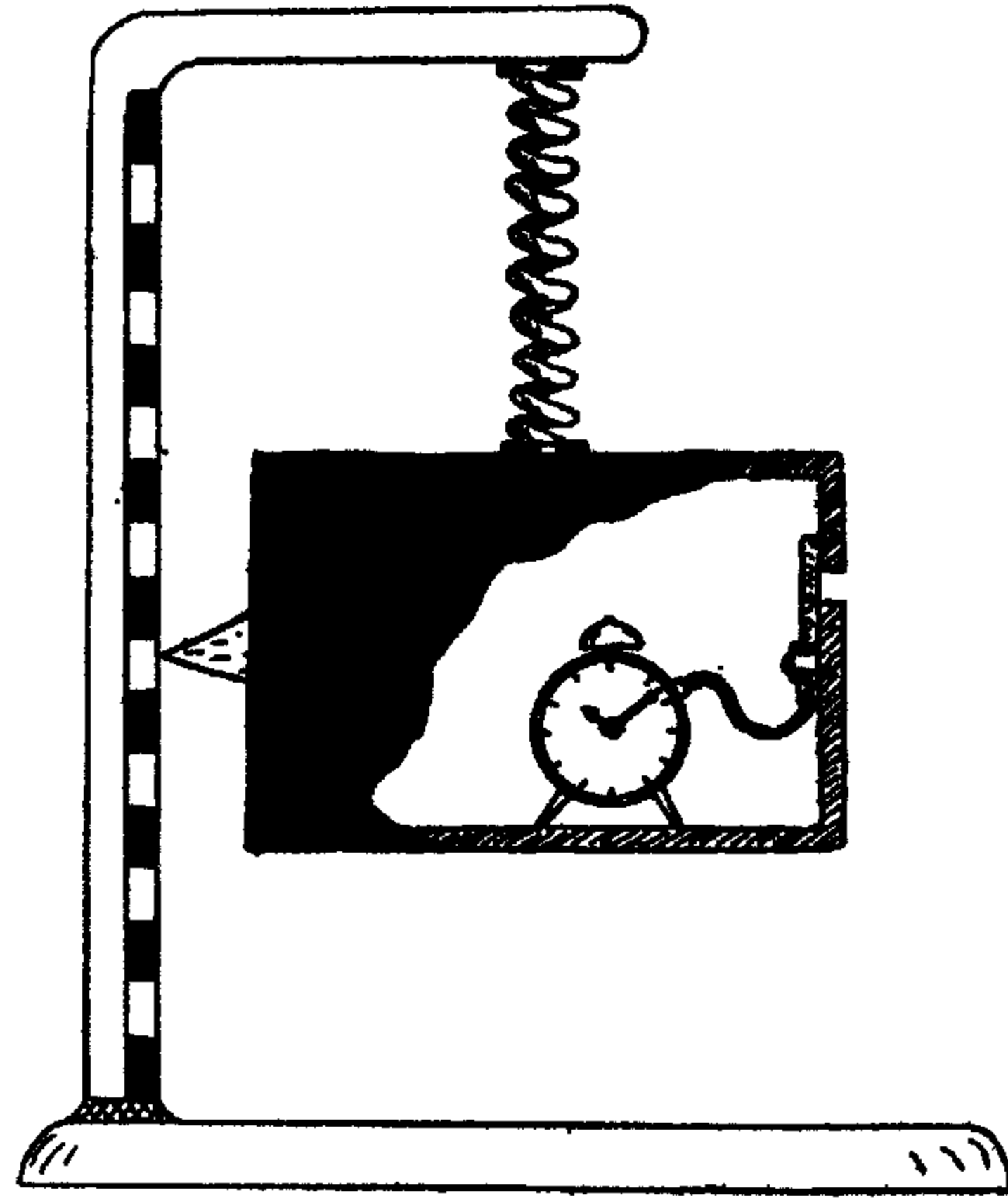
وقبل كثير من علماء الفيزياء وجهة النظر هذه الجديدة ، على حين رفضها البعض الآخر وتنكر لها . وكان ألبرت أينشتين ضمن المجموعة الأخيرة ، إذ لم تسمح

فلسفته (التي تركزت في تحديد الأشياء) بالسمو بعدم التثبيت إلى مرتبة المبادئ ، وكما كان حساده يحاولون إيجاد متناقضات في نظريته الخاصة بالنسبية ، حاول أينشتين اكتشاف المتناقضات في مبدأ عدم التثبيت الخاص بفيزياء الكم . ومهما يكن من شيء فقد أدت مجهوداته هذه إلى تقوية مركز مبدأ عدم التثبيت . ومن الأمثلة الرائعة التي حدثت مصادفة وكانت تدل على ذلك ، ما حدث في المؤتمر الدولي السادس للفيزياء الذي انعقد في بروكسل عام ١٩٣٠ .

فقد أجرى أينشتين - في أثناء نقاش كان يحضره بور - « تجربة ذهنية » تبين أن الزمن لإحداثي رابع للمكان - الزمنى ، وأن الطاقة مركبة رابعة لكمية التحرك (الكتلة \times السرعة) ، وقال إن معادلة عدم التثبيت لهيزنبرج تتطلب أن يتوقف عدم التثبيت في الزمن على عدم التثبيت في الطاقة ، وأن حاصل ضرب الكميتين يساوى على الأقل ثابت بلانك h . وراح أينشتين يحاول إثبات خطأ ذلك ، وأن الزمن والطاقة يمكن تحديدهما من غير عدم تثبيت بتاتا . فقال : خذ مثلاً صندوقاً مثالياً تبطنه من الداخل مرايا مثالية بحيث يستطيع الإبقاء على طاقة الإشعاع إلى ما لا نهاية من الوقت . عين وزن الصندوق . وبعد فترة تبدأ ساعة ميكانيكية ، سبق ضبطها كما تضبط القبلة الزمنية ، العمل على فتح بوابة مثالية لينطلق منها بعض الضوء . وبعد ذلك عين وزن الصندوق مرة أخرى . وبطبيعة الحال يكون التغير في الكتلة دليلاً على طاقة الضوء التي تم إشعاعها وانبعاثها . وعقب أينشتين أنه يمكن بهذه الوسيلة قياس الطاقة المنبثقة والزمن الذي يتم فيه ذلك إلى أى درجة نريدها من الدقة ، مما لا يتفق مع مبدأ عدم التثبيت .

وفي صباح اليوم التالي ، بعد قضاء ليلة ساهرة ، أذاع بور كلمة هادمة لبرهان أينشتين العكسي ، وتقدم بتجربة فكرية مضادة استخدم فيها جهازاً مثالياً خاصاً به « وقد بناه المؤلف فيما بعد بصفته أحد طلبة بور وأخرجه من الخشب والمعدن ليستخدمه بور في محاضراته عن هذا الموضوع شكل (٧ - ٢٢) - » وهاجم بور مسألة تعيين وزن صندوق أينشتين ، وقال إن مقياساً من الزنبرك له مؤشر يسجل الوزن على عمود رأسى مثبت عن كذب يكفي تماماً لهذا الغرض ، وذكر بور أنه لما كان من الضروري أن يتحرك الصندوق في الاتجاه الرأسى كلما تغير وزنه ، فلا بد من وجود عدم تثبيت

في سرعته الرأسية ، ومن ثم عدم تثبيت في ارتفاعه فوق المنضدة . وبالإضافة إلى ذلك فإن عدم التثبيت في ارتفاعه فوق سطح الأرض سوف يسبب وجود عدم تثبيت في معدل الساعة ، إذ أنه حسب النظرية النسبية يتوقف المعدل الذي تسير به عقارب الساعة على موضع الساعة في مجال الجاذبية . واستمر بور في التدليل على أن عدم التثبيت في الزمن وفي تغير كتلة الصندوق تقوم بينهما دون شك العلاقة التي حاول أينشتين هدمها .



شكل (٧ - ٢٢)

مقاييس أينشتين - بور لقياس وزن الضوء

وعندما هزم أينشتين بما قال وما قدم بنفسه ، سلم بأن فكرة بور وهيزنبرج خالية من المتناقضات الداخلية ، إلا أنه حتى آخر أيام حياته رفض قبول مبدأ عدم التثبيت ، وظل يأمل في أن تعود الفيزياء مرة أخرى إلى وجهة نظر إمكان التحديد في يوم من الأيام .

ثقوب في لاشيء

نال بول أدرين موريس ديراك - شكل (٧ - ١٧) - درجته الجامعية في هندسة الكهرباء في أوائل العشرينات من هذا القرن ، وسرعان ما ألغى نفسه من غير عمل . وعندما عجز عن الحصول على وظيفة ما تقدم للحصول على منحة للدراسات

العليا بجامعة كمبردج وأجيب طلبه . وفي أقل من عشر سنوات حصل على جائزة نوبل في الفيزياء لما قام به من إضافات هامة في مجال ميكانيكا الكم . ولقد كان ديراك ، وهو لا يزال ، عالماً من النوع الذى يعيش في « برجه العاجي » وبينما كان يسره دائماً أن يتحدث إلى أتباعه عن رحلته إلى الشرق ، أو أى موضوع آخر عادى ، كان يفضل أن يتتبع كل دراسته بنفسه . وكانت ملاحظاته التى يبدىها خلال الاجتماعات العلمية دائماً دقيقة وفي صميم الموضوع . وحدث مرة في مؤتمر للفيزياء النظرية بكنهاجن أن استمع إلى أحد العلماء اليابانيين المدعوى . نيشينا ، وكان قد ملأ السبورة بالعديد من الحسابات ليصل في النهاية إلى قانون هام يتصل بموضوع تشتت الأشعة ذات الموجات القصيرة بوساطة الكهارب الطليقة . ونبه ديراك نيشينا ولفت نظره « إلى أن الحد الثالث ، في المعادلة التى استنتجتها بعد جهد على السبورة ، الموضوع بين قوسين ، تسبقه علامة سالبة بينما في النسخة الأصلية كان هذا الحد موجباً » . وأجاب نيشينا قائلاً : « حسناً . الصواب هو ما جاء في الأصل ، ولا بد أننى ارتكبت خطأ في العلامة في مكان ما في أثناء استنتاج تلك المعادلة هنا على السبورة » . وأجاب ديراك مصححاً : « إن الخطأ في علامات الأعداد الفردية ثلاثة وخمسة وسبعة وهلم جرا ، بسبب دون شك نفس النتيجة » .

وحدث مرة في أثناء فترة الأسئلة عقب محاضرة ديراك في جامعة تورنتو أن رفع أحد الأساتذة الكنديين الذين حضروا المحاضرة يده قائلاً : « إننى لم أفهم يا دكتور ديراك كيف استنتجت هذه المعادلة التى في الطرف العلوى إلى يسار السبورة » . وأجاب ديراك : « ليس هذا بالسؤال ولكنه تقرير حالة » ثم استمر يقول : « من يريد السؤال بعده من فضلكم ؟ » .

ونحن نستطيع أن نظهر قدرته الفائقة في الرياضيات بحالة أنجز فيها حل مسألة صعبة محيرة كانت تشغل بال الرياضيين والفيزيائيين في جامعة جوتنجن في أثناء إحدى زيارات ديراك لها . وكانت هذه المسألة تتضمن كتابة جميع الأعداد من ١ إلى ١٠٠ باستخدام كل ما لدينا من العلامات الجبرية + ، - ، وأس ، وجذور . . إلخ ، بحيث لا يستخدم سوى أربع اثنيات فثلاً : يمكن كتابة ١ بالصورة $\frac{2 \times 2}{2 \times 2}$ ، كما يمكن كتابة ٢ بالصورة $\frac{2}{2} + \frac{2}{2}$ ، وكتابة ٣ ، ٥ على هيئة

يجب أن يبدو كأنما هو نحلة صغيرة مغطسة تلف وتدور . ولا سبيل إلى مناقشة معادلة ديراك (نسبية الموجية) هذه لعظم تعقيدها ، وما على القارئ إلا أن يبقى مطمئناً إلى صحتها وسلامتها .

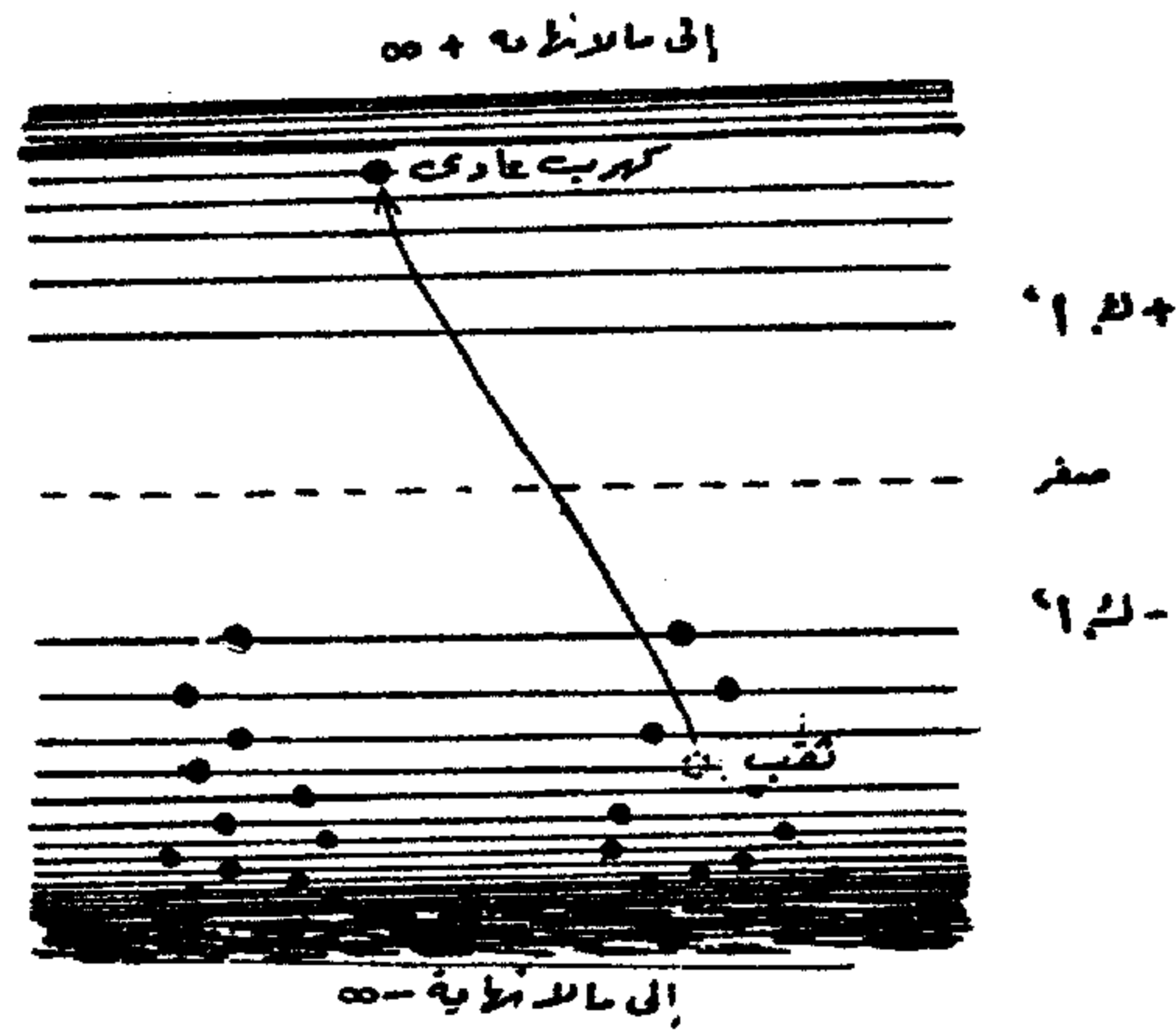
وعلى قدر ما بدت معادلة ديراك عظيمة رائعة فإنها سريعاً ما أدت إلى تعقيد هائل ، نظراً لأنها وحدث بنجاح منقطع النظير نظريتي النسبية والكم . ولقد جاءت المشاكل عن طريق أن ميكانيكا النسبية (لم تناقش في الباب السادس) تؤدي إلى احتمال رياضي بوجود عالين مختلفين : أحدهما عالم (موجب) — وهو الذي نعيش فيه — والثاني عالم غريب « سالب » — وهو ما لا سبيل له سوى تحدى واعتراض سبيل تصوراتنا وأحلامنا . وكتلة الأجسام في هذا العالم السالب هي بدورها سالبة كذلك ، ومعنى ذلك أنها عندما تدفع في اتجاه معين تتحرك في الاتجاه المضاد . وبطريقة التشابه أو المقارنة الواضحة المحلية نستطيع أن نطلق على الكهارب التي لها كتل سالبة اسم « الكهارب البليدة » . ومن المنتظر أن تحدث الأعاجيب في هذا العالم الذي تكون فيه الكتلة سالبة ؛ فمثلاً لكي نجعل الجسم يتحرك إلى الأمام يكون علينا أن ندفعه إلى الخلف ، ولكي نوقفه عن الحركة يكون لزاماً أن ندفعه إلى الأمام . ولنأخذ مثلاً كهربين في حالة السكون يقع أحدهما بجوار الآخر ، فنظراً لما يحملان من شحنة كهربية توجد بينهما قوى طاردة . ولو أن كلا منهما كان كهرباً « عادياً » فإن هذه القوى سوف تكسبهما عجلتين في اتجاهين متضادين ، ومن ثم يطير الكهربان ويأخذان في التباعد بسرعة عالية . أما إذا كان أحدهما على أية حال من النوع « البليد » فإن قوى التنافر سوف تعمل على دفعه وتحريكه تجاه الكهرب الآخر ، في نفس الوقت الذي يتعد فيه هذا الأخير . ونظراً لأن الكهربين يساوي كل منهما الآخر عددياً ، فإنهما سوف يبتعدان وتزايد سرعتهما إلى الأبد ، وهكذا يظل الكهرب « البليد » يطارد الكهرب « العادي » . وهنا لا يوجد تناقض مع قانون بقاء الطاقة ، فإن طاقة حركة الكهرب العادي هي $\frac{1}{2} E^2$ ، أما الكهرب البليد فإن طاقة حركته هي $-\frac{1}{2} E^2$ ، بحيث تكون الطاقة الكلية للجهاز المكون من الكهربين معاً هي $\frac{1}{2} E^2 - \frac{1}{2} E^2 = 0$ صفراً ، أى تماماً كما كانت الحال عند السكون .

ولم يحدث قط أن شاهد أحد كهارب بليدة أو حجارة بليدة * أو حتى كواكب بليدة ، وما هذا العالم السالب إلا حل خيالى زائد لمعادلات أينشتين فى الميكانيكا ، ولم يكن هناك ما يدعو إلى القلق قبل أن يوحد ديراك النسبية والكم . وفى الواقع نجد أن طاقة الكهرب العادى وهو فى حالة السكون تساوى K^1 ، أما عندما يتحرك بالسرعة c فإن طاقة حركته يلزم أن تضاف إليه كذلك . ومن ناحية أخرى نجد أن الكهرب «البليد» له طاقة سكون تساوى $-K^1$ ، كما تسبب حركته طاقة حركة سالبة تضاف إليه أيضاً . وعلى ذلك فإن الرسم البيانى الذى يمثل طاقة النوعين من الكهارب يبدو كما هو موضح فى شكل (٧ - ٢٣) ، فهو ينقسم إلى جزئين : العلوى ، وهو الخاص بالكهارب العادية . ثم السفلى - وهو للكهارب البليدة - وتفصل بين الجزئين مسافة بين $+K^1$ و $-K^1$ ، وهى لا تنتمى لأى نوع من أنواع الحركة الممكنة على الإطلاق . ومن ثم نرى أنه : (إذا كانت حركة الجسيمات مستمرة) ، فإنه لا سبيل إلى تغييرها من الجزء العلوى فى الشكل إلى الجزء السفلى ، ويمكن بذلك التخلص من الصعوبة لمجرد أن نقول : « إن كهاربنا هى جسيمات لا تتركب القبيح ، كتلتها موجبة ، ونحن لا نعبأ قط ولا نأبه بأمر الاحتمال الرياضى الثانى » .

ومهما يكن من شىء فإننا لا نستطيع التخلص من الصعوبة بهذه السهولة عندما نوحّد نظرتى النسبية والكم . وفى الحقيقة نجد أنه تبعاً لنظرية الكم ليس على الكهارب إلا القفز من أحد مستويات الطاقة إلى مستوى آخر حتى لو لم يكن هنالك انتقال مستمر بين حالتى الحركة . فإذا كان فى مقدور الكهارب أن تقفز من أحد مسارات بور إلى مسار آخر داخل الذرة ، لتشع الطاقة على هيئة كم ضوئى ، فلماذا لا تستطيع القفز من أحد مستويات الطاقة العليا إلى مستويات أخرى أقل فى شكل (٧ - ٢٣) ؟ ولو أمكن ذلك حقاً لعمد كل كهرب عادى إلى القفز إلى حظائر الكهارب البليدة ذات الطاقات السالبة ، ولتنتج عن استمرار فقد كميات أكثر وأكثر من الطاقة عن طريق الإشعاع أن يتحرك بسرعة أكبر وأكبر ، مكتسباً طاقة حركة سالبة . وبطبيعة الحال لا يحدث ذلك ، ولكن لماذا لا يحدث ؟

وكانت الوسيلة الوحيدة التى عالج بها ديراك الموقف أن افترض أن جميع

* يعنى حجارة تسقط من السماء أو من العالم السالب على هيئة شهب أو نيازك (المترجم) .



شكل (٧ - ٢٣)

محيط ديراك المكون من « الكهارب البليدة » ، مبيناً تكوين زوج كهربي (كهرب سالب وآخر موجب) .

حالات الطاقة السالبة تمتلئ تماماً بالكهارب البليدة ، وأن كهارب حالات الطاقة الموجبة ممنوعة من النزول إليها حسب مبدأ الاستبعاد لباولي . وبطبيعة الحال كان معنى ذلك أن الفضاء ليس فراغاً بالمعنى الصحيح ، ولكنه يمتلئ إلى درجة الإشباع بكهارب بليدة تتحرك في شتى الاتجاهات الممكنة بجميع السرعات المحتملة ! ونحن نجد في الواقع أنه يلزم أن تضم كل وحدة من وحدات الحجوم في الفضاء عدداً لا نهائياً من هذه الجسيمات التي تناقض نفسها بنفسها ! فلماذا إذاً لا نلاحظها قط ؟ تفسير ذلك في الواقع كاللغز المحير . فلتتصور مثلاً سمكة من أسماك أعماق البحار لم تصعد قط إلى سطح المحيط ، ولذلك فهي لا تعلم بتاتاً أن للماء نهايته من أعلى . فلو أن هذه السمكة لها من الذكاء القدر الذي يسمح لها بالتمتع فيما حولها ، فإنها سوف لا تفكر حتى في الماء « كوسط » ، ولكنها سوف تنظر إليه كأنه « فضاء طليق » . وكذلك يمكن القول بأن علماء الفيزياء لا يشعرون بوجود هذا السرب البالغ اللانهاية من الكثافة والمكون من الكهارب البليدة ، وذلك نظراً لتوزيعه بانتظام محكم عبر الفضاء . وبطبيعة الحال لاح أن هذه الفكرة هي على غرار فكرة الأثير العالمي القديم ، ولكنها كانت تستحق الدراسة . وعندما نعود إلى سمكتنا الذكية التي تعيش في أعماق البحار ، نستطيع التصور أنها كوَّنت لنفسها فكرة عن الجاذبية عن طريق

رصد زجاجات البجعة « البيرة » الفارغة وغيرها من النفايات ، بل بعض السفن بأكملها ، التي تغوص متساقطة إلى قاع « المحيط » وفي يوم من الأيام يصادف أن ينطلق هواء كان حبيس إحدى الغرف في سفينة غارقة ، وتلاحظ سمكتنا الذكية سلسلة من الفقاعات الفضية تتتابع صاعدة إلى سطح المحيط . ليس من شك أن السمكة سوف يملكها العجب ، وبعد برهة سوف تستنتج أن لتلك الكرات الفضية كتلات سالبة . أو ليس الحق معها ؟ وإلا فكيف تتحرك تلك الكرات صاعدة إلى أعلى في نفس الوقت الذي تعمل فيه الجاذبية على دفع كل شيء إلى أسفل ؟

ولقد كانت لديرارك نفس هذه الآراء حول محيطه المليء إلى درجة التشبع بكهارب طاقاتها سالبة . ولنفرض الآن أن فقاعة وجدت في محيط ديرارك ، أى أن كهرباً بليداً راح يرتفع ، فكيف يمكن لعالم الفيزياء ملاحظته والإحساس به ؟ لما كان تغيب شحنة سالبة يعادله وجود شحنة موجبة ، فإنه سوف يلاحظه على هيئة جسم شحنته موجبة . وكذلك في حالة الفقاعة تعكس علامة الكتلة ، وهكذا يعبر عن فقد الكتلة السالبة بكسب أو وجود كتلة موجبة . وهل من الجائز أن تكون مثل تلك الفقاعة التي تتحرك في محيط ديرارك ما هي إلا (نواة الأيدروجين) أو بروتون عادى ؟ بدت هذه الفكرة رائعة ، إلا أنها لم تنفع ولم تشفع ؛ فقد حاول ديرارك تفسير ازدياد كتلة الفقاقيع (أو البروتونات إذا صح ذلك) بسبب الزوجة العالية الناجمة عن تأثير الكهارب البليدة بعضها في بعض ، إلا أنه لم ينجح في محاولته هذه ، فقد ظلت كتلة كل جسم من الجسيمات (الفقاقيع) ذات الشحنات الموجبة تساوى تماماً على الدوام كتلة الكهرب الواحد . والذي زاد هذه الصعوبة تعقيداً حسابات باولى ، الذي برهن على أنه إذا كان البروتون بحق فقاعة في محيط ديرارك فإنه لن يكون هناك سبيل لوجود ذرة الأيدروجين وبقائها إلا خلال فترة صغيرة لا تذكر من الثانية الواحدة . وليس من شك أنه لو كانت ذرة الأيدروجين « نقطة تلف من حول إحدى الفقاعات » . . لهوت إليها لمتلاً الفراغ الذي تشغله ، وبذلك تتداعى ذرة الأيدروجين وتندثر في أقل من لحظة . وبهذه المناسبة اقترح باولى ما يعرف باسم « مبدأ باولى الثانى » ، الذى يقول بأن أية فكرة جديدة يصوغها عالم من علماء الفيزياء النظرية يمكن فى الحال استخدامها لجميع الذرات التي

يتكون منها جسمه ، وعلى ذلك فبحسب هذا المبدأ كان يستنفد جسد ديراك وتندثر معالمة في فترة لا تعدو كسراً صغيراً من جزء من ألف جزء من الثانية بعد تصويره لتلك الفكرة ، وبذلك كان يتم إنقاذ غيره من علماء الفيزياء النظرية من سماعها ...

وفي عام ١٩٣١ كان أحد المشتغلين بالفيزياء في أمريكا ، وهو كارل أندرسن يدرس المسارات التي تحدثها داخل غرف التكاثف الكهارب ذات الطاقات العظيمة المقبلة في رخات الأشعة الكونية ، وذلك من أجل قياس سرعة تلك الكهارب .

وعندما وضع غرفة التكاثف في مجال مغناطيسي قوى ، كم كان عجبه عندما أظهرت الصور الفوتوغرافية أن نصف الكهارب أزيح في اتجاه معين ، على حين أزيح النصف الآخر في الاتجاه المضاد . ومعنى ذلك وجود خليط يتكون من ٥٠ ٪ من الكهارب السالبة الشحنة و ٥٠ ٪ من الكهارب الموجبة الشحنة ، ولكل منهما نفس الكتلة . وكانت هذه الأخيرة تمثل الثقوب في محيط ديراك ، وهي التي رفضت تمثيل دور البروتونات ، وإنما انبثقت كجسيمات لها صفاتها ومعالمها . وسرعان ما أبدت التجارب التي أجريت على الكهارب الموجبة ، وهي التي تسمى عادة باسم البوزترونات ، التكهّنات التي بنيت على نظرية الثقب لديراك ، فإن الزوج المكون من كهرب موجب وآخر سالب يمكن إنتاجه عن طريق تصادم كم الضوء ذي الطاقة العالية (مثل أشعة جاما أو الأشعة الكونية) مع نوى الذرات . ولقد انطبق احتمال توافر هذه الحوادث تماماً مع القيم التي تم حسابها على أساس نظرية ديراك .

ولقد لوحظ أن الكهارب الموجبة عندما تنطلق خلال المادة العادية تنعدم من الوجود بتصادمها مع الكهارب العادية ، على حين تنطلق الطاقة المعادلة لكتلتيهما على هيئة فوتونات لها طاقات عالية . والحق يقال : إن كل كبيرة وصغيرة جاءت كما كان متوقفاً تماماً .

ولكن ما شأن تلك النظرية العجيبة التي تعتبر الكهارب الموجبة ثقوباً في وسط مكّس بالكهارب ذات الكتل السالبة ؟ على أية حال ؛ فالنظرية هي مجرد رأى نظري ، والذي يثبت صحتها تمشيها مع الحقائق العملية والنتائج التجريبية ، بصرف النظر عن مقدار إعجابنا بها . ومنذ ظهور ورقة ديراك الأساسية تمت البرهنة على أنه لا يلزم في الحقيقة افتراض وجود المحيط الذي لا حدود لكثافته ، والمكون من

كهارب الكتل السالبة ، وأن البوزترونات يمكن اعتبارها تحت أى ظرف يعرض ولأى غرض كان بمثابة الثقوب الموجودة فى فضاء خلو خلواً تماماً من المادة .

المادة المضادة

وما إن تم اكتشاف الكهارب الموجبة حتى راح المشتغلون بالفيزياء يبحثون عن البروتونات أو نوى الأيدروجين السالبة ، وهى التى يمكن أن يكون وضعها بالنسبة إلى البروتونات العادية الموجبة شبيهاً بوضع البوزترونات بالنسبة إلى الكهارب (الإلكترونات) . ولما كانت كتلة البروتون تعادل نحو ألفين من المرات قدر كتلة الكهرب ، فإن إنتاج هذه البروتونات إنما يتطلب قدراً من الطاقة يعادل عدة بلايين إلكترون فولت * ولقد أدى ذلك إلى ازدياد الطموح والتطلع لعمل مشروعات لبناء أجهزة تكسب الجسيمات عجلات تزايدية ** من شأنها أن تكون مصدراً للطاقات اللازمة لقذف النواة . وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية وضع أحجار الأساس لمثل هذه المعجلات « البيفاترون » فى معمل الإشعاع بجامعة كاليفورنيا فى بركلى ، وكزموترون فى معمل بروكهافن الأهلى بجزيرة لونج أيلاند . والذى كسب هذا السباق نفر من علماء الطبيعة على الساحل الغربى ، وهم إميليو سجرى ، وو. تشمبرلين وآخرون ، الذين أعلنوا فى أكتوبر عام ١٩٥٥ أنهم شاهدوا بروتونات سالبة تنبثق من الأهداف التى يطلقون عليها ٦,٥ بى (بليون فولت كهربي) من القذائف التى تحطم بها الذرة .

وتركزت الصعوبة الأساسية فى رصد البروتون السالب الذى يتكون بضرب الهدف فى أن تلك البروتونات ينتظر أن تكون مصحوبة بعشرات الألوف من الجسيمات الأخرى (الميسونات الثقيلة) التى تتكون فى أثناء الضرب كذلك . وعلى ذلك فقد لزم فصل البروتونات السالبة بعد ترشيحها من بين جميع الجسيمات الأخرى . وتم إنجاز ذلك بواسطة « ممرات عديدة » معقدة أمكن تحقيقها باستخدام المجالات المغناطيسية

* يعادل الإلكترون فولت طاقة قدرها ١,٦ × ١٠^{-١٩} - ١٢ ارج (المترجم) .

** انظر الباب الثامن تحت عنوان « أول محطات النواة » (المؤلف) .

والفتحات الضيقة . . . إلخ التي لا يمكن أن يمر خلالها سوى الجسيمات التي لها صفات تضاد صفات البروتون العادى الموجب . وعندما أمرت أسراب الجسيمات المنطلقة من الهدف (عندما يعترض سبيل حزمة القذائف التي يوجهها إليه البيفاترون) خلال تلك « الممرات المعقدة » صار من المنتظر خروج البروتونات السالبة فقط من طرفها المقابل . وقد أجريت التجربة ، وكم كان عجب الباحثين الأربعة عندما شاهدوا الجسيمات السريعة تخرج بمعدل جسيم واحد كل ست دقائق من الفتحة الخلفية . ولقد دلت التجارب التي أجريت بعد ذلك على أن تلك الجسيمات كانت بروتونات أصيلة سالبة تتكون في الهدف عند ضربه بحزمة البيفاترون ذات الطاقة العالية . ولقد قيست كتلة البروتون فوجدت أنها تعادل ١٨٤٠ مرة قدر كتلة الكهرّب الواحد . ويعرف هذا الرقم بأنه كتلة البروتون العادى الموجب أيضاً .

وكما تباد الكهارب الموجبة المتولدة صناعياً على أثر مرورها عبر المادة العادية المكونة من أكّداس الكهارب السالبة ، فإن المتوقع أن البروتون السالب يباد وتندثر معاملة كذلك عندما تعترض سبيله البروتونات الموجبة وتصطدم معه .

ولما كانت الطاقة الناجمة عن عملية إفناء البروتون والبروتون المضاد تفوق وترى فوق الطاقة التي تنجم عن إفناء الكهرّب والكهرّب المضاد بما يعادل نحو ألى ضعف ، فإن عملية إفناء البروتونات إنما تسير بعنف وقوة أشد بكثير من عمليات إفناء الكهارب ، مما يسبب تكوين « نجم » يدخل في تركيبه جسيمات عديدة .

ويمدنا هذا التدليل على وجود البروتونات السالبة بمثال رائع عظيم على الاختبار التجريبي لما تتكهن به النظريات من أمور خاصة بصفات المادة ، حتى لو بدت النظرية هزيلة غير مصدقة وقت إعلان تلك النتائج والتكهنات . فقد أعقب ذلك في خريف عام ١٩٥٦ أن اكتشف النيوترون* المضاد ، أى الجسيمات التي تقف بالنسبة إلى النيوترونات العادية كما تقف البروتونات السالبة بالنسبة إلى البروتونات الموجبة . ونظراً لانعدام الشحنة الكهربائية في هذه الحالة ، فإن الفرق بين النيوترونات

* النيوترون هو البروتون عديم الشحنة ، أى المتعادل كهربياً ، وتقارب كتلته كتلة البروتون كما قدمنا (المترجم) .

والنيوترونات المضادة يمكن أن يتمثل أو يشاهد فقط على أساس ميلهما المتبادل لإفناء بعضهما بعضاً .

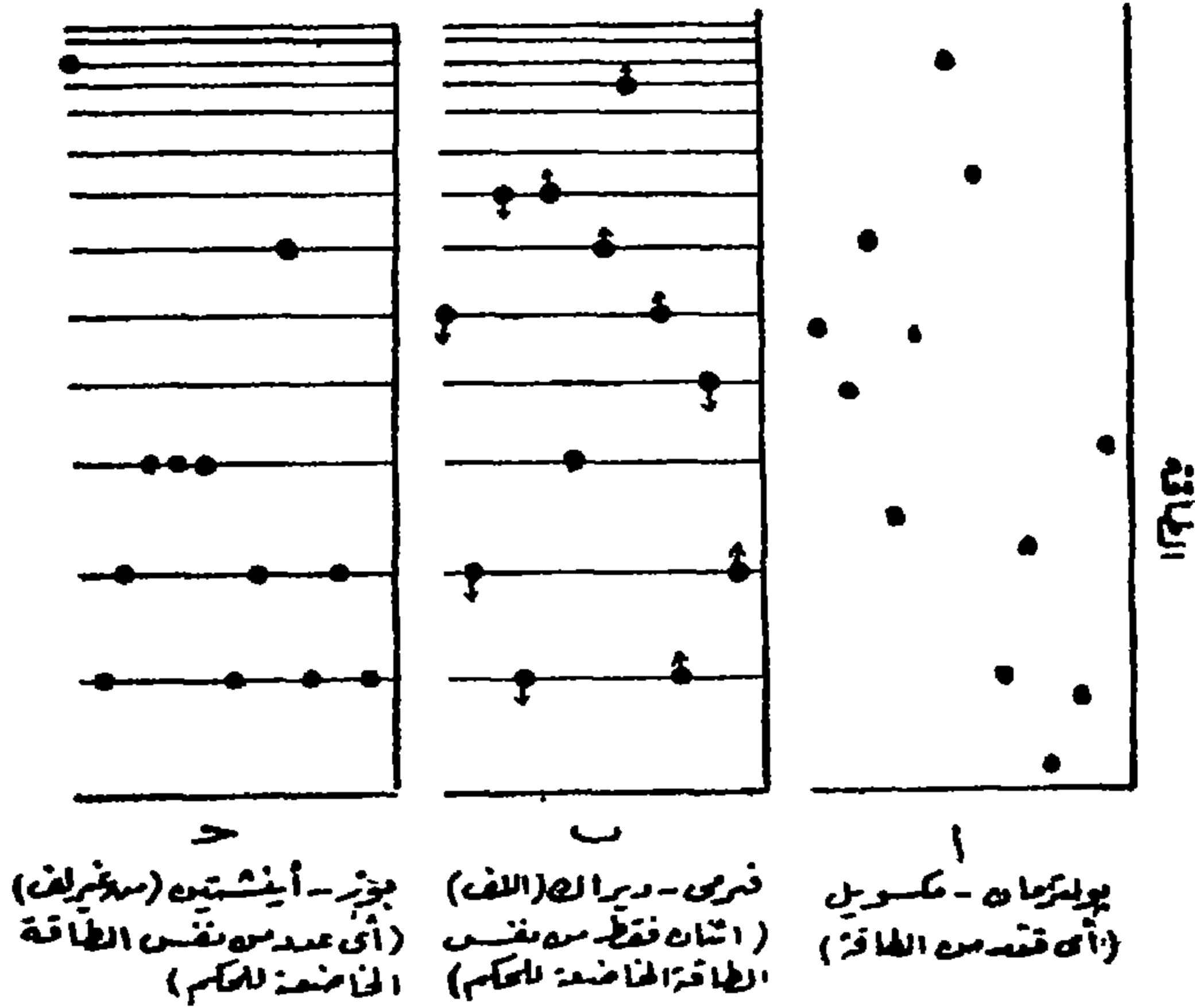
ونظراً لإمكان وجود البروتونات والنيوترونات والكهارب التي تتكون منها ذرات المادة العادية ، وظهورها جميعاً في الحالات المضادة ، فإن ذلك يعنى إمكان وجود المادة المضادة المكونة من هذه الجسيمات . ومن اللازم أن تكون جميع الصفات الكيموية والطبيعية للمادة المضادة هي عينا صفات المادة العادية ، والسبيل الوحيد الذي نستطيع به أن نقرر أن حجرين يتكونان من مادتين متضادتين فيما بينهما هو ضمهما معاً ، فإذا لم يحدث شيء فهما من نفس النوع المادى ، أما إذا حدثت بينهما عملية إفناء ذريعة فهما من مادتين « متضادتين » .

واحتمال وجود المادة المضادة في هذا الوجود يتيح فرصة إثارة مسائل لا حد لها في مجالى الفلك والعلوم الكونية . فهل مادة الكون بأسره من نفس النوع ، أم أن هناك أرجاء من نوع مادتنا وأخرى من المادة المضادة موزعة هكذا حسبما اتفق عبر الفضاء اللانهائى ؟ هناك رأى قوى يقول بأن المادة المنتشرة في مجموعتنا الشمسية ، والتي تدخل في نطاق الطريق اللبنى (أو طريق التبانة) هي من نوع واحد متجانس . والحق يقال : لو لم يكن الأمر كذلك لولدت عمليات الإفناء الذريعة التي تتم بين النجوم والمادة الكونية المنتشرة بينها نوعاً من الإشعاع القوى الذي لا يمكن تجنب رصده من الأرض ، ولكن السؤال هو : هل أقرب المجرات لنا في الفضاء ، مثل سديم « أندروميديا » العظيم ، وهل مئات ملايين مجرات النجوم الأخرى المنتشرة في الفضاء والتي تقع في مجال رصد المنظار الفلكى المكبر الذى يبلغ قطر مرآته ٢٠٠ بوصة بمرصد جبل بالومار ، تتكون كلها من نفس النوع من المادة ، أم هي خليط مكون من ٥٠ ٪ من كل من المادتين * ؟ ولكن إذا كانت جميع مادة الكون من نوع واحد فلماذا يكون الأمر هكذا ، وإذا كان بعضها من المادة العادية وبعضها الآخر من المادة المضادة ، فكيف تم فصل هذه الأجزاء المميزة بعضها عن بعض ؟ إننا لا نملك الإجابة عن أى من هذه الأسئلة ، وكل ما نملكه على أية حال هو الأمل في أن يتمكن علماء الفيزياء والفلك في المستقبل من حل هذه المعضلة .

* يرى (المترجم) أن هذه الحقائق العلمية إنما تلقى الضوء أو بعض الضوء على قوله تعالى في سورة فاطر (٤١) : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ... » إذ أن التقاء أجرام السماء المختلفة المادة ببعضها ببعض يعنى فناهما .

الإحصاء الكمي

كان لنظرية الكم الخاصة بالحركة أثر بالغ وتأثير شامل في نظرية الحركة الحرارية التي ناقشناها في الباب الرابع من هذا الكتاب . فليس من شك أنه إذا كان الكهربي المتحرك داخل الذرة ليس له من سبيل سوى أن تكون طاقة حركته على قدر معين حسب قاعدة معلومة ، فمن اللازم أن تكون الحال كذلك مع جزيئات الغاز التي تتحرك في حيز معلوم . وعلى ذلك فعندما ندرس توزيع الطاقة بين جزيئات الغاز ، لا نستطيع الاسترسال في الفرض القائل بأن جزيئات الغاز يمكن أن يكون لها أي قدر من الطاقة — شكل (٧ - ٢٤) — ، كما سبق أن رأينا في النظريات القديمة التي صاغها بولتزمان ، ومكسويل ، وجيز ، وغيرهم ، بل على العكس من ذلك يلزم أن يكون أمامها مستويات محددة من الطاقة لا تحيد عنها ، يحددها حجم الوعاء الذي يضم الغاز ، ولا يمكن أن توجد قيم للطاقة بين هذه المستويات . ولكن الذي



شكل (٧ - ٢٤)

ثلاث عينات من طرق المعالجة الإحصائية لطاقة ١٢ جسيماً غازياً

زاد الوضع تعقيداً أن بعض جسيمات الغاز (مثل الكهارب) تخضع لمبدأ باولى الذى يحول دون اشتراك أكثر من اثنين من تلك الجسيمات فى شغل نفس مستوى الكم ، على حين لا تخضع بعض الجسيمات الأخرى (مثل جزيئات الهواء) لهذا المبدأ أو هذا الشرط . ولقد نجم عن هذه الحقيقة ظهور نوعين مختلفين من الإحصاء : النوع المسمى بإحصاء فرمى - ديراك وهو الذى يمكن استخدامه للجسيمات التى تخضع لمبدأ باولى ، والنوع المسمى بإحصاء بوز - أينشتين ، وهو الذى يمكن استخدامه للجسيمات التى لا تخضع لتلك القاعدة . ولقد رسم شكل (٧ - ٢٤ ب ، ج) من أجل إظهار الفرق بين هذين النوعين من الإحصاء . ولقد كان نشوء موضوع إحصاء الكم وتطوره مثيراً للغاية ، إلا أنه صعب التفسير والإيضاح ، ولا سبيل إلى فهمه إلا باستخدام الألفاظ الفنية والتعبيرات العلمية التى لا يعتادها إلا أهلها .

وعلى ذلك فيمكن أن يقال عند هذا الحد إن كلا النوعين من الإحصاء الحديث يكاد لا يختلف فى شىء عن الإحصاء القديم الطيب عند معالجة ما يصادفنا كل يوم من حالات كدراساتنا للهواء الجوى مثلاً . ونحن لا نتوقع فروقاً ذات بال إلا فى الحالات التى على غرار كهرب الغاز فى المعادن وما نطلق عليه اسم نجوم « الأقزام البيضاء » حيث تسيطر على الموقف قواعد فرمى وديراك ، وكذلك فى الغازات العادية عندما تقارب درجة حرارتها الصفر المطلق ، حيث تسود قاعدة بوز - أينشتين . وعلى أية حال فالأمل عظيم فى أن يستمر قراء هذا الكتاب ممن أثار الموضوع اهتمامهم فى دراساتهم للفيزياء الحديثة بطريقة تقديمية أكثر ، وإذا فعلوا ذلك فسوف تتضح لهم المعالم وتسهل مسائل إحصاء الكم عليهم ، وتصبح ناصعة كالبلورة بعد دراسة تستغرق ست سنوات .

الباب الثامن

نواة الذرة والجسيمات الأولية

اكتشاف النشاط الإشعاعي

في أوائل عام ١٨٩٦ ، عندما نعى إلى أسماع العالم الفيزيائي الفرنسي هنري بكريل أمر اكتشاف رويبتجن الحديد لأشعة إكس ، قرر أن يرى هل هناك أشعة أخرى على غرار الأشعة السينية هذه تطلقها المواد المشعة ؟ أو تلك المواد المعروفة عنها أنها تومض بتأثير أشعة الضوء المتساقطة عليها ؟ واختار لهذه الدراسة بلثورات من معدن يقال له الأورانيل (وهو خليط من سلفات اليورانيوم واليوتاسيوم) وقد كان يقوم بدراسته قبل ذلك من أجل تحديد خواصه المشعة العديدة . ولما كان بكريل يعتقد أن الإشعاع ما هو إلا نتيجة للإضاءة الخارجية ، فقد عمد إلى وضع بلثورات الأورانيل على لوح من ألواح التصوير وهو ملفوف في ورق أسود * ، ثم تركه على قاعدة النافذة ، وعندما أتم تحميض اللوح بعد تعريضه لمدة ساعات لضوء الشمس ظهرت عليه بوضوح وجلاء بقعة سمراء في المكان الذي وضعت عليه بلثورة الأورانيل . وكرر الرجل التجربة عدة مرات ، وفي كل مرة كانت البقعة السمراء تظهر واضحة جلية ، حتى عندما عمد إلى زيادة عدد الأوراق السوداء التي يلف بها لوح التصوير الحساس .

وفي يومى ٢٦ ، ٢٧ من فبراير عام ١٨٩٦ غطيت سماء باريس بسحب كثيفة ، انهمر منها المطر بلا انقطاع ، وكانت الحياة في الطرقات تتوارى خلف مظلات المقاهى والمطاعم . وتحت تلك الظروف وضع بكريل لوحاً من ألواح التصوير حديث اللف ومعه بلثورة الأورانيل في درج مكتبه ، وظل ينتظر تحسن الجو . ولكن الشمس لم تظهر إلا في أول مارس وحتى ذلك الوقت كانت توارىها السحب . ومع ذلك فقد عرض بكريل لوحه لأشعة الشمس وذهب بعد ذلك إلى

* يحول دون نفاذ الضوء (المترجم) .

الحجرة المظلمة ليرى النتائج . وقد كان شيئاً غير معقول ، فبدلاً من الآثار السمراء التي حصل عليها سابقاً عن طريق تعريضه أياماً كاملة لأشعة الشمس المشرقة وجد هذه المرة بقعة سوداء في لون الفحم حيث وضعت بلّورة الأورانيول . ويلوح إذاً أن سواد اللوح لا علاقة له بتعريض بلّورة الأورانيول لأشعة الشمس ؛ إذ استمرت عملية تسويد اللوح بلا انقطاع طوال الوقت الذي بقيت فيه قطعة الأورانيول في درج مكتب بكريل المغلق .

لقد كان إشعاعاً نفاذاً مثل الأشعة السينية ، ولكنه كان يصدر تلقائياً دون أى تدخل من الذرات حتى ذرات اليورانيوم الموجودة في بلّورة بكريل . وحاول الرجل بعد ذلك أن يسخن البلّورة ثم يخفض من حرارتها أو يحيلها إلى مسحوق ويذيبها في الأحماض . وعالجها بكل ما يستطيع عمله ولكن قوة الإشعاع القريب ظلت كما هي ، وأصبح من الواضح أن الخاصية أو الصفة الجديدة للمادة والتي أطلق عليها اسم النشاط الإشعاعي لا علاقة لها بالطريقة الطبيعية أو الكيميائية التي تجمع بها الذرات ، ولكنها صفة مستترة في أعماق الذرة ذاتها .

عناصر النشاط الإشعاعي

وفي خلال السنين الأولى بعد اكتشاف النشاط الإشعاعي هذا اشتغل عدد كبير من علماء الكيمياء والفيزياء بدراسة الظاهرة الجديدة . وقامت مدام ماري سكلودسكا كوري بتجارب واسعة النطاق على جميع العناصر الكيميائية ومركباتها لاكتشاف النشاط الإشعاعي . ودام ماري هذه من أصل بولندي وتلقت علومها في الكيمياء وكانت زوجة لعالم الطبيعة الفرنسي بيير كوري . ووجدت أن الثوريوم يصدر إشعاعاً يماثل إشعاع اليورانيوم . وعند مقارنة النشاط الإشعاعي لخامات اليورانيوم وفلز اليورانيوم لاحظت أن النشاط الإشعاعي لخامات اليورانيوم أكثر خمس مرات مما كان ينتظر لمحتوياتها من اليورانيوم . ويوضح هذا أن الخامات تحتوي على كميات أخرى صغيرة من مواد ذات نشاط إشعاعي أكثر من اليورانيوم

نفسه ، ولفصلها كان يلزم كميات كبيرة من خامات اليورانيوم الغالية الثمن . ونجحت مدام كورى فى أن تحصل دون مقابل من الحكومة النمساوية على طن من البقايا التى ما زالت تحتفظ بالكثير من نشاطها الإشعاعى من مصنع إنتاج اليورانيوم الحكومى فى مقاطعة بوهيميا . وقد تمكنت مدام كورى أن تفصل مادة لها خصائص كيميوية مشابهة لخصائص البزموت أطلقت عليها اسم البولونيوم تكريماً لموطنها . وباستمرار العمل اشتقت مادة كيميوية أخرى تشبه الباريوم وأطلقت عليها اسم الراديوم ، وكان نشاطها الإشعاعى أكثر من اليورانيوم الذى ضعف .

وغالباً ما يقع الرواد فى كل من البلدان غير المعروفة وميادين العلم الجديدة فريسة لأخطار خفية يصادفونها فى طريقهم . ولقد كان موت مدام كورى فى سن السابعة والستين ناتجاً عن مرض « الدم الأبيض » ، وهو مرض من المعروف الآن أنه ينتج عن التعرض للإشعاعات النفاذة . وعندما تعلم علماء الفيزياء كيف يحتاطون من الإشعاع ، وضعت أفلام تصوير بين أوراق كتب مدام كورى العملية . وبعد تحميص الأفلام ظهرت بصمات عديدة سببها رواسب النشاط الإشعاعى على الصفحات التى لمستها أصابع مدام كورى .

وتبع اكتشاف البولونيوم والراديوم اكتشافات لمواد ذات نشاط إشعاعى أعظم بكثير . ومن بين هذه المواد الأكتينيوم ، وهو ذو صلة قريبة باليورانيوم القابل للانقسام الذى قام بفصله ديبيرن وجيزيل ، والراديوثوريوم والثوريوم الأوسط اللذين قام بفصلهما أتو هان الذى اكتشف بعد ذلك بأربعين سنة ظاهرة انشطار اليورانيوم .

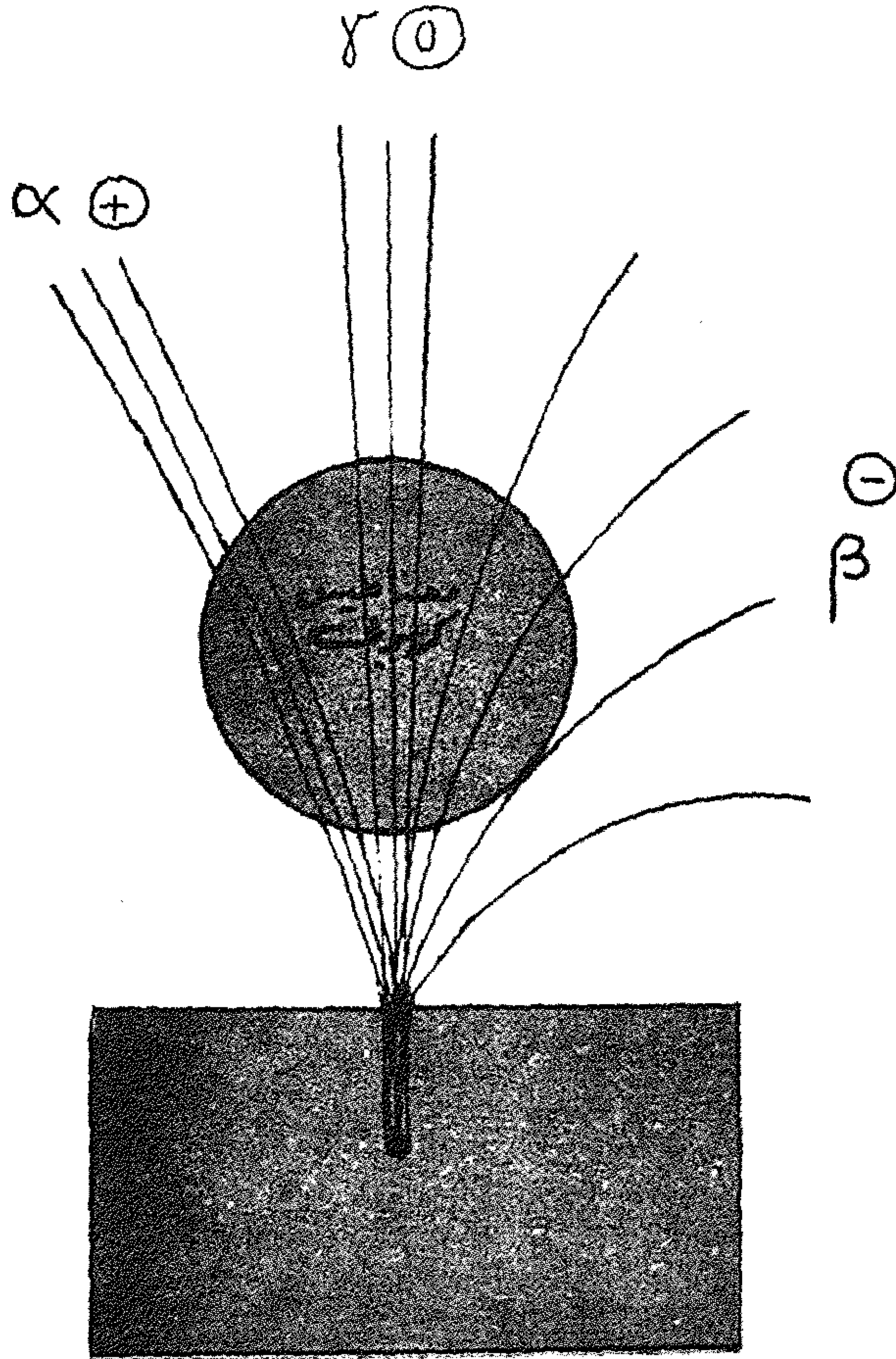
عائلات النشاط الإشعاعى

ومن الناحية الطبيعية كان العمل فى دراسة خصائص الإشعاعات النفاذة يسير فى تقدم . فى عام ١٨٩٩ اكتشف أرنست رذرفورد ، وله من العمر آنذاك ٢٨ سنة ، أنه توجد ثلاثة أنواع مختلفة من الأشعة :

(١) أشعة ألفا (α) ويمكن إيقافها بقطعة من الورق . وثبت أنها أيونات الهليوم ، وكانت في الواقع هي نوى ذرات الهليوم ، ولكن رذرفورد لم يعرفها حتى أجرى تجارب التناثر أو التشتت بعد ذلك باثني عشر عاماً .

(٢) أشعة بيتا (β) ويمكنها اختراق طبقات الألومنيوم التي يبلغ سمكها عدة ملليمترات ، والتي اتضح أنها مجاز من الإلكترونات عظيمة السرعة .

(٣) أشعة جاما (γ) وهذه يمكنها اختراق دروع الصلب التي يبلغ سمكها



شكل (٨ - ١)

أشعة ألفا وبيتا وجاما

عدة سنتيمترات . وهى تشبه الأشعة السينية ولكن أطوال موجاتها أقصر . وقد جرت العادة أن يعاد رسم الأشكال فى الفيزياء (بما فيها تلك التى صنفها المؤلف من قبل) على النحو الموضح فى شكل (٨ - ١) الذى تظهر فيه انحرافات أشعة α ، β ، γ بعد مرورها فى مجال مغناطيسى (أو كهربى) . فأشعة ألفا تنحرف إلى اليسار (شحنة موجبة) ، وأشعة بيتا تنحرف إلى اليمين (شحنة سالبة) أما أشعة جاما فتظل بلا انحراف (موجات كهرومغناطيسية) . وعلى أية حال فإنه من المشكوك فيه أن هذه التجربة قد تمت فى أثناء الدراسات الأولى للنشاط الإشعاعى ، (فالحصول على انحراف ملحوظ لجسيمات ألفا لابد من إيجاد مغناطيسات كهربية قوية لدرجة غير عادية . وهذا النوع لم يتم توافره إلا أخيراً) ، فقد ظهر الفرق بين ألفا وبيتا بطرق غير مباشرة أكثر تعقيداً .

وفى بداية عهد التسابق فى هذا الميدان توصل رذرفورد ومساعدته فريديريك سودى إلى أن ظاهرة النشاط الإشعاعى مرجعها هو التحول التلقائى لعنصر كيموى إلى عنصر آخر . ويتبع عن انبعاث جسيم من جسيمات ألفا مع طاقة + ٢ وكتلة ٤ تكوين عنصر موقعه على بعد خانتين على يسار جدول مندليف ، ووزنه الذرى أقل بأربع وحدات . وانطلاق جسيم بيتا (إلكترون سالب) ، ينقل العنصر خانة على يمين جدول مندليف ولا يغير من وزنه الذرى مطلقاً . أما انبعاث أشعة جاما فصدره الاضطرابات التى تحدث للذرة عن طريق طرد جسيم مشحون سواء أكان سالباً أم موجباً . أما سلسلة التحللات المتلاصقة التى تحدث لأشعة ألفا وبيتا فإنها تنقص أو تقلل نشاط ذرات العناصر الثقيلة ذات النشاط الإشعاعى غير المستقرة ، كما تقلل من عددها ووزنها الذرى حتى تصل أخيراً إلى حالة الاستقرار ، التى هى ذرة الرصاص . وحيث إن تحلل أشعة « ألفا » يغير الوزن الذرى بأربع وحدات فى حين أن تحلل « بيتا » لا يحدث أى تغيير فى الوزن الذرى ، لذا كان من الممكن أن توجد أربع فصائل أو عائلات من العناصر ذات النشاط الإشعاعى .

(١) تلك التى لها وزن ذرى ، عبارة عن مضاعفات الأربعة : ٤ ن ،

(٢) تلك التى لها وزن ذرى ٤ ن + ١

(٣) تلك التي لها وزن ذري $4 + 2$

(٤) تلك التي لها وزن ذري $4 + 3$

والوزن الذري لليورانيوم هو ٢٣٨ ، وبعبارة أخرى $4 \times 59 + 2$. لهذا فالليورانيوم وكل أعضاء فصيلته المستخلصة بوساطة تحليلات ألفا والبيتا تنتمي إلى الفصيلة الثالثة من الفصائل المذكورة . والوزن الذري للثوريوم هو ٢٣٢ ، وبعبارة أخرى 4×58 ، ولذلك نجد فصيلة الثوريوم إنما تنتمي للعائلة الأولى . أما البروتاكتينوم الذي يتحلل إلى الأكتينوم والأعضاء الأخرى لفصيلة الأكتينوم ، فوزنه الذري يعادل ٢٣١ ، وبعبارة أخرى $4 \times 57 + 3$. ولهذا فهو ينتمي إلى الفصيلة الثالثة . أما الفصيلة ذات النشاط الإشعاعي ووزنها الذري $4 + 1$ (الفصيلة الثانية) فلا وجود لها في الطبيعة ، ولكن يمكن إنتاجها صناعياً في الأعمدة الذرية .

وعن طريق العمل الشاق الذي قام به الدارسون الأول للنشاط الإشعاعي تم تكوين الشجرة العائلية لفصائل النشاط الإشعاعي . وتظهر في صفحة (٣٧١) طريقة تحليل فصيلة اليورانيوم التي تنبت باليورانيوم الأب - ٢٣٨ وبعد ثمانية تحولات لأشعة ألفا وستة تحولات لأشعة بيتا تنهى بالرصاص المستقر ٢٠٦ .

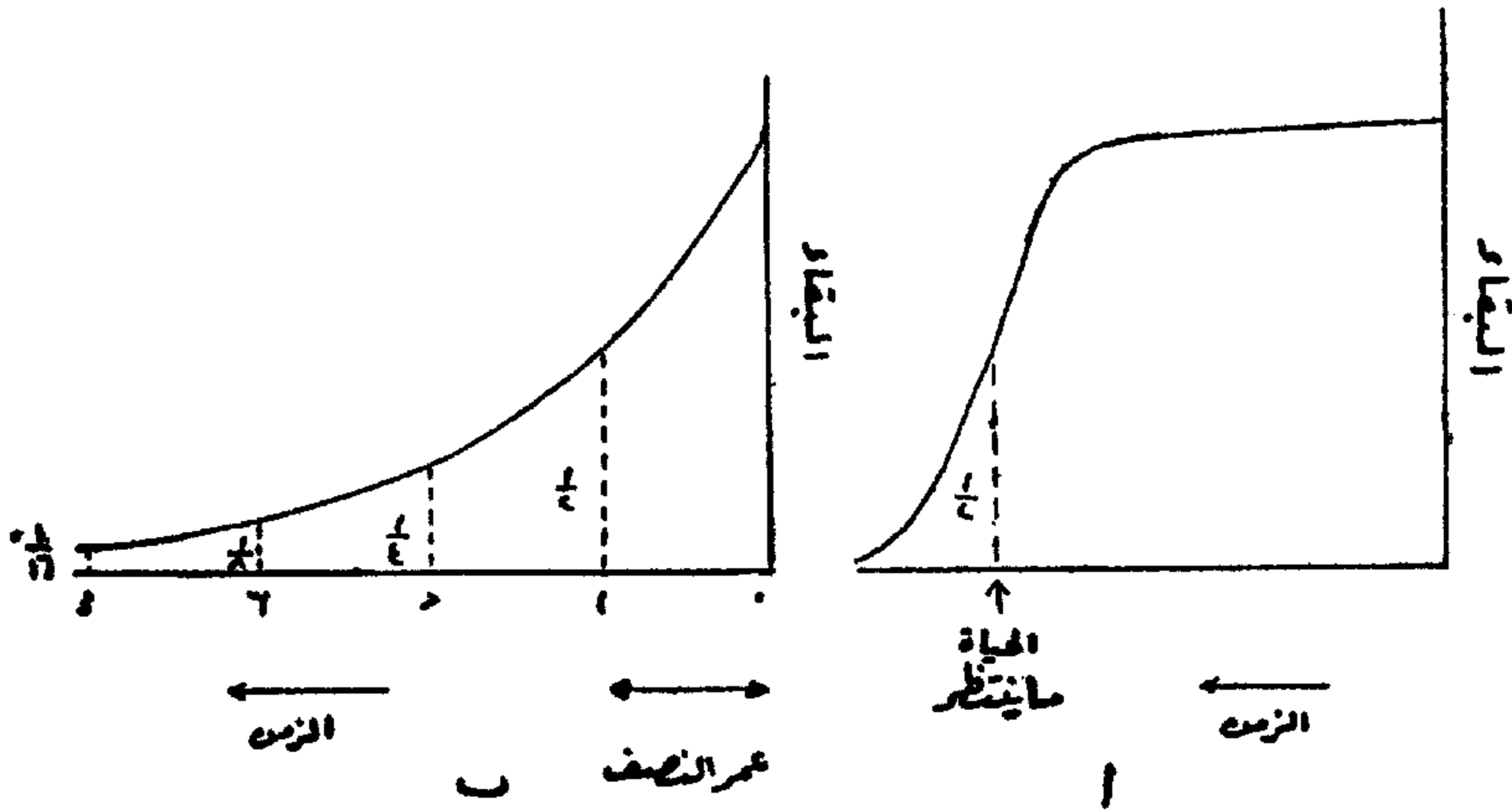
والرقمان الموجودان فوق كل عنصر مشع يرمزان إلى رقمه ووزنه الذري ، على حين أن الرقم الذي بأسفله يرمز إلى نصف عمره بالسنين والأيام والساعات والدقائق والثواني . ويمكن الحصول على طرق تحليل مماثلة للثوريوم والبروتاكتينوم والفصيلة الرابعة التي تنتج صناعياً والتي لا اسم لها .

نواة الذرة والجسيمات الأولية

٩٠-٢٣٤	٩٢-٢٣٨	يورانيوم س ١	يورانيوم س ١
		٢٤٥ يورما	١٠٤ سنة
٩١-٢٣٤			
يورانيوم س ٢			
١١ دقيقة			
٨٢-٢١٤	٨٤-٢١٨	٨٦-٢٢٢	٨٨-٢٢٦
راديو م ب	راديو م ا	رادون	راديو م
٢٧ دقيقة	٣ دقائق	٣٠٨ يوم	١٥٩٠ سنة
٨٣-٢١٤			
راديو م ج			
٢٠ دقيقة			
٨١-٢١٠			
راديو م ج			
١٣ دقيقة			
٨٢-٢١٠	٨٤-٢١٤		
راديو م د	راديو م ج		
٢٢ سنة	١-٤ ثافية		
٨٣-٢١٠			
راديو م هـ			
٥٠ يورما			
٨٢-٢٠٦	٨٤-٢١٠		
رصاص	بولونيوم		
ثابت	١٣٧ يورما		

قانون البقاء

إذا تتبع المرء تاريخ حياة مجموعة كبيرة من الأطفال وصغار الكلاب والبط وأنواع أخرى من الحيوانات المولودة في نفس اليوم فإنه يجد أنها لا تموت في نفس الوقت ، فبعضها يعيش وقتاً أطول ، وبعضها يعيش وقتاً أقصر . وإذا رسم المرء النسبة المئوية للأشخاص الذين ما زالوا أحياء من وقت ما فإنه يحصل على منحنى البقاء كما في شكل (٨ - ١٢) ، وفيه يظهر أن هناك « أملاً في الحياة » حتى حوالى ٧٥ سنة للرجل ، و ١٥ سنة للكلب ، وبضع سنين فقط للبط . كما يظهر المنحنى أن هناك فرصاً قليلة نسبياً لموتهم قبل سن معينة ، وكذلك فرصاً قليلة للحياة مدة طويلة بعد بلوغ تلك السن .



شكل (٨ - ١٢)

منحنيات البقاء للحيوانات (١) والنوى (ب)

أما في حالة الذرات ذات النشاط الإشعاعي فالموقف يختلف تماماً . والفرص لأحد أعضاء فصائل النشاط الإشعاعي الذى تكون حديثاً نتيجة إعادة تشكيل طراً على سابقه (سواء بوساطة تحول أشعة ألفا أو بيتا) ، ليتشكل بدوره إلى عضو آخر من الفصيلة ، نجدها مستقلة عن فترة الزمن التى مرت منذ تكوينه . ومثل هذا الموقف إنما يحكى وضع الجنود المشتركين في معركة مستمرة مع العدو ، حيث

تقتل نسبة متوية كل يوم ، ولا سبيل إلى معرفة أى الطرفين سيكون عدده أكبر غداً . ففي هذه الحالة لا يمكننا الكلام عن « الأمل في الحياة » ، ولكن لابد لنا من إدخال فكرة جديدة هي فكرة « نصف الحياة » أو بعبارة أخرى فترة من الزمن في خلالها سوف يقتل نصف عدد الجنود ، أو يتحلل نصف الذرات ذات النشاط الإشعاعي غير المستقرة . والمنحنى الذى يمثل هذه العملية يظهر في شكل (٨ - ٢ ب) ، وهو كما يسميه علماء الرياضيات « منحنى الأس اللوغاريتمى » . فالعناصر ذات النشاط الإشعاعي المختلفة لها أنصاف حياة واسعة التباين : فاليورانيوم مثلاً يتحلل بنسبة ٥٠ ٪ في فترة قدرها ٤,٥ بلايين سنة ، والراديوم في ١٥٩٠ سنة ، على حين أن نصف ذرات راديوم ج تنشط خلال واحد على عشرة آلاف من الدقيقة . ووجود الفصائل الثلاث ذات النشاط الإشعاعي مرجعه إلى طول حياة أسلافها ، فاليورانيوم الأول أو ٢٣٨ يورانيوم ٩٢ ، والثوريوم (١,٣ × ١٠^{١٠} سنة) . ولقد وجد كذلك البروتاكينيوم الجدد (٥ × ١٠^٨ سنة) * وهو الذى يمكن مقارنته بعمر الكون .

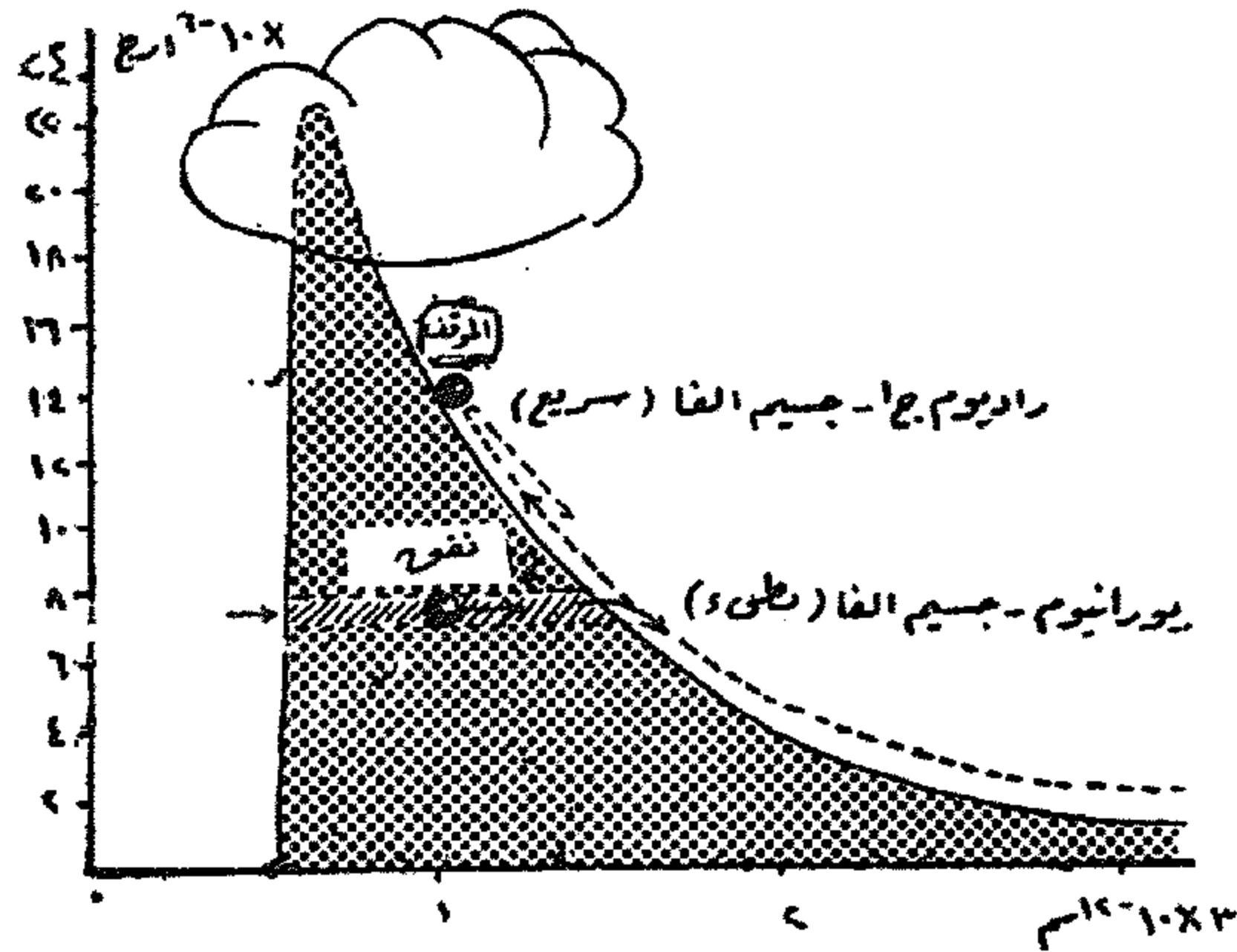
ولا توجد في الطبيعة فصيلة من النوع ٤ ن + ١ لأن حياة أصل الفصيلة قصيرة لدرجة كبيرة ، ولابد أن كل الفصيلة قد تحللت نهائياً منذ زمن بعيد . وكما رأينا فإن نوى هذه الفصيلة تنتج صناعياً في الأعمدة الذرية .

الحواجز غير النفاذة

وقد قام بشرح تحول أشعة ألفا بوجه خاص كل من مؤلف هذا الكتاب عندما كان يعمل في ألمانيا وكذلك فريق رونالد جرنى (استراليا) وإدوارد كوندون (الولايات

* فترة نصف الحياة بالنسبة للبروتاكينيوم نفسه هي ١٢,٠٠٠ سنة . أما سلف فصيلة الأكتيوم ومنه اشتق البروتاكينيوم بواسطة تحلل α وتحلل β فحياته $\frac{1}{2}$ مليون سنة . وليس لها اسم يشير إلى فصيلة الأكتيوم نسباً ولكن لكونه نظيراً لليورانيوم فقد سمي ٢٣٥ - يورانيوم . ولكونه يطلق جسيماً من أشعة ألفا فقد تحول ٢٣٥ يورانيوم ٩٢ إلى ٢٣١ يورانيوم ٩٠ الذى عن طريق التحلل التالى لأشعة بيتا تحول إلى ٢٣١ باريوم ٩١ . و ٢٣٥ اليورانيوم يحمل اسم فصيلة اليورانيوم ولكنه في الواقع ينتمى لفصيلة الأكتينيوم (النوع ٤ ن + ٣) وهو اليورانيوم القابل للانقسام الذى جعل من الممكن تطوير صناعة القنابل الذرية والمفاعلات النووية (المؤلف) .

المتحدة) ، وهو يستند على قاعدة من الميكانيكا الموجية . ومن المعروف أن النواة الذرية تكون محاطة بحواجز عالية من القوى الكهربائية التي كشفت أول ما كشفت على يد رذرفورد عندما كان يقوم بتجاربه على جسيمات ألفا المتناثرة . فعندما يقترب جسم ألفا من النواة يكون عرضة للتناثر الذي يكون متناسباً مع حاصل ضرب الشحنة النووية في شحنة جسيم ألفا مقسوماً على مربع المسافة بينهما . وعندما يتصل الجسيم بالنواة تجذبه قوى الترابط بينه وبين الجسيم المكون للنواة وتتثبت به في الداخل . وفي الشكل (٨ - ٣) يظهر منحنى الجهد الذي يمثل هذين النوعين من القوى ، وهو يشبه القلعة أو الحائل ، وله من الداخل حائط أو جدار شديد الانحدار ومن الخارج حائط بسيط الانحدار . فلولصول إلى النواة يكون على جسيمات أشعة ألفا أن تصعد إلى أعلى ذلك الحائل ثم تندرج هابطة إلى داخل النواة . وبالمثل فإن أى جسيم يترك النواة يكون عليه أن يصعد إلى الحائط الداخلي للحائل ثم يهبط متدحرجاً



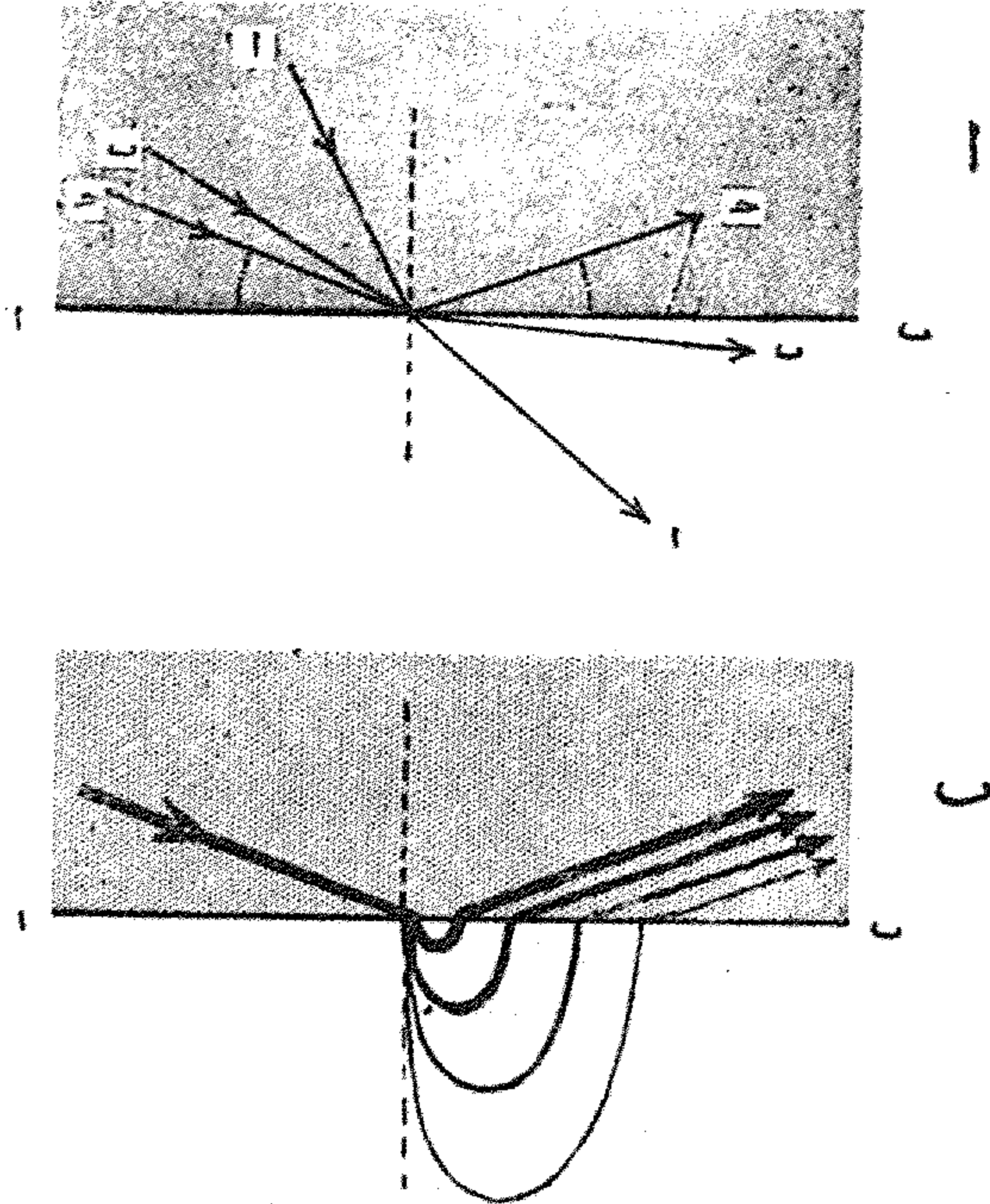
شكل (٨ - ٣)

حاجز جهدي حول نواة اليورانيوم كما أمكن الحصول عليه من تجارب رذرفورد على التناثر .

على انحداره الخارجي . وعند دراسة جسيم أشعة ألفا في اليورانيوم اكتشف رذرفورد أن الحاجز الذي يحيط بنواة ذلك العنصر لابد أن يكون علوه على الأقل 14×10^{-10} إرج ، حيث إن جسيمات ألفا السريعة التي تنبعث من راديوم ج ولها مثل تلك القوة لم تبد عليها أمارات الوصول إلى القمة . ومن ناحية أخرى فإن جسيمات ألفا المنبعثة من اليورانيوم بنفسه قوتها هي 8×10^{-10} إرج فقط . فكيف يتسنى للجسيمات

المخرجة ذات القدرة البسيطة أن تتدحرج على حاجز أعلى منها عدة مرات ؟ فهذا مستحيل بالطبع كما جاء في علم الميكانيكا القديم . فلو أن أحداً بنى حاجزاً خشبياً على المنضدة ودحرج عليه كرة قوتها نصف القوة المطلوبة للوصول إلى القمة فإن تلك الكرة سوف تصل دائماً إلى نصف الانحدار ثم تهبط . ولكن الميكانيكا الموجية وصلت بنا إلى نتيجة مباينة ، ولفهمها لابد لنا من إدخال التشابه بين موجات برولى وموجات الضوء . ففي البصريات الهندسية اعتاد المرء فكرة « الانعكاس الكلى الداخلى » فكما في شكل (٨ - ٤) لو أن شعاعاً عند اختراقه للزجاج وقع على السطح الداخلى ا ب بين الزجاج والهواء تحت زاوية مناسبة فإنه ينكسر عند دخوله إلى الهواء واتجاهه الحديد سوف يكون ملاصقاً للسطح الداخلى ا ب . أما إذا كانت زاوية السقوط أكبر من القيمة الحرجة فلن يلج أى ضوء إلى الهواء ، وسوف تنعكس الأشعة كلها على السطح الداخلى . .

وعندما ندرس هذه الظاهرة من وجهة نظر الطبيعة الموجية للضوء سوف يصل



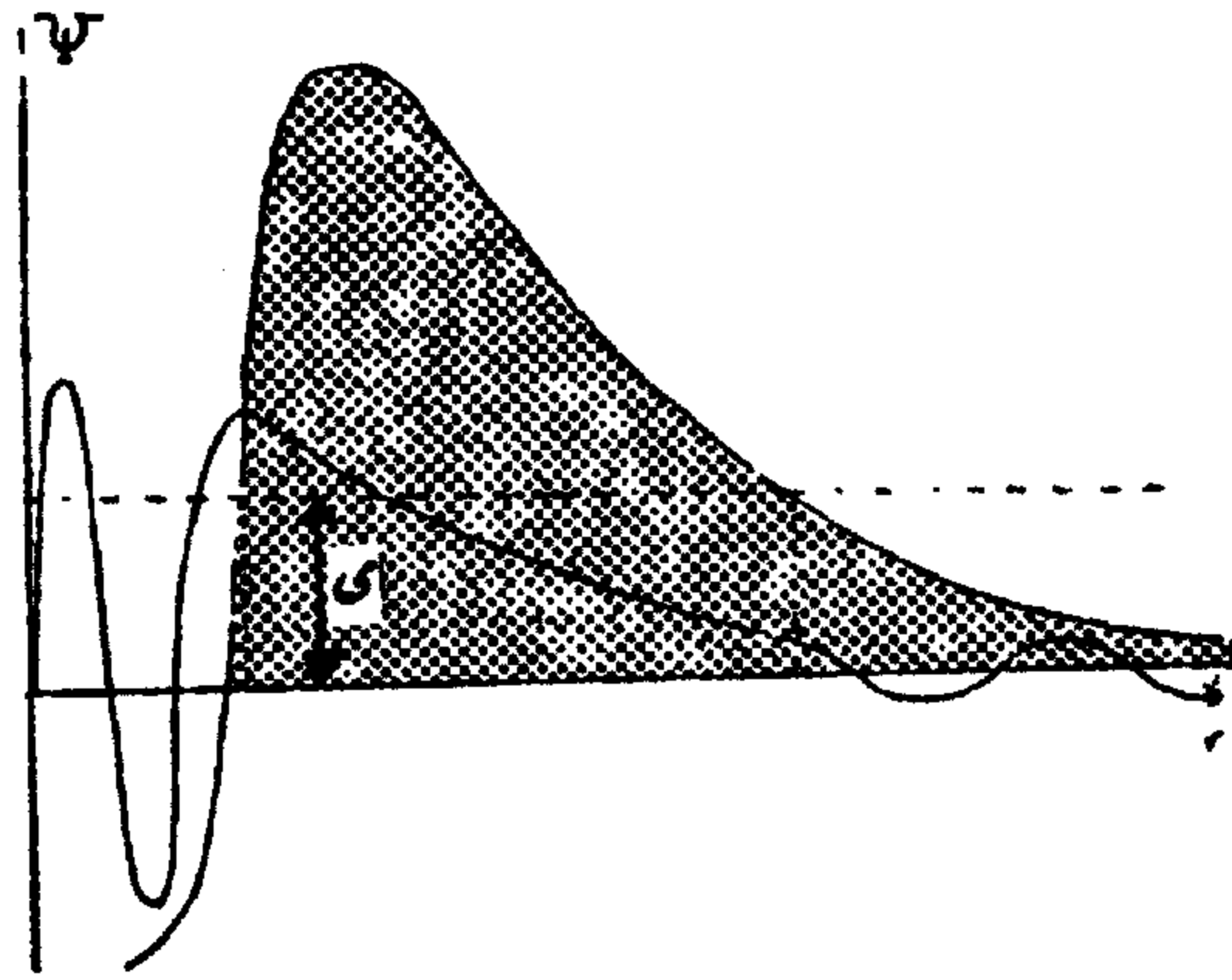
شكل (٨ - ٤)

الانعكاس الكلى الداخلى للضوء تبعاً للبصريات الهندسية (ا) ، والبصريات الموجية (ب)

المرء إلى نتيجة مخالفة تماماً : فسيحدث أن بعض الضوء يدخل الهواء مبتعداً عن السطح الداخلى ا ب ولكنه لا يتغلغل كثيراً ، بل يرتد عند طبقة من الهواء سمكها مثل طول عدد قليل من الموجات .

أما شكل (٨ - ٤ ب) ، وفيه تعد الخطوط مجرد أشعة ضوء ولكن تمثل خط انسياب الطاقة الإشعاعية ، فهو يظهر ما يحدث ، فلو أحضرنا قطعة أخرى من الزجاج بالقرب من السطح الداخلى ا ب فإن بعض خطوط الانسياب المارة في الهواء سوف يدخل قطعة الزجاج الأخرى . وهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها عملياً إذا كانت المسافة بين السطوح الداخلية مساوية تماماً لطول قليل من الموجات الضوئية (أى قليل من الميكرونات) .

وكما أن البصريات الموجية تسمح بالتغلغل أو النفاذ الذى تمنعه تماماً البصريات الهندسية ، فإن الميكانيكا الموجية تساعد الجسيمات المادية على القيام بأعمال مستحيلة إطلاقاً إذا كان علم الميكانيكا القديم سليماً مائة في المائة .



شكل (٨ - ٥)

التغلغل الميكانيكى الموجى لأحد جسيمات ألفا خلال حائل جهدى نووى

وعند وصول جسيمات ألفا إلى داخل النواة تكون فى حالة حركة سريعة جداً ، وتصطدم باستمرار بحوائط حائل الجهد المحيط بها . وفى الوقت الذى تقود فيه موجات دى برولى حركة هذه الجسيمات نجدها تتسرب خلال حوائط الحائل وتجعل من

الممكن لجسيمات ألفا أن تلج النواة ، حتى لو كان من غير الممكن لها أن تصل إلى القمة كما في شكل (٨ - ٥) . والقدرة على اختراق حاجز الجهد النووي ضعيفة جداً في حالة نواة اليورانيوم إذ تنجح محاولة من كل 10^{28} . وحيث إن الحركة داخل فراغ قدره 10^{-12} ستبتمراً بسرعة قدرها 10^9 سم في الثانية فإن جسيم ألفا يصطدم بحائط الحاجز 10^{21} مرة كل ثانية ، ويستغرق $\frac{10^{28}}{10^{21}} = 10^7$ ثانية ، أو

عدة بلايين من السنين حتى ينجح في الخروج . وفي حالة نواة راديوم ج تكون قوة اختراق الحاجز أعظم وأعلى ، وتنجح محاولة من كل 10^{17} . لهذا فالحياة المناظرة تصبح $\frac{10^{28}}{10^{21}} = 10^7$ ثانية كما هو ملحوظ . ويؤدي حساب فترات نصف الحياة للعناصر المختلفة ذات النشاط الإشعاعي على أساس تلك النظرية إلى اتفاق تام مع الأشكال المرصودة .

وبلا جدال فإن ظواهر الميكانيكا الموجية التي من هذا النوع أصبحت ذات أهمية في عالم الذرات والنوى فقط . وفي حالة التجربة السابق وصفها التي تتدحرج فيها الكرة أعلى الانحدار الخشبي بسرعة غير كافية للوصول إلى القمة ما زالت هناك فرصة لاختراق حاجز الجهد كما يمتدحرج الشبح جدار القلعة ، ولكن هذه الفرص يمكن تقديرها بنحو 10^{-27} ، وبعبارة أخرى يرقم له عدد من الأصفار يساوي 10^{27} بعد العلامة العشرية . وإذا حاول أحد كتابة هذا الرقم فإن أول رقم معنوي سوف يظهر بالقرب من أبعد المجرات التي ترى بالتلسكوب الذي قطره ٢٠٠ بوصة . ولذا لا نحاول دحرجة الكرة أعلى الانحدار .

التركيب النووي والنيوترونات

إن تفسير ظاهرة النشاط الإشعاعي على أنها تحلل تلقائي للنواة الذرية لا يدع مجالاً للشك أن النوى ما هي إلا تركيبات ميكانيكية معقدة تتكون من عدة جسيمات . والحقيقة القائلة بأن الأوزان الذرية للنظائر المشعة لكل العناصر تمثل دائماً بأقرب عدد صحيح تدل على أن البروتونات لا بد أن تلعب دور أحد المكونات النووية .

ولكن البروتونات وحدها لا تكفى . فمثلا نواة الكربون وزنها الذرى ١٢ ، ولا بد أن تحتوى على ١٢ بروتون . ولما كانت شحنة نواة الكربون ٦ فقط فلا بد أن توجد ست شحنات سالبة . وقد فرض أن تلك الشحنات الست السالبة قد أخذت من ستة كهارب اتحدت مع الاثنى عشر بروتون لتكوين نواة الكربون . وعلى أية حال فإن افتراض وجود كهارب داخل النواة الذرية كان يؤدى إلى مصاعب جسيمة من وجهة نظر نظرية الكم . ومامن شك فى أن طاقات الأوضاع الكمية لأى كهرب تتزايد بسرعة مع نقص حجم الحيز أو المجال المحدد للكهرب ، فعلى المرء أن يتوقع أن الكهارب التى تتحرك بداخل النواة الذرية يلزم أن يكون لها طاقات تبلغ بلايين الألكترون فولت . وتبدو هذه النتيجة الصريحة لنظرية الكم غريبة جداً ، حيث إنه بينما رصدت طاقات من هذا المستوى فى حالة الأشعة الكونية فإن الطاقات الداخلة ضمن الظواهر النووية بلغت الملايين وليس بلايين الألكترون فولت . وعندما أخبر نيل بور أرنست رذرفورد عن تلك الحقيقة للحياة ، قرر أن الطريقة الوحيدة لإنقاذ الموقف هى افتراض وجود بروتونات غير مشحونة سميت تجريبياً « النيوترونات » . وبهذا الافتراض لم يكن من الضرورى وجود كهاريات فى النواة الذرية ، ومثلاً يمكن أن يكون تركيب نواة الكربون كما يلى :

$$١٢ \text{ كربون } = ٦ \text{ بروتون } + ٦ \text{ نيوترون } .$$

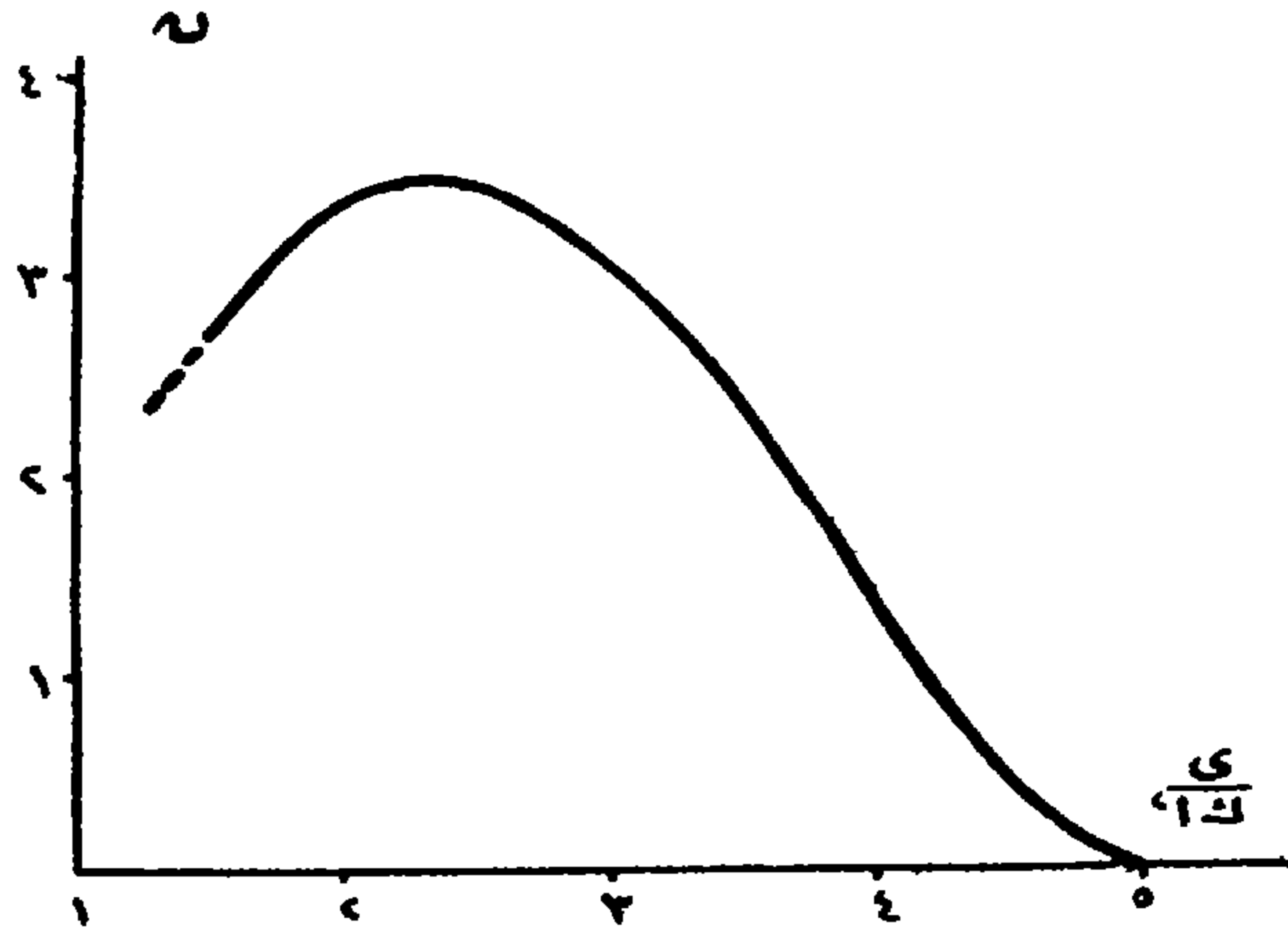
وفى منتصف العشرينات من هذا القرن بدى فى معمل كافندش برنامج ضخم لطرد تلك النيوترونات التى افترض وجودها من نوى بعض العناصر الخفيفة ، على أمل إعطاء دليل مباشر يدل على وجودها ، ولكن النتائج كانت سلبية وأرجئ العمل فى هذا الاتجاه وتأخر اكتشاف النيوترونات عدداً آخر من السنين . وظهر الدليل فقط فى عام ١٩٣٢ حينما أثبت ج . شادويك تلميذ رذرفورد وهو يدرس الإشعاع الغامض شديد النفاذ (الذى لاحظته فى بادئ الأمر بوث فى حالة قذف أهداف البريليوم بأشعة ألفا) وبين أنه إنما يتكون من مجموعة من الجسيمات المتعادلة الشحنة مع كتلة مماثلة تماماً لكتلة البروتون . وعلى هذا فإنه بعد الفشل الأول ولدت النيوترونات أخيراً داخل جدران معمل كافندش .

تحلل أشعة بيتا والنيوتريينو

في الوقت الذي يمثل فيه انبعاث أشعة ألفا تحللاً نووياً حقيقياً ينجم عنه ناتج ذو وزن ذري صغير ، نجد أن انطلاق أشعة بيتا ليس إلا ضابطاً كهربياً للنواة الذرية بسبب انبعاث جسيم أو أكثر من جسيمات ألفا . وقد رأينا في مناقشة الجزء السابق أن النواة الذرية تتكون من البروتونات والنيوترونات وأنه في حالة العناصر الثقيلة يفوق عدد النيوترونات أو يزيد على عدد البروتونات ، فمثلاً في ٢٢٦ راديوم ٨٨ يكون عدد النيوترونات ٢٢٦ - ٨٨ = ١٣٨ ، ويكون عدد البروتونات ٨٨ فقط وتكون النسبة $\frac{138}{88} = 1.568$. ونواة ٢٢٢ رادون ٨٦ تتكون بتحلل ألفا للراديوم وعدد نيوتروناتها ١٣٦ والبروتونات ٨٦ وتكون النسبة $\frac{136}{86} = 1.581$. وعلى ذلك فإنه في عملية تحلل ألفا تتزايد نسبة النيوترونات على البروتونات ، وبعد عدة خطوات من تحلل ألفا يمكن أن تصبح النسبة أكبر من المعقول بسبب التعايش السلمي بين النوعين من الجسيمات . وفي هذه الحالة يحول النيوترون نفسه إلى بروتون ، وذلك بانبعاث كهرب سالب من جسيم بيتا . ومن الجدول المعطى على صفحة (٣٧١) يمكن ملاحظة أن تحولات بيتا إنما تحدث مزدوجة . وهذا مرجعه إلى أن النيوترونات والبروتونات في النواة عرضة لمبدأ باولي ، مثلها في ذلك مثل الكهارب الذرية . وكل مستوى كمي يحتله اثنان منهما (مع لف مضاد) . وعلى هذا فإنه عندما يصبح المستوى غير مستقر يتعرض اثنان من الجسيمات لتحولات بيتا حيث يتبع أحدهما الآخر .

وفي سنة ١٩١٤ كان عالم الطبيعة البريطاني الشاب جيمس شادويك يعمل في جامعة برلين تحت إشراف عالم الطبيعة الألماني المرموق فرتز جيجر (مخترع عداد جيجر) . وكانت مهمته دراسة التحلل الطيفي لأشعة بيتا التي تنبعث بوساطة المواد ذات النشاط الإشعاعي المختلفة ، والتي تبدو أنها تختلف أساساً عن أشعة ألفا وجاما ، وذلك بإظهار توزيع مستمر لطاقات تحركها مبتدئة غالباً من الصفر حتى القيم العليا جداً - شكل (٨ - ٦) . وعندما اكتمل عمل شادويك وأرسل للنشر

في نهاية العام نشبت الحرب العالمية الأولى وألقي القبض على شادويك على أنه عدو ، وزج به في معسكر الاعتقال ، ومرت السنة الأولى من المعتقل كثيبة ، حيث إن الشاب الموهوب لم يستطع كسب أصدقاء من زملائه المعتقلين ، الذين كانوا غالباً من رجال الأعمال والتجار المسافرين . ثم بعد أن وقعت معركة في مكان ما في فرنسا



شكل (٨ - ٦)

طيف أشعة بيتا للاندسيوم ١١٤ . رسم عدد الكهارب (ن) ضد طاقتها ي معبراً عنها بوحدات ك ٢١

ظهر في المعسكر معتقل جديد وكان يدعى س . د اليس وهو ضابط لامع من فرقة هايلاند التابعة للتاج ، وقد أسر في أرض المعركة ، وأصبح البريطانيان صديقين . ولقتل الوقت بدأ شادويك يعلم اليس الحقائق الخاصة بالطبيعة النووية . وعندما انتهت الحرب عاد الاثنان إلى إنجلترا وسجل اليس كخريج من جامعة كامبردج حيث كان يحاضر شادويك . وبعد سنوات قلائل نشر اليس بحثاً يمثل إضافة هامة لعمل شادويك .

ومن التعليقات الممكنة للطاقة المستمرة للتحليل الطيفي لأشعة بيتا الحسائر الواسعة النطاق في الطاقة التي تتكبدتها جسيمات بيتا في أثناء انطلاقها من المواد ذات النشاط الإشعاعي التي تتولد فيها . وابتكر اليس تجربة بارعة يمتص بها كل أشعة بيتا المنبعثة بواسطة المواد ذات النشاط الإشعاعي في قطعة رصاص ، وكانت الحرارة الناتجة تقاس بدقة . وأظهرت نتيجة تلك التجربة أن الانطلاق الكلي لطاقة كل جسم

كانت مساوية لمتوسط طاقة الكهارب في الطيف المستمر ، وبذلك ثبت عدم وجود أى فقد في المادة ، وهكذا واجه علماء الفيزياء موقفاً متناقضاً : فبينما تكون لأشعة ألفا المنبعثة من تحولات النشاط الإشعاعي طاقات محددة تماماً ، وهي التي تكون مساوية للفروق بين محتويات الطاقة في النواة الأم والنواة البنت ، نجد أن طاقات أشعة بيتا تختلف بشكل واسع . وما يحدث لفرق الطاقة بين نواتي نفس العنصر ذي النشاط الإشعاعي هو أن إحداهما تطلق أشعة بيتا بسرعة والأخرى ترسلها ببطء . وذهب نيل بور الذي أقلقه الموقف المتناقض إلى أنه ربما لا ينطبق قانون بقاء الطاقة في حالة تحليلات بيتا ذات النشاط الإشعاعي ، وأنه في حالة انبعاث جسيم بطنى من جسيمات بيتا ربما تختفى كمية معينة من الطاقة من الهواء الرقيق . أما في حالة انبعاث جسيم سريع من جسيمات بيتا فيكون من الممكن تولد كمية إضافية من الطاقة من لا شيء . وتبعاً لهذه النظرية فإن قانون بقاء الطاقة في العمليات النووية الأولى ينطبق على المتوسط فقط ، وعلى هذا يجعل من المستحيل بناء آلة دائمة الحركة من النوع الأول تقوم على عملية تحليل النشاط الإشعاعي . (انظر الباب الرابع) .

أما ليفجانج باولى الذى كان متحفظاً في آرائه فيما يتعلق بهذا الموضوع فقد تقدم برأى بديل من الممكن أن يوازن بقاء الطاقة في العمليات النووية ، إذ جعل من الممكن أن يصحب انبعاث جسيم بيتا انبعاث (جسيم غامض) آخر يعرب عن الملاحظة ويفقد توازن الطاقة . وإذا افترض الإنسان أن « لصوص بغداد » النوويين هؤلاء ليست لهم شحنات كهربية ، وأن كتلتهم صغيرة ، أو قل أصغر من كتلة الكهرب ، إذن فمن الممكن حقاً أن يتخطوا بسهولة الحواجز التي وضعها في طريقهم علماء الطبيعة ومعهم نصيبهم من الطاقة . وقد سعى باولى هؤلاء اللصوص الذين افترضهم بالنيوترونات (حدث هذا قبل أن يكتشف شادويك في عام ١٩٣٢ الجسيمات المعروفة الآن باسم « نيترونات ») ، ولكن هذه المناقشات ظلت في حيز المحادثات والمراسلات الخاصة ، ولم يعد نشر الاسم عن طريق طبعه في مجلة علمية . وبعد اكتشاف شادويك للنيوترونات كان أنريكو فرمى يعمل أستاذاً بجامعة روما في ذلك الوقت ويعلق على بحث شادويك في ندوة علمية . وعندما سأله بعض الحاضرين عما إذا كانت نيترونات شادويك هي نفسها الجسيمات التي اعتاد باولى

الكلام عنها أجاب فرمى : « لا نيوترونات شادويك سونو جراند . لونيوترون دى باولى ليرانو بيكولى ، أجلى ديفونو ستار كيما نيوترينى » * . (وكلمة « نيوترينو » بالإيطالية معناها مصغر « نيوترون ») .

وحيث قد جرت العادة فى هذا الكتاب على الاستشهاد ببعض القصص عن علماء الفيزياء المشهورين ، وحيث إن أنريكو فرمى يعتبر أحد علماء الفيزياء المرموقين فى عصرنا ، فهناك قصة عنه تقوم على أساس من كلماته . فلقد اختير بسبب اكتشافاته الأولى فى ميدان الفيزياء عضواً فى أكاديمية العلوم الملكية الإيطالية ومنحه بنيتو موسولينى لقب (اكلترا) . وذات مرة كان يقود عربته الصغيرة لحضور اجتماع كان موسولينى نفسه سيتكلم فيه ، ولهذا كانت الأبواب الرئيسية المؤدية لقاعة الاجتماعات يحرسها اثنان من رجال الكارابينارى ، فاعترضا بأسلحتهما سبيل سيارة فرمى الصغيرة وسألاه من يكون . وفكر فرمى أنهما لن يصدقاه إن قال إنه (اكلترا) لأن كل (اكلترا) إنما تبدو عليه سمات العظمة ويركب عربة كبيرة يقودها سائق . لهذا ضحك وقال لرجال الكارابينارى إنه سائق الأكلترا فرمى . وقد دخلت تلك الحيلة عليهما وسمحا له بالدخول لينتظر سيده حتى يخرج من الاجتماع .

وعند العودة لموضوع النيوترونات يجب على المرء أن يقول إن هذا الجسيم كان مخادعاً إلى حد كبير ولم يستطع علماء الفيزياء الذين حاولوا التمكن منه إلا رؤية الحسائر التى يسببها ، ولكنهم لم يروا الجسيم نفسه . وفى عام ١٩٥٥ تمكن فريد ريتز وكلويد كوان من معمل لوس الأموسى العلمى أن يمسكا به . وأوسع مصدر للنيوترونات يتمثل فى الأعمدة الذرية ، حيث تسبح النيوترونات الذرية نتيجة تحلل بيتا للنواتج الانشطارية التى تتكون من التفاعل المسلسل ؛ فى الوقت الذى توقف فيه الحواجز المحيطة بالعمود أكثر أشعة جاما نفاذاً وأسرع النيوترونات ، نجد أن النيوترونات تخترق الحاجز بسهولة . وللكشف عليها وضع ريتز وكوان خارج الحاجز إناءً كبيراً ملىء بالهيدروجين وأحيط ببطاريات من عدادات الجسيمات المختلفة . وكان المتوقع أن يصطدم نيوترينو صغير سريع مع بروتون ويطرد كهربياً موجباً فيحول

“No, le neutrone di Chadwick sono grande. Le neutrone di Pauli erano Piccoli; eglidevono Star chiamato neutrini”.

البروتون إلى نيوترون : نروتون + نيوترينو ← نيوترون + بوزترون. ولكن الاحتمال النظرى المقدر لتلك العملية كان صغيراً جداً . وللكشف عن تلك العملية استعملت عدادات للنيوترونات والبوزترونات مرتبطاً ببعضها ببعض بطريقة تجعلها تعطى إشارة فقط إذا اصطدمت فى نفس الوقت بنيوترون أو بوزيترون . وحيث إن احتمال المصادفة كان ضعيفاً لذا فإن الاصطدام فى نفس الوقت لا يحدث إلا من التفاعل المذكور سابقاً . وعند إجراء التجربة والعمود فى كامل تفاعله كانا يحصلان على عدة إشارات كل دقيقة . ولكن عندما توقف العمود انخفضت الإشارات بسرعة . ومن ملاحظتهما اكتشف أن الجزء الفعال فى العملية والذي فيه يحول النيوترينو البروتون إلى كهربي هو نقط ١٠-٤٣ سم^٢ وهذا معناه أنه لقطع وطأة حزمة النيوترينو إلى النصف يجب أن يستعمل المرء حزاماً من الماء سمكه مئات السنين الضوئية .

ونظرية تحليل النيوترون — بروتون مع انبعاث كهربي ونيوترينو التي قام بها فرى تتفق إلى درجة كبيرة مع الحقائق العملية الخاصة بتحليل بيتا ، كما أنها تستعمل نموذجاً لكل نظريات التحلل التي ظهرت أخيراً فيما يتعلق بعمليات التحول المختلفة بين الجسيمات الأولية .

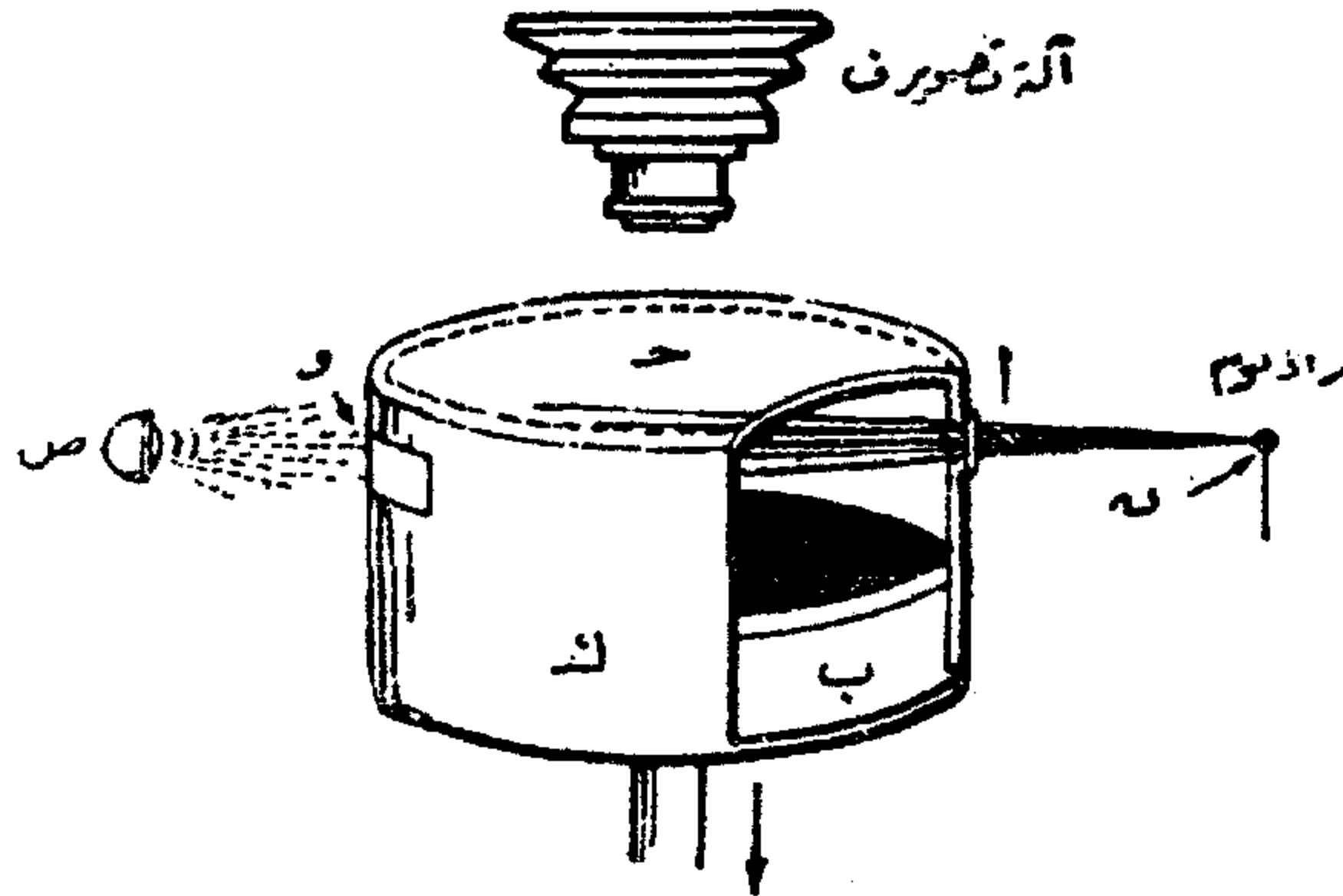
التفجيرات الأولى للنواة

منذ اللحظة التي أدرك فيها رذرفورد أن ظاهرة النشاط الإشعاعي تمثل تحولا تلقائياً لعنصر كيميوى إلى آخر تملكته الرغبة فى تفجير النواة الذرية لبعض العناصر المستقرة وتحويلها إلى عناصر أخرى ، ويكون بهذا قد حقق حلمه كبيراً من أحلام الكيمويين . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ طلبت البحرية البريطانية إلى رذرفورد — بعد أن أصبح مديراً لمعمل كافندش — أن يحيله إلى مركز للبحوث الحربية لتطوير الوسائل الحربية المضادة للغواصات لاستخدامها ضد الغواصات الألمانية . ورفض رذرفورد بدعوى أن لديه عملاً أكثر أهمية وهو تفجير نواة الذرة . وحقاً فإن رذرفورد هذا مهد الطريق لإنتاج أكثر أسلحة الحرب قوة وهي القنابل الذرية والهيدروجينية ، ولكن ليس صحيحاً أن رذرفورد تنبأ بهذا التطور . والواقع أن رذرفورد قبل موته بفترة قصيرة فى سنة ١٩٣٧ اشترك فى مناقشة حامية مع عالم طبيعة

هنغارى يدعى ليوزيلارد عن احتمال إطلاق الطاقة الذرية على نطاق واسع وأصر على عدم إمكان ذلك . ولإثبات رأيه توجه زيلارد إلى مكتب براءات الاختراع واستخرج براءة عن التفاعلات النووية على نطاق واسع . وبعد ثلاث سنوات اكتشف انشطار نواة اليورانيوم ، وفى خلال ست سنوات أخرى فجرت أول قنبلة ذرية على هيروشيما وأنهت الحرب العالمية الثانية . ودون شك كان رذرفورد يراقب هذا التطور من مرقده بين السحب وهو يستمع إلى الموسيقى . ولكن ذلك كان أكثر مما كان يفكر فيه الرجل العجوز . ثم ماذا ؟ إن هؤلاء الناس يستعملون اكتشافاتى الآن فيما يقتلون به بعضهم بعضا .

ولكن إذا رجعنا إلى عام ١٩١٩ فلا بد أن نرى ما كان يعمل رذرفورد من أجل تفجير النواة . وحيث إن حصن تنافر كولوم المحيط بالنواة الذرية يتزايد كلما تحرك الفرد فى جدول مندليف الخاص بالعناصر ، فقد أصبحت أحسن فرصة هى قذف أخف النوى . وكذلك فإن جسيمات الغازات ذات الطاقة العالية الناتجة عن التحلل السريع للعناصر ذات النشاط الإشعاعى قد تقوم بعمل أفضل من ذلك الذى تقوم به الجسيمات ذات الطاقة البطيئة . لهذا قرر رذرفورد أن يطلق جسيمات ألفا الصادرة عن الراديوم على نواة غاز النروجين ، ومما أدخل السرور على نفسه ملاحظة أنه بالإضافة إلى جسيمات ألفا التى تطلقها نواة النروجين فهناك أيضاً جسيمات قليلة من نوع آخر تتحرك بسرعة عرفها رذرفورد على أنها بروتونات . ولقد تمت أولى ملاحظات رذرفورد عن طريق الوميض ، ولكن سرعان ما أصبحت دراسة التحولات النووية سهلة وذلك باستعمال الاختراع الباهر المعروف باسم « غرفة ولسون » أو « غرفة التكثيف » التى اخترعها ت . ر . ولسون الذى ذكرت اختراعاته فى فصل سابق فيما يتعلق بتجارب ج . ج . تومسون . وهى تقوم على أساس أن كل جسيم ذى شحنة كهربية يتحرك بسرعة عبر الهواء ينجم عنه تأين خلال مساره . فإذا كان الهواء الذى تعبره تلك الجسيمات مشبعاً ببخار الماء فإن الأيونات الناتجة تكون « نوى تكاثف » لنقط صغيرة من الماء، ونرى خطوطاً طويلة ورفيعة من الضباب تمتد على طول مسار الجسيمات . وفى شكل (٨ - ٧) يظهر رسم « لغرفة التكاثف » ، وهى تتكون من أسطوانة معدنية كقمتها من الزجاج الشفاف ج ولها مكبس ب وواجهتها

العليا مطلية بالأسود . والهواء فيما بين المكبس والقمة الزجاجية مشبع داخلياً ببخار الماء ومضاء بمصدر ضوئي قوى عن طريق فتحة و . ولنفرض الآن أن لدينا على طرف إبرة كمية صغيرة من مادة ذات نشاط إشعاعي ن تقع على مقربة من الفتحة ا .



شكل (٧ - ٨)

طريقة غرفة التكاثف التي استخدمها ت . ر . ولسون

فالجسيمات المنبعثة من الذرات ذات النشاط الإشعاعي سوف تطير عبر الغرفة مؤينة الهواء على طول مسارها . وعلى أية حال فحيث إن الهواء ليس مشبعاً تماماً ببخار الماء فلن يحدث أى تكثيف ، وبسرعة تتحد الأيونات الموجبة والسالبة الناتجة عن الجسيمات العابرة وينتج عن ذلك جزيئات متعادلة كهربياً . والآن لنفرض أن المكبس جذب إلى أسفل بشدة لمسافة ما ، فسوف يتمدد الهواء المحصور بين المكبس والقمة الزجاجية محدثاً انخفاضاً في درجة الحرارة ، ومسبباً تكثيف بخار الماء بنفس الطريقة التي بها تتكون السحب كنتيجة لارتفاع الهواء الرطب في جوالأرض . ولكن حيث إن تكثيف بخار الماء يساعده إلى درجة كبيرة وجود الأيونات الناجمة عن الجسيمات المشحونة التي تعبر الغرفة في تلك اللحظة ، فإنه سوف يحدث تكوين الضباب على طول مسار الجسيمات وسوف تبدو بوضوح خطوط طويلة رفيعة من الضباب على المساحة الخلفية السوداء في حزمة الضوء المستخدمة للإضاءة . وهذه الصورة يمكن رؤيتها مباشرة عن طريق النظر خلال القمة الزجاجية أو يمكن تصويرها بواسطة آلة تصوير ف .

وتعرض اللوحة رقم (٥) العليا أول صورة لتحلل نووى صناعي أخذت عام

١٩٢٥ بوساطة تلميذ رذرفورد م.س. بلاكت ، ويبدو في الصورة عدد وفير من المسارات المتفرقة من نقطة بعيدة عن حافة الصورة ، وهي ناجمة عن جسيمات ألفا التي تطلقها مادة ذات نشاط إشعاعي موضوعة هناك . هذه المادة تمثل خليطاً من راديوم ج وراديوم ج الذي تكون من راديوم ج بوساطة عملية تحول ألفا . فجسيمات ألفا الصادرة عن راديوم ج تتحرك ببطء نسبياً ويوقفها الهواء في منتصف الصورة، أما جسيمات ألفا الصادرة عن راديوم ج والتي تحيط بأسرع الجسيمات المنبعثة بوساطة العناصر ذات النشاط الإشعاعي ، فإنها يمكنها اختراق أسماك طبقات الهواء ، وينتهي مسارها عند نهاية الصورة . وفي منتصف الصورة من أعلى نرى شوكه ناتجة عن تحول نواة النروجين من تأثير جسيم ألفا . أما المسار الطويل الرفيع المتجه إلى اليسار فينتهي إلى بروتون مطرود من النواة ، في حين أن المسار الغليظ المتجه إلى أعلى ظهر أنه ناتج عن نواة أكسجين سريعة الحركة . والتحول الكيموي الذي يحدث هنا يمكن تمثيله بالمعادلة: $^{14}\text{Azot} + ^4\text{هيليوم} \rightarrow ^{17}\text{أكسجين} + ^1\text{أيدروجين}$ ، حيث إنه تبعاً لما هو متفق عليه يدل العدد السفلي على الرقم الذري ويمثل العدد العلوي الوزن الذري .

والذرة ^{17}O تمثل أثقل النظائر المشعة للأكسجين العادي ^{16}O ، وهي موجودة بكميات صغيرة في الهواء الجوي . وبقياس طاقات ^{17}O و ^{16}O الناتجة عن هذا التفاعل والتي يمكن القيام بها على أساس طول مساراتها ، يجد المرء أنها أقل من الطاقة الابتدائية لجسيم ألفا بحوالي $1,26$ مليون إلكترون فولت ، لأننا نجد أن الكتل تماثل على كلا الجانبين لمعادلة التفاعل السابقة ، على النحو الآتي :

$$\begin{array}{rcl} \text{هيليوم}^4 & = & 4,00388 \\ \text{أزوت}^{14} & = & 14,00755 \\ \hline & & 18,01143 \\ \\ \text{أيدروجين}^1 & = & 1,00813 \\ \text{أكسجين}^{17} & = & 17,00453 \\ \hline & & 18,01266 \end{array}$$

وعلى هذا فإن موازنة الطاقة تكون سلبية في هذه الحالة — $0,00125$ وحدة ، وهو رقم يعادل — $1,16$ مليون إلكترون فولت . وهو يتفق في حدود الأخطاء التجريبية مع الرقم السابق ذكره عن فقد الطاقة في التفاعل . والقياس الذي من هذا

النوع يمثل أول إثبات تجريبي مباشر لقانون أينشتاين عن تكافؤ الطاقة والكتلة . وعلى ذلك فإنه تنطلق في هذا التفاعل الطاقة النووية إلا أنها تفقد . وعلى أية حال فإنه من مجالات أخرى مثل إطلاق ألفا على الألومنيوم تكتسب كميات كبيرة من الطاقة النووية .

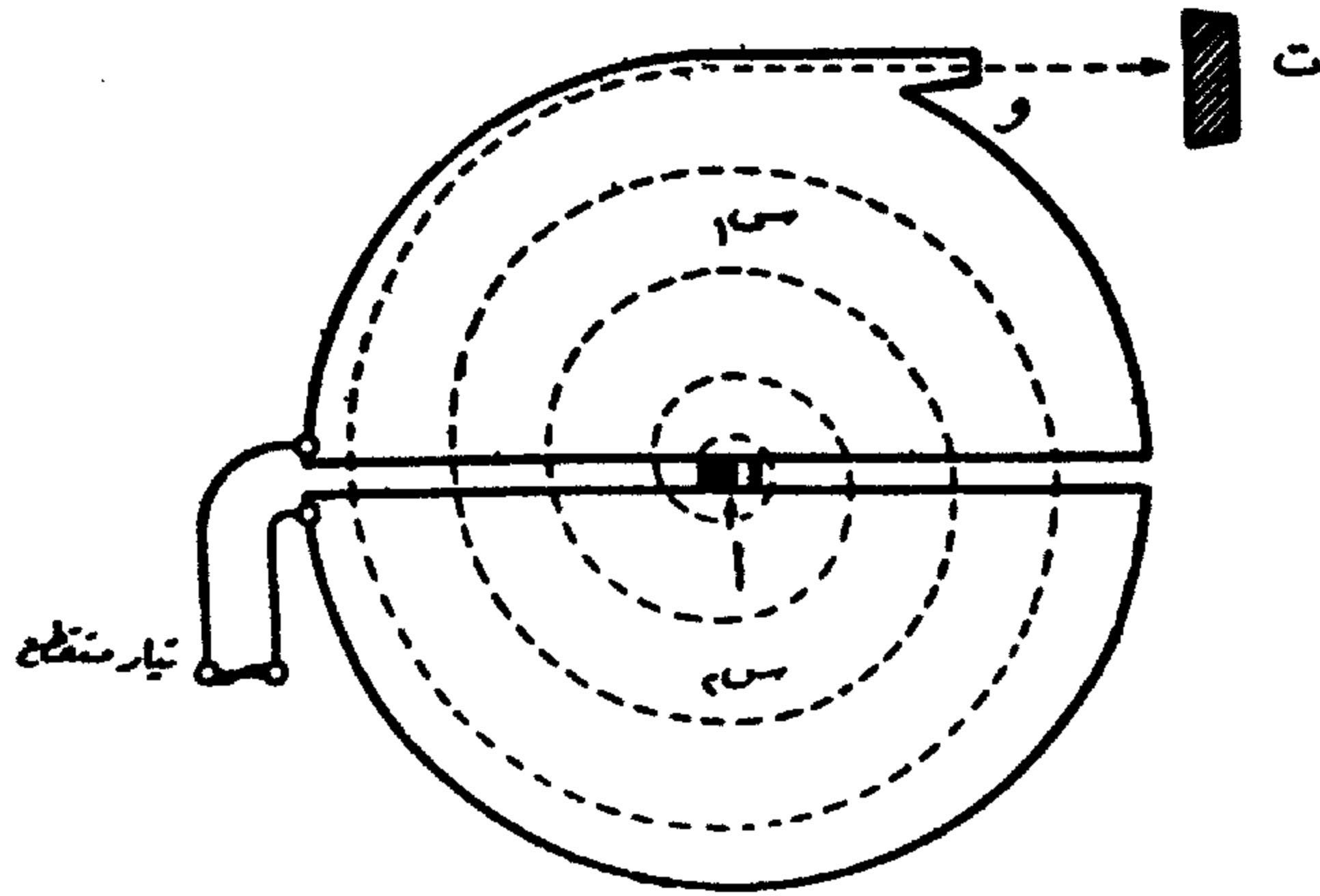
وحيث إن جسيمات ألفا هي القذائف الثقيلة الوحيدة الناتجة عن عناصر طبيعية ذات نشاط إشعاعي ، فقد اقتصر العمل في التحولات النووية الصناعية على هذا النوع من التفاعل فقط . وفي عام ١٩٣٩ عندما كان مؤلف الكتاب يعمل مع رذرفورد في كمبردج في الدراسة لنظرية حائل الجهد ، وجد بالحساب أن البروتونات ربما تكون أحسن قذائف سواء لصغر شحناتها الكهربائية ، أو لصغر كتلتها . وفي الواقع أظهرت الإحصاءات أن البروتونات التي أكسبت عجالات تزايدية تحت تأثير جهد كهربى يعادل مليون فولت وتتحرك بطاقة أقل عدة مرات من جسيمات ألفا الصادرة من راديوم ج سوف تنتج تحللاً ملحوظاً في عناصر الضوء . وطلب رذرفورد من تلميذه ج كوكروفت و ا . ت . س . والتون أن يبنوا آلة ذات ضغط كهربى عال ، بحيث يمكنها إنتاج حزم من البروتون لها تلك الطاقة . وفي سنة ١٩٣١ تم تشغيل أول « محطم للذرة » . وبتوجيه حزمة البروتون إلى هدف من الليثيوم أثبت كل من كوكروفت والتون أنه في كل تصادم ناجح ينطلق في اتجاه مضاد زوج من جسيمات ألفا المنبعثة حديثاً من نقطة التصادم . ومن الواضح أن التفاعل كان على النحو الآتى :

${}^7\text{Li} + {}^1\text{H} \rightarrow {}^4\text{He} + {}^4\text{He}$. وعند إحلال الليثيوم محل البورون لاحظنا شوكة ثلاثية (اللوحة رقم ٥ السفلى) . وهذا معناه أنه بالاصطدام مع بروتون تكسرت نواة البورون إلى ثلاث قطع متساوية : ${}^{11}\text{B} \rightarrow {}^3\text{He} + {}^4\text{He} + {}^4\text{He}$.

وتبع عمل كوكروفت والتون الريادى تطوير كبير للجسيمات المعجلات ، يقوم أساساً على عبقرية فذة وتسمى إحدى محطمت الذرة « فان دى جراف » نسبة إلى مخترعه ، ويقوم على أساس مبدأ بسيط من مبادئ علم الكهرباء الستاتيكية ، وهو أنه إذا أدخلت شحنة كهربية من فتحة إلى داخل محيط معدنى أجوف فسوف

تتوزع على سطحه الخارجى. وهذا حقيقى فإن التنافر بين الكهارب التى تدخل سوف يدفعها بقدر الإمكان بعيداً بعضها عن بعض. وتتكون آلة فان دى جراف من كرة كبيرة من المعدن المعزول وسير مشحون باستمرار من الخارج ويفرغ شحنته بعد ولوجه فى الكرة. وبالرغم من أن الضغوط الكهربائية التى يمكن أن تحدثها آلة فان دى جراف تكون مقصورة على ملايين قليلة من الفولتات، فلقد تطورت إلى أجهزة محكمة قوية تناسب الكثير من أعمال المعامل.

وثمة اختراع آخر أكثر براعة لتعجيل الجسيمات النووية اخترعه ارنست أورلاندو لورانس الذى يسمى باسمه معمل الإشعاع بجامعة كاليفورنيا الآن، وهو يقوم على أساس مخالف تماماً ويستعمل معجل مضاعف لجسيمات مشحونة تتحرك على دائرة فى مجال مغناطيسى. وفى شكل (٨ - ٨) يظهر مبدأ السيكلترون. وهو يتكون أساساً من غرفة دائرية من المعدن مقسمة إلى نصفين س ١، س ٢ وموضوعه بين



شكل (٨ - ٨)
مبدأ عمل السيكلترون

قطبي مغناطيس كهربى قوى جداً ويرتبط جزءا الغرفة س ١، س ٢ بمصدر جهد كهربى عال متقطع حتى يتسنى للمجال الكهربى على طول الشق الفاصل بينهما أن يغير اتجاهه دورياً. أما أيونات العنصر التى تستعمل كقذائف ذرية فتحقن فى مركز الصندوق بسرعة منخفضة نسبياً وتنحن مساراتها فى دوائر صغيرة بواسطة

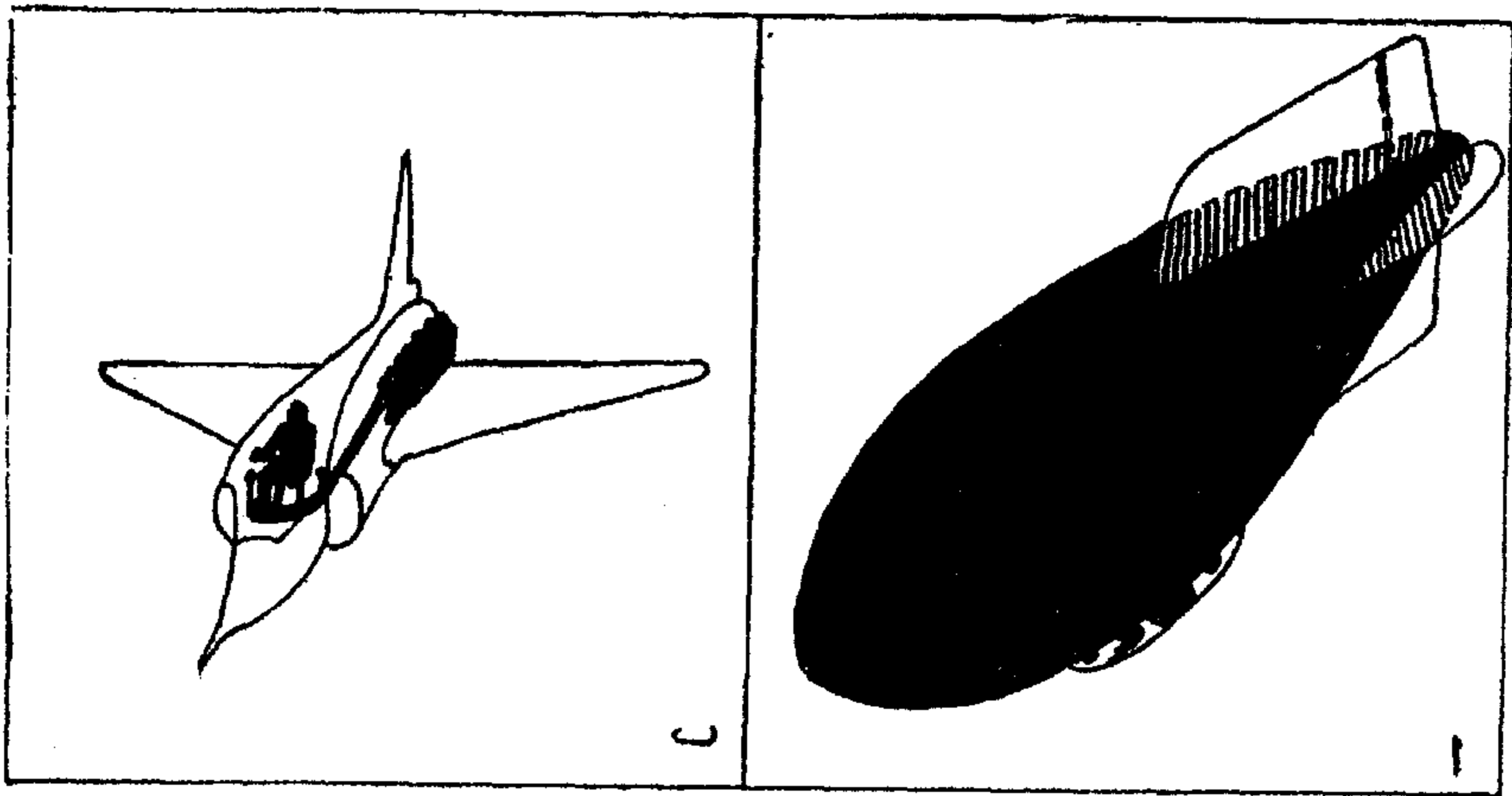
مجال المغناطيس . أما فكرة السيكلترون فهي أنه بالنسبة لمجال مغناطيسي معين لا علاقة للفترة اللازمة ، لكي يعمل جسيم مشحون كهربياً دورة كاملة في مساره الدائري بالسرعة التي يتحرك بها هذا الجسيم . فحيث إن الزيادة في نصف قطر الممر وطول المسار الدائري تكون متناسبة مع الزيادة في السرعة إذن فالوقت اللازم لدورة واحدة يظل كما هو .

وإذا سارت الأمور على أساس أن زمن الدورة لأيون يحقن في حقل مغناطيسي مساو لفترة الضغط المتقطع الناتج عن المصدر ، فإن الجسيمات عند وصولها إلى الحواف بين جزئي الغرفة س ١ ، س ٢ سوف تكون عرضة في كل وقت لقوة كهربية تعمل في نفس الاتجاه الذي تتحرك فيه الجسيمات . وعلى ذلك ففي كل مرة يمر فيها الأيون في هذا الفاصل سوف يحصل على عجلة إضافية ، وتزداد سرعته تدريجياً . وبتجميع السرعة سوف تتحرك الأيونات على طول مسار حلزوني غير متعرج ، وأخيراً تقذف من الفتحة وفي اتجاه الهدف ت .

وفي الصورة العليا من اللوحة رقم (٦) يظهر السيكلترون الذي ما زال تحت التطوير في جامعة كلورادو . ومن المتوقع أن ينتج حزماً من البروتونات طاقتها ٣٠ مليون إلكترون فولت . ويمكن أن نرى بوضوح الجزء الأعلى من المغناطيس الكهربى والحزمة المساعدة . ويمثل ييفاترون جامعة كاليفورنيا ، وكزموترون لونج أيلاند تطويراً أكبر لمبدأ السيكلترون - الجزء الأسفل من اللوحة رقم (٦) - ودائماً يتكلم علماء الفيزياء عن « المقاطع الفعالة » أو المقاطع عند وصف نتائج تجاربهم الخاصة بالتحويلات النووية التي يحدثها قذف مواد مختلفة بقذائف نووية سريعة الحركة . ولفهم هذه الفكرة دعنا نتدبر مسألة مدفعية مضادة للطائرات تحاول إسقاط طائرة معادية . إذا كان العدو على درجة من الغباء حتى يرسل منطاداً شكل (٨ - ٩) فإن أى إصابة في جسمه سوف تكون قاضية . وعلى هذا تكون المقاطع الفعالة مساوية للمقاطع الهندسية للمنطاد . ومهما كانت الظروف فإنه في حالة الطائرة س في شكل (٨ - ٩) فإن شظايا القذيفة يمكن أن تخترق أجزاء كثيرة من هيكلها دون أن يحدث قتل . وهناك مناطق قليلة فقط مثل رأس وجسم الطيار وأجزاء هامة من الممكنة والدفة التي لا بد من ضربها لإسقاط الطائرة ، والمنطقة الجانبية المركبة من تلك النقاط تعرف باسم « المقطع الفعال » . ويمكن أن يكون أصغر بكثير من الشيء نفسه .

وعلى هذا كان المقطع القاتل في أنخيل * مثلاً مقصوداً على قليل من البوصات المربعة في كعب قدمه اليسرى .

وعند تقدير احتمال القتل ، سواء أكان من الطائرة المعادية أم النواة الذرية ، فما يهم المرء فقط هو تكسير المنطقة الجانبية كلها التي يجب ضربها . وليس من الضروري أن يكون الضرب في المواقع المضبوطة للنقط الحساسة . والموقف هنا مماثل لموقف اثنين من المبارزين ؛ أحدهما رفيع جداً ، والآخر بدين جداً . فالبدن



شكل (٨ - ٩)

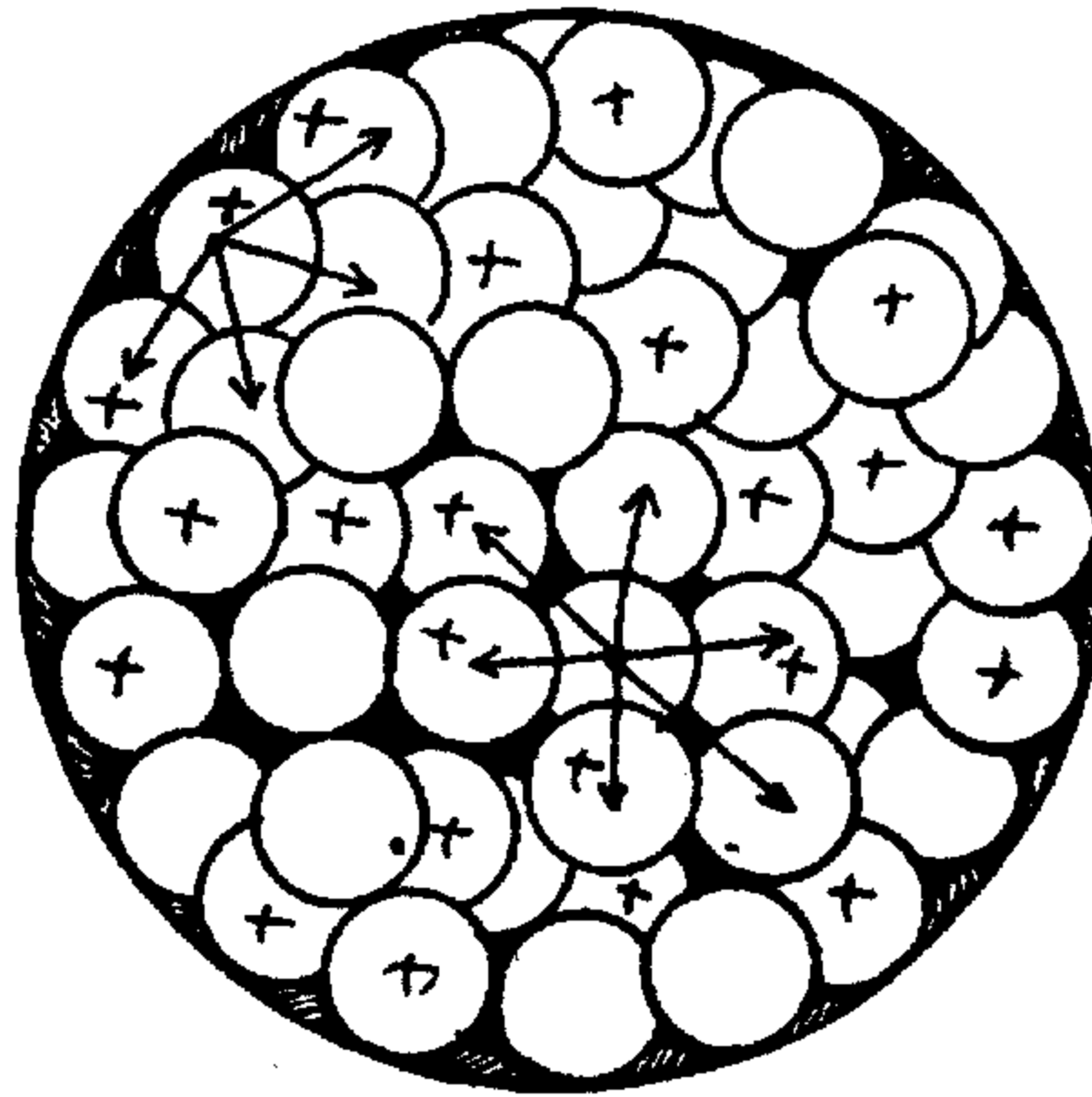
« المقطع القاتل » (المساحة السوداء) لمنطاد (ا) ولطائرة (ب) بفرض أن خزانات الوقود للبتروك تلتحم تلقائياً عند اختراقها .

يعارض بأن الموقف ليس عادلاً ، حيث إنه يمثل منطقة أكثر أهدافاً للطلقات من خصمه ، فيقول الرجل الرفيع : « حسناً دع مرافقك يرسم بالطباشير ظلي على معطفك والضربات الخارجة عن هذا الخط لا تعد » . ويبلغ طول نصف قطر النواة الذرية نحواً من ١٠ - ١٢ سم ، بحيث يكون مقطعها الهندسي حوالى ١٠ - ٢٤ سم^٢ ، ومقطع ١٠ - ٢٤ سم^٢ يعرف باسم (البارن barn) لأنه كبير . ولو أن النواة شقت في كل مرة تصطدم فيها فإن المقطع الفعال يكون حوالى بارن واحد . وعلى أية حال لو كان هناك لسبب أو لآخر إصابة واحدة من كل مائة صدمة فنحن نقول إن

المقطع الفعال هو ٠,٠١ بارن أو ١٠-٢٦ سم ٢ . وفي مناقشة أخرى سوف يجد القارئ أمثلة لمقاطع أصغر بكثير في عمليات القذف النووية .

التركيب النووي والاستقرار

في الوقت الذي تظل فيه الكهارب النووية طائفة في الفضاء حرة طليقة محتفظة بالمسافات يضاعف قطرها آلافاً عديدة من المرات ، فإن البروتونات والنيوترونات تبعاً مثل ما يعبأ سمك الرنجة في براميل شكل (٨ - ١٠) . وعلى هذا فإنه في الوقت الذي يمكن للفرد فيه أن يتكلم في حالة الذرة عن الجو الإلكتروني الذي له عدد كبير من خصائص الغاز العادي ، يجب أن تقارن مادة النواة بنقطة السائل الذي تتجمع فيه الجزيئات بفعل قوة الالتحام . ونموذج قطرة النواة الذي



شكل (٨ - ١٠)

نواة ذرية مكونة من البروتونات والنيوترونات . لا تتعرض الجسيمات الداخلية لأية قوة ، بينما تلك التي على السطح تجذب إلى الداخل .

قدمه المؤلف منذ حوالي ثلاثين عاماً يساعدنا على فهم الكثير من الخصائص النووية : فأولاً وقبل كل شيء نجد أنه في الوقت الذي يمكن فيه ضغط الغازات بسهولة بسبب الكثير من الفراغ بين جزيئاتها ، فإن السوائل يتغير حجمها قليلاً مهما كان الضغط الذي تتعرض له عالياً . وفي الواقع

رأينا قبل ذلك عندما كنا نتابع نظرية مندليف أن حجم الذرات يظل أساساً دون تغيير مع حفظ الكثرونات أكثر وأكثر في مسارات الكم التي لها أقطار أصغر وأصغر . ومن ناحية أخرى فإن القياسات تبين أن نصف قطر النواة الذرية يتزايد مع الجذر التكعيبي لكتلتها ، ولذا فالحجم يتزايد تناسبياً مع الكتلة بينما تظل الكثافة ثابتة . وتفوق كثافة السائل النووي الذي تتكون النواة الذرية من قطراته كثافة الماء بما يعادل 10^{14} ضعفاً ، ولو ملئ منه حجم صغير لوزن عدة ملايين من الأطنان ، ومثل أى سائل آخر تظهر على السائل النووي ظاهرة المط السطحي حيث إن القوى الموجودة على السطح تنجذب إلى الداخل بواسطة القوى الرابطة لباقي النوى ، وبهذا تميل إلى إنقاص منطقة السطح إلى الحد الأدنى . ولكن — كما في حالة الكثافة — فإن التوتر السطحي للسائل النووي أكبر بكثير من السوائل العادية . فإذا وضعنا شريطاً من الصابون على إطار من السلك على شكل U وقاطعته قطعة من السلك المستقيم فإن قوة التوتر السطحي المؤثرة على السلك المتحرك قد يصل وزنها إلى حوالي ٧٠ ملليجراماً لكل سنتيمتر من طولها . ولو كان باستطاعتنا أن نفعل نفس الشيء مع السائل النووي فسوف تكون القوة عشرة بلايين من الأطنان ، وينتج عن التوتر السطحي أن يكون للنواة الذرية شكل كروي تقريباً كما هي الحال في قطرات المطر ، ولا بد أن تكون ذبذبات تلك القطرات الصغيرة واستداراتها مشؤلة عن نشر أشعة جاما عن طريق القوى المضطربة .

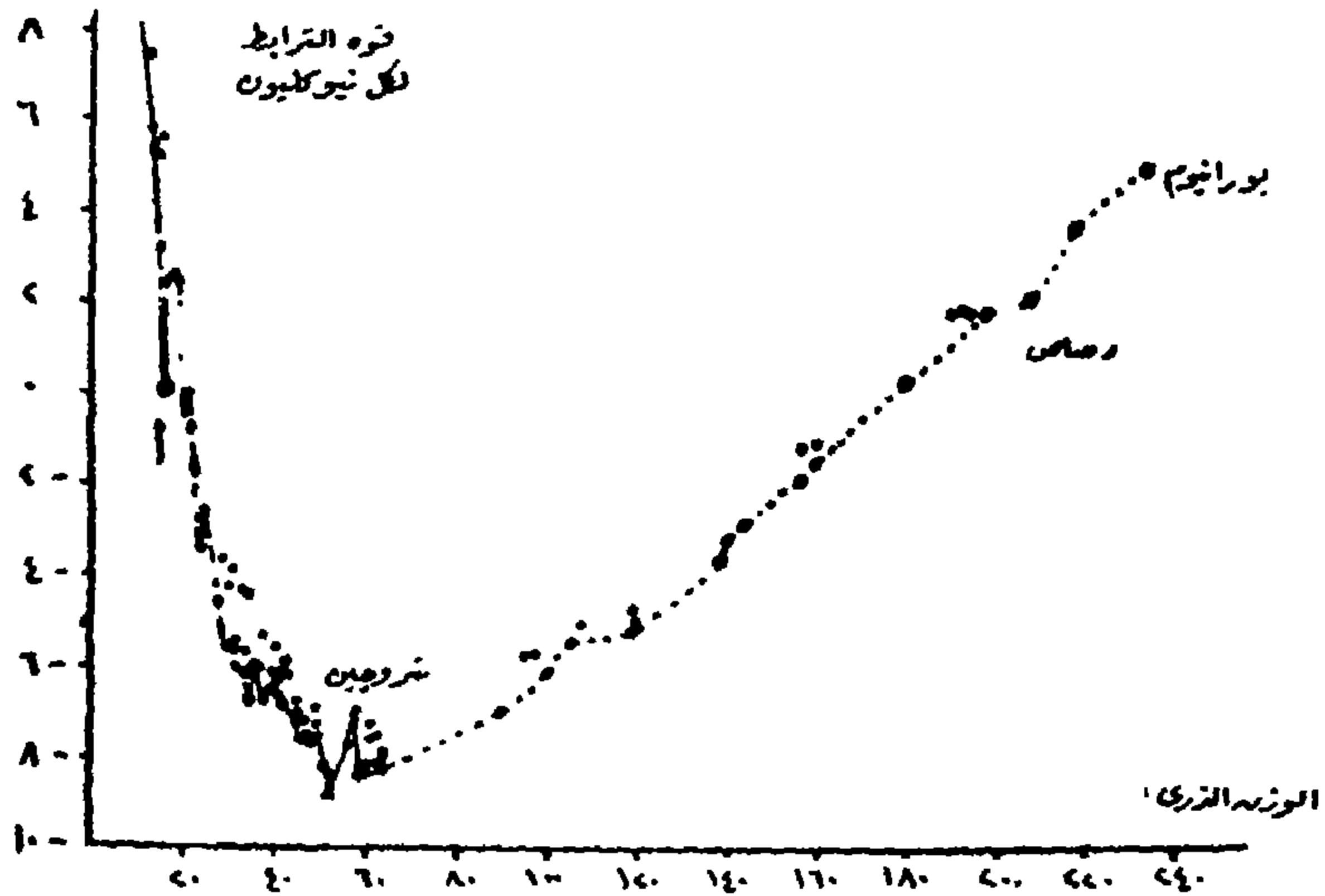
ومهما كانت الظروف فإن جون ويلر عالم الفيزياء في برنستون أظهر أن السائل النووي يمكن ألا يكون من الضروري موجوداً على شكل كرات صغيرة ، ولكن يتخذ في الغالب أشكالاً مختلفة . والذي يقال في هذه الحالة انه توجد أيضاً إلى جانب قوى الترابط النووي قوى تنافر كولوم بين الشحنات الموجبة والبروتونات . وفي بحث لم ينشر أظهر ويلر أن وجود تلك القوى المتنافرة يسمح للسائل الذري أن يتخذ شكل كتل العجين . وفي الواقع نجد في هذه الحالة أن قوى التوتر السطحي التي تميل إلى جعل كتل العجين تنقلص إلى كرات سوف تتعارض مع التنافر الكهربائي بين جوانبها ، وسوف يكون الشكل العام مستقراً تماماً . تلك النواة التي تشبه كرات العجين والتي سوف تكون أكبر كثيراً من نويات اليورانيوم ولها وزن ذري يبلغ عدة آلاف ، سوف تحاط بكهارب تتحرك قريباً من سطحها على طول مسارات تشبه

لف السلك على المغناطيس الكهربى المستدير * . مثل تلك النواة ذات الشكل المستدير ليس لها وجود فى الطبيعة ، ومن الصعب الاعتقاد بأنه يمكن صنعها مستقبلاً بوساطة أمهر علماء الطبيعة النووية . ولكن ويلر أشار إلى أنه لو أمكن توفيرها فسوف يمكن للمرء استعمالها كحلقات لتصنع منها سلسلة طويلة . وسوف يكون الخيط المصنوع من تلك السلاسل النووية قويا جداً ، وبالرغم من أنها رفيعة مثل خيط العنكبوت إلا أنها تتحمل وزن بارجة حربية ، ولكنها ستكون أيضاً ثقيلة جداً ويزن طول الياردة الواحدة منها حوالى ١٠٠٠ طن !

ويبدو أن نويات ويلر الكروية لن تجد التطبيق العملى أبداً ، ولكن أبسط الأشكال النووية التى يتحكم فيها نفس النوعين من القوى فتحت لنا عصر الطاقة الذرية . ودعنا الآن نقدر التوازن بين التوتر السطحى والطاقة الكهربائية لنواة ذرية ، وبالطبع فإن الطاقة السطحية الكلية تكون متناسبة مع سطحها وتزايد كلما كبرت النوى . وبما أن كثافة السائل النووى تظل ثابتة فإن حجمها يتناسب مع كتلتها (الوزن الذرى) ونصف قطرها مع جذر الكتلة التكعيبي . وعلى هذا فإن الطاقة السطحية لكونها فى تناسب مع السطح تزايد مع مربع الجذر التكعيبي للكتلة ، أو بعبارة أخرى كالكتلة مرفوعة إلى أس يساوى $\frac{2}{3}$. وإحصاء طاقة كولوم علينا باستخدام قانون الكهرباء الساكنة الذى يقرر أن طاقة الجسم الكروى المشحون تتناسب مباشرة مع مربع شحنتها وتناسب عكسياً مع نصف القطر . وتغطى الشحنة الكهربائية النووية بوساطة رقمها الذرى الذى يتناسب تقريباً مع وزنها الذرى . وعندما نتذكر أن نصف القطر يتناسب مع الجذر التكعيبي للوزن الذرى ، نجد أن طاقة كولوم تزايد تقريباً مع الوزن الذرى مرفوعاً إلى الأس $\frac{1}{3}$ ، وهذا تزايد أسرع بكثير من تزايد طاقة التوتر السطحى . ونخرج من ذلك إلى أنه بينما يمكن لقوى التنافر الكهربى أن تلعب دوراً صغيراً فى النوى الخفيفة ، فإنها سوف تصبح أكثر أهمية فى النوى الثقيلة . وحيث إن قوى التوتر السطحى تميل إلى الاحتفاظ بقطرات السائل فى قطعة واحدة ، وأن تصهر قطرتين اتصلتا إحداهما بالآخرى وتجعل منهما قطرة كبيرة ، كان علينا أن نتوقع أنه فى حالة العناصر الخفيفة ستطلق الطاقة فى أثناء عملية الانصهار النووى . ومن ناحية أخرى فإنه فى حالة النوى الثقيلة نجد قوى كولوم

سوف تكون لها اليد الطولى وسوف يكون الانشطار النووي عملية إطلاق للطاقة . وتدل الإحصاءات على أن « منطقة الانصهار » تمتد صاعدة حوالى ثلث جدول مندليف ، مع توقع أن يكون إطلاق الطاقة أصغر كلما اقتربنا من النهاية ، وتنتمى « منطقة الانشطار » التى تبدأ عند تلك النقطة أولاً وقبل كل شئ إلى معدلات منخفضة لإطلاق الطاقة ، التى تتزايد سريعاً حتى تصل إلى أعلى القيم بالنسبة للعناصر الثقيلة . وعلى هذا فكل عنصر كيموى إنما يمثل مصدر جهد للطاقة النووية ، وينحصر السؤال فقط فى : كيف نبدأ التفاعلات النووية ثم كيف نجعلها تستمر ؟

ويمثل نموذج قطرة السائل للنوى الذرية ما يحكى الواقع تقريباً ، ولكن يجب ألا ينسى المرء أن البروتونات والنيوترونات فى داخل النواة تكون عرضة لقوانين الكم نفسها التى تخضع لها الكهارب فى الذرة ، والتى لا بد أن تحدث بعض الميل أو الانحراف عن الصورة المبسطة التى سبق عرضها . وفى الواقع فإن مثل هذه الانحرافات وجدت فى دراسة منفصلة عن الخصائص النووية شكل (٨ - ١١) ، وفيه يظهر تغير طاقة الترابط لكل نيوكليون من السلسلة كلها ابتداء من أخف النوى

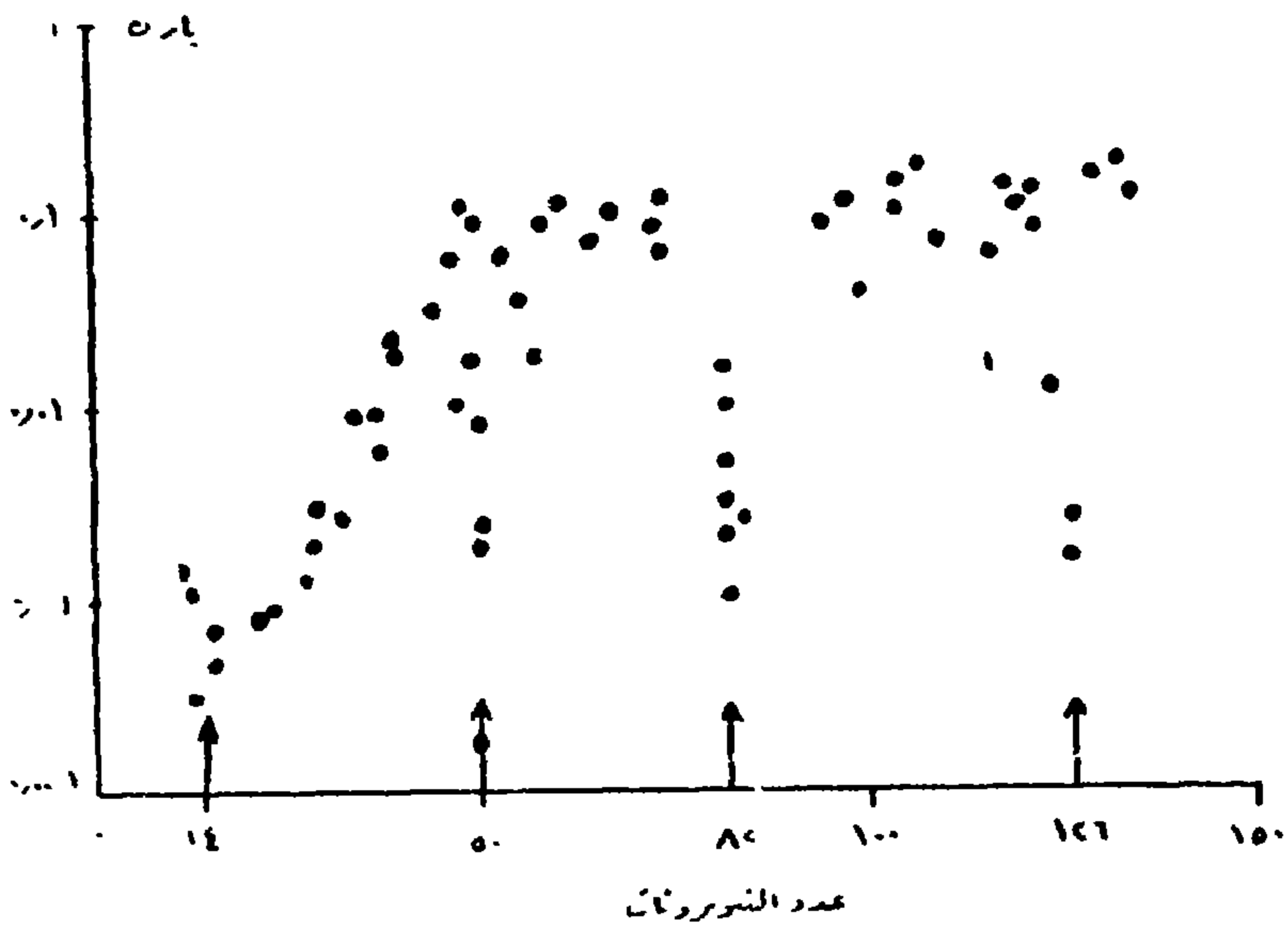


شكل (٨ - ١١)

قوى الترابط لكل نيوكليون كدالة من دوال الوزن الذرى

إلى أثقلها . ويلاحظ المرء تناقصاً منتظماً فى الطاقة الرابطة فى الجزء الأول من السلسلة ، ثم تزايداً بطيئاً بعد ذلك . وهذا يتمشى مع مناطق الانصهار والانشطار .

ولكن يجب أن يلاحظ المرء أيضاً أن المنحنى ليس انسياقياً تماماً ، وأن به عدداً من العقد تدل على التواء شديد شاذ بين النيكلونات . تلك الأماكن تطابق قشرة النيكلون المكتملة في داخل النواة ، وهي تماثل تماماً كتمال قشرات الكهارب في الذرة . وفي حالة الذرات تكون العناصر ذات قشرات الكهارب المكتملة قاصرة ذاتياً من الناحية الكيميائية ، حيث إنها مكثفية تماماً بمجموعات الكهارب الموجودة بها . ويبين شكل (٨ - ١٢) ظاهرة مماثلة في حالة النوى وهي تمثل احتمالات نسبية لنيوترون يهبط ليقع تحت أسر نويات عناصر مختلفة . واحتمال أسر نيوترون آخر يتساقط بعنف قائم فعلاً في النواة بالنسبة لعدد من النيوترونات (٥٠ - ٨٢ - ١٢٦) ويدل هذا على أن تلك النوى تحتوى على أجسام نيوترونية مكتملة . ودراسة هذه الحالة وغيرها من كثير من الأمور الشاذة فيما يتعلق بالخصائص النووية تقودنا إلى النتيجة القائلة



شكل (٨ - ١٢)

مقطع عرضي لأسر النيوترونات كدالة من دوال عدد النيوترونات في النواة

بأن الأجسام المحتواة داخلياً تتكون داخل النواة كلما كان عدد النيوترونات أو البروتونات مساوياً لأحد الأرقام الآتية : ٢ ، ٨ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ١٢٦ . وعلى أية حال فلا بد من ملاحظة أنه بينما يقع كل كهربي جديد في داخل

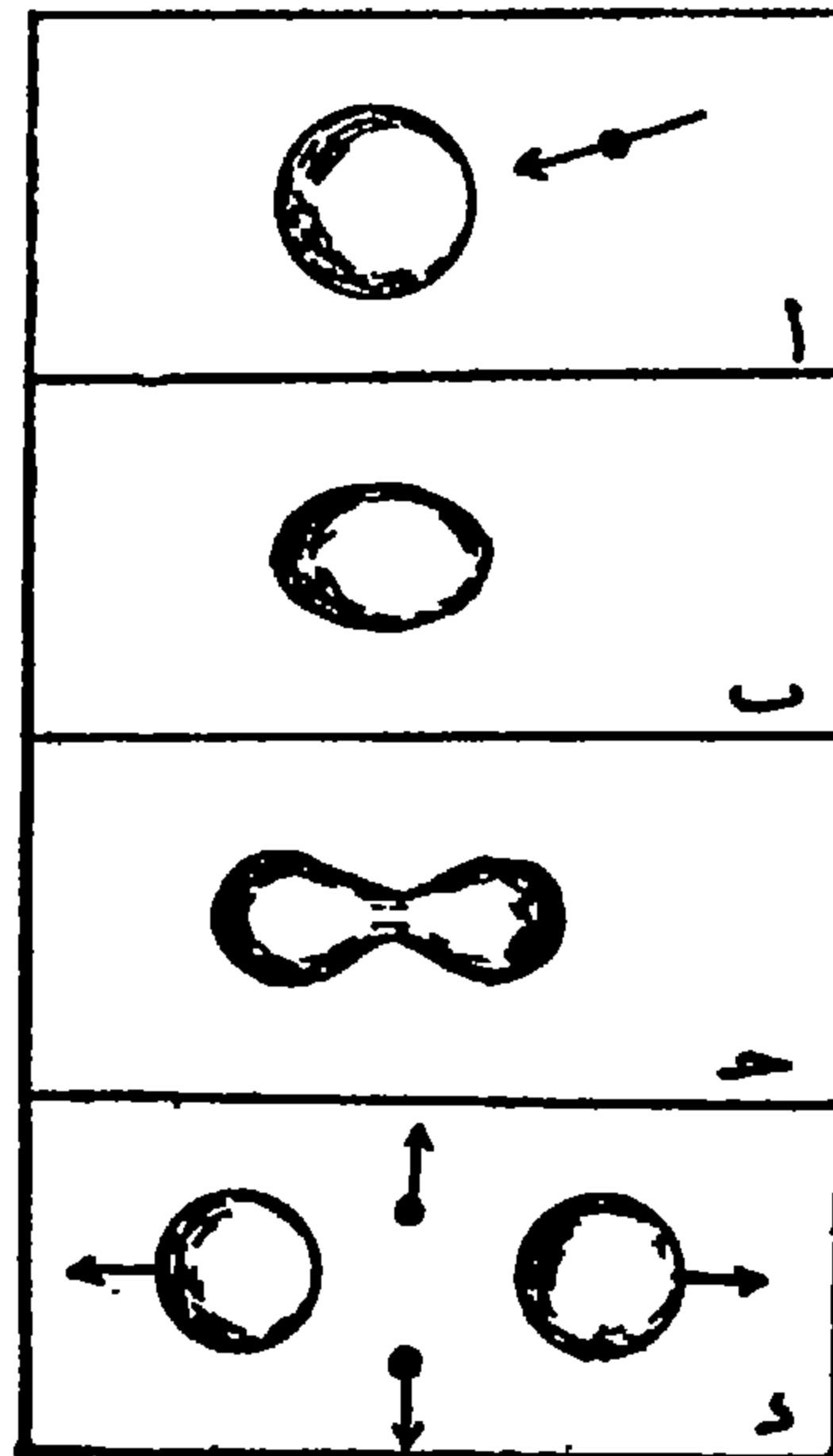
الذرات أصلاً خارج الكهرب السابق مؤدياً بذلك إلى تكوين أشبه مايكون بالبصلة، فإن الأجسام النيوترونية والبروتونية في النوى تتداخل بعضها مع بعض، وكل منها يحتل الحجم النووي كله . هذا النقص في الوضوح الهندسي بين الأجسام النيوكليونية يجعل تأثيرها معروفاً قليلاً ، ولكن أصعب من أن يدرس ويشرح . وعلى أية حال ذلت هذه الصعوبة في نفس الوقت وبصورة مستقرة على يد ماريا جوبرت مير في شيكاغو وهانز جيلنس في هيدلبرج . وكان باستطاعتهم عمل نظام كامل للأجسام النووية يتفق تماماً مع الحقائق الملاحظة . وعندما تقابلا لمقارنة نتائجهما، وجدا أن كليهما ولد في نفس اليوم من نفس السنة ، وبذلك أصبحا صديقين حميمين .

تفاعلات الانشطار المسلسلة

في ٢٧ من يناير عام ١٩٣٩ نظمت جامعة جورج واشنطن (حيث كان يعمل المؤلف) بالاشتراك مع معمل كارنيجي بواشنطن مؤتمراً صغيراً للفيزياء النظرية في نفس المدينة . وفي ذلك اليوم تسلم نيل بور رئيس المؤتمر وأحد الزوار المرموقين خطاباً من عالمة فيزياء ألمانية تدعى ليزميتتر تعمل في ستوكهلم (هرباً من هتلر) . قالت إنها تلقت خطاباً من زميلها أوتوهان في برلين يخبرها أنه عندما كان هو ومساعداه فريتز ستراسمان يقذفان اليورانيوم بالنترونات اكتشفا وجود الباريوم ، وهو عنصر في منتصف جدول مندليف . واعتقدت ميتتر وابن أخيها أوتو فرش (لاحظ وجود اثنين باسم أوتو في هذا العمل) الذي سافر معها إلى ستوكهلم أنه من المحتمل أن يكون هذا نتيجة لانشطار نواة اليورانيوم عندما قذفت بالنيوترون . وبمجرد أن قرأ بور الخطاب على المشتركين سرعان ما تحول موضوع المناقشة غير المثير إلى مناقشة حامية الوطيس ، عما إذا كان انشطار نواة اليورانيوم يمكن أن يؤدي إلى إطلاق واسع النطاق للطاقة النووية . وتوجه أنريكو فرمي الذي كان يشارك في المؤتمر إلى السبورة وراح يكتب بعض الظواهر المتعلقة بعملية الانشطار . واستيقظ مراسل إحدى صحف واشنطن الذي كان نائماً في الشطر الأول من المناقشة وبدأ يسجل ملاحظاته ، ولكن سرعان ما أراه الباب ميرل تيوف أحد علماء الطبيعة النووية في

معهد كارنيجي ، وهو يقول له إن المناقشة فنية للدرجة لا يفهمها . وكانت هذه أولى الخطوات لضمان التنظيمات التي فرضت سريعاً على تطوير الطاقة الذرية ، ولكن ظهر في الصحف ما سمعه المراسل قبل طرده . وفي اليوم التالي استيقظ المؤلف على نداء من بعيد صادراً من روبرت أوبنهايمر في كاليفورنيا الذي كان يريد أن يعرف كل ما يجري ، وبهذه الطريقة بدأت القافلة تسير .

وتعتبر المقالة التي نشرها نيل بور وجون ويلر في عدد سبتمبر عام ١٩٣٩ في مجلة الفيزياء (The Physical Review) عن نظرية الانشطار النووي أولى المقالات وآخرها التي نشرت في هذا الموضوع قبل أن يسدل ستار الضمان ، وكانت تقوم على أساس نموذج قطرة النواة السابق مناقشته . وعندما بدأت النواة التي صدمها النيوترون الساقط في التذبذب مارة بسلسلة من الأشكال المطولة اضطرب التبادل بين التوتر السطحي والقوى الكهربية ؛ فالأول يحاول إعادة النواة إلى شكلها الكروي الأصلي ، وتحاول الأخيرة زيادة الطول . فإذا ما زادت نسبة المحور الأكبر على



شكل (٨ - ١٣)

انشطار نواة ثقيلة ناجم عن تصادم نيوترون

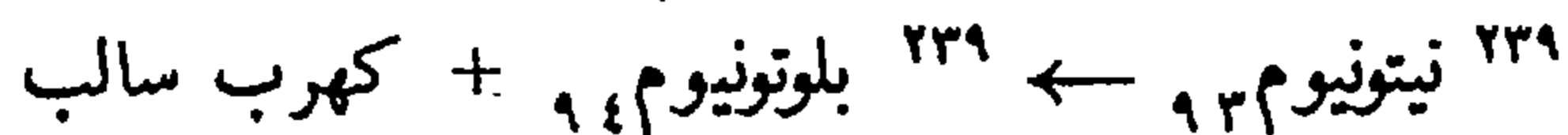
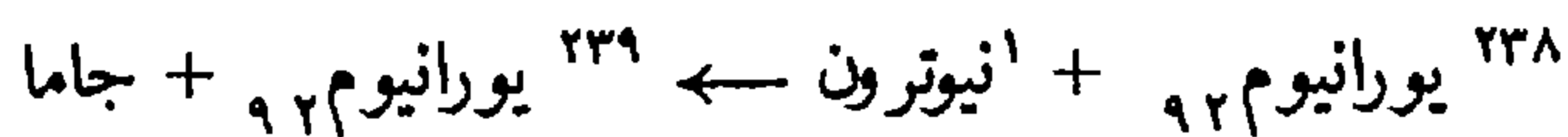
المحور الأصغر للشكل الناقص عن حد معين نتج انشقاق على طول السطح المستوى وتنقسم النواة إلى نصفين . وبسرعة عرف أن انشطار نواة اليورانيوم يصحبه انطلاق زوج (أو على وجه التحديد ٢,٥) من النيوترونات التي من الممكن أن تصيب بدورها اثنين من النوى المنتجة جانباً فيشطرانها وينتج عن هذا أربعة نيوترونات جديدة يمكنها شطر أربع نويات أخرى . . . وعلى ذلك يمكن وجود سلسلة تفاعلات سرعان ما تلتهم قطعة اليورانيوم كلها مع إطلاق كميات هائلة من الطاقة النووية .

ومن الصعب الكتابة في موضوع أصبح شائعاً معروفاً باسم « الطاقة الذرية » ، ففي الأيام الأولى عندما كانت الحقائق مخفية خلف ستار ضمان ثقيل لم يكن هناك كثير يمكن للفرد أن يكتب عنه . وعلى أية حال فإنه بعد أن أصبح من المستطاع الآن كشف دقائق المعلومات في الكثير من الكتب ومن المقالات المنشورة في المجلات والصحف صار الموضوع مملاً وتافهاً إلى حد ما . وبالإضافة إلى ذلك فإنه بالرغم من أن انشطار نواة اليورانيوم يمكن اعتباره فقرة ممتعة في قصة الفيزياء (فقرة واحدة فقط) إلا أن إنتاج القنابل الذرية والمفاعلات والمخصبات ينتمي لدرجة كبيرة إلى ميدان العلوم التكنولوجية . وعلى ذلك فإنه بالإضافة إلى رسم صورتين جميلتين جداً (خصوصاً إذا كان مستطاعاً إعادتهما بالألوان) — إحداهما لقنبلة ذرية واحدة ، والثانية لمفاعل واحد (نموذج بركة سباحة) — اللوحة رقم (٧) — فإننا سوف نناقش في هذا الجزء أهم الخطوات الأساسية فقط .

أولاً : كانت هناك حقيقة مخيبة للآمال ظهرت مبكرة في الوقت الذي عقد فيه مؤتمر واشنطن السابق ذكره ؛ هذه الحقيقة هي أن نظائر اليورانيوم المشعة الرئيسية ليست هي التي تسبب ظاهرة الانشطار ، وهي أندر النظائر المشعة لليورانيوم ٢٣٥ التي توجد في حوالي ٠,٧ ٪ إلى جانب النظائر الرئيسية ٢٣٨ لليورانيوم التي تكون الباقي وقلده ٩٩,٣ ٪ من اليورانيوم الطبيعي ، وهو ليس مجرد خليط غير ضار ولكن له ميل شديد للنيوترونات ويأسرها بدرجة تخمد أي تفاعل مسلسل يمكن أن يبدأ في اليورانيوم ٢٣٥ . وكانت هناك طريقتان فقط للتمشي مع الموقف : إما أن يفصل اليورانيوم ٢٣٥ من اليورانيوم ٢٣٨ الضار ، أو يحاول إجراء التفاعل في اليورانيوم الطبيعي بوساطة بعض الفضلات مع إقصاء اليورانيوم ٢٣٨ عن فريسته . وجربت

كلتا الطريقتين . ففي مصنع سري في أوك ريج بولاية تينيسى اكتشفت طرق مختلفة لفصل نظائر اليورانيوم المشعة . وأخيراً تركّز الإنتاج على طرق التغلغل التي تقوم على حقيقة أن مركبات اليورانيوم التي تحتوى على نظائر مشعة خفيفة تنتشر أسرع قليلاً خلال الأغشية المسامية عن تلك التي تحتوى على نظائر مشعة ثقيلة .

والفضلات المطلوبة لإجراء التفاعل في اليورانيوم الطبيعي صنفها في الغالب أنريكو فرمى وكانت تقوم على مبدأ الاعتدال . ووجد أن نظائر اليورانيوم المشعة الثقيلة لها قابلية للنيوترونات سريعة الحركة نسبياً ، في حين تفضل النظائر المشعة الخفيفة النيوترونات البطيئة . وحيث إن النوترونات المنبعثة عند انشطار نواة اليورانيوم لها سرعات عالية جداً وجب على الفرد أن يبطئها إلى مستوى قابلية اليورانيوم ٢٣٥ ، وذلك حتى تكون سرعتها كافية لجعلها غير عرضة للالتهام بواسطة اليورانيوم ٢٣٨ . ويمكن تحقيق ذلك بخلط اليورانيوم بكمية كبيرة من المادة المسماة « المعدل » أى عنصر ذراته ليس لها قابلية إطلاقاً للنيوترونات ، وتنقص طاقة حركة النيوترونات في عملية الاصطدام . واتضح أن أحسن معدلين هما ذرات الديتيريوم (نظائر الهيدروجين المشعة الثقيلة) وذرات الكربون التي تتحكم في النوعين من الأعمدة (الكربون والماء الثقيل) المستعملين الآن . وأول عمود ذرى استخدم معدل الكربون (أحجار الجرافيت) وبنى تحت إشراف فرمى كان في الملعب الكبير بإستاد جامعة شيكاجو ، وبدأ تفاعله في الثانى من ديسمبر عام ١٩٤١ . وبالطبع تسير التفاعلات النووية المسلسلة بطيئة جداً في الأعمدة المعدلة ، ولا يمكن استخدام الطاقة الناتجة عنها في الأغراض الحربية أو السلمية . ولكن هناك حيلة ؛ ففي الوقت الذى يجرى فيه التفاعل الانشطاري المسلسل في نوى اليورانيوم ٢٣٥ تلهم نوى اليورانيوم ٢٣٨ النهمة بعض النيوترونات وتحرم بواسطة المعدل من مادة لوكولان . ويتضح من المعادلة الكيميائية الآتية ما يحدث عندما تلهم نوى اليورانيوم ٢٣٨ نيوترونا :



والنبتونيوم والبلوتونيوم هما عنصران من عناصر « الترزيورانيوم » الناتجة في

العمود النوى . وفي الوقت الذى يكون فيه النيتونيوم مجرد مرحلة انتقالية فى العملية نجد أن البلوتونيوم يمثل شيئاً ما حقاً ، فله نفس خصائص اليورانيوم ٢٣٥ إن لم يكن أكثر . وهو ينشط بسهولة أعظم إذا ما اصطدم بنيوترون ويصحب انشطاره عدد أكبر من النيوترونات الثانوية . وما هو أكثر أهمية هو أن للبلوتونيوم خصائص كيميوية مختلفة عن اليورانيوم ، (ويقال) إنه يمكن فصله بسهولة من اليورانيوم المتبقى عندما تنهى عملية الطبخ فى العمود .

واليوم يصل إنتاج المواد القابلة للانشطار فى الولايات المتحدة إلى س طن * سنوياً إذا قيس بإنتاج الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ $\frac{1}{4}$ ص طن .

قنابل الانشطار والمفاعلات

أهم فكرة فى المناقشات المتعلقة بمفاعلات الانشطار المسلسلة هى فكرة « الحجم الحرج » ، فعندما تحدث عملية انشطار واحدة فى داخل عينة معطاة من اليورانيوم ٢٣٥ الخالص أو البلوتونيوم ٢٣٩ ، تنبعث عدة نيوترونات انشطارية من النقطة التى حدث فيها الانشطار النووى (بمعدل ٢,٥ لليورانيوم و ٢,٩ للبلوتونيوم) . ومتوسط المسافة التى يجب على تلك النيوترونات الانشطارية أن تسيرها حتى تصل إلى نواة أخرى هو ١٠ سم . لهذا فإنه إذا كان حجم العينة المعطاة أقل من ذلك فإن أغلب النيوترونات الانشطارية سوف تخترق سطح العينة وتطير بعيداً قبل أن تواتيها الفرصة لإحداث انشطار آخر وإنتاج نيوترونات أخرى . ولهذا لا يمكن أن يتم تفاعل مسلسل يسير حثيثاً فى سبيل التقدم إذا كان حجم العينة صغيراً جداً . وعندما نصل إلى عينات أكبر بكثير نجد أن كثيراً من النيوترونات الانشطارية الناتجة فى الداخل تواتيها الفرصة لإحداث انشطار آخر بالاصطدام مع نواة قبل أن تهرب عبر السطح . أما فى العينات ذوات الحجم المناسب فإن عدد النيوترونات الانشطارية التى تحدث انشطاراتاً آخر بداخل العينة يصبح كبيراً لدرجة تكفى لإحداث زيادة سريعة فى درجة التفاعل بمرور الزمن . وحجم العينة لمادة معينة قابلة للانشطار والتى تكون بها

* إلى مقادير غير معروفة (المترجم) .

نسبة عالية من النيوترونات التي تسبب عمليات انشطارية متتابعة تكفي لقيام تفاعل مسلسل يسير بخطى تقدمية ، هذا الحجم يعرف باسم « الحجم الحرج » لتلك المادة المعينة . وبما أن عدد النيوترونات لكل انشطار يكون أكبر في حالة البلوتونيوم منه في حالة اليورانيوم ٢٣٥ ، نجد أن الحجم الحرج لعينات البلوتونيوم يكون أصغر منه في عينات اليورانيوم ٢٣٥ لأن الأول يعطى خسائر أكبر من النيوترونات عبر السطح .

وللحصول على انفجار نووي يجب على الفرد أن يكون عينه فوق الحرجة من مادة قابلة للانشطار في وقت قصير لا يكفي لحدوث تفاعل مسلسل يصل مداه إلى قوة هائلة . ونحن يمكننا عمل ذلك مثلاً بقذف كتلة تحت الحرجة لكتلة أخرى تحت الحرجة كذلك بسرعة عالية حتى لا يحدث تفاعل مسلسل يصل مداه إلى درجة كبيرة قبل الحصول على التركيبة كاملة . وهناك أيضاً طرق أكثر إحكاماً للحصول على نفس النتيجة .

وإذا أراد المرء إجراء تفاعل انشطاري مسلسل تحت وطأة الظروف حتى يستعمله في أغراض إنتاج الطاقة ، يجب أن يحتفظ بالعينة طوال الوقت بحيث تكون قريبة من الحجم الحرج ما أمكن ذلك . ولا بد أن نتذكر أن التفاعل النووي المسلسل تفاعل انفجاري بطبيعته ، وأن أية محاولة لإجرائه بدرجة منتظمة يمكن مقارنتها بالاحتفاظ بفرن مشتعل مع استعمال وقود (TNT تراي نيترو تولوين) ونوع من المتفجرات ، إلا أنه يمكن في الواقع إنجاز ذلك مع توافر فرصة صغيرة لوقوع كارثة . وعلى أية حال فمثل هذا الظرف يمكن الحصول عليه باستعمال « محابس ضبط » تحتوي على نيوترون يمتص المواد (مثل البورون) ، تدفع أو تسحب تلقائياً من القنوات الصغيرة المحفورة خلال المواد المتفاعلة قابلة الانشطار بمجرد أن تنخفض نسبة إنتاج النيوترون أو تزداد عن المستوى المطلوب .

واليوم تستعمل المفاعلات النووية بنجاح كمصادر للطاقة في البلدان التي بها نقص في الفحم والزيوت مثل بريطانيا ، ولتسيير السفن مثل الغواصات « الذرية » في الولايات المتحدة ، وكاسحات « الجليد » في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

التفاعلات النووية الحرارية

ولقد ظل علماء الفلك والفيزياء يتساءلون عدة قرون عما يجعل الشمس والنجوم الأخرى تضيء . وكان من الطبيعي أن يروا أن « الاحتراق العادي » لا يكفي ، حيث إنه حتى لو كانت مادة الشمس من أحسن أنواع بترزين الطيران لما استطاعت الاستمرار على البقاء من عهد الأهرامات المصرية حتى اليوم . فمذ حوالى مائة عام اقترح كل من هيرمان فون هلمهولتز فى ألمانيا ولورد كلثن فى إنجلترا أن الشمس يمكنها الاحتفاظ بإشعاعها الضوئى والحرارى نتيجة انكماش جسدها . ودلت الإحصائيات على أن انكماش الشمس من حجمها الأصلى الكبير إلى قطرها الحالى من الممكن أن يطلق طاقة كافية للاحتفاظ بإشعاعها لعدة ملايين قليلة من السنين . ولكن الإحصاءات الأخيرة لعمر المجموعة الشمسية تجعل من الواضح أنه حتى هذا الرقم الكبير ليس كافياً ، وأن الشمس لابد أن تكون مشرقة منذ عدة بلايين من السنين على الأقل ، وأن الطريقة الوحيدة لإحصاء عمر الشمس هى افتراض أنها تحصل على طاقتها من نوع ما من التحولات النووية . وفى عام ١٩٢٩ اجتمع الفلكى البريطانى روبرت اتكنسون وعالم الفيزياء النمساوى فريتز هوترمانز ليريا ما إذا كان من الممكن أن يكون ذلك صحيحاً ، وكانت فكرتهما هى أن التصادم الحرارى بين الذرات فى داخل الشمس الملهب يمكن أن يتسبب فى إحداث بعض التفاعلات النووية بسرعة تكفى لإعطاء الكمية اللازمة من الطاقة . ودلت دراسات الفلكى البريطانى السير آرثر ادنجتون على أن الحرارة فى داخل الشمس لابد أن يكون ارتفاعها حوالى ٢٠ مليون درجة ، وتتفق هذه مع طاقة الحركة الحرارية البالغة حوالى 4×10^{-9} ارج لكل جسيم . هذه الطاقة أصغر مئات المرات من طاقة القذائف الذرية المستعملة فى التجارب التقليدية على التحول الصناعى للعناصر . ولكن يجب أن يضع الفرد نصب عينيه أنه فى الوقت الذى تفقد فيه القذائف النووية المعجلة صناعياً طاقتها الابتدائية بسرعة وتكون أمامها فرصة صغيرة فقط لإصابة هدف النواة قبل أن تخرج من المباراة ، نجد أن الحركة الحرارية تستمر بلا نهاية وتضطدم

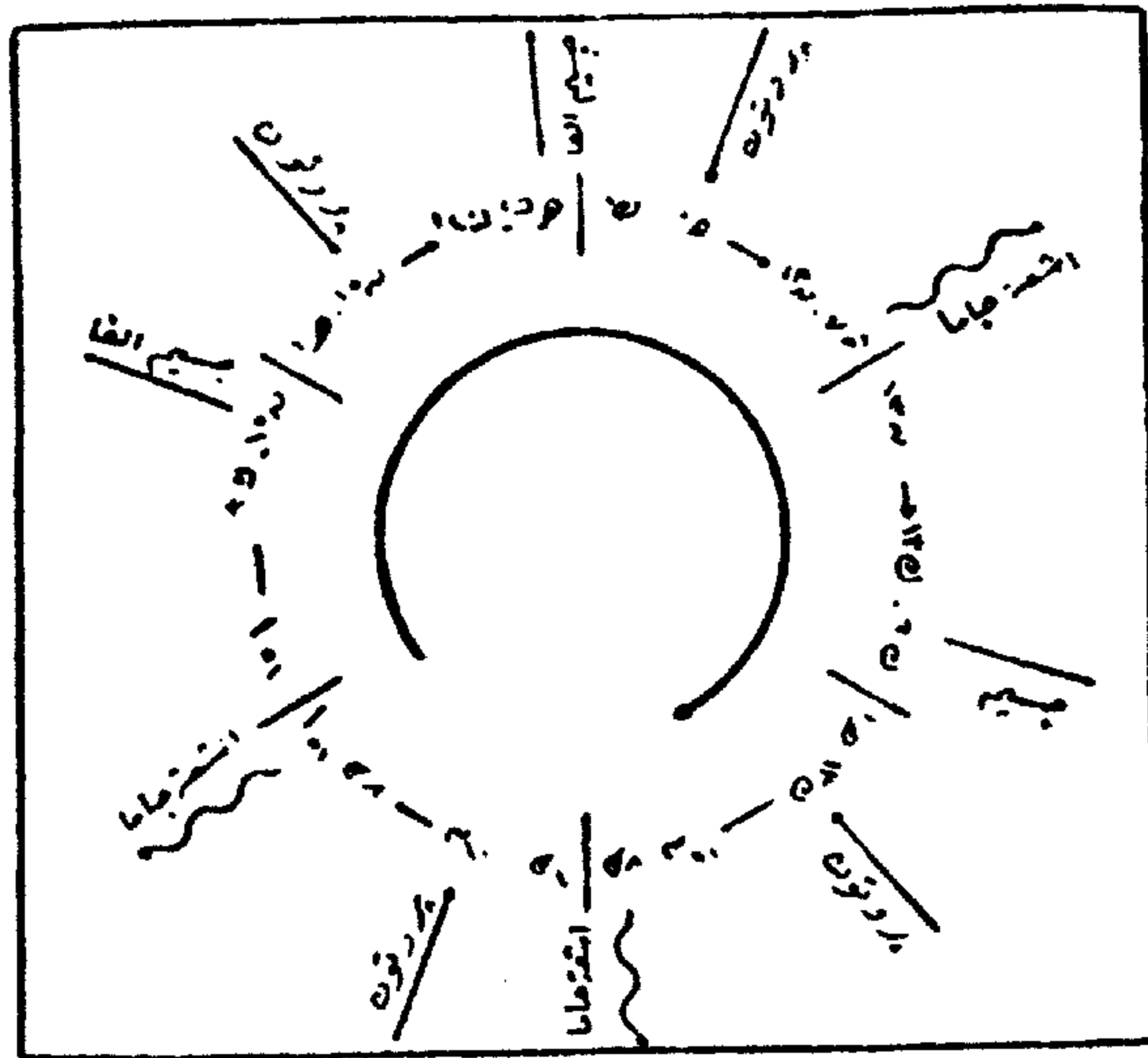
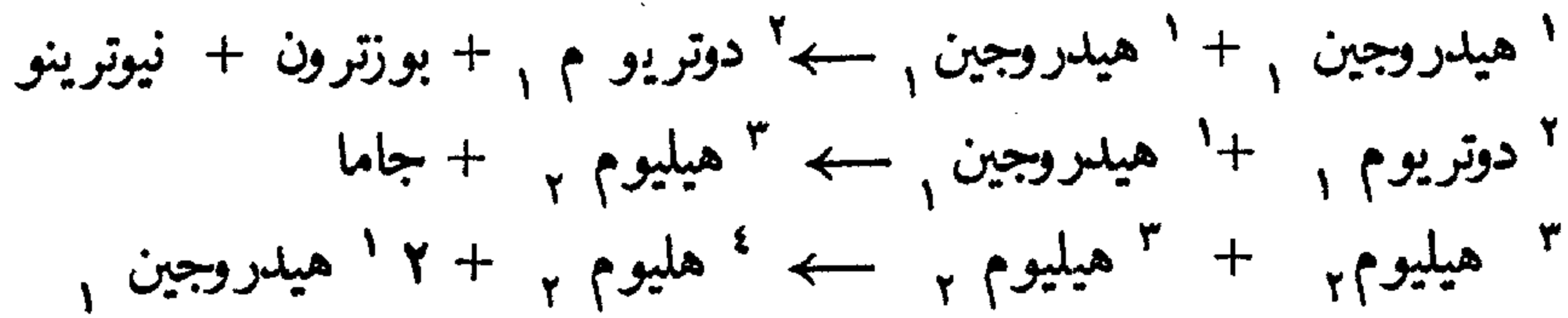
الجسيمات التي تشتمل عليها بعضها ببعض لمدة غير محددة من الزمن . واستطاع هوترمانز واتكنسون باستعمال نظرية الأختراق الآلى الموجى خلال حائل الجهد النووى التى ظهرت قبل ذلك بعام واحد فقط أن يبرهنوا على أنه فى الحرات والكثافات الناتجة داخل الشمس يمكن للتفاعل النووى الحرارى بين نوى الهيدروجين (بروتونات) ونوى عناصر أخرى خفيفة أن يطلق كمية من الطاقة كافية لتعليل إشعاع الشمس الملحوظ . هذه النظرية تم افتراضها قبل أن يجرى كوكروفت ووالتون تجاربهما على التحول الصناعى للعناصر ، ذلك التحول الناتج عن قذف البروتون . وأمكن الوصول إلى معلومات قليلة عما يحدث عندما تصطدم النوى الخفيفة المختلفة بالبروتونات . واقترح هوترمانز واتكنسون فى ذلك الوقت أنه لابد أن توجد نواة خفيفة لها القدرة على أسر البروتونات والتثبيت بها لمدة كبيرة من الوقت . وبعد أن يؤسر البروتون الرابع من الممكن أن يتكون جسيم ألفا بداخل مصيدة البروتونات ، أى النواة . ومن الممكن أن طرد هذا الجسيم يطلق كمية كبيرة من الطاقة النووية ولقد سميا مقالتهما التى نشرت عام ١٩٢٩ فى مجلة ألمانية « زيتشرفت فور فيزيك Zeitschrift fur Physick » بعنوان : (كيف يمكن للفرد أن يطبخ نوى الهيليوم فى وعاء كامن) * ، ولكن محرر المجلة ، الذى لم يكن مرحباً ، عمد إلى تغيير عنوان المقالة إلى عنوان تقليدى مما يصطلح عليه .

وبعد عشر سنوات عندما تجمعت المعلومات الكافية عن تحول النوى الخفيفة التى تصطدم بالبروتون، عرفت « النواة التى يأسرها البروتون » التى اكتشفها اتكنسون وهوترمانز بالكربون . واقترح هانز بيثى بالولايات المتحدة وكارل فون فايساكر بألمانيا، كل على حدة ، وجود ما عرف باسم « دورة الكربون » الموجودة بالشكل (٨ - ١٤) . فى هذه السلسلة من التفاعلات النووية تؤسر أربعة بروتونات بالتوالى بواسطة نواة ذرة الكربون ، وبعد تحول اثنين منها إلى نيوترونات تقذف على شكل جسيم ألفا . والفترة الكلية للدورة هى ٦ ملايين من السنين ، وتصل الطاقة التى تبعثها إلى 4×10^{-10} ارج . وبما أنه - تبعاً للحقائق الحالية عن التركيب الكيموى للشمس - يحتوى كل جرام من المادة الشمسية حوالى ٠,٠٠٠١ جم

* Vie Kan Ean Ein Lielium Kern in ein Potencial Topf Kochen ? (المؤلف).

من الكربون (5×10^{18} من ذرات الكربون) ، فإن النسبة الكلية لإطلاق الطاقة بواسطة دورة الكربون تصل إلى أرج لكل جرام في الثانية ، وهذا الرقم يمثل فقط ١٪ من النسبة التي يجب أن تنتج داخل الشمس .

وفي ذلك الوقت اقترح تشارلس كرتشفيلد چرچ جامعة جورج واشنطن عملية أخرى . وكانت فكرته هي أنه إذا كان في الاصطدام بين بروتونين يتحول أحدهما إلى نيوترون بواسطة انبعاث كهربي موجب ، فإنه يمكن تكوين نواة الدوتريوم (من نظائر الهيدروجين المشعة الثقيلة) . وعن طريق تفاعلات متتالية يتحول الدوتريوم إلى هيليوم ، وبهذا نصل إلى نفس النتيجة مثل دورة الكربون ولكن بصورة أسرع . والتفاعلات الداخلة في هذه العملية التي تسمى هيدروجين - هيدروجين هي :



شكل (٨ - ١٤)

دورة الكربون المسئولة عن إنتاج الطاقة النووية الحرارية في النجوم

وعند درجة الحرارة التي تبلغ ٢٠ مليون درجة يستغرق هذا التفاعل 3×10^9 سنوات ، ويطلق 4×10^{-10} إرج لكل بروتون . وحيث إن الهيدروجين يكون حوالي نصف المادة الشمسية (2×10^{23} ذرة لكل جرام) فإن النسبة الكلية لإطلاق

الطاقة تكون حوالى ١٠٠ ارج لكل جرام فى الثانية وتكون بذلك فى توافق تام مع القيمة المرصودة .

وعلى أية حال ليس تسلط تفاعل هيدروجين - هيدروجين على دائرة الكربون فى الشمس قاعدة عامة ، ولكن تقلب فى كثير من النجوم . والفكرة هى أن هذين التفاعلين النوويين الحراريين لهما حساسية مختلفة للحرارة ، وبينما تتناسب نسبة دائرة الكربون مع ١٧ تريتيوم نجد أن تفاعل هيدروجين - هيدروجين يتمشى فقط مع ٤ تريتيوم . وعلى ذلك فإنه فى حالة النجوم الأكثر لمعاناً من الشمس ، مثل الشعرى التى تتمتع بدرجة حرارة مركزية أعلى ، يكون لدائرة الكربون اليد الطولى فى تفاعل هيدروجين - هيدروجين . ومن ناحية أخرى فإن النجوم الأكثر خفوقاً من الشمس ، وإلى هذا النوع تنتمى غالبية النجوم ، نجد أن إنتاج الطاقة يرجع تماماً إلى تفاعل هيدروجين - هيدروجين .

وسيعجب القارئ كثيراً إذا حاول مقارنة نسبة إنتاج الطاقة بداخل الشمس بتلك الحرارة الناتجة عن الاستعمالات العادية للكهرباء ، مثل إناء قهوة يعمل بالكهرباء . فكل مائة ارج لكل جرام فى الثانية تساوى حوالى 2×10^{-6} سعر لكل جرام فى الثانية . وجعل جرام واحد من الماء البارد يصل إلى نقطة الغليان بهذه النسبة من الحرارة قد يستغرق حوالى 5×10^6 دقيقة ، أو سنة ونصف سنة . وعلى ذلك فإنه عند استعمال إناء قهوة يعمل بالكهرباء وتعمل وحدة التسخين فيه بنفس قوة التفاعلات النووية بداخل الشمس علينا أن نتظر سنين طويلة حتى يغلى الماء ، على شرط أن يكون الإناء معزولاً تماماً ، وألا يكون هناك فقد فى الحرارة . والسبب فى أن الشمس ساخنة جداً بالرغم من مثل تلك النسبة الحرارية المنخفضة انخفاضاً كبيراً هو أنها كبيرة جداً . ونجد فى الواقع أنه بما أن الإنتاج الكلى للحرارة يتناسب مع الحجم (أى مع 3) * فى حين يتناسب فقد الحرارة مع السطح (أى مع 2) فإن الأجسام الكبيرة جداً تصبح شديدة الحرارة حتى لو كانت نسبة إنتاج الحرارة لكل وحدة من وحدات الحجم فى داخلها منخفضة للغاية .

ويتضح من المناقشة السابقة أنه ، لا دائرة الكربون ، ولا تفاعل هيدروجين -

* نق ٣ مكعب نصف القطر (المترجم) .

هيدروجين اللذين يمدان النجوم التي تنير العالم بالطاقة كافية لرجل أنيق يريد استغلال الطاقة النووية من أجل أغراضه الخاصة . ومفتاح حل تلك المشاكل يمكن الحصول عليه من النظائر المشعة للهيدروجين والدوتريوم ^٢ الذي اكتشفه عالم الكيمياء الأمريكي هارولد أوري ، ونظائر مشعة ثقيلة أخرى مثل تريتيوم . والدوتريوم موجود في الطبيعة ولو أنه موجود بكميات صغيرة جداً ، فكل جزيء من ثلاثة آلاف جزيء من الماء يحتوي على ذرة من الدوتريوم . ويرجع إلى تطوير وسائل فصل النظائر المشعة أن انخفضت تكاليف الدوتريوم فأصبحت مثل ثمن الويسكي الرخيص بعد أن كانت مثل ثمن العطور الفرنسية الغالية . فهناك كميات كبيرة من الماء في المحيطات . وحيث إن التريتيوم هو نظير مشع غير مستقر فإنه لا يوجد في الطبيعة ، (اللهم إلا كميات صغيرة مهملة تتجهها الأشعة الكونية في الجو) ، فلا بد إذن من صناعته بتكاليف باهظة في الأعمدة الذرية . وإذا استعمل على أنه الوقود الرئيسي فإنه يكلف الشيء الكثير ، إلا أنه يساعد في « الإشعاع النووي » لبدء التفاعل النووي الحراري في الدوتريوم . والتفاعلات الممكنة بين نظائر الهيدروجين المشعة الثقيلة هي :

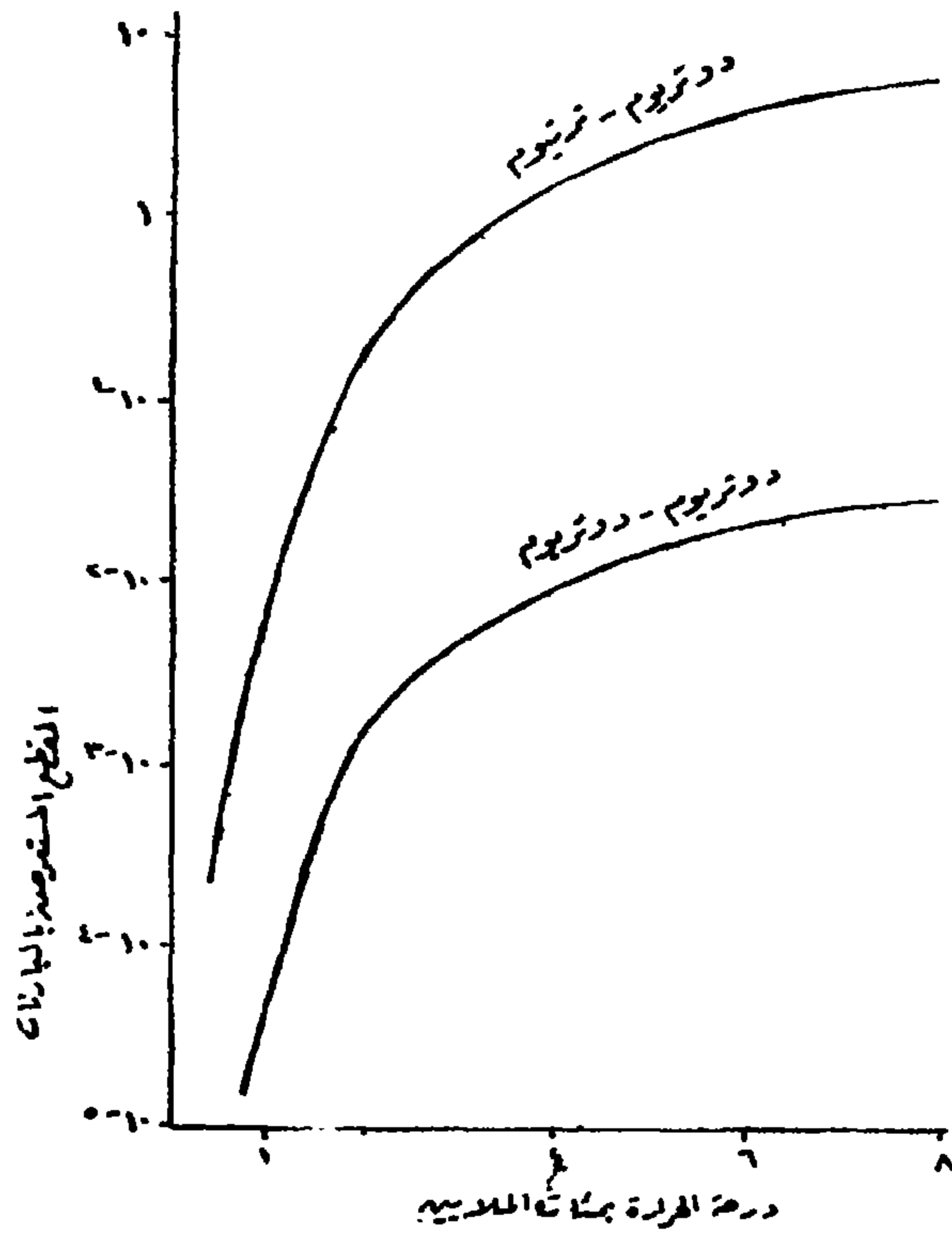
^٢ دوتريوم_١ + ^٢ دوتريوم_١ ← ^٣ هليوم_٢ + ^١ نيوترون + ٣,٢٥ مليون إلكترون فولت

^٢ دوتريوم_١ + ^٢ دوتريوم_١ ← ^٣ تريتيوم_١ + ^٢ هيدروجين_١ + ٤ مليون إلكترون فولت .

^٢ دوتريوم_١ + ^٣ تريتيوم_١ ← ^٤ هليوم_٢ + ^١ نيوترون + ١٧,٦ مليون إلكترون فولت .

وفي شكل (٨ - ١٥) تظهر بوضوح مقاطعها المستعرضة الفعالة محسوبة على أساس نظرية ظاهرة حفر النفق * . وعلى ذلك فإن الذي على المرء أن يفعله ليحصل على تفاعلات نووية حرارية بين نظائر الهيدروجين المشعة الثقيلة هو أن يسخنها إلى درجة حرارة تبلغ مئات قليلة من ملايين الدرجات . وفي أول نوفمبر عام ١٩٥٢ توصل علماء لوس ألاموس إلى ذلك عندما فجروا أول قنبلة نووية حرارية في البيوجيلا ب ، إحدى جزر المرجان في المحيط الهادى ، فحولوا الجزيرة إلى بركة من

* مفروض أن النجوم والشموس تجمع غاز الأيدروجين الكونى مخلقة ورامها ما يشبه النفق (المترجم) .

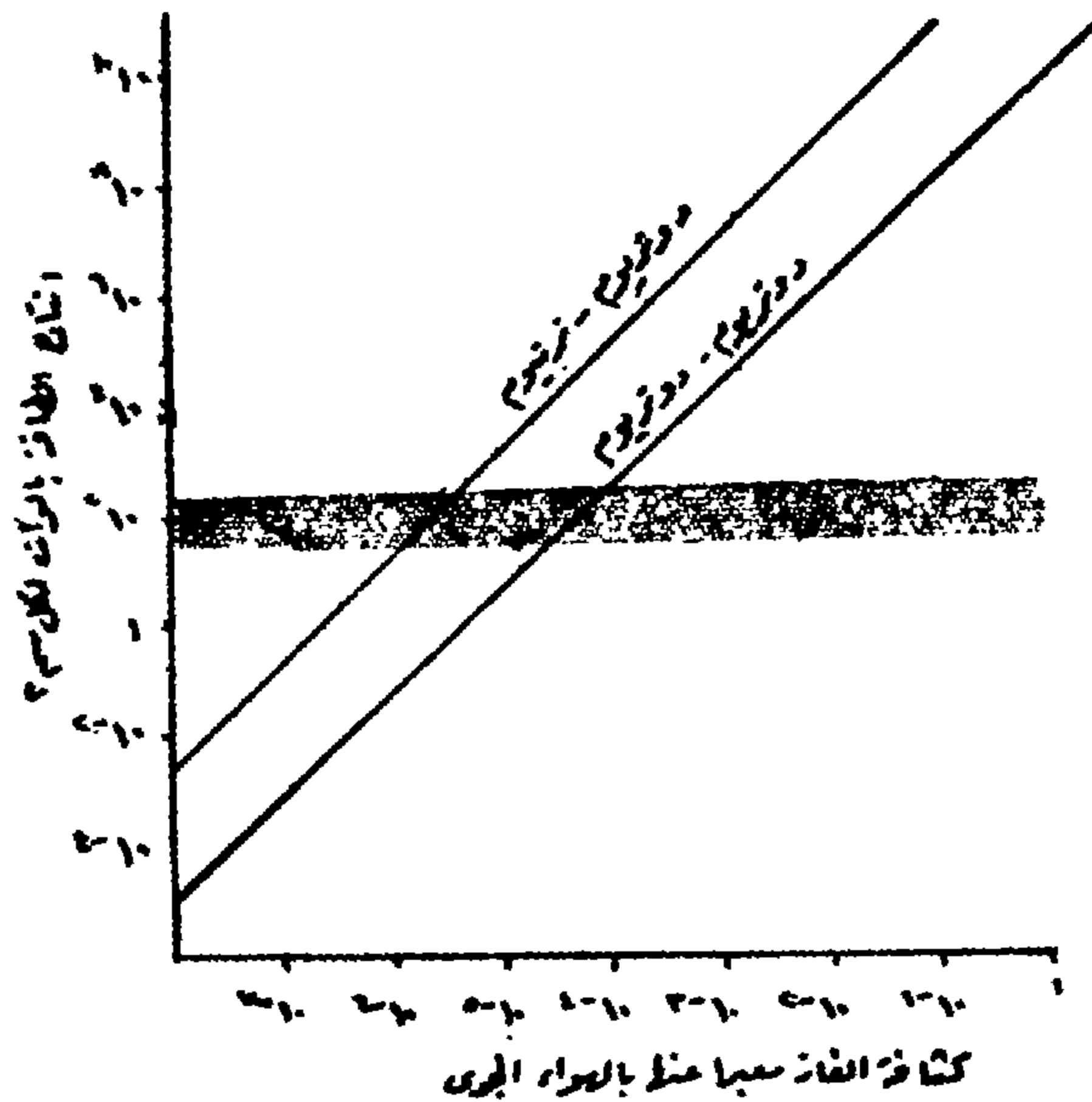


شكل (٨ - ١٥)

مقاطع مستعرضة لتفاعلات دوتريوم - دوتريوم - تريتيوم كدالة من دوال طاقتها الحرارية المعبر عنها بدرجة الحرارة المطلقة .

الماء عرضها ميل وعمقها حوالي ٢٠٠ قدم . وقد توصلوا لتلك النتيجة بكبس كمية مناسبة من الهيدروجين الثقيل وتسخينها وذلك بتفجير قنبلة انشطارية قوية . ومهما كانت الظروف فالموقف يصبح أكثر تعقيداً إذا ما أراد الفرد إجراء تفاعل نووي حراري تحت ظروف منظمة . وأن يستغل الطاقة المنطلقة في أغراض بنائية وليس في أغراض تخريرية . فمن الواضح أنه في هذه الحالة يجب أن تتغير الظروف الطبيعية التي تجري تحتها التفاعلات النووية الحرارية تغيراً جذرياً ؛ فأولاً وقبل كل شيء يجب أن يجري التفاعل عند كثافات منخفضة جداً لتحاشي ضغط الغاز العالي الذي لا يطاق والذي من الممكن إنتاجه عند درجة حرارة تبلغ مائة مليون درجة . وفي الواقع فإنه عند تلك الدرجة الحرارية وكثافة الهواء الجوي سيستج غاز

الدوتريوم ضغطاً يعادل ١٠٠ مليون رطل لكل بوصة مربعة . ولا يوجد وعاء يمكنه الاحتفاظ به في مكان ما . وتبين الصورة التي في شكل (٨ - ١٦) نسبة الطاقة النووية الحرارية للدوتريوم الخالص وخليط من الدوتريوم - تريتيوم عند كثافات غاز مختلفة . فنحن نرى أنه للحصول على نسبة إنتاج للطاقة تبلغ حوالى ١٠٠ وات لكل سنتيمتر مكعب ، والتي يمكن مقارنتها بمثلتها في المفاعلات الانشطارية التي تنتج اليوم ، فإن كثافة الدوتريوم يمكن أن تنخفض إلى ما يساوى واحداً على عشرة آلاف من كثافة الهواء الجوى . وهذا يتفق مع أحسن فراغ يمكن إحداثه في معاملنا . والمشكلة الثانية هي حفظ هذا الغاز الساخن المخلخل بعيداً عن جدار الإناء ، وإلا فإن عملية توصيل الحرارة إلى الجدران سوف تنقص حرارة غاز الدوتريوم سريعاً إلى أقل من الحد الأدنى المطلوب للتفاعل النووى الحرارى . ويمكن توفير ذلك بعدة وسائل مختلفة كلها تقوم أساساً على استعمال مجالات مغناطيسية قوية . ففي درجة الحرارة العالية جداً المطلوبة في هذه الحالة سوف يكون غاز الدوتريوم في الأنبوبة



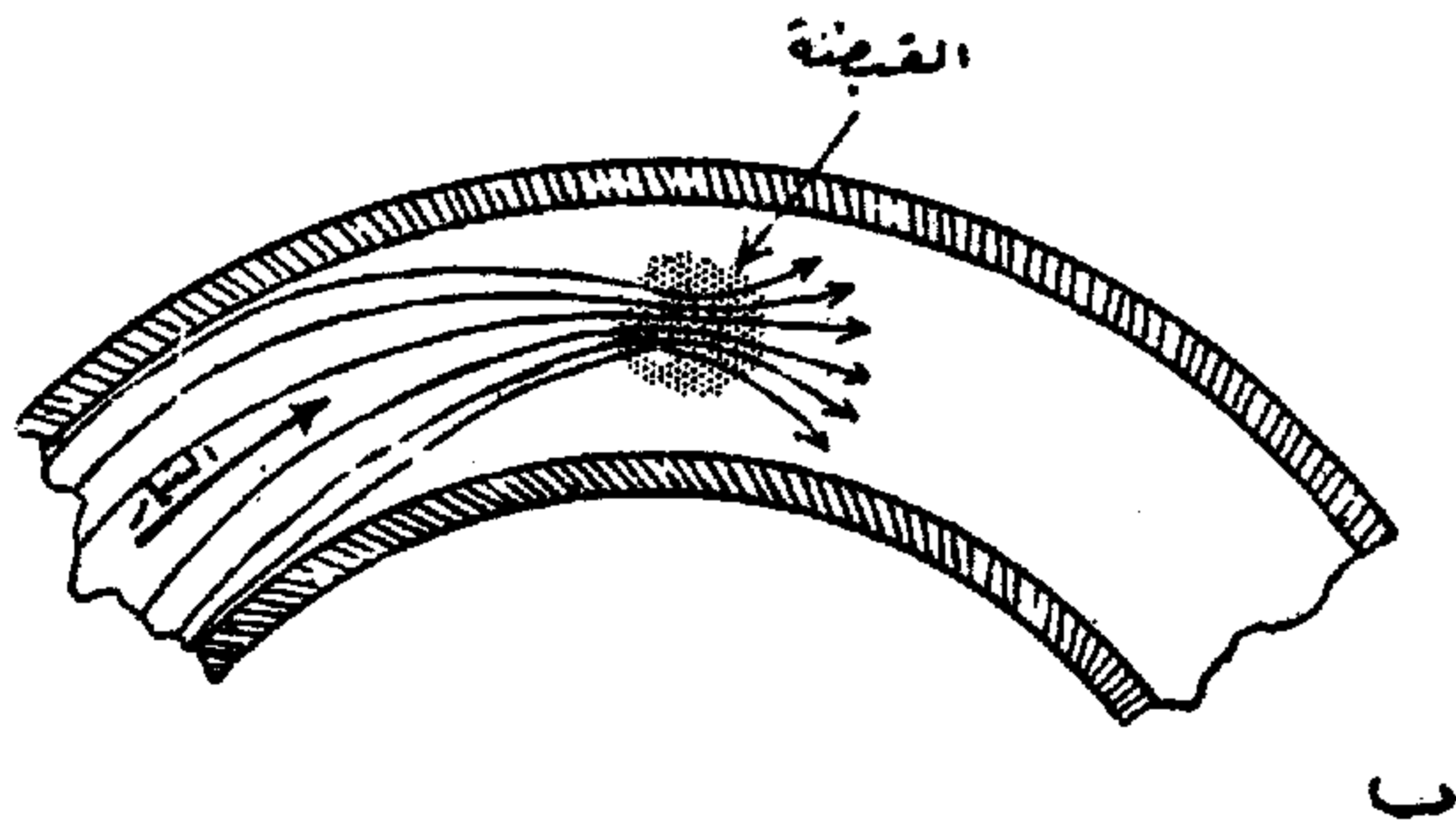
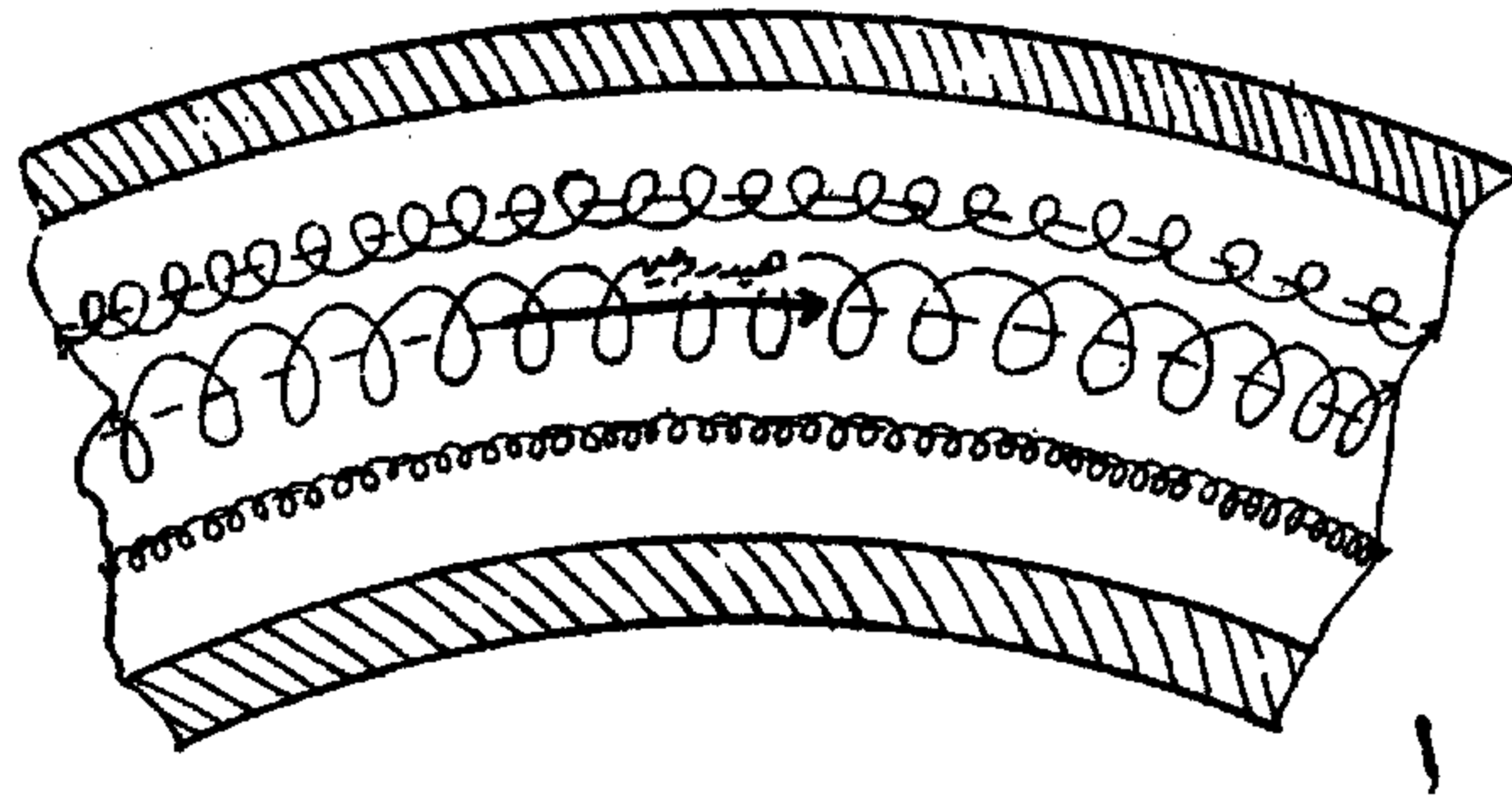
شكل (٨ - ١٦)

معدل انطلاق الطاقة النووية لكثافات متباينة للغاز عند درجة حرارة تبلغ 7×10^9 درجة مطلقة (حوالى ضعف حرارة الشمس الداخلية) . تمثل الحزمة المظلمة إنتاج الطاقة في اليورانيوم الموجود ومفاعلات البلوتونيوم .

مؤينا تأينا كاملاً ، ومكوناً أساساً من كهارب مشحونة شحنات سالبة ، وديوترونات مشحونة شحنات موجبة (وتلك حالة للمادة تعرف هذه الأيام « بالبلازما ») .

ونحن نعرف اليوم أنه عندما يتحرك جسم مشحوناً كهربياً خلال مجال مغناطيسى فإنه يلاقى قوة متعامدة على اتجاه حركته ، وكذلك على المجال نفسه . هذه القوة ترغم الحسبات على أن تنطلق فى مسار حلزوني على طول اتجاه الخطوط المغناطيسية كما يظهر فى شكل (٨ - ١٧) . وعلى ذلك فإنه بتكوين مجال مغناطيسى محورى قوى فى أنبوبة نستطيع أن نمنع الديوترونات والتريتونات الحرة الطليقة منعاً باتاً من الاقتراب من الجدران . فإذا تم توافر ذلك كان من المتوقع أن ينتج عن الاصطدامات بين الحسبات التى تنطلق فى مسار حلزوني على طول الأنبوبة تفاعلات دوتريوم-دوتريوم ، أو دوتريوم-تريتيوم ، مع إطلاق طاقة نووية وكميات وفيرة من النيوترونات . وبالطبع فإنه لبدء مثل تلك العملية يجب أولاً تسخين الغاز الموجود فى الأنبوبة إلى درجة حرارة عالية بوساطة عامل خارجى .

أما الاحتمال الثانى فهو استعمال قوى مغناطيسية ناتجة عن تفريغ شحنات كهربية قصيرة ولكن قوية خلال الأنبوبة . ومن المعروف أن تيارين كهربيين يسيران متوازيين فى نفس الاتجاه ينجذبان مغناطيسياً ناحية بعضهما بعضاً ، حتى إنه فى حالة التيار القوى نجد أن الغاز أو (البلازما) بداخل الأنبوبة سوف يميل إلى فصل نفسه عن الجدران ويكبس فى شريط ضيق على طول المحور . وبفحص الشكل (٨ - ١٧) يمكن فهم كيف تعمل هذه التى يطلق عليها اسم « ظاهرة الكماشة » ، وعلى النقيض من الطريقة السابق وصفها فإن ابتكار « ظاهرة الكماشة » أنجز الغرض فى هزات كما تعمل آلة السيارة ، ولكنها تمتاز تماماً بأن الغاز الموجود فى الأنبوبة يسخن تلقائياً بتفريغ شحنة كهربية ، وليست هناك حاجة لتسخين خارجى . ولقد قدر أن تياراً يبلغ عدة مئات الآلاف من الأمبيرات يستمر لمدة أجزاء من المليون من الثانية سوف ينتج قبضة شدتها تكفى لإحداث تفاعل نووى حرارى فى الدوتريوم . والعمل فى الاتجاهات السابق وصفها يقوم الآن فى كثير من معامل العالم . ومن المحتمل جداً أن مشكلة التفاعلات النووية الحرارية المضبوطة سوف تجد الحل فى نظام محكم مقتضب .



شكل (٨ - ١٧)

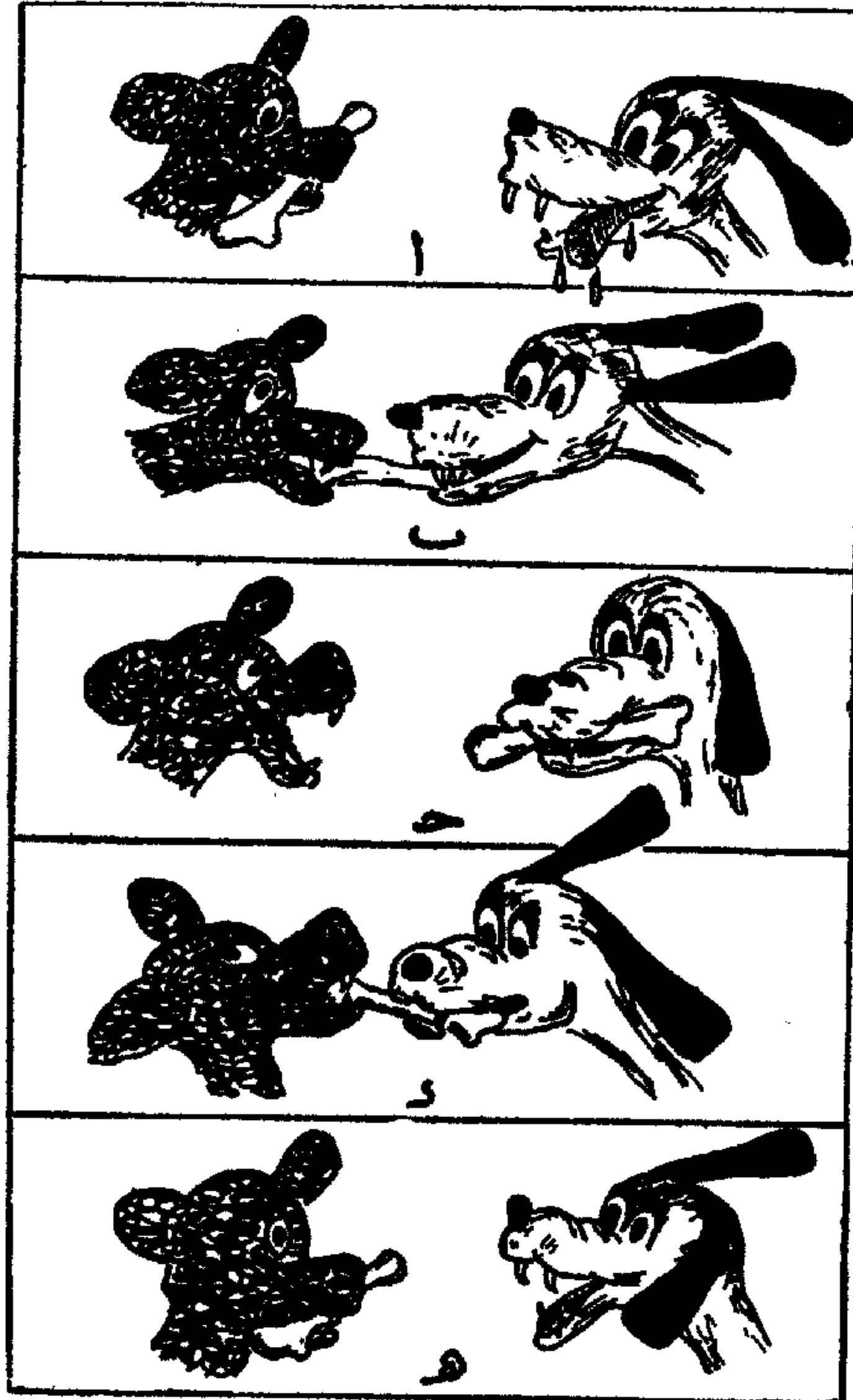
اثنان من الطرق الرئيسية التي تعمل الآن للتحكم في التفاعلات النووية الحرارية Stellarator .
ستلاريتور في برنستون ، وبرهابسوترون Perhapsotron في لوس الاموس .

الميسونات والهيبرونات

في أوائل الثلاثينات من هذا القرن سعد العلماء بقليل من الجسيمات التي تتكون منها المادة ؛ فالبروتونات والنيوترونات للنوى الذرية والكهارب لأغلفتها - وأيضاً النيوتريـنو ، تلك المشكلة وليدة العصر . ولكن في عام ١٩٣٢ ظهرت مقالة بقلم عالم الفيزياء الياباني هيديكي يوكاوا سببت الصداع لكل من يهتم بطبيعة قوى الترابط النووية . فلقد زعم يوكاوا أن تلك القوى مرجعها إلى جسيم جديد يتبدل باستمرار بين البروتونات والنيوترونات . وأنه لمن العسير ، إذا لم يكن من غير الممكن أن نصف بطريقة بسيطة فكرة « قوة التبادل » المعقدة . وأحسن ما يمكن للفرد أن يفعله هو أن يتخيل كلبين جائعين حصلا على عظمة طرية ، ثم راحا يتخاطفها كل منهما من الآخر ليقضم منها قطعة . هذه العظمة اللذيذة تمر باستمرار من فك أحدهما إلى فك الآخر ، وفي الصراع الناتج عن هذا يتلاحم الكلبان دون انفصال .

وفكرة يوكاوا هي أن القوى الجذابة بين النيوكلونات إنما مرجعها إلى صراع مماثل لامتلاك ذلك الجسم الحديد اللذيذ . ويمكن أن يكون ذلك الجسم الحديد متعادلاً كهربياً ، أو يمكن أن يكون حاملاً لشحنة كهربية سالبة أو موجبة ، ويمكن أن تبدو عملية التبادل في تلك الحالات كما في شكل (٨ - ١٨) .

وقد أثبت يوكاوا أنه لإيجاد تعليل لخصائص القوى النووية المرصودة يجوز أن يفترض أن لهذا الجسم الحديد كتلة وسيطة فيما بين كتلة البروتون وكتلة الكهر ب ، تكون أخف من كتلة البروتون بحوالى عشرة مرات وأثقل من كتلة الكهر ب بحوالى مائتى مرة . ولم يعتقد أحد بوجود تلك الجسيمات التى سميت علمياً « يوكونات » ، إلى أن اكتشف كارل أندرسون عالم الفيزياء التكنولوجية بكاليفورنيا فيما بعد ذلك بعامين وجود جسيمات مشحونة شحنت موجبة وسالبة لتلك الكتلة فى الأشعة الكونية التى تنهمر إلى الأرض خلال طبقات الجو العليا .



شكل (٨ - ١٨)

تبادل ميسون (العظمة) بين نيوكلونين

ولقد صادف اسم الجسيم الحديد عدة مراحل تطويرية منذ اكتشافه؛ ففي بعض الأحيان سمي «كهرب ثقيل»، وفي وقت آخر سمي «بروتون خفيف»، ثم اقترح شخص ما اسم «ميسوترون»، وهو مشتق من الكلمة الإغريقية «ميسوس»، ومعناها «وسيط». ولكن والد فرنر هيزنبرج الذي كان يعمل أستاذاً للغات القديمة اعترض على أن الحرفين «ت، ر» ليس لهما مكان في الاسم. وفي الواقع أنه بينا اسم «ألكترون» مشتق من الكلمة الإغريقية «ألكترا» (ومعناها الكهربا) فإن كلمة «ميسوس» الإغريقية ليس بها «ت» أو «ر». وعلى ذلك استقر الرأي أخيراً على أن يكون اسم جسيم يوكاوا «ميسون» أمام معارضة عالم الفيزياء الفرنسي الذي لم يكن يريد الخلط بين اسم الجسيم الحديد وبين الكلمة الفرنسية «ميزون» (ومعناها بالفرنسية «بيت»).

ومنذ البداية سببت الميسونات الكثير من المتاعب لعلماء الفيزياء، حيث بدا هناك خطأ ما في امتصاص الهواء الجوي لها. وبالنسبة للجسيمات التي لها مثل تلك الطاقة العالية جداً (عدة بلايين من الفولتات الكهربائية) كان من المتوقع أن امتصاص المواد المختلفة لها يعتمد فقط على الكمية الكلية (كتلة) للمواد التي تجتازها. وفي الواقع نجد أنه بالنسبة لتلك الطاقات يمكن اعتبار أن كل الكهارب الذرية التي تصطدم بها تلك الجسيمات السريعة حرة طليقة (ارجع إلى مناقشة نظرية كمن)، والذي يهمهم هو فقط عدد الكهارب وليس الطريقة التي ترتبط بها النوى الذرية المختلفة. لهذا فإننا لو قسنا شدة حزمة أشعة كونية على قمة جبل وعند سفحه لوجدنا أن تناقص الشدة لا بد أن يتأثر فقط بوزن عمود الهواء الممتد رأسياً من الموقع الأسفل إلى الموقع الأعلى. ودعنا نقل إنه لو كان فرق الضغط البارومتري بين موقعين هو ١٠٠ ملليمتر زئبق لتبع ذلك أن يكون وزن عمود الهواء مساوياً لوزن عمود من الزئبق طوله ١٠٠ ملليمتر، ولذلك فمن الضروري أن يكون امتصاص طبقة من الزئبق سمكها ١٠٠ ملليمتر للأشعة الكونية مساوياً لامتناس الهواء بين قمة الجبل وسفحه لها. وتنطبق هذه القاعدة تماماً في حالة كهارب الأشعة الكونية، ولكن لم يبد أنها تنطبق على الجسيمات حديثة الاكتشاف.

وفي عام ١٩٤٠ تمت تجربة هامة في هذا المضمار على يد برونو روسي في

أيكوليك (بحيرة أيكو البالغ ارتفاعها ٣٢٤٠ متراً) بالقرب من قمة جبل إيفانز القريب من دنثر (التى يبلغ ارتفاعها ١٦١٦ متراً) كما فى شكل (٨ - ١٩) ، وقد كان الفرق البارومتري بين الموقعين ١٤,٥ مليمترأ أو ما يعادل مترين من الماء . واستعمل الرجل عدادين متجانسين من عدادات الميسونات ، أحدهما فى دنثر والآخر على الجبل ، وقد كان الأخير مغموراً تحت سطح البحيرة بحوالى مترين * . وحيث إن مياه البحيرة سوف تعطى فى تلك الحالة نفس الامتصاص مثل طبقة الهواء بين بحيرة الجبل وشوارع دنثر ، كان من المتوقع أن كلا العدادين سيسجلان نفس النتائج . وعلى أية حال لم تؤيد التجربة هذا التوقع ، فلقد كان عداد دنثر يظهر باستمرار أعداداً من الميسونات أقل بكثير . وكان التعليل الوحيد الممكن هو أنه يوجد هناك سبب آخر خلاف الامتصاص الجوى الذى ينقص عدد الميسونات المقبلة إلى الأرض . واقترح أنريكو فرمى أن الظاهرة يمكن أن يكون مرجعها إلى علم الاستقرار الذاتى للميسونات . وفى الواقع نجد أنه لو انشطرت الميسونات فى أثناء هربها فإن شطائرها سوف تعتمد على الزمن الذى تستغرقه فى سفرها . وحيث إن الميسونات الهابطة إلى دنثر لابد أن تكون قد سافرت ١٦٢٤ متراً زيادة ، وحيث إنها من

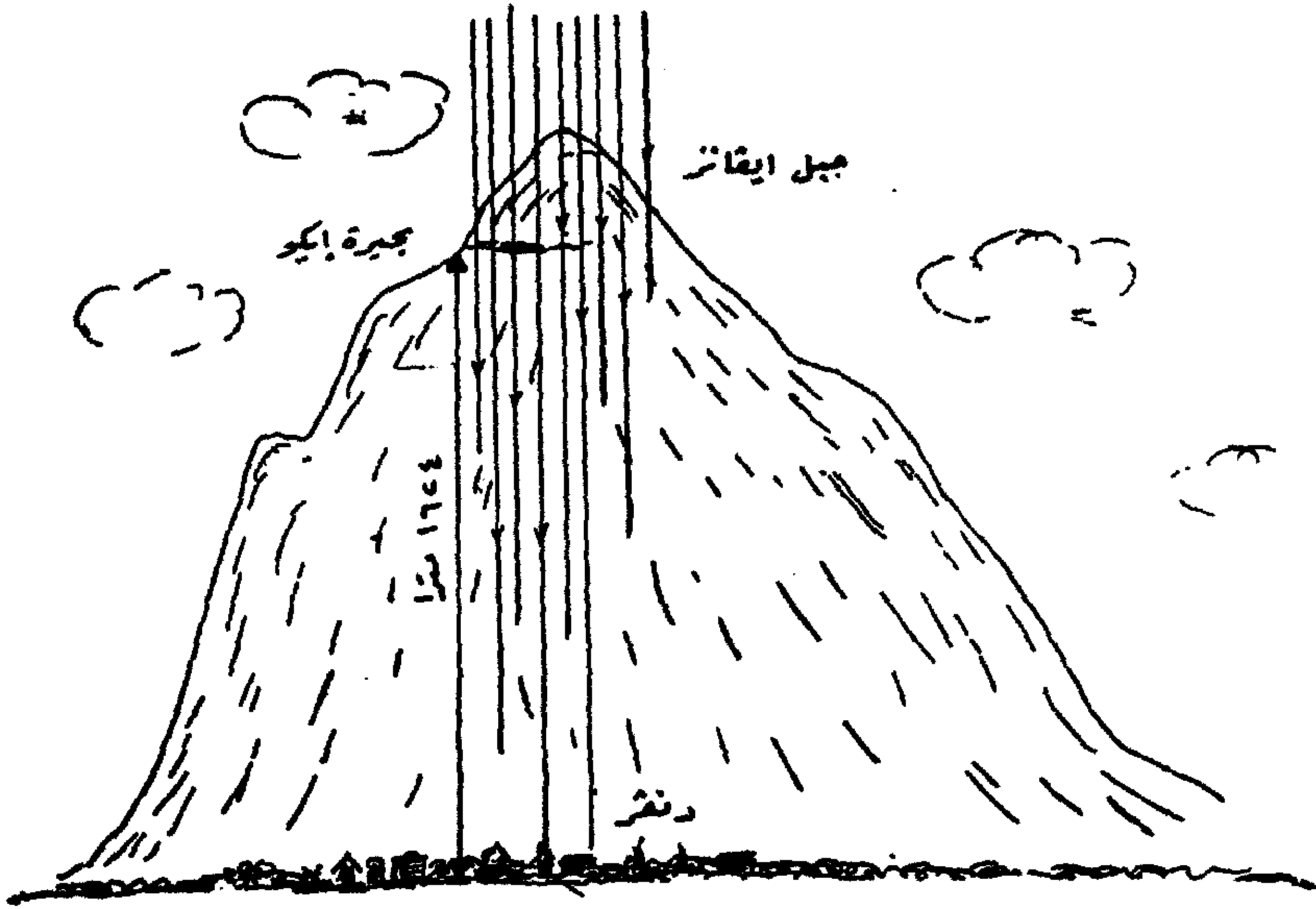
الناحية العملية تسافر بسرعة الضوء ، فإن فترة الوقت المستغرقة هى $\frac{16 \times 10^3}{3 \times 10^{10}}$

$= 5 \times 10^{-6}$ ثانية . من هذا الرقم ومن تناقص الشدة الملحوظ عند مستوى الأرض يمكن إحصاء نصف فترة الحياة للميسونات التى اتضح أنها تعتمد بدورها على سرعتها . فبالنسبة للميسونات السريعة جداً والتى تبلغ طاقتها ٢٥٠ مليون إلكترون فولت تكون فترة الحياة حوالى 2×10^{-10} ثانية ، بينما رصدت للميسونات البطيئة التى تبلغ طاقتها ١٠٠ مليون إلكترون فولت فقط فترة حياة مقدارها 5×10^{-10} . وتعطى هذه الملاحظات أول تأكيد عملى لقانون أينشتين عن التمدد الزمنى ، وتوافقت النتائج العملية مع القانون :

* فى التجربة الواقعية استخدمت قطعة من الحديد سمكها يعادل مترين من الماء ، ولكن استعمال مياه.

تلك البحيرة الجميلة يكون أكثر شاعرية (المؤلف) .

$$\frac{\Delta N}{\sqrt{\frac{E}{11}}} = \Delta N$$



شكل (٨ - ١٩)

تحلل الميسونات في الطريق من بحيرة إيكو إلى دنفتر

ويمكن من التجارب أن يقيس الفرد مدة حياة الميسونات بعد أن تستقر في قطعة من مادة ماصة ، ولقد وجد أنها تكون قصيرة وتساوي : $2,5 \times 10^{-10}$ ثانية . فإذا كان للميسونات سريعة الحركة في الأشعة الكونية فترة الحياة هذه لأمكن أن تتحلل كلها وهي ما زالت عالية في الجو ولم تكن لنلاحظها على الأرض .

ماذا يحدث للميسونات عندما تموت ؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال بتصوير مسارات الميسون وناتج تحلل الميسون . وليس من الضروري وجود غرف التكاثف في حالة جسيمات لها قوة نفاذ عالية مثل ميسونات الأشعة الكونية ، لأن هذه الغرف مهما كانت الظروف كبيرة الحجم بحيث لا يمكن إرسالها في بالونات أو صواريخ . والطريقة المثلى في هذه الدراسات تقوم على أساس استخدام ألواح تصوير لها طبقات استحلاب سميكة . ويكسب الكثير من هذه الألواح في عمود ، وعندما يمر جسيم ذو طاقة عالية خلال مثل هذا العمود فإنه يؤثر في حبات مستحلب التصوير الحساسة

الرابضة على طول الطريق . وبفحص الألواح (بعد تحميضها) تحت المجهر يلاحظ المرء خطوطاً طويلة من الحبات السمرء تدل على مسار الجسيم . ويدل مستحلب التصوير غليظ التركيب في اللوحة رقم (٨) (العليا) على تتابع الأحداث التي نلتقط منها في تلك اللحظة فقط آخر المسارات في الصورة . فالمسار قبل الأخير (الذى يتجه من أسفل إلى أعلى ناحية اليسار) ينتمى إلى ميسون يمكن إثباته بإحصاء عدد حبات التصوير المتأثرة في كل وحدة من وحدات طول المسار . والمسار الأخير (الذى يجرى من أعلى إلى أسفل ناحية اليسار) ينتمى إلى كهرب عادى تولد في نقطة انتهى عندها مسار الميسون . وثبت حقيقة أن الكهرب قذف في اتجاه عكسى أنه لا بد أن هناك جسيماً أو جسيمات كثيرة اشتركت في عملية التحلل ، وكانت تناسب اتجاه اليسار ، كما تثبت حقيقة عدم رؤية أية مسارات أخرى أن هذه لا بد أن تكون متعادلة كهرياً ، وأن الاتجاهات والقوى الداخلة في العملية تؤدي إلى أن هناك في الواقع جسيمين آخرين هما أصدقاؤنا القدامى النيوتريونات . وعلى ذلك يمكن وصف تحلل الميسون بالمعادلة :

ميسون سالب وموجب \leftarrow كهرب سالب وبوزترون + ٢ نيوترينو .

حيث تطابق + و - الميسونات السالبة والموجبة الشحنة . وحيث إن للميسون كتلة ٢٠٦ كهرب ، كما أن للكهرب كتلة كهرب واحد وليس للنيوترينو كتلة من الناحية العملية ، إذن تبقى كتلة ٢٠٥ كهرب دون سبب . وتبعاً لقانون أينشتين عن تكافؤ الكتلة والطاقة فإن الكتلة الزائدة سوف تتحول إلى حوالى ١٠٠ مليون الكترون فولت من الطاقة موزعة بين الجسيمات التي تكونت خلال التحلل .

وعندما اكتشفت الميسونات لأول مرة رحب بها كثيراً على أنها الجسيمات التي لا بد أن تكون مسئولة عن قوى الترابط بين النيوكلونات تبعاً لنظرية يوكاوا عن تبادل الظاهرة ، ولكن سرعان ما اكتشف أن الموقف ليس بسيطاً على الإطلاق . فلقد قامت الصعوبة فيما يتعلق بمسألة ماذا ستفعل الميسونات عندما تبطىء في مساراتها داخل كتلة سميكة من مادة ماصة . فكان من المتوقع في هذه الحالة أن تختلف مصائر الميسونات الموجبة والسالبة . فبما أن الميسونات الموجبة تتنافر مع نوى المادة الذرية الموجبة الشحنة فإنها سوف تتجول كمجموعة منبوذة وتحلل في خلال قليل من أجزاء المليون من الثانية إلى بوزترون سريع وزوج من النيوتريونات . وسوف يقذف

البوزترون مرتفع الطاقة خارج الكتلة (أو المجموعة) ويعبر أحد العدادات الكثيرة التي أحاطت بها مصائد الميسونات الكتلة معلناً موت ميسون موجب .

ومن الناحية الأخرى سوف يمسك الميسون السالب المبطن على مدار كمي لإحدى النويات ويصبح عضواً مؤقتاً في المجموعة الذرية . ودلت التسجيلات التي قام بها كل من إنريكو فرمي وإدوارد تeller على أن مثل هذا الأسر سوف يحدث بسرعة جداً قبل أن تواتي الميسون المبطن فرصته للانشطار . وحيث إن أنصاف أقطار مدارات كم بور تتناسب عكسياً مع كتلة الجسم ، فإن مسار هذا الميسون سوف يكون أصغر من أكثر مدارات الكهرب توغلا في الداخل بحوالى ٢٠٠ مرة ، وإن الميسونات المأسورة سوف تتحرك قريباً من سطح النواة ، وبذلك تشبه إلى حد ما قمراً أرضياً . وتواجه الميسونات احتمالين إذا ما دخلت المدار ؛ يمكنها أن تنشط إلى كهرب سالب سريع وزوج من النيوتريونات وتسجل العدادات الموضوعه حول الكتلة موت ميسون سالب . ولكن عندما يتحرك الميسون قريباً جداً من النواة فمن الممكن أن تبتله . وفي الواقع إذا كانت القوى بين البروتونات والنيوترونات مرجعها إلى تبادل مستمر للميسونات بينهما فلا بد أن يوجد التفاعل :

بيون موجب + ميون سالب ← نيوترون + نيوترينو .

ومن شدة القوى النووية يمكن تقدير أن هذا لابد أن يكون تفاعلاً سريعاً جداً يستغرق فقط حوالى ١٠-٢٢ ثانية . وبما أن التحلل الطبيعي للميسون يستغرق حوالى ١٠-٦ ثوان فإنه يترتب على ذلك أن الميسونات من الناحية العملية لابد أن تبتلعها النويات قبل أن تموت موة طبيعية بكثير . وفي الغالب تكون أمام ميسون واحد من كل ١٠١ ميسوناً فرصة للانشطار إلى كهرب ونيوتريونات قبل أن يلتهم . وعلى ذلك لن تقذف كهارب سالبة خارج كتلة تبطن الميسون . ويختلف الدليل العملي مع تلك النتيجة اختلافاً بيناً . فبالرغم من أن عدد الكهارب السالبة الخارجة من كتلة التبطؤ كان أصغر من عدد بوزيترونات بعض المواد بحوالى ٢ ، وفي مواد أخرى بحوالى ١٠ ، إلا أنه كان من المؤكد أنها ليست أقل بحوالى ١٠١ ! ومعنى ذلك أن قابلية النوى للميسونات أصغر عدة ملايين البلايين من المرات عما هو مطلوب لقوة تبادل عظيمة كافية كما صورها يوكاوا . إذن ماذا يمكن أن يفعل الفرد ؟ فلقد تم

التنبؤ بالميسونات ، وتم اكتشافها ، ولكن كان الواضح أنها أنواع غير صالحة من الميسونات وأن النوى الذرية ليس لها اهتمام بها كما لا تهتم الأسود بالتبن . وجاءت النجدة من مستحلب تصوير غليظ أخذ في عام ١٩٤٧ بوساطة أحد البالونات التي أطلقها عالم الفيزياء البريطاني : ك . ف . بوويل إلى طبقات الجو العليا . فلقد ظهر في الصورة مساران متصلان عند نهايتهما ، ينتمى أحدهما إلى ميسون عادى كتلته ٢٠٦ ، أما الآخر فلا بد أن يكون قد نتج عن جسيم له نفس الشحنة ولكن كتلته ٢٧٣ . وفي بادئ الأمر أطلق على الجسيم الثقيل اسم « ميسون ثقيل » (مثل « ملاكم من وزن متوسط الثقيل ») ولكن سرعان ما أعيدت تسميته ببيون ميسون (أو « بيون pion ») ، على حين أن « الميسون الخفيف » الذي اكتشف أولا أعيدت تسميته بميدن ميسون (أو « ميون muon ») . ودلت الدراسات الأخيرة على أن البيون السالب أو الموجب يتحلل إلى ميون (موجب أو سالب) ونيوترينو واحد وفقاً للمعادلة :
 بيون سالب وموجب \rightarrow ميون سالب وموجب + نيوترينو .

وهي تنتج في طبقات الجو العليا نتيجة تصادم أشعة كونية ابتدائية (التي هي أصلاً بروتونات عالية الطاقة جداً) مع نوى ذرية ويكون لها فترة نصف حياة قصيرة ($2,6 \times 10^{-8}$ ثانية) ، حتى إنه بالرغم من مساعدة قانون أينشتاين للتمدد الزمني لا تأتى إحداها إلى سطح الأرض . وتظهر في الجزء العلوى من اللوحة رقم (٨) حزمة بيونات عند تصادم بروتون شعاع كوني أصيل مع نواة ما في لوح التصوير ، ومسار إحداها مع تحولات متلاحقة إلى ميون وإلى كهربي . وبينما يوجد نوعان فقط من الميونات سالبة وموجبة نجد أنه توجد ثلاثة أنواع من البيونات سالبة وموجبة ومتعادلة ، والذي ذكر أخيراً ينشطر إلى كمى إشعاع لهما طاقة عالية :

ميون = متعادل \rightarrow ٢ جاما

مع نصف حياة حوالى 10^{-16} ثانية فقط .

وانهالت في السنين التالية أنواع أخرى كثيرة من الجسيمات على رؤوس علماء الفيزياء . فظهر ميسون ك كتلته ٩٦٥ كهربي ، وعدة جسيمات أثقل من البروتونات أطلق عليها اسم « الهبيرونات » . وفي الجدول رقم « ١ » تظهر أسماؤها وطريقة تحليلها ونصف أعمارها .

وليس هناك ضمان لعدم اكتشاف جسيمات أكثر في المستقبل القريب ، كما أن صور الأحداث الأولية تصبح أكثر تعقيداً كما يظهر في اللوحة رقم (٨) السفلى . هذه الصورة أخذت بوسيلة حديثة معروفة باسم « حجرة الفقاعة » التي هي إلى حد ما عكس غرفة التكاثف . فبدلاً من قطرات السائل المكونة في الغاز يستعمل المرء هنا فقائيع الغاز المكونة في وسط سائل مثل سائل الهيدروجين . وبالرغم من أن معرفتنا الواقعية عن الجسيمات الأولية تتزايد بسرعة ، فإننا نصطدم بمخاطب صلب في أى محاولة لفهمها ، وكل النظريات التي تم تطويرها في هذا الاتجاه تبدو بعيدة جداً عن طبيعة البحث في الظواهر الطبيعية .

في المرأة

إذا وجد إنسان فردة حذاء يسرى فإنه يكون متأكداً أن الفردة اليمنى موجودة في مكان ما تحت سرير أو كنب . . . ونفس الشيء يحدث بالنسبة للقفازات وأكثر الأشياء الأخرى . ولكن قلوب كل الرجال والنساء موجودة في الجنب الأيسر وزائدتهم الدودية موجودة في الجانب الأيمن . وثمة حقيقة أخرى أساسية في علم الحياة هي أن جزيئات البروتين الداخلة في تكوين كل مخلوق حي سواء كان أميباً أو رجلاً أو سمكة رنجة أو شجيرة ورد لها نظام يسارى ، وأن دنيا النبات والحيوان ذات النظام اليميني لا وجود لها على سطح الأرض . والغريب إذن هو أنه كلما ركب عالم كيمياء عضوية بروتينات من العناصر يحصل على ٥٠ ٪ من الجزيئات اليسارية و ٥٠ ٪ من الجزيئات اليمينية . ومن المحتمل أنه في أثناء المراحل الأولى لتطور الحياة على كوكبنا كان يوجد عالمان من عوالم الحياة : أحدهما يميني ، والآخر يسارى . وحيث إنهما كانا غير قابلين للهضم وسامين أحدهما بالنسبة للآخر ، فمن الممكن أنهما اشتبكاً في معركة دمر فيها أحد الجانبين تدميراً تاماً .

ولكن في الفيزياء العادية المنتظمة كان مبدأ صورة المرأة (المعروف باسم « مبدأ التشابه ») يتبع دائماً ، وألفنا أن نجد لكل عملية طبيعية أخرى تشبهها مثل صورة المرأة . وفي عام ١٩٥٦ اقترح عالمان من علماء الفيزياء اليابانيين — وهما شابان من أصل

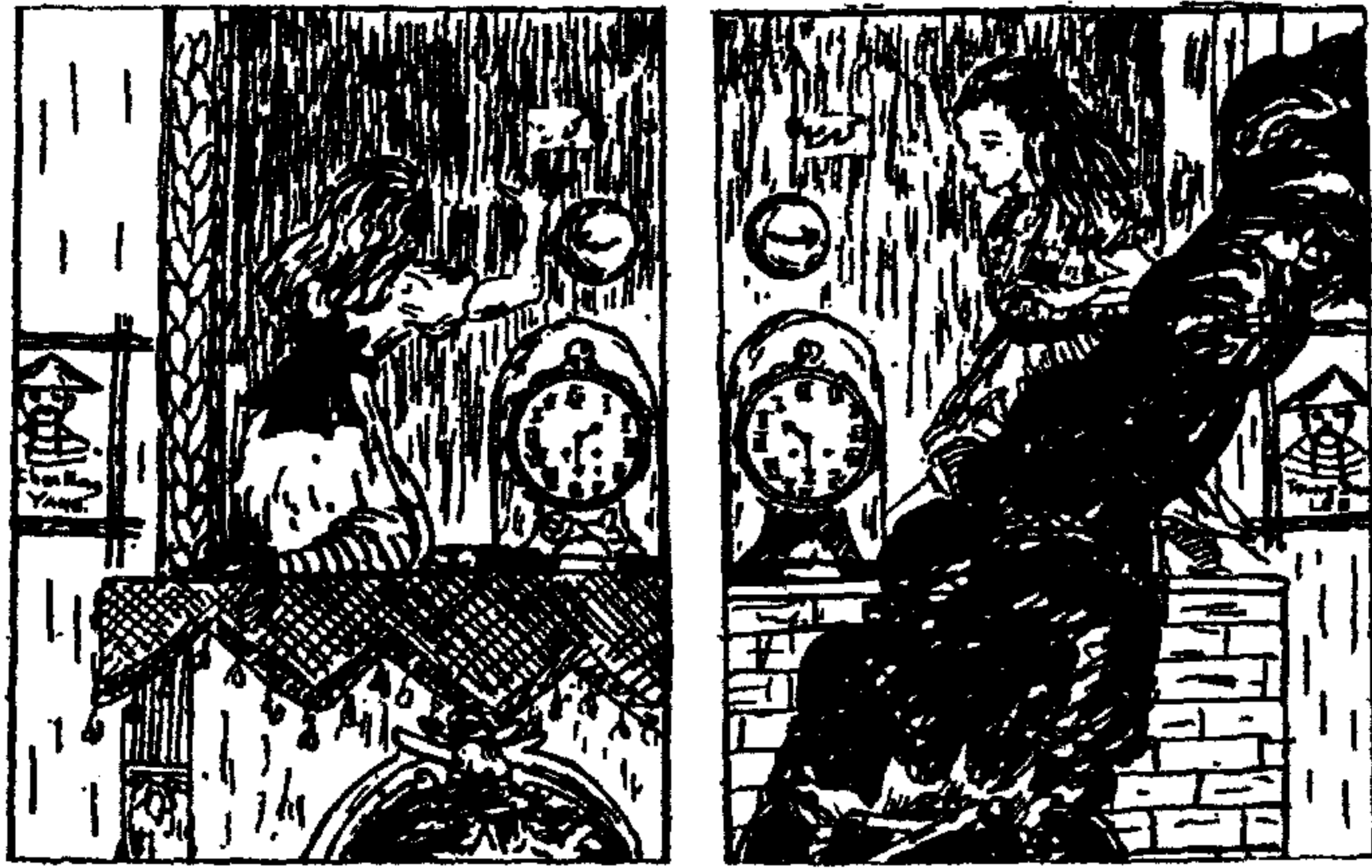
جدول رقم ١ - خصائص جسيمات المادة الأولية

الاسم	الكتلة بكتلة الكهر	متوسط الحيا. بالثواني	طريقة التحلل	الكتلة معبراً عنها بمقدار ١٣٧ إلكترون
اكساي	٢٥٨٥	10^{-10}	لدا + بيون سالب وموجب	١٨,٨٨
سجما	٢٣٣٠	10^{-10}	نيوترون + بيون سالب وموجب	١٧,٠٢
لدا	٢١٨٢	$10^{-10} \times 2,7$	بروتون موجب + بيون سالب أو نيوترون + بروتون موجب	١٥,٩٢
نيوترون	١٨٣٨,٦	10^{-3}	بروتون موجب + كهر سالب + نيوتريينو	١٣,٤٠
بروتون	١٨٣٦,١	ثابت		
تايون	٩٦٦,٥	10^{-8}	بيون سالب وموجب + بيون معدل	٧,٠٥
ثيتون	٩٦٥	10^{-10}	+ بيون معدل إلخ بيون معدل + بيون معدل أو موجب + بيون سالب	
بيون ط ^٢	٢٧٣,٢	$10^{-8} \times 2,6$	ميون سالب وموجب + نيوتريينو ٢ جاما	١,٩٩٥
بيون ط ^١	٢٦٤,٢	10^{-16}		١,٩٢٨
ميون	٢٠٦,٧	$10^{-6} \times 2,2$	كهر سالب ولوزترون + ٢ نيوتريينو	١,٥١١
كهر	١	ثابت		
نيوتريينو	صفر	ثابت		

أمريكي يدعوان تشن نانج يانج وتسونج داو لي - أن هذا يمكن ألا يكون صحيحاً في حالة الجسيمات الأولية ، وكان اقتراحهما يقوم على أساس اعتبارات نظرية . وكما سبق ذكره مراراً يمكن اعتبار الجسيمات الأولية والنيوترونات بوجه خاص كمغازل تدور حول محاورها . وبالطبع يمكن أن يكون هذا الدوران مثل دوران الساعة أو ما يحكيه ، ويمكن تحويل كل من حالتي الحركة إلى الأخرى ببساطة ، وذلك بقلب المغزل . والكهر المنبعث من تحلل النيوترون ينطلق على طول محور دورانه . وكان المعتقد أن الكهارب تطلق بنفس الاحتمال في كلا الاتجاهين (وبعبارة أخرى خلال القطب الشمالي أو الجنوبي) . فإذا كان هذا صحيحاً توافر بذلك مبدأ التشابه ،

وتكون صورة المرآة للنيوترون المتحلل مطابقة للأصل ، حيث إن كل ما على المرء أن يفعله لجعلهما يتفقان هو أن يقلب أحدهما . وعلى أية حال إذا كان الكهرّب يطلق في اتجاه واحد باستمرار - « شكل ٨ - ٢٠ » - لتغير الموقف تماماً . ففي الواقع سيوجد المرء عند النظر إلى صورة نيوترون متحلل في مرآة - « شكل ٨ - ٢٠ ب » أنه لا توجد طريقة لقلبه حتى يتفق مع الأصل . ولو كان الكهرّب ينبعث في كلتا الحالتين إلى أعلى كما في شكل (٨ - ٢٠) فإن النيوترونين يدوران في اتجاهين عكسيين ، وعلى هذا يكسر مبدأ التشابه ويكون سلوك الجسيمات الأولية من ناحية المرآة الأخرى لا يتفق مع الأصل الذي أمامها .

ولاختبار فرض يانج ولي أجريت تجربة مباشرة لاكتشاف ما إذا كان هناك أى علاقة بين اتجاه دوران النيوترون واتجاه إطلاق الكهرّب . فخفضت درجة حرارة مادة ذات نشاط إشعاعى من مواد تحلل بيتاً إلى درجة منخفضة جداً ووضعت في مجال مغناطيسى قوى . وعندما انعدمت عملية التقلبات الحرارية تحت



شكل (٨ - ٢٠)

صورة المرآة لتحلل نيوترون

وطأة هذه الظروف أصبح اتجاه انبعاث كل الذرات واحداً على طول خطوط قوى المغناطيس . فإذا ما انبعثت الكهارب بالتساوى في كلا الاتجاهين بالنسبة لمحور دوران النيوترونات ، فإننا سوف نرى أعداداً متساوية منها تطير تجاه قطبي المغناطيس الكهرّبى الشمالى والجنوبى . ومهما يكن شئ من فقد أدت التجربة إلى نتيجة عكسية تماماً ، وكما تنبأ يانج ولي ، كانت كل الكهارب تطير في نفس الاتجاه .

وسرعان ما تم الحصول على نفس النتيجة بالنسبة لتحلل الميوميسون بعد ذلك .
 وكان هذا هدماً لمبدأ التشابه ، أثبت أن عالم الجسيمات الأولية عالم غير متوازن
 الجانبين ، وإلا فأين نصفه الثاني الذى ينتمى إلى فيزياء (خلال المرآة) ؟ إننا
 لا نعرف الإجابة ، ولن نعرفها حتى يتم فهم طبيعة العناصر الأولية الأساسية .

مستقبل الفيزياء

يتضح مما سبق أن مستقبل الفيزياء رهين بما نقوم به من دراسات ، وما يجد
 على فهمنا وإدراكنا للجسيمات الأولية . وبينما نجد أن التجارب فى هذا الميدان تسير
 نحو التقدم فإن الآراء النظرية ما زالت كما هى . ومنذ حوالى خمسة وعشرين قرناً
 افترض ديموقريطس أن المادة تتكون من أجزاء منفصلة صغيرة ، ونحن الآن فى
 طريقنا إلى الاقتناع أكثر وأكثر بهذا الافتراض . ومنذ نحو نصف قرن فقط عرفنا
 أن الطاقة أيضاً لها بناء « ذرى » . فنحن نتكلم الآن عن كم الطاقة . وفى خلال
 السنوات الستين الماضية عرف علماء الفيزياء كيف يسبغرن الكم على أنواع الطاقة
 المختلفة . فى حالة الإشعاع الكهرمغناطيسى يمكن أن يعبر عن الطاقة بقيمة (ن
 هـ) ، حيث v هى عدد الذبذبات ، ن رقم صحيح . وفى حالة ذرة الهيدروجين
 البسيطة تتناسب طاقة حالات الكم المختلفة مع $\frac{1}{n^2}$ حيث ن رقم صحيح كذلك . وفى
 حالات أخرى أكثر تعقيداً أعطيت الإجابات الصحيحة عن طريق معادلات
 شرودنجر وديراك . أما فى حالة الجسيمات المادية فإننا ما زلنا فى عالم من الجهل
 المطبق . فنحن لا نعرف لماذا تكون لشحنة كهربية نفس القيمة 4.77×10^{-10}
 وحدة كهربية ستاتيكية باستمرار . وليست لدينا أدنى فكرة عن سبب إسباغنا الكم
 على كتل الجسيمات عندما تكون لها القيم النسبية المبينة فى الجدول رقم (١) ، كما أنه
 ليست لدينا فكرة أحسن من فكرة ديموقريطس عن مشكلة تكون المادة من جسيمات
 غير قابلة للتقسيم بدلاً من أن تكون متصلة فى واقع الأمر .

ومن إجابة الأسئلة السابقة سوف تتكون فيزياء المستقبل . ولكن لم تتخذ فى
 الحقب الماضية من الزمن أية خطوة موفقة للوصول إلى الأجوبة ، ولا يستطيع أحد

التنبؤ عن الزمن الذي فيه تتم الإجابة عليها ، ولكن بالرغم من أن أحداً لا يعرف الإجابة إلا أنه لا يلزم أن يلام المرء على تفكيره في هذا النوع من المشكلة . دعنا نناقش الشحنة الابتدائية y مثلاً : من المعروف أن y^2 مقسومة على حاصل ضرب سرعة الضوء a والكمية الثابتة h تكون رقماً صحيحاً أو كمية ثابتة لا أبعاد لها . ومعنى ذلك أنه لا تأثير ، سواء عبرنا عن y ، a ، h بوحدات الستيمتر والجرام والثانية أو بالبوصة والرطل والساعة أو بأية وحدات أخرى (على شرط أن تكون مستعملة باستمرار) ، فإن هذه النسبة تظل كما هي . وهي تعرف باسم « ثابت التركيب الدقيق » ، لأنها إنما انبعثت من وصف انتشار مجموعة خطوط بالمر إلى عدة مركبات متقاربة جداً ، ويعبر عن قيمتها بواحد مقسوماً على ١٣٧ . ولكن لماذا ١٣٧ وليس ٧٥ أو ٥٣٣ ؟ في قوانين الفيزياء يكون دائماً للتكرار العددي معنى رياضي . فمثلاً إذا درس المرء العلاقة بين مدة ذبذبة البندول T وطوله l وعجلة الجاذبية g مهما كانت الوحدات التي يستعملها الفرد فإنه سيصل دائماً إلى القانون :

$$T = \frac{2\pi}{g} \sqrt{6,283 l}$$

فإذا يكن هذا الرقم ٦,٢٨٣ ؟ حسناً ، إذا حاول أحد أن يربط هذا الرقم بالأعداد المختلفة المعروفة في علم الرياضة فسوف يجد أنه في الواقع 2π ط . وباستعمال معادلات الميكانيكا النظرية لاستنباط ذلك القانون سوف نجد أن المعامل لا بد أن يكون 2π ط . وكذلك عند استنباط تعبير عن شحنة ابتدائية باستخدام معادلة الكم النسبي التي تشتمل على الثابت a ، h ، لا بد أن يصل الفرد إلى أن النسبة $\frac{a}{y^2}$

(عكس ثابت التركيب الدقيق) التي تعطى بوساطة تعبير رياضي معين يكون متساوياً عددياً مع ١٣٧ . ولكن لا يعرف أحد في الوقت الحاضر كيف يصل إلى مثل هذه النظرية . وبينما أنه ليس من الصعب التخمين بأن العدد ٦,٢٨٣ هو $2 \times 3,141$ ، إلا أنه من الصعب جداً أن نخمن أي نوع من الحيوان يكون هذا الرقم ١٣٧ .

وقام السير آرثر ادنجتون الذي ساهم مساهمة فعالة في نظرية التكوين الداخلي

للنجوم بإجراء تجربة جريئة لشرح الرقم ١٣٧ منذ عدة سنين . وجرت مناقشته كما يلي :

إننا نعيش في عالم له أربعة أبعاد (س ، ص ، ع ، ت ان) و $4 \times 4 = 16$. لذا دعنا نبين إحدى المصفوفات ، أعني جدولاً مربعاً به ١٦ خطاً أفقياً و ١٦ عموداً . ودعنا أكثر من ذلك نفترض المصفوفة « متشابهة » بالنسبة لقطرها ، أى إن محتويات مربع في الخط الأفقى النونى والعمود الميمى تنطبق تماماً مع محتويات مربع في الخط الأفقى الميمى والخط العمودى النونى . فكم سيكون عندنا من المربعات المنفصلة ؟ حسناً ، إنه ليس من الصعب إحصاؤها . فمجموع مربعات المصفوفة هو $16 \times 16 = 256$ مربعاً . من هذه المربعات ينتمى ١٦ مربعاً إلى القطر ويتبقى بعد ذلك ٢٤٠ . وعلى ذلك فكل منطقة مثلثة الشكل على جانبي القطر سوف يكون بها ١٢٠ مربعاً . وحيث إن المربعات متطابقة على كلا جانبي القطر ، إذن يتبقى عندنا ١٢٠ مربعاً منفصلاً . وينتج عن إضافتها إلى الستة عشر مربعاً الموجودة على القطر ١٣٦ مربعاً . وفي الوقت الذى وصل فيه ادنجتون أول الأمر إلى هذه العلاقة كان المعتقد أن القيمة العملية هي ١٣٦ . ولكن بعد مضي قليل من السنين أثبتت القياسات أنها ١٣٧ ، ولقد أجبر ذلك ادنجتون على إخراج « نظرية التعديل » يطلب بها إضافة وحدة .

ولقد قوبلت فكرة ادنجتون هذه بالسخرية فى مقال قصير بقلم ج . بيك ، ه . بيتى ، و . ريزلر نشر فى عدد ٩ يونية عام ١٩٣١ من المجلة الألمانية « ناتور فيسنشافتن » ، وقد كان نص تلك الورقة التى حاولت إثبات أن شعوزة الأرقام عمل خطر على النحو الآتى :

« بعض الملاحظات على نظرية الكم لدرجة حرارة الصفر » .

دعنا ننظر إلى بلّورة سداسية ، تتميز نقطة صغرها المطلق بتجمد كل درجات الانطلاق فيما عدا ، بطبيعة الحال ، حركة الكهارب على مدارات بور . وكما يقول ادنجتون لكل كهرب $\frac{1}{137}$ درجة من درجات الانطلاق . والبلّورة تحتوى إلى جانب الكهارب عدداً مساوياً من البروتونات . وللوصول إلى درجة حرارة الصفر

لابد أن ننسب إلى كل نيوترون (أى بروتون زائد كهرب) $\frac{2}{\text{ألفا}} - 1$ درجة من درجات الانطلاق ، حيث إن إحدى درجات الانطلاق تجمدت في أثناء حركة الكهرب في مداره ، وبذلك نحصل على درجة حرارة الصفر على النحو الآتي :

$$\text{درجة حرارة الصفر} = - \left(\frac{2}{\text{ألفا}} - 1 \right) \text{ درجة}$$

وبافتراض أن $\frac{1}{\text{ألفا}} = 137$ نحصل على درجة حرارة الصفر :

$$\text{درجة حرارة الصفر} = 273 \text{ درجة}$$

وهذه تتفق إلى حد كبير مع القيمة التجريبية . ونحن نلاحظ أن نتيجتنا مستقلة عن رأى اختبار معين للبلورة .

وبطبيعة الحال نجد أن العلاقة العددية المذكورة بين 137 ، 273 مصادفة محضة ، حيث إنه في الوقت الذي يعتبر فيه 137 عدداً صحيحاً حقيقياً ، فإن درجة حرارة الصفر المطلقة سوف تعطى بأعداد مختلفة تعتمد على استعمالنا إما لدرجة الحرارة بالسنتيجراد ، وإما بالفهرنهايت ، وإما موازين رومر للحرارة . وبعد نشر المقالة ، تلقى محرر المجلة بياناً من عالم فيزياء ببرلين جاء فيه أن المقالة عبارة عن أضحوة . وعندئذ كتب خطاباً شديداً اللهجة إلى المؤلفين الذين كانوا في ذلك الوقت يعملون في جامعة كمبردج ، فردوا عليه رداً متواضعاً جاء فيه أنهم يأسفون لسوء الفهم ، وأنهم كانوا متأكدين أن الورقة سوف تعتبر تهكماً على الطريقة التي يبنى بها علماء معينون من علماء الفيزياء نظرياتهم .

وعلى ذلك جاء في العدد التالي من مجلة « ناتورفيسنشتافت » (Naturwissenschaften) استدراك من المحرر جاء فيه أنه يأمل أن يفهم كل القراء أن ورقة بيك وبيتي وريزير كانت مجرد تهكم . عندئذ انفجر غضب السير آرثر ادنجتون .

وها هي ذى قطعة من الشعر كتبها في ذلك الوقت فلاديمير ألكسندوفتش فوخ الآنف ذكره . *

* نقلها إلى الإنجليزية ب . ب . ج عن أصلها الروسي المنقول عن الألمانية (المؤلف) .

١٣٧ - ١٨٤٠

بالرغم من أنه يمكننا وزنها في الحال ،
 وسواء أكنّا متعبين أم أصابنا دوار البحر ،
 إلا أن مائة وثلاثة وسبعين لا تزال ،
 بالنسبة إلينا جامدة كالصخر .
 ولكن ادنجتون كان يراها غير مضمّنة
 وأنكر أولئك الذين يميلون إلى السخرية
 فهو يقول إنه رقم مهم ويعبر كذلك
 عن أبعاد الكون ، فهل يمكن ذلك ؟
 الدنيا التي تضمنا ونعيش على ثراها ؟
 الدنيا التي فيها السير آرثر ادنجتون يعيش كادحاً
 هي نفس الدنيا التي نشمها ونراها ؟
 آه على رسلك ، إنه لا يمكن إلا أن يكون مازحاً .
 وإلا فما هوذا رقم من عندي أنا
 إنني أمرح (وكما تدين تدان)
 ألف وثمانمائة وأربعون برهنت هنا
 على أنه يعادل رقمه دون أن يخسر الميزان .
 يا سير آرثر ، احتفظ لنفسك برقمك الصغير
 فهو لك من الآن حتى ترجف الراجفة
 أما رقمي واحد وثمانية وأربعة وصفر الكبير
 فإنما يناسب عالماً ما زال علينا أن نعرفه !
 إذن استمر واعرض ما شئت وارفع
 فني مجالي أنا وفي كل الميادين
 دع هذه الأرقام الأربعة تضيء وتلمع
 حتى تدهش الشياطين .

كل هذا حدث منذ حوالى ثلاثين سنة ، ولكن إلى اليوم ما زلنا لا نعرف لماذا يكون ذلك الرقم ١٣٧ ، كما أننا لا نعرف أشياء أخرى ، وما إذا كان « تعليل » ادنجتون مرجعه إلى المصادفة ، أم أن به أى عنصر من الواقع . وبطبيعة الحال يمكن للمرء أن يعتبر مجهود ادنجتون على أنه « استنباء بالأعداد » وهو مفهوم سيء فى هذه الأيام ، ولكن هناك كلمة قريبة جداً وهى « نظرية الأرقام » وهى فرع عظيم ومشرف من فروع الرياضيات البحتة . وغالباً ما كان علماء الفيزياء يتطلعون إلى مساعدة الرياضيات البحتة عند محاولتهم حل ألغاز الطبيعة ، وفى كثير من الأحيان كانوا يحصلون عليها . فعندما أراد أينشتاين تفسير الجاذبية على أنها انحناء للارتباط المكانى والزمانى ذى الأربعة الأبعاد ، وجد فى انتظاره نظرية ريمان عن المكان المنحنى كـثير الأبعاد . وعندما تطلع هيزنبرج إلى نوع غير عادى من الرياضيات ليصف حركة الكهارب داخل الذرة كان الجبر غير القابل للتجميع فى انتظاره . ولكن ما زالت نظريتا الأرقام والتوزيع (التحليل الوضعى) مجرد مبادئ رياضية بحت دون أى تطبيق على الفيزياء ، فهل من الممكن مناداتهما لمساعدتنا فى فهمنا مستقبلاً ومعاونتنا على حل ألغاز الطبيعة ؟ ولكن عند العودة إلى مشاكل الفيزياء مستقبلاً من المحتمل أن يلاقى المرء صعوبات أكثر تعقيداً عند شرح كتل الجسيمات الأولية عما يعترض سبيله عند شرح شحناتها الكهربائية . وفى الواقع فإن أى قانون يمكن أن يعبر عن الكتلة بدلالة السرعة (س) والفعل (هـ) مع إدخال رقم ثابت ، لابد أن يشتمل على الطول . ويمكن للمرء أن يكتبه هكذا :

$$\text{الكتلة} \times \frac{\text{الفعل}}{\text{السرعة} \times \text{الطول}} =$$

حيث أنها هى رقم ما معقول مثل ١ ، ٢ ، ٣ ط ، ١ ط ٢ ، إلخ . واور أننا أخذنا أ على أنه حوالى ١ والفعل الذى يساوى هـ هو (١٠ × ٢٧) والسرعة س تساوى (٣ × ١٠) وأردنا الحصول على كتلة جسيم مادى ، أو بعبارة أخرى كتلة ميسون (٢ × ١٠) فلا بد أن نعتبر الطول مساوياً نحو ١٠^{١٢} سم . وبطبيعة الحال لو أن ١ لا تساوى ١ ، ولكن دعنا نقل ٢ ط (نحو ٦) أو ط ٢ (نحو ١٠) ، فإنه يمكن للطول أن يكون قصيراً مثل ١٠^{١٣} سم . والطول الذى على هذا القدر

شائع جداً في فيزياء الحسبات الأولية : « فنصف قطر الكهر ب » المرصود على أساس نظرية علم الديناميكا الكهربائية هو $2,8 \times 10^{-13}$ سم ، في حين تعرف المسافة التي عندها تبدأ القوى النووية العمل بين جسيمين بنحو $1,4 \times 10^{-13}$ سم وعلى ذلك يبدو أن الطول الذي يبلغ عدة مرات 10^{-13} سم له دلالة أساسية في مشاكل الحسبات الأولية .

والآن ومنذ عشرات السنين من الزمن يخالج علماء الفيزياء النظرية أمل في أن الطول الذي من نوع 10^{-13} سم الذي يسمى عادة λ ، يلعب دور الطول الأولي في تطوير النظرية مستقبلاً . وكما أن λ هي أعلى سرعة ممكنة في نظرية النسبية و Φ هو أصغر فعل ممكن في نظرية الكم فإن λ قدر لها أن تقوم بدور أقصر مسافة ممكنة في النظرية الخاصة بالمادة مستقبلاً . وكما يقال فإنها سوف تكون « قطعاً لنقطة رياضية » ولن يكون لها معنى عند الحديث عن مسافات أصغر من ذلك . هذا الاحتمال يعتبر حلماً شيقاً ومثيراً ومن الممكن أن يتحقق ، ولكن لا أحد يدري الآن متى سيكون .

والوصول إلى نهاية درامية لهذا المؤلف الذي أصبح طويلاً إلى حد ما يمكننا الإتيان بعلاقة استنباء رقمي رصدت في مجال الحسبات الأولية . وبما أننا لا يمكننا فهم معنى ١٣٧ ، إذن دعنا نعبر عن كتل كل الحسبات الأولية بـ ١٣٧ كتلة كهر ب . النتيجة منشورة على الجدول رقم (١) (ص ٤١٩) ونحن نرى أن كل الأرقام تقريباً قريبة من الأرقام الصحيحة فيما عدا اثنين فهما قريبان من رقم صحيح ونصف . ومن الممكن أن تكون مصادفة ، ولكن المصادفة من هذا النوع تكون واحدة من كل عدة ملايين . وإذا لم تكن مصادفة فماذا يكون معناها ؟ هل يمكن تفسير تتابع « الأرقام المقدسة » :

$$19, 17, 16, 13\frac{1}{2}, 7, 2, 1\frac{1}{2}$$

على أساس نظرية معقولة ؟ هل يمكن مثلاً أن تكون لها عند ربطها بنظرية الأرقام علاقة بتتابع الأعداد الأولية أو تتابع الأعداد الأكثر تعقيداً ؟ أو أنها عند ارتباطها بالتوزيع كانت لها علاقة بعدد الرؤوس والحافات والوجوه وحدود الفراغ للسطوح ذات الأبعاد الأربعة ؟ إننا لا نعرف . ولكن دعنا نأمل أن جهود علماء الفيزياء في الأجيال المستقبلية سوف تصل بهذه المشاكل إلى حل مظفر .

قائمة المصطلحات

Absorption	امتصاص
Pilot Waves	أمواج طائفة
Annalen der Physick	أنالين دير فيزيك
Curvature of space	انحناء الفضاء
Fermi, Enrico	انريكو فرمي
Refraction of light	انكسار الضوء
Dioptrics	انكسار الضوء
Nuclear Fission	انشطار نووي
Contraction	انكماش—تقلص
Fitzgerald contraction	انكماش فترجيرالد
Ions	الأيونات

(ب)

Barium	باريوم
Balmer, J.J.	بالمر ، ج . ج .
Bragg, W.	براج ، و .
Antiprotons	البروتونات المضادة
Light Proton	بروتون خفيف
Blackett, P.M.S.	بلاكيت ب . م . س .
Abbott, Benjamin	بنيامين آبوت
Boron	البورون
Bevatron	بيفاترون
Beck, G.	بيك ، ج

(ا)

Friction	احتكاك
Floating Bodies	الأجسام الطافية
Adams, J.C.	أدامز ، ج . ك
Eddington, Arthur	إدنجتون ، آرثر
Aristotle	أرسطو
Archimedes	أرشميدس
Erwin Schrödinger	إروين شرودنجر
Polarization	استقطاب
Aston, F.W.	أستون ، ف . و .
Alexander the Great	الإسكندر الأكبر
Alpha rays	أشعة ألفا
Radiation	إشعاع
Beta rays	أشعة بيتا
Gamma rays	أشعة جاما
Cosmic rays	أشعة كونية
Cathode rays	أشعة المهبط
Equinoxes	الاعتدالين
Actinium	اكتينيوم
Albert Einstein	ألبرت أينشتين
Ampère, André Marie	أمبير ، أندري ماري

Molecules	جزيئات	Pion	بيون
Photosphere	جسم الشمس أو الكرة المرئية (الفوتوسفير)	Curie, Pierre	بيير كوري
Alpha particles	جسيمات ألفا	(ت)	
Galvanometer	الجلفانومتر	Induction	التأثير المنتج
Potential	جهد	Tauon	تايون
Joule, James Prescott	جول ، ج . ب .	Alpha decay	تحلل أشعة ألفا
Kepler, Johannes	جوهان كبلر	Beta decay	تحلل بيتا
Jeans, James	جيمس جينس	Electrolysis	تحليل كهربى
Chadwick, James	جيمس شادويك	Lorentz transformations	تحويلات لورنتز
Maxwell, James Clerk	جيمس كلارك ماكسويل	Imaginary	تخيلى
Perrin, Jean	جين بيران	Gas thermometer	ترمومتر غازى
(ح)		Equipartition of energy	تساوى توزيع الطاقة
Bubble chamber	حجرة الفقاعة	Scattering	تشتت أو تناثر
Latent heat	حرارة كامنة	Equilibrium	تعاذل
Brownian Motion	الحركة البراونية	Dilatation	تمدد
Thermal Motion	حركة حرارية	Astrology	التنجيم
Calculus	حساب التفاضل والتكامل	Tycho Brahe	تيخو براهى
Diffraction	حيود	(ث)	
(خ)		Dimensionless Constant	ثابت عديم الأبعاد
World line	الخط الكونى أو الخط العام	Theton	ثيتون
Fraunhofer lines	خطوط فراونهوفر	Theon	ثيون
		(ج)	
		Gravitation	الجاذبية
		Algebra	الجبر
		Periodic system	الجدول الدورى

Calorie سعر

(د)

Rocket ship سفينة صاروخية

Bernoulli, Daniel دانيال بيرنولي

Cyclotron السيكلترون

Dyne دايين

(ش)

Transparent شفاف

Entropy درجة التعادل أو
مقياس الترتيب

Cicero شيشرون

Absolute temperature درجة الحرارة المطلقة

(ط)

Energy طاقة

Carbon cycle دورة الكربون

Kinetic energy طاقة حركة

Dirac, Paul ديراك، ب. أ. م.
Adrien Maurice

Atomic energy الطاقة الذرية

Dynamics ديناميكا

Spectrum طيف

De Broglie, Louis دي برولي، لويس

(ظ)

Thermodynamics الديناميكا الحرارية

Phenomenon ظاهرة

(ذ)

Doppler effect ظاهرة دبلر

Vibration ذبذبة

Compton effect ظاهرة كمتن

Atom الذرة

(ع)

Acceleration عجلة

(ر)

Geiger counter عداد جيجر

Radar الرادار

Uncertainty Relations علاقات عدم الثبت

Lever رافعة

Volta pile عمود فولتا

Rutherford, Ernest رذرفورد إرنست

Mass defect عيب الكتلة

Atomic number الرقم الذري

Oppenheimer, Robert روبرت أوبنهايمر

(غ)

Galileo, galilei غاليليو غاليلي

(ز)

Cloud chamber غرفة التكاثف أو

Leyden Jar زجاجة ليدن

غرفة السحابة

(س)

Atomic Submarines غواصات ذرية

Nuclear Fluid السائل النووي

Gas Laws	قوانين الغازات	(ف)	
Centrifugal force	قوة طاردة مركزية	Faraday, Michael	فارادي ، ميخائيل
Force	قوة	Van de Graaff	فان دي جراف
Rainbow	قوس قزح	Fitzgerald, G.F.	فيتزجيرالد، ج. ف.
	(ك)	Action	فعل
Catoptrics	كاتوبتركس أو الانعكاس	Astronomy	الفلك (علم)
Carl Anderson	كارل أندرسون	Foucault, Jean	فوكولت ، جين
Atomic icebreakers	كاسحات الجليد الذرية	Volta, Alessandro	فولتا ، أ .
Mass	كتلة	Pythagoras	فيثاغورث
Cadmium	كاديوم	Werner Heisenberg	فيرنر ، هيزنبرج
	(ق)		
Chromosphere	الكروموسفير أو الكرة الملونة	Bernoulli's principle	قاعدة برنولي
Cosmotron	كزموترون	Archimedes' Law of floating bodies	قانون الأجسام الطافية لأرشميدس
Electroscope	كشاف كهربى	Ohm's law	قانون أوم
Efficiency	كفاءة أو درجة النجاح	Boyle's law	قانون بويل
Chlorine	الكلور	Law of equivalence	قانون التكافؤ
Compton, Arthur	كمتن ، آرثر	Archimedes' law of lever	قانون الرافعة لأرشميدس
Energy quanta	كم الطاقة	Charles' Law	قانون شارل
Momentum,	كمية الحركة	Inertia	قصور ذاتى
Quantity of matter (mass)	كمية للمادة (أو الكتلة)	Satellite	قمر صناعى
Cockroft, John	كوكروفت ، ج .	Nuclear Bombs	قنابل نووية
		Atomic bomb	القنبلة الذرية

Free path	المسار الحر أو الطليق	Coulomb, Charles Augustin de	كولوم ، شارل أوجسطين دى
Transversal	مستعرض		
Atom smashers	محطّات الذرة	Donkey electrons	الكهارب البليدة (لها كتل سالبة)
Alexandrian School	مدرسة الإسكندرية	Electromagnetism	كهرومغناطيسية
Elasticity	المرونة	Electromagnetic	كهرومغناطيسى
Bunsen burner	مصباح بنزن	Alchemy	الكيمياء الخرافية أو (الكمى)
Anode	المصعد (القطب الموجب)	(ل)	
Matrix	مصفوف (ماتركس)	Boltzmann, Ludwig	لد فيج بولتزمان
Matrices	مصفوفات	Archimedes' screw	لولب أرشميدس
Electromagnet	مغناطيس كهربائى	Lithium	ليثيوم
Magnetism	المغناطيسية	(م)	
Resistance	مقاومة	Antimatter	المادة المضادة
	المهبط (القطب السالب)	Uncertainty Principle	مبدأ عدم الثبت أو التخفف
Cathode		Series	متوالية أو متسلسلة
Space-time	مكان زمنى	Balmer series	متوالية بالمر
Logic	منطق		متوسط المسار الحر
Anti-Cathode	المهبط المضاد	Mean free path	أو متوسط المسار الطليق
De Broglie waves	موجات دى برولى	Field	مجال
Mesothorium	ميزوثورיום أو الثوريوم الأوسط	Unified field	المجال المتحد أو المجال الموحد
Mesotron	ميسوترون	Almagest	المجسطى
Meson	الميسون	Light cone	مخروط الضوء
Celestial Mechanics	ميكانيكا سماوية	Trajectory	مسار - خط سير
Wave mechanics	ميكانيكا موجية		
Relativistic mechanics	ميكانيكا النسبية		
Muon	ميون		

(ه)

Hallows	المحالات
Precession of equinoxes	هزة الاعتدالين
Becquerel, Henri	هنرى بكريل
Cavendish, Henry	هنرى كافندش
Hipparchus	هيبارخوس
Hyperons	هيبيرونات
Huygens, Christian	هيجتز ، ك .
Hydrostatics	هيدروستاتيكا أو علم توازن السوائل
Heron	هيرون أو (هيرو)
Helium	هيليوم

(و)

Walton, E.T.S. والتون ، ا. ت. س.

(ي)

Reflect	يعكس أو يرد
Uranium	اليورانيوم
Yukons	يوكونات

(ن)

Polaris	النجم القطبي
Radioactivity	نشاط إشعاعى
Half life	نصف العمر
Isotopes	النظائر أو التوائم
Theory of the potential barrier	نظرية حائل الجهد
Kinetic Theory of heat	نظرية الحركة للحرارة
Binomial theorem	نظرية ذات الحدين
Quantum Theory	نظرية الكم
Theory of Relativity	نظرية النسبية
Copernicus, Nicolaus	نقولا كبرنيق
Atomic model	نموذج ذرى
Atomic nucleus	نواة الذرة
Doughnut nuclei	نوى على هيئة كتل العجين
Bohr, Niels	نيل بور
Antineutrons	النيوترونات المضادة
Neutron	النيوترون
Neon	نيون

كشاف تحليلي .

- (١)
- أشعة بيتا ٣٦٨ — ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٩
 أشعة جاما ٣٦٨ — ٣٦٩ ، ٣٧٠
 الأشعة السينية الغامضة ٢٩٨
 الأشعة فوق البنفسجية ٣٠٩ — ٣١٦
 أشعة كونية ٣٢٠ — ٣٢١ ، ٤١١ ،
 ٤١٢ ، ٤١٧
 أشعة المهبط ٢٩٤ — ٢٩٥ ، ٢٩٨
 الاعتدالين ٥٩ ، ١١٦ — ١١٧
 اكتشافات فارادى ٢٠٧ — ٢١٩
 أكتينيوم ٣٦٧ — ٣٧٠
 أمبير ٢٠٥
 أمبير ، أندري مارى ٢٠٣ — ٢٠٥
 امتصاص الضوء ١٨٦ — ١٨٨
 أمواج دى برولى ٣٣٩ — ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٧٥ — ٣٧٧
 أمواج طائفة ٣٣٩
 أناالن درفيزيك ٢٤٦ ، ٣٤١
 انحناء الفضاء ٢٧٨ — ٢٨٧
 أنريكو فرمى ٣٣٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٦ ،
 ٣٩٩ ، ٤١٣ ، ٤١٦
 انكسار الضوء ٦٢ — ٦٤ ، ٦٧
 الانكسار المزدوج ٦١
 انشطار نووى ٤٠٠
 انكماش — تقلص ٢٥٧
 انكماش فترجيرالد ٢٤٣ ، ٢٥٤ ،
- اتحاد المكان والزمان ٢٤٩
 احتكاك ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٥٥ —
 ١٥٦
 الإحصاء الكمي ٣٦٢ — ٣٦٣
 الأجسام الطافية ٥٢ — ٥٤
 آدامز ، ج . ك . ١١٦
 إدنجتون آرثر ٤٠٢ — ٤٠٣ ،
 ٤٢٢ ، ٤٢٤ — ٤٢٦
 أرسطو ٤٣ — ٤٤ ، ٧٠ ، ٨٩ —
 ٩٤
 أرشميدس ٤٤ — ٦٧ ، ٧٧ ، ١٢٠
 أرشميدس المستشار الحربى ٥٥
 أرشميدس والتاج ٤٥
 أروين شرودنجر ١٧٦
 استقطاب ١٤٢ — ١٤٤ ، ١٩١ ،
 ٢١٣ ، ٢٢٩
 استون ، ف . و . ٣٠٤
 الإسكندر الأكبر ٤٣ ، ٥٨ ،
 ٢٤٦
 إشعاع الأجسام الساخنة ١٨٠
 الإشعاع من الغازات ١٨٣
 أشعة ألفا ٣٦٨ — ٣٦٩ ، ٣٧٠ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ — ٣٨٧
 إشعاع ٣٦٨ — ٣٧٠ ، ٣٧٢ — ٣٧٣

- ٢٥٦ — ٢٥٧ ، ٢٦٧
أوبنهيمر ، روبرت ٣٩٧
الإيونات ٢١٠
أينشتين ، البرت ٢٤٥ ، ٢٨٨
- (ب)
باريوم ٣٩٦
بالمر ، ج . ج . ٣٢٨
براج ، و . ٣٠١
برنسبيا نيوتن ٢٤٩
البروتونات المضادة ٣٥٩
بروتون خفيف ٤١٢
بلاكت . م . س . ٣٨٦
بلورة من آيسلند ١٤٢ — ١٤٥
البندول ٧٩ — ٨١
بنيامين آبوت ٢٠٨
البورون ٣٨٧
بيفاترون ٣٦٠ ، ٣٨٩
بيك ، ج ٤٢٣ ، ٤٢٤
بيون ٤١٧ ، ٤١٩
بيير كورى ٣٦٦
- (ت)
تاين ٤١٩
تجارب نيوتن على انكسار الضوء
١٢٨ — ١٣٤ ، ١٤٠ — ١٤٢
- تجربة التداخل لينج ١٤١
تجربة جول ١٥٥ — ١٥٦
تحلل أشعة ألفا ٣٧٩
تحلل أشعة بيتا والنيوترينو ٣٧٩ —
٣٨٣
تحلل الميسونات ٤١٥
تحليل كهربى ٢١٠
تحويلا لورنتز ٢٥٦ ، ٢٧٣
التركيب النووى والاستقرار ٣٩١ — ٣٩٦
التركيب النووى والنيوترونات ٣٧٧ —
٣٧٨
الترمومترات ١٤٦ — ١٥١
ترمومتر غازى ١٤٨ — ١٥١
الترمومتر الغازى ودرجة الحرارة المطلقة
١٤٨
تساوى توزيع الطاقة ١٦٩ ، ٣١٢ —
٣١٣
تساوى الكتلة بالطاقة ٢٦١ — ٢٦٧ ،
٣٠٤ — ٣٠٥ ، ٤١٥
تعادل ٧٨
تفاعلات الانشطار المسلسلة ٣٩٦
التفاعلات النووية الحرارية ٢٦٦
التفجيرات الأولى للنواة ٣٨٣
تفسير نيوتن لألوان قوس قزح ١٢٩ —
١٣٤ ، ١٤١

- تلسكوب نيوتن العاكس ١٢٩ —
١٣٠
التنجيم ٦٩
توزيع السرعة لمكسويل ١٧٠
توزيع الطاقات في طيف متصل ١٨٢
تيخو براهي ٧٤
جول ، ج . ب . ١٥٥ — ١٥٦
جيمس جينس ٣١٠ ، ٣٢٦
جيمس شادويك ٣٧٨ ، ٣٧٩ —
٣٨٠ ، ٣٨٢
جيمس كلارك ماكسويل ١٧٥ —
١٧٧ ، ٢٢١ — ٢٢٨
جين بيران ١٧٨ — ٢٩٣

(ث)

- ثعبان الماء المكهرب ١٩٧
ثيتون ٤١٩
ثيون ٦٧
حجرة الفقاعة ٤١٨
الحرارة كصورة من صور الطاقة
١٤٦ — ١٨٨
حرارة كامنة ١٥٢ — ١٦٢

(ج)

- الجاذبية ٨١ ، ١١١ ، ١٦٤ ،
١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٧٤ — ٢٧٨ ، ٢٨٦
الجاذبية وانحناء الفضاء ٢٧٨ —
٢٨٧
الجبر ٤٥ ، ٦٩
الجدل بالديناميكا الحرارية ١٥٦
الجدول الدوري للعناصر ٣٣٤
جزيئات ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣
جسم الشمس الكثيف أو (الفوتوسفير)
١٨٨
جسيمات ألفا ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣٢٣
الحلفانومتر ٢٠٥
الحركة البراونية ١٧٧ — ١٧٨ ،
٢٤٦
حركة حرارية ١٦٧ — ١٧٥ ، ١٧٧ ،
٢٢٢ ، ٣٠٩
الحركة الحرارية المجهرية ١٧٧ — ١٧٩
الحركة الحرارية وانتشار الصوت
١٧٩ — ١٨٠
حساب التفاضل والتكامل ٨٠ ،
١٠٢ ، ١٠٣
حلقات نيوتن ١٢٩ — ١٣٤ ، ١٤١
حيود ٣٠٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥

(خ)

- خطوط فراونهوفر ١٨٨

(د)

دانيال بيرنولي ١٢٠

داين ١٠٨

درجة التعادل أو مقياس الترتيب

١٥٩ - ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٣ -

٣٤٩ ، ١٧٥

درجة الحرارة المطلقة ١٤٨ - ١٤٩ ،

١٥٠ - ١٥١

دورة الكربون ٤٠٣ - ٤٠٥

ديراك ، ب . ا . م . ٣٥١ -

٤٢١ ، ٣٥٨

ديناميكا ٧٩ - ٨٠

دي بروي ، لويس ٣٣٨ - ٣٤١

ديموقريطس عالم الذرة ٤٢

الديناميكا الحرارية ١٥٦ - ١٦١

(ذ)

ذبذبة ٧٩ ، ٨٠

الذرة ٤٢ - ٤٣ ، ٢٩١

ذرة بور ٣٣٤ - ٣٣٨ ، ٣٣٩

(ر)

الرادار ٦٢

رافعة ٤٤ - ٥٠

رذرفورد ، إرنست ٢٩٨ ، ٣٠٥ -

٣٠٩

الرقم الذري ٣٠٩

(ز)

زجاجة ليدن ١٢٠ ، ١٩١ ، ١٩٨

(س)

ستاتيكا وديناميكا الأجسام السيالة

١٢٠ - ١٢٣

سرعة الضوء ٢٣١ - ٢٣٣ ، ٢٣٣ -

٢٣٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٥١ ،

سعر ١٧٤

سفينة صاروخية ٢٧٤ - ٢٧٨

سلسلة ستيفنسن ٧٧

السيال الحراري ١٥١ - ١٥٣

السيكلترون ٣٨٨ - ٣٨٩

(ش)

شظية من الذرة القديمة ٢٩٢

شيشرون ٥٨

(ط)

طاقة ١٤٦

طاقة حركة ٢٦٦

الطاقة الذرية ٣٩٧

الطيور المنقرة ١٦١ - ١٦٤

(ظ)

ظاهرة دبليو ٢٤٨

ظاهرة كمن ٣٢١ - ٣٢٢

الفان دى جراف ٣٨٧ - ٣٨٨
 فترجيرالد ، ج . ف . ٢٤٢ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٧
 فجر الفيزياء ٣٩ - ٦٧
 فعل ٣٣٠
 فلسفة أرسطو ٤٣ - ٤٤
 الفلك (علم) ٩٤ - ١٠٠ ، ٣٦١
 فوكولت ، جين ٢٣٢ - ٢٣٣
 فولتا ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨
 فيثاغورث ٤٠ ، ٣١٣
 فيرنر هيزنبرج ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
 ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٤١٢
 الفيزياء التقليدية القديمة ٢٦٥

(ق)

قاعدة برنولى ١٢٠ - ١٢٢
 قاعدة هيجنز لانتشار الأمواج ١٣٥ -
 ١٤٠
 قانون الأجسام الطافية لأرشميدس
 ٥٢ - ٥٤
 قانون الأوتار لفيثاغورث ٤٠ - ٤١ ،
 ٧١
 قانون أوم ٢٠٦
 قانون البقاء ٣٧٢ - ٣٧٣
 قانون بويل ١٤٨ ، ١٦٩ - ١٧٠
 قانون التساقط ٨١
 قانون الدائرة الكهربائية ٢٠٥ - ٢٠٧

(ع)

عالم الأبعاد الأربعة ٢٦٧
 عائلات النشاط الإشعاعى ٣٦٧
 عجلة ٨٥ ، ١٠٨ - ١٠٩
 عداد جيجر ٣٠٧
 عصر الكهرباء ١٨٩
 العصور المظلمة وعصر النهضة ٦٨ -
 ١٠٠
 عفريت مكسويل ١٧٥ - ١٧٧
 علاقات عدم الثبوت ٣٢٤
 علاقات عدم الثبوت من القياس
 عمود فولتا ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ - ٢٠٦
 عناصر النشاط الإشعاعى ٣٦٦ -

٣٦٧

عيب الكتلة ٣٠٥

(غ)

غاليليو الفلكى ٩٤ - ١٠٠
 غاليليو غاليلي ٧٩
 غرفة التكاثف أو غرفة السحابة
 ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٨٥
 غواصات ذرية ٤٠١

(ف)

فارادى ، ميخائيل ٢٠٧ ، ٢١٩ -
 ٢٢١ ، ٢٩٥

الكلور ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٣٧
 كمن ، آرثر ٣٢٠ — ٣٢٢
 كم الطاقة ٤٢١
 كمية الحركة — الدفع الميكانيكى
 ١٠٧ — ١٠٩ ، ٢٦٥
 كمية المادة (أو الكتلة) ١٠٥
 كوكروفت ، ج. ، ١٩٢ ، ٣٨٧ ،
 ٤٠٣
 كولوم ، شارل أوجسطين دى ١٩٤ — ١٩٧
 الكهارب البليدة (لها كتل سالبة)
 كهرومغناطيسية ٢٠١ — ٢٠٤ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٢ — ٢٢٨
 الكيمياء الخرافية أو (الكمى) ٦٩

(ل)

لدفيج بولترمان ١٦٧ ، ١٧٣ ،
 ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٣٠٩ ، ٣٦٢
 لولب أرشميدس ٥٥
 ليثيوم ١٩٣ ، ٣٣٦

(م)

المادة المضادة ٣٥٩ — ٣٦٣
 مبدأ عدم الثبوت ٣٢٤ ، ٣٤٣
 مبدأ عمل السيكلترون ٣٨٨ — ٣٨٩
 متوالية أو متسلسلة ٣٨٢
 متوالية بالمر ٣٨٢ ، ٣٢٩ — ٣٣٠

قانون الرافعة لأرشميدس ٤٤ — ٥٠
 قانون شارل ١٤٨
 قانون القوى الكهربائية والمغناطيسية
 ١٩٤ — ١٩٨ ، ٢٠٧
 قانون الكم ٢٩١
 قصور ذاتى ١٠٦
 قمر صناعى ١١٠ — ١١١ ، ٢٥٤
 قنابل الانشطار والمفاعلات ٤٠٠
 قنابل نووية ٣٩٩ — ٤٠٠
 القنبلة الذرية ٢٦٦ ، ٤٠٠ — ٤٠١
 قوانين الغازات ١٤٧
 قوة ١٠٦
 قوة طاردة مركزية ٢٨٢ — ٢٨٣
 قوس قزح ١٢٨ — ١٢٩

(ك)

كاتوبتركس أو الانعكاس ٦٠
 كارل إندرسون ٣٥٨ ، ٤١١
 كبلر وقوانينه ٧١ — ٧٧ ، ٩٧ ،
 ٢٨٦

كاسحات الجليد الذرية ٤٠١
 كتلة ١٠٥

كدميوم ٣٠١ ، ٣٠٤
 الكروموسفير أو الطبقة الخارجية لجسم
 الشمس ١٨٨
 كزموترون ٣٥٩ ، ٣٨٩
 كشاف كهربى ١٩١

- متوسط المسار أو متوسط المسار
الطلق ١٧٠
مجال ٢٢١
المجال الكهرومغناطيسي ٢١٩-٢٢٨ ،
٢٣١ ، ٢٨٨ ، ٣٢٤
المجال المتحد أو المجال الموحد ٢١٩ ،
٢٨٨-٢٨٩
المجسطى ٦٢ - ٦٤
مخروط الضوء ٢٧٠
مسار خط سير ١١٠ - ١١١
المسار الحر أو الطلق ١٧٠ - ١٧١
١٧٩
مستعرض ٢٢٩
مخططات النرة ١٩٢ ، ١٩٣ ،
٣٨٩ - ٣٨٧
مدرسة الإسكندرية ٥٨ - ٦٧
المرونة ١٠٣
مصباح بتزن ١٨٤ - ١٨٦
المصعد (القطب الموجب) ١٩٤
مصفوف (ماتركس) ٣٤٢
مصفوفات ٣٤٢
معادلات جيمس كلارك ماكسويل
٢٢٣ - ٢٢٥
مغناطيس كهربائي ٣٦٨
المغناطيسية ١٨٩ - ١٩٠ ، ٢١٤ ،
٢١٥ - ٢١٦
- المقاومة الكهربائية ٢٠٦ - ٢٠٧
المهبط (القطب السالب) ١٩٤
منطق ٤٣
المهبط المضاد ٢٩٨
موجات دي بروي ٣٣٨ - ٣٤١ ،
٣٤٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧
موجات المادة ٣٣٨ - ٣٤٢
ميزان اللي لكولوم ١٩٤
ميزوثيريوم أو الثوريوم الأوسط
٣٦٧
ميسوترون ٤١٢
الميسون ٢٥٤ ، ٤١٢
الميسونات والهيرونات ٤١٠
ميكانيكا سماوية ١١٥
ميكانيكا موجية ٣٣٨ - ٣٤٢
ميكانيكا النسبية ٢٥٥ - ٢٦١
ميون ٤١٧ ، ٤١٩
(ن)
النجم القطبي ١١٦
نسبية الحركة ٢٤٦ - ٢٤٩
نشاط إشعاعي ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٦٥
٣٧٠ ، ٣٨١
نصف العمر ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٤١٧
النظائر أو التوائم ٣٠١ - ٣٠٤
نظرية الجاذبية في النسبية ٢٧٤ -
٢٧٨ ، ٣١٠

- نظرية الحركة للحرارة ١٦٧ — ١٧٥ ،
١٧٨ ، ٣٠٩
- نظرية ذات الحدين ١٠٢
- نظرية الكم ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٤١ ، ٣٥٥
- نظرية المجال الموحد ٢١٩ ، ٢٨٨ —
٢٨٩
- النظرية الموجية للضوء ١٣٣ ، ٢٣٣ ،
٢٣٤
- نظرية النسبية ٨٠ ، ٩٤ ، ١٠٥ ،
١٧٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ —
٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٣٤٤
- ٣٥١ — ٣٥٢
- نقولا كبرنيق ٧١ ، ٩٠ ، ٩٧
- نموذج ذرة بور والجدول الدوري
للعناصر ٣٣٤ — ٣٣٨ ، ٣٣٩
- نموذج رذرفورد الذرى ٣٠٥ — ٣٠٩
- نواة الذرة ٣٠٩ ، ٣٢٣ ، ٣٦٥
- نوى على هيئة كتل العجين ٣٩٢ —
٣٩٣
- نيل بور ٣٢٤ ، ٣٢٥
- النيوترونات المضادة ٣٦١
- النيوترون ٣٧٨ — ٣٧٩
- نيون ٣٣٦
- (ه)
- هارون الرشيد ٦٩
- الهالات ١٢٨
- هزة الاعتدالين ١١٦ — ١١٧
- هنرى بكرييل ٣٦٥ — ٣٦٦
- هنرى كافندش ١٩٦ — ١٩٧
- هيبارخوس ٥٩ ، ٦٢
- هبيرونات ٤١٧
- هيجنز ، ك. ، ١٠٣ ، ١٣٥ — ١٤٠ ،
١٤٢ — ١٤٥ ، ٢٣٣
- هيدروستا تيكا أو علم توازن السوائل ١٢٠
- هيرون أو (هيرو) ٥٩ — ٦٣ ، ٧٧
- هيليوم ٣٠١ ، ٣٣٦ ، ٣٦٨ ، ٤٠٦
- (و)
- والتون ، ل. ت. س. ١٩٢٠ ، ٣٨٧ ،
٤٠٣
- (ى)
- يعكس أو يرد ٦٣ — ٦٤ ، ٦٦
- اليورانيوم ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٢٧٠ ،
٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ ، ٤٠١
- يوكونات ٤١١

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى : حسن كامل

التصميم الأساسى للغلاف : أسامة العبد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

لا يعرف التاريخ أمة اهتمت بالعلم مثلما اهتمت به الأمة العربية في عصر ازدهارها؛ فلقد كان العلم والحركة الثقافية جزءاً لا يتجزأ من حياة هذه الأمة، وظلت عواصم عربية كالقاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة قروناً بأكملها مراكز إشعاع للعلم في العالم بأسره.

وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقارئ العربي كتاب قيم لعالم الفيزياء المشهور جورج جاموف يعرض فيه لتاريخ الفيزياء منذ أن توصل فيثاغورث إلى الكشف عن نسب التردد في القرن السادس قبل الميلاد حتى البحوث التي يجربها الفيزيائيون اليوم على الجسيمات الأولية.

ولقد التزم المؤلف في هذا الكتاب طريقاً وسطاً؛ فلم يقتصر في كتابته على الحقائق والنظريات الجافة في علم الفيزياء، وإنما استطرد إلى الكتابة عن كبار علماء الفيزياء أمثال: نيوتن، وكافندش، وأمبير، وفارادى، وغيرهم، وأورد تجاربهم وما توصلوا إليه من نتائج ونظريات. ولقد اجتمع للكتاب مؤلف عالم ممتاز ومترجم عالم عربي ممتاز فجاء في هذه الصورة الرائعة تأليفاً وترجمة، لهذا فهو يعتبر بغير شك حافزاً على الدرس والاطلاع لكل قارئ يريد أن يستزيد من المعرفة بعالم الفيزياء وما توصل العاملون فيه من نتائج هي أقرب إلى الخيال.

